



الدكتور يوحنا ورتبات

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الرابع والثلاثين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٩ — الموافق ٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٦

الدكتور يوحنا ورتبات

مات بشيبة صالحة شيخاً وشبعان ايام بعد ان خدم جيلهُ

يندر ان يصدق هذا القول على احد كما يصدق على استاذنا الدكتور ورتبات صاحب الترجمة فقد جاز الثمانين وقضى عمرهُ كلهُ بالتعلُّم والتعليم والبحث والتنقيب والارشاد والتطبيب. كان طبيباً للاجساد وطبيباً للنفوس والعقول وخلَّف كتباً كثيرة ومقالات شتَّى في الطب وفروعهِ وحفظ الصحَّة والحث على الآداب والفضائل ولهُ ايضاً كثير من الكتب الدينية بين موضوع ومترجم. حياة كلها عمل ونفع وسيرة تتضوَّع كالمسك عبيراً.

رأيناهُ اول مرة منذ اثنتين واربعين سنة في مدرسة عبيه بلبنان جاءها زائراً وكان الشيب قد وخطهُ ووقف في منبر الوعظ فوعظ بالعربيَّة بلغة فصيحة وكنا نظنهُ انكليزيّاً من لبسهِ ومخاطبتهِ المرسلين الاميركيين بالانكليزية فقط. ثم وعظ بالانكليزية في ذلك اليوم عينهِ وسمعنا اساتذتنا يعجبون ببلاغتهِ في اللغة الانكليزية كما يعجبون ببلاغتهِ في العربيَّة وحسن اسلوبهِ في الوعظ والانذار ويقولون انهُ من نوابغ رجال المشرق الذين تلقوا العلوم على المرسلين الاميركيين. ولم يخطر لنا حينئذٍ اننا سنكون من تلامذتهِ واخص اصدقائهِ وناشري لواء فضلهِ

وبعد سنة انشئت المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واختير في السنة التالية لتدريس التشريح والفسيولوجيا فيها فصرنا من تلامذتهِ ودرسنا عليهِ مبادئ علم الفسيولوجيا وكان شارعاً في تأليف كتابهِ المشهور فيهِ فجعل يلقيهِ علينا خطباً ويسلمنا كراريسهُ لننسخها ورأينا

منهُ حينئذٍ عالماً عاملاً يقرن العلم بالعمل والقول بالامتحان يرينا خلايا الدم وتلافيف الدماغ وصمامات القلب وفصوص الكبد وحبيبات الطحال واقسام الامعاء ويغرينا بتشريح الحيوانات ودرس وظائف اعضائها ولا يكتفي بالقاء الدرس وشرحهِ وإيضاحهِ بالرسوم والرموز والمستحضرات التشريحية والفسيولوجية بل يسائلنا كل يوم عمَّا درسناهُ في سابقهِ حتى ترسخ المعارف في الذهن بالمراجعة والتكرار وهذا من المزايا التي تمتاز بها المدرسة الكلية الاميركية على كثير من الجامعات العلميَّة لان التلميذ قد لا يفهم ما يقولهُ الاستاذ ولاسيما اذا كان مبتدئاً او يفهمهُ خطأً ويجري على الخطإِ فالامتحان اليومي يردهُ الى الصواب ويغريهِ بالدرس حتى يصير مغرماً بالعلم مدركاً لاصولهِ فيسهل عليهِ فهم ما يلقيهِ الاستاذ من الشروح واستيعابها . ولم يكن يرهق التلامذة فهم ما يعسر عليهم فهمهُ او لا فائدة لهم منهُ . ومضت السنون بعد ذلك وهو مثال لنا في الهمة والاجتهاد والدعة وكرم الاخلاق . مرشد حكيم نتبع قدوتهُ وصديق مخلص تفيد مودتهُ وهذا رأْي تلامذتهِ كلهم الذين تعلَّموا منهُ كما هو رأْي معارفهِ الذين عاشروهُ وعاملوهُ

وقد علمنا منذ ثلاث سنوات انهُ صار على حدود الثمانين فعزمنا مع بعض تلامذتهِ ومريديهِ ان نهدي اليهِ هدية تليق بشأْنهِ اعراباً عن شكرنا لهُ وتذكاراً لفضلهِ على ابناء العربيَّة فكتبنا اليهِ نسأَلهُ عن بعض الامور في تاريخ حياتهِ ونطلب منهُ ان يختار لنا صورةً من صورهِ لننشرها مع ترجمتهِ (وكنا عازمين ان نجعل الترجمة تمهيداً للهدية او التذكار) فابى علينا ذلك اولاً ثم اجابنا الى طلبنا بعد المحاجة الشديدة ولكنهُ لم يجبنا الاَّ بعد ان وعدناهُ اننا نوجز المقال جدًّا ونجعل ترجمتهُ علمية محضة خالية من الاطراء. ثم علم غرضنا من نشر الترجمة وهو التمهيد الى تقديم الهدية او اقامة التذكار فكتب الينا ينهانا عن ذلك ويظهر كراهتهُ لهُ ولم يكف حتى كتبنا اليهِ اننا ائتمرنا بامرهِ وعدلنا عمَّا قصدناهُ . اما الترجمة التي نشرناها حينئذٍ فخلاصتها في ما يلي

هو ارمني الاصل كما تدلُّ كنيتهُ وملامحهُ وُلد في بداءة سنة ١٨٢٧ . وشرع وهو في الخامسة يتعلَّم مبادئَ القراءة . ولما انشئت المدرسة الاميركية الاولى في بيروت سنة ١٨٣٦ انتظم في عداد تلامذتها وبقي فيها ست سنوات وكان التعليم فيها باللغة الانكليزية فاتقن هذه اللغة حتى لا يفرق عن فصحاء اهلها لفظاً وانشاء . وبعد خروجهِ منها قرأَ النحو والبيان على الشيخ ناصيف اليازجي من علماء الشام والعروض والمنطق على الشيخ عقل الزويتيني من علماء حلب ولازم افاضل المرسلين الاميركيين ثماني سنوات وقرأَ عليهم العبرانيَّة واللاتينيَّة

واليونانية والعلوم اللاهوتية وعلى ثلاثة من اطبائهم اكثر فروع الطب ثم اكمل دروسهُ الطبية في ادنبرج ونيويورك ونال الشهادة الطبية بعد الامتحان

ولما فُتح الفرع الطبي من المدرسة الكلية في بيروت سنة ١٨٦٧ جُعل فيهِ استاذًا للتشريح والفسيولوجيا على ما تقدم فدرَّس هذين العلمين ست عشرة سنة متوالية والَّف فيهما كتابين جليلين بالعربية لا يزالان اوسع ما وضع في هذين العلمين بها حتى الآن . ثم انتُدب لتدريس الطب الباطني بعد استعفاء الدكتور ڤان ديك فدرَّسهُ اربع سنوات . وكان طبيبًا للمستشفى البروسياني في بيروت المعروف بمستشفى فرسان مار يوحنا فاهدى اليهِ اصحابهُ وسام الاستحقاق الذهبي وساعة ثمينة نقشوا عليها اسمهُ وذكروا خدمتهُ في ذلك المستشفى خمس عشرة سنة . ومنحتهُ الدولة العثمانية الوسام المجيدي الرابع اعترافًا بخدمتهِ مدة الكوليرا سنة ١٨٧٥ والعثماني الرابع جزاء ما الفهُ ونشرهُ من الكتب العلمية فقابل الوسامين بالشكر لانهُ نظر الى الدلالة المقصودة منهما

ويمتاز في تأليفهِ وتدريسهِ وتطبيبهِ ومعاشرتهِ ولهُ في كل امر من ذلك خطة معلومة ترى باقل نظر

ففي التأليف يتوخى الفائدة والسهولة كما يبين من الكتب التي الَّفها او ترجمها ومن المقالات التي كتبها بالعربية او بالانكليزية

ولهُ من الكتب العلمية كتاب التشريح . وكتاب الفسيولوجيا . وكتاب صغير في التشريح والفسيولوجيا مع اطلس كبير . وكتاب في حفظ الصحة . واكثر من ثلاثين مقالة اكثرها باللغة الانكليزية بعضها في المواضيع الطبية كالجذام والطاعون والكوليرا والحمى التيفويدية والتريخينا ونحوها . وبعضها في مواضيع ادبية كوصايا الشيوخ للشبان والتربية المدرسية والمصريين القدماء ونحو ذلك من المقالات التي نراها منشورة في المقتطف . وترجم كثيرًا من الكتب الدينية والتفاسير ورأينا لهُ كتابًا كبيرًا بالانكليزية موضوعهُ تاريخ الكنائس الشرقية فلما رأينا احدًا اشار اليهِ وسيأتي الكلام على كتابهِ الاخير في حكمة العرب بالانكليزية .

واسلوبهُ في الكتابة خالٍ من التعقيد ومقصور على ايراد المعنى المراد من غير التفات الى تمنيق الالفاظ والتراكيب . وقد عرف الاوربيون والاميركيون قدرهُ العلمي لما رأوهُ من تآليفهِ فانتخب عضوًا في المجمع الطبي الجراحي في ادنبرج ومجمع لندن في علم الامراض الوافدة والاكادمية الطبية في نيويورك . ومنحتهُ مدرسة ييل الجامعة الدكتورية الاكرامية

واسلوبهُ في التدريس مثل اسلوبهِ في التأليف فلا يترك امرًا جوهريًا الاَّ بعدان يفهمهُ

تلامذتهُ حق الفهم نظراً وعملاً . والتشريح من اصعب العلوم في تدقيقاتهِ وكثرة ما يجب حفظهُ منهُ ومع ذلك كان تلامذتهُ لا يتركون شيئاً منهُ جوهرياً الاَّ ويستظهرونهُ اقتداء بهِ . والفسيولوجيا من العلوم الدقيقة النامية فكان يصل في تدريسها الى آخر حدّ وصلت اليهِ حينئذٍ في ايدي علماء اوربا ويرسّخ قواعد العلمين في ذهن التلميذ بالتشريح العملي والبحث الفسيولوجي . وهو مثال في المواظبة والمحافظة على الوقت فلا يضيع دقيقة من اوقات التدريس بل يضيف اليها كل ما يلزم لقرن العلم بالعمل وجعلهِ بحيث يرى التلميذ فيهِ لذةً ولو لم يكن مما يُرغب فيهِ عادة كعلم التشريح

ومن غريب امرهِ انهُ كان يتذكر كل الاسماء التشريحية على كثرتها فلا يشار الى عظم من عظام الجسم ولا الى عضل منهُ ولا الى شريان او وريد او وتر الاَّ ويذكر اسمهُ واسم كل ما يتعلق بهِ ومع ذلك ينسى اسماء تلامذتهِ فلم تكن لهُ ادنى عناية بحفظ الاعلام لقلة اعتنائهِ بالاعراض

ومدار اسلوبهِ في التطبيب الاعتماد على الوقاية والتدابير الصحية ومساعدة الطبيعة للتغلب على المرض والاقلال من العلاجات الدوائية على قدر الامكان وبث الثقة في نفس المريض بتخفيف الامر عليهِ . وهذا الاسلوب قد لا يفيد الطبيب مالاً ولكن المال ليس الغرض الذي كان يرمي اليهِ وهو من ازهد الناس في الدنيا

روى لنا ثقة منذ نحو خمس وعشرين سنة حادثة يصحُّ نشرها في هذا المقام . قال "مرضتْ زوجتي فاستدعيتهُ لما جُعل يعالجها ويعودها كل يوم وانا ادفع اليهِ اجرة العيادة حسب العادة . وذات يوم ابنتُ لهُ اني افضّل ان لا يعودها كل يوم فلحظ انني استثقلت دفع اجرة العيادة فوقف وسألني عن عملي وراتبي فاخبرتهُ فمضى ثم عاد ومعهُ كل الدراهم التي اخذها مني فردها اليَّ واضطرَّني الى اخذها وواظب على عيادة زوجتي من غير اجرة" . هذا ما وعتهُ الذاكرة من هذه القصة وقد نكون مخطئين في بعض تفاصيلها لبعد المدة ولكن مجملها كذلك . ولا يبعد ان يكون لها امثال كثيرة . وليس الغرض من ذكرها التنويه بفضلهِ واحسانهِ بل الاشارة الى انهُ كان يعدُّ الكسب من صناعة الطب امراً ثانوياً

الى هنا كان النظر اليهِ من حيث كونهُ رجل علم منقطعاً لافادة ابناء نوعهِ والآن ننظر اليهِ من حيث مقامهُ بين معاشريهِ

اذا نظر اليهِ المرء ولو مرةً واحدةً لا ينسى ما يراهُ في وجههِ من امارات الهيبة والوقار وقد يظنهُ لاول وهلة عبوساً غير انيس المحضر ولكنهُ اذا عاشرهُ ولو قليلاً رآهُ على جلالة قدرهِ من اكثر الناس بشاشة وافكههم حديثاً . ويغلب الوقار عليهِ في مقام التعليم والارشاد كما اذا

وقف واعظاً او خطيباً . والمواضيع التي يبني كلامهُ عليها حينئذٍ مدارها في الغالب الحث على الفضائل واقامة الادلة العلمية والتاريخية على فائدتها فكم من مرة اتخذ موضوعاً لعظاتهِ قول الكتاب ان التقوى لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة وما يماثل ذلك من الآيات الكتابية . وخطبتهُ المعنونة وصايا الشيوخ للشبان اوضح مثال لذلك وهي منشورة في المجلد التاسع عشر من المقتطف . ولكن الحياة ليست كلها تعليماً وتدريباً بل جانب كبير منها معاشرة ومعاملة فاذا رأيتهُ في حديقة بيتهِ يعتني بازهارها ورياحينها او رأيتهُ يلعب الالعاب الرياضية فيهامع الشبان والصبايا او رأيتهُ مع عشرائهِ يطربهم بفكاهة حديثهِ ويقص عليهم النوادر الغريبة او رأيتهُ يضحك لنكتة كما رأيناه مرةً اغرب في الضحك لكلمة قالها احد التلامذة فجاءت تورية مضحكة — من رآه كذلك قال ان الوقار والبشاشة اجتمعا فيهِ احسن اجتماع من غير افراط ولا تفريط

هذا جلُّ ما نشرناه من ترجمتهِ سنة ١٩٠٥ وبعث الى المقتطف في السنة الماضية (سنة ١٩٠٧) بثلاث مقالات الاولى حكم من اقوال الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي مهَّد لها تمهيداً حسناً ذكر فيهِ خلاصة ترجمتهِ ثم ترجم امثالهُ وعارضها بما يقابلها من الامثال العربيَّة نثراً ونظماً وهي في كثير من المواضيع الادبيَّة كالكرم والبخل والاحسان والتواضع والكبرياء والعلم والظلم والقناعة والامانة

والثانية وصايا فتاح هوتب لابنهِ وكان فتاح هوتب وزيراً للملك ايسوسي من الدولة الخامسة المصرية وكتابهُ اقدم ما وصل الينا من كتب المصريين القدماء يمتدُّ تاريخهُ الى اكثر من ثلاثة آلاف وخمس مئة سنة قبل المسيح وهي من افضل الوصايا التي اطلعنا عليها في العربيَّة وغير العربيَّة

والثالثة حكم وامثال من التلمود واكثرها من جوامع الكلم مثل تعلَّمْ ثم عَلِّم . الآس آس ولو في قفر . مناظرة العلماء تزيد العلم

وقد اختار هذه الحكم الفارسية والمصرية والعبرانية من كتب حكم المشرق التي طبعت حديثاً في البلاد الانكليزية وألَّف لطابعيها كتاباً جمع فيهِ كثيراً من الحكم والامثال العربيَّة فراجت سوقهُ ونفدت نسخهُ حتى طلب طابعوهُ منهُ ان يردفهُ بكتاب آخر اوسع منهُ . وكتب الينا قبيل وفاتهِ يقول انهُ انجز ذلك الكتاب ولا ندري هل طبع او لم يطبع حتى الآن

ولما اطلع على ما كتبناه عن اسابيا بلادينو والشفاء الغريب في المجلد الثاني والثلاثين من المقتطف بعث الينا بمقالة يفسر بها تلك الغرابة ويذكر بعض الحوادث التي وقعت لهُ من هذا القبيل فنشرناها في الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثين اي منذ اثني عشر شهراً

واعتراه مرض في حنجرتهِ منعهُ من الكلام وكاد يمنعهُ من التنفس حتى اضطرَّ الجراحون ان يشقوها لهُ فصبر على هذه البلوى صبر الكرام وكتب الينا بعد ذلك مراراً وهو يقول ان الداء منعهُ الكلام ولكنهُ لم يمنعهُ الكتابة ويود النجاة من تلك الآلام والخلاص من قيد هذا السجن الارضي وظلَّ كذلك الى ان طفئ سراج حياتهِ في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر الماضي وقد كتب الينا احد الادباء من بيروت يقول

"كانت الساعة الرابعة ونصف من بعد ظهر امس السبت عند ما انطفأ ذلك السراج المنير ووقفت حركة ذلك القلب الخافق في صدر ذلك العلامة الكبير وانعقد ذلك اللسان الناطق بالحكمة وصعد ذلك النفس الاخير وفاضت تلك الروح الطاهرة بين ذويهِ وتلامذتهِ . بين محبيهِ واصدقائهِ . بين سكون الطبيعة وبساطة المعيشة . بين عمل الخير ومحبة البائس . بين المسيحي والمسلم واليهودي . بين السوريين والاجانب . قضى الاستاذ الدكتور يوحنا ورتبات شيخ الاطباء ومات كبير الحكماء . صديق سورية والسوريين الصادق وفانديك الثاني الحبيب

قضى فاجتمع بعض الافاضل من اصدقائهِ ومنهم اسبر افندي شقير ومراد بك البارودي والسادات غندور اخوان وخليل افندي سركيس وجرجس افندي صيقلي وغيرهم وارسلوا خبر وفاتهِ الى ارباب المقامات العالية واطباء البلدة وعلمائها وافاضلها ورؤَساء مدارسها . فاخذوا يتواردون الى بيتهِ معزين ابنتهُ الآنسة ادلا نادبين الاستاذ الكبير والشيخ الحكيم معددين صفاتهِ ومناقبهُ متأسفين على صديق صادق وحبيب مكرَّم

فما كانت الساعة الثانية ونصف بعد ظهر الاحد وهو الوقت المعين لنقل الجثة حتى احتشد جمع غفير من نخبة القوم وسراتهِ فساروا بالنعش موضوعاً في عربة بسيطة الى الكنيسة الانجيلية ووضعوا النعش على منصة وهو مغطى بالاكاليل الطبيعية والاصطناعية . وكانت الكنيسة ملأى بالناس من قناصل وموظفين واطباء وعلماء ووجهاء وادباء . مسلمين واسرائيليين ودروز ومسيحيين وطنيين واجانب

فصلى عليهِ حضرة الفاضلين القس اسعد عبدالله والدكتور مكي وقد اوصى الفقيد ان لا يتولَّى الصلاة عليهِ غيرهما . ثم حمل النعش ثانية واشترك في حملهِ سوريون واجانب مسلمون ومسيحيون الى المقبرة الاميركانية حيث دفن بالاكرام والاجلال ولولا وصيتهُ بان لا لا تتلى على قبرهِ التآبين والمراثي لكنا سمعنا الكثيرين من خطباء بيروت وادبائها الذين كانوا مستعدين للقيام بهذا الواجب المقدس

هكذا دفن العالم العامل والحكيم الكبير فكان بسيطاً في حياتهِ وبسيطاً في مماتهِ . ولكن

من تلك البساطة ظهرت عظمتهُ فاجمعت القلوب على احترامهِ وحبهِ واكرامهِ

هذا صديق السوريين واستاذ الكثيرين منهم رأينا في حفلة جنازتهِ المسيحي والمسلم واليهودي والدرزي جسماً واحدًا وعضوًا واحدًا في الاسف عليهِ والاشتراك في اكرامهِ واعظامهِ "

وقد كتب الينا غيرهُ بمثل ذلك والكل مجمعون على ان ابناء سورية ودعوا بوداعهِ اصدق صديق واخلص مرشد. وحبذا لو اهتمَّ تلامذتهُ ومريدوهُ باظهار الاكرام لهُ الذي منعهم من اظهارهِ في حياتهِ وهو الاكتتاب بقدر من المال ينشأ بهِ تذكار يليق بمقامهِ يوضع فوق لحدهِ او في مكان آخر حيث يراهُ ابناؤُنا فيتذكرون فضلهُ

الصناعة العربية

لما كان العرب في جزيرتهم لم يكن لهم صناعة تذكر بين الصناعات القديمة المشهورة لا في البناء ولا في النقش. وكل ما رأيناهُ من رسوم آثارهم وتماثيلهم التي وجدت في مدائن اليمن وحضرموت لا يدلُّ على تفوُّق في الصناعة يُقابَل بما وجد في بابل وفينيقية ومصر والهند والصين. ولما ظهر الاسلام وخرج العرب من جزيرتهم ودوَّخوا الاقطار وورثوا ممالك الفرس والروم وقطعوا الى اوربا حوَّلوا الكنائس الى مساجد واستخدموا الصنَّاع من الفرس والروم في بناء المباني وزخرفتها ومرَّت القرون وهم يستقدمونهم مأجورين كما فعل الوليد لما بنى الجامع الاموي في دمشق او يجلبونهم في جملة الغنائم كما فعل تيمورلنك بصناع دمشق لما فتحها

هذا ما ظل الغزاة يفعلونهُ حتى القرن التاسع فما قولك بما كانوا يفعلونهُ في القرون الاولى. الاَّ ان الصناع الذين استخدمهم ملوك العرب سواء كانوا من الروم او الفرس او من العرب انفسهم او من ابناء البلدان التي تسلطوا عليها لم يعتنوا برسم الصور ونقش التماثيل الاَّ في الاندلس وكانوا يكتفون برسم الاوراق والازهار والاشكال الهندسيَّة فنشأت من ذلك صناعة خاصَّة تعرف الآن بالصناعة العربيَّة. ومهروا فيها مهارة فائقة وادخلوها في كل مصنوعاتهم من الحجر والخشب والعظم والعاج والصدف والحديد النحاس والفضة والذهب. وترى مصنوعاتهم في مساجدهم وقصورهم وبيوت كبرائهم تستوقف الابصار بحسن روائها واحكام اجزائها وقد خلَّفوا منها في اسبانيا ما لا يزال آية في الجمال

وشاعت هذه الصناعة في المساجد وفي الكنائس ايضاً فتجدها في كنائس القبط القديمة

كما تجدها في مساجد المسلمين · وقد احتفظ بعض ابناء هذا القطر بها ومنهم المرحوم ابادير وهبه الخرَّاط وأخوهُ وابنهُ تادرس افندي ابادير وقد رأينا لهم مصنوعات بالغة حد الاتقان في مساجد مصر ومدافنها ولا سيما في جامع الرفاعي ومدافن امراء العائلة الخديويَّة وهي في الخشب والعاج والرخام والنحاس والفضة وتشمل النوعين القطع الهندسيَّة والاوراق المتداخلة

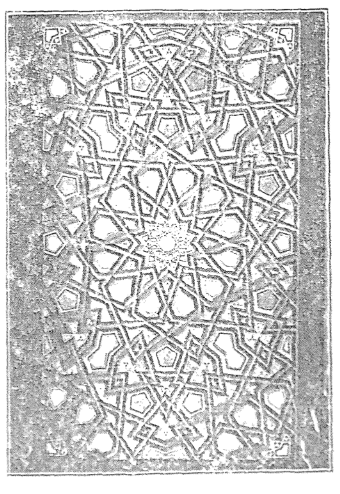
ومنذ عهد قريب اراد لورد كرزن حاكم الهند السابق ان يهدي هدية نفيسة الى بعض اصدقائهِ في بلاد الهند فاختار ان يصنع لهم قنديلاً مثل القنديل الشهير الذي كان معلقاً في مدفن السلطان بيبرس فاستشار مدير دار التحف المصرية فاشار عليهِ ان ينتدب لصنعهِ تادرس افندي ابادير فصنعهُ لهُ فجاء طبق الاصل تماماً في كل شيءٍ وهو المرسوم في الشكل المقابل وكتب لورد كرزن اليهِ كتاباً انكليزيًّا يقول فيهِ ما ترجمتهُ

"يقول لورد كرزن بمزيد السرور ان تادرس ابادير صنع لهُ قنديلاً من النحاس المطعَّم بالذهب والفضة على مثال القنديل الشهير الذي كان معلقاً في ماضي الزمان في مدفن السلطان بيبرس الثاني وان هذا القنديل الذي سيعلق في مدفن التاج بمدينة اكرا في بلاد الهند قد بلغ من دقة الصنعة ومزيد الاتقان ما يشهد بالحذق العظيم لصانعهِ تادرس ابادير"

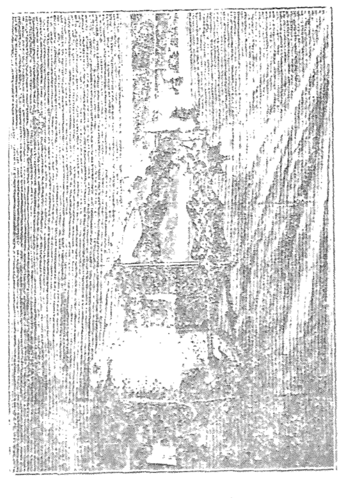
وقد قضى تادرس افندي على صنع هذا القنديل ثمانية عشر شهراً فجاء آية في الصناعة · ومصنوعاتهُ ومصنوعات المرحومين والدهِ وعمهِ تشهد لهم انهم احتفظوا بهذه الصناعة واتقنوها · وقد رسمنا في الشكل التالي صورة باب من ابواب الخزائن التي صنعوها وهو من الخشب والعاج والابنوس وكلهُ قطع محكمة على اشكال هندسيَّة يتصل بعضها ببعض من غير غراء فتأتي متينة كأنها قطعة واحدة ولا يؤثر فيها جفاف الهواء في القطر المصري

ولهذه الصناعة شأن كبير عند الاوربيين فترى المستشرقين منهم يأخذون اثاث بيوتهم من القطر المصري ويتباهون بهِ · دعانا الاستاذ سايس الاثري المشهور الى بيتهِ في مدينة لندن فلما دخلنا غرفة الاستقبال ظننا انفسنا في القطر المصري في غرفة اثاثها كلهُ من عمل المشربية · واهدينا امتعة سوريَّة الى بعض اصدقائنا في اميركا فكتبوا الينا ان كل الذين شاهدوها من الاميركيين اعجبوا بها وفضلوها على ما يصنع في اوربا واميركا

فعسى ان يحتفظ ابناء مصر والشام بصناعتهم القديمة ويزيدوها اتقاناً فانهُ لا يبعد ان تصير من جملة ابواب الكسب الكبيرة ولا نعني صناعة الخشب والعظم والعاج وحدها بل ايضاً صناعة النسج المنقوش والمرقَّق · وعسى ان يزيد اهتمام الوطنيين بها فيعتمدوا عليها في فرش بيوتهم بدلاً من اعتمادهم على المصنوعات الاوربيَّة فيقوى الصناع على زيادة اتقانها



صورة من باب مطعم بالعاج والابنوس



صورة القنديل المهدي الى الهند

الخلل في تركيب جسم الانسان

الخلل في وظيفة حفظ النوع

برهنتُ في المقالة التي نشرت في العدد السادس من المجلد ٣٣ من المقتطف ان نظام التركيب في الانسان ليس كاملاً لانهُ بلغ ما هو عليهِ من النمو والارتقاء تبعاً للناموس الطبيعي الذي يقضي بنمو عضو او انحطاطهِ حسبما يطرأُ عليهِ من الطوارىء والحوادث التي تقضي بذلك وبيَّنت ان عضوًا رئيسيًّا يتوقف عليهِ عمل مهم من اعمال الحياة وهو القناة الهضمية فيهِ من سوء التركيب وخلل النظام ما يؤيد هذا الرأي ويثبت ان تركيب الانسان ليس كاملاً ونظامهُ ليس بالنظام البديع الخالي من العيب والتشويش. وقد وعدت ان اعود الى البحث في هذا الموضوع وسأبسط في هذه المقالة الخلل في نظام حفظ النوع وخلل الغرائز

يظهر لاول وهلة وقبل انعام النظر في الموضوع ان حفظ النوع في الانسان بالغ حد الكمال وان عاطفة الحب المتمكنة فيهِ تبعدهُ عن الحيوان الاعجم بعدًا شاسعاً لان الحيوان الاعجم وان انعطف على صغارهِ فانعطافهُ قصير المدة وينسى الوالدان اولادهما سريعاً وان اكثر الحيوانات تقتل صغارها وليس لها جامعة عائلية ولا جامعة قومية · ولكننا نرى بعد البحث ان الانسان وان ارتقى فالاصل الحيواني متمكن فيهِ وانهُ يحفظ في كل جزء من اجزائهِ وفي كل عاطفة من عواطفهِ او غريزة من غرائزهِ اثرًا لذلك الاصل كما ذكر في غير هذا المكان وكما يتضح مما يأتي

اذا فحصنا جهاز حفظ النوع في الكائنات الادنى من الانسان رأيناهُ افضل نظاماً واكمل تركيباً مما هو في الانسان واذا اخذنا النبات مثالاً لذلك رأينا ان حياة النوع فيهِ تقوم بمجموع اجهزة ووظائف تامة الترتيب والاتقان وان حفظ النوع فيهِ نظام بديع لا خلل فيهِ ولا تشويش

اما الانسان فاعضاؤُهُ المختصة بحفظ النوع منها ما لا وظيفة لهُ لانهُ خسرها بطول الزمن للاستغناء عنها واصبحت اثرية يستدل بوجودها على اصلها السابق وهي كغيرها من الاعضاء الاثرية عرضة للعلل والامراض التي كان الانسان سليماً عنها لو لم توجد · ويظهر باقل بحث ان الانسان خنثوي في الاصل لان اعضاء النوعين موجودة كاملة او اثرية في كل من الرجل والمرأة · ولا ينحصر وجود هذه الاعضاء الاثرية في الانسان بل يشمل اكثر

ذوات الفقرات ويستدل من ذلك على انها كانت في الزمن السابق والبعيد جدًّا خنثوية اي كل فرد منها ذكر وانثى معاً ثم انفصل النوعان وترك كلٌّ منهما للاخر اثرًا دالاً على اصلهِ وهذا الاثر قد يكون واضحاً كظهور الثديين في الرجل او قليل الوضوح كبوقي المبيض في الرجل . واذا قابلنا بين ما هي عليهِ هذه الاعضاء الاثرية في الانسان وما هي عليهِ في الحيوانات رأينا انها اكثر ضمورًا في الانسان مما هي في الحيوانات ومنها ما اختفى في الانسان وبقي واضحاً في الحيوان مثال ذلك قناة الكلية الجنينية المعروفة بجسم ولف فهي موجودة في الحيوان ونادرة في الرجل البالغ على ان الجهاز التناسلي الباطن يحتوي في الانسان على كل انواع الاعضاء الاثرية التي لا فائدة لهُ منها وكثيرًا ما تضرُّ بصحتهِ وحياتهِ لان الاعضاء الضامرة التي لا تقضي وظيفة هي بمثابة جسم غريب في الجسم الحيّ وعلاقتها بحياتهِ تجعلها عرضةً لعيوب خلقية ولعوارض مرضية . فالبروستاتا في الرجل عديمة الفائدة وكثيرة الامراض والاضرار كما يعلم الاطباء والجراحون واذا نمت ولَّدت نوعاً من الخنثوية الشاذة ومثلها بعض الاكياس المائية التي تحتوي على اثريات الجهاز البولي في الرجل . والمبيض في المرأة وان كانت لهُ وظيفة معينة فهو يحفظ بقايا جهاز مفقود تتولد منهُ متولدات مرضية كالاكياس الغشائية والاورام السرطانية

اما الاعضاء الكاملة النمو بحسب الظاهر فتقضي وظيفتها في التوليد ولكنها مع ذلك كثيرة الخلل والعيب وهي كغيرها مما سبق ذكرهُ تدل على خلل في تركيب الجسم الانساني

ولنبدأ اولاً بفحص ظاهرة من الظواهر التي رسخ في ذهن العموم انها طبيعية وانها ليست في شيء من خلل التركيب واعني بها الطمث . فقد اجمعوا على انهُ وظيفة مفيدة للمرأة لانها واسطة لمنع احتقانات قد تكون مضرة ببنيتها ومخلة بصحتها لان العضو الذي يتعرض للنزف يحكم عليهِ بدون تردد انهُ عضو مريض فنزف الدم من الانف والرئتين والامعاء ومجرى البول يدل على وجود علة في تلك الاعضاء كثرت اهميتها او قلت ونزف الدم في الطمث علامة مرض رحمي ويدل غالباً على وجود اورام في الرحم ويشذ عن ذلك سيلان الدم حينئذٍ الذي تخسر فيهِ المرأة من ١٠٠ الى ٦٠٠ غرام من دمها وهو السائل الثمين والمهم في الجسم فيجدر بنا اذًا ان نبحث فيهِ بحثاً دقيقاً لنقف على مصدرهِ ونفهم معنى وجودهِ

نقول اولاً ان الطمث ليس من خصوصيات النوع الانساني لان في الحيوان الاعجم شيئاً شبيهاً بهِ . ويحصل لاناث القرود في حدائق الحيوانات سيلان دوري يشبه عادة النساء الشهرية

والظاهر ان هذه العادة قد اكتسبت صفة جديدة وانها بلغت الحالة التي هي عليها الآن بسبب تنويع احوال المعيشة التي تتابعت في تاريخ ارتقاء الانسان وابطال الزواج الباكر مما لا محل لبسطهِ هنا وبهذا الاعتبار يكون الطمث حالة غير اصلية في الانسان ويمكننا ان نعتبرها حالة مرضية لان السيال الدموي الغزير الذي يسبقهُ ويرافقهُ آلام واضطرابات عصبية وعقلية لا يعتبر ظاهرة اصلية من ظواهر الحياة الفيسيولوجية . ولذلك فاكثر شعوب الارض تعتبر الطمث حادثاً غريباً وتحسب الطامث قذرةً وتحذر عليها الدخول الى المعابد . ويعتقد العامة ان الطامث اذا امتطت فرساً اماتتها او اسقطتها كما لا يخفى وفي كتب الاديان ما يشير الى ذلك

ويوجد ايضاً ظاهرة ثانية ليست اصلية في وظيفة حفظ النوع بل اكتسبها الانسان في اطوار نشوئهِ وهي آلام الولادة لان الظاهرة الفيسيولوجية او الوظيفة الطبيعية القانونية لا يرافقها ألم بل الالم من اعراض خلل في تلك الوظيفة . وقد كانت الولادة في الاعصر السابقة خالية من الالم ويقول بعض المولدين ان ولادة اللواتي يتزوجن من سن ١٢ الى ١٨ تكون غالباً سهلة واسهل كثيراً من ولادة اللواتي يتزوجن متأخرات والسبب في ذلك هو مرونة الغضاريف في الحديثات السن التي بها يسهل توسيع الحوض فيسهل مرور رأس الجنين الا ان هذه السهولة لا يجوز ان تتخذ قاعدة للزواج الباكر لان الوفيات فيهِ عقيب الولادة كثيرة . ومما يجدر ذكرهُ هنا ان النساء البدويات قلما يشعرن بآلام الولادة وقد تلد المرأة منهنَّ وهي راحلة مع قومها فاذا احست بالمخاض تحولت الى منعطفٍ فتلد وتقطع لطفلها الحبل السري وتذرّ تراباً على مطاويهِ ثم تلف الطفل وتحملهُ وتعود الى قومها بعد بضع دقائق . اما الحضريات فآلام الولادة فيهنّ شديدة ومخاضهن صعب ومدة نفاسهنَّ طويلة ولعلَّ التأنق في المعيشة الذي فرق بينهنَّ وبين البدويات يفسر لنا اسباب الألم ويدلنا على انهُ حادث في الانسان وليس اصلياً

ان ما تقدَّم من الكلام يقودنا الى البحث في مسألة من اهم مسائل الخلل في النظام وهي ان البلوغ في الجنسين يحصل في السن الذي لا يمكن فيهِ الزواج سواء كان من حيث ضعف البنية او من حيث الظروف الاقتصادية لان بلوغ البنت يظهر بين سن ١٢ و ١٣ وهي باقية على اخلاقها الصبيانية وعظام الحوض فيها غير نامية النمو الكافي للحمل والولادة . والصبي تظهر فيهِ عاطفة الحب وهو دون العاشرة ويبلغ في الرابعة عشرة اي في سن لا يستطيع فيهِ الزواج فالخلل اذاً واضح لعدم وجود نسبة بين البلوغ وبين نمو الجسم او بين المراهقة والبلوغ

الصحيح التام . وينتج عن ذلك مضار كثيرة ولا سيما للفتيان لانهم يعتادون رذيلة من اشد الرذائل ضررًا على البنية ومن اكثرها شيوعًا حتى يجوز لنا ان نحكم انها رذيلة كامنة في اعماق الطبيعة البشرية وتظهر باقل تنبيه لها وهي بدون شك نتيجة عدم انتظام الطبيعة البشرية في النمو . وعواقب هذه الرذيلة سيئة جدًّا على الاولاد وقد تكون سببًا لامراض وبيلة ولانحرافات مهمة كالصرع والجنون والسل والبله والهزال وغيرها مما لا يسع المقام شرحهُ ولهذا شددت الاديان بتحريمها واوصت كثيرًا بالعفاف وجعلتهُ تكريمًا للالوهية واستندت في وصاياها على فساد الطبيعة البشريَّة

اما البلوغ فيظهر في الذكور في الرابعة عشرة والزواج لا يتم الَّا في الثلاثين تعديلاً وتبلغ البنات في سن ١٢ او ١٣ ويتزوجن في سن ٢٠ تعديلاً فالمدة بين البلوغ والزواج طويلة وهي شر اضطراري يدعو اليهِ خلل في تركيب الانسان وعليهِ فوظيفة حفظ النوع في الانسان مشوشة ومختلة النظام الدكتور امين ابو خاطر

خليل الخوري اللبناني

الصحافي

انشأ المترجم اول جريدة عربية سماها (حديقة الاخبار) سنة ١٨٥٨ وطبعها في مطبعتهِ السورية التي انشأها في تلك السنة ايضاً وصدَّر اول عدد منها بقصيدة شائقة في مدح السلطان عبد المجيد وسماها (بهجة العصر) وختمها بقولهِ

يا جيرةَ الشرق هبُّوا من رقادكمُ ان العلوم لها في قطركم ذممُ
راقت كؤُوسُ المنا بالعدل فارتشفوا وذي (حديقة) هذا العصر فاغتنموا

ولقد ارهف قلمهُ لكتابة المقالات الادبية والسياسية والروايات الفكاهية ولهُ مباحث اخلاقية تدل على كثرة اطلاعهِ ونشر فيها روايتهُ الاخلاقية التي عنوانها (وَي اذن لست بافرنجي) ولقد طبعها بمطبعتهِ السورية جامعاً اياها من حديقتهِ سنة ١٨٦٠ في ١٦٢ صفحة وكان كثير من اصدقائهِ يعرّبون بعض الروايات والمقالات ويبعثون بها اليهِ لينشرها كالمرحومين سليم دي بسترس واسكندر بك التويني وغيرهما . ولما تعين بمعية فؤاد باشا المعتمد السلطاني سنة ١٨٦٠ خصص الحديقة بخدمتهِ وجعلها شبه رسمية للحكومة فنال عليها راتباً خاصاً ومكافآت . ولما نصب المغفور لهُ فرنكو باشا متصرفاً للبنان اتخذ الحديقة كجريدة رسمية

للتصرفية وصدرت اذ ذاك بالفرنسية والعربية واجازهُ المتصرف بثلاثة آلاف غرش كل شهر واتخذ اعواناً يساعدونهُ في كتابتها منهم المرحوم سليم شحاده وشقيق المترجم المرحوم سليم الخوري صاحب آثار الادهار وغيرهما وهكذا بقيت الحديقة تخدم الدولة والوطن الى ان كثرت شواغل المترجم فعهد بانشائها الى شقيقهِ وديع افندي ولكنها وقفت في العام الماضي (سنة ١٩٠٧) ولما اتمت الخمسين في اثناء السنة الماضية نوى فريق من الادباء ان يحتفلوا بيوبيلها الذهبي فامتنع المترجم واعتذر

ولقد اشتغل بالترجمة والتأليف مع الصحافة فوضع روايةَ الاخلاقية التي ذكرناها آنفاً وعرّب (تكملة العبر) الذي وضعهُ صبحي باشا بالتركية في جزئين مطبوعين وهو تتمة لتاريخ ابن خلدون وتولّى ادارة ترجمة الدستور الهمايوني عن التركية وقام بذلك المرحوم نوفل نعمة الله نوفل الطرابلسي وطبع في مجلدين وطبع كثيراً من الكتب المفيدة في مطبعتهِ · ولهُ من المؤلفات والمجموعات المخطوطة خطبة في خرابات سورية تلاها سنة ١٨٥٩ ومقتطف تاريخي من كتاب (روضة الاوائل والاواخر لابن الشحنة) وكتاب (الروضتين في اخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسي) · وديوان شعر كبير يجمع منظومهُ من بعد سنة ١٨٨٤ الى وفاتهِ · ومجموعة شعرية تاريخية كبيرة · ورواية النعمان وحنظلة التي نظمها المرحوم الشيخ خليل اليازجي بعنوان (المروءة والوفاء) وترجمها بالفرنسية ميشال بك مرسق · ولهُ خطب كثيرة القاها في المنتديات والحفلات · واهم مؤلفاتهِ التي لم تطبع تاريخ مصر الذي اقترحهُ عليهِ الخديوي سعيد باشا فانجزهُ سنة ١٨٦٤ بعد اربع سنوات من اقتراحهِ وحملهُ الى اسماعيل باشا الخديوي اذ ذاك فاجازهُ بألفي ليرة انكليزية ولم نعرف عنهُ شيئاً ولعلهُ في المكتبة الخديوية

السياسي

بدأت حياتهُ السياسية سنة ١٨٦٠ لما قدم سورية فؤاد باشا معتمداً سلطانياً فاتخذ المترجم من خاصتهِ فكان يعرّب الأوامر والمناشير ويترجم لهُ فولع بخدمة الدولة ومدح السلاطين والوزراء بقصائد شائقة وانهى لهُ فؤاد باشا بالوسام المجيدي فقال :

نعم لا استحق نوال فخرٍ ولكن قد اردتَ فقلت اهلا
لأني فيهِ اكتسب الترقي وأصبح للظهور لديك أهلا
فدم بالسعد للدنيا فؤاداً ولا زالت لك العليا محلاّ

وكثرت علاقاتهُ مع وزراء الدولة وعلمائها ومعظمهم كان يتولى احكام سورية وما يجاورها

من الولايات العثمانية ولهُ معهم مراسلات كثيرة وفيهم مدائح بليغة . ولما نظّمت ولاية سورية عهد اليهِ بادارة مطبعة الولاية وجريدتها الرسمية (سورية) بموجب ارادة سنية سلطانية لخبرتهِ الواسعة . ثم نصّب مفتشاً للمدارس غير الاسلامية في الولاية ومفتشاً فخريًّا لمكاتب لبنان بارادة سنية ايضاً وسنة ١٨٨٠ م صار مديراً للشؤُون الاجنبية في ولاية سورية وسنة ١٨٨٦ م ساح في فرنسا وانكلترا وتزوج بالسيدة ظافر نوفل التي كان عازماً على الاقتران بامها وعاد الى سورية

واشتهر بسياستهِ السورية العثمانية واعتمد عليهِ الولاة لسديد آرائهِ وواسع حنكتهِ وكان يعيَّن في اللجان التي تنظَّم للاحتفال باستقبال الملوك والامراء الذين يزورون سورية وآخرهم كان جلالة غليوم الثاني امبراطور المانيا . ولقد سعى باستحصال بعض الامتيازات للمجلات والجرائد العربية في سورية اخصها المقتطف والجنان وانتدبهُ الولاة لفض كثير من المشاكل ولاسيما في ولاية سورية ومتصرفية لبنان فقام باعباء ذلك احسن قيام ونال الرضى العالي حتى انعمت عليهِ دولتنا العلية بكثير من الاوسمة الرفيعة والرتب السامية منها الرتبة الاولى سنة ١٨٨٦ والمجيدي الثاني سنة ١٨٩٣ والعثماني الثاني سنة ١٩٠٠ ونال مثل ذلك من الدول الاوربية كوسام ايزابلا الكاثوليكية من اسبانيا وكوردون دي لابروس من بروسيا وشير خورشيد من ايران وفرنسوى جوزف من النمسا والمجر وكوردون دي ايطالي وموريتس لازار من ايطاليا وصوفور من اليونان والنسر الاحمر من المانيا وغيرها

ولهُ فوق كل ذلك عناية بلجان الخير فكان من مؤسسي الجمعية الخيرية الارثوذكسية في بيروت ورؤَسائها ومن مساعدي جمعية زهرة الآداب وغيرها ولهُ فيها آثار حسنة واياد بيضاء وهكذا صرف حياتهُ مشتغلاً بالسياسة والأدب الى ان اقعدهُ الهرم فاعتزل الخدمة في آخر ايامهِ وعاد الى بيتهِ في بيروت فدعتهُ المنون في ٢٦ اكتوبر (ت ١) من السنة الماضية (١٩٠٧) واحتفل بمأتمهِ احتفال شائق فأبّنهُ سيادة المطران جراسيموس مسرة الارثوذكسي والشيخ اسكندر العازار والياس افندي الحنيكاتي وخليل افندي زيدان

وكان طويل القامة قوي البنية معتدل العضل بين البدين والمزيل ابيض اللون اشهل العينين اسود الشعر حيويّ المزاج لطيف المخالطة لين العريكة حسن المحاضرة دقيق الاحساس رقيق الشواعر جمع الى الوجاهة والسياسة الأدب

عيسى اسكندر المعلوف

اصل المصريين الحاليين

ونسبتهم الى قدماء مصر

[خطبة القاها الموسيو ماسبيرو مدير مصلحة الآثار المصرية في نادي رمسيس مساء ١٩ نوفمبر سنة ١٩٠٨ وعربها توفيق افندي حنين ونشرتها جريدة مصر فنقلناها عنها بتصرُّف قليل]

ايها السادة

ان جميع الشعوب التي كان لها ماضٍ مجيد تهتم اهتمامًا دائمًا بامر اصلها . فهي تناجي نفسها قائلة "هل نحن السلالة الحقيقية لذلك الشعب العظيم الذي اشتهرت بهِ سابقًا البلاد التي نحن اليوم فيها ام جدَّ بيننا وبينهُ عنصر آخر نشأ عن الامتزاج البطيء غير المحسوس او عن الغزو والفتح بشكل اشد . ولم يهدأ احد تلك الشعوب عن الاهتمام بهذا الامر . ففي فرنسا وفي ايطاليا وفي اليونان تعرض هذه المسألة على بساط البحث بان يتساءل فرنسويو هذه الايام وايطاليوها ويونانيوها هل هم سلالة قدماء الغاليين والرومان واليونان

اما الجواب على هذا السؤَال فهو على الدوام " نعم نحن سلالتهم " وهو جواب تقضي بهِ العظمة الوطنية كما انهُ مطابق للصواب بوجه الاجمال

وقد عرضت المسألة نفسها على معرض البحث في مصر . واني اعتقد وجوب الاجابة عليها بنفس هذا الجواب . فان الشبه بين سكان القطر المصري واسلافهم بقي متسلسلاً حتى ايامنا هذه . على ان المصريين قد مرَّ عليهم في آلاف السنين التي قطعوها من طوارق الحدثان ما يجعل الذين اخلفوا الفراعنة الاول والذين حلوا محلهم هذه الايام محقين في التساؤُل هل كانوا من سلالتهم رأسًا او لا

وقبل الاجابة على سؤَال كهذا او للاجابة عليهِ على الاصح يلزم اولاً ان نتساءل عن ماهية العنصر المصري السابق . فهذه هي الطريقة الوحيدة التي نعرف بواسطتها هل هو يتفق مع عنصر هذه الايام

على ان الخطاء عام في تعريف مسألة العنصر او الجنس . اذ عند ما بدأ الالمام باصول الاجناس يتثبت في الاذهان في اوائل القرن التاسع عشر فهم " الجنس " بانهُ مجموع رجال من دم واحد يتكلمون لغة واحدة ويقطنون بلدًا واحدًا . ولكن الاشياء متى نظرت من جهة قريبة ظهر الاختلاف في منظرها . فانهُ من الممكن ان يوجد حتى اليوم بعض مجتمعات

من الناس تتكلم لغة واحدة وتقطن بلداً واحداً ويكون دمها واحداً حقيقة لم يمتزج بدم آخر على التقريب فاذا وجد شيء من هذا القبيل عد مستثنى . والمؤكد ان هذا الجنس المستقل (اي الذي لم يمتزج بجنس آخر) اما ان يكون موجوداً بحالة استثنائية او انهُ غير موجود اصلاً . اذ قد اصبح كل بلد بفعل الامتزاج والاتحاد بشعوب اخرى كبوتقة واسعة تذوب فيها العناصر المختلفة ويتحد بعضها ببعض بلا انقطاع . ومن هذا الاتحاد يتكون سكان ذلك البلد . فكل شعب يعدُّ اذن نتيجة الاختلاط المستمر الذي تتعين طبيعتهُ من طبيعة البلاد التي يقطنها ذلك الشعب

ومهما توغلنا في ماضي مصر — بغير تعليق اهمية على الزمن الذي يختلف فيهِ العلماء — فلسنا نصادف فيها عنصراً نقياً . بل نجد شعباً مكوناً من عناصر مختلفة لا يزال اكثرها مجهولاً لدينا

اننا اذا نظرنا الى الشعب المصري من الوجهة اللغوية وجدناه في مركز متوسط بين الشعوب الافريقية والشعوب السامية . واذا نظرنا اليهِ من الوجهة الادبية [1] ظهر لنا انهُ ينتسب على الاكثر الى العناصر الافريقية البيضاء ولكن مع بعض اختلاط بالعناصر الاسيوية

وهناك امر واحد تحققناه من بين الاصول الاولية المحاطة بالشكوك التي تكوَّن منها العنصر المصري . ذلك الامر هو ان الامتزاج كان دقيقاً جداً حتى انهُ يظهر لنا من اقدم الآثار عهداً وجود التماثل بين مصر في الازمنة البعيدة في القدم وبينها في الازمنة القريبة وقد كان تمدنها في تلك الازمنة افريقياً محضاً . فان العلامات الهيروغليفية التي هي اقدم شاهد على ذلك التمدن مأخوذة من اشكال الحيوانات والنباتات الافريقية الاّ بعض الرموز كالتي تشير الى الخيل مثلاً فانها ادخلت الى مصر على ممر الاجيال

وقد كان الشعب نفسهُ على مثل الاوصاف الجسدية والادبية التي نراها فيهِ اليوم . ففي ما يختص بالاوصاف الجسدية اذهبوا الى متحفكم [2] تجدوا في التماثيل والنقوش الاشكال التي انتم عليها اليوم نفسها. فانكم ترون اشخاصاً طوال القامة نحيفي الاجسام عليهم سمات النبل والشرف . ثم ترون بجانبهم عنصراً صغيراً ثقيلاً تظهر عليهِ قليلاً العلامات العامية . وفي كلتا الحالتين تتغلب علامات اللطف والبشاشة على اكثر الهيئات

وقد كان هذا الشعب يميل الى الجذل كشعب اليوم . فكثيراً ما صوّر الاشخاص بهذه التماثيل وهم يمزحون فيما بينهم ويضحكون كما يؤخذ ذلك من الفصول المضحكة التي تتخلل رسوم

(١) الطبائع والاخلاق (٢) متحف قصر النيل

حوادث الصيد والرقص ومعارك الفلاحين . ولم نرَ في تلك الرسوم اثراً للقسوة بخلاف ما نراهُ في رسوم الشعوب المعاصرة كالكلدانيين والاشوريين الذين لم يخشوا ان يعرضوا فوق تماثيلهم افظع المناظر الوحشية

ولم تكن علامات البشاشة والدعة في الدروج المكتوبة التي اتصلت بنا — من قوانين ادبية ومدنية — باقل مما هي في الصور والتماثيل اذ قد نصَّ فيها عن العلاقات بين الطبقات العليا والسفلى . ولم تخلُ كتابة منها من تعاليم الرأفة بالضعيف وحب العائلة وطاعة الوالدين وان هذه التعاليم والحكم موضوعة بروح البساطة في شكل يمثل رب عائلة لا يجعل القوة مصدر سلطتهِ بل يريد ان تكون تلك السلطة نتيجة طبيعية لحب متبادل . واحياناً لم تكن العائلة تراعي لربها خاطراً او مزاجاً

وقد اكتشفت درج عجيب من البردي وهو محفوظ الآن في متحف " ليد " (١) يظهر منهُ ان زوجة اخذت تقلق راحة زوجها بعد مماتها فشكا حالهُ بلطف قائلاً " لقد اعطيتك كل ما اردت من الخبز والفاكهة والمشروبات . وكنت افعل كل ما كنت تريدين . وانت الآن تعودين لتزعجيني بعد موتك "

وقد اغار على مصر كثيرون من الغزاة من اول عهدها . فقتحت المرة بعد المرة في القدم . واقدم اغارة عرفنا خبرها هي التي شنها الهيكسوس او " الملوك الرعاة " . فانتشر بهم في مصر عنصر جديد متبربر . واصبح زعماؤُهُ فراعنة حقيقيين وتزيّوا بزي الفراعنة السابقين وانشأوا لهم بلاطاً كبلاطهم

وبقي معظم الجيش الفاتح معسكراً في جهة منعزلة شرقي الدلتا الاّ ان قسماً منهُ تفرق في وادي النيل واقام فيهِ فاضيف بذلك الى العناصر الاصلية عنصر اسيوي جديد . اما ان ذلك العنصر هو " سوري " او " فينيقي " او " عربي " او " حثي " فذلك امر لا يهمنا بل يكفي ان نعرف الآن انهُ كان يختلف عن العنصر المصري القديم وانهُ لم يمضِ قرن على زوال حكم " الملوك الرعاة " حتى فني بامتزاجهِ ببقية السكان دون ان يلحق بهم تغييراً بوجه من الوجوه كما يظهر لنا ذلك من تماثيل " طيبة "

على انهُ كان يتهدد العنصر المصري خطر اشد من ذلك بكثير . فان عظماء الفاتحين من ملوك العائلة الثامنة عشرة والعائلة التاسعة عشرة جلبوا اليها في مدة اربعة قرون الوفاً من الاسرى رجالاً ونساء واسكنوا بعضهم في المدن حيث اتخذهم اهلها عبيداً واماء واقام بعضهم في

(١) وهي مدينة شهيرة في هولندة

المزارع ليفلح الارض . غير ان فريقاً منهم بقي في حالة الاسباط والعشائر كالعبرانيين مثلاً وانهُ بالرغم عما امتزجت بهِ العناصر الاصلية من الدم الاجنبي الذي كان يفد الى مصر بلا انقطاع من الحبشة او من آسيا فلسنا نرى تغييرًا محسوساً في صفات السكان العامة . فاذا فحصتم اللغة وجدتم انها اقتبست عن اولئك الاسرى بضعة الفاظ سامية وليبية او بربرية ولكن تلك الالفاظ ليست بذات اهمية تقتضي تغيير متن اللغة او قواعدها . اذهبوا الى المتحف تروا اشكال الناس في تماثيل ذلك العصر وفي تماثيل العصر السابق لهُ واحدة على الغالب

ولو اعتبرتم ان مصر كانت كجميع البلاد الفنية ذات مدارس لكل منها تقاليد محلية خاصة واغفلتم خصائص الافراد وازياءهم واسلحتهم وزينات رؤوسهم وتصورتم التماثيل عارية عن الكساء لوجدتم الرجل الذي تمثله تماثلاً بجملتهِ للرجل الذي تمثلهُ تماثيل عصر الاهرام فان العناصر الاجنبية اجتازت البلاد وامتزجت بعناصرها ولكنها لم تغير شكل سكانها

ثم عقب ذلك مجيء " الليبيين " الى مصر . وكيفية مجيئهم انهُ بالنسبة لرقة المصري وكرههِ للحرب — ولو انهُ يحارب بثبات جاش عند الضرورة — قد رأى الفراعنة ان يستعيضوا عن نقص الروح الحربية في المصريين بتجنيد رجال اسيويين او افريقيين بالاجرة . وكان " الليبيون " في ذاك الحين قبائل تتكلم بلغات بربرية وتقطن الواحات والبلاد الواقعة في الصحراء الغربية . فاسكنهم فراعنة العائلتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين في عواصم القطر . ثم ان كلاً من الاكابر وامراء الاقطاعيات الذين كانوا مقتسمين البلاد في ما بينهم في ذلك العهد جمع حولهُ من وجدهُ منهم في دائرة اقطاعيتهِ لكي يتولى الدفاع عنها من هجمات الامراء الآخرين

وتبع " الليبيين " " الاشوريون " والفرس فاليونان فالرومان

وقد بقي اليونان متسلطين على مصر وبقيت لغتهم لغة حكومتها الرسمية ما يقرب من تسعة قرون . ومع ذلك فانهُ حالما سقط النفوذ "البيزانطي" من مصر على يد عمرو بن العاص لم يكن الشعب المصري — ذلك الشعب الخالد يختلف في شيء عما كان عليهِ في زمن ملوكهِ الوطنيين الاقدمين

وبالاختصار لم يأتِ زمن الفتح العربي الا وكان الشعب المصري قد استوعب جميع العناصر الاجنبية التي جاءت بلادهُ على التتابع . وقد كان التأثير الذي انتجتهُ تلك العناصر على تركيبهِ من الوجهتين المادية والادبية ضعيفاً الى درجة لم يتغير معها شكلهُ اقل تغيير ظاهر على انهُ قد حدث حوادث ذات شأن كان يمكنها ان تغير المصريين تغييرًا كبيرًا .

ذلك ان الديانة الوثنية القديمة تلاشت وحلت محلها ديانة جديدة هي الديانة المسيحية . وليس في العالم شيء له سلطان على تغيير امزجة الشعب كلاشاة ديانة قديمة واحلال ديانة جديدة محلها · وعلى ذلك كان يظن ان طباع المصريين تتغير بعد ان يصيروا مسيحيين

ولكي نفهم من هم المصريون نقول : ان الصفات التي تقوّم شعباً من الشعوب ليست في الحقيقة الا صفات افراد قليلين جداً من افراده وهم الذين تضعهم معارفهم او ثروتهم او مزايا موروثة فيهم فوق غيرهم اما عامة الشعب فهي في الواقع ككتلة لا شكل ظاهر لها ولا صفات معينة تعرف عنها فهي تتشكل بشكل الاقلية وتتشخص بشخصيتها

فلو اعتنق عامة الشعب فقط الديانة المسيحية فقد كان يمكن الاشخاص الذين هدوه اليها ان يبدلوا اخلاقه وخاصياته الاولى بالاخلاق والخاصيات المسيحية الجديدة ولكنه تبع الطبقات الوثنية العالية · وتلك الطبقات بعد ان قاومت المسيحية زمناً اندفعت في تيارها · فاعتنقها ابناء قدماء الكهنة الوثنيين والمتعلمون وكبار الامراء اصحاب الاقطاعيات الا انهم احتفظوا بكثير من الروح المصرية القديمة

وقد قيل ان الكنيسة المسيحية الاولى كانت ترضع من ثديين هما " انطاكية " و " الاسكندرية " · فاما المصريون المتنصرون فقد مثّلوا دوراً يمكننا معرفته بمعرفة ما كانوا عليه قبل اعتناقهم الديانة المسيحية · وواضح ان المصريين كانوا في زمن عبادة الاوثان حاذقين متوقدي الذهن كثيري الاشتغال بالمباحث الروحية واللاهوتية · وقد بقيت معهم كل هذه المزايا الى ما بعد تنصرهم · ولست في حاجة لان اطيل الكلام عما ادخلوه من التغيرات الدقيقة في مبادىء " الجنوستيك "

ولو اردنا ان نذكر اعاظم اللاهوتيين المسيحيين الذين تعترف بمكانتهم الكنائس الشرقية والغربية فهل نجد اعظم ذكاء واكثر تعمقاً من " اكليمندس الاسكندري " و " اوريجانوس " والاباء الذين استطاعوا نشر قانون الايمان المعروف بقانون " اثناسيوس "

وقد عاد الى مصر مع الدين في ذاك الحين حركتها وصناعتها ونبغت في ذلك حيث لم تكن تستطيع ان تصرف شيئاً من قواها الى المسائل السياسية التي كان قياصرة مملكة الروم يحرّمون عليها البحث فيها

ثم نشأ في مصر جمهور من الكتّاب الاقباط · وكان اهم نوابغهم قسوساً ورهباناً نذكر من بينهم (باخوم) و (شنوده) و (ساويرس الاشموني) و (بسنتي) · ففي هؤلاء انفجرت روح الذكاء المصري القديم الذي كان معروفاً عن اجدادهم في الازمنة الفرعونية

وعند ما نفحص الصور والنقوش البارزة الموجودة على جدران الاديرة نرى في القديسين الشكل الذي نراه على مقابر (طيبة) او (ممفيس) ·

ولكن في هذا الحين وجد عامل جديد هو الفاتح العربي · فهل كان ذلك الفاتح قادرًا على هدم عمل الماضي وقطع التقاليد والحلقات الجنسية التي بقيت متصلة حتى مجيئهِ

ان الفتح العربي قد تم في كل انحاء العالم في قرن واحد تقريباً فانتشرت القبائل العربيَّة في أثنائهِ بين كل الشعوب في جهات اسيا وافريقيا ووصلت في اوربا حتى جبال البيرينيه[1] وبما ان الفتح قد اشغل العرب فقلما كانت تسمح لهم الفرصة بتنظم فتوحاتهم · حتى انهم في مبدإِ الامر عهدوا الى البلاد التي اخضعوها ان تحكم نفسها بنفسها · وقد علمنا من اوراق البردي اليونانية والعربيَّة التي اكتشفت ان العرب اقتفوا هنا وفي الامكنة الاخرى اثر مملكة (الروم) ووضع خلفاؤُهم انفسهم موضع الامبراطرة واتبعوا خطتهم وباشروا سلطتهم من كل الوجوه فكانوا يحكمون البلد بعدد قليل من القواد والجنود ولم يحاولوا استعمارهُ بسكان منهم · وقد كان عدد المهاجرين الاعراب قليلاً الاَّ في نقطتين او ثلاث جعلوها مقرًّا لهم كمصر والاسكندرية واصوان · وفي ما عدا هذه الاماكن لم يكن يوجد غير عدد قليل من الحاميات العربيَّة

وقد بقي المصريون قابضين على زمام الادارة وبقيت الاوراق الرسمية تكتب باللغة اليونانيَّة او القبطية . اما اللغة العربيَّة فلم تبلغ المكان الاول الاَّ ببطء شديد

ولم يكن كل ما اجراهُ العرب حتى ذلك الحين يكفي لتغيير العنصر المصري فضلاً عن انهم لم يعملوا في مبدأ دخولهم على دعوة المصريين الى الاسلام بل تركوا للمسيحيين اعظم نصيب في شؤُون الادارة · على ان هذا الامتياز الذي تمتع بهِ المسيحيون ربما كان احد الاسباب التي آلت بهم الخراب · فانهم اغتروا بما وجدوهُ بين ايديهم من السلطة واستهانوا بقوم سادوا عليهم فقاموا بثورات اقتضى قمعها معاملتهم باشد انواع القسوة

واني اعتقد ان الاسلام لم يدِن بهِ عدد يذكر من المصريين قبل زمن الخلفاء الفاطميين الذين صار الاضطهاد الديني من عهدهم مريعاً لا يطاق · ويمكن الحكم على قسوتهِ وفظاعتهِ من اخبار الشهداء التي وصلت الى ايامنا · وقد بقي الاقباط المسيحيون من ذلك الحين مهددين بالاضطهاد الدائم · وكانت تتناوب ايامهم فترة من السلام وفترة من المصائب المتكررة

على ان الحاكم المسلم لم يكن في استطاعته الاستغناء عن المسيحي الذي كان يدير لهُ

---

(١) وهي المتاخمة لحدود اسبانيا من الشمال وفرنسا من الجنوب

املاكهُ غير انهُ كان من الجهة الاخرى دائمًا يحسدهُ على ثروتهِ ولم يكن امام الاقباط غير طريق واحد لتحسين حالتهم وهو اعتناق الاسلام . ففعل بعضهم ذلك . ومع هذا فقد حافظت الاغلبية على دينها وقاومت مقاومة الابطال حتى انهُ عند دخول الاتراك في القرن السادس عشر كانت هي الاكثرية في الوجه القبلي . غير ان الاتراك كانوا اشد قسوة من المماليك فاتبعوا افظع الطرق لاخضاعها . وذلك انهُ نشبت ثورة من مسيحيي الوجه القبلي ما بين سنتي ١٥٣٠ و١٥٥٠ فقبض الاتراك على الثائرين وذبحوهم ولاشوا المدن المسيحية الواقعة في سهل " طيبة " اثناء تلك الفظائع

اما الذي جرى بعد ذلك فلم ندرِ عنهُ شيئًا لاننا لم نعثر على كتابات تتعلق بهِ . ولكن الامر المؤكد هو ان سكان الصعيد كانوا يتكلمون ويكتبون باللغة القبطية حتى السنين الاولى من القرن السادس عشر اي في بدء حكم الاتراك . ويؤخذ من بقايا المكاتب التي كانت في ذلك العصر ان العنصر القبطي كان قويًا عزيز الجانب في تلك الانحاء

لم يمر على ذلك غير قرن ونصف حتى قُدّم لاحد السياح من معاصري لويس الرابع عشر آخر قسيس قبطي يجيد التكلم باللغة القبطية وعجوز تنازعهُ ذلك الامتياز . ومن ذلك الحين اقتصرت اللغة القبطية على ان تكون لغة الطقوس الدينية

ومع استعمال الاقباط للغة العربيَّة فقد بقوا محافظين على دينهم غير ان كثيرًا منهم اكره على تركهِ في احوال نجهلها . والذي نعلمهُ فقط هو ان الاقباط الذين انضموا الى " علي بك " في ثورتهِ ضد الترك نالهم اضطهاد وبيل . وقد وصلوا الى احط الدرجات في آخر القرن الثامن عشر

وها نحن قد وصلنا الى القرن التاسع عشر ومن هذا البحث البسيط الذي انتهيت اليهِ ترون الجواب المطلوب على السؤَال الذي طرحتموهُ في مبدإِ الامر

ينقسم سكان القطر المصري اليوم دينيًا الى قسمين عظيمين . يتألف احدهما من الاقباط ومعظمهم ارثوذكس . ويتألف الاخر من المسلمين . فاما الاقباط فهم سكان البلاد الاقدمون الذين بقوا على ما كانوا عليهِ بلا تغيير . ولكن من هم المسلمون

ان اكثر المسلمين مسيحيون اصلاً اعتنقوا الاسلام . فهم اذًا مصريون ايضًا . ولكن هل بقي دمهم مصريًا نقيًا كالاقباط

ان القبطي لا يتزوج باكثر من زوجة واحدة وقلما يتزوج بالاجنبيات حتى في هذه السنوات الاخيرة فهو اذن قد بقي على ما كان عليهِ في اواخر العصر البيزانطي . اما المسلمون

فيتزوجون باكثر من زوجة واحدة . ثم ان جلب الرقيق قد ساعدهم من الجهة الاخرى على التزوج بكثير من النساء الاجنبيات أُتي بهن من الخارج فادخلن الى العائلة الاسلامية دماً جديداً . فعلى ذلك تكون نسبة الدم الاجنبي في المسلمين اكثر منها في الاقباط . ومع ذلك فقد بقي في شخص المسلم الشكل القديم الى درجة يصعب معها على الاجنبي ان يميز اليوم للنظرة الاولى فلاحاً مسلماً من فلاح قبطي

ففي هذا الدور ايضاً قد قامت مصر بعملها في تشكيل العناصر الاجنبية بشكلها وتطبيعها بطبعها فعلت بالمسلم ما فعلتهُ بالوثني في العصور الماضية وابقتهُ مصرياً

النتيجة

ان النتيجة بسيطة جداً وهي انهُ لا يوجد مصران واحدة مسلمة والاخرى قبطية . بل توجد مصر واحدة

وان مسألة مسلم وقبطي هي مسألة دينيَّة فقط . ونحن ايضاً لدينا في بلادنا وطنيون من اديان مختلفة ما بين بروتستان وكاثوليك ولكن جميعهم فرنساويون

وان قليلاً من التسامح وقليلاً من حسن الادارة من الجانبين يكفيان لان تدركوا ايها المسلمون والاقباط انكم شعب واحد

نشوء الاجرام السموية

لا مشاحة أن الذ بحث ترتاح اليهِ النفس واهم معرفة يتوق العقل الى الوصول اليها الوقوف على اسرار الكون وكيفيَّة نشوء الاجرام السموية اي كيف وجدت السيارات والاقمار وما علاقتها بالشمس . او ما هو ماضيها ومستقبلها ومصيرها وما هي العلاقة بين الاجرام على اختلاف انواعها من سُدام وقِتوان وثوابت

نعم ان الاجوبة على هذه الاسئلة من باب الظن او الترجيح وليست من باب الجزم والتأكيد لكن الطرق الموصلة الى ذلك تنطبق كل الانطباق على قواعد العلم الصحيح وتختلف عن غيرها من الابحاث العلمية في طول الازمنة المتعلقة بها حتى تُعدُّ بملايين السنين وعدم المقدرة على اجراء التجارب والامتحانات

ولم تكن مطامع الانسان لتقف بهِ عند حد ما وصل اليهِ الاقدمون من وضع القواعد والحسابات الرياضية التي تتوقف على قوانين الجاذبية لتعليل سير السيارات وغيرها مما هو

قريب الينا ومعرفة مواقعها في اي وقت كان واوقات عبورها على خط الهاجرة وغير ذلك مما هو مدون في الرزنامات (النتائج) التي تنشرها المراصد الكبيرة سنويًا · ولا خارت عزائمهُ ازاء الصعوبات على اختلاف انواعها بل شمَّر عن ساعد الجد ووالى البحث والتنقيب فبلغ درجةً لم يكن يحلم بها وهو لا يزال يطمح الى الوقوف على كل ما هو غامض وهذا الميل قد يفضي بهِ الى معرفة ما نحسبهُ الآن من باب المستحيل· وقبل الخوض في موضوعنا سأتلو على مسامعكم شيئاً من تقدُّم علم الفلك في مدة خمسين السنة الاخيرة

بعد ان وُضعت قواعد كبلر وعرفت نواميس الجاذبية وحُسّن التلسكوب حتى كاد يبلغ ما هو عليهِ الآن وتمكن الفلكيون من النظر الى الاجرام القريبة وقياس ابعاد القليل منها ظن العلماء قاطبة ان علم الفلك سيقف عند هذا الحد وجلُّ ما يمكن التقدُّم فيهِ قياس ابعاد ما بقي من الاجرام وتحسين التلسكوب قليلاً وكل ذلك ليس من الاهمية بمكان حتى ان الفيلسوف اغست كونت نصح في كتابهِ (Popular Astr.) المطبوع سنة ١٨٤٤ بترك هذه الابحاث اذ لا مطمع بالحصول على اكثر مما عُرف· ولكن بعد موتهِ بثلاث سنوات اكتشف التحليل السبكترسكوبي واستُخدم في علم الفلك وبواسطتهِ وفّق الفلكيون الى معرفة طبائع الشموس البعيدة التي يعبَّر عنها بالنجوم الثوابت والمواد التي تتركب منها واكتشاف عدد كبير من النجوم التي لم تكن ترى قبلاً وتعيين افلاكها ومعدل سيرها وجرمها

لا يخفى انهُ اذا مرَّ شعاعٌ من النور في موشور زجاجي انحلَّ الى الالوان السبعة التي يتألف منها وحصل الطيف الشمسي وسببهُ اختلاف طول التموجات التي يتكون منها كل لون واختلاف معدل سرعتها · وعليهِ اذا وجدت الالوان السبعة في مصدر النور فانها تظهر في طيفهِ متتابعة بدون انقطاع حسب ترتيبها ولكن اذا فقدت احدى تموجاتهِ اوعاقها عائق عن الوصول الى الراصد فاماكنها الخاصة بها تبقى فارغة ويرى عوضاً عنها خطوط سود· ويتبع الطيف اشعة لا ترى كنور ولكن يشعر بها كحرارة قبل اللون الاحمر وتؤثر فوتوغرافيًا (اي كيماويًا) بعد البنفسجي · اما النتائج التي توصَّل اليها العلماء فهي كما يأتي :—

(١) ان طيف كل جسم حامٍ الى درجة الانارة جامدًا كان او سائلاً او غازًا مضغوطاً ضغطاً عظيماً يكون متصلاً لا متقطعاً اما طيف الاجسام الغازية تحت الضغط الاعتيادي فمتقطع اي مؤلف من خطوط لامعة· ولكل عنصر من العناصر البسيطة خطوط تختص بهِ وتميّزهُ عن غيرهِ يختلف عددها باختلاف العناصر وهي كثيرة في البعض وقليلة في البعض الآخر فللحديد مثلاً اكثر من الفي خط بين ان الرصاص والبوتاسيوم لكل منهما

خط واحد فقط وهكذا يسهل تعيين العناصر بواسطة الخطوط التي تختص بها. وتعليل هذا الاختصاص ان دقائق كل عنصر تتركب تركيباً يختلف عن تركيب دقائق غيره فعند ما يكون العنصر غازاً حامياً الى درجة الانارة وتحت الضغط الاعتيادي تتحرك دقائقهُ بطريقة غريبة خاصة بهِ وتحدث طيفاً معلوماً يختلف عن طيف ما سواهُ اما اذا ضغط فتتلازز دقائقهُ وتتموج وتسبب طيفاً مستمرًّا

(٢) النور ذو الطيف المتصل اذا مرَّ في غاز فالغاز يمتص منهُ الاشعة التي تصدر من ذلك الغاز لو كان مشتعلاً . فالطيف الذي توجد فيهِ خطوط سود يدل على انهُ مرَّ في جوّ من الغاز وتعرف بهِ العناصر التي يتألف منها ذلك الغاز

(٣) التغيرات في الضغط والحرارة التي تطرأ على العناصر تسبب تغيرًا في حالة الطيف ولقد دُرست طبائع هذه التغيرات درساً مدققاً في المعامل الكيماوية الطبيعيَّة ومن نتائجها يمكن الاستدلال على حالة الجسم الصادر عنهُ النور

(٤) اذا كان الجسم المنير متحركاً الى جهة الراصد او مقترباً اليهِ فالخطوط تنتقل الى جهة اللون الازرق اما اذا كان مبتعدًا عنهُ فتنتقل الى جهة اللون الاحمر وهذا يطابق قوانين تموج النور والصوت وسببهُ ان الجسم المنير يبعث في حالتهِ الطبيعية تموجات ذات طول معلوم فاذا كان الجسم مقترباً الينا فتموجاتهُ تتتابع باكثر سرعة وتنتقل الى جهة النور الذي تكون تموجاتهُ اقصر من غيرها اي الى الازرق والعكس بالعكس وهذا ما يعرف بمبادىء دوپلر واضعها ولكي يسهل فهم ذلك اضرب الامثلة الآتية :

اذا وقفنا قرب شاطىء البحر وكان النسيم يهب الى الجهة التي نحن واقفون فيها وكان احد المراكب راسياً على بعد ميل او ميلين منا نرى المياه تتموج فاذا عددنا خمساً منها في الدقيقة ثم ركبنا قارباً ومخرنا الى جهة المركب فاننا نلتقي بامواج اكثر وقد يبلغ عددها ثمانياً في الدقيقة

والذي يشاهد قطار السكة الحديدية آتياً نحوهُ يعلم ان نغمة صفير القاطرة تشتد وترتفع كثيرًا كلما قرب اليهِ ولكنها تنخفض كلما بعد عنهُ وما سبب ذلك سوى سرعة تتابع التموجات وابطائها

من منافع السپكتروسكوب قياس معدل السير في خط النظر بواسطة مبادىء دوپلر فلقد كانت قضية تركيب حلقات زحل فيما مضى شغلاً شاغلاً للفلكيين حتى قام كلارك مكسول وبرهن بطريقة رياضية انها مؤلفة من عدد لا يحصى من الاجرام الصغيرة التي تدور حول السيار في افلاكها الخاصة . اما برهانهُ فكان مقبولاً كرأي كافٍ لتعليل ظواهرها

لا لاثبات حقيقتها ولكن منذ عشر سنوات أُثبت برهانهُ لان الاستاذ كيلر الاميركاني وُفق الى اخذ صورة فوتوغرافية يظهر فيها جليًّا ان الحلقات تقترب الينا من الجهة الواحدة وتبتعد عنا من الاخرى اي انها تدور حول السيار وكذلك ظهر ان الاجزاء الداخلية تتحرك بسرعة اكثر من الاجزاء الخارجية وسرعتها تنطبق على النتائج الحسابية التي استخرجها مكسول وبذلك فسد زعم الذين ادعوا ان الحلقات جسم واحد صلب فلو كان ذلك صحيحاً لوجب ان تكون سرعة الاجزاء الخارجية اعظم من سرعة الاجزاء الداخلية حسب القوانين الطبيعيةّ. والامتحانات التي اجريت في قياس معدل السير في خط النظر بالغة درجة عظيمة من الدقة والاتقان ويظهر ذلك من مقابلتها بالحسابات الرياضيةّ كما في سير الزهرة اذ ان معدل سيرها حسب القوانين الرياضية ثمانية اميال وربع في الثانية وحسب مبادىء السپكتروسكوب ثمانية اميال فيكون معدل الفرق ربع ميل لا غير

ذكرت سابقاً انهُ بواسطة السپكتروسكوب اكتشف عدد كبير من النجوم التي لا ترى ولا باعظم النظارات اما لبعدها الشاسع وضعف نورها او لكونها مظلمة . وعُينت افلاكها ومعدل سيرها وجرمها وعرف سبب تغير بعض النجوم وهي التي يختلف مقدار نورها من قدَر الى قدَر في اوقات معينة قصيرة كانت او طويلة

فان النجوم المزدوجة على انواع مختلفة فمنها ما يتكون من نجمين يظهران للعين المجردة كنجم واحد ولكن بواسطة التلسكوب يميز الواحد من الاخر ومنها ما لا يتميز اما لقرب النجمين واما لكون احدهما مظلماً . والقسم الاكبر من النجوم المتغيرة من النوع الاخير ولكن قبل ان استخدم السپكتروسكوب لم يكن ذلك معروفاً لعدم المقدرة على رؤية النجم المظلم ولم يكن ثمت من وسائط للشعور بوجودهِ فالنجم المسمى بالغول عرف انهُ من النجوم المتغيرة منذ زمن قديم ومعدل نورهِ من القدر الثاني وفي مدة معينة (المدة يومان وعشرون ساعة وتسع واربعون دقيقة) يفقد خمسة اسداس نورهِ في مدة اربع ساعات ونصف ويبقى نورهُ ضعيفاً مدة عشرين دقيقة ثم يعود الى حالتهِ الاولى في مدة ثلاث ساعات ونصف

فتكرار هذا الامر في مدة معينة وكيفية انحراف نورهِ يدلان على حدوث خسوف جزئي بتوسط نجم آخر قريب منهُ والاثنان يدوران معاً حول مركز ثقليهما وسطح فلكيهما اما في خط النظر او قريب منهُ . وهذا الراي قُدم في اواخر القرن الثامن عشر واثبت بعد مضي مئة سنة بعد ان كان نُقض خطاء لخلل في آلة السپكتروسكوب التي كانت تستعمل في ذلك الوقت. وكيفية اثباتهِ انهُ وجد قبل ابتداء الخسوف ان خطوط الطيف تتراجع الى

الوراء اي الى جهة اللون الاحمر وعند انتهائهِ وبعدهُ تتقدم الى جهة اللون البنفسجي اي ان النجم كان يبتعد عنا قبل الخسوف ويقترب الينا بعد انتهائهِ وهو يطابق كل المطابقة ما يحدث لو كان النجم وتابعهُ يدوران معاً حول مركز الثقل الذي يقع بينهما . وبمبادئ دوبلر عرفوا معدل سير كلٍ منهما وطول قطرهِ وحجمهُ وكثافتهُ

واهم منافع السپكتروسكوب لكلامنا معرفة درجة حرارة النجوم والعناصر التي تتركب منها وطبائعها والحالة التي توجد فيها . فقد عرف ان حرارة النجوم ليست متساوية بل تختلف كثيرًا فبعضها غازٌ حامٍ جدًّا وبعضها اخذت اجزاؤُهُ بالتحوُّل الى سائل كحالة شمسنا التي قسمها المسمَّى بالفوتوسفير غيوم حصلت من تحول غازات بعض المعادن الى نقط صغيرة سائلة عائمة في جو الغازات الأُخر كما يتحول البخار المائي الى غيوم تعوم في جو الكرة الارضية وان السدام مكونة من غازات حامية جدًّا وليست اجسامًا جامدة ولا قنوانًا كما كان يظن سابقًا وترى بالتلسكوب كغيوم منتشرة في الفضاء على اشكال مختلفة . ومن وسائط البحث المستعملة الآن آلتا التصوير الفوتوغرافي بواسطة التلسكوب وبواسطة السپكتروسكوب وهذا الفن قد اتقن الى درجة سامية حتى انهُ يمكن تعريض الزجاجة مدة اربع ساعات واكثر دون ان تتشوه او ترسم الاشباح غير واضحة وبهذه الطريقة وجدوا القسم الاكبر من النجوم المعروفة الآن التي لا ترى بالعين لان نورها ضعيف جدًّا لا يؤثر في عصب البصر

اما كيف تكونت الاجرام السموية فالحكم فيهِ من باب الظن والترجيح واشهر آراء العلماء في ذلك رأْي لاپلاس الشهير وهو انَّ كل الاجرام السموية نشأَت من السدام التي كانت مالئة الفضاء فلو فرضنا ان سديمًا جواهرهُ متفرقة منتشرة في الفضاء شاغلة حيزًا كبيرًا اخذت حرارتهُ تقل بالاشعاع حسب النواميس الطبيعيَّة فتتحرك جواهرهُ وتتقارب بالجذب وتسير في خطوط منحنية لوجود مادة السدام التي تعيقها في سيرها ويبقى الامر على هذا الحال الى ان تقل الحرارة الى درجة معلومة فتتحد الجواهر وتتكون الدقائق وعندئذٍ ترتفع الحرارة الى درجة عظيمة ولكنها تفقد حالاً بالاشعاع ثم تتقارب الدقائق وتكوّن قطعًا او كتلاً تدور في وسط من الغاز واذ ذاك يكون السديم في ابسط الحالات التي نراهُ فيها ذا شكل غير قيامي ولكن بعد ان تتحد كل دقائقهِ او القسم الاكبر منها يدور كلهُ في طريقة لولبية وهكذا ينتقل من طور الى طور الى ان يصير كرةً غازية تدور على محورها كالشمس

اما كيفيَّة تطبيق هذا الرأي على النظام الشمسي فكما يأْتي : كانت الشمس وسياراتها اصلاً غازًا محميًّا الى درجة الانارة ممتدًّا الى ابعد ما يصل اليهِ نپتون ولربما اكثر من ذلك

بكثير وكان شكله كرويًا بسبب قوة الجذب وقوة الدفع وعندما ابتدأت الحرارة تقل بالاشعاع بردت اجزاؤه وتقلصت وجعلت تدور بسرعة اعظم من سرعتها السابقة طبقًا لقوانين الميكانيكيات ولكن هذه السرعة تزيد قوة الدفع ايضًا واخيرًا اتى وقت تساوت فيهِ قوة الجذب وقوة الدفع على الاقسام الخارجية من المحيط الاستوائي فاصبحت عندئذٍ قائمة بنفسها لا تميل الى السديم ولا تميل عنهُ. اما بقية الاجزاء التي لم تتساوَ فيها القوتان فبقيت تتقلص وتبتعد طالبة مركزها وهكذا انفصلت حلقة من محيط السديم الاستوائي وبقيت في مكانها دائرة في الجهة التي كانت تدور فيها قبل الانفصال ثم انفصلت حلقة بعد اخرى الى ان انفصل تسع حلقات . ثم ان اجزاء كل حلقة تختلف كثافة فالاكثف تلززت دقائقها وتكثفت اولاً وجذبت اليها الاقسام الخفيفة واخيرًا تكوّن عوضًا عن الحلقة جسم اكثف مما سواهُ يحيط بهِ غاز حامٍ الى درجة الانارة وهكذا تكوّن السيار ثم طرأ عليهِ ما طرأ على السديم الاصلي من انفصال حلقة او حلقات حسب مقتضى الحال دارت حولهُ وهذه الحلقات بردت وتقلصت فصارت اقمارًا . هذا اذا كانت اقسام الحلقة تختلف كثافة اما اذا كانت اجزاؤها متساوية في الكثافة فتتقلص كلها سوية في نفس الوقت وحينئذٍ اما انها تبقى على حالها ثابتة وتتغير تغيرًا بطيئًا جدًّا كحلقات زحل او تتكسر الى قطع صغيرة كثيرة العدد كما يظن انهُ حدث للحلقة التي بين المريخ والمشتري • وما بقي من السديم الاصلي ما زال يتقلص حتى صار شمسًا وهو شمسنا يحيط بهِ السيارات المعروفة بدل الحلقات ويحيط بالسيارات الاقمار. ثم ان المواد التي بقيت من فضلات السيارات والاقمار لا تزال تدور حول الشمس وتسبب ظهور النور البرجي الذي يرى بعد غروب الشمس في ايام الربيع وقبل شروقها في ايام الخريف

وبهذا الرأي يعلل ما يشاهد ويعرف من العلاقات الشديدة والارتباطات المحكمة بين اعضاء النظام الشمسي التي لا يمكن ان تكون قد وُجدت بطريق الاتفاق او الصدفة اما العلاقات والظواهر فهي :

اولاً افلاك السيارات كلها تقريبًا مستديرة وفي سطح واحد ما عدا بعض السيارات الصغيرة بين المشتري والمريخ

ثانيًا كلها بدون استثناء تتحرك في جهة واحدة

ثالثًا ابعادها على نسبة واحدة ما عدا نبتون

رابعًا السطح الذي يدور فيهِ السيار على محورهِ (الدورة اليومية) ينطبق على فلكهِ (ربما يستثني من ذلك اورانس)

خامساً السيار يدور دورتهُ اليومية اي على محورهِ في الجهة التي يدور فيها دورتهُ السنوية اي من الغرب الى الشرق (ربما يستثنى اورانوس ونبتون)

سادساً التوابع والاقمار تدور في الجهة التي تدور فيها السيارات · وافلاككها تنطبق على سطوح دوران السيارات اليومي

سابعاً السيارات الاكبر حجماً اسرع من غيرها في دورانها

ثامناً معدل كثافة السيارات يزداد كلما اقتربت من الشمس وبعدت عن زحل الذي هو اخفها

تاسعاً لقد ثبت بالامتحان والتجربة ان اكثر العناصر الارضية موجود في الاجرام السموية والنيازك والمذنبات فالقسم الخارجي من الشمس يتضمن ثلاثة وعشرين عنصراً اكثرها معدنية كالحديد والنكل وما شابهها

نعم انهُ يمكن تعليل كل العلاقات التي بين اجزاء النظام الشمسي بالرأي السديمي ويوجد ادلة كافية على ان درجة حرارة السيارات وتوابعها كانت فيما مضى اكثر مما هي الآن وارضنا وقمرها اكبر شاهد على ذلك فما جوها الأ غاز معدنين باقيين على حالتهما القديمة وما من سبيل اخر لتعليل البراكين والغيامر وارتفاع الحرارة بازدياد التعمق في جوف الارض الأ بفرض انها كانت فيما سبق ذائبة لعظم الحرارة · ومما يثبت صحة الرأي السديمي راي حرارة الشمس بتقلصها فقد اختلفت آراء العلماء سابقاً في اصل هذه الحرارة ومصدرها وعن اي شيء هي مسببة · فذهب فريق الى انها ناتجة عن اشتعال بعض المواد القابلة الالتهاب لكن فاتهم ان اصلح مواد الالتهاب لا يمكن بقاؤها اكثر من خمسة الاف سنة وذلك يناقض ما ثبت بالعلم من ان الشمس وجدت منذ ملايين من السنين · وذهب غيرهم الى انها مسببة عن اشتعال المواد التي تسقط على سطحها من النيازك والشهب والكمية الساقطة سنوياً يجب ان يكون مجموعها يساوي حجم القمر ولكن لا دليل على سقوط كمية كهذه لعدم وجودها بكثرة في نظامنا ولو سلمنا بسقوطها لوجب ان يسقط على ارضنا كمية كافية ان تحرقها وتقتل كل ذي حياة وتجعلها قاعاً صفصفاً وخراباً بلقعاً ويُعلم من الاحصاءات التي اخذت في اوقات سقوط النيازك بكثرة ان الحرارة الجويَّة بقيت على ما كانت عليهِ من غير ان تتأثر

والرأي الاخير المعول عليهِ الآن يتوقف على المبادىء الطبيعيَّة الراهنة وهو انهُ اذا تحرك جسم او اصطدم بجسم آخر فقوة سرعتهِ تُحول الى حرارة وبما ان الشمس حامية جداً وهي تشع حرارتها الى الفضاء فلا بد اذاً ان يتقلص حجمها وذلك يعني ان دقائقها واجزاءها

تتحرك طالبة المركز فتصطدم بغيرها وتتحول قوة سرعتها الى حرارة اعظم من الحرارة التي فقدتها بالاشعاع وقد وجدوا بالطرق الرياضية الميكانيكية معدل طول المسافة التي تتحرك فيها الدقائق لاحداث هذه الحرارة وبعبارة اخرى قصر قطر الشمس مئتا قدم في السنة او اربعة اميال كل مئة سنة وبهذا الواسطة استخرجوا عمر الشمس او الوقت الذي ابتدأ فيهِ التقلص حين كان جوها ممتدًا الى ابعد ما يصل اليهِ النظام الشمسي الى ان بلغ حجمهُ الحالي فبلغ ثمانية عشر مليونًا من السنين ويقدرون انهُ يقتضي مضي خمسة ملايين من السنين لمجيء الوقت الذي تقل فيهِ الحرارة الناتجة من الاحتكاك عما يفقد بالاشعاع فتبرد الشمس وتصير جسمًا جامدًا كالارض

هذه اشهر الآراء التي يعلل بها مصدر حرارة الشمس ولكن بقي امر آخر يجب ذكرهُ وهو ربما ان تكون هذه الحرارة ناتجة عن ظواهر كهربائية . اما وجود الظواهر الكهربائية في الشمس فلا شك فيهِ لكن طبائع الكهربائية ونواميسها ليست معروفة عند العلماء ولذلك لاذكر لها في آرائهم . منذ زمن قصير برهن الاستاذ رمسي ان الهاليوم ناتج عن (انحلال) الراديوم فاذا ثبت ان ذلك هو الطريقة الوحيدة لوجوده وكيانهِ وجب ان يكون في الشمس كمية وافرة من الراديوم لوجود الهاليوم بكثرة في جوها وعندئذٍ يكون ذلك السبب كافيًا لتعليل مصدر حرارتها . وهناك امر آخر يثبت الرأي السديمي وهو ان كل سيار يدور في فلكهِ حول الشمس في وقت يعدل الوقت الذي كانت حلقتهُ تدور فيهِ حول مادة السديم الاصلي اي ان الشمس كانت تدور على محورها حينما كانت اجزاؤُها ممتدة الى فلك ذلك السيار في نفس الوقت الذي يدور فيهِ الآن ذلك السيار حولها وبناءً على ذلك حسبوا كم يقتضي من الوقت لدوران جرم الشمس على محورهِ لو امتد جوُّها الى فلك كل سيار على حدة فوجدوا ان الاوقات المستخرجة تكاد تنطبق على الاوقات التي تدور فيها السيارات وما يقال عن الشمس ينطبق على كل من السيارات بالنسبة الى اقمارها

وقبل ان اختم الكلام عن الرأي السديمي اقول انهُ توجد صعوبات كثيرة في اقامة البرهان على بعض موادهِ واهمها العجز عن تعليل كيفيَّة تحول الحلقة الغازية (هذا اذا امكن ان يتكون حلقة في مثل تلك الاحوال) الى جسم كروي يتبعهُ تابع كروي او اكثر وقد جرَّب فريق كبير من العلماء اثبات قضية لابلاس بالطرق الرياضية ولكن لم يتوصل احد الى ذلك

ومنها الاعتراض على الفرض الاول اي على القول بان مادة السديم كانت غازًا حاميًا

الى درجة الانارة فان غازًا كهذا تكون قوة التماسك والجذب بين دقائقهِ ضعيفة جدًّا وعليهِ يجب انفصال قطع منهُ لا حلقات

الرأي الثاني الرأي النيزكي وهو ان الاجرام السموية تكونت من دقائق صغيرة جامدة مالئة الفضاء طبائعها وكيفيَّة تركيبها كطبائع الاجسام التي تتركب منها النيازك او الشهب التي تسقط الى ارضنا من وقت الى آخر ومن المؤكد ان هذه الاجسام توجد بكثرة في الفضاء ومنها تتركب حلقات زحل ويظن ان الاكليل الذي يرى حول الشمس والنور البرجي واذناب المذنبات ليست الاَّ اجسامًا نيزكية صغيرة جدًّا او مكروسكوبية مدفوعة بقوة الدفع الكهربائي الصادر عن الشمس. اما خلاصة تكوُّن النظام الشمسي بحسب هذا الرأي فكما يأتي :-

ان الحيز الذي يشغلهُ هذا النظام او ما هو اكبر منهُ كان مملوءًا بالاجسام النيزكية من كل انواع المادة التي تتألف منها الارض والشمس والنجوم وهذه المادة كانت متفرقة بدون انتظام لكنها متحركة طبقًا لناموس الجاذبيَّة الذي يتطلب ان تكون كل الاجسام متحركة الى مركز خاص او دائرة حولهُ. وحيث تكون الاجسام اكثر تجمعًا يكون مركز الجاذبية وبواسطة الجذب يكثر التجمع . واصطدام المواد واحتكاكها يسببان ظهور الحرارة وحيث ان المواد كانت كثيرة كما هو المفروض في كل الآراء فلا يمضي وقت طويل الاَّ وتتكوَّن الشمس . والحرارة المسببة عن الاحتكاك والاصطدام تبلغ درجة عظيمة جدًّا فتذيب كل الاجسام وتحولها الى غاز

وفي اثناء هذه المدة يتكون مراكز ثانوية تجذب اليها المواد التي تكون سائرة تحت جذب المادة المركزية الكبرى اي الشمس ولوجود هذه العلاقة تدور الاجسام التي تكوّن المراكز الثانويَّة حول الشمس وهي السيارات ويبرهنون بقواعد الممكنات ان اكبر مركز ثانوي تجتمع فيهِ المواد الخارجية واوَّلها في التكون يكون بعيدًا عن الشمس ولكن غيرهُ من المراكز يكون صغيرًا وبالاخص الذي بينهُ وبين الشمس وعلى هذا المبدإ يكون المشتري اول السيارات التي تكونت ثم زحل واورانوس ونبتون اما السيارات التي بين المشتري والشمس فيصغر حجمها كلما اقتربت الى الشمس لان جاذبية الشمس تتغلب على جاذبيتها . وقد برهن الاستاذ جورج داروين نجل داروين الشهير بطريقة رياضية ان الاجسام النيزكيَّة اذا وجدت في حيز النظام الشمسي وكانت تسير او تدور في جهات مختلفة فبعد مضي وقت طويل تصبح في حالة كحالة السديم التي فرضها لابلاس ولهذا السبب يعتقد الفلكيون ان الرأيين متفقان

منصور جرداق

الخطابة

ان اعادة الدستور الى الممالك العثمانية وتأليف مجلس النواب فيها قد حرَّرا لسان الخطيب ومهَّدا السبيل لفن الخطابة فرأينا ان نجمع بعض قواعد هذا الفن وهي من كتيب للمستر ابورث طمسن

(القسم الاول في الامور العقلية)

﴿ امتلك ناصية موضوعك ﴾

اي تعرَّف الموضوع جيدًا بالبحث فيهِ والقراءة عنهُ . فابحث عنهُ في افضل الكتب التي تتكلم فيهِ واكتب خلاصة ما تراهُ فيها عنهُ وتفهمْها جيدًا حتى تصير كأنها من بعض معلوماتك فانهُ لا يليق بالخطيب ان يخاطب جمهورًا في موضوع لا يعلمهُ حق العلم لئلاً يكون محتقرًا لسامعيهِ

﴿ ذاكر فيهِ غيرك ﴾

المذاكرة من افضل الاساليب لترسيخ المعاني واستجلاء الغوامض . كان من عادة جون بريط الخطيب الانكليزي المشهور ان يذاكر اصدقاءهُ في كل موضوع ينوي الخطابة فيهِ ليرى تأثير كلامهِ وادلتهِ فيهم قبل الوقوف على منبر الخطابة

﴿ اكتب رؤُوس الاقلام ﴾

اي اكتب الامور الرئيسيَّة التي يدور عليها كلامك كمن يكتب فهرس كتاب لكي ترشدك للكلام ارشادًا ولكن لا تلتفت اليها وقت الخطابة ولا تمسكها بيدك

﴿ اختصر جدًا في كتابة رؤُوس الاقلام ﴾

قال احد الخطباء المشهورين اكتب رؤُوس الموضوع واشر الى الامثلة التي تريد ان تذكرها ولا تنساها واعدَّ جملتين او ثلاثًا لفاتحة الخطبة وجملاً قليلةً لخاتمتها واستظهرها جيدًا . واجتهد لتتذكر المعاني اما الالفاظ فتأتيك من نفسها عفوًا

وقال سبرجن الواعظ المشهور إني كنت اكتب رؤُوس الاقلام على ظهر ظرف من ظروف المكاتيب اما الآن وقد ضعف بصري حتى لا ارى الكتابة الدقيقة فصرت اكتبها على صفحة اكبر من الكف قليلاً وحبذا لو عوَّدت نفسي على عدم الكتابة مطلقًا لان الذاكرة تودُّ ان يُعتمد عليها . والذي يعتمد على ذاكرتهِ يجد انها تلبيهِ سريعًا

❖ اذا كتبت خطبتك فلا تأخذها معك الى منبر الخطابة ❖

يقف بعض الخطباء وفي يدهم ورقة او كرَّاسة ينظرون اليها من وقت الى آخر فلا يكون لكلامهم اقل وقع في النفوس. فاذا كنت لا تستطيع ان تتكلم من غير ان تنظر الى اوراقك من وقت الى آخر فاقرأها قراءةً فذلك خير من تلاوة بعضها غيباً وقراءة بعضها خلسةً . وما من تحيُّل يخفى امرهُ عليهم وهم ينظرون اليهِ بعين الازدراء

والاوراق في يد الخطيب وامامهُ قيد لهُ يعيق جريان افكارهِ ويفقدهُ الثقة بنفسهِ وكثيرًا ما يمسك الخطيب ورقة في يدهِ وهو يحسب انها تساعدهُ على تذكُّر ما يريد ان يقولهُ فيجدها آفةً عليهِ تنسيهِ ما كان يتذكرهُ فيدعكها بيدهِ ويضعها في جيبهِ ليتخلص منها

❖ اكثِرْ من الامثلة الصالحة لايضاح ما تريد ❖

ونريد بالامثلة القصص والنوادر والتشابيه التي يؤيد مغزاها ما تريد اثباتهُ وقد شبَّهها بعضهم بالكوى التي يدخل منها النور . ويحسن بمن تطلَّب منهُ الخطابة ان يجمع كتاباً من الامثلة والنوادر فيرجع اليهِ كلما اراد ايضاح امر يمكن ايضاحهُ بمثَلٍ او بنادرة . قيل ان دانيال وبستر الخطيب الاميركي الشهير ذكر في احدى خطبهِ نادرة جاءت طبق المراد فقيل لهُ من اين اتيت بهذه النادرة فقال لقد خزنتها في ذاكرتي منذ اربع عشرة سنة ولم تسنح لي فرصة استعملها فيها الاَّ الآن

وقال الاستاذ بلاكي الفيلسوف الانكليزي " ان عقل الانسان يرتاح الى الاشباهِ والنظائر فيحسن بالخطيب ان يستفيد من ذلك ويذكر لسامعيهِ ما يرتاحون اليهِ ويجعلهُ مرقاةً الى ما يريد ايضاحهُ وفكاهةً في ما يثقل سمعهُ بدونهِ وجامعًا لافكار سامعيهِ اذا خيف من شرورها ". ولكن عليك ان تتجنَّب المبتذل من الامثلة والنوادر لانهُ كالثوب الخلق الذي زالت ديباجتهُ

❖ واظب على ما انت فيهِ ❖

لا نجاح الاَّ بالمواظبة فقد تقوم للخطابة فلا تفلح وتشعر من نفسك كأنك ثقَّلت على سامعيك فسئموا وملُّوا لكن ذلك ينبغي ان لا يصرفك عن الخطابة فان البعض من اشهر الخطباء لم يحسنوا في اول امرهم ثم واظبوا فافلحوا

قيل عن تشارلس فوكس الوزير الانكليزي والخطيب المفلق انهُ شرط على نفسهِ ان يتكلَّم كل ليلة في مجلس النواب سواءٌ اجاد او لم يجد فتكلم كل ليلة الاَّ ليلة واحدة مدة خمسة فصول متوالية واسف لانهُ امتنع عن الكلام تلك الليلة. ومن اقوالهِ المأثورة انهُ ما من

احد يستطيعُ ان يمتلك ناصية الخطابة في كهولتهِ الاَّ اذا مارسها زماناً طويلاً في شبابهِ غير هيَّاب ولا وَجل

والخلاصة انهُ ينبغي للخطيب ان يعلم موضوعهُ جيداً ويملأ عقلهُ بهِ ويمارس الخطابة الى ان يبرع فيها · وما احسن ما قالهُ المستر بت الوزير الانكليزي للورد مورنجتون وهو انك لم تفلح في الخطابة لانك تهتم بانتقاء الالفاظ فتضيع منك المعاني فاذا كانت المعاني في ذهنك فالالفاظ تأتيك عفواً · فاعتبر لورد مورنجتون بكلام المستر بت وصار من افصح خطباء الانكليز

(القسم الثاني في الامور الجسدية)

❖ الصوت الجهوري الجلي ❖

لا شيءَ اهم لحفظ الصحة من الرياضة الجسديَّة في الهواء النقي · والصوت الجهوري الجلي لا يكون في الجسم النحيف السقيم ويستحيل ان يقوى الصوت ويجهر ويؤثر في السامعين ما لم يكن الجسم سليماً قويّاً ولذلك يجب على الخطباء ان يبذلوا جهدهم في ترويض اجسامهم وتقويتها · ولقوة الجسم شأن كبير في قوة الصوت وتمكُّن آلاتهِ من العمل الطويل المتعب ولذلك تجد الخطباء الاقوياء الابدان يخطبون ساعة بعد ساعة بصوت جهوري من غير تعب وغيرهم لا يستطيع ان يخطب نصف ساعة ما لم ينهكهُ التعبُ و يبحّ صوتهُ

❖ جهر الصوت ❖

يصير الصوت جهوريّاً بالتمرُّن على تلاوة الفصول المختصرة بصوت عالٍ ويجب ان تكون تلك الفصول مما يستدعي علو الصوت وتفخيمهُ فيتعب المرء اولاً ولكنهُ لا يعود يتعب بعد ان يتمرَّن على التلاوة بصوت جهوري حتى لقد يعجب الذين يعرفونهُ مما اكتسبهُ من فخامة الصوت فاذا كان صوتك ضعيفاً فلا شيءَ يقويهِ مثل تمرينهِ على النداء والصياح

❖ فتح الفم ❖

لا بدَّ من فتح الفم جيداً لكي يكون الصوت عالياً و يُسمَع جليّاً من بعيد · ولقد كان من عادة المعلمين ان يقولوا للتلميذ افتح فمك وذلك بمثابة قولهم لهُ ارفع صوتك لان فتح الفم يرفع الصوت

❖ التمرُّن قبل الخطابة ❖

اذا دُعي احد للخطابة وكان الوقت قصيراً فليبادر الى مكان منفرد ويتلُ بعض الجمل بصوت مرتفع ثم بصوت منخفض حتى يمرّن صوتهُ ويلينهُ قبل الوقوف على منبر الخطابة

❖ المهارة في المحادثة اساس المهارة في الخطابة ❖

لا يمهر الانسان في الخطابة ما لم يمهر في المحادثة والمسامرة · والمهارة في المحادثة ليست

بالامر السهل لانها تقتضي ان يعتاد الانسان استيعاب ما يقولهُ غيره وذخر كثير من المعلومات في ذهنهِ والتعوُّد على التعبير عنها بسهولة تامة ومخاطبة الناس على قدر افهامهم

﴿ عوائق الخطابة ﴾

اولاً شرب الماء وقت الخطابة فانهُ لا يسهلها بل يعيقها لان ريق الخطيب لا يجف من العطش بل من فعل عصبي يعصب ريقهُ فاذا زال هذا الفعل العصبي عاد الريق الى جريانهِ ولذلك فعصب الريق يصيب المبتدئين في الخطابة ومتى تقدموا فيها لم يعودوا يشعرون بهِ ولو كان ناتجاً عن عطش لوجب ان يزيد لا ان يزول

ثانياً تدخين التبغ فانهُ يعيق الخطابة وقد يكون الخطيب من مدمني التبغ ولكنهُ اذا انقطع عن التدخين بضع ساعات قبل الخطابة اجادها اكثر مما لو دخن قبلها

ثالثاً المنبهات كالخمور على انواعها فانها تضعف ذاكرة الخطيب وتزيد عطشهُ وتجفف حلقهُ وقد يبحُّ بها صوتهُ

﴿ مقومات الخطيب ﴾

مما يسأل عنهُ من امر الخطيب الامور التالية وهي بمثابة مقوماتهِ

(١) هل يتنفس تنفساً طبيعيًّا من غير كلفة والاَّ فما سبب ذلك

(٢) هل صوتهُ واضح رنَّان مطرب

(٣) هل لفظهُ واضح صحيح من غير تصنُّع والاَّ فما سبب ذلك

(٤) هل يفتح فاهُ حتى تخرج الفاظهُ فخيمة واضحة من غير تقعُّر وتعمُّل

(٥) هل يرفع صوتهُ ويخفضهُ حسب الاقتضاء او يسير في خطبتهِ على نغمة واحدة

(٦) هل نغمتهُ عالية جداً او واطئة جداً

(٧) هل يغير نغمتهُ بسرعة او يكثر من تغييرها مراراً وهل يغيرها في غير المحل اللازم لتغييرها

(٨) هل يسرع في الالقاء او يبطئ او يسير بالاعتدال

(٩) هل اسلوبهُ خاصٌ بهِ او هو يقلد غيرهُ تقليداً

(١٠) هل اشاراتهُ وحركاتهُ وسكناتهُ موافقة لموضوعهِ

(١١) هل ينظر في وجوه سامعيهِ او ينظر الى الخلاء كأنهُ لا يرى شيئاً

(١٢) هل اذا نظرت اليهِ تشعر كأنهُ ملتفت اليك ومتكلم معك

هذه اشهر المقومات التي يسأل عنها وتميز خطيباً عن خطيب والذين مارسوا الخطابة او سمعوا الخطباء البلغاء يعلمون موقعها من الصحة وموقع كل القواعد المتقدمة

امبراطورة الصين وسياستها



نوابغ الرجال قليل عددهم واقل منهم نوابغ النساء لكن لهنَّ في شؤُون الناس اثر لا يقلُّ عن اثر النوابغ من الرجال كأَن المزايا العقلية الفائقة لا علاقة لها بمقوّمات الجنس. وبينا كان المشارقة يشكون من انحطاط شأن المرأة عندهم كانت احدى نسائهم تتسلَّط على اكبر امم العالم على امة لا يقل عددها عن اربع مئة مليون من النفوس وبين شفتيها الحياة والموت والغنى والفقر وليس في دمها نقطة من الدم الملكي نعني بها امبراطورة الصين التي توفيت بالامس وقد كتب عنها السر هنري بلاك حاكم هونغ كونغ فصلاً في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية رأَينا ان نقتطف منهُ بعض ما يلي قال

هي الابنة الصغرى من اولاد قائد تتري وكان اسمها يهونالا . توفي ابوها وهي طفلة وترك امها ولها منهُ ابنان وابنتان وهو ليس على شيء من الثروة فقامت باولادها واخذت

معها جثة زوجها وسارت في قارب الى بكين لكي تدفنهُ في مدفن آبائهِ · واتفق انها لما وصلت الى مدينة تشنكيانغ وصل اليها قارب آخر فيهِ حاكم احدى العمالات الصينية فبعث اليهِ حاكم تشنكيانغ هدية على جاري عادة الصينيين مع بطاقة الزيارة لكنهُ اخطأ هو او رسولهُ في معرفة القارب المقصود فارسل الهدية والبطاقة الى قارب تلك الارملة فظنت ان الحاكم من اصدقاء زوجها وقد قصد زيارتها وتعزيتها كرماً منهُ فارسلت تشكرهُ على هديتهِ · ورأى هو خطأهُ ولكن كرم اخلاقهِ منعهُ من ان يظهر لها ذلك وكان في المدينة كثير من الاطعمة ومئتا ريال ولما عرف انها في ضنك بعث اليها بثلاثمئة ريال اخرى وزارها بنفسهِ كأنهُ من اصدقاء زوجها وقدَّم لتابوتهِ الاكرام الواجب عند الصينيين فكرَّرت لهُ شكرها واهدت اليهِ ابنتها الصغرى ليتبنَّاها · وهي عادة عند الصينيين تدلُّ على شدَّة الصداقة · فاخذ الابنة وتبناها فربيت في بيتهِ كاحدى بناتهِ الى ان بلغت السادسة عشرة من عمرها وحينئذٍ عُرضت مع غيرها من بنات كبراء المنشوريين اللواتي يعرضن على الامبراطور مرة كل ثلاث سنوات ليختار منهنَّ نساء بلاطهِ فاختارها مع غيرها

والنساء كثيرات في بلاط الصين اكثرهنَّ للخدمة والممتازات منهنَّ وصائف عند الامبراطورة ولا يراهنَّ احد من الرجال غير الامبراطور والخصيان المقامين على حراستهنَّ · ويزورهنَّ الامبراطور احياناً ويختار منهنَّ حظاياهُ فاختار يهونالا في احدى زياراتهِ وسميت حينئذٍ شي هسي ورزق منها ولداً ذكراً وكانت الامبراطورة عاقراً فارتفع مقام شي هسي وزادت سلطتها حتى جلست مع الامبراطورة على سرير الملك

واتفق بعد سنين كثيرة ان شكي على الحاكم الذي تبناها ورباها وحُكم عليهِ بالعقاب وكانت قد صارت امبراطورة فلما عُرض عليها اسمهُ لتوْيد الحكم عليهِ عرفتهُ فامرت بترقيتهِ فاعترض رئيسهُ على ذلك فزادت في ترقيتهِ فاسرع الى باكين ليشكرها على هذه المنة وهذا الالتفات السامي ومثل بين يديها راكعاً امام عرشها ومطرقاً الى الارض وهو لا يعلم انها ابنتهُ فقالت لهُ التفت الى هنا ألا تعرف ابنتك ثم جعلتهُ حاكماً على سزوشين(١)

ولما توفي زوجها الامبراطور هسين فنغ خلفهُ ابنها الامبراطور تنغ شيه لكنهُ توفي سنة ١٨٧٥ فخلفهُ ابن عمهِ كوان هسو وكان عمرهُ خمس سنوات فلما بلغ سن الرشد سنة ١٨٨٧ أمسك زمام المملكة بيدهِ واراد اصلاحها دفعةً واحدة فانهُ قرأ عن ممالك اوربا وتقدمها فاراد ان يقتدي بها ويحذو حذوها وظن انهُ يسهل عليهِ الوصول الى غرضهِ باوامر يصدرها الى

(١) هي اكبر ولاية من ولايات الصين عدد سكانها نحو سبعين مليوناً من النفوس

وزرائهِ وعمالهِ . وكان في الصين كاتب من اشهر الكتّاب اسمهُ كانغ يو واي وقد قرأ الامبراطور بعض كتاباتهِ فسحر بها وحسب انهُ يستطيع اصلاح بلادهِ بواسطتهِ فاستدعاهُ اليهِ واستوزرهُ وعزم على العمل برأيهِ . ويقال انهُ عزم مرة على لبس الثياب الافرنجية وإلباس جميع رجال بلاطهِ بها واستحضر الوفاً من البذل لهذه الغاية ولبس واحدة منها واتى الامبراطورة وقال لها ما رأيك في هذا اللباس فقالت انهُ حسن جدًّا ولكني انصح لك ان تمضي الى الدار التي فيها صور اسلافك وتقابل نفسك بهم وهم في ازيائهم القديمة وترى ايها اصلح لامبراطور الصين

ولا سبيل لنا لنعلم هل خاطبتهُ بمثل ذلك او بغيرهِ ولكن من المؤكد انها لم تكن تعبأ بآرائهِ في اول الامر بل كانت تحسبها من قبيل المزاح لاعتقادها ان التغيير الذي يقصدهُ غير ميسور كما يظن

اما هو فلم ينصرف عن عزمهِ بل وافق كانغ يو واي على اصدار ستة اوامر سامية توجب على الصينيين لبس الملابس الاوربية وقص ذؤابة الشعر التي يطلقها الرجال من قمة رؤوسهم وتقضي بتغييرات كثيرة في ادارة البلاد . ونصَّب اربعة من الشبان ليساعدوا كانغ يو واي في الاصلاح المطلوب وامر بنزع السلطة من الامبراطورة . وظلَّ عشر سنوات وزمام السلطة في يدهِ ولكن لما شطَّ باوامرهِ هذه وقصد الايقاع بالذين حسبهم عثرة في سبيلهِ ومانعاً من اجراء مقاصدهِ نهض كبار رجال المملكة عليهِ وردوا السلطة الى الامبراطورة . وهرب كانغ يو واي ولجأ الى سفينة انكليزية وهو من الكتاب المعدودين ومن المتفانين في حب الاصلاح وكتاباتهُ تسحر عقول الصينيين حتى اجمعت الطائفة المتعلمة منهم على جعلهِ زعيمًا لها

ومن رأي السر هنري بلاك انهُ كان يستحيل على كانغ يو واي ان يغير العادات الراسخة في بلاد الصين لان ذلك بمثابة وضع الخمر الجديدة في الزقاق القديمة . وهو مثل يتمثل بهِ الاوربيون كلما استصعبوا اصلاح البلدان الشرقية لكن اصلاح اليابان ابان لهم ان الزقاق القديمة اصلح من الجديدة فقد بلغت تلك البلاد من السؤدد في عشرين سنة ما لم تبلغهُ ممالك كثيرة من الممالك الاوربية . وما كان ميسورًا لليابان كان ميسورًا للصين والصينيون ليسوا دون اليابانيين في شيء من المزايا الجسدية والعقلية بل كانوا فوقهم باعتراف اليابانيين انفسهم فلو كان امبراطور الصين حازمًا كامبراطور اليابان وساعدهُ رجالهُ كما ساعد اليابانيون امبراطورهم لأُصلحت الصين كما أُصلحت اليابان . ومن يعلم ما هي الدسائس التي دُسَّت في بلاد الصين حتى تحوَّل عن سبيل الاصلاح لاسيما وان كانغ يو واي اظهر العداء

للاجانب فلم يسعهم الصبر عليهِ كما يظهر من مقالة السر هنري بلاك

ولما نزعت الامبراطورة السلطة من يد الامبراطور بمعونة رجال البلاط اصبحت الحاكمة المطلقة وسلم هو للسآمة والضجر فاعتلّت صحتهُ ووافاهُ حتفهُ في ١٤ من نوفمبر الماضي وتوفيت هي في اليوم التالي بعد ان تسلطت على بلاد الصين وعلى ثلاثة من امبراطرتها نحو نصف قرن

وقد كتبنا فصلاً مسهباً عن هذه الامبراطورة منذ ثماني سنوات في جزء اغسطس سنة ١٩٠٠ قلنا فيهِ ما نصهُ

يتولى الملك في بلاد الصين الآن دولة منشورية الاصل اسمها دولة صنغ تغلبت على دولة منغ القديمة سنة ١٦٤٤ والامبراطور الحالي هو التاسع منها والامبراطورة شي التي لها الشأن الاكبر في الحوادث الجارية هي ام سلفهِ لا امّهُ ولكنها تبنّتهُ. وهي عجوز في السادسة والستين من عمرها لم تكن من بيت الملك ولكنها من الامة المنشورية التي تغلّبت على بلاد الصين وملكتها منذ مئتين وخمسين سنة كما تقدّم . وقد اختلف الكتّاب في اصلها على روايتين الاولى ان اباها كان ضابطاً في شمالي الصين فاخنى عليهِ الدهر وعضّهُ ناب الفقر حتى اضطرت ان تبيع نفسها امةً لكي يستعين ابوها بثمنها على حالهِ وتعلمت القراءة والكتابة في بيت سيدها ورأت ذات يوم منشورًا من امبراطور الصين يدعو بهِ كل فتاة منشورية عمرها بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة لتعرض نفسها عليهِ لان الامبراطورة زوجتهُ كانت عاقرًا فاراد ان يتزوَّج باخرى ليولد لهُ نسل . فعرضت نفسها عليهِ مع غيرها من البنات ونالت الحظوة في عينيهِ فاقترن بها وجعلها زوجتهُ الثانية. هذه هي الرواية الاولى والرواية الثانية انها ابنة ضابط كبير من رؤَساء المنشوريين تعلمت وتهذبت في صغرها ونالت الحظوة في عيني الامبراطور فاقترن بها بعد ان رأى زوجتهُ الاولى عاقرًا كما تقدّم (ولعلّ رواية السر هنري بلاك اصدق الروايات كلها او اقربها الى الصواب) . وكانت في السابعة عشرة من عمرها فولدت لهُ ولدًا ذكرًا جعلهُ ولي عهدهِ وعظمت منزلتها في عينيهِ لاسيما وانها عرفت كيف ترضي ضرتها زوجتهُ الاولى وتعيش معها على تمام الوئام . وقد ابى طمع الانسان بل ناموس الطبيعة القاضي على كل حي بالسعي والكسب ان يبقى الصينيون منقطعين عن سائر الممالك مستأثرين بخيرات ارضهم وغمار اعمالهم فسلط عليهم الانكليز والفرنسويين فاتوا تاكو سنة ١٨٦٠ وهدموا حصونها بمدافعهم وساروا الى بكين فهرب منها الامبراطور وزوجتهُ وولي عهدهِ وعمرهُ ست سنوات الى مصيفهِ حيث كان يقضي اوقات الانس بالصيد والقنص ودخلت الجنود الاوربية بكين ونهبت ما في قصر الامبراطور ثم احرقتهُ

قال الجنرال غوردون (باشا) وكان من الذين شاهدوا ذلك المنظر الفظيع . ان قائد الجنود الاوربية امر بحرق قصر الصيف وفيهِ من التحف والاثاث والرياش ما يساوي اربعة ملايين من الجنيهات . والصينيون ودعاء ولكن عظماءهم يكرهوننا ولا غرابة في ذلك بعد ان فعلنا ما فعلنا بقصر امبراطورهم فان جمالهُ يفوق الوصف ولا يرى امرؤ النار مضطرمة فيهِ الاَّ ويدمي فؤادهُ عليهِ فان فيهِ من بديع الصناعة وبدائع العمران ما لا تراهُ في قصر وندزور. وقد حطَّم الفرنسويون كل شيء فيهِ ولم يبقوا ولم يذروا

وتوفي امبراطور الصين سنة ١٨٦١ وعمر ولي عهدهِ سبع سنوات ولما حضرتهُ الوفاة اقام لهُ مجلساً من الاوصياء يتولى شؤُون المملكة الى ان يبلغ سن الرشد وعهد في تربيتهِ الى امهِ وضرتها . فلما رأت امهُ ان ادارة البلاد كلها اصبحت في يد هذا المجلس لم يرضها ذلك وكانت مقاليد البلاد في يد اخي زوجها البرنس كنغ قبلما اقام زوجها مجلس الاوصياء فتواطأت معهُ على التخلص من هذا المجلس والقت القبض على اعضائهِ بحجة إغفالهم بعض الرسوم في الاحتفال بجنازة زوجها فحُكم عليهم بالقتل وصارت مقاليد البلاد في يدها ويد ضرتها . وبقي البرنس كنغ يدير شؤُون الامبراطورية بمهارتهِ ودهائهِ ثلاث سنوات فافلحت في ايامهِ وعزي الفضل كلهُ اليهِ فلما رأت ذلك اوجست منهُ خيفةً فامرت بعزلهِ لانهُ قدر نفسهُ فوق قدرها فاعتزل طائعاً وللحال وقع الارتباك في ادارة البلاد حتى اضطرت ان ترجعهُ الى منصبهِ بعد خمسة اسابيع وردَّت اليهِ كل الخطط التي كان فيها ما عدا رئاسة الوزراء

ولما بلغ ابنها سن الرشد اختارت لهُ زوجةً من بنات الامراء فاتي ببنات المنشو كلهنَّ ومررنَ امامها رباعَ رباعَ ومع كل فتاة ورقة فيها اسمها وسنها حتى اذا اعجبتها واحدة منهنَّ سألتها بعض المسائل وكتبت جوابها عنها فابقاها الخصيان عندهم وصرفوا الباقيات ثم عرض عليها هؤُلاء الفتيات المختارات ثانيةً وثالثةً وهي تغربل فيهنَّ الى ان قرَّ قرارها على فتاة منهنَّ فاختارتها زوجةً لابنها واحتفل باقترانهِ بها احتفالاً عظيماً وكان ذلك سنة ١٨٧٢ لكنهُ توفي سنة ١٨٧٥ ولا يعلم من امرهِ شيءٌ كثير. وكانت زوجتهُ حاملاً وتقضي شريعة الصين ان يُنتظر ما تلدهُ فان كان ذكرًا فهو الامبراطور وهي التي تكفلهُ وتكون نيابة الملك لها ولا يبقى شأن لجدتهِ وضرتها وان كان انثى تبنَّت لها ابناً فيكون الامبراطور وهي التي تكفلهُ وتكون لها نيابة الملك ايضاً لكن الامبراطورة شي داست شريعة البلاد واغضت عن كنتها قبلما تلد وتبنَّت ابن الامير تشن اخي زوجها وعمرهُ اربع سنوات فبقيت النيابة في يدها ويد ضرتها والبرنس كنغ يدبر شؤُون البلاد الى سنة ١٨٨٤ وحينئذٍ عزلتاهُ ونصبتا مكانهُ الامير تشن

ابا الامبراطور الصغير ويقال انهُ من الشعراء وبينهُ وبين الامبراطورة شي مطارحات شعرية لكنهُ ليس من رجال السياسة فاعتمدت الامبراطورة في ادارة الشؤون على الوزير لي هنغ تشنغ الداهية المشهور

ولما اشتدت المجاعة في ولاية شانسي نشرت هي وضرتها امرًا امبراطوريًّا قالتا فيهِ انهما رأتا ثمن اللحم الذي يؤْكل في قصرهما يبلغ مئة ريال كل يوم فعزمتا ان لا تأْكلا لحمًا ما دام شعبهما جائعًا وامرتا ان تضاف المئة الريال ثمن اللحم الى اموال الاعانة التي تنفق على الجياع . فكان لهذا الامر الامبراطوري اعظم وقع في النفوس . ثم ان الامبراطورة شي اختارت لتعليم الولد الذي تبنتهُ ليكون امبراطورًا رجلاً مشهورًا بالعلم والحكمة وبُعد النظر في العواقب فرباهُ وهذبهُ وتوفيت الامبراطورة الاولى سنة ١٨٨١ فاستقلت الامبراطورة شي بالسلطة وحدها الى سنة ١٨٨٨ حينما بلغ الامبراطور الجديد سن الرشد فاختارت لهُ زوجة ونشرت امرًا امبراطوريًّا قالت فيهِ

امرٌ خاص من الامبراطورة الارملة

لقد تأَهل الامبراطور لميراثهِ المجيد وهو يزيد رشدًا يومًا فيومًا ولذلك لاق بهِ ان يختار لهُ زوجةً فاضلة تساعدهُ في شؤُون بلاطهِ وتتولى ادارة خاصتهِ وتساعدهُ ليسير سيرةً صالحةً مستقيمةً لذلك جعلنا تيهونالا ابنة الجنرال كوي هسيانغ التي اخترناها لهُ زوجةً لاجل فضائلها امبراطورة على الصين

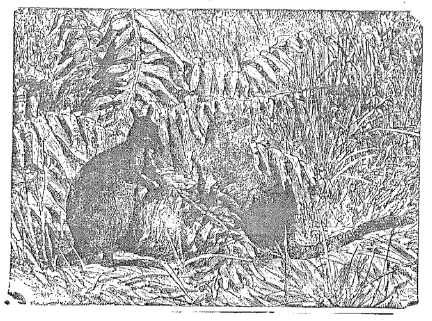
وامرنا ايضًا ان تكون تتالا بنت تشنغ هسي وعمرها خمس عشرة سنةً زوجةً ثانيةً لهُ واختها تتالا وعمرها ثلاث عشرة سنة سرية لهُ من الدرجة الثانية

وقد اختلف الكتَّاب كثيرًا في اوصاف الامبراطورة شي فمدحها بعضهم حتى جعلها مجمع الفضائل وذمها البعض الآخر حتى جعلها قرارة الرذائل . والظاهر ان الصينيين لا يعبأُون بالكذب فاذا اصاب احدهُم خيرًا منها مدحها على قدر ما تحتمل اللغة الصينيَّة من الغلو في المدح واذا اصاب آخر ضيرٌ منها ذمها على قدر ما تحتملهُ لغتهُ من الذم . وكذلك الاوربيون الذين ينقلون عنهم يجارونهم غير محاذرين . الاَّ ان جمهورهم يقول انها تفوق نساء الصين علمًا وادبًا وانها تصوّر وتنظم الشعر الحسن وقد اهدت الى مدرسة همان الكلية ستمئة مقطع من نظمها . وكتب بعضهم في جريدة الورلد الاميركية سنة ١٨٨٨ يقول "انها مهيبة الطلعة تمشط شعرها وتعقصهُ بيدها بدبابيس من الذهب وهي مستقلة في رأْيها لا تتقيد بآداب السلوك الصينيَّة . تروض جسمها بالرماية داخل اسوار قصرها وتتمرّن على الملاكة .



اليربوع

الابوسوم



الثقر

اخبرني السفير دنبي انها تدرس كل المواضيع التي تعرض عليها وهي كثيرة الاشتغال جدًّا ومن رأيهِ ان التاريخ سيذكر اسمها مثل اعظم الملكات وهي التي رقَّت الصين الى درجتها الحاضرة بين ممالك الارض "

وقد وصفها واحد رآها حديثًا فقال انها طويلة القامة معتدلة القوام سوداء الشعر والعينين سمراء الوجه قدماها في الشكل الطبيعي لم تصغَّرا كاقدام الصينيات لان بنات منشو لا يصغرن اقدامهنَّ

ولما استقبلت نساء السفراء قبل الحوادث الاخيرة كتب سفير انكلترا يصف استقبالها لهنَّ فقال انها ابدت غاية الدعة والبشاشة واللواتي مضين الى القصر وهنَّ يحسبن انهنَّ يلاقين امرأة متكبرة متعظمة استغربنَ كثيرًا ما وجدنهُ في جلالتها من اللطف والدعة ولين الجانب

ويقول خصومها انها مغرمة بالمال والمقامرة غدَّارة تقتل خصومها بالسم فلم تبقِ على خصم وانها قتلت ضرتها وكنتها. لكن الناظر في احوال الصين قبل ايامها وفي ايامها لا يستطيع ان يبخسها حقها من الاهتمام بترقية بلادها اكثر من كل مَن سلفها

وبلغ الامبراطور الحالي سن الرشد سنة ١٨٨٧ وسُلّم مقاليد الاحكام بالفعل سنة ١٨٨٩ فوقع الخلاف بينهُ وبينها لانهُ كان يحب الاستقلال عنها وهي قد شبَّت وشابت على ادارة الاحكام بيدها فشقَّ عليها ان تربي ولدًا تحسبهُ برًّا بها فتجدهُ عقوقًا . والظاهر من وصف السفراء لهُ انهُ كان نحيف البنية كثير الشغل يميل الى الاستبداد في الرأي ويشتغل بامور ليس من شأنهِ الاشتغال بها فيتعب نفسهُ على غير طائل مثل تعرضهِ لديوان الامتحان فان المناصب تعطى في بلاد الصين بعد امتحان دقيق فطلب مرةً اوراق الامتحان وبقي يطالعها ثلاثة ايام كاملة ثم عين درجات الممتحنين حسبما تراءى لهُ فرقَّى البعض الى اعلى المناصب وخفض البعض الى ادناها على ضد ما اقرّت عليهِ لجنة الامتحان

ولما نشبت الحرب بين الصين واليابان قال البعض انها كانت برضى الامبراطورة شي وعلى غير رضاهُ ويقول غيرهم انها كانت برضاهُ وعلى غير رضاها فوقع الخلاف بينهما بسببها وقام حينئذٍ كانغ يوواي زعيم الاحرار في بلاد الصين وهو شاب من مدينة كنتون كان يعلّم فيها فقرأ تاريخ بطرس الاكبر قيصر الروس واعجب بهِ وخطر لهُ انهُ يمكن النهوض ببلاد الصين في سنوات قليلة كما نهضت بلاد الروس وكتب رسالةً في هذا الموضوع اطَّلع عليها امبراطور الصين فاعجب بها

وقد اشار هذا الرجل على الامبراطور ان يأمر وزراءهُ وكل الذين في مناصب عالية

في بلاد الصين بان يمضوا الى المعابد ويحلفوا هناك الايمان المغلظة انهم يساعدونهُ في ترقية البلاد وادخال كل طرق الاصلاح اليها · ومن طرق الاصلاح هذه تنقيح قوانين الادارة كلها واقامة مجلس من الرجال الذين درسوا في اوربا او تعلموا الاساليب الاوربية لكي يساعد في اصلاح المملكة وتنظيم دوائر الحكومة على اسلوب دوائر الحكومة في اوربا واستخدام الاجانب فيها مشيرين ومساعدين · وتغيير نظام جباية الاموال فتصير اموال الامبراطورية كلها ترد الى خزينة الحكومة بدلاً من انفاق اموال كل ولاية فيها فيصير عند الحكومة مال كافٍ لتعبئة الجنود وتقوية الاساطيل وانشاء المدارس الحربية.

وقرأ ولاة الصين هذه الرسالة فاستخفوا بها وقالوا لن نغير عادات اسلافنا واما الامبراطور فاعجب بها وعزم على الجري بموجبها واخذ من ساعتهِ يغير ويبدل ويعزل وينصب فعزل مرة خمسة آلاف موظف دفعة واحدة ووظائف كثيرين منهم وراثية توارثوها ابًا عن جدّ · وامر ان ترسل اوامرهُ الى الولاة والحكام بالتلغراف · واطلق حرية الصحافة · واباح لكل احد ان يرفع اليهِ ظلامتهُ مباشرة وكانت الظلامات ترفع الى دواوين الحكومة المختلفة فتنتقل من ديوان الى ديوان ولا يصل منها شيء الى الدواوين العليا

وكان في ديوان الشعائر الدينية كاتب صغير اسمهُ وان هش فلما رأى نجاح كانغ يو واي قدَّم عريضة الى الامبراطور طلب فيها منهُ اصلاحات اخرى · فاغتاظ الوزراء والولاة من وقاحتهِ ووبخوهُ توبيخًا صارمًا اما الامبراطور فاصدر امرًا مدحهُ فيهِ على جسارتهِ وشجاعتهِ الادبية ورقاهُ الى منصب لم يكن يستطيع الارتقاء اليهِ الأَ بعد امتحانات كثيرة وعزل رئيسي مجلس الشعائر الدينية ونائبيهما وكثيرين من كبار الموظفين لانهم تجاسروا على حجز حرية غيرهم من رعاياهُ وقاوموا رغبتهُ في اصلاح بلادهِ

فلما رأى عظماء الصين ذلك من امبراطورهم لجأُوا الى الامبراطورة فامر بقتلها اما هي فجمعت حولها خواصها واكتنفت قصرهُ بفريق من الجند المخلصين لها واضطرتهُ ان يمضي امرًا ملكيًّا في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ يقول فيهِ انهُ تنازل عن الملك لانهُ وجد نفسهُ غير كفوء لهُ ويتوسل اليها فيهِ ان تستلم زمام الاحكام بيدها · وللحال فرَّ بعض المصلحين وقُبض على البعض الآخر فقُتلوا او نفوا وسُجن الامبراطور في قصرهِ ولكن بقيت الاوامر تصدر باسمهِ وباسمهِ سُلبت الصين كياو شاو وبورت ارثر ووأي هاي واي ونحو ذلك مما جرَّ الى الويلات الحاضرة · وباسمهِ ايضًا صدر امر في الرابع والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٠٠ يقول فيهِ انهُ لا يستطيع ان يخلف نسلاً وانهُ توسل الى الامبراطورة لتختار وريثًا للملك

فاختارت پوتشنغ ابن البرنس توان وهو فتى في الرابعة عشرة · فتم حزب الاصلاح عليها واخذ ينشر المنشورات ضدها وهي تصادره بكل ما وصلت اليهِ يدها وعينت مئة الف ريال لمن يقتل زعيم الاصلاح كانغ يو واي ورفيقهُ لينغ شي شاو

وقابلها البرنس هنري لما ذهب الى بلاد الصين وهو اول اوربي رأى وجهها · ويقال انها هي التي قوَّت جمعية الملاكمين وغيرها من الجمعيات الوطنية المعادية للاجانب لكي يُقوى بها حزبها على حزب الاصلاح وتطرد الاجانب من بلادها

هذا ما نشرناهُ عنها منذ ثماني سنوات اقتطفناهُ من اصح المصادر وهو مطابق في جملتهِ لما ذكرهُ السر هنري بلاك · ويقيننا انها لو ساعدت الامبراطور المتوفى في تحقيق امانيهِ لجارت الصين اليابان او فاقت عليها والام بقوَّادها وسراتها

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

القواضم RODENTIA

﴿ السِنجاب (فارسيَّة معرَّبة [1]) ﴾ Sciurus. E. Squirrel. F. Écureuil.
جنسٌ من الحيوان من فصيلة القواضم اكبر من الجرذ كبير الاذنين ذو ذنب طويل كثيث الشعر يرفعهُ صعداً · ويعرف في الشام بالسنجاب والقرقذون والقرقذان

وقد جاء في كتاب نظام الحلقات لاستاذنا الدكتور بوست ان لفظة السنجاب تطلق على القرقذون والسمُّور M.Zibellina وفي دائرة المعارف ان تسمية القرقذون بالسنجاب خطأٌ وان السنجاب هو M. Zibellina ولا ريب عندي في ان السنجاب هو المسمى بالقرقذون في الشام فان لفظة السنجاب مستعملة في بعض انحاء الشام لهذا الحيوان بعينهِ وهي الترجمة المعوَّل عليها في كل المعجمات التي وقفت عليها · ثم ان السنجاب المذكور في المؤلفات العربية صنفٌ منهُ يوجد في روسيا وسيبيريا يتخذ من جلدهِ الفراء المشهورة ويسمى عند الافرنج Petit-gris ولونهُ ازرق رمادي وليس احمر او اصفر كالدلق او السمُّور وهومعروف عند الفرَّائين وقد سألت واحداً منهم ان يريني جلد السنجاب فأراني فروة بهذا اللون

(١) الالفاظ الفارسية المعربة

الازرق . ثم ان مشاهير المستشرقين مثل كاترمير [1] ولكلرك [2] ولاين وغيرهم ترجموا لفظة السنجاب Petit-gris بالفرنسوية و Grey squirrel بالانكليزية

وهذا ما جاء عنهُ في الدميري قال " السنجاب حيوان على حد اليربوع اكبر من الفار وشعرهُ في غاية النعومة يتخذ من جلدهِ الفراء يلبسهُ المتنعمون ..... واحسن جلودهِ الازرق الاملس وقد احسن القائل

كلما ازرقّ لون جلدي من البر د تخيلتُ انهُ سنجابُ "

فاللون السنجابي هو اللون الازرق الرمادي وليس اللون الاحمر

❖ السنجاب الطائر ❖ E. Flying squirrel. F. Ecureuil volant جنسٌ من السنجاب لهُ غشاء بين يديهِ ورجليهِ يطفر بهِ من شجرة الى اخرى . وقد سماهُ القزويني النسناس الطائر وابن الفقيه الهمذاني السنور الطائر (كتاب البلدان طبع ليدن صفحة ١٠)

❖ الصبَرة (سودانية) ❖ Xerus. E. Spiny squirrel. جنسٌ من السنجاب لكنهُ لا يقيم في الاشجار بل يتخذ لهُ بيتاً في الارض ويوجد منهُ انواعٌ كثيرة بعضها مخطَّط الظهر طولاً

❖ القُنْدُز . البيدَستَر (فارسيتان) الخَارُوْد [3] ❖ Castor. E. Beaver F. Castor. جنسٌ من القواضم المائية ذنبهُ قويّ مفلطح لونهُ احمر قاتم ولهُ غشاء بين براثن رجليهِ يعينهُ على السباحة . ويوجد القندز في سيبيريا واميركا الشمالية . ويتخذ منهُ الفراء والمادة المعروفة عند الاطباء بالجندبيدستر

وفي كثير من المؤلفات العربية القندس هو القندز وقد اطلق ابن البيطار لفظة القندس على الحيوان الذي نحن بشانهِ وعلى نوع من النبات وسماهُ الكندس ايضاً وقد بحث في ذلك السيد ادّي شير في كتابهِ الالفاظ الفارسية المعرّبة وارجع اللفظتين الى اصلهما الفارسي وذكر الكندس ايضاً وهي فارسية ويظهر من قولهِ ان القندس خلاف الكندس (راجع الالفاظ الفارسية المعربة وابن البيطار باللغة الفرنسوية ورأي لكلرك في الكندس)

اما كلب الماء فاكثر مؤلفي العرب اطلقوهُ على القندز ولا يخفى ان كلب الماء في الشام حيوان آخر مرّ ذكرهُ

❖ المرْموط (معرَّبة) ❖ Arctomys. E. Marmot. F. Marmotte

❖ الزُغبة ❖ Myoxus. E. Dormouse. F. Loir جنسٌ من القواضم في شبه

(١) ترجمة جامع التواريخ لرشيد الدين (٢) ترجمة مفردات ابن البيطار . (٣) ابن البيطار

الفار وجمعهِ. تقيم في الاشجار وتستكنّ(1) في الشتاء. والزغبة في الكتب العربية دويبة تشبه الفارة ولم يزيدوا على ذلك وقد اطلقها احمد فارس على الحيوان الذي يسميهِ الانكليز Dormouse

﴿ اليَرْبُوع ﴾ Dipus E. Jerboa F. Gerboise جنسٌ من القواضم وهو شبيه بالفار الاَّ انهُ قصير اليدين طويل الرجلين لهُ ذنب طويل يرفعهُ صعدًا . ويعرف ثلاثة انواع من اليرابيع عند العرب وهي الشفاريّ والتدمريّ وذو رُميح وقد وصفوها وصفاً مدققاً ولا يمكن معرفة حقيقة امرها تماماً الآن لان حيوانات بلاد العرب لم يدرسها العلماء درساً وافياً

﴿ الخُلْد ﴾ Spalax typhlus. E. Mole-rat. F. Rat-taupe وجمعها مناجذ جنسٌ من القواضم التي تعيش تحت الارض وهو ليس لهُ اذنان ولا عينان ويسمى في مصر ابو اعمى وقد اشرت قبلاً الى كثرة الخطإِ في ترجمة هذه اللفظة فالمسمى Taupe بالفرنسوية وMole بالانكليزية غير الخلد ولا وجود لهُ في مصر والشام اما الخلد فكثير الوجود فيهما

﴿ الفأرة ﴾ E. Mouse. F. Souris

﴿ الجُرَذ ﴾ E. & F. Rat

﴿ فأر البوص ﴾ Aulacaudus Swinderianus E. Cane-rat. F. Aulacaude جنسٌ من القواضم شبيه بالجرذ الاَّ انهُ اكبر ويوجد في اواسط افريقية وهو الاسم الذي يعرف بهِ في السودان(٢)

﴿ خنزير الهند. خنزير غانة (غينيا) ﴾ Cavia. E. Guinea-pig. F. Cochon d'Inde. جنسٌ من القواضم شبيهٌ بالارنب واصغر منهُ وجلدهُ مبقّع بالوان مختلفة ويعرف في مصر بالارنب الرومي

﴿ الدُلْدُل. الدُلْدُول . الشَيْهَم . الشَيْظَم . الضَرْب . النَيْص . المُدَجِّج ﴾
Hystrix. E. Porcupine. F. Porc-épic

جنسٌ من القواضم على ظهرهِ شوك طويل كأنهُ المسالّ ويوجد منهُ انواعٌ كثيرة ويعرف في السودان بابي شوك وفي الشام بالقنفذ وبالنيص (انظر قنفذ في مقتطف اكتوبر من السنة الماضية)

---

(١) استكنّ الرجل استتر ورجع الى كنهِ والكنّ ما يرد الحرّ والبرد من الابنية والمساكن ولم ار اصلح من الاستكنان لما يسميهِ الافرنج Hibernation

(٢) The Heart of Africa, by Dr. Schweinfurth.

﴿الارنب﴾ Lepus. E. Hare F. Lièvre.

﴿الارنب الاهلي﴾ Lepus cuniculus. E. Rabbit F. Lapin

يوجد في اللغة العربية اسماء كثيرة للارنب لكنهُ لا فرق عندهم بين المسمّى Lièvre و Lapin فاطلقت على الثاني منهما لفظة الارنب الاهلي لانهُ يدجن في البيوت

وفي اللغة العربية اسماء كثيرة لعدة انواع من القواضم وقد وصفوا بعضها وصفاً حسناً لكن لا يمكن التحقيق عنها علمياً لان حيوانات بلاد العرب وخصوصاً القواضم غير معروفة جيدًا عند علماء الحيوان فمن هذه الحيوانات الزباب والمرنب واليهير والجلهم وغيرها

الدرداء[1] EDENTATA

﴿الكسلان﴾ Bradypus. E. Sloth. F. Paresseux جنسٌ من الحيوانات الدرداء وهو طويل اليدين والمخالب ويقيم في الاشجار في حراج اميركا . ولفظة الكسلان هذه وضعها المرحوم احمد فارس وهي ترجمة اللفظة الافرنجية

﴿آكل النمل﴾ E. Ant-eater F. Fourmilier جنسٌ من الحيوانات الدرداء وهو طويل الرأس صغير الفم لزج اللسان قوي الاظفار. منهُ انواعٌ كثيرة جميعها في اميركا الجنوبية .

﴿ابو الاظلاف﴾ Orycteropus. Dutch. Aard-vark F. Oryctérope جنسٌ من الحيوانات الدرداء وهو اجرد قبيح المنظر طويل الاذنين قصير القوائم قوي الاظفار لهُ خطم كفنطيسة الخنزير. يوجد منهُ نوعان كلاهما في افريقية و يعرف في السودان بهذا الاسم. سمي بهِ لقوة اظفارهِ

﴿المدرّع﴾ E. Armadillo. F. Armadille, tatou جنسٌ من الحيوانات الدرداء جسمهُ مغطى بمادة قرنية كانها الدرع ولذلك اطلق عليهِ الاسبانيول هذا الاسم. ولفظة المدرّع هذه وضعها صاحب مجلة الهلال وهي ترجمة اللفظة الافرنجية (السنة السادسة عشرة صفحة ١٦٩)

﴿ام قرفة﴾ E. & F. Pangolin جنسٌ من الحيوانات الدرداء واكلة النمل

(١) بعض حيوانات هذه الفصيلة لا قواطع لها وبعضها درداء اي لا اسنان لها مطلقًا وقد سماها علماء الحيوان Edentata فلم ارَ اوفق من تسميتها بالدرداء وهي ترجمة اللفظة اللاتينية حرفيًا. واني اشكر صديقي خليل بك سعد لانهُ نبهني الى هذه اللفظة وكنت سميتها قبلاً درماء ولا ريب في ان درداء افضل

وجسمهُ مغطًّى بقشور قرنية شبيهة بحراشف السمك · وهذه التسمية وردت في دائرة المعارف ويغلب على ظني انها سودانية ولكني لم اسمعها في السودان

ذوات الكيس MARSUPIALIA

❖ القَنْقَر (معرب كنغرو بلغة استراليا) ❖ E. Kangaroo. F. Kangourou
جنسٌ من ذوات الكيس · قصير اليدين طويل الرجلين والذنب . يوجد في استراليا فقط · وهذه اللفظة اول من استعملها فيما اعلم المرحوم احمد فارس ونقلها عنهُ المقتطف فشاعت وهي افضل كثيرًا من تعريب هذه اللفظة بالكنجرو كما تجد ذلك في حديقة الجيزة

❖ الابوسوم (اميركية معرَّبة) ❖ E. & F. Opossum. جنسٌ من ذوات الكيس يوجد في اميركا وهو انواع كثيرة

ذوات النقر[1] MONOTREMA

❖ خلد الماء ❖ Ornithorhynchus paradoxus. E. Duckbill F. Ornithorhynque
نوعٌ من الحيوان من ذوات النقر وهو من اغرب الحيوانات لهُ منقار كمنقار البط ويبيض ويرضع بخلاف سائر الحيوان ويوجد في استراليا فقط

ويوجد اجناس وانواع كثيرة من ذوات الكيس وذوات النقر لا اسماء لها بالعربية ولا بدَّ من تعريبها وقد اكتفيت بذكر هذه الحيوانات الثلاث لشهرتها

الحيتان[2] CETACEA

❖ البَال · الفال . الوَال · الأُوال · البَغَان ❋ Balæna. E. Whalebone whale. F. Baleine
جنسٌ من الحيتان لا زعنفة لهُ على ظهرهِ . يبلغ طولهُ بين الخمسين والستين قدمًا لا اسنان لهُ ومكان الاسنان مادّة قرنية تعرف بالبالين تدخل في ملابس النساء ولفظة البال اكثر هذه الالفاظ شيوعًا ثم الوال والفال (انظر عجائب الهند صفحة ١٥ و ١٠١ والملحق الذي لهُ) وهي الأُوال في مروج الذهب (طبع باريس ٢٣٤) والأَفال في النسخة المطبوعة في مصر على هامش نفح الطيب . والمشابهة كبيرة بين هذه الالفاظ وبين Phalaina باليونانية

---

(١) وضعها المرحوم الدكتور زلزل (في كتاب لهُ كان قد شرع في طبعهِ)

(٢) الحوت في اللغة السمك · وقد غلب على الكبير منهُ وهي معرَّب Ketos باليونانية (الالفاظ الفارسية المعربة) ولا يخفى ان الحيتان ليست من الاسماك بل من الحيوانات اللبونة التي تعيش في الماء

و Balæna باللاتينية واللغات المشتقة منها وايضاً لغات اوربا الشمالية (راجع لفظة Whale في المطولات الانكليزية ولفظة وال في دوزي)

واما البتان فقد جاء في كتب اللغة انهُ حوتٌ هائل من حيتان البحر وسماهُ فورسكال Balæna وهو من العلماء الذين يعول عليهم وقد دوَّن ما سمعهُ ورآهُ بنفسهِ[1]. وورد ذكرهُ ايضاً في كتاب نخبة الدهر للدمشقي صفحة ١٣٦

❖ جَمَل البحر - الكِنْدَارَة ❖ Megaptera böops. E. Humpback whale. F. Mégaptère

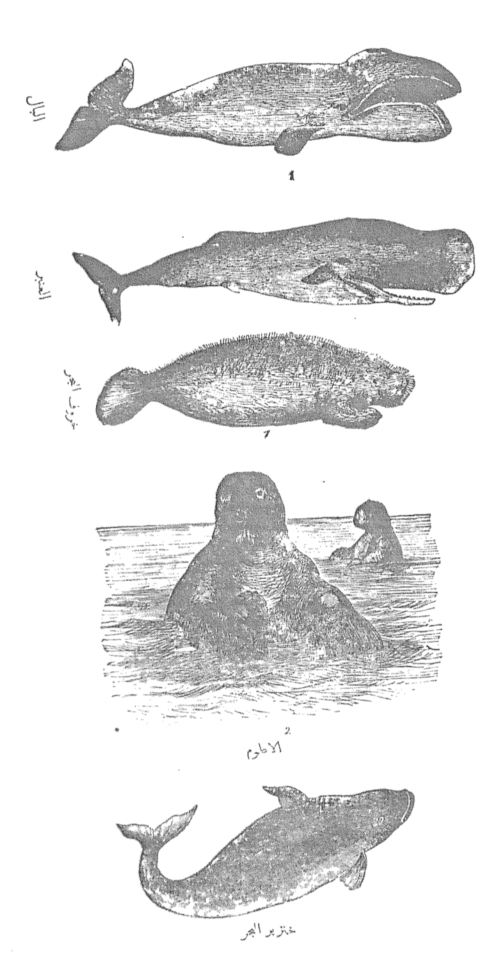
نوعٌ من الحيتان طولهُ نحو خمسين قدماً ولهُ شيءٌ يشبهُ السنام على ظهرهِ سمي بهِ جمل البحر ويوجد في اكثر البحار . وقد جاء عنهُ في الدميري ما يأتي " جمل البحر سمكة طولها ثلاثون ذراعاً كذا قالهُ ابن سيده وللعجاج فيها رجز حسن قالهُ الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وفي حديث ابي عبيدة رضي الله تعالى عنهُ انهُ اذن في اكل جمل البحر وهو سمكة شبيهة بالجمل " ولا ريب في انهُ يقصد بذلك هذا النوع من الحيتان . وقال عن الكندارة انها سمكة لها سنام معروفة عند اهل البحر - ولعلَّ هذه اللفظة فارسية الاصل (انظر لفظة كنادر في الالفاظ الفارسية المعرَّبة)

❖ القَاطُوس والقَيْطَس والقِيطَاس ، معرب Kotos) . المنارة . حوت الحيض ❖ Balænoptera. E. & F. Rorqual

جنسٌ من الحيتان يختلف عن البال بوجود زعنفة على ظهرهِ وهو انواع كثيرة اكبرها يبلغ طولهُ ٨٥ قدماً والبالين الذي يستخرج منهُ ادنى من البالين الذي يستخرج من البال

وقد ذكر الدميري هذه اللفظة في باب الفاء وكتبها الفاطوس وحقها ان تكتب قاطوس بالقاف وذكرها القزويني في باب القاف بعد فرس الماء وقبل قندر - وهي قاطوس في نسخة غوتنجن صفحة ١٤١ وكذلك في النسخة التي على هامش الدميري طبع مصر صفحة ٢٠٩ والبعض يقولون عاطوس وغاطوس وكلهُ محرَّف قاطوس على ما اظن . ويصعب كثيراً معرفة الفرق بين البال والمنارة من وصفها في كتب العرب فقد قالوا عن الاثنين ان على ظهرها مثل الشراع والحوت الذي يسميهِ علماء الحيوان Balæna لا يوجد لهُ مثل ذلك فاطلقت لفظة البال على ما يسميهِ الافرنج Balæna لتشابه الاسم والقاطوس والمنارة على المسمى Rorqual

(١) فورسكال احد افراد البعثة الدنماركية التي سافرت الى بلاد العرب في اواخر القرن الثامن عشر وكانوا ستة من العلماء توفي خمسة منهم وبقي نيبور حياً فنشر كتابهُ عن بلاد العرب وكتاب صديقهِ فورسكال عن حيوانات بلاد العرب ونباتاتها


البال
العنبر
خروف البحر
الاطوم
خنزير البحر

◈ العَنبَر ◈ Physeter macrocephalus. E. Spermwhale. F. Cachalot

نوعٌ من الحيتان يبلغ طولهُ نحو ٦٠ قدماً ويمتاز عن غيرهِ بضخامة رأسهِ وهو ذو اسنان بخلاف البال . ويستخرج منهُ الدهن المعروف بدهن القاطوس والمادة المعروفة بالعنبر

وقد ظن بعضهم ان هذه الدابة هي القِرش وهو خطأ فالقرش هو ما يسميهِ الانكليز Shark والفرنسويون Requin ويعرف بالقرش الى يومنا هذا في سواكن وغيرها من موانئ البحر الاحمر وقد وصفهُ الدمشقي وصفاً حسناً في كتابهِ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (طبع بطرسبرج ١٦٤) قال « القرش ويسمى سبع البحر اخضر اللون بزرقة خشن البشرة حتى ان رقبتهُ وظهرهُ شبيه بالمبرد . . . . ولهُ خرطوم عظيم اقصر من ذراع وبدنهُ اطول ما يطول اربعة اذرع وخرطومهُ شبيه بالمنشار وخدان يضرب بهما يمنة ويسرة » . وفي لسان العرب « القرش دابة في البحر الملح وقريش دابة في البحر لا تدع دابة الا اكلتها فجميع الدواب تخافها »

◈ حريش البحر . كَرْكَدَن البحر . القَوْقي ◈ Monodon monoceros. E. Narwhale. F. Narval.

نوعٌ من الحيتان طولهُ نحو ٢٠ قدماً ولهُ نابٌ مستطيل كأنهُ الخرطوم ويعرف عند الافرنج بما ترجمتهُ حريش البحر ولذلك سمي حريش البحر في دائرة المعارف وكركدن البحر في كتاب نظام الحلقات . ويغلب على ظني انهُ القوقي الذي ذكرهُ القزويني (طبع غوتنجن ١٤٢) قال « القوقي صنفٌ من السمك عجيب جداً على رأسهِ شوكة قوية يضرب بها . حكى الملاحون ان هذه السمكة اذا جاعت ترمي بنفسها الى شيء من الحيوان حتى يبتلعها ثم تضرب بشوكتها احشاءهُ وتهلكهُ وربما تخرج من شق بطنهِ وتتغذى منهُ هي وغيرها واذا قصدها قاصد في اثناء تضربهُ بالشوكة فتهلكهُ وقيل تضرب السفينة بالشوكة فتثقبها وتغرق اهلها وتأكل منهم والملاحون عرفوا ذلك والبسوا السفينة جلد هذه السمكة فان شوكتها لا تعبر عليهِ »

◈ التُخَس . الدُخَس . الدُلفين (معرب Delphis باليونانية) ◈ Delphinus. E. Delphin. F. Dauphin

جنسٌ من الحيتان الصغيرة طولهُ نحو عشر اقدام زعم القدماء انهُ ينجي الغريق ولا نصيب لذلك من الصحة . ولا ريب في ان التخس والدخس عند العرب هو الدلفين فكتب اللغة كلها مجمعة على ذلك وقد ذكر نيبور في رحلتهِ الى بلاد العرب ان احد تجار ابي شهر اطلق لفظة Dachs على الدلفين او خنزير البحر وذكر الكولونل جايكر في حياة الحيوان الكبرى الانكليزية صفحة ٣٥٤ ان الدلفين يسمي في مسقط Ad-dugs ويظهر من ذلك ان لفظة الدخس مستعملة في وقتنا الحاضر للدلفين (انظر يغر في العدد الماضي)

❖ خنزير البحر ❖ Phocoena. E. Porpoise. F. Marsouin جنس من الحيتان شبيه بالدلفين الّا انهُ اصغر منهُ وخطمهُ اقصر ويظهر ان مؤلفي العرب مثل ابن البيطار والدميري حسبوا الدلفين وخنزير البحر حيواناً واحداً لشدة الشبه بينهما

بنات الماء[1] SIRENIA

❖ الأطوم . الملصة . الزالجة . بقرة الماء ❖ Halicore. E. & F. Dugong جنس من الحيوانات اللبونة التي تأوي الى الماء مؤخره يشبه السمك ولهُ يدان كأنهما زعنفتان ولا رجلان لهُ . طولهُ نحو ثماني اقدام ويوجد في المحيط الهندي والبحر الاحمر ويتخذ من جلدهِ النعال للجمالين على سواحل بلاد العرب ويعرف عندهم بالاطوم وابي سلامة

وقد زعم العرب وغيرهم انهُ يوجد نوع من السمك شبيه بالانسان ومن الاسماء التي اطلقوها عليهِ بنت الماء وانسان الماء وشيخ البحر وعند اليونان Seiren و Naias وعند الانكليز Mermaid و Merman وعند الفرس ملك دريا اي ملك البحر واصل هذه الخرافات كلها الفقمة Phoca والاطوم Halicore والاخيرة مشتقة من كلمتين يونانيتين معناهما فتاة البحر . وقد مرَّ بنا ان شيخ البحر هو الفقمة ولا ريب في ان بنت الماء عند العرب هي هذا الحيوان المسمى الأطوم في كتب اللغة . وللعرب عن بنات الماء حكايات كثيرة اورد واحدة منها فقد جاء في كتاب عجائب الهند صفحة ٣٩ ما نصهُ " وحدثني بعض من دخل الزيلع وبلاد الحبشة ان في بحر الحبشة سمكاً لهُ وجه كوجه بني آدم واجسامهم لها الايدي والارجل وان الصيادين الفقراء المتطرفين في اطراف السواحل المهجورة والجزائر والشعاب والجبال التي لا تسلك المعالجين فيها طول اعمارهم اذا وجدوا ذلك السمك المشابه لبني آدم اجتمعوا بهِ فيتوالدوا بينهم نسلاً شبيهاً لبني آدم يعيش في الماء والهواء وربما كان الاصل في هذا السمك من بني آدم اجتمعوا بجنس من اجناس السمك فيتوالد بينهم هذا السمك الشبيه لبني آدم ثم كذلك على مر الدهور والازمنة كما يجتمع الآدمي ببعض الوحوش مثل الضبع والنمرة وغيره من حيوان البرّي فيتوالد بينهم القردة والنسانيس وغير ذلك مما يشبه بني آدم " . الى ان قال " ويقال ان سمك يقال لها الظلوم (وفي نسخة اخرى الظلوم) على صورة الآدمي . . . . ولهُ جلد اثخن من جلد الفيل يدبغ ويستعمل للاخفاف "

(1) لفظة Sirenia المستعملة عند علماء الحيوان مشتقة من Seiren باليونانية وهي جنس من بنات الماء في خرافاتهم فلم ارَ انسب من تسمية هذه الفصيلة ببنات الماء بالعربية

وجاء في كتاب عجائب المخلوقات (طبع غوتنجن ١١٣) " ومنها سمكة وجهها كوجه الانسان وبدنها كبدن السمك وعلى وجهها نقط تظهر على وجه الماء ". وفي الكتاب نفسه صفحة ١٠٩ " ومنها سمكة يقال لها الاطم وعليها شعرٌ وليس لها فلوس (اي حراشف)... ووجهها كوجه الخنزير ". وفي كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر للدمشقي (طبع بطرسبرج ١٥٨) " ولهذا البحر (اي الهندي) ايضاً سمكة يقال لها اللطم لها وجه خنزير وبدن انسان وبدنها مشعر كثير الشعر ". وفي مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني (طبع ليدن ٩) " وفي البحر سمكة يقال لها الأطمر... وجهها كوجه الخنزير ".
وقد سماها اهرنبرغ وهمبرخ[1] H. lottum وكتبا اللفظة بالعربية اللطيم مع ان كتابتها باللاتينيّة اقرب الى اللطوم منها الى اللطيم. وقد ذكرا ايضاً ان جلدها يدبغ ويستعمل نعالاً في سينا. وفي لسان العرب " الأطوم سمكة في البحر يقال لها الملصة والزالخة. والاطوم السلحفاة البحرية. وفي المحكم سلحفاة بحرية غليظة الجلد في البحر يشبه بها جلد البعير الأملس ويتخذ منها الخفاف للجمالين وتخصف بها النعال "

والذي اراهُ من الشواهد المتقدمة ان هذا الحيوان هو الاطوم المذكور في كتب اللغة وكل هذه الالفاظ التي وردت وهي " الطّلُوم والطَّلُوم واللّطَم والإطمر والأطم واللّطيم " محرفة وبما ان اهرنبرغ وهمبرخ ذكرا هذا الحيوان بلفظهِ العربي اي اللطيم ويظهر انهما سمعاهُ في سينا سألت صديقي نعوم بك شقير ان يكتب الى الطور او السويس ويستفهم عن هذا الحيوان فاتاهُ ما يفيد انهُ يوجد سمكة في البحر الاحمر طولها نحو اربع اذرع يُدبغ جلدها ويتخذ منهُ النعال وتسمى هذه السمكة عندهم اللطوم. ولا يخفى ان العرب كثيراً ما يحذفون الهمزة في اللفظ عند ادخال ال التعريف فينطقون بلفظة الاسد مثلاً السد فيتوهم السامع ان اللفظة المقصودة هي اللطوم حال كونها الاطوم ولهذا السبب كتبها اهرنبرغ وهمبرخ lottum ايضاً كما سمعاها. وقد ورد ذكر هذا الحيوان كثيرًا في كتب الافرنج وقالوا ان جلدهُ يستعمل للنعال في سينا[2]

وسمى القزويني هذا الحيوان بقر الماء ايضاً وكذلك الافرنج فانهم سموها Vache marine وذكر الدميري بقر الماء نقلاً عن القزويني ونقل الكولونل جايكر ذلك الى الانكليزية وسماها Hippopotamus ويفهم من رواية القزويني والدميري ان بقر الماء يقيم في البحر الملح فلا

(١) Symb. Physic. etc.
(٢) Smith's Dictionary of the Bible, Hart's Animals of the Bible, etc.

يمكن ان يكون المقصود بهِ فرس الماء فان لم يكن بقر الماء هو الاطوم فهو ليس فرس الماء ٠ وقد جاء في القزويني ايضاً عند ذكرهِ بحر القلزم (اي البحر الاحمر) " ومنها سمكة على خلقة البقر تلد وترضع بخلاف سائر السمك فانها تبيض "

﴿ خروف البحر ﴾ Manatus. E. Manatee. F. Lamantin جنسٌ من بنات الماء يوجد في الاتلانتيكي وفي الانهار التي تصب فيهِ وهو الاسم الذي اطلقهُ العرب الذين كانوا برفقة الدكتور شوينفورث على هذا الحيوان(1)

الدكتور امين المعلوف

دولة آل عثمان

٣

ختمنا الكلام في الفصل السابق بوفاة السلطان مراد ومبايعة ابنهِ السلطان بايزيد ٠ ونحن موردون الآن خلاصة اخبار هذا السلطان

لُقب يلدريم بايزيد اي الصاعقة لسرعة سيرهِ وفتوحهِ وقد لقبهُ الخليفة العباسي الذي كان مقيمًا في مصر حينئذٍ بسلطان اقليم الروم بعد ان كان يخاطب اباهُ وجدهُ بلقب امير٠ اما مؤرخو العرب المعاصرون فظلوا الى ذلك الحين وما بعدهُ يسمون سلاطين آل عثمان باسم ابن عثمان كما سيجيء

وكانت فاتحة اعمالهِ انهُ ضرب الجزية على السرب ولم يضمها الى املاكهِ واتجه الى اسيا الصغرى وفتح مدينة فيلادلفيا وهي اخر مدينة بقيت للروم في اسيا الصغرى واستولى على جانب كبير من املاك علاء الدين صاحب قرمان وعاد الى اوربا واستعد لفتح بلاد اليونان ومنع الامبراطور يوحنا من تحصين القسطنطينيَّة فمات كمدًا وخلفهُ ابنهُ منوئيل وكان محالفًا لبايزيد لكن محالفتهُ لهُ لم تمنع بايزيد من الاستيلاء على سالونيكي وحصر القسطنطينيَّة وفتح ترنوفو عاصمة البلغار وودن ونيكوبوليس وسلستريا وذلك من سنة ١٣٩١ الى سنة ١٣٩٣ ٠ وبلغهُ ان علاء الدين صاحب قرمان نقض عهد الطاعة وجهز جيوشهُ وقصد مدينة انقره فقصدهُ بجيش جرار والتقى بهِ في موضع يقال لهُ آق جاي واسرهُ واسر ابنيهِ محمدًا وعليًا وحاصر مدينة قونية ورفق باهلها واذن لهم في حصد غلاتهم فاطاعوهُ وسلموهُ مفاتيح مدينتهم فاقتدى بهم غيرهم

(1) The Heart of Africa, by Dr. Schweinfurth, II, p. 95

من اهالي المدن المجاورة مثل قيصرية ونيكدة وقره حصار وفتح ايضاً سواس واماسية وتوقات وصاسون فلم يبقَ شيءٌ من الامارات التي قامت على اطلال دولة آل سلجوق الاَّ امارة قسطموني وكان اسم اميرها بايزيد فغزاهُ وفتح بلادهُ فآلت كل بلاد السلاجقة الى آل عثمان

وعاد الى الروملي فدوَّخ البلغار وجانباً من السرب ومكدونية وتساليا واجتازت جنودهُ نهر الطونا ودخلت بلاد الفلاخ وبلاد المجر وحاصر القسطنطينيَّة عشر سنوات وقطع المدد عن اهلها ليعضهم الجوع فيسلموا اليهِ. واتَّضح حينئذٍ انهُ سيتسلَّط على كل ما بقي من مملكة الروم في اوربا كما تسلط عليها في آسيا فنهض سجسموند ملك المجر ونادى بالنفير العام في اوربا وجمع جيشاً كثيفاً فيهِ الفان من اشراف الفرنسويين وحاصر مدينة نيكوبوليس من عواصم البلغار لكي يصرف بايزيد عن القسطنطينيَّة فبادر بايزيد اليهِ واوقع بهِ واسر جمّاً غفيراً من رجالهِ وحلفائهِ ونجا سجسموند بنفسهِ ولكن حلفاءهُ الفرنسويين أُسروا كلهم وقتل اكثرهم وكانوا هم سبب هذا الانحدار لتسرُّعهم وقلة صبرهم. ولولا قيام تيمورلنك (اي تمور الاعرج) حينئذٍ ووصولهُ الى بر الاناظول لاستصفى السلطان بايزيد كل مملكة الروم الشرقية

وتيمورلنك من اعظم غزاة المشرق وهو ابن رئيس من روَساء المغول ولد في كش على خمسين ميلاً من سمرقند سنة ١٣٣٦ واستولى على سمرقند وجيَّش الجيوش ودوَّخ مملكة ايران وجانباً كبيرًا من بلاد الهند ثم شنَّ الغارة على البلدان الغربية ففتح حلب وحماه وحمص وبعلبك ودمشق ودخل بر الاناضول فاسرع السلطان بايزيد لملاقاتهِ ورد غاراتهِ

وهنا نلجأُ الى مؤلف من الذين اسرهم تيمور ونشأُوا في عهدهِ ووصفوا ما رأَوهُ مرأَى العين او سمعوهُ من الذين رأَوهُ وهو القاضي شهاب الدين الدمشقي الانصاري المعروف بابن عرب شاه فان تيمورلنك سباهُ مع مَن سبي من اهل دمشق وهو في الثانية عشرة من عمرهِ واخذهُ معهُ الى سمرقند فلقي بها ايمَّة من العلماء مثل محمد الجرجاني وشمس الدين الجزري والواعظ الترمذي وغيرهم من المشاهير فدرس عليهم واخذ عنهم لغة الفرس ثم خرج من سمرقند ورحل مع اهلهِ الى خوارزم واجتمع بعلمائها ودرس اللغة التركية وتوجه الى بلاد القرم وسكنها مدة ثم دخل بلاد الروم ونزل في ادرنه في عهد "الملك غياث الدين ابي الفتح بن عثمان" (وهو السلطان محمد جلبي الغازي) فاكرم مثواهُ وامرهُ بترجمة كتاب جامع الحكايات من الفارسية الى التركية ثم بعد وفاة ابن عثمان انتقل الى حلب ثم الى دمشق وطلب الديار المصرية وتصوف بها وتوفي فيها سنة ١٤٣٧ ولهُ من الكتب عجائب المقدور في اخبار تيمور واخبار الترك والتتر. ولما التقى تيمور بالسلطان بايزيد سنة ١٤٠٢ كان عمر ابن عرب شاه ١٤ سنة فلا يتعذَّر عليهِ ان

يدرك الاخبار التي كانت تصل الى سمرقند ثم لما جال في الاقطار ولقي العلماء وبحث ودقق حتى يؤلف كتابهُ عجائب المقدور وقف على اصح الاخبار وسهل عليهِ تمحيصها. ويؤخذ عليهِ انهُ لم ينسج كتابهُ على منوال الكتب التاريخية بل على منوال القصص الروائية والاشعار الحماسية وتحامل فيهِ على تيمور اشد التحامل لكن لا يصعب تجريد الحوادث التاريخية منهُ وهي ان تيمور راسل السلطان بايزيد وطلب منهُ ان يطرد السلطان احمد بن ادريس صاحب بغداد وقرا يوسف امير التركمان اللذين لجأا اليهِ. وكان ابن عرب شاه يسمي السلطان بايزيد في اول كتابهِ " بابي يزيد بن مراد بن ارخان حاكم ممالك الروم " ثم جعل يسميهِ بايزيد ولا ندري هل الاختلاف في التسمية من تحريف النسَّاخ او انهُ جمع كتابهُ من تعليقات كانت عندهُ فكناهُ بابي يزيد قبل ان دخل بلاد الروم حاسباً اسمهُ كنية ثم جعل يسميهِ باسمهِ الحقيقي بعد اقامتهِ في بلاد الروم

والظاهر مما اوردهُ ابن عرب شاه ان السلطان بايزيد كان يتمنى لقاء تيمور فان القاضي برهان الدين ابا العباس حاكم قيصرية وتوقات وسيواس كان قد مثَّل برسل تيمور وقطع رؤُوسهم وارسل بعضها الى الملك الظاهر ابي سعيد برقوق صاحب مصر والبعض الآخر الى السلطان بايزيد فاستحسن السلطان بايزيد هذا الفعل واستصوبهُ وارسل اليهِ يقول ان ارتدع تيمور عنهُ وانتهى والاَّ فلآتينهُ بجنود لا قبل لهُ بها. قال ابن عرب شاه واما الملك الظاهر فما رأيت لهُ كتاباً ولا حققت منهُ لهُ جواباً. والظاهر ان جواب الملك الظاهر ابي سعيد كان شقيق جواب السلطان الغازي ابي يزيد. ثم قال في وصف السلطان بايزيد وكان ابن عثمان عندهُ ابن رقاعة وشجاعة ولم يكن عندهُ صبر ساعة. مع انهُ كان من الملوك العادلين وعندهُ تقوى وصلابة في الدين وكان اذا تكلم وهو في صدر مكان فلا يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف الايوان و بواسطة عدلهِ ساعدهُ الزمان وقويت شوكتهُ في كل مكان فاستصفى ممالك قرمان وقتل ملكها السلطان علاء الدين وأسر لهُ عندهُ ولدان.. وصفا لهُ من حدود جبل بالقان من ممالك النصارى الى ممالك اذربجان. فاغتاظ من كتاب تيمور وكتب اليهِ الجواب يتحداهُ فيهِ ليجيء اليهِ فبادرهُ تيمور بجنودهِ. وقال ابن عربشاه ان تيمور لجأ الى الحيلة واستمال التتار الذين في جند السلطان بايزيد وكانوا هم صلب العسكر حتى قيل انهم كانوا نحوًا من ثلثيهِ " وكان مع ابن عثمان (اي السلطان بايزيد) من اولادهِ اكبرهم الامير سليمان فلما رأى ما فعلتهُ التتار علم انهُ حلَّ بابيهِ البوار فاخذ باقي العسكر وقهقر من ميدان المصاف وتأخر فلم يبقَ مع ابن عثمان الاَّ المشاة ومن داناهم وبعض من الكماة

وقليل ما هم ثبت للمجادلة بمن معهُ من الرفاق الى ان اخذ اسيرًا . وكانت هذه المعركة على نحو ميل من مدينة انقرة يوم الاربعاء في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة اربع وثمانمائة (٢٨ يوليو سنة ١٤٠٢) ووصل الامير سليمان الى برصى معقل بني عثمان فاحتاط على ما فيهِ من الخزائن والاموال والحريم والاولاد ونفائس الاثقال واشتغل بنقل ذلك الى بر ادرنه

ثم فصّل ابن عرب شاه كيف عامل تيمورلنك السلطان بايزيد اسيرهُ باللين تارة وبالعنف اخرى واكّد انهُ كان مع تيمور مكبَّلاً في قفص من حديد وانما فعل ذلك قصاصاً كما فعل قيصر مع شابور وكان قد استصحبهُ الى ما وراء النهر فتوفي معهُ في بلاد الروم في آق شهر في ربيع سنة ١٤٠٣ (اي سنة ٨٠٥ هـ)

والذين نجوا من اولاد السلطان بايزيد وهم سليمان وموسى ومحمد تنازعوا الملك مدة احدى عشرة سنة فاستقلت البلغار والصرب والفلاخ ولكن ممالك اوربا الكبيرة لم تغتنم تلك الفرصة السانحة لاخراج الاتراك من اوربا لانها كانت مشغولة بامر الانشقاق في الكنيسة بل تزلّف امراؤها الى السلطان سليمان حالما بويع الملك . ثم قُتل السلطان سليمان قرب ادرنه في اواسط سنة ١٤١٠ وهو منهزم من وجه اخيهِ موسى وتغلب محمد على موسى وقتلهُ قرب صوفيا وذلك سنة ١٤١٣ فتوسد الملك لهُ بعد ان حالف منوئيل امبراطور القسطنطينيةَ واستعان بهِ على محاربة اخيهِ موسى ورد اليهِ كثيرًا من الاماكن في مكدونية وتساليا وخفض المكوس عن بضائع البلدان المحالفة كالبندقية وجنوى ورودس وكان لهُ اخ اسمهُ مصطفى اختفى في المعركة التي اخذ فيها ابوهُ اسيرًا فظهر حينئذٍ وطالبهُ بالملك واغار على اقليم تساليا ثم هرب من وجه جنود اخيهِ واحتمى عند حاكم سلانيك وكانت قد اعيدت الى امبراطور الروم فاحتفظ بهِ وجعل لهُ اخوهُ راتباً سنويًّا

وتوفي السلطان محمد سنة ١٤٢١ (٨٢٤) وكان محبًّا للعلوم والعلماء وهو الذي قرَّب ابن عرب شاه فترجم لهُ كتاب جامع الحكايات من الفارسية الى التركية وسماهُ غياث الدين ابا الفتح بن عثمان كما تقدَّم . وخلفهُ ابنهُ السلطان مراد الثاني وكان شابًّا في الثامنة عشرة من عمرهِ فاطلق الامبراطور منوئيل عمهُ مصطفى لينازعهُ الملك فتغلَّب السلطان مراد عليهِ وامر بخنقهِ و بعث بالجنود الى بلاد اليونان بقيادة الوزير طرخان فقهر امراءها ووضع عليها الجزية . واصيب الامبراطور منوئيل بالفالج فاعتزل الملك لابنهِ يوحنا الثامن فعقد الصلح مع السلطان مراد ودفع اليهِ جزية بلاد المورة . واخذ السلطان مراد مدينة سالونيك واستعان الامبراطور يوحنا بالبابا فاهتم البابا بضم الكنيسة الشرقية الى الكنيسة الغربية والاستعانة

بملوك اوربا كلهم على اخراج الاتراك منها الاَّ ان كهنة الكنيسة الشرقية ابوا ذلك هم وعامة الشعب الارثوذكسي ولم يجب نداء البابا الاَّ اهالي بولونيا والفلاخ والمجار فجيش ملك بولونيا الجيوش وتغلب على جنود الاتراك في نيش ووصل الى صوفيا وثار الالبانيون بقيادة اسكندر بك لكن ملك المجار عقد هدنة مع السلطان مراد الى مدة عشر سنوات وبموجب هذه المدنة اخذت المجار الفلاخ وبقيت البلغار للاتراك وُردت السرب الى ملكها جورج براكوفيك وجعل الدانيوب حدًّا فاصلاً بين الاتراك والمجار . ثم نقض المجار شروط المدنة فحاربهم السلطان مراد وفاز عليهم فوزًا مبينًا في واقعة وارنه وقتل ملكهم ولدسلو فخاف الامبراطور يوحنا وترضَّاهُ بالهدايا وخاف البنادقة على تجارتهم فعقدوا معهُ شروط الصلح فوجَّه عنايتهُ الى تدويخ مدن اليونان ففتحها عنوةً واسر منها ستين الفًا . وتوفي الامبراطور يوحنا الثامن في اكتوبر سنة ١٤٤٨ وخلفهُ ابنهُ قسطنطين الحادي عشر وهو الاخير من ملوك الروم وكانت مملكتهُ قد صارت محدودة بقصرهِ وما يجاورهُ

ولم يكن فوز السلطان مراد في اسيا باقل من فوزهِ في اوربا فاسترد الامارات التي اعاد تيمورلنك استقلالها اليها وتخلى عن الملك مدة ثم عاد اليهِ وتوفي في الخامس من فبراير سنة ١٤٥١ وخلفهُ ابنهُ السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية

الانسان ظهير اعدائهِ

عدوان للمرء نارٌ وماءٌ وضدان هذي الثرى والسماءْ
اذا ساءهُ كونهُ في الظلام فما سرهُ يا هذيم الضياءْ
لقد ملئَ الكون بالمزعجات وهل قطُّ في الكون يُلفى خلاءْ

خُلقتَ ولوعًا يحب البقاء وساق الفناء اليك البقاءْ
اغطى البصيرة منك العمى متى عنك يكشف ذاك الغطاءْ
تقلبت لكن بحجر الخطوب وما انت في الكون الاَّ هباءْ
علمتَ وعلمك جهلٌ وجهلك داءٌ ومن ذين كان البلاءْ
ومن كان من نفسهِ داؤُهُ فقد عزَّ يومًا عليهِ الدواءْ

وهبهُ اطاعك هذا (البخار) والقى اليك القيادَ (الهواءْ)

واولاك ما تبتغيهِ (الاثير) واعطتك اسرارها (الكهرباء)
فسيّرت (سيارةً) في الهواء وما إنْ لفكر اليها ارتقاء
تراها وقد علقت بالريا حِ والريح ان هبَّ فيهِ رخاء
تطير باجنحةٍ عندها تناهى النهى وتناهى العلاء
تضيق النفوس على وسعها بها مثلما ضاق فيها الفضاء
تُريك الغمامة مرجوّةً ويعطوك الياسَ ذاك الرجاء
أفي ذا شفاءٌ لما في الصدور وهل للنهى عند هذا انتهاء

اصمّ نداؤك سمع الكيان وقد اسمع الصم ذاك النداء
وانطقت في الكون هذا (الجماد) فأطرب منهُ الزمانَ الغناء
اذا ما ارتمت في مرامي الغيوب عقول نفيك لهنَّ ارتقاء
اراك (التمدن) في جوّهِ نجوماً ضياها القنا والسِراء
اتدفع داءك في دائهِ وداء التمدن داءٌ عياء

هو العلم (اكسير) هذي الحياة وما غير اسرارهِ (كيمياء)
طويت قروناً واسرارها يُحجّبها عن نهاك الخفاء
ولعتَ زماناً باكسيرها أأكسيرها لك هذي الدماء
لموتَ زماناً بشرب الدماء فهل ترتوي بالدماء الظماء

تود الهلالَ حساماً اذا بدا ولهُ في السماء انحناء
وتطمع ان تجعل الشهب يوماً (كرات) اذا جدَّ فينا الفناء
اذا امتحتَ يوماً دماء الرجال فما لك غير المواضي دِلاء
وان رُمتَ ارشيةً للدلاء فما غير سمر العوالي رشاء
وخير حديث حديث الحروب لديك وما جرَّ فينا العداء

تضيءُ الجاهل في حكمةٍ ومجهل نفسك لا يستضاء
وتروى بغيث الفنون الموات وانفسنا ما لهنَّ ارتواء
امورٌ يشبنَ قرونَ القرون ويسودُّ منهنَّ هذا الضياء
امورٌ تركن بوجه الزمان ندوباً فقلّص ذاك البهاء
امورٌ فكم عاد ذو اللب منها وللفكر منهُ بهنَّ التواء

أللارض خصب بمحل الجسوم	ومن دم تلك الجسوم استقاء
حنانيك رفقاً بهذي الرؤوس	فما هي للعلم الاَّ وعاء
اتجعلها مرتعاً للسيوف	كأن الطلى للواهي كلاء
وتركز صم القنا في القلوب	ومنها الحنان ومنها الاخاء
اذا اوردتنا الفناء العقولُ	على سرب تلك العقول العفاء
وان اخلقت ثوب هذي الحياة	فماذا يُفيد الحياة الرفاء
فكم جرَّ فينا القنا مقنباً	وما ردَّ عنَّا الفناء القضاء
حياةٌ ولكنها شعلة	فلا يعرُها من يديك انطفاء
ستسرع فينا دواعي الدثور	ويذهب ذاك البها والرواء
ونمسي رفاتاً ببطن الفلاة	ولم تبكنا ارضنا والسماء

النبطيه — سورية سليمان ظاهر

باب الرياضيات

ابسط مبادئ الرياضيات (١)

المسائل الرياضيَّة عبءُ الاذهان وغول الزمان ولذَّة ادراكها خير اللذَّات مع انها نتاج الآلام والأنَّات واني ممَّن قُسم لي ان أُولَع بابكارها وأُسجَن دهرًا في دارها · وشغلت وقتاً طويلاً بتدريسها والفتُ وحشها وانيسها · فوجدتها من خير مميزات الاذهان والحاملات على بغض التقليد وحبِّ البرهان واقوى المعينات على علم الميزان (وهو علم المنطق) · ولكن رأيتها تصعب على اكثر الطلاَّب وتدقُّ عن ادراك اقوى الالباب وتضلُّ فيها عن الابواب لتشعب العقاب وكثرة الشعاب · فبذلت الجهد في البحث عن اصول دقائقها الى ان يسَّر الله الوصول الى حقائقها

ان كل المسائل الرياضيَّة في المقادير الصحيحة المنطقة مبنيَّة على ثلاث سلاسل

(١) وردت الينا هذه الرسالة من حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ ابرهيم افندي الحوراني نزيل القاهرة فنشرناها افادة لطلاَّب العلوم الرياضية

الاولى سلسلة الاعداد الطبيعيَّة وهي

١ ٢ ٣ ٤ ٥ الخ

والثانية سلسلة الاعداد الوترية وهي

١ ٣ ٥ ٧ ٩ الخ

والثالثة سلسلة المثلثات وهي

١ ٣ ٦ ١٠ ١٥ الخ . وهي تنشأ عن جمع حلقات السلسلة الطبيعية على هذه الصورة

٠+١ ١+٢ ١+٢+٣ ١+٢+٣+٤ الخ

ولهذه السلاسل خواص كثيرة لا محلّ لها في مثل هذه المقالة الوجيزة فاقتصر على ذكر ما الحاجة اليهِ في بيان المراد

من خواص السلسلة الاولى ان مجموع حلقاتها يعدل نصف مربع عدد الحلقات والحلقات فاذا فرضنا عدد الحلقات ع كان المجموع $\frac{ع^٢+ع}{٢}$. فان كانت الحلقات عشراً كان المجموع ٥٥

اي $\frac{١٠^٢+١٠}{٢}$

ومن خواص الثانية ان مجموع حلقاتها يعدل مربع عدد الحلقات فاذا كانت الحلقات ١٠ كان مجموعها ١٠٠ . وهذه السلسلة اسّ المربعات فاذا كان $ك^٢$ = ٢٥ كانت ك = ٥ اي عدد الحلقات التي هي ١ ٣ ٥ ٧ ٩

ومن خواصّ السلسلة الثالثة ما يأتي

(١) ان مربع عدد الحلقات يعدل مجموع الحلقتين الاخيرتين مثالهُ السلسلة ١ ٣ ٦ ١٠ ١٥ حلقاتها خمس ومربعها ٢٥ = ١٠ + ١٥

(٢) ان مجموع حلقاتها يعدل سدس فضلة مكعب مجموع عدد الحلقات وواحدٍ ومجموع عدد الحلقات وواحد فاذا كان عدد الحلقات ع كان المجموع $\frac{(ع+١)^٣-(ع+١)}{٦}$ =

$\frac{ع^٣+٣ع^٢+٢ع}{٦}$

مثالهُ ١ ٣ ٦ ١٠ = ٢٠ او $\frac{٤^٣+٣\times٤^٢+٢\times٤}{٦}$

دخول السلاسل المذكورة في المربعات

من دخول تلك السلاسل في المربعات دخولها في تحصيل عددين مربعين مُنْطَقَين يعدل مربعَ عددٍ مُنطقًا ولذلك نظامان كما ترى في الجدول الآتي وقد عبّرتُ عن الاولين بالساقين وعن الثالث بالوتر والعلّة ظاهرة

النظام الاول			النظام الثاني		
الساق الصغرى	الكبرى	الوتر	الصغرى	الكبرى	الوتر
٣	٤ × ١	٥	٤ × ٢	٥ × ٣	١٧
٥	٤ × ٣	١٣	٤ × ٣	٧ × ٥	٣٧
٧	٤ × ٦	٢٥	٤ × ٤	٩ × ٧	٦٥
٩	٤ × ١٠	٤١	٤ × ٥	١١ × ٩	١٠١
١١	٤ × ١٥	٦١	٤ × ٦	١٣ × ١١	١٤٥

في النظام الاول سطر الساق الصغرى العموديّ سلسلة الاعداد الوترية على التوالي وسطر الساق الكبرى العموديّ مضاريب حلقات سلسلة المثلثات في ٤ والاوتار كلها وترية والفرق بين الوتر وساقها الكبرى واحد · وتختلف هذه النسبة بضرب الاعداد الثلاثة في عدد واحدٍ من الاثنين فما فوق

وفي النظام الثاني كلٌّ من الساق الكبرى والوتر عدد فردٌ وكل من اعداد الصغرى زوج والوتر فردٌ والفضل بينهُ وبين الساق الكبرى ٢ وتتغير هذه النسبة في الضرب كما ذُكر

دخول سلسلة المثلثات في المكعبات

ان سلسلة المثلثات اسّ المكعب مثالهُ

$ك^٣ = ٦٤$ الحلّ

$$\left.\begin{array}{l} ١ + ٦ × ٠ = ١ \\ ١ + ٦ × ١ = ٧ \\ ١ + ٦ × ٣ = ١٩ \\ ١ + ٦ × ٦ = ٣٧ \end{array}\right\} = ٦٤$$

فقيمة ك = ٤ وهي عدد الصفوف

مثال آخر

$٨ ك^٣ = ٢١٦$ الحلّ

$$\left.\begin{array}{r} ٨+٨\times٦\times٠=٨ \\ ٨+٨\times٦\times١=٥٦ \\ ٨+٨\times٦\times٣=١٥٢ \end{array}\right\}=٢١٦ .\ ك=٣ \text{ عدد الصفوف}$$

مثال آخر

$ك^٣ - ك = ٢٤$ الحل

$$\left.\begin{array}{r} ١-١+٦\times٠=٠ \\ ١-١+٦\times١=٦ \\ ١-١+٦\times٣=١٨ \end{array}\right\}=٢٤ .\ ك=٣ \text{ عدد الصفوف}$$

فرع فضلة مكعب عدد صحيح وجذره الكعبي تقسم على ٦ بلا باقٍ

مثال آخر

$ك^٣+٣ك^٢+ك=٥٧$ او $ك+٣ك^٢+ك^٣=٥٧$ الحل

$$\left.\begin{array}{r} ١+٣\times١+١+٦\times٠=٥ \\ ١+٣\times٣+١+٦\times١=١٧ \\ ١+٣\times٥+١+٦\times٣=٣٥ \end{array}\right\}=٥٧ .\ ك=٣$$

ولك ان تخرج ٣ $ك^٢$ من العبارة بفرض ك = ي — ١ فتصير المعادلة $ي^٣-٢ي=٥٦$ وبالحل ي = ٤ وك = ٣

اذا كان المعلوم عدداً كبيراً طال العمل فيمكن تصغير المعلوم بفرض المجهول حرفاً آخر مع عدد معلوم كما تقتضي النباهة

$ك^٣+ك=\frac{٥}{٨}$ افرض $ك=\frac{١}{٢}ي$ فتصير المعادلة $\frac{١}{٨}ي^٣+\frac{١}{٢}ي=\frac{٥}{٨}$ او $ي^٣+٤ي=٥$ ي = ١ ك = ٢

$ك^٣-ك=١$ هذه المعادلة لا تحلّ في الطريق المذكورة لانها جذر عدد أصمّ فانما تحلّ بالطرق الموضوعة لها ولامثالها ولا موضع لذكرها هنا

دخول السلسلة الوترية وسلسلة المثلثات في الجيوب

اذا ضربت جيب درجة واحدة في ٢ كان لك جيب درجتين و٠٠٠٠٥٣ ، اي الفضل بين جيب ضعفي درجة واحدة وجيب الدرجتين ذلك الكسر ثم بضرب الدرجة في ٣ و٤ و٥ الخ واخذ الفضلة كان لك سلسلة الفضلات

٥٣ ٢١٢ ٥٣١ ١٠٦٣ ١٨٦٠ الخ هذا اذا اخذت القيمة الى المنزلة السابعة

من الكسر واذا اردت اخذها الى المنزلة السادسة كانت سلسلة الفضلات

٥ ٢٠٠ ٥٢ ١٠٤ ١٨٤ الخ

حل" حلقات السلسلة الاولى

١ × ٥٣ ٤ × ٥٣ ١٠ × ٥٣ + ١ ٢٠ × ٥٣ + ٣

٣٥ × ٥٣ + ٥ ٥٦ × ٥٣ + ٧ الخ فترى مضاريب الحلقات مجاميع سلاسل من سلسلة المثلثات

١ ٤ ٢٠ ٢٠ ٣٥ ٥٦ الخ ولكن الفضلات تبتدئ من جيب درجتين ثم تتغير في ما فوق جيب الثانية عشرة لعلتين الاولى ان الجيوب في الجداول ليست المقادير التامّة والثانية انها جذور اعدادٍ صمّاء ما سوى جيب ٩٠ درجة وجيب ٣٠ درجة

قد علمت جمع سلسلة المثلثات فلنا بمقتضى ذلك ان جيب ع = ،٠١٧٤٥٢٤ ع — (٥٣ ع٣ — ٤١ ع — ٤٢) / ٦ وقيمة ع جيب اقل من ثانية الى جيب ١٢ درجة وبعض الدرجة الى المنزلة السادسة على ما هي في جداول الجيوب بلا فرق فاذا قيل ما جيب ٩ درجات فالجواب ٩ × ،٠١٧٤٥٢٤ — (٥٣ × ٩٣ — ٤١ × ٩ — ٤٢) / ٦ = ،١٥٦٤٣٤٥ وجيب ثانية على ذلك ،٠٠٠٠٠٤٨

وقد استنبطت مع هذه العبارة عبارة اخرى يستخرج بها جيب ١٣ درجة فما فوق الى ٢٩ و يستخرج بالمعادلتين جيب ثانية فما فوق الى جيب ٨٩ درجة وكسر وجيب ٩٠ معلوم انهُ واحد . فان جيب ثلاثة امثال قوس يعدل الفضل بين ثلاثة امثال جيبهِ واربعة امثال مكعب ذلك الجيب كما برهنت ذلك بالهندسة . فاذا فرضنا جيب قوس ع كان جيب ثلاثة امثاله ٣ ع — ٤ ع٣ مثالهُ نريد جيب ٣٦ درجة فنستخرج جيب ١٢ درجة بالمعادلة فيكون ،٢٠٧٩١١ ثم ٣ × ،٢٠٧٩١١ — ٤ (،٢٠٧٩١١)٣ = ،٥٨٧٧٨٥

فائدة ان ضلع المخمس وتر ٧٢ درجة فهو ٢ × ،٥٨٧٧٨٥ = ١،١٧٥٥٧٠ وعلى هذا يمكنك ان تستخرج اضلاع كل الاشكال القياسية بان تأخذ جيب نصف درجات القوس وتضاعفها

واما المعادلة الثانية فهي

$$ج ع = ٫٠١٧٤٥٢ ع - \frac{٥ ع^{٣} + ١٢ ع^{٢} - ١٧٣ ع + ٧٨٦}{٦}$$

ولا يرهبك تكعيب الجيب فانهُ سهل لتعيين المنازل ستة بالطريق المختصرة المشهورة في فن الحساب فارجع اليها

وسننشر ان شاء الله في هذه المجلة طريق رسم الاشكال القياسية كلها وقيمتها العددية بلا تكعيب والله ولي الامر والتدبير ابرهيم الحوراني

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

عظمة الامهات

عثرت على مقالة القاها المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة السابق في مؤتمر الامهات لاول مرت عقد في القصر الابيض فآثرت تعريبها لقراء المقتطف الكرام قال الخطيب

"حضرت جمعيات كثيرة التأمت في هذا القصر كانت مؤلفة من افاضل الرجال وكرائم السيدات وكلها ترمي الى غاية واحدة هي نفع الامة والبلاد والحث على ترقية الهيئة الاجتماعيَّة واصلاح فاسدها . على انني لم انشرح بواحدة منها انشراحي بهذا المؤتمر الحميد المسمى فاني اعدهُ في طليعة جمعيات الاصلاح بل افضلهُ على حوب الحرية كيف لا والام "الام وحدها" خير عضو نافع في المجتمع الانساني بل هي افضل من الجندي الذي يدافع عن وطنهِ . ان مقام الام الفاضلة التي تربي بنيها ليكونوا رجال الجيل القادم وامهاتهِ اعظم شأنًا من مقام الرجل العظيم بل هو اسمى مقام في الهيئة الاجتماعية

وغني عن البيان ان المرء لاينال شيئًا لهُ قيمة في هذه الحياة الاَّ بالجد والتعب فالمسرات التي تنشأ عن الانهماك في الملاذ لا تعد شيئًا مذكورًا في جانب الجزاء العظيم الذي تنالهُ

المرأة على انكارها نفسها واتعابها وآلامها في الولادة وعنائها الكثير المملّ في تربية البنين وتهذيبهم التهذيب الصحيح

لا تكون مشروعات التعليم سديدة ولا الجمعية العلميّة والادبيّة نافعة ما لم تؤسس على الاعتراف بوجوب تربية البنات تربية تجعلهنّ يدركن ما لدور الامومة من الاهمية العظيمة والقيمة الكبرى

فان لم يكن النساء وهنّ زوجات وامهات عالمات بواجبات الام وان لم يلدن عددًا كافيًا من الاولاد يضمن ازدياد الجنس البشري وعدم تناقصهِ وان لم يربّ هؤلاء الاولاد تربية جيدة تخرجهنّ الى العالم اصحاء العقول والاجسام قويمي المبادىء فلا تؤمل ترقية العقول ولا النجاح المادي ولا النمو في العلوم والفنون والصنائع نموًا يقي النوع الانساني من الدمار والانقراض

الام حلقة عظيمة في سلسلة الحياة الوطنية وهي اعظم شأنًا واهم عملاً من الرجل السياسي المدرب ومن مدير الاعمال العظيمة والاستاذ في الفنون والعلوم

اني اكره الرجل الذي يعامل المرأة معاملة قاسية. معاملة تشتم منها قلة المبالاة والاهتمام معاملة تشف عن حب الذات ولا سيما اذا كانت المرأة التي يعاملها هي من اهل بيتهِ اوشريكة حياتهِ . ان آلام الولادة تكفي لان تجعل كل الرجال مدينين للنساء

حقير هو الرجل الذي لا يميز عمل المرأة المحفوف بالمشقات والمصاعب . الرجل الذي لا يدرك ما تفعلهُ الام التي تلد الاطفال وتربيهم . تلك الام التي لا تنام ليلة كاملة (ما دام اولادها صغارًا) وهي مستريحة

نعم اني اكره وازدري الرجل الذي لا يعترف بشكرهِ للمرأة التي تقوم بواجباتها كما انني احط من قدر المرأة التي تنفر من اتمام واجباتها الزوجية . هذه المرأة يجب ان تنبذ من الهيئة الاجتماعية ويقضى عليها كما يقضى على الجندي الذي يهمل واجباتهِ ويظهر عليهِ الجبن في موقف القتال

فكما نجل رجل الحرب الباسل الذي يقوم بخدم جليلة للحكومة والوطن يجب علينا ان نجل المرأة الفاضلة التي تقوم بواجباتها القيام التام

على ان المرأة التي تقصر عن اتمام ما عليها من الواجبات كزوجة وام سواء كان تقصيرها عن جبن او محبة الذات او الافكار الرديئة تستحق السخط والاحتقار ومثلها مثل الرجل الذي

يؤثر فيهِ عاملٌ ما فيجبن عن القيام بما يفرضهُ عليهِ نظام الحرب في الدفاع عن البلاد والذود عن حياض الامة

فالاسباب التي تجعلنا نجل رجال السياسة الذين يسوسون الرعية والبلاد بحكمة واخلاص ونقدر ارباب الاعمال المجتهدين حق قدرهم ونجل الجنود البواسل الذين يخدمون بلادهم بكل جوارحهم ونمقت الذين يتهاملون ويتواكلون في عملهم ونزدري كل من يكون زوجاً غاشماً وابًا جاهلاً ومن لا يقوم بواجباتهِ نحو عائلتهِ وحكومتهِ ويتخاذل عن اداء وظيفتهِ العسكرية — هذه الاسباب هي التي تجعلنا ان نعجب بالمرأَة الفاضلة التي تنكر ذاتها لزوجها وبنيها وتكون بعيدة النظر في الامور متممة لجميع واجباتها فنرفعها ونمجدها وهي ايضاً التي تلجئنا ان لا نصبر على المرأَة التي تقصر في واجباتها" . انتهى

رحمة صرُّوف

كم يجب ان ننام

كم يجب ان ننام وكم يجب ان نأْكل وكم يجب ان نروّض اجسامنا . هذه المسائل جوهرية كلها ولكن لا يمكن تعيين كمية واحدة تصلح لكل احد على حدّ سوى . فمن السؤَال الثالث نقول روّض جسمك الى حد التعب ولا تتجاوزهُ . وعن الثاني كُلْ الى حد الشبع ولا تتجاوزهُ . واما عن الاول فلا دليل في الجسم يشعر بهِ حال الاكتفاء من النوم ولكن اختبار الناس في كل الازمنة والامكنة يدل على ان البالغ يحتاج الى نحو ثماني ساعات من النوم وان خير الاوقات لذلك الليل بين الساعة العاشرة مساء والسابعة صباحاً . وقد رأينا بالاختبار الطويل اننا اذا اخللنا بهذه القاعدة فنمنا اقل من ذلك كثيراً لم نستطع ان نعمل في النهار التالي قدر ما نعملهُ عادةً . ولكن اذا تيسر لنا ان ننام ولو بضع دقائق قبيل الظهر او بعيدهُ زال ما كنا نشعر بهِ من التعب كاننا نمنا نوماً كافياً في الليل الماضي غير ان ذلك لا يكفي اذا توالى السهر ليلة بعد اخرى

وقد سأَل المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية فئة من مشاهير بلادهِ عن مقدار الساعات التي ينامونها كل يوم او يحتاجون ان يناموها لكي تبقى قواهم العقلية على مضائها وعن الساعة التي يبتدئ نومهم فيها والساعة التي يستيقظون فيها والوسائل التي يستعملونها لدفع الارق وقسم الاجوبة بحسب ذلك ورتبها من حيث عدد الساعات في جدول اخترنا منهُ الاسماء المشهورة عند قراء المقتطف وهي

الاسم	العمل	العمر	ساعات النوم
السر روبرت بول	فلكي	٥٧	٨ الى ٩
السر راي لنكستر	عالم طبيعي	٦٢	٨ الى ٩
السر جون غورست	سياسي	٧٢	٨
فردرك هرسون	مؤلف	٧٦	٨
السر وليم هجنس	فلكي	٨٤	٨
بنامين كد	فيلسوف	٥٠	٨
السر اوليفرلدج	عالم طبيعي	٥٦	٨
ارل ميث	محسن	٨٣	٨
موكيرورين	سياسي	٨٠	٨
السر هنري رسكو	كيماوي	٧٥	٨
لورد افبري	طبيعي وسياسي	٧٣	٧
السر حيرام مكسم	مخترع	٦٨	٧
السر فردرك ترفس	جرّاح	٥٤	٧

ويلي ذلك اسماء الذين قالوا انهم ينامون ست ساعات او اقل واكثرهم ليسوا من المشاهير عندنا الاَّ السر هنري جنستن الرحالة الذي قال انهُ ينام من ٦ ساعات الى ٧ وهو في الخمسين من عمرهِ والسيدة الن تري الممثلة المشهورة وقد قالت انها تنام من ٤ ساعات الى خمس فقط والاستاذ السر وليم رمسي المؤرخ فقد قال انهُ ينام من ٣ ساعات الى اربع . وهول كاين الروائي فقد قال ان نومهُ غير منتظم . و يظهر من ذلك ان اكثر اصحاب الاشغال العقلية نومهم منتظم و ينام الواحد منهم ثماني ساعات في اليوم . وقد كتب اكثرهم انهم يقيلون دقائق قليلة كل يوم

اما من حيث الساعة التي يبتدئ النوم فيها فالاكثرون ينامون بين الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة ولكن الاوقات تختلف باختلاف الفصول والعمل فاذا كانوا في زمن العطلة فالغالب انهم ينامون باكرًا

وسألهم عن خير علاج يعالجون بهِ الارق فاجابوهُ اجوبة مختلفة قال واحد منهم وهو صحافي ولا ينام الاَّ اربع ساعات الى خمس انهُ يصاب بالارق اذا اصابهُ ما يشغل بالهُ وان

خير علاج للأرق ان يكون للانسان دخل كافٍ مستمر وان الارق لاصحاب الاشغال العقلية نعمة من الله لان قرائحهم تجود فيهِ

وقال هول كاين انهُ مصاب بالارق دائماً وقد استعمل كل علاج وُصف لمنعهِ فلم يستفد شيئاً فخير علاج لهُ تحمُّلهُ بالصبر

نقول ولقد كنا نستغرب من امر هذا الرجل سوءَ ظنهِ بالناس وغلوهُ في التحامل على الذين يتوهم فيهم عدم الاخلاص فعلمنا الآن سرّ ذلك وهو ضعف في الدماغ من قلة النوم اي من قصر المدة اللازمة لاراحتهِ وتغذيتهِ

ومن الاجوبة التي اظهر المستر ستد سرورهُ بها في معرض الغيظ جواب الجنرال ايان هملتن وهو " اقرأ مجلة المجلات " . والظاهر ان كثيرين يتخذون القراءة وسيلة لجلب النوم ومنع الارق وعندنا انها عادة غير حميدة . وسنعود الى اجوبتهم في فرصة اخرى

اللبن وعدم صلاحيتهِ للطعام

اخذ العلماء الآن يغضون من كرامة اللبن وينادون بضررهِ كطعام للبالغين لكثرة ما يقع وينمو فيهِ من الميكروبات . وهم لا ينكرون انهُ اصلح غذاء للطفل ولصغار الحيوانات اللبونة اذا رضعهُ الطفل من ثدي امهِ من غير ان يتعرَّض لنمو المكروبات فيهِ اما اذا تعرض لنموها فوقعت فيهِ ونمت فالغالب انهُ يبتليهم بالامراض حسب نوع الميكروبات التي تنمو فيهِ اما البالغون فمعدهم غير محتاجة اليهِ وهم لا يرضعونهُ رضاعةً حتى يكون خالياً من الشوائب بل يشربونهُ مما تحلبهُ الحلابات وهنَّ في الغالب قذرات وقلما يتركنهُ صرفاً بل يمزجنهُ بماء قذر . وعلى كل حال يضعنهُ في آنية لا تعرف النظافة . ورؤية بائعات اللبن تكفي لان تقزّ النفس من شربهِ ولولا العادة التي شاعت عندنا الآن وهي اغلاء اللبن قبل شربهِ لتفاقمت مضارهُ جداً . ولا عبرة باعتياد البدو على شرب اللبن الحليب فان معدهم وابدانهم تألف ما يقع فيهِ من الميكروبات من صغرهم فكأنها تُطعم بها كما يتطعم الانسان من الجدري فلا تعود تؤثر فيهم

ثم ان اللبن ليس من الاطعمة الضرورية للكبار لان الوفاً والوفاً من الناس يشبون ويشيخون من غير ان يعتمدوا عليهِ في طعامهم . ولا هو ضروري للاطفال اذا لم يكن في الامكان ان يرضعوهُ رضاعةً بل يمكن الاستغناء عنهُ بمستحلب اللوز والجوز والبندق وما اشبه او بعصير الاثمار ولاسيما في فصل الصيف حين يتعرض اللبن للفساد . اما اذا وجدت

المرضع السليمة الجسم فلبنها خير غذاء للطفل اذا رضعهُ من ثديها رضاعةً

والخيض او اللبن الذي نزعت زبدتهُ اقل غذاء من اللبن الصحيح الذي لم تنزع زبدتهُ فيجب ان لا يباع مثلهُ بثمن واحد . وقد وضعنا في الجدول التالي ما في اللبن وما يصنع منهُ من المواد المغذية ليظهر نسبة الغذاء في هذه المواد

	ماء	مواد نيتروجينية	سمن
الزبدة	١١	١	٨٥
الجبن الاميركاني	٣٢	٢٩	٣٦
« الفلمنكي	٣٥	٢٧	١٨
جبن نيوشتل	٥٠	١٩	٢٩
« روكفور	٣٤	٢٦	٣٠
« سويسرا	٣١	٢٨	٣٦
القشدة	٦٦	٣	٢٧
اللبن الرائب	٨٩	٤	٤
اللبن الحليب	٨٥	٤	٤
اللبن المخيض	٩١	٣	١

فيرى من ذلك ان الغذاء من الزبدة لا يكاد يكون شيئًا مذكورًا لولا ما فيها من السمن او المواد الدهنية وان الغذاء في الجبن اكثر كثيرًا من الغذاء في اللبن والقشدة

الفول السوداني والطعام

لقد احسن الذين سموا هذه البزور بالفول السوداني فانها من انواع الفول ولو نمت من الجذور تحت الارض لا من الجوز كما تسمَّى ببعض اللغات الاوربيَّة . والفول السوداني من اكثر المواد غذاء وزراعتهُ تجود في القطر المصري فيمكن ان يرخص ثمنهُ جدًّا وهو مغذٍّ مثل اللحم وارخص منهُ جدًّا فهو لحم الفقراء ويجب ان يحمَّص قليلاً قبل اكلهِ ولا يزاد تحميصهُ لئلاَّ يحترق دهنهُ . ثم يؤكل اداماً مع الخبز فان فيهِ ٥٠ في المئة دهنًا و٣٣ في المئة مواد نيتروجينيَّة . ويمكن عمل الزبدة منهُ بتحميصهِ قليلاً وسحقهِ او بسلقهِ وتحميصهِ واكلهِ مع الملح



الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٤) زراعة الشعير

يزرع الشعير في جميع انحاء القطر المصري من اصوان الى حدود البحر المتوسط وتختلف اوقات زراعتهِ باختلاف الاقاليم . فمن اصوان الى ادفو تزرع الجزُر الكبيرة والاراضي التي على ضفتي النيل في اواخر نوفمبر بعد جمع محصول الذرة فيسوّون الارض ويقسمونها الى مربّعات ويسقونها "بالشادوف" او بواسطة السواقي ويزرعون نصف اردب في كل فدان

وفي هذه الجهات يستخدم المزارعون لكل خمسة او ستة افدنة ثمانية رجال وثمانية صبيان يقومون بخدمة الارض في اثناء ثلاث زراعات مختلفة سنويًّا

وعندما يبلغ الزرع يحصدونهُ بالمناجل حصاد الحنطة التي تسقى بالآلات . ويدرسونهُ باستخدام الثيران تدوسهُ الى ان ينتثر الحب وتنكسر السوق فتصير تبنًا يستعملونهُ علفًا للبهائم

ومحصول الفدان ما بين اصوان واسنا من ٥ ارادب الى ٦ . وفي سني الخصب يبلغ ٨ ارادب او ٩ . وغلة التبن بنسبة حمل جمل لكل اردب شعير

ويختلف ثمن اردب الشعير من ٣ فرنكات الى ٦ . وثمن حمل الجمل تبنًا من غرش الى ثلاثة

وفي جهات اسنا يسقى بعض الاراضي المزروعة شعيرًا بالآلات وبعضها بالفيضان اما في سائر جهات الصعيد البحرية فلا يزرعون الشعير الَّا في الاراضي التي يغمرها الفيضان ويستثنى من ذلك مديرية الفيوم حيث لا تبقى مياه الفيضان على الارض الَّا زمنًا يسيرًا .

ويتوقف مقدار البذار (التقاوي) على حالة حرث الارض . فاذا زرعوها قبل الحرث يلقون في كل فدان ¾ اردب او اردبًا كاملاً من البذار اما اذا ما حرثوها قبل الزرع فيكفي لزرعها نصف هذا المقدار

ويبلغ المحصول من ٦ ارادب الى ١٠ تبعًا للخصب . وزراعة الشعير البياضي هذه تماثل زراعة الحنطة في حالاتها وما يلزم لها . فيقتضي لجمع مزروعات الفدان حينما تجف اربعة انفار اجرة كل منهم يوميًّا $\frac{1}{24}$ من الاردب

ومتوسط ثمن اردب الشعير في جرجا واسيوط نحو ٣ فرنكات وسعر الشعير عموماً في مصر نصف سعر الحنطة

اما في الوجه البحري فيروون الشعير كما يروون الحنطة ويزرعون من ½ الى ⅔ اردب في الفدان المماثل لفدان الصعيد. ويختلف محصول الفدان باختلاف الجهات. فهو ٣ ارادب فقط في جوار منوف و٧ ارادب في جهات طنطا. ويبلغ احياناً ٨ ارادب الى ١٠ في جهتي رشيد والمنصورة

ومتوسط غلة التبن نصف حمل جمل لكل اردب شعير

واكثر ما يستعمل الشعير عليقاً للخيل. وفي جهات الصعيد يدفعون منهُ الضرائب عيناً كالقمح وما تبقى يباع بعضهُ في اسواق القاهرة ويصدر البعض الآخر الى الخارج من مواني القصير ودمياط ورشيد

(٥) زراعة العدس والحمص والترمس

زراعة العدس قاصرة على الاراضي من ادفو الى الجيزة ومن ضمنها اراضي الفيوم. ولا يصلح لها الا الاراضي التي تروى ريًّا طبيعياً من الترع او النيل فلا يلزم لها كثير من العناء

وفي بعض الاحيان يحرثون الارض قبيل زرعها. اما اذا كان الري وافياً ولم تجف الارض حينما يأتي وقت الزرع فيكتفون بالقاء البذار فيها وهي بعدُ في حالة الوَحَل. فيبذرون من ⅓ الى ⅔ الاردب في الفدان. ويغطون التقاوي بحرث الارض او بان يمروا عليها قطعة من الخشب يجرها اربعة انفار او خمسة ويقيم الزرع في الارض نحواً من اربعة اشهر اي اقل من اقامة القمح بثلاثين يوماً او خمسة وثلاثين. ويحصدونهُ قلعاً بالايدي اذا زرع معهُ نبات آخر كما هي الحال في الصعيد او جزًّا بالمناجل اذا زُرع على حدة كما يفعل في الفيوم وضواحي القاهرة

ويستعمل تبن العدس علفاً للجمال والماعز وهو حمل جمل لكل فدان. ويباع الحمل منهُ من اربعة غروش الى خمسة

ومتوسط محصول العدس ما بين ٦ ارادب و٧ لكل فدان. وثمن الاردب ١٣ غرشاً في الصعيد ونحو ٢٠ غرشاً في القاهرة ومديريَّة الجيزة

واهم الاماكن لزراعة العدس اسيوط والمنيا. وجميع جهات الصعيد تدفع الضرائب عليهِ عيناً فيجتمع منهُ شيء كثير في مخازن مصر القديمة ومنها يرسل الى اسواق الوجه البحري ويصدَّر الى الخارج

الحمص — يزرع الحمص كالعدس في الاراضي التي يغمرها النيل ويعامل معاملتهُ قبل الزرع وبعده . ويزرعون من $\frac{١٤}{٢٤}$ الى $\frac{١٦}{٢٤}$ من الاردب في الفدان . ويبقى الزرع في الارض سبعة اشهر . ويستخدمون لدرس غلة الفدان اربعة انفار واربعة ثيران يدرسونهُ في يوم باجرة $\frac{٣}{٤}$ الاردب

ويختلف محصول الفدان في الصعيد حيث يزرع منهُ كمية وافرة من ٤ ارادب الى ٨ . ويتراوح ثمن الاردب بين ٧ غروش و ١٧ غرشاً ويستعمل الحمص طعاماً ويحمصون منهُ كمية غير قليلة في المدن الكبيرة مثل القاهرة ورشيد ودمياط وغيرها من مدن الوجه البحري ويأكلونهُ محمَّصاً

الترمس — ما ذكرناهُ عن زراعة الحمص ينطبق ايضاً على زراعة الترمس . غير ان "تقاوي" الفدان منهُ تبلغ من $\frac{١}{٢}$ الى $\frac{٣}{٤}$ الاردب تبعاً للكمية التي يزرعونها من حبهِ اما بذراً واما غرزاً في حفر يحفرونها باليد . ويحصدونهُ بعد خمسة اشهر من زرعهِ ويستخرجون حبوبهُ دقاً بالعصي . ويستعملون سوقهُ وقوداً ويعملون منها فحماً يستخدمونهُ في عمل البارود البلدي للمدافع

(٦) زراعة الفول

يزرعون الفول بكميات وافرة في اراضي جرجا واسيوط والمنيا التي تروى مباشرة فيبدأُون زرعهُ في اوائل نوفمبر بدون اعداد الارض بالحرث

ويلزم من اردب الى اردب و $\frac{٣}{٢٤}$ من "التقاوي" لكل فدان تبعاً لرطوبة الارض . وبعد الزرع تغطى الحبوب بان يجر على سطح الارض قطعة من خشب يستخدم لجرها خمسة انفار

ويمكث زرع الفول في الارض ثلاثة اشهر ونصف فيحصدونهُ في اواسط شهر فبراير . ويقتضي لدرس محصول الفدان بالنورج اربعة ثيران واربعة انفار يعملون يومين

وبعد دفع جميع النفقات عيناً يبقى من محصول الفدان ٧ ارادب وفي سني الجدب يهبط الى اردبين او ثلاثة . ويتراوح ثمن الاردب بين ٧ غروش و ٢٤ غرشاً . اما في الجهات التي يسهل تصديرهُ منها الى الخارج فيبلغ ٢٦ غرشاً

وتستخدم سوق الفول المدروسة بالنورج علفاً للجمال والثيران والمعزى . ويبلغ محصول الفدان منها نحو ٣ احمال جمل او ٤ يباع الحمل منها بنحو ستة غروش

اما اذا زرع الفول بعد حرث الارض كما هي الحال في بعض جهات الفيوم والوجه

البحري حيث زراعتهُ قليلة فعوضاً عن حصد الزرع بالمناجل يقلعونهُ بالايدي · ومحصول هذا من الزرع يزيد قليلاً عن غيرهِ

ولا تتجاوز زراعة الفول قوص جنوباً ولا سمنود شمالاً

ويصدر منهُ كميات كبيرة الى بلاد العرب من طريق القصير والى الشرق من موانئ البحر المتوسط ويرد الى اسواق القاهرة والمدن المهمة في الوجه البحري مقادير وافرة منهُ مما تتقاضاهُ الحكومة عيناً في الصعيد بدلاً من الاموال الاميرية

القطن في بربادوس

ذكرنا غير مرة ان الحكومة الانكليزية مهتمة بتنشيط زراعة القطن في جزائر الهند الغربية وقد وقفنا الآن على تقرير عن محصولهِ في بربادوس من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٠٧ وخلاصتهُ في الجدول التالي

السنة	الفدن	المحصول بالقنطار	الثمن بالجنيهات	متوسط ثمن القنطار ريالات	متوسط محصول الفدان ريالات
١٩٠٢	١٦	٥٥	٣١٨	٣٠	١٠٠
١٩٠٣	٨٠٠	١٩٠٠	١٣٤٤٣	٣٥	٨٢½
١٩٠٤	١٦٤٧	٣٤٤٢	٢٢٧٥٩	٣٣	٦٩
١٩٠٥	٢٠٠٠	٤٧٩٤	٣٢٩٩٦	٣٥	٨٢½
١٩٠٦	٥٠٠٠	٨٥٢٤	٧٩٨٧٦	٤٧	٨٠
١٩٠٧	٦٩٣٥	١٣٨٧٠	١١١٤٢٩	٤٠	٨٠½

ويرى من هذا الجدول ان زراعة القطن تزيد اتساعاً هناك سنة بعد سنة فقد كانت ١٦ فداناً فقط سنة ١٩٠٢ فبلغت ٦٩٣٥ فداناً سنة ١٩٠٧ . وظل متوسط محصول الفدان واحداً تقريباً اي نحو ثمانين ريالاً او ١٦ جنيهاً وهذا بمثابة ما لو كان محصول الفدان اربعة قناطير او خمسة والمحصول هناك اقل من ذلك ولكن سعرهُ اعلى من سعر قطننا ويكاد يماثل سعر قطن السي ايلند لانهُ نحو ثمانية جنيهات وعليهِ فمحصول الفدان نحو قنطارين فقط ولولا ارتفاع السعر ما وفى بنفقات زرعهِ وخدمتهِ · فما هو السبيل لاجادة نوع القطن المصري حتى يصير ثمن القنطار منهُ مثل ثمن هذا القطن

الواردات الزراعية والاقتصاد

لم يصدر تقرير الجمارك المصرية عن شهر دسمبر حتى الآن لكي نعلم منهُ حال السنة الماضية (١٩٠٨) بالتدقيق ولكن يظهر من تقريرها عن شهر نوفمبر ان الحال سيئة جدًّا لا لان قيمة الواردات زادت عمَّا كانت عليهِ في العام الماضي بل لان قيمة الصادرات نقصت نقصاً فاحشاً وقد بلغ هذا النقص في قيمة الصادر من القطن اكثر من ستة ملايين ونصف مليون من الجنيهات المصرية . ولا سبيل لنا لابطال النقص في قيمة الصادر الاَّ اذا تألفت شركة مالية كبيرة في البلاد احتكرت القطن المصري ورفعت سعرهُ . وهذا بعيد الاحتمال الآن ان لم يكن محالاً . واذا مرَّت على القطر المصري سنة اخرى مثل هذه السنة ولم تبذل الوسائل في تلافي الداء زادت الازمة المالية ضيقاً

ولا نرى لذلك علاجاً قريباً الاَّ بذل الجهد في تقليل النفقات وزيادة كمية الصادرات ويجب ان يكون هذا الامر شعار كل احد وايضاحاً لذلك نقول

(١) انهُ ورد على القطر المصري في الاحد عشر شهرًا الماضية من اللحم والجبن والزبدة وما اشبه ما ثمنهُ اكثر من مليون جنيه . وهذه كلها يمكن الاقتصاد فيها جدًّا حتى نستغني عن اكثرها او عن نصفها على الاقل

(٢) انهُ ورد في هذه المدة من الدقيق والحبوب والزيوت ما ثمنهُ اكثر من ثلاثة ملايين وثلث من الجنيهات . ونحو نصف ذلك ثمن دقيق وهذا لا يمكن الاستغناء عنهُ لانهُ لا يمكن ان يحرم الناس اكل الخبز. ولو كان موسم الحنطة والذرة كافياً ما جلب القطر دقيقاً من الخارج ولكن بعض هذه الواردات من الكماليات لا من الحاجيات كالاثمار والخضر الخضراء والمقددة وثمنها اكثر من نصف مليون جنيه والسمسم وثمنهُ نحو مئة الف جنيه ومواد اخرى نباتية وثمنها اكثر من مئة الف جنيه والجملة اكثر من ٧٠٠ الف جنيه يمكن الاستغناء عنها عند الضرورة

(٣) انهُ ورد من السكر والبن والشاي والمسكرات ما ثمنهُ اكثر من مليون جنيه . وبكل سهولة يمكن الاستغناء عن نصف ما ورد او ثلثيهِ فالذي يشرب عشرة فناجين قهوة في يومهِ يمكنهُ ان يكتفي بخمسة او بثلاثة والذي يحلي طعامهُ برطل من السكر يمكنهُ ان يحليهُ بنصف رطل والذي يأكل المسكرات يمكنهُ ان يبطل اكلها فيوفر على معدتهِ تعباً وعلى جيبهِ نفقةً ولا نبالغ اذا قلنا انهُ كان يمكننا ان نقتصد من هذا الباب ٧٠٠ الف جنيه

(٤) انهُ ورد على القطر من الخمور على انواعها والمياه المعدنية ما ثمنهُ ٤٣٠ الف جنيه وبعضها غير لازم مطلقاً ويمكن الاستغناء عنهُ تماماً وبعضها يسهل الاستغناء عن اكثره ويمكن الاقتصاد في هذا الباب بمبلغ ٣٠٠ الف جنيه

(٥) ورد من اثاث الخشب ما ثمنهُ اكثر من مئتي الف جنيه وقد ورد في العام الذي قبلهُ ما ثمنهُ اكثر من ثلثمئة الف جنيه فكما اقتصدنا في سنة مئة الف جنيه يمكننا ان نقتصد في سنة اخرى مئة الف جنيهٍ اخرى لاسيما وهذا الاثاث من الكماليات لا من الحاجيات

(٦) وورد من الرخام والجير والسمنت والخزف الصيني ما ثمنهُ ٣٥٠ الف جنيه ويمكن الاستغناء عن مئتي الف جنيه منها

(٧) وورد من الحرير والمنسوجات الحريريَّة ما ثمنهُ نحو ٣٣٠ الف جنيه ومن الدانتلات والثياب ونحوها ما ثمنهُ اكثر من ٦٦٠ الف جنيه والجملة مليون جنيه يمكن اقتصاد نصفها على الاقل

والجملة ثلاثة ملايين من الجنيهات يمكن توفيرها بسهولة ويضاف الى ذلك جانب كبير من ثمن التبغ الذي يرد الى هذا القطر وقد ورد منهُ في هذه المدة ما بلغ ثمنهُ نحو ٧٨٠ الف جنيه وعليهِ يبلغ المتوفر في سنة نحو اربعة ملايين من الجنيهات من غير ان تمس الحاجيات كالدقيق والفحم الحجري والمنسوجات القطنية ومن غير ان تمس المواد اللازمة لترقية البلاد كالخشب والآلات الجديدية ومركبات سكك الحديد وقاطراتها والورق على انواعهِ وآلات الكتابة والطباعة والمساحة ولا يتناول الاقتصاد الاَّ الكماليات التي يمكن الاستغناء عنها والمضرات بالصحة كالخمور والتبغ

الزراعة والضيق المالي

يظهر من النبذتين المتقدمتين انهُ اذا توفق زارعو القطن في هذا القطر الى زرع الانواع الغالية الثمن جدًّا كقطن السي ايلند وهو اصل القطن المصري يتضاعف ثمن محصول القطن من غير ان تتسع زراعتهُ او يزيد مقدارهُ فان متوسط ثمن القنطار من القطن الناتج من جزيرة بربادوس بلغ ثمانية جنيهات فلو بلغ متوسط ثمن القنطار من القطن المصري ثمانية جنيهات لبلغ ثمن محصول القطن المصري ٤٠ او ٥٠ مليوناً من الجنيهات . وهذا وحدهُ كافٍ لادرار الغنى الوافر على هذا القطر

ويرى منهما ايضاً ان محصول الحبوب كالقمح والشعير والذرة لم يكفِ حاجة القطر وقد ثبت بالامتحان ان السباخ الكيماوي او ما يقوم مقامهُ من تطعيم البذار بالميكروب النيتروجيني يزيد المحصول حتى يتضاعف فالسبيل الى زيادة محصول الحبوب ميسور لكل احد اذا اعتنى باستعماله . لذلك لا يزال الامل كبيراً ان اهل الزراعة يهتمون بتكثير محصولاتهم اما بتسميد اراضيهم بالسماد الكيماوي اذا تعذّر وجود السباخ البلدي الكافي او بالميكروبات التي تفيد زراعة الحبوب والقطاني . واذا تعذّر على الفلاحين جلب هذه الميكروبات فلا يتعذر على ادارة الزراعة والصناعة التي في نظارة المعارف ان تجلب مقداراً كبيراً منها وتوزعها على الفلاحين وترشدهم الى كيفيَّة استعمالها وهذا من اسهل الامور التي تطلب منها

المواشي وضعف الزراعة

لا شبهة في ان طاعون المواشي وغلاء العلف قد اضرَّا ضرراً كبيراً بمواشي القطر المصري ويقدّر بعض العارفين انهُ ينقص القطر الآن ٢٤٠ الف ماشية مما يلزم لخدمة زراعته والمواشي الباقية فيهِ اكثرها ضعيف جدًّا من قلّة العلف فلا يمكنها ان تقوم بخدمة الارض . وهذه حال لا يمكن تلافيها ولا اصلاحها الاَّ بالاكثار من الآلات البخارية لحرث الارض وعمل اكثر الاعمال التي تعمل على المواشي فعلى اصحاب الزراعات الكبيرة ان لا يتهاونوا في هذا الامر والاساءات العاقبة جدًّا . وعلى الحكومة المصرية ان تقتدي بالحكومة العثمانية حتى قبل اصلاحها وذلك باعفاء الآلات الزراعيَّة من رسوم الجمرك تنشيطاً للناس على جلبها والاعتماد عليها . وفائدتها ولا سيما آلات الحراثة منها تفوق الوصف فان الذين استعملوها مجمعون على ان الحرثة الواحدة بها بمثابة حرثتين او ثلاث على الثيران

القطن المصري

ظهر الآن ان الموسم الماضي اقل مما كان ينتظر فقد بلغ الوارد منهُ الى الاسكندريَّة حتى الخامس والعشرين من الشهر اقل من اربعة ملايين قنطار وقد كان في العام الذي قبلهُ اربعة ملايين و٦٧٤ الف قنطار ومع ذلك فالمتأخرات في الاسكندرية تزيد الآن عما كانت عليهِ في العام السابق ثلثمائة الف قنطار



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

فتح مصر في خلافة عُمَر

الى العالمين الفاضلين صاحبي المقتطف الزاهر

سلام من الله عليكم ورضوان وبعد فالمتواتر المشهور والشائع المأثور في كتب التواريخ العربية التي ظهرت قديماً وحديثاً ان العرب لما زحفوا على بيت المقدس وحاصروهُ في اخريات عام ٦٣٦ م الى اول عام ٦٣٧ م ثم رضي صوفرونيوس بتسليمهِ للامام عمر نفسهِ سأل عمرو بن العاص الامام عمر والحَّ عليهِ ان يجهزهُ بجيش فيفتح بهِ مصر وبيَّن لهُ مزايا هذا الفتح وفائدتهُ للمسلمين الى آخر ما هنالك . وقالوا ايضاً ان عمرًا لما الحَّ في الطلب جهزهُ عمر باربعة آلاف فارس من اشداء العرب وقال لهُ ما مؤداهُ ان مرَّ على بركة الله فان ادركك كتابي الذي سأرسلهُ اليك بعد مسيرك وقد جاوزت ارض مصر فسر على بركة الله واني ممدك وان وصلك ولم تكن وطأت شيئاً من ارضها فارجع عنها . ثم ان عمرًا تجهز وسار ثم وصلهُ الرسول بخطاب امير المؤمنين فلحذقهِ ودهائهِ لم يفضهُ الَّا في العريش في صلاة الصبح فقرأهُ على اصحابهِ وسألهم اين نحن فقالوا في ارض مصر فقال اذن نسير اليها طوعاً لكتاب امير المؤمنين واشارتهِ

الناظر الى هذه القصة التاريخية بعين المتأمل البصير الذي يسبر الامور بمسبار التفحص والتدقيق يستنتج نتيجتين (اولاهما) ان الشرط الذي اشترطهُ عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ على عمرو بن العاص شرط واهٍ كما لا يخفى وقد ابطلهُ عمرو بن العاص بعدم فضهِ الكتاب الى ان وصل ارض مصر . (ثانيتهما) كيف يمكن ان الامام عمر يأمر بحشد جيش كبير وتكليفهِ مشقة السفر مسافة طويلة ثم يستدعيهم راجعين قانعين من الغنيمة بالاياب . وكيف يكون

الحال اذا قضي الامر ونشبت حرب بين فرنسا والمانيا ثم جهز امبراطور الالمان قائدًا بعسكر جرار فوصل هذا الى الحدود الفرنسوية وكاد يتخطاها فامرهُ الامبراطور بالرجوع لغير سبب معقول. ومما يمكن ملاحظتهُ ايضًا ان عمرو بن العاص وصل الى العريش في العيد الكبير الموافق ١٢ دیسمبر سنة ٦٣٩ م على ما حققهُ المحققون ثم انهُ خرج بجيشهِ من عند عمر في بيت المقدس في اول سنة ٦٣٧ م كما تقدم فكأَن عسكرهُ قطع المسافة بين بيت المقدس والعريش في نحو ثلاث سنوات على ظهور الجياد العربية والابل السريعة . فكيف ذلك والمسافة قصيرة كما لا يخفى . والحقيقة ان عمرو بن العاص لم يذهب من فلسطين الى ارض مصر توًّا بل اشترك في فتح قيسارية بعد فتح بيت المقدس ثم عرض عمر بن الخطاب عليهِ فتح مصر ووافقهُ عليهِ وارسل لهُ خطابًا بذلك وهو في قيسارية على نحو ما رواهُ البلاذري المؤرخ العربي الذي عاش قبل ابن الاثير بزمن بعيد فسار في جناح الليل مستترًا . اما الخطاب الذي زعموا ان عمرًا قرأهُ على اصحابهِ في العريش بعد صلاة الصبح فمكذوب على عمر بن الخطاب (رضه) على ما يظهر

هذا ما عنَّ لنا ابداؤُهُ في هذا البيان التاريخي المختصر جئنا بهِ على صفحات المقتطف راجين ان نرى ما يقولهُ علماءُ التاريخ فيهِ ولهم الفضل

حسين لبيب

بالقسم العالي من مدرسة المعلمين

القاهرة في ١٦ دیسمبر سنة ١٩٠٨ الخديويَّة بمصر

تعليم الانشاء

سيدي صاحب المقتطف الاغر

تناولت العدد الثاني عشر فرأيت السؤالين اللذين تكرمتم بالاجابة عليهما . غير اني لم اقصد بسؤالي الاول ان استفهم عن طريقة تعلُّم الانشاء فان ذلك قد ورد جوابهُ على صفحات المقتطف غير مرة. انما اردت ان استشيركم عن افضل طريقة لتعليم هذا الفن للطلبة . فانني قد مارست تدريسهُ مدة طويلة جربت في اثنائها عدة كتب فلم ارَ بينها ما يناسب الحال تمامًا . وقد رأَيت كما ربما رأى غيري صعوبة تعليم هذا الفن خصوصًا في الصفوف الابتدائية ومن جملة تلك الصعوبات ان الكتابة العربية مهما كانت بسيطة لا تستغني عن الحركات الاعرابية . واتقان تركيب الجملة لا بدَّ لهُ من الالمام ببعض قواعد النحو الرئيسة . وبمناسبة ذلك اذكر لكم ما يخطر لي من هذا القبيل لتروا فيهِ رأيكم

بين ايدينا كتب انكليزية متناسقة لتعليم الانشاء الانكليزي تجمع بين القواعد اللغوية والاصطلاحات الكتابيَّة والاملاء ويتبع كل ذلك تمارين خاصة بكل من تلك الفروع يتخللها قصص تتدرج في الطول وحسن السبك وبلاغة التعبير . ويتبع ذلك دروس في مواضيع علمية وادبية ثم اصلاح اغلاط الى غير ذلك وقد استعملنا هذه الكتب فرأيناها وافية بالغرض وصار الطلبة امهر في الكتابة الانكليزية منهم في العربية

وعندي انهُ ان كان الانكليز قد رأوا انفسهم محتاجين الى تلك الطريقة فنحن احوج منهم اليها بل هي مما لا يمكننا الاستغناء عنهُ للصعوبات اللغوية المذكورة — وعليهِ التمس منكم ان تقترحوا على القراء انتقاد هذه الطريقة حتى اذا رأوا انها مناسبة يتحفنا احد الادباء او المدرسين بكتاب في الانشاء على هذا الاسلوب مؤلف من عدة حلقات تكون كل حلقة منهُ موافقة لسنة من سني الطالب ولا يخفى ما في ذلك من التسهيل على المعلم والتلميذ

هذا رأيي اعرضهُ على علمكم الواسع واختباركم الطويل فان كان لكم طريقة افضل فارجو ان تكرموا بالاشارة عليَّ بها وتدلوني على افضل الكتب التي يعول عليها

القدس الشريف توفيق زريق

[المقتطف] نشرنا رأيكم واقتراحكم ليرى القراء رأيهم فيهما . ولا يخفى ان التفوّق في الانشاء من المزايا الطبيعيَّة كالتفوق في الغناء والتصوير فلا ينتظر ان ينبغ الجميع فيهِ على حدّ سوى ولو تعلموا وتدرَّبوا على طريقة واحدة وقد ينبغ فيهِ المرءُ من غير ان يُعلَّم ويدرَّب لكن ذلك لا ينفي فائدة التعليم والتدريب

كتاب في المنطق

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

نشرتم في العدد الماضي من المقتطف اسماء بعض كتب المنطق التي يحسن تعلُّمها وعندي نسخة خطية للدروس التي كان يلقيها علينا في المدرسة الكلية استاذنا الفاضل ابرهيم افندي الحوراني وهي من افضل ما وضع في هذا الفن لانها سهلة المأخذ وقريبة المنال وحسنة الترتيب والتنسيق وياحبذا لو كان حضرة الاستاذ يخل كتابهُ هذا للطبع او يسمح لبعض تلامذتهِ بطبعهِ الدكتور امين ابو خاطر

مقدمة الطبعة الثانية

من شرح بخنر على مذهب داروت

اخويَّ الفاضلين منشئي المقتطف

نقد شرح بخنر على مذهب داروت الذي ترجمتهُ وطبعتهُ منذ خمس وعشرين سنة· ورغب اليَّ كثيرون في اعادة طبعهِ فنقحتهُ وقدمت لهُ مقدمة مسهبة بعثت اليكما بالقسم الاول منها راجياً ان تنشراهُ ليطلع عليهِ قراء المقتطف شبلي شميل

كم انت متمسك بما نشأت عليهِ ؟ فانا كنت مثلك واكثر· وما استمساكك بهِ عن تروٍ في اول الامر لانك كنت صغيرًا لا تستطيع ان تقيم احكامًا لك من نفسك تستقرُّ عليها بل عن اعداد لك بالوراثة وانطباع فيك بالتربية وعليهِ الحديث " يولد الطفل على الفطرة وانما ابواهُ يهودانهِ او ينصرانهِ او يمجسانهِ "· فالتربية تجد الطفل على الفطرة ليناً غير قاسٍ فلا تجد صعوبةً في تكييفهِ فتؤثر فيهِ تأثير الطابع في الشمع وبالتكرار والاستمرار يستقيم المرء على المطبوع وينفر اذا حاولت تحويلهُ عنهُ كما يستقيم العود على اعوجاجهِ وينكسر اذا حاولت تقويمهُ وعليهِ المثل " العلم في الصغر كالنقش في الحجر " ثم ينتقل هذا التكييف في النسل بالوراثة فيولد الطفل وبهِ استعداد غريزي للميل مع هذا الانعطاف او ذاك

ثم لما كبرت وصرت قادرًا على التفكير والحكم بنفسك لم تفتكر غالباً لتمحيص ما نشأت عليهِ بل كنت دائماً تحاول تأييدهُ بكل قوى عقلك كلما سنحت لك الفرصة بحيث لم تكن في احكامك مستقلاً البتة عن فعل المؤثرات التي نشات عليها من التربية البيتية والمدرسيَّة والاجتماعيَّة ولهذا كان اكثر الناس غير مستقلين في احكامهم خاضعين فيها للمؤثرات السابقة المكسوبة والراسخة فيهم معها اتسعت دائرة معارفهم وسمت مداركهم ولا يشذُّ عن ذلك الأ النزر اليسير لاسباب خاصة تخف فيها عليهم وطأة هذه التربية واشد هؤلاء استقلالاً اذا سمت مداركهم قليلاً يرجعون في عواطفهم الى بديهاتهم فيناجي الكافر ايمانهُ ويقع المصلح الاجتماعي في خطاء النظام الذي يشكو منهُ حتى اذا فكر قليلاً انكر عملهُ هذا على نفسهِ· وهذا يدلك على ما للتربية الاصليَّة من السطوة على العواطف والعقول· وكثيرًا ما يتخذ ذلك اصحاب هذه المبادىء دليلاً على صحة مبادئهم ويقولون ان مثل هذا الانعطاف الذي يعبرون عنهُ بالوجدان ايضاً غريزي في الانسان فلو لم يكن صحيحاً لما كان كذلك· والحال ان ما نشاهدهُ في الطفل الذي لا يزال على الفطرة لا يؤيد هذا القول بل

ينافيهِ في اكثر الاحيان فما منا الاَّ من سمع من اطفال عند اول نطقهم اعتراضات معقولة ضد مبادئنا المقررة كثيرًا ما يتعوَّذ منها الجاهل و يبتسم لها العاقل ولكننا نصرفهم عنها بما لنا عليهم من السلطة حتى يقرُّوا اخيرًا على ما هو مقرَّر عندنا .

فالانسان في اكثر اعمالهِ وافكارهِ ليس ابن غرائزهِ بل صنع تربيتنا من المهد الى اللحد ولو ترك لغرائزهِ لكان في مجموعهِ ارقى منهُ اليوم بكثير ولكن كيف يتسنى لهُ ذلك ونحن بتربيتنا لهُ نشرع بقتل كل مميزاتهِ وهو طفل في البيت اولاً ثم في المدرسة حتى اذا خاض الاجتماع وبهِ بقية باقية تكفَّلت كتبنا الدينية والادبية واقاصيصنا الخيالية والخرافية ونظاماتنا الاجتماعية بالاجهاز عليها فيزول الانسان الطبيعي بالكلية ولا يبقى الاَّ الانسان المصنوع على خلاف الطبيعة

والحق يقال ان الشر الاكبر من التربية المدرسية لانها تربي الطبقة الراقية من الامة التي عليها المعول في تدبير شؤُون الاجتماع . فالتعليم في اكثر هذه المدارس حتى في ارقى المعمورة اليوم وخصوصاً التعليم الاعدادي قاتل لهذه المميزات فعوضاً عن ان تعد العقل وتمهدهُ لقبول زرع العلم على الاطلاق وتقوي فيهِ مزية الاستقلال في الاحكام تراها تشغل عقل الطفل منذ حداثتهِ وهو اللين من السمع طواعية وتعدهُ اعدادًا مخصوصاً لغاية مخصوصة فتنزع منهُ استقلالهُ وكل مميزاتهِ وهي بذلك تخدم مبدءًا معلوماً لا مطلق العلم فيشب الطفل في عقلهِ ضيّق الفكر قليل التسامح اعور افلج لا يبصر بعلمهِ الاَّ من جهة واحدة ولا يسير بهِ الاَّ في سبيل معلوم

ولا نقتصر على ذلك بل نعلّمهُ بجانب هذه المبادىء مبادىء العلوم الاخرى الحقيقية وهي منافضة لتلك ولكنها تحاول ان تطبقها عليها فتوسع مجال الاجتهاد وتزيد العقل ارتباكاً بما كان في غنى عنهُ لو اقتصر التعليم على العلوم الحقيقية وعلاقتها بالحياة العملية عوضاً عن هذا الاجتهاد العقيم في تطبيق المبادىء المتناقضة على حياة خياليَّة دينيَّة او ادبيَّة لا تتفق مع الواقع في شيء وتزيد الانسان شقاء في حياتهِ الاجتماعية فوق شقائهِ الطبيعي المحتوم . فالتعاليم الدينيَّة تفصل الانسان عن هذا العالم حتى لا يعود يعتدُّ بهِ وهو بالواقع لا يفصلهُ عنهُ شيء حتى ولا الموت . والحياة الادبية تصوّرهُ فوق حقيقتهِ بكثير كما نتخيَّل هي لا كما هو فتزيدهُ ضعفاً على ضعفهِ وتجعل حياتهُ تكلُّفاً ورياء . وهاتان الحياتان الخياليتان تصطدمان في الاجتماع بالحياة العملية التي لا يسع الانسان ان ينفك عنها طرفة عين فتتنازعهُ كل هذه العوامل المتناقضة وتمزّقهُ اي ممزّق وهو الخاسر في هذا التنازع . ولو بني دين الانسان على علاقتهِ

الحقيقيَّة بالطبيعة واقيمت آدابهُ على نواميس الاجتماع الطبيعي لكان في كل اعمالهِ متناسباً مع نفسهِ متوافقاً مع تعاليمهِ غير مضطرٍ ان يقاوم تعاليمهُ في كل خطوةٍ يخطوها كعقبات اقامها هو نفسهُ في سبيلهِ "وكم ذا يلاقي ان يشأ دكها عنيَ" ولاستغنى عن تلك الفلسفة النظريَّة المضلّلة المبنيَّة على الخيال واقام مقامها الفلسفة العملية المادية الى السبيل القويم المبنيَّة على العلم الحقيقي ولما كان بهِ من حاجة الى اقامة تلك العلوم التي هي اشبه شيء بهذيان المدَّعين الا وهي علوم الكلام على الاطلاق لتفسير ما لا يفسَّر وتأويل ما لا يؤوَّل وتطبيق ما لا يُطبَّق التي اضلَّت عقولاً كثيرة وغلَّت عن العمل ايدياً كثيرة فلم تنفع الاجتماع بشيء بل اضرَّتهُ اذ اضلَّتهُ واصبحت عالةً عليهِ وهي فوق ذلك اغتصبت مقاماً ممتازاً لما فيهِ حتى انطبق عليها مثل هذا القول

اذا شئت ان ترقى ذرى كل مقوَلٍ فاكثر بهِ من كل لاغٍ ومُهمَلِ
وحافظ على خلطٍ تقادم عهدهُ كأنك فيهِ بين ربّ ومُنزَلِ
وحدِّث بآلاء الكتاب وآيهِ وان انت لم تفهم ففسر وأوّلِ
ولو انت تأتي فيهِ كل غريبةٍ وتأنق في تأويلهِ كالمفضّلِ
فان كلام الله ما انت جاهلٌ وان كلام الفذِّ ما ليس ينجلي

ولقد حلَّ طيف هذا النهج في النظر على سائر اعمال الانسان و نظاماتهِ حتى علومهِ فصارت علوم اللغة مماحكات لا طائل تحتها لا كلاماً وضع للتعبير عن الفكر. والشعر اغراباً لا ابداعاً في وصف الحقائق . وعلوم الفقه سخافات يتنزَّل العقل فيها الى حد التبذل . والطب شعوذة لاستنزال الاسرار وتحويل الاقدار لا تعرُّف نواميس الطبيعة لتجديها . وعلوم القوانين لاهوتاً ثانياً لا يفهم . وعلم المحاماة مخرقة وتفنناً في المشاغبات لا دليلاً مرشداً الى الحق رادعاً للباطل. وصارت علوم الآداب والفلسفة المترتبة على ذلك كلهِ هياماً في الاوهام لا ضابط لها الاّ الخيال وعلى هذه المبادىء النخرة شاد الانسان بنيان نظاماتهِ الاجتماعية المتقلقلة التي طالما أنَّ الاجتماع منها حتى بلغ صراخهُ عنان السماء

وليس العجب من ان طائفة البداغوجيين يرفعون شأن هذه العلوم الى حدّ فائق ويطلقون عليها اسم الآداب العالية بل العجب من تهجم بعضهم على الحط من شأن العلوم الحقيقية بالنسبة اليها كما جاء في احدى خطب افتتاح الجامعة وجعلها سلماً يرتقي بهِ اليها ومصقلاً للعقول . نعم لو كان ينحى في تدريسها منحى الطبيعيين اي النظر الى نشوئها وتقلب الانسان في صوابهِ وخطائهِ فيها كما يفعل اليوم في الكلام على نشوء الكون لكانت

جملاً سلبياً ومصقلاً لصقل العقول واما وهي كما هي مخافات تاريخية كحكايات الغول والعنقاء وفلسفة خارقة العقول وآداب كزينة القبور المكلسة فهي سلّم واهي الدرجات متناخر القوائم ومقال كصقال المقدة التي لا تحلّ . ولو استقرينا تاريخ هذه الجامعات والغاية التي وضعت لاجلها في اولها وآثار هذه الغاية فيها حتى اليوم لما فُتنّا باقتباسنا نظاماً اوشك ان يتداعى في ارض منشإِه ولاعتضنا منهُ باقامة الكليات المنطبقة على احتياجات العصر والتي هي بالحصر سلّم الارتقاء الحقيقي

وضرر هذه التعاليم على الانسان وعلى الاجتماع واضحٌ من انها قائمة على تخرصات واوهام بعيدة جدًّا عن الحقائق الطبيعيَّة التي هي بالحقيقة المدرسة الاولى للانسان . ولو اقتصر العيب فيها على هذا الامر فقط لما كان الضرر كبيرًا جدًّا ولكان هذا الخطأ مما لا بدَّ منهُ لجهل الانسان علاقتهُ بالطبيعة في اول الامر لقلة تعرُّفهِ لها ولامكن لهُ الانتقال فيها من الخطاء الى الصواب شيئًا فشيئًا من غير عناء كلما زاد فيها اختبارًا . ولكنهُ لم يفعل فانهُ لم يقف امامها صامتًا يسألها ان تفتح عليهِ بما استغلق من امرارها بل لاسباب كثيرة اختلط الامر عليهِ فوقع في الشبهات وبنى على هذه الشبهات مذاهب وتعاليم كان المبدأ فيها خارجًا عن الطبيعة مستوليًا عليها وحاكمًا عليهِ ولكنهُ غير خاضع فيها لناموس الَّا ما شاءت الاقدار ثم استمسك بهذه المبادىء متقلبًا فيها معددًا وموحدًا ولم يتحوَّل عنها فاقامها عقبات حالت بينهُ وبين مجهولة تعرُّفهِ للعلاقة التي بينهُ وبين الطبيعة وما زال يتعثر فيها حتى اليوم ولن يزال كذلك زمانًا طويلاً ايضًا لشدة رسوخ هذه المبادىء فيهِ بتقادم العهد

وبقي الانسان يتقلب على هذه المبادىء ويتخبط فيها عصورًا متطاولة جدًّا ولم يتحول عنها قيد شبر في آدابهِ وعلومهِ ونظاماتهِ حتى عصور التمدن اليوناني فقد قام حينئذٍ فلاسفة بنوا فلسفتهم على الحدس الصادق لا على العلم الصحيح وصرحوا بعلاقة الانسان بالطبيعة علاقة شديدة . على ان الوحيد الذي قال بهذهِ العلاقة وبناها على العلم الطبيعي هو ابو الطب ابقراط فانهُ اول من صرّح بان اسباب الامراض طبيعية مع انها لذلك العهد كانت تعتبر الهية وتعالج في المعابد وهذا واضح من كتابهِ الاهوية والمياه والبلدان وكتابهُ هذا اعظم اثر وصلنا عن الاقدمين لا من حيث الكلام على علاقة الامراض بالطبيعة فقط بل من حيث كلامهُ ايضًا على تأثير الاقليم والغذاء والتربية في تكييف الاحياء . فابقراط اول واضع حجرًا على وجه علمي في اساس مذهب النشوء قبل لامرك وجفروى سنتيلير وداروين بزمان طويل . ومع ذلك فابقراط نفسهُ لم يستطع او لم يجسر في ذلك الوقت ان يجعل اسباب

الامراض كأنة طبيعية -بل فصل الامراض العصبية عنها كالصرع وجعلها تحت سلطان قوى فائقة الطبيعة وهذا يدلك على شدة تأثير التربية الاولى وسلطان التعاليم السابقة على العقول

على انهُ مهما بلغنا عن تمدن الاقدمين فان الاجتماع لم يرقَ بهِ كثيرًا رغمًا عن الدلائل التي يتخذها البعض حجة على هذا الارتقاء بسبب مبادىء التعاليم السالف ذكرها . وبالحصر فهذا الارتقاء لم يكن الاَّ في بعض الصنائع المتعلقة بالبناء والفنون الجميلة كاقامة الآثار الفخمة والتماثيل المتقنة وهي تدل دلالة واضحة على الضغط الشديد الى حد العبودية من جهة والسيادة المطلقة الى درجة التأله من جهة أُخرى . وشرائع الاجتماع في كل تلك العصور السابقة كانت مبنيَّة على هذا التقسيم والاجحاف بمصالح الجمهور . واني لا اتمنى لك تمدنًا كتمدن عصر سقراط ولا تمدن باني الاهرام ولا تمدن الرومان حتى ولا تمدن عصر العباسيين ولا تمدن الامم النصرانية بعد خروج الاسلام من الاندلس وقبل الثورة الفرنسوية والاَّ فاكون قد تمنيت لك ان تكون عبدًا ذليلاً لا تملك ادنى حرية لا في القول ولا في الفكر ولا في العمل ومع ذلك فكل هذه العصور قد امتازت بهذه الآثار البديعة التي لا تعادلها آثار بعدها . ويمكن الجزم بانهُ لا يمكن ان تعادلها آثار في المستقبل ولكنها بالحقيقة آثار لا قيمة لها في المنافع العموميَّة التي تعظم قيمتها وتعظم الاعمال التي تقام لها كلما ارتقى الاجتماع . فالوثنيَّة قد ابدعت في فن النقش لانها ارادت ان تقيم الاصنام لآلهتها فاقامت لها الهياكل الفخيمة ونصبت لها التماثيل البديعة . والنصرانيَّة اتقنت فن التصوير لانها ارادت ان تشخص وقائع دينها وصور قديسيها فتركت لنا من ذلك آثارًا لا تبارى . وما بناء الاهرام وبعلبك وتدمر وسواها من الآثار التي تعد من معجزات العصور السالفة الاَّ دليل ناطق على ما بلغ اليهِ البشر في تلك العصور من الذل والعبودية والتفاني في عبادة معبوداتهم والخضوع لملوكهم الذين رفعوهم درجات فوقهم حتى خلطوهم بالآلهة و باتوا بهم اذل من الحيوان

مصرُ هل انت غير ما هنَّ ان لنـ ـا شدادًا وان قسونا ركاكا
ذاك خلق من صنع فرعون لما شاد اهرامهـا تناغي السكاكا

وهي كلها بالحقيقة آثار تخدم اغراضًا خاصة ولا قيمة لها في المنافع العمومية

واذا كان التمدن الاسلامي لم يترك لنا شيئًا يعتد بهِ من مثل هذه الآثار فليس لان حال الانسان بهِ كان اصلح منهُ في الماضي خصوصًا بعد ان اوغل في الفتح واستتبت السيادة لهُ واستأثر سلاطينهُ بالسلطة واستبدوا بالرعايا بل لان الدين نفسهُ قام لنقض الوثنية وهدم الاصنام ونفي تعدد الآلهة فعبد الهًا واحدًا مجردًا لذاتهِ لا لصفاتهِ فلم يمثلهُ لئلا تعود العبادة

الى الاصنام · وقد تغالى بالامر لخطر نقش التماثيل الاعتيادية حتى الدمى ولولا الامم الاخرى لبادت بهِ صناعة التصوير بالقلم والحفر وهو مع ذلك لم يترك شيئًا عظيمًا من آثار المنافع العمومية التي تدل على صلاح حال الانسان في دنياه وارتقاء المجتمع · واعظم ما تركهُ آثار ادبية لخدمة الغاية الدينية وقد فاق بهذه الآثار جميع الامم التي تقدمتهُ

ولما كانت هذه مبادئ الانسان في حياتهِ كان كل منحاهُ في علومهِ ومعارفهِ وشرائعهِ وآدابهِ وسائر نظاماتهِ متجهًا الى هذه الغاية الادبية منصرفًا بها عن الحياة العملية ولم يجتهد في ان يتعرف ما حولهُ الا بالقدر الذي لم يكن لهُ غنى عنهُ بما يضمن لهُ الغذاء والكساء يتقي بهما ألم الجوع والبرد ولذلك ابطأ جدًا في تعرف اسرار الطبيعة وما لها من القوى وما بينها من الروابط للتصرف فيها والانتفاع بها فعرف كيف يروي الزرع ويستدر الضرع وينسج الكساء ويقيم البناء ويذلل الحيوان للنقل وقطع المفاوز بل عرف نواميس الضغط والخلل والثقل النوعي فبنى السدود ورفع الاثقال وركب البحار الخ · ولولا طمعهُ لما وضع اساس الكيمياء ولكنهُ لم يحاول ان يتعرف طبائع ما فيها من القوى ليصرفها الى غرضهِ فيقاوم الرياح بقوة البخار ويقرب الشاسع من الاقطار بقوة البرق ويأتي بها اعمالاً تكاد تكون في عداد العجائب لاعتبارهِ ان هذه القوى غريبة عنها

ولم يكن هذا الابطاء عن مجرد تذبذبٍ منهُ في الاهتداء اليها لشدة استغلاقها عليهِ مما هو ضروري في استكشاف كل أمر بل عن مجرد انصرافهِ عنها بما تقدم والدليل على ذلك ان النواميس التي اكتشفها والمنافع التي اهتدى اليها والمار ذكرها يصح ان يقال انهُ عرفها منذ اول الامر اي منذ اليوم الذي دخل فيهِ في طور الانسانية ولكنهُ بقي واقفًا بها حتى اليوم · خذ الاضاءة مثلاً فان السراج الذي نعرفهُ منذ اربعين سنة هو نفس السراج الذي كان مستعملاً منذ اربعة او خمسة آلاف سنة المكتشف في خرائب مصر ليس في الزيت الذي يضيء بهِ بل في نفس شكلهِ حتى يمكن ان يقال انهُ هو هو الذي كان منذ خمسة عشر الف سنة ايضًا واكثر · ثم قابل ذلك بانواع الاضاءة المختلفة التي استجدت في الخمسين او الستين سنة وخصوصًا في العشرين سنة الاخيرة اي بعد انصراف عقل الانسان الى درس الطبيعة وتعرُّف قواها وتخلصهِ شيئًا من ربقة تلك المبادىء التي كانت تصرفهُ عنها والطائفة في تعاليمهِ وسائر آرائهِ القديمة وقل لي بعد ذلك هل تلك العلوم العالية والآداب الرائعة كما يسمونها هي مرقاة يرقى بها او سلَّم يصعد عليهِ الى العلوم الحقيقية ام هي بالحقيقة عقبات في سبيلها

وكيف يصح ان ينسب ذلك لا الى الاسباب المذكورة بل لتعذرهِ على عقل الانسان

قبل هذا العهد لضعفهِ وقلة اختبارهِ وهو قد اظهر في العلوم الاخرى التي اضطر الى البحث فيها لضرورتها ولعدم حيلولة هذه المبادىء بينهُ وبين النظر فيها تفوقاً عجيباً اريد بذلك علم الاعداد والمساحات فقد تفوَّق في هذه العلوم الى درجة لم يبقَ بعدها من مزيد حتى يصح ان يقال ان العلوم الرياضية بلغتنا عن الاقدمين ناضجة بل محترقة لم يستطع المتأخرون ان يزيدوا عليها شيئاً يذكر . واما في العلوم الطبيعية فبقي واقفاً كالبلية رأسها في الولية لانصرافهِ عن النظر في قواها بالنظر في قوى ما فوق الطبيعة واكتفائهِ منها بالقليل الضروري كما تقدم

فالعلوم الطبيعية هي امُّ العلوم الحقيقية ويقتضي ان تكون ام العلوم البشرية كافةً وان تقدَّم على كل شيء وان تدخل في تعليم كل شيء فيصحُّ نظر الانسان حينئذٍ في لغاتهِ وينتظم قياسهُ في دليلهِ وتقوى فلسفتهُ بارتباطها وتعلو آدابهُ لانطباقها على العمل وتصلح شرائعهُ لتطبيقها على نظام الاجتماع الطبيعي ويتسع عقلهُ لانطلاقهِ من قيودهِ المتناقضة وتقيدهِ بنظام واحد شامل ذي اتساع لا يحدُّ وتصحُّ احكامهُ لتربيتها على القياس الصحيح ويسرع ارتقاؤهُ لانطباقهِ في سيرهِ بهِ على نواميس الكون

واذا علمت ان دائرة معارف الانسان الطبيعية لم تتسع بعض الشيء وان قوى الطبيعة لم ترتبط بعضها ببعض بعض الربط الاَّ في القرن الماضي ورأيت ارتقاء الانسان هذا السريع خصوصاً في الربع الاخير منهُ تبدَّت لك اهمية العلوم الطبيعية . ولكن من الاسف ان هذا الارتقاء الذي هو في بدئهِ والذي ينتظر منهُ شيء فوق احلام العقل في المستقبل وان كان قد عم الزراعة والتجارة والصناعة والطب ايضاً ان لم يكن من حيث شفاء الامراض فمن حيث طرق منعها الاَّ ان الانسان لم يستفد منهُ كثيراً حتى الآن في شرائعهِ وحكوماتهِ وان كانت الحروب قد قلَّت بهِ قلَّة تذكر وتقرَّرت بهِ سيادة الامم واخذ الملوك يهبطون من سماء أَولمبهم الى محاذاة البشر فما ذلك الاَّ لصعوبة ازالة الاثر العالق بها من تلك التعاليم الراسخة فيها مدى كل تلك الاجيال المتطاولة والتي ما زالت الحكومات تؤيدها وتنشئ لها المعاهد وتقيم لها الجامعات التي يتغنَّى بها بعض الشعوب حتى اليوم والتي لا يزول ضررها الاَّ بانقراضها ولكنها ستنقرض وستنقرض معها كل تلك العلوم العالية كما يسمونها اليوم حتى يعفو اثرها وهي من يوم خطا الانسان الخطى الصائبة في علوم الطبيعة في احتضار سيجهز عليها . وكل سنة الآن في هذا السبيل بمقام قرون في الماضي

وكأَنَّ الاجتماع لا يصلح صلاحاً تاماً يتكفل بعفاء اثر تلك التعاليم الاَّ اذا توحَّدت اللغات وتوحَّدت الامم وهذا ايضاً لا بدَّ منهُ والسبيل اليهِ لم يعد بالممتنع اليوم ونهوض امم

المشرق من سباتها دليل عليهِ . انظر الى اليابان كيف ان نور العلم الطبيعي امتدَّ اليها ونهض بها الى اوج الامم الراقية في زمن قليل بعد ان لبثت في سبات عميق مئات السنين بل انظر الى امة الصين العظيمة الراقدة منذ الف سنة ولم تتغير في ضجعتها كيف انها تحركت واخذت تفتح عينيها . ولا تظن ان نهوض الامم اليوم يكون كما كان في الماضي انتصارًا وحشيًّا وفوزًا همجيًّا تقوم فيهِ دول على اطلال دول وامم على انقاض امم بل سيكون عدوى سلميَّة تمتدُّ من السليم الى الاجرب فتبرئهُ فيصح هو و يبقى سواه صحيحًا وما مثال انقلاب الامة العثمانية في ثورتها السلميَّة العجيبة ببعيد وكان مثل ذلك في الماضي تجري الدماء فيهِ انهارًا

كل ذلك من معجزات العلم الطبيعي على حداثة عهدهِ وانحصار دائرتهِ وقلة عدَّتهِ وغلبة التعاليم القديمة عليهِ واين منها معجزات العلم الالهي المصبوغة بالدم . فتوحيد الامم واللغات وانتشار الانسانيَّة الحقيقيَّة والنظر الى البشر كأنهم اخوة واعتبار العالم وطنًا واحدًا كل ذلك لم يتم بهذا العلم الاخير مع انهُ من اقصى مراميهِ وما تمت بهِ حتى الآن الاَّ معجزات الحروب والتفريق وقيام الاخ على اخيهِ . ولن يتمَّ ايضًا ولا يتمّ الاَّ اذا انتشرت العلوم الصحيحة انتشار تلك وعرفت اسرار الطبيعة معرفة اتمَّ . ومن غريب المفارقات ان الانسان مع شدَّة علاقتهِ بالطبيعة لم ينظر اليها نظر المستنطق لمعرفة اسرارها الاَّ من عهد قريب جدًّا بل صبا عنها الى ما لا علاقة صريحة لهُ بهِ وعلى ذلك شاد كل آثارهِ وافرغ كل مجهودات جسدهِ وعقلهِ والذي وصل الينا من تلك الآثار الحسيَّة والمعنوية بالنظر الى لم ما لم يصل الينا شيء قليل جدًّا ومع ذلك فهذا الشيء القليل كثير جدًّا بالنسبة الى ما تركهُ لنا الاقدمون من مبادىء العلوم الصحيحة . خذ مثال الكتب الادبيَّة من فلسفة نظرية وفقه على انواعهِ وتواريخ مكذوبة ملفقة واقاصيص خرافيَّة مما لا يزال بين ايدينا وتلدهُ قرائحنا حتى الآن مما لا ينطبق على عقل او نقل فكم هو كثير في كل امة فاذا كانت منقولات التاريخ عن هذه الآثار صحيحة من انها كانت تعدُّ بعشرات عشرات الالوف وتشرى بالوف بدرات الاموال على ما تشاء مخيلة المؤرخ الشعرية فلا أسف عليها ان كانت قد فقدت ويكون عمر قد احسن بحرقهِ نظائرها اذا صحت الرواية عنهُ فهذه الآثار التي يتغنى بها التاريخ و يبالغ في كثرتها مبالغة في الفخر وما كثرتها الاَّ اتفاق معانٍ واختلاف روي والتي يعتبرها جمهور الناس حتى اليوم كنوز كل امة هي بالحقيقة آثار مخلدة لضلال الانسان صارفة اياهُ عن النظر في ما لديهِ من الحقائق مانعة لهُ عن السلوك في الصراط المستقيم . ولكن العلوم الطبيعيَّة وقد اخذ كعبها يعلو اليوم ستتكفل في المستقبل بما لم تستطعهُ الايام

ستأتي البقية

شفاء السل

سيدي الفاضل مدير مجلة المقتطف الاغر

سلام واحترام وبعد فقد طالعت في احدى المجلات الانجليزية ما ترجمتهُ بالحرف الواحد "يصاب بالسل نصف العالم على الاقل فبعضهم يشفى منهُ دون ان يدري بهِ وبعضهم يموت ولذلك سموهُ "داء الانسانية" اما سبب هذه الآفة فهو الافراط في كل شيء ويقولون انهُ ينقل بالوراثة وهذا رأي ضعيف اما دواء هذا الداء فبسيط جدًّا وان شفاءهُ اسهل بكثير من شفاء الحمى التيفوئيدية والجدري ولا دواء لهُ غير شيء واحد وهو الهواء النقي والغذاء الكافي . اما ما يقال عن العلاجات والادوية فهو كلهُ تدجيل في تدجيل وكثيرًا ماتناول المصدورون ادوية فنفعتهم شهرًا او شهرين ثم انتكسوا بعد ذلك من فعل تلك الادوية وانتهى اجلهم ولا ينبغي للمسلول ان ييأس من شفائهِ ابدًا فان بعض الاطباء داوى المرضى بالسل عشرين سنة ومع ذلك رزقوا اولادًا وعمَّروا طويلاً الخ" هذا ما طالعتهُ واني مفوض اليك الامر ومنتظر رأيك انتظار المريض للشفاء او الساري للضياء لاقف على حقيقة الامر

ت . الرافعي

[المقتطف] يظهر لنا ان ما ذكرتموهُ لم نقرأوهُ في كتاب طبي لعالم من الاطباء الثقات بل في اعلان عن دواء للتغذية او ما يشبه ذلك . اما كون السل على انواعهِ كثير الانتشار فامر حقيقي ولكن لا يعلم هل يصاب بهِ نصف الناس او ثلثهم او اكثر او اقل . والهواء النقي والغذاء الكافي خير الوسائل للشفاء منهُ وقد شفي بهما كثيرون من المصابين وهم في الدرجة الاولى من الاصابة اي قبلما تمكن الداء منهم ولكن قلما شفي احد منهُ من الذين وصلوا الى الدرجة الثالثة . وقد رأينا كثيرين اصيبوا بالسل وماتوا بهِ ولم نرَ الاَّ اثنين بلغا الدرجة الثالثة ثم شفيا منهُ على ما يظهر . وسبب السل نموُّ ميكروبهِ في الجسم فاذا كان الجسم قادرًا على مقاومة ذلك الميكروب لم ينمُ فيهِ والاَّ نما وتغلَّب عليهِ . واذا كان الميكروب كثيرًا كما اذا استنشق الانسان هواء كثير ميكروبات السل زمانًا طويلاً او شرب الطفل لبنًا فيهِ كثير من ميكروبات السل فالغالب ان الجسم يعجز عن مقاومتهِ ولاسيما اذا لم يكن الهواء الذي يستنشقهُ نقيًّا . وتصاب القرود بالسل كما يصاب الانسان ولاسيما اذا وضعت في اماكن قليلة الهواء النقي وتشفى منهُ اذا اطلقت في الحراج والقفار حيث الهواء نقيٌّ ولا يعلم للسل دواءٌ شافٍ حتى الآن

باب التقريظ والانتقاد

دليل الآثار المصرية

في دار التحف البريطانية

A GUIDE TO THE EGYPTIAN COLLECTIONS IN THE BRITISH MUSEUM, BY E.A.W. BUDGE.

وضع هذا الدليل العالم الاثري المشهور الدكتور بدج حافظ الآثار المصرية في دار التحف البريطانية وجعلهُ تاريخًا للقطر المصري من اول عهدهِ الى آخر عهد العرب و بداءة عهد الاتراك . قال في مقدمتهِ ان في دار التحف البريطانية نحو خمسين الفًا من الآثار المصرية وهي تمثل تاريخ مصر وحضارتها من الزمن السابق لزمن الدول المصرية الى انقضاء ملك آخر ملكة مصرية ملكة مروي في السودان المصري وذلك في القرن الثالث للميلاد وفيها ايضًا كثير من الآثار القبطيَّة من القرن السادس الى الحادي عشر

وفي هذا الدليل رسوم كثيرة تمثل اهم الآثار التي في التحف البريطاني والمباني المصرية التي في القطر المصري فاذا قرأهُ الانسان وحدهُ وقف على اكثر ما يعلَم من تاريخ مصر والحضارة المصرية واذا استعان بهِ على مشاهدة الآثار التي في دار التحف البريطانية كان ذلك ادعى الى فهمها وحفظ دلالاتها في ذهنهِ . ولو وضع دليل مثلهُ بالعربية للآثار التي في دار التحف المصرية لزاد عدد زوارها من ابناء هذا القطر والقطر السوري وزاد دخلها منهم ما يفي بنفقات تأليف الدليل وطبعهِ وزادت معرفة السكان باثار بلادهم واسلافهم

وقد رأينا ان نعرّب فصلاً وجيزًا من هذا الدليل للدلالة على اسلوبهِ فاخترنا الفصل الذي يتكلم فيهِ عن مساكن المصريين قال :— كان الملك يقيم غالبًا في قصر مبني داخل حرَم الهيكل او على مقربة منهُ والمرجح ان قصرهُ كان مثل بيوت مصر الكبيرة في العصر الحاضر اي كان لهُ دار فيها اشجار في وسطها وتحيط بهِ حديقة فيها بركة ماء وفاكهة ونخيل وسنط وازهار ورياحين وخيام يتعرَّش عليها الكرم واللبلاب والبستاني يسقيها يوميًّا بالشادوف او بالسافية ودار القصر مفروشة بالبلاط او بالاجر او بالخزف المدهون وكانت جدران الغرف وسقفها مزوَّقة بالصور والنقوش وفي بعض الغرف كوًى قرب سقفها لدخول النور والهواء .

ويرجح ايضاً ان الاثاث كان مرصعاً بالعاج والابنوس والخزف الصيني . ثم كثرت الآنية المعدنية في زمن الدول الحديثة . وكان الملوك يستقبلون زوارهم في غرف كبيرة والمرجح انهُ كان في تلك الغرف مقاعد عالية على جوانبها لجلوس الضيوف . وكان المطبخ وغرف المؤونة والاسطبل ودار الخدم خارج القصر واما حرس الملك الخاص وحرس الملكة الخاص وامين الخرج ومراقب الغرف فكانوا ينامون داخل القصر . وقلما كان في القصر اكثر من طبقتين ويوصل الى الطبقة العليا بدرج من الدار او من احدى الغرف السفلى

وكانت بيوت الاشراف مثل قصور الملوك في شكلها واقل منها فخامة وزخرفةً وقلما كان فيها اكثر من طبقتين فكان البيت منها مؤلفاً من دار على ثلاث جهات منها غرف صغيرة ورواق في الجهة الرابعة وعلى السطح مناور يدخل منها الهواء الشمالي (البحري) الى غرف البيت وفي اعالي الجدران كوى لدخول النور وقرب البيت معصرة الخمر وبيت الجعة واسطبل الخيل او حظيرة المواشي واهراء الحنطة ومخازن الاثمار والخضر وحول البيت بستان كبير فيهِ بركة ماء واشجار مثمرة وازهار ورياحين ويحيط بهِ سور من الطوب النيء (اللبن)

وبيوت كبار الفلاحين طبقة واحدة وفي كل بيت منها غرفة للجلوس وغرفة للنوم ومخازن للحبوب والاثمار وعلى السطح غرفة يصعد اليها رب البيت في المساء . وتطحن الحبوب ويخبز الخبز في دار البيت وهناك ازيار كبيرة للماء يصب فيها ماء النيل في الصباح والمساء ويحيط بالبيت سور من الطوب

وبيوت صغار الفلاحين اكواخ من الطوب النيء سقفها من سعوف النخل او عشش من القصب وسعوف النخل مبطنة بالطين

واشار الى امثلة هذه البيوت في دار التحف البريطانية ورسم بيتاً وكوخاً منها

التقرير المتيورولوجي عن سنة ١٩٠٦

METEOROLOGICAL REPORT FOR 1906 PART II.

تناولنا الجزء الثاني من هذا التقرير وهو في اكثر من مئتي صفحة بقطع كبير جداً مملوءة بالجداول والارقام الدقيقة . وخلاصتهُ ان شهر يناير كان صحواً في الغالب وكان ضغط الهواء فيهِ اكثر من المعتاد والحرارة اقل من المعتاد في مصر واعلى من المعتاد قليلاً في السودان وزاد هبوب الشمال عن المعتاد فيهِ ووقع المطر في شمالي القطر المصري واكام البحر

الاحمر وسواحلهِ ولم يقع مطر في بقية القطر ولا في السودان وكان مقدار المطر في شمالي القطر المصري اقل من المعتاد

وفي فبراير خف ضغط الهواء عن جبال البلقان وعن البحر المتوسط وزاد البرد عن المعتاد واما في السودان فكان الهواء احر من المعتاد وهبت الجنوب اكثر من المعتاد وزاد ضغط الهواء والمرجح ان سبب ذلك انخفاض الضغط في جنوبي السودان و بلاد الحبشة وهطل هناك مطر غزير كما يظهر من مقاييس النيل ووقع المطر في مصر الوسطى وفي وادي حلفا ايضاً بسبب انخفاض ضغط الهواء في اواسط الشهر

وجاء مارس مخالفاً لفبراير فزاد الضغط في الثلثين الاولين منهُ وهبت العواصف شمالاً من جهات بريادوس وبلغت واحدة منها القطر المصري في آخر الشهر ومعها ريح حارة من نوع الخماسين ومرت عاصفة فوق السودان في العشرين من الشهر وزاد الضغط عن المعتاد وكذلك زاد الحر عن المعتاد في بلاد الحبشة وزاد بهِ البحر الازرق ومقياس نهر السبت وذلك على خلاف المعتاد

وزاد تقلب الهواء في شهر ابريل وزاد ضغطهُ عن المعتاد وزاد هبوب الجنوب وزادت قوتها كذلك وكانت الحرارة فوق المعتاد وابتدأت الامطار في بلاد الحبشة تؤثر في البحر الازرق

وقل ضغط الهواء في ابريل تابعاً في ذلك لقلة ضغطهِ في اوربا فدعا ذلك الى هبوب رياح الجنوب الحارة على القطر المصري وزاد البرد شمالي بربر عن المعتاد وزاد المطر على شاطئ افريقية الشرقي عن المعتاد فاضرّ بفيضان النيل

وقلّ تقلب الهواء في شهر يونيو ولكن هبت الخماسين على مصر وكان الحر تحت المعتاد في غربي البحر المتوسط وفوق المعتاد في مصر والسودان . وكثر هبوب الرياح الشرقية في مصر والغربيَّة في السودان وزاد المطر فوق اواسط السودان وكان معتدلاً في الحبش وكان ارتفاع البحر الازرق بطيئاً في اول الامر ثم زاد تدريجاً لكنهُ بقي دون متوسط السنوات الست السابقة

وقل تقلب الهواء في شهر يوليو حسب المعتاد وزاد ضغطهُ فوق القطر المصري حتى الخرطوم ولكنهُ قل فوق خليج العرب وكان مركز رياح الموسم اقرب الى السودان منهُ في السنتين السابقتين . وكان الشهر احر في مصر وابرد في السودان منهُ في السنوات السابقة والمطر في السودان اكثر من المعتاد والظاهر انهُ كان كذلك في بلاد الحبشة . وزاد البحر الازرق زيادة غير مضطردة في العشرين يوماً الاولى من الشهر ثم زاد زيادة مضطردة في

العشرة الايام الاخيرة فصار اعلى مما كان عليهِ في السنوات الست السابقة بعد انخفاض الهواء شمالاً وغرباً في شهر اغسطس فزاد ضغطهُ في القطر المصري عن المعتاد وزاد الحر في الوجه البحري فوق المعدل ولكنهُ كان تحت المعدل كثيراً في السودان وتغلب هبوب الريح الشمالية الشرقية وكانت تهب شمالاً وغرباً وكانت سرعتها اقل من المعتاد في مصر والسودان وغزرت الامطار في السودان الاوسط وبلاد الحبش . وحسن الفيضان بعد ان كان يخشى ان يكون رديئاً

وقل تقلب الهواء في سبتمبر ايضاً وزاد ضغطهُ عن المعتاد في مصر ولكنهُ نقص في السودان وبحر العرب . وكان الشهر ابرد من المعتاد وكانت سرعة الريح اكثر من المعتاد في مصر واقل من المعتاد في السودان وزادت الجنوب في السودان عن المعتاد ووقع المطر في بلاد الحبشة في اول الشهر ثم انحبس فنقص مجموعهُ عن المعتاد وزاد وقوعهُ على البحر الابيض وبحر الجبل واخذ البحر الازرق يهبط عند الرصيرص في التاسع من الشهر

وبقي الهواء معتدلاً في اكتوبر الى الخامس والعشرين منهُ وحينئذٍ مرت زوبعة كهربائية فوق القطر المصري بسبب وصول انخفاض الهواء اليهِ وتقلب ضغط الهواء في السودان كما يتقلب عادة في نوفمبر . وبرد في مصر عن المعتاد وفي شمالي السودان ايضاً وزاد المطر في مصر عن المعتاد وشعر بهِ حتى اسيوط وكثر وقوعهُ في السودان

وكان ضغط الهواء في نوفمبر فوق المعتاد في مصر واقل من المعتاد في السودان الشرقي وفوق المعتاد قليلاً في اواسط السودان وكان الحر فوق المعتاد في كل مكان ما عدا اماكن قليلة في شمالي السودان واواسطهِ . وامطرت على آكام البحر الاحمر في السابع من الشهر وكان المطر في السودان اقل من المعتاد . وكان ارتفاع الماء في البحر الازرق فوق متوسط السنوات السبع السابقة وفي البحر الابيض تحت متوسطها

وكان دسمبر ابرد من المعتاد في اوربا واحر من المعتاد في مصر وسورية والسودان وقلّ المطر في القطر المصري عن المعتاد . وكان علو البحر الازرق فوق المعتاد قليلاً وعلو البحر الابيض تحت المعتاد

والخلاصة عن السنة كلها ان ضغط الهواء فيها كان فوق المعتاد الاّ في اواسط السودان وجنوبيهِ ومعدل الحرارة كالمعتاد . والمطر اقل من المعتاد الاّ في السودان فانهُ كان اكثر من المعتاد . ووقعت الامطار في بلاد الحبش وجنوبي السودان في فبراير ومارس فزاد بها ارتفاع النيل . وزادت الامطار في اغسطس وسبتمبر فزاد بها النيل ولم يبقَ منخفضاً عن

المعدل سوى عشرة في المئة وكان تحت المعدل كثيرًا في السنوات السبع السابقة · انتهى ملخصاً من مقدمة هذا التقرير المفيد

هياكل انس الوجود

A Report on the Temples of Philæ
by Captain H.G. Lyons D.Sc. F.R.S.

لما قرَّ القرار على انشاء الخزان قامت قيامة علماء الآثار في اوربا على الحكومة المصرية زاعمين ان انشاءه يتلف هياكل انس الوجود · وظاهر الامر انهم يفضلون حفظ تلك الهياكل ولو حرم حفظها سكان مصر من ري اطيانهم واماتهم جوعاً · والظاهر ايضاً ان رجال مصلحة الري في الحكومة المصرية يخشون شغب اولئك العلماء فحملوا الحكومة المصرية نفقات باهظة لاجل تقوية تلك المباني حتى لا يؤثر فيها بناء الخزان فقووها وبني الخزان وملئ ماء خمس سنوات متوالية وغمر الماء جانباً كبيرًا من الهياكل وما يتصل بها ولم يلحق بها ضررًا يذكر · ثم اريد تعليتهُ ايضاً لكي يزيد ما يخزنهُ من الماء فقامت قيامة العلماء ثانية فرأت مصلحة المساحة ان تفحص تلك الابنية جيدًا ووضعت تقريرًا مسهباً عنها وهو المفتوح امامنا الآن واثبتت فيهِ ان غمر الجانب الاكبر من تلك المباني لم يضر بها واذا زاد ارتفاع الماء في الخزان حتى غمرها كلها فلا يضر بها ايضاً وعسى ان يكون ذلك مسكتاً لجلبة الجالبين

وحفظ تلك المباني الجميلة حسن لذاتهِ ومنهُ فائدة علمية وفائدة مالية ايضاً لانها من المرغبات للسياح في زيارة القطر المصري · ولكن هل تلك الفائدة العلمية وهذه الفائدة المالية تعادلان ما أُنفق على تقوية تلك المباني لحفظها؟ هذه مسألة فيها نظر ولو كانت مصر في ثروة انكلترا وعزتها لهان عليها ان تنفق مئة الف جنيه على حفظ اثر من آثارها اما وهي عاجزة من بناء مدرسة جامعة فالانفاق من غير تقدير ليس من شأنها · وكان الواجب على العلماء والقصّاصين الذين يتمتعون بالآثار المصرية ويبنون عليها مقالاتهم وقصصهم ان يقوموا بالنفقات اللازمة لحفظها لا ان يلقوا عبئها كلهُ على الفلاح المصري المسكين

وفي هذا التقرير ٣٢ صفحة كبيرة جامعة خلاصة المباحث التي ثبت منها ان غمر تلك الهياكل بالماء لم يضرَّ بها وثلاث صور بديعة تمثل الهياكل كما ترى من الجنوب الشرقي والخزان مملوء وتمثل هيكل تراجنس والرواق الشرقي · واحد عشر رسماً كبيرًا للجزيرة والمباني التي فيها والى اي حد يصل الماء الآن وقتما يملأ الخزان والى اي حد يصل بعد ما يعلى ·

و يظهر من هذا التقرير باوضح بيان ان الاعمال التي عملت لتقوية تلك المباني ونزع الاتربة السبخة من حولها وغمر الماء لها سنة بعد سنة قد زادتها متانة. ولكننا لا ندري ما الفائدة الآن من حفظها بعد ان استقصي كل ما يمكن ان يعرف من امرها ووضع في بطون الكتب والصور. اما من امة غنية تريد ان يكون فيها اثر مثل هذا فتبتاعهُ منا وتنقلهُ الى بلادها فتحفظهُ لاهل التاريخ وتكفينا مؤُونتهُ واجرها على الله



فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) عثمان الحويرث

مصر. داود بك عمون. ذكرتم في تقريظكم كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ان هرقل ولّى عثمان على مكة بعد ان تنصَّر وذلك سنة ٦١٠ للميلاد اي قبل الهجرة باثنتي عشرة سنة وقلتم انهُ ان كان هذا الخبر صحيحاً فلهُ شأن كبير في تاريخ العرب. فمن هو عثمان هذا ومن ذكر خبر توليتهِ على مكة

ج هو عثمان الحويرث وقد ذكرهُ الدكتور كول في تاريخ محمد والاسلام المطبوع سنة ١٨٨٩ وقال ان هرقل اعطاهُ كتاباً الى قريش يحثهم فيهِ على طاعتهِ فاستعمل عثمان اللين والتودُّد لكي يقبلهُ اهالي مكة والياً عليهم والاَّ فهرقل يصادر تجارتهم فقبلوهُ اولاً ثم خرجوا عليهِ بتحريض ابن عمهِ ابي حمزة فعاد الى هرقل واخبرهُ بما حدث فبعث هرقل الى عمرو حاكم اليمن ليسجن كل تاجر يأتيهِ من مكة و يشير عليهِ عثمان بسجنهِ. وقد اشار ابن اسحق الى ذهاب عثمان هذا الى هرقل وصيرورتهِ مسيحياً وبلوغهِ مرتبة عالية عندهُ

(٢) علاج الزهري

منتريال بكندا. الخواجه جرجس حنا جبور.....

ج عرضنا سؤالكم على الدكتور امين ابي خاطر فاجاب انهُ يظهر من وصف الحادثة ان المريض مصاب بالزهري بدليل فائدة الزيبق بعد خيبة بقية الادوية. واما مراجعة

الاعراض فلأن المريض لم يستعمل العلاج الخصوصي (النوعي) اسيء الزيبق المدة الكافية للشفاء. وكثيرًا ما يشفى المصاب بحسب الظاهر في وقت قريب ولكنهُ لم يشفَ بالحقيقة بل تحسنت اعراضهُ وبقي المرض كامنًا في جسمهِ فتعود الاعراض الى الظهور بعد مدة طالت او قصرت. وقداجمع العلماء الاختصاصيون على وجوب استعمال العلاج مدة ثلاث سنوات وبعضهم يقول ست سنوات يتخللها فترات راحة اي انقطاع عن الدواء فيؤمن رجوع المرض وشرعواقبهِ وتحفظ صحة النسل واما طريقة المداواة فلا حاجة لبيانها هنا اذ لا بدَّ من مراقبة الطبيب للحكم بتنويع العلاج واوقات الفترات ومداواة التلعب الذي يحصل بعد استعمال الزيبق. واما اولاد المصاب فقد لا يصل الداء اليهم بالوراثة ولا بالعدوى

(٣) الوراثة الادبية

مصر. علي افندي شمس الدين. ما قولكم في مسألة الوراثة الادبيةَّ وهي ان يرث الطفل اخلاقًا طيبة او رديئة من احد ابويهِ او منهما كليهما فقد دارت المناقشة بيني وبين احد اصدقائي في هذا الموضوع فاحدنا يقول انهُ اذا كان الاب كذابًا فلا بد وان يكون اولادهُ كذابين ولو فصلوا عنهُ منذ نعومة اظفارهم ونشأُوا في وسط يكره الكذب. ويقول الآخر انهُ اذا كان الاب كذابًا واتفق ان جاء ابنهُ كذابًا ايضًا فيكون ذلك لانهُ ربي عند والدهِ الكذاب منذ صغرهِ فتعلَّم الكذب منهُ وشبَّ عليهِ لا لانهُ ورث الكذب منهُ وراثة وقد جئنا نستفتي المقتطف في ذلك

ج اذا كان الخلق الادبي متمكنًا في احد الوالدين او فيهما كليهما اي ظهر فيهما وفي اسلافهما اجيالاً متوالية ترجح ظهورهُ في نسلهما ايضًا بالوراثة ولكنهُ اذا كان عارضًا غير متمكن فقد يظهر في النسل وقد لا يظهر مثال ذلك الميل الى الكذب فالامَّة التي تربت تربية دينية تحرّم الكذب واستمرَّت على ذلك قرنين او ثلاثة ترى الميل الى الكذب قليلاً في ابنائها. والامَّة التي تربت تربية لا تحرم الكذب بل تلجأُ اليهِ عادةً لدفع الاذى ترى الميل الى الكذب كثيرًا في ابنائها وهم يأْتونهُ عفوًا ولا يستحيون من ارتكابهِ. فاذا وجدت امَّة لا تكذب وعرضت لها عوارض اجتماعية تدعوها الى استخدام الحيلة والكذب لجلب النفع او لدفع الضرر واستمرَّت تلك العوارض سنة بعد سنة وقرنًا بعد قرن استمرَّ ابناؤُها على ممارسة الكذب والتفنن فيهِ لتتكوَّن في ادمغتهم مراكز او دقائق خاصة بهِ وتصير تنتقل بالوراثة كما تنتقل بعض الصفات النوعية مثل سمرة الوجه وسواد الشعر ثمَّ اذا زالت تلك العوارض الاجتماعية وعرضت عوارض غيرها تدعو الى الصدق في القول وابطال الكذب كأن تديَّنت تلك الامَّة بدين يحرم الكذب مطلقًا

او حكمتها حكومة تعاقب الكذاب عقاباً صارماً فان ابناءها يبطلون هذه العادة فتضعف دقائق الدماغ المتسلطة عليها رويداً رويداً وينتقل ضعفها بالوراثة ويزيد من عقب الى آخر الى ان يعود الصدق ملكة في النفس بدل الكذب. ولا يخفى ان الصفات الموروثة قد تتخطَّى نسلين او ثلاثة ثم تظهر في النسل الثالث او الرابع وان الولد يرث من والديهِ معاً وقد يرث من ابيهِ صفة تقاوم صفةً يرثها من امهِ فتبطل الواحدة منهما الاخرى كما يرث من امهِ صفة توافق الصفة التي يرثها من ابيهِ فتقويها وتأتي التربية بعد ذلك فتقوّي الصفات الموروثة او تضعفها ولذلك يتعذر بت الحكم في ما تكون عليهِ اخلاق الولد. وما قلناهُ سابقاً هو المرجح

(٤) وسائل السمن والنحافة

مصر. م. ك. الخادم: ما احسن دواء يحمل الانسان واحسن وسيلة للسمن واحسن وسيلة للنحافة

ج ان افضل الحسنات الطبيعية الصحة الجيدة فكل ما يجيد الصحة كالاعتدال في الاكل والشرب والعمل والراحة والرياضة يحسّن المنظر واذا كان في الوجه عيب فقد لا تتعذر ازالتهُ بواسطة عملية جراحية كنزع الشعر الزائد ومساواة الانف وما اشبه. واذا كان العيب في القامة سهلت ازالتهُ ايضاً بالتعود على انتصاب القامة. والاكثار من اكل الاطعمة الدهنية والنشوية والسكرية يزيد السمن بشرط ان لا يبلغ حد الضرر. والاقلال من اكلها ومن الطعام مطلقاً يدعو الى النحافة. ويجب ان يتدرج الانسان في الاكثار من الطعام او الاقلال منهُ تدرُّجاً لا ان يفعل ذلك دفعة واحدة

وسنجيب على بقية المسائل في الجزء التالي



مجلس المبعوثان

فتح مجلس المبعوثان اي مجلس النواب العثماني في السابع عشر من شهر دسمبر فتحهُ جلالة السلطان بنفسهِ ومعهُ انجالهُ الخمسة وتلي النطق الهمايوني وهذه ترجمتهُ

اعيان مبعوثان

منحت رعيتي القانون الاساسي حينما استويت على العرش ثم اوقفت العمل بهذا القانون بناء على ما عرضهُ علينا رجال الدولة في ذلك العهد لما لقوهُ من المصاعب في انفاذهِ وذلك الى ان يرتقي افراد رعيتنا في العلوم

والمعارف . فتوقف انفاذ موادهِ وتأجل اجتماعهُ الى زمن آخر

ومن ذلك الحين وقفت قواي على ترقية الرعية في المعارف في جميع انحاء السلطنة وقد بلغنا والحمد لله الغاية الآن . وبفضل انتشار المعارف ارتقت مدارك الرعية وبناء على الرغبة التي عرضت علينا في اعادة انفاذ هذا القانون لم نتأخر عن اعلان الدستور رغماً عن اعتراض بعض الذين عارضوا في ذلك . وذلك لان هذه الرغبة تضمن سعادة البلاد في الحال وفي الاستقبال . فامرنا باعادة الانتخاب وجمعنا مجلس المبعوثان مرة ثانية ولما تغير نوع الحكم الاداري عهدنا في زمام الادارة الى الصدر الاعظم كامل باشا . ولكن بينما كانت الوزارة المؤلفة برئاستهِ تشتغل بتنظيم الامور على النظام الدستوري الجديد نقض امير البلغار ووالي الروم ايلي حقوق التابعية لسبب من الاسباب واعلن استقلال بلغاريا واعلنت حكومة النمسا والمجر على اثر ذلك ضم ولايتي البوسنه والهرسك اللتين عهدت اليها ادارتهما موقتاً بموجب معاهدة مؤتمر برلين وابلغت ذلك الى الباب العالي والدول . وقد احدثت لي هاتان الحادثتان اللتان خرقتا معاهدة برلين ومستا علاقاتنا الدولية اسفاً شديداً

ولما خرقت هذه المعاهدات عهدنا الى وزارتنا في اجراء ما يجب دفاعاً عن حقوق سلطنتنا ونحن نطلب من مجلس المبعوثان ان يساعدنا في ذلك ولما كانت صلاتنا الودية مع جميع الدول حسنة بتنا نؤمل ان هذه الدول تساعدنا على حل هذه المشكلات ونحن نرغب من صميم القلب في اصلاح المالية وتنظيم الميزانية وزيادة رفاه الرعية . وزيادة عدد المدارس لانارة الاذهان ونشر المعارف واتمام ارتقاء نظام الجندية والبحرية واصلاح الدوائر المختلفة التي وضعت لها بعض النظامات . وستعرض هذه النظامات على المجلس ومجلس الاعيان للمصادقة عليها واملنا وطيد ان النواب يبذلون غاية جهدهم في هذا العمل . فنحن نعلن اليوم افتتاح مجلس المبعوثان ورغبتنا الوحيدة هي سعادة الامة ورفاهها وغايتنا الكبرى هي ان ندير البلاد بحسب القانون الاساسي . بل هذا هو اقصى ما نودهُ (تصفيق على مقاعد كثيرة خصوصاً في لوج الصحافيين) فنسأل الله ان يوفق مجلس المبعوثان الى خدمة البلاد

وبعد تلاوة النطق والدعاء للسلطان التفت جلالتهُ الى الاعضاء وقال لهم بصوت ضعيف اني مسرور جدًّا بوجودكم في هذا المكان اليوم واسأل الله ان يوفقكم الى خدمة سلطنتي السنية وادعو لكم من صميم فؤادي . ثم سلم على الاعضاء وخرج وسنأتي على تفصيل ذلك في الجزء التالي وعلى جواب مجلس المبعوثان على النطق السلطاني

الجامعة المصرية

احتفل بافتتاح المدرسة الجامعة المصرية في الحادي والعشرين من شهر دسمبر افتتحها الجناب الخديوي وقرأ البرنس احمد باشا فؤاد رئيس مجلس الادارة خطبة بالنيابة عن الجامعة قال فيها

مولاي

انقدم اليك بلسان الجامعة رافعاً لاعتابك آيات الشكران لانك مصدر حياتها ووجودها

ونحن لا نجهل ان هذا العمل الكبير مضطر عليهِ تغيرات كثيرة قبل ان يأخذ شكلهُ النهائي . ولكننا لم ندّخر وسعاً في تثبيت قواعدهِ ليكون البناء الآتي قائماً على اساس مكين وافياً بما تدعو اليهِ الحاجة في مستقبل الايام

ولقدجاء اليوم الذي تقضي فيهِ الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العملية المحضة في نفس القاهرة دون ان تتغرب في ربوع العلم التي نالت بفضلهِ مكانة عالية في العمران

واني ابتهل اليهِ تعالى ان يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموماً ولشبيبتنا المصرية خصوصاً . اذ اننا لم نقدم على هذا العمل الجسيم ولم نسهر الليالي بسببهِ الا لترقية هذه الشبيبة التي لا يكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد بل نرى انهُ يتحتم عليها ايضاً ان تتحلى بفضيلتي الصبر والاستمرار لانهما سر النجاح . ولا ريب عندنا في انها ستكسب هاتين الخلتين الجيدتين لتكون جديرة بتحقيق الآمال التي وضعها فيها مجلس ادارة الجامعة والامة بأسرها

وفي هذا اليوم المشهود ويمن طالعك السعيد انقدم يامولاي بين يديك الكريمتين راجياً منك ان تتكرم بافتتاح الجامعة المصرية

وقرأ الجناب الخديوي جواباً عليها وهذا نصهُ

لقد حاز مشروع الجامعة المصرية لديَّ ارتياحاً عظيماً منذ توجهت اليهِ الافكار

ولذلك فانني ارحب اليوم بظهورهِ في عالم الوجود اذ جاءت الجامعة في اوانها مكملة ومتوجة لنظام التعليم الذي وضع اساسهُ جدي المجيد محمد علي وقوى اركانهُ اسلافي الكرام

فاشكركم وجميع الذين عاونوكم بعلمهم وعملهم ومالهم على تحلية وطننا العزيز بهذا المعهد العلمي الجليل الذي اتمنى لهُ كل النجاح

واوكد لكم انني مع حكومتي السنية سنواليهِ بالعناية والرعاية ولي امل وطيد في ان اغنياء القطر وفضلاءهُ يستمرون على التنافس في امدادهِ بمعونتهم حتى تبلغ الامة غايتها منهُ ان شاء الله

وانني اشاركُكم يا دولة الرئيس في تلك النصائح الحكيمة التي القيتموها على الشبيبة المصرية وانا على يقين بانها ستواظب على

العمل بما يضمن لها استحقاق ثقتي وثقة البلاد

فباسم الفتاح العليم اعلن افتتاح الجامعة المصرية واسأله تعالى ان يجعلها منهلاً عذباً لطلاب العلم والعرفان على اختلاف الاجناس والاديان

ثم وقف سعادة عبد الخالق باشا ثروت احد اعضاء مجلس ادارة الجامعة وقرأ خطبة عربية وتلاه حضرة احمد زكي بك سكرتير مجلس الادارة وخطب بالعربية وقام بعده المسيو بوفيله استاذ الآداب الفرنسوية في الجامعة وتلا خطبة فرنسوية وسنأتي على هذه الخطب في الجزء التالي

الورق من عيدان الذرة

اهتم كيماويو الحكومة الاميركية بعمل الورق من عيدان الذرة اي الاصول التي تحرق في القطر المصري فاكتشفوا طريقة لعمله منها وصنعوا خمسة اشكال من الورق احدها رمادي اللون متين كالرق والثاني رمادي ايضاً ولكنهُ اشد بياضاً من الاول والثالث والرابع ضاربان الى الصفرة والخامس ابيض ناصع البياض . والاربعة الاولى تصنع من المادة المشة التي داخل العيدان والخامس من المادة الصلبة الظاهرة منهـا . والنوعان الضاربان الى الصفرة يشبهان الورق المصنوع من خرق القطن والكتان وطريقة عمل الورق من عيدان الذرة مبنيَّة على اغلاء العيدان في الصودا من ساعتين الى ساعتين ونصف ويقال ان الورق المصنوع من الذرة لا يكلف الآن اكثر من الورق المصنوع من الخشب ومتى اتقنت الآلات المعدة لعمله يصير ارخص من ورق الخشب بخمسين في المئة

وكل انواع الذرة تصلح عيدانها لعمل الورق . فاذا امكن الاستغناء عن حرق عيدان الذرة وقوداً في القطر المصري لم يبق ما يمنع عمل الورق فيها . نعم ان مقطوعية الورق غير كثيرة حتى الآن في القطر المصري ولكنها آخذة في الازدياد عاماً بعد عام . ولقد كانت معامل ورق البردي كثيرة في هذا القطر وكان يصدر الورق منها الى اوربا حينما لم يكن في اوربا معمل واحد من معامل الورق فهل يدور دولاب الدهر وتعود معامل الورق اليهِ ويصير الورق يصدر منهُ الى البلدان الاخرى

اكبر الكراكات

اكبر الكراكات او الجرافات كراكة وضعت في مرفإ المرسي Mersey ببلاد الانكليز طولها ٤٨٧ قدماً وعرضها ٦٩ قدماً وعمقها ٣٠ قدماً وفيها طلمبات تجرف من الارض عشرة آلاف طن من الرمل في خمسين دقيقة من عمق سبعين قدماً وتحمل هذا الرمل وتسير بهِ الى البحر لتلقيهُ فيهِ وسرعة سيرها

عشرة اميال بحرية في الساعة

مخاطبة البلون بالتلغراف

ثبت انهُ يمكن مخاطبة البلون وهو في اعالي الجو بالتلغراف الذي لاسلك لهُ

الخطب الزراعية

ارسلت مصلحة سكة الحديد في بنسلفانيا باميركا قطرًا يطوف في شرقي بنسلفانيا وفيهِ بعض علماء الزراعة ليلقوا خطبًا في المواضيع الزراعية على الفلاحين في اثنتين وعشرين محطة ومدة الخطبة ٤٥ دقيقة والخطب في مواضيع زراعية مختلفة مما يتعلق بوسائل الخصب وتربية المواشي والاعتناء بالمزروعات وما اشبه

المصل الواقي من الطاعون

ذكرنا غير مرة ان الدكتور هفكن اكتشف مصلاً يقي من الطاعون ويشفي منهُ واستعملهُ في بلاد الهند وقد شاع استعمال هذا المصل الآن في كل البلدان الشرقية : وهو ميكروبات الطاعون نفسها تستنبت في لحم المعزى او دقيق الحنطة الذي اضيف اليهِ مقدار معلوم من الحامض الهيدروكلوريك ثم من الصودا الكاوي ويعقم بعد ان ينمو ويمات ويحقن بهِ تحت الجلد بين الكتف والمرفق وتدخل ابرة الحقنة افقية تحت سطح الجلد حتى لا تصل الى الاوعية الدموية الكبيرة ولا تخرق العضلات

ويعقب الحقن حمى تدوم ٢٤ ساعة الى ٣٦ ساعة والم محل الحقنة يدوم ثلاثة ايام او اربعة ومقدار الحقنة من خمس السنتمتر المكعب للطفل او اربعة سنتمترات مكعبة للبالغ

وهذا المصل يقلل الوفيات بالطاعون جدًّا فقد اصيب في البنجاب ببلاد الهند ٤٩٧٢٣ من ٦٣٩٦٣٠ نفسًا ومات منهم ٢٩٧٢٣ اي اكثر من ستين في المئة من المصابين. وفي تلك الجهة نفسها كان ١٨٦٧٩٧ نفسًا قد طعموا بهذا المصل فطعن منهم ٣٣٩٩ نفسًا فقط ولم يمت من هؤلاء بالطاعون سوى ٨١٤ اي اقل من ٢٤ في المئة من المطعونين وكانت فائدة المصل في اماكن اخرى اعظم من فائدتهِ هناك حتى لم تبق شبهة عند اولياء الامور في فائدتهِ. اما طريقة استحضار المصل فصعبة جدًّا وتقتضي تدقيقًا كثيرًا

الاكسجين في جو السيارات

يعلم الذين قرأوا شيئًا عن السكبترسكوب انهُ يرى بهِ في طيف الشمس خطوط سوداء سببها امتصاص اكسجين الهواء لبعض اشعة النور الآتي من الشمس. وهذه الخطوط يكون اكثرها في اللون الاحمر وما تحتهُ من الوان الطيف ولم تكن تظهر في انوار السيارات البعيدة لضعف اللون الاحمر في

نورها لكن الاستاذ لول صنع الواحاً للتصوير الشمسي شديدة التأثر من النور ولوكان ظفيفاً جدًّا وصوَّر بها طيف السيارات فظهرت الخطوط الدالة على وجود الاكسجين في جوها وهو فيهِ اكثر منهُ في جو القمر ولذلك فجو تلك السيارات لا يخلو من الاكسجين وهناك ادلة على انهُ لا يخلو من الهيدروجين وعلى ان فيهِ بخارًا مائيًا وهو كثير فيهِ بسبب حموها اي ان سطحها اسخن من سطح الارض كأَنها لا تزال حامية كما كانت الارض في سالف عهدها ويحيط بها غلالة اكثرها بخار مائيٌّ

قياس بعد المراكب بالكهربائية

استنبطت طريقة لقياس بعد المراكب وتعيين مواقعها بالكهربائية وذلك ان توضع في كل مركب ساعة فيها عقرب يتحرك بواسطة الكهربائية التي تأتيهِ عن بُعْد من غير سلك ويوضع فيهِ مدفع يحرك الآلة الكهربائية حالما يطلق فاذا وقع مركب في ضيق واطلق مدفعاً فحالما يطلق المدفع يدير الآلة الكهربائية التي فيهِ فتؤثر كهربائيتها بالآلات الكهربائية التي في المراكب الاخرى حالاً ثم يسمع الذين في تلك المراكب صوت المدفع بعد اطلاقهِ بمدة تطول او تقصر حسب بعد المركب لان الصوت يقطع مسافة معلومة كل دقيقة فيرى الفرق في الساعة التي تتحرك بالكهربائية بين ابتداء حركتها وسماع صوت المدفع فان كان عشرين ثانية من الزمان فبعد المركب نحو اثنين وعشرين الف قدم. واذا سمع الصوت مركبان في جهتين مختلفتين امكنهما ان يعرفا موقع المركب الذي اطلق المدفع بالضبط التام

الخسارة من مياه القاهرة

حسب بعضهم مقدار الخسارة التي يخسرها سكان مدينة لندن بسبب الدخان الذي يصعد من مداخنها فوجد انهُ يساوي اربعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات ومن ذلك نحو ثلاثة ملايين تذهب في غسل الثياب وتلفها من الدخان الذي تتسخ بهِ . ونحن في عاصمة الديار المصرية لا نشكو من الدخان ولكننا نشكو الآن من الماء الذي يدبغ الثياب ولا يرغي فيهِ الصابون والمرجح اننا نضطر الآن ان نستعمل خمسين في المئة من الصابون زيادة عما كنا نستعملهُ حينما كان الماء من النيل مباشرةً. فاذا كان في العاصمة ١٦٠ الف بيت واستعمل كل بيت اثنتي عشرة اقة من الصابون في السنة زيادة عمّا كان يستعملهُ قبلاً فالخسارة على العاصمة تبلغ ثمانين الف جنيه في السنة وهي خسارة كبيرة جدًّا فليكن الالتفات اليها من اول اعمال المجلس البلدي الذي يراد انشاؤُهُ في العاصمة

عيد حديقة الاخبار

نشرنا في هذا الجزء تتمة ترجمة المأسوف عليهِ خليل الخوري منشيء اول جريدة عربيَّة في ديار الشام وهي حديقة الاخبار وقد جاء هناك انهُ كان في النيَّة الاحتفال بمضي خمسين سنة منذ انشائها. ثم جاءنا من بيروت ان الاحتفال المشار اليهِ تمَّ في الثالث عشر من دسمبر . قال المكاتب كان في النيَّة الاحتفال بيوبيلها الذهبي لو لا ما طرأ على صاحبها من الاعتلال الذي اودى بحياتهِ فكان ذلك سبب احتجابها عن القراء الى ان منح الدستور فعزم شقيقا الفقيد حنا افندي ووديع افندي على اصدارها يوم فتح مجلس المبعوثان واحتفلا بيوبيلها الذهبي قبيل ذلك وعينا يوم الاحد في ١٣ دسمبر موعداً للاحتفال في دارها وحضر الاحتفال صاحب الدولة ناظم باشا والي سورية وخطب فيهِ خطبة تركية هذا تعريبها

اني اشعر في هذه الدقيقة بالتأثر من وجهين . الاول شعائر الاسف على هذه الخسارة الادبيَّة الابديَّة التي قلَّما تعوض . فان ذكرى خليل افندي الخوري الاديب الشهير لا تمحى من الاذهان

والثاني هو تأثير السرور لاحتفالنا بمضي الخمسين سنة على جريدتهِ حديقة الاخبار وكيف لا نسر وهو اول من انشأ جريدة عربيَّة في سوريا والثانية في اللغة العربيَّة . ولا مندوحة لي الآن اقرن سروري الى بيان شكري

فان هذا النابغة في الفضل والعرفان قد اظهر من ترقي المطبوعات والافكار بين قراء العربيَّة اثرًا يجب ان يحمد عليهِ على الدوام من جميع العثمانيين

وقد كان على فضلهِ سليم الطبع لبيباً ذا حصافة سياسية تدعو الى الاعجاب بهِ من كل من عرفهُ

اما الخدم التي اداها للحكومة والدولة وخصوصاً لاسلافي ولاة سوريا فهي معروفة لديكم جميعاً واني قد عاشرت وسامرت تلك الحمية المجسمة مدة تسع سنوات فكانت من لذيذ ايامي

وكنت اعجب طورًا بمكارم اخلاقهِ وتارة بسمو مداركهِ واني لمفتخر بحضوري هذا الاحتفال الذي اعدهُ احتفالاً للمطبوعات السورية . واهدي روحهُ سلامي

الحرير الصناعي

لا يخفى ان القطن الجيد كالقطن المصري توضع خيوطهُ في الصودا الكاوي وتمطُّ فتصير لامعة كالحرير لكن لمعانها لا يكون شديدًا كلمعان الحرير . وقد تمكَّن الصناع الآن من تلبيسها مادة حريرية فتصير مثل الحرير في لمعانها ومتانتها وتكون امتن من الحرير الصناعي

القوة المائية والكهربائية

تقدَّر القوة المائية التي في بلاد سويسرا بمليون حصان ويمكن تحويل ثلثيها الى قوة كهربائية واستخدامها وستكون من اكبر المسهلات لارتقاء الصناعة في سويسرا. ويظهر لنا ان القوة المائية في جبال لبنان وما حولها تبلغ الوفاً كثيرة من الاحصنة فان نبعاً واحداً مثل نبع صنين يعلو عن سطح البحر نحو الفي متر فيمكن استخدامهُ في مئة موقع ويكون ارتفاع الماء في كلٍّ منها نحو عشرين متراً فلا تقل قوتها كلها عن ثلاثين الف حصان وقس على ذلك نبع العسل ونبع اللبن ونبع الباروك ونبع الصفا ونبع قاديشا ونبوعاً اخرى من هذا القبيل فهي كنوز ثمينة تنتظر من يفتحها وينتفع بها

الماسة الكبرى

ذكرنا قبلاً ان الماسة الكبرى التي اهديت الى ملك الانكليز اعطيت للعمال ليقطعوها ويصقلوها وقد جاء في الجرائد الاخيرة انها قطعت فخرج منها تسعة حجارة كبيرة و٩٦ حجراً صغيراً الاول منها ثقلهُ ٥١٦ قيراطاً ونصف قيراط. والثاني ثقلهُ ٣٠٩ قراريط وسدس قيراط وهذان الحجران اكبر حجارة الماس المعروفة فان الحجر المعروف بجبل النور لا يزيد وزنهُ على ١٠٣ قراريط. والثالث وزنهُ ٩٢ قيراطاً. والرابع وزنهُ ٦٢ قيراطاً والخامس وزنهُ ١٨ قيراطاً و$\frac{3}{8}$ القيراط والسادس وزنهُ ١١ قيراطاً و$\frac{1}{2}$ قيراط. والسابع وزنهُ ٨ قراريط و$\frac{9}{16}$ من القيراط والثامن وزنهُ ٦ قراريط و$\frac{5}{8}$ القيراط والتاسع وزنهُ ٤ قراريط و$\frac{9}{32}$ من القيراط والستة والتسعون حجراً الصغيرة وزنها كلها ٧ قراريط و$\frac{3}{8}$ القيراط. وهذه الحجارة كلها شديدة اللمعان خالية من كل شائبة وهي بيضاء ضاربة الى الزرقة من اجمل حجارة الماس المعروفة. والعادة ان يكون في الحجر الكبير ٥٨ وجهاً لكن الحجرين الكبيرين من هذه الحجارة جعل للاول منهما ٧٤ وجهاً وللثاني ٦٦ وجهاً فزاد ذلك في اشراقهما

زلزلة ايطاليا

جاءت الانباء البرقية في اواخر دسمبر ان جزيرة صقلية وساحل ايطاليا المقابل لها اصيبا بزلزلة من اشد الزلازل عنفاً ويقال ان سبعين الفاً قتلوا بها في صقلية وثلاثين الفاً في كلبريا وقيل بل قتل فيهما مئتا الف وانقطعت الملاحة في بوغاز مسينا وفتحت الارض فاها وابتلعت جانباً من مدينة رجيو

لورد روص

نشأ لورد روص وابوهُ لورد روص الثالث الذي صنع اكبر نظارة من النظارات العاكسة

فربي في مهد العلم واشتغل بهِ واكرم رجالهُ وانفق عليهِ من ثروتهِ الواسعة وبقي منتظماً في خدمتهِ الى ان ادركتهُ الوفاة في التاسع والعشرين من شهر اغسطس الماضي وكان اكثر اشتغالهِ بعلم الفلك

نجاح الطيران

طار المستر ولبور ريت في ١٨ دسمبر خمسة وتسعين ميلاً قطعها في ساعة و ٥٤ دقيقة وكانت الخطة التي سار فيها قد عينت لهُ في شكل مثلث ووضعت فيها اعلام يراها وهو طائر فطار فيها تماماً . وقد تدرَّج الطيران من اواخر سبتمبر سنة ١٩٠٥ الى اواخر دسمبر سنة ١٩٠٨ فكان ١١ ميلاً في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٠٥ وبلغ ٤٥ ميلاً في ١٢ سبتمبر سنة ١٩٠٨ و ٩٥ ميلاً في ١٨ دسمبر واطول مسافة طارها المستر فارمن ٢٤ ميلاً واطول مسافة طارها المستر ريت ٩٥ ميلاً

مذنب مورهوس

بحث المسيو فلامريون الفلكي في صور هذا المذنب الفوتوغرافية فاستنتج منها ان الاثير كثيف وكثافتهُ غير متماثلة في كل اجزائهِ او ان الشمس تدفع منها مادة الى ما بين سياراتها وهذه المادة تعيق الابخرة التي يتكون منها ذنب المذنب . او ان في الفضاء اجساماً نيزكية منتشرة فيهِ وهي التي اثرت في ذنب هذا المذنب وكادت تفصلهُ عنهُ ورجح الفرض الثالث على غيرهِ ولعلَّ الفرض الثاني المبني على رأي ارهنيوس وجيه مثلهُ

خسوف القمر

سيخسف القمر خسوفاً تاماً في ٣ يونيو سنة ١٩٠٩ ليلة ٤ يونيو ويبتدئ الخسوف نحو الساعة الثانية بعد نصف الليل وينتهي نحو الساعة الخامسة ويخسف خسوفاً آخر تاماً في ٢٦ نوفمبر

حلقة جديدة لزحل

اعلن الرصد في مرصد جنيفا انهم اكتشفوا حلقة اخرى لزحل تحيط بحلقتهِ المنيرة

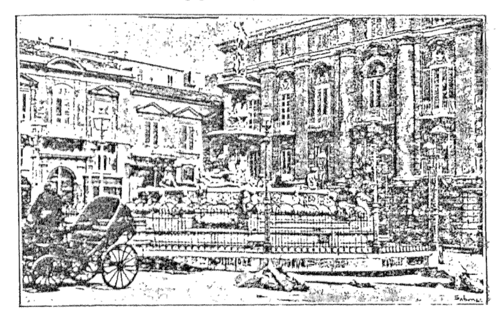
قطع الحديد بالاكسجين

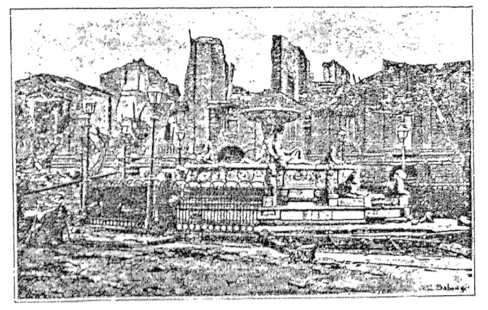
اذا أُحمي الحديد الى درجة البياض ومرَّ عليهِ مجرًى دقيق من الاكسجين تأكسد حيث يصيبهُ الاكسجين وذاب حالاً لان اكسيد الحديد اشد ذوباناً من الحديد نفسهِ. وقد استنبطوا آلة تحمي الحديد وتلقي عليهِ مجرًى دقيقاً من الاكسجين فتقطعهُ او تخرقهُ حيث يقع الاكسجين عليهِ حتى ان اللوح الذي سمكهُ اكثر من نصف قدم وطولهُ اكثر من متر يُقطع بهذه الواسطة في عشر دقائق وسيكون لها شأن كبير في معامل الحديد والفولاذ

فهرس الجزء الاول من المجلد الرابع والثلاثين



كلابريا وصقلية وتونس





جانب من واجهة مسينا قبل الزلزلة و بعدها

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩ — الموافق ٨ محرم سنة ١٣٢٧

زلزلة مسينا

يستدلُّ علماء طبقات الارض على ان اوربا كانت متصلة بافريقية ومحل الاتصال ايطاليا فصقلية فتونس . ثم تمزَّقت هذه الصلة بفعل بركاني وبقي منها طرف ايطاليا الجنوبي وجزيرة صقلية ورأس بونة في افريقية في الشمال الشرقي من تونس كما ترى في الرسم المقابل . وقد حدث هذا التمزّق بانخساف الارض فانّ حرارة جوفها هناك دفعت بعض ما فيها من المواد فتكوَّن مكانها تجاويف كبيرة تقوَّضت سقوفها لشدة الضغط عليها فهبطت وعلاها الماء . وهذا الفعل البركاني لا يزال جاريًا حتى الآن وهو سبب البراكين التي في ايطاليا وصقلية وسبب انتياب الزلازل لها

ومن اشهر زلازلها القديمة التي وصل الينا وصفها الزلزلة التي حدثت سنة ١٦٣٨ ووصفها الاب كرخر اليسوعي ونشرنا خلاصة وصفهِ لها منذ احدى وثلاثين سنة في المجلد الثالث من المقتطف . قال :— "وفي الرابع والعشرين من اذار (مارس) نزلتُ من مرفإ مسينا في سفينة صغيرة قاصدًا مدينة اوفاميا فوصلنا في ذلك اليوم الى راس بلورس حيث بقينا ثلاثة ايام لمضادة الريح لنا ولما مللنا الاقامة اخذنا نحاول السير وكان البحر هائجًا هيجانًا فوق المعتاد حتى وصلنا الى خليج خاربوس فرأيناه يدور دورانًا عنيفًا . ثم حانت مني التفاتة الى جبل اتنا فرأيتهُ يقذف دخانًا كثيفًا حجب الجزيرة عن عيوننا وسمعت لهُ دمدمة مهولة وشممت منهُ الروائح الكبريتية وكان الهواء ساكنًا والجو نقيًّا فانذرتُ رفاقي بقدوم زلزلة شديدة فاسرعنا الى البر ونزلنا عند تروبيا ولم نبلغ مدرسة اليسوعيين حتى صمَّت آذاننا بصوت كصوت مركبات كثيرة تزدحم بعنف شديد على اراضٍ محجرة ثم تلاهُ زلزال شديد جدًّا فمادت

بنا الارض حتى لم اتمالك الوقوف فسقطتُ غائباً عن الصواب ولما عدتُ الى نفسي كانت الارض لم تزل تهتز فهرولت طالباً الفرار حتى اتيت الشاطئ فوجدت السفينة التي كنت فيها فركبتها وسرنا الى روشنا حيث قصدتُ منزل المسافرين الاّ اني رأيتهُ قد اوشك على السقوط فانقلبت الى السفينة وبعد نصف ساعة التفتُّ اليهِ فاذا بهِ قد دُكَّ الى اسسهِ هو واكثر ابنية المدينة معهُ فاقلعنا من هناك واتينا الى لوبزيوم على منتصف الطريق بين تربيا واوفاميا وكنت كيفما وجهت نظري ارى خراباً تقشعرُّ منهُ الابدان وبينما انا اعتبر تلك العبر اذا بزلزلة اقبلت علينا وتعاظمت حتى صار البر يضطرب كاضطراب البحر فلبثنا ريثما هدأ قليلاً ثم هرعنا الى السفينة طالبين الهرب والتفتنا الى المدينة فاذا بسحابة مدلهمة قد اكتنفتها ولما انقشعت لم نرَ لها عيناً ولا اثراً فابتلعتها الارض بمن فيها وغادرت مكانها بحيرة كدرة" انتهى

واصابت صقلية زلزلة اخرى عنيفة سنة ١٦٩٣ فخربت اربعاً وخمسين مدينة منها عدا القرى والضياع وفي جملتها مدينة قطانيا قصبة ملوك الجزيرة . قال الاب سروفينا انهُ رأى سحابةً كبيرة اكتنفت المدينة وجبل اتنا يقذف النيران بغزارة والبحر هائجاً هياجاً شديداً والطيور والحيوانات مذعورة والارض تهتز بعنف شديد وبينما هو ينظر الى ذلك مدهوشاً اذا بصوت كالرعد القاصف فاندكّت مدينة قطانيا الى الارض وكان فيها ١٨٩٠٠ نفس فلم ينجُ منهم سوى ٩٠٠ . وقتل في صقلية كلها بهذه الزلزلة ٩٣٠٠٠ نفس . ولكن لم يذكر المؤرخون ان تلك البلاد اصيبت بزلزلة قتلت من اهلها قدر ما قتلت الزلزلة التي حدثت في اواخر دسمبر الماضي نعم انهُ حدثت زلازل في بلدان أُخرى قتلت نحو ذلك من السكان كزلزلة انطاكية التي حدثت سنة ٥٢٦ م وقتلت نحو مئتين وخمسين الفاً من اهلها وزلزلة سنة ٨٩٣ التي قتلت نحو ١٨٠٠٠٠ من اهالي الهند وزلزلة سنة ١١٣٨ التي قتلت نحو مئة الف نفس من اهالي ايران وزلزلة سنة ١٧٠٣ التي قتلت نحو ٢٠٠٠٠٠ من اهالي يدو عاصمة اليابان ولكن كلابريا وصقلية لم تصابا بزلزلة فتاكة مثل هذه على كثرة انتياب الزلازل لها

وقد شملت هذه الزلزلة كل البلاد بين مدينة بزّو غربي الجانب الضيق من كلابريا الى مدينة رجيو في جنوبيها مسافة خمسين ميلاً واصابت في طريقها من المدن منتليوني وبالمي وبغنارا وخربت من مدن صقلية مدينة مسينا وغزي واصابت مدناً اخرى باضرار جسيمة مما يدل على انهُ لم يكن لها مركز واحد بل مراكز متعددة كأنَّ الانخساف الذي حدث قرب مسينا اثر في كل الاماكن الضعيفة من قشرة الارض المجاورة فانخسفت معهُ . وقد كان الانخساف كبيراً جداً فاهتزت لهُ قشرة الارض كلها وماج بهِ البحر موجة هائلة بلغ ارتفاعها

ثلاثين قدماً طغت على ساحلي مضيق مسينا وجرفت ما عليهما ووصل فعلها الى جزيرة مالطة .
قال قبطان السفينة هوبول وكانت مارّة في ذلك المضيق ان سفينتهُ علت في الجو كأنَّ لغماً نُسف تحتها ثم مرَّت موجة كبيرة بلغت سطح السفينة

وقال ضابط من ضباط سفينة الطربيد سافو وكانت آتية مسينا بالخبز للجنود انهُ رأى ماء البحر يرتفع بغتة الساعة الخامسة والدقيقة ٢٠ صباحاً فاهتزَّت بهِ السفينة وكل السفن التي في المرفإِ واندفع الماء في موجة كبيرة الى رصيف المرفإِ وكسَّر اكثر السفن التي فيهِ ولم يكن الاَّ دقيقة حتى انتشرت الكسر على وجه الماء وانتشر معها شحن السفن وصناديق زيت البترول والاثمار وغطَّت مدينة مسينا سحابة كثيفة من الغبار . ثم اتضح بعد ذلك ان اكثر المدينة صار كوماً من الانقاض وارتفت منها السنة النيران وركام الدخان

وقال قبطان جوَّالة روسية كانت هناك ان الهزَّة الكبرى دامت ٣٧ ثانية وتبعتها اربع موجات واستمرَّت الهزَّات الصغيرة بعد ذلك . ووصلت الموجة الكبرى الى مدينة رجيو وعلت فيها عشرة امتار فوق سطح البحر فامتلأَت بها الطبقة السفلى من البيوت التي قرب البحر وتخربت كل محطات سكة الحديد وكان رجل في قارب ذاهباً من مسينا الى رجيو فرأى القارب قد غاص بهِ الى قاع البحر ثم ارتفع اثنين وثلاثين قدماً وقذفتهُ الموجة الى البر وكسَّرتهُ تكسيراً

وقال واحد من الذين كانوا في مسينا انهُ رأى الارض تقذف بالحجارة الى ابعاد شاسعة وقال كل الذين نجوا من الموت انهم سمعوا اصواتاً كالزئير من جوف الارض حال حدوث الهزَّة الاولى ودامت هذه الاصوات مدة الهزات التالية

ونجا الاستاذ رزو مدير مرصد مسينا وقال انهُ لم يكن فعل موجة البحر شديداً في مسينا كما كان في رجيو لان البحر ماج من جهة صقلية الى جهة كلبريا وان الارض خسفت قرب المجلس البلدي نحو عشرة امتار

وتقدَّم هذه الزلزلة مطر غزير وقع في السابع والعشرين من دسمبر واشتدَّ وقوعهُ في الليل وفي الساعة الخامسة والدقيقة ١٥ من صباح الثامن والعشرين شعر اهالي مسينا بثلاث هزات ووقع مطر قليل في النهار ولكن كثر وقوعهُ في الليل التالي واشتد عصف الريح . وكان البرد شديداً في شمالي روسيا فزال حالاً بعد الزلزلة

والظاهر ان فعل الزلزلة كان في رجيو اشد منهُ في مسينا تخربت بها المدينة وتشققت ارضها ولم تبقَ قرية قائمة من القرى المجاورة لها على شاطئ البحر . وكان اكثر فعل الزلزلة في الاماكن المنخفضة في رجيو ومسينا اما الاماكن المرتفعة فبقي بعض مبانيها قائماً وكذلك

البيوت القليلة الارتفاع قاومت فعل الزلزلة اكثر من غيرها وسيعتمد على مثلها اذا جدد بناء المدينة

وهذه الزلزلة ليست من اقوى الزلازل وان كانت من اشدها فتكاً بالنفوس فاذا حدثت زلزلة اقوى منها في صحراء افريقية او سهول سيبيريا او في عرض البحر الواسع فقد لا يُقتَل بها احد ولا يشعر بها الاَّ آلات رصد الزلازل واذا حدثت زلزلة اضعف منها في مدينة مزدحمة بالسكان كلندن او باريس او نيويورك فقد يقتل بها اكثر مما قتل في مسينا ورجيو وما جاورهما من المدن والقرى

وقد ظهر بالمراقبة منذ عشر سنوات الى الآن ان الزلازل تكثر في عشر بقاع من بقاع الارض البقعة الاولى تشمل بلاد يابان وما جاورها شرقاً والثانية جزائر الهند الشرقية وما يجاورها من استراليا وملقا والثالثة الجهات الجنوبية من زيلندا الجديدة والرابعة الطرف الجنوبي من الهند الى شرقي جزيرة مدغسكر والخامسة تمتد من غربي الصين شرقاً الى سويسرا غرباً ومن اواسط روسيا شمالاً الى خليج العجم جنوباً فتشمل بلاد ايران وبلاد الدولة العلية الى حد مصر وما حول البحر الاسود وبحر قزبين وبلاد اليونان وايطاليا والنمسا . والسادسة تشمل جزائر ازورس وما حولها والسابعة بين زيلندا ونروج . والثامنة في الاوقيانوس الاتلنتيكي شرقي الولايات المتحدة والتاسعة بين اميركا الشمالية والجنوبية . والعاشرة في غربي اميركا الجنوبية . والحادية عشرة في غربي بلاد المكسيك والولايات المتحدة . والثانية عشرة في غربي الاسكا من اميركا الشمالية . والظاهر ان افريقية خالية من الزلازل الآن

والناظر الى هذه البقاع كلها يرى انها في البحر او قريبة منهُ او من الجبال الشامخة مما يدل على ان لعدم التوازن في الضغط ولماء البحر الذي يتخلل طبقات الارض شأناً في حدوث الزلازل

المدة الاخيرة ٥ صباحاً
اشتداد الهزات
٤،٣٧
الحالة العادية ٤،٣٠ صباحاً
٦،٣٠ ٤،٤٩ ٤،٣٣

وقد سجلت آلة رصد الزلازل في مرصد سنت مور بباريس زلزلة مسينا صباح الثامن والعشرين من دسمبر الماضي بين الساعة الرابعة ونصف والساعة السادسة ونصف فدام فعلها ساعتين وكان اشدهُ في ١٦ دقيقة كما ترى في الرسم المتقدم

ويظهر من تقرير الاستاذ ركو ان تخريب الزلزلة للمباني انتشر اربعين ميلاً من كاستروريل في صقلية الى بالمي في كلبريا . وفعلها بالمباني امتدَّ ٨٦ ميلاً من ربستو وبتي في صقلية الى بزو في كلبريا والشعور بها شديدة امتدَّ ١٨٦ ميلاً من مسترتا ونوتو في صقلية

الى كوسنزا في كلبريا . وشعروا بها ايضاً في مرسيليا ونابلي . وشعرت بها آلات الرصد في اماكن شتى حتى في غربي استراليا ودوّنت آلة الرصد في مرصد ميلتو بكلبريا ٢٨ هزة قبلما تخرّبت . وتوالت الزلازل بعد ذلك في ايطاليا وغيرها ولا تزال تتوالى وثار بركان سترمبولي في الثالث من يناير

وكان عدد سكان مسينا قبل الزلزلة نحو ١٥٠ الفاً وعدد سكان رجيو ٤٤ الفاً والمظنون انهُ قُتل اكثر سكانهما وسكان القرى المجاورة لهما . ولذلك قدَّر المقدرون عدد القتلى باكثر من مئة الف نفس وزادهُ بعضهم حتى ابلغهُ مئتي الف ولا تعلم الحقيقة حتى الآن

ثمار الدستور

لقد كان من اول ثمار الدستور العثماني الجواب الذي ردَّ بهِ مجلس المبعوثان على النطق السلطاني فأيَّد بهِ حقوق الامَّة العثمانية واستعدادها لتولي شؤُونها مثل غيرها من الامم الدستوريَّة . وها نحن موردون بعض ما جاء فيهِ نقلاً عن ترجمتهِ في المقطم

" ان والدكم وضع بفرمان الكلخانة السلطاني بعض اساسات شرعية مهمَّة تأميناً للحقوق الشخصيَّة وتأييدًا للمساواة بين جميع المذاهب والعناصر المختلفة فنالت بها الدولة العثمانية حياة جديدة مطابقة لما يقتضيهِ العصر

ولما كان من اللازم ضمان الحقوق الشخصيَّة وتقويتها على وجه امتن واثبت واشمل وكان من الواجب لذلك ابدال شكل الحكومة السابق وقبول الاصول الدستورية المبنية على مبدإ كون الحكم للامَّة اصدرتم حين جلوسكم امرًا بوضع القانون الاساسي ونشرهِ وفتح مجلس المبعوثان اتباعاً لذلك اللزوم والوجوب وتوفيقاً لرغائب اعيان الامَّة الذين كانوا في ذلك الزمان خلاصة الرأي العام

ولا يخفى ان طريق المشاورة والدستور هو اصلٌ في الحكومة وان صوَر الحكومة المنافية لهذا الاصل الشرعي والمغايرة لشكل الدستور المعروف منكرَة في كل زمان لانها عبارة عن تغلُّب القوة على الحق والظلم على العدل . ولقد عرفتم جلالتكم وصرَّحتم في امركم السلطاني بظهور كفاءة الامَّة واستعدادها في ذلك الزمان وبأن القانون الاساسي قد وضع على وجه مطابق لتلك الكفاءة وذلك الاستعداد

غير ان ما احدثهُ بعض رجال الحكومة من المشاكل جعل مستقبل سعادة امة عظيمة

ينقلب من الشيء الى ضده فانحل مجلس المبعوثان على صورة غير موافقة للقانون الاساسي بوجه من الوجوه

ثم ان الذين احدثوا تلك المشاكل الوهمية وخدعوا ذاتكم السلطانية لم يكتفوا بتجاوزهم احكام القانون الاساسي الذي هو قوام حرية الامة وسعادتها بل ادعوا ان الامة غير متحدة رأياً وطلبوا تأخير العمل بالقانون المذكور مستخفين بمدارك الامة

ونحمد الله على ان جلالتكم تحققتم في هذه النوبة الخطر الجسيم الذي لم يعد يخفى الاّ على عيون رؤساء الحكومة وعرفتم السعادة العظمى التي ستتمتع بها الدولة والمملكة في الحاضر والمستقبل من تحقيق الآمال العمومية فاصدرتم امركم السلطاني بتجديد انتخاب المبعوثان ودعوتهم للاجتماع توفيقاً لاحكام القانون الاساسي ... ولو ان جلالتكم على اقتداركم سعيتم في ماضي الزمن للتغلب على تمويهات اصحاب الاغراض لحلَّ العمران في هذه الثلاثين سنة محل الخراب والتقدم محل التأخر في كل اقطار المملكة ولما فتحت جروح كثيرة في قلوب الامة لمنفعة شرذمة قليلة استفادت وحدها من الاستبداد ولادرك الوطن رفاهيتهُ وسعادتهُ من كل وجه ولا حرزت الدولة العثمانية المنزلة التي تستحقها بين الدول"

ثم اشار المجلس الى اعلان امارة البلغار استقلالها واعلان دولة النمسا انها ضمت اليها البوسنه والهرسك وامل ان وكلاء الدولة (اي مجلس النظار) يحلون هاتين المشكلتين بالحكمة حلاً حسناً بصدق مساعدة الدول العظيمة الواثقة بحسن نيات المجلس وامياله السلمية واستطرد الى مالية الدولة فقال :

"وسيجتهد مجلسنا في تنظيم مالية الدولة التي هي من اول الامور الداخلية المهمة ولا يسمح البتة بان تخرج بارة واحدة من جيب الامة ولا بان يصرف درهم من خزينة الدولة على غير ما هو مقرَّر في الميزانية العثمانية وسيجعل للايرادات العمومية محافظاً صادقاً ولمصاريف الدولة مفتشاً غيوراً يقظان على انهُ وان كان الوصول الى توازن الايرادات والمصروفات عسراً جدًّا لما كان من الاسراف والتبذير اللذين تواليا منذ اعوام طويلة توالياً قلما سبق لهُ نظير في التاريخ المالي فنحن لا ندخر وسعاً في التمسك بكل التدابير اللازمة

وعلى كل حال فان حصر مصروفاتنا في الوجوه الشرعية فقط سيزيد اعتبارنا وبهِ تبرهن دولتنا للملاء على انها ليست دولة مسرفة بل دولة مقتصدة تدير اموالها طبقاً للقواعد المالية

ثم اننا استكمالاً لرفاهية كل ابناء المملكة من كل المذاهب والعناصر المختلفة نوجه عنايتنا الى توطيد دعائم الامن والسلام . ونشر العدل . وصيانة حقوق الجميع . وتأمين اجراء

القضاء بكمال الاستقلال . وتربية اولاد الامة تربية سياسية حرة وطنية على وتيرة واحدة في المكاتب العمومية وتكثير واصلاح المكاتب والمدارس وكل نوع من المعاهد العلمية والفنية التي ستعم في اقطار المملكة . وزيادة الطرق والسكك ووسائط النقل لايجاد منافذ جديدة خارجية وداخلية لحاصيل المملكة . وانماء الحرف والصنائع وتوسيع نطاق التجارة . وستعتني على الخصوص بترقية الزراعة

وبما ان الامة العثمانية المحبة للصلح والسلم مضطرة ان تكون دائماً دولة قوية لا تتعدى على حقوق غيرها بل تحفظ مصالحها الوطنية الشرعية وتدافع عنها فيجب اذاً ان نجتهد في تنظيم قواتنا البرية والبحرية واكمالها على ما يوافق موقعنا الجغرافي لانها هي الكافلة لصيانة وطننا وحكومتنا الدستورية

وعلى هذا فاننا سندقق النظر في اللوائح والقوانين التي ستضعها الحكومة او التي يرى المجلس لزوماً لها ونجتهد في سن قوانين موافقة لحاجات الوطن ولائقة باعتبار الامة العثمانية وحسن قبولها

وعلى كل حال اننا نشكر جلالتكم على عزمكم الثابت الذي لا يتغير على ادارة مملكتنا حسب القانون الاساسي الضامن الحقيقي للتوفيق والنجاح في جميع آمالنا الجليلة

ونحن نحسب انفسنا سعداء ايضاً بان نعرض لجلالتكم ان عزم الامة العثمانية عموماً في هذا الشأن وطيد ثابت على دعائم لا تزعزعها قوة مهما كانت عظيمة ونظهر لكم عظيم الافتخار والسرور الذي شعرنا به عند مشاهدتكم امامنا في يوم افتتاح مجلسنا الذي هو عنوان حكم الامة فدلت تلك المشاهدة دلالة صريحة على زوال الحوائل والموانع التي كانت بين الحاكم والامة

واخيراً نقول ان قلوبنا لا تفيض الاّ بمحبة الامة والوطن . وان جميع ما نؤمله هو القيام باعمال خيرية للدولة وللامة ومرشدنا هو مصباح المساواة والاتحاد . وغايتنا الحق والعدل "

ولا نتذكر اننا قرأنا لمجلس من مجالس النواب كلاماً اصرح من هذا الكلام في تأييد حقوق الامة واستعدادها للاحتفاظ بها مهما تقلبت الاحوال

ومن ثمار الدستور ايضاً ان جلالة السلطان اولم وليمة فاخرة لنواب الامة في قصره حضرها اكثرهم وجلس هو في صدر المائدة والى يمينه كامل باشا الصدر الاعظم والى يساره احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان . ولما انتهوا الى تناول الحلوى وقف جواد بك باش كاتب المابين وقرأ النطق السلطاني التالي

"يا حضرات النواب

زادكم الله سبحانهُ غبطة وسعادة انني في الحقيقة ممتن جدًّا هذه الليلة اذ جمعت هذه المأدبة وكلاء امتي العثمانية وتبعتي الشاهانية واعني انها جمعت كل رعيتي في هذا المساء وهذه الحادثة الميمونة حدثت لاول مرة على ما اظن في تاريخ دولتي العلية . فابارك لكم واسأل الله ان يكرر امثالها عليكم . والفضل في هذا الاجتماع السعيد لقانون دولتنا الاساسي ادامهُ الله الى الابد فائض النور وادام مبدأهُ الجديد بالتبجيل

تعلمون حضراتكم ان اول حارس للحقوق في السلطنة والمملكة والدولة الشورويَّة هو الله ثم الامة ثم مجلس المبعوثان و بناء على ذلك فان وظيفتكم مهمة ومقدسة ايضاً فسعيكم وغيرتكم وقصدكم ونيتكم التي لها هذه الاهمية وهذه المزية العظيمة هي مطلوبي قطعيًّا. فاحكام القانون الاساسي ضامنة لهذه الحقوق المقدسة وكافلة لها بعناية الله تعالى . وكل رجل يخالف ذلك يكون اعدى عدوٍ لي واشد خصم للخليفة فبكوني سلطانًا وخليفة اؤكد لكم واؤَمنكم كل التأمين فليعنا الله تعالى في غيرتنا وسعينا الى سعادة وسلامة دولتنا وملتنا ووطننا المقدس" . انتهى

وهذا النطق السلطاني من اصرح الاقوال الدالة على تأييد حقوق الامة وجري سلطانها على موجب دستورها

وقبلما انتهى الشهر عرضت دولة النمسا على الدولة العلية مليونين ونصف مليون من الليرات العثمانية تعويضاً عمَّا لها في البوسنه والهرسك فقبلت الدولة العلية منها ذلك واقتدت بها امارة البلغار ولكنها لم تعرض حتى الآن المبلغ الذي ترضى بهِ الدولة العلية . وعرض كامل باشا على مجلس المبعوثان تصريحًا وافيًا بسياسة الوزارة الداخليَّة والخارجيَّة فصادق المجلس عليهِ والفت لجنة لتنقيح القانون الاساسي حتى تصير السلطة كلها في يد مجلس المبعوثان

فاقترحت اللجنة تنقيح المادة السابعة حتى لا يصدر السلطان ارادة سنية الا وتذكر فيها المادة التي بنيت عليها في القانون و يوقعها الناظر المختصة بنظارتهِ . وتنقيح المادة السابعة والعشرين حتى يصير تعيين النظار منوطًا بالصدر الاعظم . وتنقيح المادة الثالثة والاربعين حتى لا يفض مجلس المبعوثان ومجلس الاعيان الا متى انتهت المدة المعينة لاجتماعها او اذا قرَّ قرار مجلس الوكلاء على ذلك . وتعديل المادة ٧٢ حتى يحق للاهالي ان ينتخبوا ايًّا كان من اهالي الممالك العثمانية ولو لم يكن من دائرتهم . وتعديل المادة ١١٢ تعديلاً يبطل سلطة الحضرة السلطانية في نفي انسان من الممالك المحروسة . وفي كل ذلك ما يؤيد حقوق الامة وحريَّة نوابها وجعل السلطة في يدهم

مقدمة الطبعة الثانية

لشرح بخنر على داروين

(تابع ما قبله)

فالعلوم الطبيعية هي المعول الوحيد الذي يزعزع اركان تلك العلوم ويهدم بنيانها بل هي المخل الذي سيتكفل بقلب ما بني عليها من النظامات المتقلقلة والشرائع الجائفة التي هي سبب كل ما نراه من الاضطراب في الاجتماع لفقد التوازن فيه . فالشرائع التي تسوس الاجتماع حتى اليوم والمبنية على تلك العلوم شرائع استبدادية لا تنطبق على نواميس الاجتماع الطبيعي التي لا يصلح الاجتماع الا بها . وسواء كانت الهية او بشرية فالفارق فيها بين اعضاء المجتمع البشري في حقوقهم وواجباتهم عظيم جداً . ولا يغرنك ما فيها من الاصول المنطبقة في ظاهرها على العقل والعدل . فالعبرة انما هي في تطبيقها على العمل والتمسك بغير حبل أربابها لا بد من ان يضل في تيه هذا الكون وهذا الحبل ليس الا الطبيعة نفسها ونواميسها . فبالشرائع الثيوقراطية يترفع الرؤساء عامة عن الشعب و يستأثرون بامتيازات يجعلون بها واجبات هذا الشعب كثيرة جداً الى حد الاستهانة بالتقشف وحقوقه معهم قليلة الى حد الاستهانة بنفسه . وبالسلطة الروحية التي لهم عليه يسطون على عقله وعواطفه فيقيمون عليه من مخاوف اوهامه ضاغطاً يجعله يقتنع بانه لا يجوز له ان يكون في غير الحالة التي هو فيها . وبالشرائع الأوتوقراطية الاستبدادية البشرية يرهب الملوك هذا الشعب حتى تموت نفسه ويخيم الجهل عليه فيسلبونه حقوقه . ولا فرق بين عالم وجاهل في هذا القتل وموت النفس فكلاهما شرع في التبذل هذا يزحف ببطنه على الارض حتى يعفر جبينه بالتراب وذاك يتغزل بقريحته فيذلها الى مواطىء الاقدام تزلفاً الى ملوك السيف وملوك المال ولو انك تأبى عليهم ان ترمقهم شزراً لو جردتهم من ذلك كله . فتضحى المصلحة العامة على مذبح الافراد ويموت الفكر لدى مظاهر القوة الغاصبة والمجد الفارغ حتى يصير الملوك آلهة جبابرة يسلبون ويفتكون ولا وازع لهم من شرائعهم والشعوب عبيداً ارقاء لا يستهويهم الا رضى ظالميهم وحتى يصير المجد كل المجد لدى اطفال الرجال الالتفاف حولهم لنيل رتبة يلبسون لها ثوباً مزركشاً يبرزون به في زي يضحك حتى ارباب المساخر او للحصول على وسام يعلقونه على صدورهم و يبتهجون به كما يبتهج صغار الاطفال بالعابهم فيموت الفخر بالافكار النبيلة والاعمال الجليلة مجردة عن سفساف هذه الزخارف

ويلحق بهذا النظام عيب آخر يجعل الشرائع اشد ضرراً على المجتمع من ضرر الاستبداد نفسهِ وهو جمودها من طبيعتها تارةً ولاستمساك اصحاب السلطة بها اخرى . فلا يسهل تغييرها طبقاً لاحتياجات الاجتماع بحسب الزمان والمكان خلافاً لناموس الاجتماع الطبيعي الذي هو في طبيعتهِ خاضع لناموس التحوُّل العام . ولا تتغير فيهِ الاَّ بشق الانفس لشدة بواعث الضغط المتجمعة فيهِ على مدى الزمان فتنفجر بهِ انفجاراً هائلاً تبعاً لناموس تجمع القوى الطبيعي الذي تحدث بهِ النكبات الطبيعيَّة في الارض كالزلازل ونحوها . ولذلك كان انتقال الانسان بشرائعهِ ونظاماتهِ في التاريخ مصحوباً دائماً بثورات تجري الدماء فيها انهاراً كثيراً ما ترجع بالاجتماع القهقرى او تقف بهِ عصوراً متطاولة

ولا ينكر ان في اصول هذه الشرائع ما تراعى فيهِ مصلحة الاجتماع بل مصلحة كل فردٍ فيهِ وانما صبغها احياناً كثيرة بما يلبسها حلة الجمود وعدم معرفة تطبيقها على نظام الاجتماع الطبيعي لجهل نواميسهِ يفقدانها مزاياها الحسنة وهذا هو سبب قيام المصلحين من وقت الى آخر على اختلاف نزعاتهم بغض النظر عن مطامعهم الخاصة لمقاومة هذه الشرائع تارةً بالعنف وتارةً باللين وكان السيف فيها دائماً اصدق انباءً من سواهُ . ولهذا السبب عينهِ كان مصلح الامس يبدو رزءًا كبيراً على مصلح الغد . والاجتماع هو الذي يحمل مغبَّة كل ذلك . ولما كان كل هذا الشر لوسير في نظامهِ على منهاج الاجتماع الطبيعي

ولا نريد بهذا القول ان الناس في طبائعهم يكونون بعيدين عن كل شر بل ان سهولة انتقالهم في شرائعهم وتحوّلهم في نظاماتهم يلطف من هذا الشر ويزيل كثيراً من اسبابهِ . بل بمعرفتهم نواميس نظام الاجتماع الطبيعي يحسنون تطبيق نظاماتهم عليهِ فيقدرون فيها ناموس التكافل القاضي بتقاسم المنفعة على قدر العمل حق قدرهِ ويجتنبون بذلك شر ناموس التكافوء القاضي بشدَّة التنازع لشدَّة المباينة بين هذا التقاسم والعمل ويتقون بذلك شرَّ تبذير القوى في الاجتماع عملاً بناموس الاقتصاد الاجتماعي الطبيعي . فيعلمون الانسان حقيقة واجباتهِ من نفس احترام حقوقهِ اذ لا شيءٌ اقدر على تعريف الانسان واجباتهِ للقيام بها مثل معرفتهِ المنافع المترتبة لهُ عليها فباحترام الحقوق تعرف الواجبات فتقلُّ الجنايات المترتبة على الجهل بها وبمراعاة كل افراد المجتمع في احوالهم المعاشية تحسن صحتهم فتقلُّ امراضهم وتتَّقى الاوبئة اذ تقلُّ اسباب تولُّدها وانتشارها . ولا يخفى ما يتبع ذلك من تحسُّن اخلاقهم واستقامة طبائعهم فلا يفشو الكذب بينهم هرباً من عقاب او مراعاةً لمصلحة وتقلُّ السرقة المترتبة على الحاجة . وهل يصحُّ ان يكون الامر على غير ذلك ؟ افلسنا نحن

الذين علَّمنا الانسان ان يكذب لانّا عاقبناهُ على الصدق وان يسرق لانّا حجبنا عنهُ ما يحتاج اليهِ ؟ اوَ ليس شرائعنا هي التي تمنعنا عن تلك الشجاعة الادبية التي تسمو بها اخلاق الانسان وتحملنا كرهاً على احترام هذا الحجب المنتصب بالارهاب ؟ ولا فرق في ذلك بين شرائعنا الاوتوقراطيَّة والثيوقراطيَّة ففي كل فقرة منها ما يرعد الفرائص بالتهديد والوعيد . ولماذا كل هذا الغضب على هذا الانسان الضعيف الذي اقل احتياج من احتياجاتهِ كافٍ لان يدفعهُ الى ارتكاب الجريمة لان الاحتياج موْلم فالجوع فضّاح والحاجة قاتلة . فلماذا لا ننظر الى ذلك بالنظر الصائب ونكفي الانسان حاجتهُ ونكتفي شرَّهُ بل ننتفع كل النفع بهِ ؟

ونحن اذا طلبنا ان يكفى الاجتماع حاجتهُ وتدرأ عنهُ عللهُ وامراضهُ فلا نكون قد تمنّينا حلماً او قصدنا وهماً بل نكون قد تحدَّينا نظام جسم الحيّ نفسهِ الذي كل عضو منهُ بل كل جزء مهما كان دقيقاً من اجزائهِ يعمل لنفسهِ وللكل معاً والكلُّ نفسهُ يعمل لهُ وعلى صحة هذا الجزء تتوقف صحة الكل والاّ اضطرب جسم الحيّ كلهُ وساء مصيرهُ . فدرس نواميس الاجتماع البشري يجب ان يكون بدرس نواميس الجسم الحيّ نفسهِ ووضع نظاماتهِ على نفس نظاماتهِ لان الاجتماع البشري نفسهُ ليس الاّ جسماً حيًّا ايضاً ولكنهُ حيوان هائل . كما قال عنهُ المقتطف منذ سنين تعقيباً على بحثٍ لي في تاريخ الاجتماع الطبيعي نشر فيهِ في ذلك الحين

ولقائل ان الاجتماع على الصورة التي هو فيها سائرٌ على نظام الطبيعة نفسها وهو متحوّل شيئاً فشيئاً بالتدريج متذبذبٌ مثلها وثوراتهُ مثل نكباتها فالاسراع في ارتقائهِ واجتناب تذبذبهِ وثوراتهِ مخالفٌ للنظام الطبيعي . وهذا القول حقٌّ لولا ان الاجتماع عاقل والطبيعة عمياء فهو قادرٌ ان يتصرف باسرارها ويصرفها الى مصلحتهِ حتى يصحّ القول ان الانسان من يوم اهتدى الى الكساء وشاد البناء لم يتغيَّر بدنهُ كثيرًا ولكنهُ في شرائعهِ لم ينظر الى نواميس الطبيعة لتطبيقها عليها واختيار الانفع منها بل صبا عنها الى ما سواها وخالف بذلك نظامها فكان عقلهُ هنا جنى عليهِ فصرفهُ عن تعرُّف اقرب الاشياء اليهِ والصقها به حتى اوغل في الضلال وصار ردُّهُ الى الصواب صعباً جدًّا . اوَ ليس من العار ان ترى الانسان حتى الآن مشغولاً عن حاضرهِ بماضيهِ يبني عليهِ مستقبلهُ منصرفاً بالبحث في ما لا يجدي عن البحث في ما يجدي وما مثلهُ الاّ مثل من يمشي الى الامام وهو ملتفتٌ الى الوراء فلا غروَ اذا وقع في حفرة منجم الاسكندر وهو يمشي ويعدُّ نجوم السماء حتى قيل فيهِ المثل « من اشتغل بعلم ما فوقهُ بلي بجهل ما تحتهُ » — فلم يكن بدٌّ لوضع الاجتماع في صراط يصون لهُ توازنهُ ويسرع ارتقاءهُ من صرف قوى الانسان فيهِ عن تلك المباحث الرثّة المضيِّقة للعقل المضللة لهُ من

فلسفة نظرية وتواريخ كنسج العناكب وعلوم عالية ككفة الميزان الفارغة واقاصيص كقماقم عفاريت الف ليلة وليلة وتوجيهها الى البحث الجدّ الذي يضمن لهُ ذلك ألا وهو العلوم الطبيعيَّة بما فيها من فلسفة اختبارية متينة واسعة التي هي المعوّل الوحيد كما تقدَّم لهدم تلك العلوم السخافية وما بُني عليها من النظامات الاجتماعيَّة الفاسدة والاساس المتين الذي يشاد عليهِ بنيان الاجتماع الباسق في المستقبل

واذا علمت ان شأن العلوم الطبيعية لم يأخذ يتعاظم الاَّ في القرن الماضي وان النواميس الكبرى التي تسوس الطبيعة لم تنجلِ حقيقةً الاَّ في النصف الثاني منهُ ونظرت الى النتائج العظمى التي ترتبت على ذلك في هذا الزمن القصير من ارتفاع شأن المنافع العموميَّة وتقدم الصناعة والزراعة والتجارة ونشر التعليم ومعرفة حقوق الانسان وتقرير سيادة الامم وخصوصاً اتجاه قوى العقل الى النظر في القريب الذاتي وتولُّد حب البحث فيهِ عن الحقائق الملموسة لم يبدُ لك شيء من الغلو في ما تقدم من القول . فان تحوُّل مجرى افكار الانسان في جميع مباحثهِ الى هذه الجهة سيكشف لهُ اسرارًا كثيرة في الطبيعة ليس المعلوم منها لهُ اليوم الاَّ نزرًا يسيرًا بالنسبة اليها تزيدهُ علمًا وقوةً وتضطرهُ بحكم الضرورة الى قلب سائر ما بناهُ على غير هذا الاساس بسرعة لا يعادلها الاَّ تباطؤهُ في ما مضى عن الاندفاع في هذا السبيل القويم . — واذا علمت ان سر قوتهِ ليس بتعرُّفهِ خصائص المادة وخواص القوى البادية فيها كالحرارة والكهربائيَّة والنور والجاذبيَّة على اطلاقها والالفة الكيماويَّة حتى القوى الحيوية بل بمعرفة تحوُّل هذه القوى بعضها الى بعض وربطها بناموس عام يشملها جميعها أعظمت شأن مذهب النشوء والتحوُّل الذي هو موضوع هذا الكتاب والذي هو من منتجات القرن الماضي وحدهُ بل نصفهِ الاخير . بل لو علمت كم كلَّف من العناء تقرير هذا المبدإ الذي يبدو اليوم للعلم بسيطًا وكم اثار من الحروب القلميَّة واللسانية بين علماء النظر والاختبار بل بين علماء الطبيعة انفسهم قبل ان يقرَّهُ العلم مما يزيدك دلالةً على ما للاعتقادات الموروثة من الشأن في الضغط على العقول حتى الراقية لاعظمت جدًّا الفكرة الاستنتاجيَّة التي حملت داروين على التصريح بهِ بل صبرهُ واجتهادهُ في جمع الادلة لتأييده ولأعظمت جسارة اتباعهِ واطلاقهم اياهُ على العالم باسرهِ وتطبيق اعمال الفكر نفسهِ عليهِ

والحق ان فضل داروين العظيم ليس في فكرة وضع اساس هذا المذهب بل بتأييدهِ لهُ بالادلة العلمية الطبيعية . وجعلهِ صالحًا لا لان يطبق على الاحياء وحدها فقط بل لان يشمل الطبيعة كلها لا في الارض ومواليدها الجماد والنبات والحيوان فقط بل في السماء

واجرامها ايضاً . فقد سبق داروِن فلاسفة وعلماء طبيعيون قالوا بهذا المذهب قبلهُ او بما يدل عليهِ واخصهم بالذكر عالمان طبيعيان كبيران وهما لامرك وجفروى سنتيليار في اوائل القرن الماضي ولكن ابحاثهما فيهِ كانت قاصرة لقلة الادلة العلمية فلم تستطع ان توجه الافكار اليها وان تحدث الثورة التي احدثتها ابحاث داروِن فاقامت العلماء واقعدتهم واثارت بينهم حرباً شعواء كانت هي السبب في جلاء هذا المذهب وانتصارهِ

والغريب ان داروِن ايد مذهبهُ بشواهد وادلّة اخذها من ابحاث علماء اعلام قبلهُ وبعضهم كان من معاصريهِ ومع ذلك فقد لاقى من هؤلاء المعاصرين انفسهم مقاومات عنيفة وما مثلهم كما قال هيكل الأ مثل رجل دخل غاباً كثيفاً فاخذ ينظر في كل شجرةٍ من اشجارهِ ولكنهُ لم يمتد بصرهُ الى الغاب كلهِ المؤلف من مجموعها كما ان الفلاسفة الذين قالوا بمذاهبهم في الكون نظروا الى الغاب جملةً ولكنهم لم يدخلوا فيهِ لتعرّف كل شجرةٍ من اشجارهِ على حدةٍ فاتت مذاهبهم مغلوطة او غير ناضجة بخلاف داروِن فانهُ تعرّف كل شجرةٍ من اشجارهِ ثم رجع ونظر فيهِ جملة . وهذا شأن اكثر الناس في مباحثهم فمنهم من يقف عند تعرُّف الجزئيات ولا تجد عندهُ اقل ميل للنظر في الكليَّات ومنهم من يمتد بنظرهِ حالاً الى الكليات وما مثل الاولين الأ مثل الفاعل الذي يقطع الحجارة وينحتها والآخرين مثل البنَّاء الذي يبنيها . فلن ابحاث علماء الاجسام الحيَّة في تركيبها والفوارق التي بينها والاعضاء الاثريَّة التي فيها واختلافهم في عدد الانواع واختلاطها في آفاقها كل ذلك كان قد زعزع مذهب الخلق النوعي المستقل . وكانت ابحاث ليَل في طبقات الارض قبل ذلك قد اثبتت حصول التغيُّر التدريجي فيها ونفت القول بمذهب النكبات الجيولوجية الكلية الفجائية واجهزت على القول بمذهب الخلق الكلي ثم جاءت الاحافير التي اكتشفت في هذه الطبقات مؤيدة للتحوُّل البطيء في الاحياء نفسها . فلما جاء داروِن لم يكن عليهِ الاَّ النظر في ذلك جملةً لتأييد مذهب التحوُّل ونسبتهِ الى اسباب مختلفة طبيعيَّة حدث بهِ الى وضع مذهبهِ الشهير وهو الانتخاب الطبيعي تبعاً لناموس المطابقة القائم على تنازع البقاء وبقاء الانسب . وعزَّز قولهُ بانهُ تحدَّى الطبيعة وايَّد عملها بالانتخاب الصناعي

واغرب مما تقدَّم ان داروِن نفسهُ مع انهُ واضع اساس مذهب النشوء والتحوُّل الطبيعي لم يستنتج من مذهبهِ كل ما يترتَّب عليهِ من النتائج الصريحة اما لانهُ لم يستطع او لم يجسر لشدَّة تأثرهِ بالمذاهب الشائعة واما لانهُ لم يرد ليردَّ عنهُ مقاومة اصحاب الخلق النوعي لصعوبة اقامة الدليل العلمي على التولد الذاتي . فقال ان الاحياء نشأت في اول الامر من

خمسة او ستة اصول تامة الخلق ومنها تفرّعت سائر الاحياء المعروفة اليوم والبائدة بفعل نواميس الطبيعة نفسها. ولكن التحفظ لم يغنهِ شيئاً فقد لاقى مذهبهُ مع ذلك مقاومات شديدة جدًّا من اصحاب مذهب الخلق النوعي وخصوصاً من اذنابهم اصحاب المبدإ الحيوي . على ان الذي لم يتصل اليهِ دارون او لم يشأ ان يصرّح بهِ فعلهُ معتنقو مذهبهِ بعدهُ على اثر انتشارهِ حالاً واطلقوهُ على سائر الطبيعة . واكبر زعمائهم هكسلي وسبنسر في انكلترا وهكل وبختنر في المانيا

وسواء هبطت اصول الاحياء من السماوات العلى كما يفهم من قول دارون او وصلت الينا من بعض الاجرام محمولةً على بعض النيازك كما ذهب السير وليم طمسن المعروف باللورد كلفن ايضاً صاحب المباحث الكبرى في فلسفة الكون وواضع مذهب الحلقات الزوبعية في الهيولى لتعليل الجواهر الفردة فان ذلك لا يؤيد مذهب الخلق الفجائي الذي هو كالتولد الذاتي ليس لنا عليهِ ادنى دليل علميّ او شاهد عيانيّ ولا ينفي كون التولد الذاتي حاصلاً في الاجرام التي هبطت الجراثيم منها او ممكناً في الارض التي نمت وتحولت فيها وانما يثبت شدةَ تأثر العقول بالمذاهب الشائعة ولو انها بقايا اساطير تخالف العلم . وخصوصاً انقيادها لمذهب القائل بان القوى الحيويَّة لا علاقة لها بالقوى الطبيعية وكل علاقتها بها انما هي عارضة . وهو بقيةٌ رثَّة من مذهب تعدُّد القوى في الطبيعة لا تنطبق على فلسفة ناموس النشوء والتحوُّل الذي صار اليوم في حكم المقرَّر لدى جمهور العلماء والذي لا يعترف الاَّ بوحدة هذه القوى لثبوت تحوُّلها بعضها الى بعض . وكأَن زعماءهُ انخفض صوتهم جدًّا اليوم

وواضع اساس هذه الوحدة في نواميس الطبيعة هو بالحقيقة اسحق نيوتون الفيلسوف الرياضي الانكليزي الشهير وذلك في القرن السابع عشر . فانهُ لسبب طفيف يعرض لكلٍّ منا في كل دقيقة ولا يقف في الخاطر وهو سقوط تفاحة من الشجرة الى الارض اكتشف نواميس الجاذبية العامَّة وأقرَّها على اساس علميّ واطلقها على كل الكون . وقد اشار فلاسفة اليونان الى هذه الجاذبية في نظرهم الى الكواكب واعتبارها علَّة دورانها بعضها حول بعض . وقد نقل العرب عنهم ذلك وعبَّروا عنهُ بلفظة الشوق ولم يزيدوا على ذلك . وقد استعملت عنهم هذه اللفظة للتعبير عن الجاذبيَّة في قولي

لولا الهوى وبديع الشوق يهديهِ . ما صحَّ في الكون معنى من معانيهِ
ولا سرى النجم في العلياء وانتظمت . لهُ المواقع نقصيهِ وتدنيهِ

فمرجع الفضل في اكتشاف نواميس الجاذبية وتطبيقها على العلوم الرياضية انما هو لنيوتن

وحده كما ان الفضل في تقرير مذهب النشوء والتحوُّل على مبادىء علمية اختبارية ثابتة هو لداروين وحده . على ان نيوتن وقف في مذهبهِ عند هذا الحدّ ولم يشر الى العلاقة بين جاذبيتهِ وسائر قوى الطبيعة ليردّ هذه اليها او يجعل تلك منها حتى انتشر مذهب النشوء والتحوُّل فاتمّ الرابط وصارت هذه النتيجة لازمة لدى معتنقي هذا المذهب كما في هذا القول

شوق تكامل من ادنى الوجود الى اعلى فأعلى الى أعلى أعاليهِ

حتى تنهاهى وقلب المرء تلهبهُ نارٌ من الحبّ يذكيها وتذكيهِ

ولاسيما انهُ كان قد تقرَّر قبلهُ تحوُّل قوى الطبيعة بعضها الى بعض كالحرارة والنور والكهربائية واعتبارها جميعها من اصل واحد الدكتور شميل

الاجتماع

والخلل في الغريزة العائلية والنقص في القانون

بيَّنت في المقالة التي صدرت في مقتطف الشهر الماضي الخلل التي يرافق وظيفة حفظ النوع واقتصرت في البيان على ما يسمح المقتطف بنشرهِ وضربت صفحاً عمَّا شاهدت من الحوادث الغريبة التي تؤيد ذلك ولا تبقي مجالاً للريب. وسأبين في هذه المقالة الخلل في الغريزة العائلية وقد قصرت الكلام عليها هنا دون بقيَّة الغرائز لانها فرع من وظيفة حفظ النوع والصفة التي يتوقف عليها حب العائلة وينشأ منها النظام الاجتماعي . وسنرى فيما يأتي ان الغرائز في الحيوان والانسان لا يصح الاعتماد عليها في الاعمال الحيوية ولا في الاوضاع الادبية لان في عملها خللاً تابعاً لخلل الاصل الذي نشأت منهُ . ولا غروَ اذا وجد الخلل في غريزة الانسان العائلية لانها احدث عهداً في تاريخ النشوء من الغريزة الجنسية ولانها في الحيوان اضعف منها في الانسان واقل وضوحاً من بقية الغرائز

ومما يدعو الى تدقيق البحث في هذا الموضوع ما نراهُ دائماً من زعم بعض الكتَّاب والمفكرين لاثبات بعض النظريات في فلسفة الاجتماع العائلي والجنسي ان الاجتماع بلغ في سلَّم الارتقاء الغاية التي لا غاية بعدها والانسانية بلغت حدًّا من الكمال لا يقبل المزيد لان العقل البشري ضمنَ السعادة للانسان بما اكتشف من اسرار الطبيعة وبما سنَّ من الشرائع والقوانين والنظامات . على ان حكمهم هذا لا تؤيدهُ البراهين الوضعية ولا تنطبق موادُّهُ على

العوامل والظواهر الطبيعية ولو تعمَّقوا في درس النظام الطبيعي لعرفوا فساد مقدماتهم ومن ثم فساد نتائجها . والفيلسوف الحقيقي لا ينخدع بالظواهر بل ينعم النظر في كل ما يقع تحت حواسهِ ويرجع بهِ الى مصدرهِ ولا ينفك حتى ينكشف لهُ امرهُ ويفهم معنى وجودهِ —

لا صحة لما يزعمهُ عامة الناس ان الغريزة في الحيوان دليل امين للعمل الحيوي لانها مختلة في عملها وفاسدة في نظامها وقد بيَّنت في المقالة السابقة الفساد الذي يرافق غريزة حفظ النوع في الانسان لانها تنحرف عن قضاء العمل المعينة لهُ الى عمل آخر هو ضد الطبيعة . والغريزة الاجتماعية او العائلية تنحرف ايضاً عن عملها الى عمل آخر هو ضد الاجتماع ويظهر ذلك في الحيوان بقتل صغارهِ وفي الانسان بالاسقاط ومنع التوالد . فالانسان لا يختلف بذلك عن الحيوان الاَّ بكونهِ يتذرَّع بما عندهُ من العلم والمعرفة لاتخاذ الطرق المانعة الحمل او المسهلة الاسقاط فقل بذلك اضطرارهُ الى قتل الاطفال . فالغريزة العائلية فيهِ ارتقت كثيراً عما هي في الحيوان ولكن بقي فيها اثر الضعف الحيواني

من مفاسد الاجتماع الراقي ميل الانسان فيهِ الى تقليل نسلهِ لانهُ في الاصل كثير التوالد فاستنبط الوسائط المتعددة لتقليلهِ وغلب في الامم المتوحشة او القليلة التمدُّن الالتجاء الى الاسقاط وفي الامم المتمدنة والراقية الالتجاء الى ما يمنع الحمل . والاسقاط معروف منذ القديم لان فلاسفة اليونان كانوا يجوزونهُ في بعض الاحوال واليهود والفرس كانوا يعاقبون عليهِ وهو لا يزال كثيراً عند الهنود المستقلين وغير قليل عند الهنود الخاضعين لحكم الانكليزي والبعض يجريهِ علناً دون خشية العقاب من اية سلطة كانت . ولو وقف هذا الخلل عند الامم المنحطة لقلنا ان الاثر الحيواني لا يزال راسخاً فيها وانها لا تستطيع ان تتغلب عليهِ الاَّ بارتقاء الانسانية . على ان وجودهُ عند الامم الراقية دليل على رسوخهِ في الانسان ولو علا في سلم المدنية لانهُ ليس بنادر حتى عند ارقى الامم مدنية رغماً عن مراقبة السلطة ومعاقبة القانون . ومن الامثلة على ذلك ان بعض الاتراك يعتقدون ان حياة الجنين الحقيقية لا تبتدئ قبل الشهر الخامس فلا يحسبون الاسقاط قبلهُ جريمة على انهم لا يقفون عند هذا الحد ولا يمتنعون عن اجرائهِ بعد اعتبارهِ جريمة فقد حكم في الاستانة في مدة عشرة اشهر من سنة ١٨٧٢ بثلاثة آلاف حادثة اسقاط . وهو في اوربا اقل منهُ في الشرق لان المراقبة هناك اشد ولان الحكومة اقامت الملاجئ للاولاد غير الشرعيين فقل الاسقاط عندهم وزاد عدد اللقطاء وهذا هو السبب في زيادة الاسقاط في الشرق وقلة اللقطاء

وقد تكاثر الميل لتقليل النسل الى درجة توجب الاسف حتى اصبحت النساء المتمدنات

تفتخرن بالاسقاط كما تفتخر به نساء الامم المنحطة وعذرهنَّ في ذلك عدم استطاعتهن اعالة عائلة كبيرة في احوال المدنية الحاضرة · ويميل السواد الاعظم في هذه الايام الى الوقوف في الولادة عند حد ولد او ولدين

اما الحيوانات فليس في وسعها ان تجري عملية دقيقة ومركبة كعملية الاسقاط فتقلل نسلها بقتل صغارها وقد انتقل هذا العيب الغريزي فيها الى الانسان لانهُ عدا عما هو فيهِ من فساد الغريزة بمنع التوالد والاسقاط لا يزال يحفظ في غريزتهِ اثرًا من الغريزة الحيوانية بقتل الصغار فاليونان والرومان كانوا يعتبرون الطفل المولود حديثًا غير متمتع بحق الحياة والالمان كانوا يهجرون اولادهم والعرب قبل الاسلام كانوا يئدون بناتهم اي يدفنونهنَّ احياء والهنود واهل الصين يقتلون نحو ثلثي بناتهم ولا يزال ذلك جاريًا عند الشعوب المنحطة في سلم المدنية او الآخذة بالانقراض كسكان جنوب غاليا الجديدة وغينيا الجديدة. ويمكن ايراد شواهد كثيرة على ذلك استنادًا على بعض العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع وعلى تقارير المرسلين نضرب عنها صفحًا اكتفاء بما ذكر · على ان اوضح دليل على ضعف الغريزة العائلية هو وجود هذه العادة عند الامم الراقية حيث قامت الطرق العلمية التي لا خطر منها على صحة المرأة مقام الطرق الخشنة التي تستعملها الامم المتوحشة

واذا بحثنا عن انقراض بعض الشعوب علمنا انهُ من ضعف الغريزة العائلية فيها او من عدم نموّها الَّا ان ذلك لا يوجب الاعتقاد بامكان انقراض الجنس البشري لان هذه الغريزة متأصلة كثيرًا في الانسان واصلها الحيواني قد يؤدي الى انقراض بعض الشعوب او بعض الانسان ولكن يبقى منها فيهِ ما يكفي لحفظ نسلهِ الى مدى الاجيال · ولعلَّ العلم ينفع المدنية المستقبلة بوضع نظام للمعيشة سهل وبسيط ويسهل الكسب والسعة للعموم فتقوى بذلك الغريزة العائلية ويقل الميل لتقليل النسل

لا ريب ان الانسان كائن اجتماعي والغريزة الاجتماعية فيهِ وان تكن حديثة الَّا انها فيهِ ارقى جدًّا منها في كل جمعية حيوانية حتى ان القرود الشبيهة بالانسان لم تتقدم من هذا القبيل تقدمًا كبيرًا وبعضها وان اظهر من عواطف الحب ما يدل على اهليتها للعيشة الاشتراكية كما نراها وهي في الاسر الَّا انها في الحالة الفطرية لا تعيش الَّا عيشة عائلية ولا تتألف جمعيتها الَّا من افراد العائلة ويندر ان يجتمع منها عشرة معًا · روى بعضهم اجتماع خمسين قردًا يلعبون معًا على ان ذلك نادر واذا ثبت فهو لا يدل الَّا على دور اجتماعي في اول نشأتهِ · والاجتماع الانساني هو بدون شك ارقى واعلى بما لا يقدر حتى ان الشعوب

المختلطة كثيراً في سلم المدنية والاقرب الى الفطرة الاصلية كاهالي استراليا الاصليين تظهر الغريزة الاجتماعية فيهم باكثر وضوح مما هي في القرود

ان رسوخ الغريزة الاجتماعية في الانسان مال بالفلاسفة والمفكرين الى الاعتقاد بانها خاصة طبيعية يمكن للهيئة البشرية ان تتخذها قاعدة لسعادة الحياة . وقد افرغ العلماء مجهودهم لوضع نظام ادبي على اساس علمي لا يكون فيهِ دخل للقوى التي فوق الطبيعة فاخفقوا ولم يستطيعوا الوصول الى الغرض الذي يرمون اليهِ لانهُ لم يكن عندهم ما يرجعون اليهِ في مطلبهم سوى اضطرار الانسان الغريزي الى العيشة الاجتماعية وكان هذا المعوَّل عليهِ منذ القرن الماضي الى الآن فذهب يختر وهو من اركان العلماء الماديين " ان ما يدعى بالحس الادبي ينشأ من الغرائز الاجتماعية او من العادات التي تنمو في الجمعية حيوانية كانت او انسانية وان الناموس الادبي ينشأ من الاجتماع ويتكيف في جمعية معلومة بمقتضى التصوُّرات والحاجات التي تتغلب في تلك الجمعية . وذهب ايضاً الى ان الانسان كائن اجتماعي ولا يمكن اعتبارهُ خارجاً عن الاجتماع الاَّ حيواناً مفترساً فمن الواضح ان الحياة الاشتراكية توجب عليهِ واجبات اشتراكية وتتألف ثمة منها مبادئ ادبية خصوصية " وبقي هذا الرأي معتمداً الى عهد قريب لان هكل وهو من اركان العلماء المعاصرين يرتأي " ان الشعور بالواجب لا يتوقف على حكم القانون بل على مدلول الغرائز الاجتماعية الموجودة في كل الحيوانات العليا التي تعيش مجتمعة والتي غايتها العظمى في الحالة الادبية التوفيق بين الانانية والغيرية . اي بين حب الذات وحب الغير فاذا شاء الانسان ان يعيش في جمعية حسنة النظام وان يكون سعيداً وجب عليهِ ان يسعى للحصول على سعادتهِ الخصوصية وعلى سعادة المجتمع الذي يختص هو بهِ وسعادة امثالهِ الذين يؤَلفون ذلك المجتمع وعليهِ ان يعرف ان نجاحهم هو نجاحهُ وان شقاءهم هو شقاؤُهُ . وهذا الناموس الاسامي الاجتماعي بسيط وطبيعي حتى يتعذر علينا معاكستهُ نظرياً او عملياً وهو جارٍ اليوم كما كان يجري منذ الوف من السنين " . على ان علماء هذه الايام يخالفون هذا الرأي لانهم تيقنوا وجود الفساد في الغريزة وعدم صحة الاسترشاد بها فالادب الذي يعزوهُ هكل الى الغريزة الاجتماعية ونموها في الانسان والحيوان يرجع في وضعهِ الى نمو القوى العاقلة كما لا يخفى . وقد اوضحنا في ما سبق ان الغرائز الجنسية قد تقوم بمطالبها افعال ضد الطبيعة والغرائز الاجتماعية قد ترضى بافعال ضد الاجتماع لان منع التوالد والاسقاط وقتل الاطفال افعال ضد الاجتماع وتسير جنباً لجنب مع حب الزوجة وحب الاولاد ونرى ايضاً ان لاعداء الهيئة الاجتماعية اي الاشقياء والقتلة وسفاكي الدماء نوعاً خصوصياً من الاخلاق

الادبية فهم امثاله بعضهم لبعض ويميل بعضهم الى بعض ويكرهون سواهم وقد يكون لاحدهم وهو اكثر الناس شرًا وافظعهم عملاً واشدهم رهبة انعطاف خاص لاحد امثاله .
فالغريزة الاجتماعية ليست ان يكون لكل انسان اولكل فيئة غريزة اجتماعية خصوصية بل هي التي تؤهل افراد الهيئة الى عمل مشترك يكون فيهِ من التضامن العام ما يضمن السعادة للعموم والاَّ بقيت الغريزة الاجتماعية في الانسان دون درجة البلوغ لبنيان الاجتماع وتشييدهِ على اركان السعادة

رغماً عمًا بلغ الانسان من المدنية والعلم لا تزال غريزتهُ الاجتماعية ناقصة لانها لا تستطيع ان ترشدهُ الى الخطة التي يجب عليهِ ان يتبعها ولا ان تدلهُ على الحدود التي يصح ان يقف عندها وهذه هي العقدة التي لا يمكن حلها حلاً مرضيًا لا بالنظريات العقلية ولا بالتعاليم الدينية . لان تشويش الغريزة في عملها يشوش على الانسان عملهُ واذا استرشدها ارتبك بين ان يحصر ميلهُ في اقاربهِ او ابناء ملتهِ ودينهِ او فيمن كانوا على مشربهِ وآرائهِ وتصوراتهِ او ان يتوسع فيهِ الى كل الجنس البشري سواء في ذلك السود او البيض والصالحون والطالحون . ومن المعلوم ان الآراء لحل هذا الاشكال قد اختلفت كثيرًا باختلاف الازمنة والتصورات فكان الشعور الديني قبل هذه الايام متغلبًا على كل شعور سواهُ وكان الدين الصلة القوية بين الشعوب والحروب الدينية يثور ثائرها بدون انقطاع والدين المسيحي وهو من اشد الاديان تسامحًا لم يقوَ على تسكين ثورة هذا الشعور المختل والامم المسيحية التي يقول لها مشترعها من لطمك على خدك الايمن حوّل لهُ الايسر كانت اشد الامم حماسًا للقتل وسفك الدم ولم تقتصر في ذلك على عداوة الامم التي لم تكن على دينها بل انتشرت العداوة بين نحلها المختلفة فاثارت حروبًا دموية بعضها على بعض رخصت فيها الارواح ودلت اوضح دلالة على فساد الغريزة الاجتماعية وعلى عدم استطاعة الدين على اصلاح فسادها . ثم ضعف الشعور الديني وحلَّ محلهُ الشعور الوطني ولكنهُ لم يكن اقل منهُ انحرافًا ولا اضعف نظامًا لانهُ أثار ايضًا من الحروب اكثر مما أثار ذاك وهدم من بنيان الاجتماع اكثر مما هدم ذاك والتاريخ الماضي والحاضر شاهد على ذلك . وقد اخذ في هذه الايام ينتشر مبدأُ التضامن العام وعليهِ اجتمعت امم مختلفة الدين واللغة والعوائد والاخلاق وحملوا على الصين حملة مشتركة ولم تجمعهم لذلك الجنسية لان الجنس المغولي انضم الى الاجناس الاوروبية ولا الرابطة الدينية لانهم كانوا مؤلفين من كاثوليك وبروتستانت وارثوذكس وبوذيين على ان ذلك ليس من التضامن العام بل هو تضامن فيئة كبيرة مشتركة في المنافع ومتشابهة في التدريب العسكري والسياسي

فالتضامن العام هو ان يشعر كل فرد من افراد الهيئة البشرية بواجب العمل بما فيهِ سعادة الكل . ويزعم البعض ان هذا الميل سيزيد انتشاراً حتى يشعر البشر كلهم انهم متضامنون على ان ذلك مما يعسر او يستحيل تحقيقهُ لما فيهِ من التشويش لان الميل المتطرف مضر ويدعو احياناً الى الانعطاف على الاشرار المضرين بالهيئة الاجتماعية وقد حمل بعض الامم على الاشتراك في الحرب بدون ان يكون لها منها فائدة ولهذا يفضل ان تقيد الغريزة بفائدة الناس المجتمعين لغاية مشتركة . وقد ظهر من احتكاك الاجناس المختلفة بعضها مع بعض في المعايش والمرافق صعوبة كبرى في تطبيق هذا المبدإ ونرى النزاع قائماً على الدوام في اميركا بين البيض والسود . ونرى الصينيين يحرمون في اميركا واوستراليا من بعض الحقوق التي يتمتع بها اهل البلاد

اتضح مما تقدم ان الغريزة الاجتماعية هي من مكتسبات الانسان الحديثة وانها لا تزال فيهِ ضعيفة او غير بالغة حدَّ النمو بحيث لا يصح الاسترشاد بها لوضع نظام ثابت يصح العمل بهِ والسير بمقتضاهُ فاضطر الخلل منذ الازمنة القديمة للالتجاء الى سنَّة الوحي او الشريعة الدينيَّة لربط العلائق بين الناس وللتوفيق بين مصالحهم . وبعد ما تشعبت المصالح وتعددت المطالب اضيفت اليها الشريعة الوضعية او القانون المدني فتوصلوا بذلك الى نوع من نظام الحياة المشتركة على ان ذلك لم يأتِ الانسانية بضالتها المنشودة بل هو اشبه بمحاولة الطبيب في مداواة مرض عضال لا يرجى منهُ الشفاء فهو يحاول ان يدفع الالم عن المريض او ان يطيل اجلهُ اذا استطاع لانهُ عند وقوع الكوارث التي تقوم فيها الفوضى مقام النظام ويسدل فيها النقاب على وجه القانون تظهر الغريزة باقوى مظاهرها من الخلل ومن امثلة ذلك ما شاهدتهُ في كارثتين مهمتين احداها في مدينة بيروت سقطت فيها منازل كبيرة على سكانها فاحتشد الناس لمساعدة المنكوبين واخراج المردومين وتشاغل الكثيرون عن المساعدة بسلب ما وقعت عليهِ ايديهم . والثانية في مدينة زحلة احترقت فيها السوق الكبيرة فاسرع الناس الى تخليص البضائع لاصحابها ولكن ضاع منها بالنهب بقدر ما ضاع بالحريق . وما كدت افرغ من كتابة هذه الاسطر حتى ايدت ذلك الانباء البرقية عن زلزلة مسينا فان الغرائز الطبيعيَّة انحلت من قيودها وانقضَّ اللصوص على المخازن ينهبونها واضطرت الجنود ان تفرقها بالسلاح

فالاجتماع اذاً لم يبلغ منتهى امل الانسانية بتشييد بنيانهِ على اركان ثابتة تثبت معها سعادة الانسان . وارى من الصعب او المستحيل تحقيق هذه الامنية ما دامت الغرائز مختلة في عملها ومضلة في دلالتها وما دامت المنافع متعددة ومتنوعة والكل يعمل للاستئثار بها لان

حب الاثرة والسلطة من مظاهر الحيوانية او بالحري من الافعال الطبيعية التي تأصلت ونمت في كل الكائنات الحية وجعلت الحي يسعى لحفظ كيانهِ باستئصال ما يقدر على استئصالهِ مما يعارض كيانهُ او بمحاربة ما لا يقوى عليهِ بما منحتهُ بهِ الطبيعة من الاجهزة التي تدفع عنهُ الاذى بحيث اصبحت الحياة حيوانية كانت او نباتية جهادًا مستمرًا يبتدئ منذ اول وجود الحي الى ان تنتهك قواهُ وتنحل عزيمتهُ و يضمحل من عالمهِ. وهذا هو الناموس الطبيعي المعروف بتنازع البقاء . ومهما بلغ القانون من الكمال فلا بد من بقاء اثر فيهِ النقص الدال على نقص في الغريزة وان يبقى فيهِ تقصير لعدم امكان احاطتهِ بكل ما يتفرع من المسائل التي تعرض عليهِ وهو يحاول حلها بتطبيق موادهِ التي وضعت للنظر الاجمالي في اعمال اجمالية فتطبيق المادة على اعمال افرادية قد لا يكون صحيحًا او لا يفي بالغرض المطلوب

وقد حاول الانسان منذ مئات من السنين تهذيب القانون وبالتوسع في موادهِ حتى يمكن تطبيقها على كل قضية يعرض حلها عليهِ وربما زعم واضعوهُ والمشتغلون بهِ انهم وصلوا الى الغاية التي يرجونها منهُ وهي بسط العدالة وسعادة الاجتماع ولكنهم متى اضطروا الى التطبيق وجدوا من العثرات والصعوبات ما لم يكن في الحسبان فيعودون الى التغيير والتبديل والتحوير والتحويل وتبقى مع ذلك الحالة على ما هي من التعقيد والاشكال ولو رجعوا الى النظام الطبيعي لعرفوا ان الخلل من سوء هذا النظام وان لا مناص في اشتباك عناصر الاجتماع من ارتكاب المظالم ولا مناص ايضًا من وجوب تحملها

ولا ينكر ان الاجتماع قد ارتقى كثيرًا ولا سيما في العصر الاخير ولكن في ارتقائهِ شذوذًا وفي قانونهِ خروجًا عن الحدود لا يمكن التعليل عنهما الاَّ بفساد الغريزة فقد تطرف محبو الانسانية بتأليف الجمعيات الرفق بالحيوان وزعموا ان ذلك من واجبات الانسانية ويحتم على كل فرد العمل بهِ ولكن فاتهم ان تطرفهم شذوذ عن الواجب الانساني لانهم يرفقون بالحيوان ويجورون على الانسان فيحذرون على الحوذي ان يضرب البهيم بسوطهِ ولكنهم لا يستنكرون ضرب الحوذي باسواطهم و يرفقون بالحيوان الآهل الذي ينفع الانسان بخدمتهِ ولكنهم يذبحون الحيوان الآهل الذي ينفعهُ بغذائهِ. فالرفق بالحيوان ان هو الاَّ من انانية الانسان وحبهِ للأثرة وليس هو في شيء من كمال الاجتماع

وقد شرعت رسل السلام في هذهِ الايام تبشر بسعادة الاجتماع وتطلب من اصحاب الأثرة والسلطة نزع السلاح والنزوع الى التضامن العام. ولكن انَّى للمستأثر ان يرضى بذلك وهو يرى الملايين تأتمر بامرهِ وتتفانى في خدمتهِ فيقودها على اهوائهِ كما يقود الراعي قطيعًا

من الانعام فلا يرضى ان ينزل عن عرش الالوهية ويستوي في مصاف الرعية . واري ان الحكومة الدستورية لا تبعد كثيرًا عن حكومة الفرد في تأدية الوظيفة الاجتماعية ولا تختلف عنها الاَّ من حيث توزيع الاثرة لان الحق في كلتيهما هو في جانب القوة ولان القانون يخوّل رجال الحكومتين ان تهدر الدماء وتذهب بالارواح بلا حساب ولا مبالاة . والفرق بينهما ان الحرب في الاولى تشهر بارادة الفرد وفي الثانية بارادة افرادٍ وفي الاولى لارضاء رغائب الفرد وفي الثانية للدفاع عن مصالح الوطن وشرفهِ ولكنها هي الحرب على الحالين والدماء تهرق فيها في الحكومتين . فالحكومة الدستورية التي تفضل كثيرًا حكومة الفرد لم تقم بالواجب المطلوب منها نحو الاجتماع بنشر السعادة وبسط العدالة بل بقيت هذه المسئلة فيها كما كانت في الحكومة المطلقة من المسائل المعقدة التي لا تحل او لا يحلها الاَّ الزمن الآتي البعيد

ومن غريب التمويهات ادعاء الحكومات الدستورية ان الغاية من زيادة المعدات الحربية هي حفظ السلام العام ولو اجمعوا على العدول عنها ورفعوا عن اكتاف العامة عبء اثقالها لما كان في عملهم هذا ما يخل بالسلام العام بل كان هو السلام بعينهِ ولكانت الالوف العديدة تنحلُّ من قيود الجندية وتشترك في العمل لخدمة الهيئة الاجتماعية وكانت العقول الثاقبة التي انصرفت الى اختراع معدات القتل تنصرف الى اختراع معدات العمران ولكانوا يستغنون عن القانون العسكري وعن المحكمة الدولية التي وضعت اصلاً لتوطيد دعائم السلام فانصرفت الى سنّ قوانين الحرب واشتغلت بفصل الخلاف في توزيع الغنائم

يزعم اهل السياسة ان محكمة لاهاي هي من محاسن هذا العصر لانها محكمة السلام وبها تجتنب الحروب ويمنع هرق الدماء ولكنها منذ تشكيلها الى الآن لم تمنع حربًا ولا حقنت دمًا فقد دعى لعقدها كبير من كبار العصر ورئيس من اعظم رؤساء الحكومات الذي يقبض على زمام اكثر من ١٢٠ مليونًا من البشر وما كادت تتألف حتى القى شعبهُ في حرب دمويّة شابت لهولها الاطفال ولم يذكر التاريخ حربًا اكثر منها شؤمًا واشد هولاً وافتك في النفوس واقتل في المهج فاشتغلت محكمة لاهاي حينئذٍ بوضع قانون للحياد ولتموين السفن الحربية ولغير ذلك من المسائل الخارجة عن وظيفتها الاصلية . وذلك الرجل العظيم الشان الذي تنحني لهيبتهِ الرؤوس اجلالاً ولا يذكر اسمهُ الاَّ بالتعظيم والاحترام ما كاد يخرج من تلك الحرب المشؤومة حتى انتشرت الثورة في بلادهِ وفاضت بها الدماء وعمَّ البلاء ومع هذا كلهِ فمحكمة لاهاي التي قامت بدعوتهِ لم تاتِ عملاً ولا اوقفت حربًا ولا حقنت دمًا ولا وجهت لهُ لومًا فوجودها اذًا لا يبرهن على حصول التضامن العام بل بالعكس يدل على خلل الغريزة الاجتماعية ويؤيد

ما قلناهُ سابقاً انهُ لا يجوز الاسترشاد بها الى سن القانون فهو اشبه بغريزة انتخاب الطعام التي لا يهتدي بها الانسان الى انتخاب ما يلائمهُ من الغذاء فلجأ الى العلم الذي هداهُ الى معرفة الغذاء الموافق لهُ في كل احوال المعيشة . ولهذا يجب ان نعرف اولاً ما هي مطالب الغريزة الاجتماعية ومن ثم نبحث في الوسائل التي تساعد على سعادة الافراد من المجتمع الانساني لان السعادة المطلقة يتعذر الحصول عليها والسعادة الحقيقية غير محدودة ولا معروفة وما نعتبرهُ سعادة في الواحد قد يكون شقاء في الآخر ورب قائل يقول عن نفسهِ انهُ سعيد والعموم ينكر عليهِ ذلك او يحكم لهُ العموم بالسعادة وهو ينكرها على نفسهِ هذا عدا عن ان الشعور بالسعادة التامة كثيراً ما تكون عرضاً كما في الجنون او الفالج العام والحصول عليهِ يجب ان يكون كل الناس مجانين وعليهِ فالسعادة التامة والحقيقية ليست بموجودة لانها ترتبط ارتباطاً متيناً بالسعادة الاجتماعية وما دامت هذه بعيدة الحصول فتبقى هي والعدالة من العقد التي لا يسهل حلها

يقول البعض ان القوانين وضعت في اجتماع يختلف عن الاجتماع الحالي فيجب نقضها برمتها وسن قانون جديد يوافق المدنية الحاضرة لان اصلاح البناء المختل لا يجود العمل فيهِ كما يجود في البناء الجديد على ان ذلك لا يأتي بالغاية المطلوبة لان المدنية ليست واحدة بل تختلف باختلاف الامم في عوائدها واخلاقها وآدابها فلا يمكن ان يكون القانون شاملاً وثابتاً الاَّ ان تكون المدنية واحدة واخلاق الامم كلها واحدة وثابتة وما دام الناموس الطبيعي يقضي بعدم الثبوت على حالة واحدة فالقانون لا يمكن ان يكون ثابتاً بل يتنوع بحسب تقدم الامم في المدنية

وقد اصاب صديقي الدكتور شميل بانتقادهِ القانون في رسالتين بليغتين نشرهما المقطم واخطأ الذين حملوا عليهِ وسفهوا رأيهُ لانهُ فاتهم انهُ بعيد المرمى وشريف الغاية ولذا تطفلت على البحث في هذا الموضوع من الوجه الفلسفي والعلمي لايضاح ما اشكل على مناظريهِ وفضلت نشرهُ في المقتطف لسعة باب البحث فيهِ وانما ولجت هذا الباب اظهاراً للحقيقة من جهة واستدراراً لمعارف الادباء من جهة اخرى وما انا في هذا البحث سوى ملتقط فتاتاً من موائد اهل العلم ولعلَّ صديقي الدكتور شميل يتحف القراء بنفثات قلمهِ السيال لانهُ غزير المادة وواسع الاطلاع في هذه الابحاث وقلَّ من يجاريهِ فيها ويقتفيهِ علماء القانون وغيرهم من رجال العلم والادب الذين يهمهم ارتقاء الاجتماع ووضع نظام لنمو الانسانية يكون فيهِ اقل ما يمكن من الشوائب ليتمكن افراد المجتمع من الحصول على قدر ما يمكن من السعادة والتمتع بقدر ما يمكن من العدالة

الدكتور امين ابو خاطر

شعر الشريف الرضي

قالوا ان الشاعر الذي يطمع في تخليد ذكره يجب ان يكون مجيدًا وغير الجيد من الشعر لا يبقى بعد ناظمهِ ولا عبرة بالاكثار لان الاكثار وحدهُ لا يكفي لجعل الشاعر في مصاف الشعراء المفلقين فهذا السموأل مثلاً يعدُّ في الطبقة الاولى على اننا لا نذكر له غير القصيدة التي مطلعها

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضهُ فكل رداء يرتديهِ جميلُ

وامرؤ القيس ديوانهُ صغير ولم يشع منهُ سوى معلقتهِ المشهورة الاَّ ان الشريف الرضي قد جمع بين الاكثار والاجادة حتى انهُ دعي في وقتهِ اشعر قريش لان شعراءهم لم يكثروا او ان المكثر منهم لم يكن مجيدًا والمجيد لم يكن مكثرًا والرضي قد فاز بالامرين فكان شاعرًا معدودًا ولم يزل يحسب من عداد الشعراء النابغين مثل المتنبي وابي تمام والبحتري . ومن الناس من يفضلهُ عليهم والظاهر انهُ فاقهم بمقدرتهِ الفائقة على امتداد النفس في نظم القصائد الطويلة فكان ينظم القصيدة ويبلغ بها المئة بيتًا ثم هو لا تبدو عليهِ امارات الكلفة التي كثيرًا ما تظهر في شعر غيرهِ اذا عمد الى التطويل . وكان مطبوعًا على السهل من النظم فهو يشبه بهاء الدين زهيرًا من هذا القبيل على انهُ كثيرًا ما كان يغرب في شعرهِ شأن سائر الشعراء فيستشف منهُ انهُ انحرف عن فطرتهِ وحاد عن سليقتهِ واليك مثالاً من شعرهِ اللطيف السهل

بلونا ما تجيءُ بهِ الليالي فلا صبح يدوم ولا مساء
وافنينا المدى طربًا وهمًّا فما بقي النعيم ولا الشقاء
اذا كان الاسى داءً مقيمًا ففي حسن العزاء لنا شفاء
ولا ينجي من الايام فوتٌ ولا كدٌّ يطول ولا عناء
تنال جميع ما تسعى اليهِ فسيَّان السوابق والبطاء

ومن غريبهِ

ما يصنع السير بالجرد السراحيب ان كان وعد الاماني غير مكذوب
للهِ امرٌ من الايام اطلبهُ هيهات اطلب امرًا غير مطلوب
لا تصحب الدهر الاَّ غير منتظرٍ فالهمُّ يطردهُ قرع الظنابيب
واقذف بنفسك في شعواء خابطة كالسيل يعصف بالصوان والاوب

ان حنّت النيب شوقاً وهي واقفة فان عزمي مشتاق الى النيب

وكان يحفظ شعر المتنبي و يعجب به ولولا ذلك ما كان علق في ذهنه واصبح من جملة محفوظاته على ان البعض رووا عنهُ انهُ كان في احد الاوقات يبحث في شعر المتنبي و ينتقده ويظهر معايبهُ و يقول ان المتنبي ليس بشاعر وكان ابو العلاء المعري في مجلسه فسألهُ الشريف عن رأيهِ في ابي الطيب فقال ابو العلاء على الفور ان لم يكن للمتنبي غير قصيدته التي يقول في مطلعها

لكِ يا منازل في القلوب منازل اقفرتِ انت وهنّ منك اواهلُ

لكفاهُ ذلك ان يكون شاعراً عظيماً فاحتدم غيظ الرضي من ابي العلاء وقال للجماعة اطردوا هذا الاعمى من مجلسي فخرج ابو العلاء من مجلس الشريف ثم سألهُ اصحابهُ فقالوا ان ابا العلاء لم يقل الأخيرًا فلماذا حنقت عليهِ فقال لهم انكم لا تعلمون ماذا قصد فانهُ قصد من هذه القصيدة البيت الذي يقول

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كاملُ

وقد تكون هذه الرواية صحيحة وقد تكون موضوعة ولكنها اذا اتخذت دليلاً على احتقار الشريف للمتنبي فهي موضوعة · يدلك على ان الرضي لم يكن ينتقص المتنبي وانهُ حفظ من شعرهِ الشيء الكثير انهُ كان يتحداهُ في بعض المواطن ويضرب على قوالبهِ وكثيرًا ما كان يستعمل الفاظ المتنبي التي علقت في ذهنهِ شأن كل شاعر يتوخى طريقة غيرهِ او يحفظ كلام غيرهِ من الشعراء قال الشريف

كلامي غبار الخيل في كل غارة وثوبي العوالي والحديد المذربُ

وللمتنبي

يريد بك الحسّاد ما الله دافع وسمر العوالي والحديد المذربُ

وللشريف

اذا شئت فارقت الحبيب وبيننا من الشوق ما يملي عليّ واكتبُ

ولابي الطيب

واخلاق كافور اذا شئت مدحهُ وان لم اشأ تملي عليّ واكتبُ

وللشريف

فلا زال ممدودًا عليك ظلالهُ ولا زلت في نعمائهِ تتقلبُ

وللمتنبي

واظلم اهل الظلم من بات حاسدًا لمن بات في نعمائهِ يتقلبُ

ولم يكن هذا التوارد اللفظي في الخواطر كثيرًا في شعر الرضي وانما جاء في بعض ابياته مما يدل على انهُ قرأ المتنبي كثيرًا. ورأيت في غضون قراءتي لشعر الشريف قصائد حكمية كثيرة ومنها ما يماثل منظوم المتنبي في المعاني الحكمية وهاك نموذجاً منها

اذا قلَّ مالي قلَّ صحبي وان نما فلي من جميع الناس اهل ومرحبُ

غنى المرء عزٌّ والفقير كأنهُ لدى الناس مهنوءُ الملاطين اجربُ

تطالبني نفسي بكل عظيمة ارى دونها جاري دم يتصببُ

ويأمرني الذلاَّن ان لا اطيعها واعلم من طرق العلى اين اذهبُ

ولا علم لي بالغيب الاَّ طليعة من الحزم لا يخفى عليها المغيَّبُ

وهي مثل حكم المتنبي والغالب ان الشريف كان يجيد في الحكم وشكوى الزمان والاخوان اكثر من اجادتهِ في سائر ابواب الشعر فاذا مدح كان يبتدئُ بالحكم ويتوصل بعد ان يكثر منهُ الى مدح الممدوح وسبب ذلك انهُ لم يمدح احدًا طمعاً بمنصب لانهُ كان رفيع المنزلة عزيز الجناب فهو بهذا يختلف عن المتنبي كثيرًا لان المتنبي كان يمدح الامراء استجداء فاذا اخفق مسعاهُ عاد الى الهجاء كما جرى لهُ مع كافور. اما الشريف فكان اعظم قومهِ وكان يترشح للخلافة وكان ابو اسحق الصابي يطمعهُ فيها ويذهب الى ان طالعهُ يدل على ذلك ولهُ في هذا شعر ارسلهُ الى القادر بالله قال فيه

عطفاً امير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لا نتفرقُ

مَّا بيننا يوم الفخار تفاوتٌ ابدًا كلانا في المعالي معرقُ

الاَّ الخلافة ميزتك فانني انا عاطل منها وانت مطوقُ

ومن يقول هذا القول ليس في حاجة الى التزلف الى الخليفة او الى غيرهِ. وكانت دارهُ مباءة للعلماء واهل الادب ولم يكن اقل من المتنبي حكماً وقد يفوقهُ في بعض المواقع ولو قيض لهُ ان يُعنى بديوانه فيشرح شرحاً وافياً مثل ما شرح ديوان المتنبي لكان الآن مرجع اللغة على العموم. ومعلوم ان المرء يميل بطبعهِ الى قراءة الشعر السهل فان هو رأى ما يتعذر عليهِ فهمهُ تحاشاهُ ولم يأبهْ لهُ ولا يخفى ان شعر الشريف بعيد التناول الاَّ على الاديب لما فيهِ من ترامي المعاني واغلاق المغازي على انهُ لم يات ذلك لضعفهِ في اللغة او عدم مقدرتهِ على التركيب السهل وانما كان ذلك منهُ لانهُ كان يميل الى اتيان المعاني الفائقة

التي لا تدرك الاَّ بعد اعمال الفكرة واعنات الروية . ومن شعرهِ اللطيف الذي يلج الاذان بدون استئذان قولهُ وهو من اوائل شعرهِ

فداؤك نفسي يا من لهُ ... من القلب ربع منيع الجناب
فلولاك ما عاق قلبي الهوى ... وعزَّ على كل شوق طلابي
اذا ما صددت دعاني الهوى ... فملت الى خدعات العتاب
فيا جنتي ان رماني الزمان ... ويا صاحبي ان جفاني صحابي
دفعت بكفي زمامي اليك ... وقد كنت ابطي على من حدا بي
فلا تحسبني ذليل القياد ... فاني ابيٌّ على كل آبي

ومن نسيبهِ قولهُ

اقول وقد ارسلت اول نظرة ... ولم ارَ من اهوى قريباً الى جنبي
لئن كنت اخليت المكان الذي ارى ... فهيهات ان يخلو مكانك من قلبي
وكنت اظن الشوق للبعد وحدهُ ... ولم ادرِ ان الشوق للبعد والقرب
خلا منك طرفي وامتلا منك خاطري ... كأنك من عيني نقلت الى قلبي

ولهُ من هذا النمط شيءٌ كثيرٌ وكلهُ مما يأخذ بمجامع القلوب ويلعب بالعواطف والنفوس فكأنك وانت تقرأ شعرهُ السهل الممتنع تقرأ شعر شاعرٍ من المعاصرين لا شعرًا مضى عليهِ الف عام . وقد لحظت ان الشريف كان يجيد كثيرًا في الشعر الخيالي كالغزل والوصف وقلَّ ان يرى في قصائدهِ التي من هذا القبيل امارات التكلف او التعقيد وما ذلك الاَّ لانهُ كان يقول في هذه المعاني ما توحيهِ قريحتهُ فلم يتقيد ولم يضطر الى الاغراب كما كان يفعل في القصائد التي يمدح بها احدًا والتي يتوخى ان تنشر وتنشد بين الشعراء والادباء وهذا مما يدل على انهُ اذا لم يعمد الى الاغراب وترك نفسهُ تملي عليهِ ويكتب ما تمليهِ فلا يودع شعرهُ الاَّ في قالب من الالفاظ سهلٍ خالٍ من حوشي الكلام ومعاظلة التراكيب . ثم ان ما كان يحدث لهُ كان يحدث ايضاً للمتنبي فكلاهما متفق من هذه الوجهة . وكان الشريف يتوخى القاء هيبتهِ ورهبتهِ بين شعراء العصر حتى لا يجرأ احد على انتقاد شعرهِ . ومعلوم ان معاصريهِ كانوا من كبار الشعراء وحسبنا ابو العلاء المعري فانهُ كان معاصرًا لهُ فلما نال الشريف منزلة عالية بين اهل الادب اجهد نفسهُ في المحافظة على تلك المنزلة فاغرب واغلق في حالات عديدة حتى كسب فوق اعتراف الناس بشاعريتهِ اعترافهم بانهُ حجة اللغة وامام البلاغة

وكان شاعرًا مطبوعًا نظم الشعر وهو في سن الصبا ومن شعره وكان لهُ عشر سنين في ما قيل قولهُ

المجد يعلم ان المجد من اربي ولو تماديت في غيّ وفي لعبِ
اني لمن معشر ان جمعوا لعلى تفرقوا عن نبيّ او وصيّ نبي
اذا هممت ففتش عن شبا(١) همي تجدهُ في مهجات الانجم الشهبِ
وان عزمت فعزمي يستحيل قذى تدمي مسالكهُ في اعين النوبِ
ومعرك صافحت ايدي الحمام بهِ طلى الرجال على الخرصان من كثبِ(٢)
حلت حباها المنايا في كتائبهِ بالضرب فاجتثت الاجساد بالقضبِ
تلاقت البيض في الاحشاء فاعتنقت والسمهري من الماذي واليلبِ(٣)
بكت على الارض دمعًا من دمائهم فاستعربت من ثغور النور والعشبِ

وقد اجاد في الرثاء واكثر رثائهِ كان في اقربائهِ واهلهِ واصدقائهِ فاذا ابتلي بفقد احد منهم كان يتأثر شديد التأثر فينظم الشعر عفوًا يبعثهُ عليهِ انفعال حقيقي في النفس. ومن بعض مراثيهِ ما نهج فيهِ منهج السهولة واحسنها رثاه ابي اسحاق الصابي الكاتب المشهور ومطلعها

أعلمت من حملوا على الاعوادِ أرأيت كيف خبا ضياء النادي

وهذه المرثية مأثورة عن الشريف الرضي وكم من راثٍ جعل مطلعها ديباجة رثائهِ وبدء كلامهِ. وقد برَّز في قصائدهِ الفخرية واخص منها القصائد التي افتخر فيها باجدادهِ من الامام علي ابن ابي طالب وابنهِ الحسين حتى ابيهِ الطاهر. وكان يحسب ان لا شرف اعظم من الانتماء الى ذلك البيت الطاهر. وكثيرًا ما نظم القوافي في مدح اسلافهِ وخصوصًا في رثاء الحسين ومقتلهِ وذم الجماعات الذين قاموا على الامام علي وعلى اولادهِ. وهذا النهج الذي نهجهُ الرضي في مدح آلهِ اصبح بعدهُ القالب الذي ضرب عليهِ جميع شعراء الشيعة ممن جاؤوا بعدهُ حتى اليوم وكلهم اجادوا في ذلك. وتوخوهُ ايضًا في التغزل بارض الحجاز ومدح اهل البيت ولولم يكن شعرهُ بالغًا حد الاعجاز في هذه الموضوعات لما ابقى ذلك الاثر في من اتى بعدهُ من شعراء الشيعة. وكانت قصائدهُ في رثاء الحسين مثال الكمال الشعري وقد اجاد كل الاجادة فيها وكثيرون من الذين يتوجعون لمقتل الحسين يحفظون مراثي الرضي وينشدونها. وقد حذا حذوهُ في رثاء الحسين اكثر الشعراء الذين اتوا بعدهُ ومن بعض شعرهِ في رثائهِ قولهُ

---

(١) حد (٢) الطلى الاعناق والخرصان جمع خرص وهو القناة (٣) الماذي الدروع اللينة والسهلة او السلاح كله واليلب الدروع من الجلود

يا يوم عاشوراء كم لك لوعة تترقص الاحشاء من ايقادها
ما عدت الا عاد قلبي غلة حرّى ولو بالغت في ابرادها

وكل قصائده التي من هذا القبيل غاية في حسن الانسجام ومتانة التركيب بل كل ما قاله في الرثاء ابدع فيه منتهى الابداع لان مقام الرثاء ابعد المقامات عن التنطس وليس فيه مجال للاغراب والاتيان بالتراكيب المشوشة ولا يبقي فضلة في القلب للاشتغال بغير مناجاة الخيال . وعثرت في قصائده الرثائية على واحدة يرثي بها بنت سيف الدولة ابي الحسن علي ابن حمدان التي كانت تسمى نقية مصر وقد انتقلت اليها من الشام وكانت من فضليات النساء في قومها وقيل انها كانت تشغف بشعره فرثاها بقصيدته التي مطلعها

نغالب ثم تغلبنا الليالي وكم يبقى الرميُّ على النبال

وبين هذه القصيدة والتي رثى المتنبي بها والدة سيف الدولة مشابهة في البحر والقافية وبعض المعاني ومطلع الثانية

نعدُّ المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال

وعلى الجملة فاني ارى ان الشريف الرضي قد ابدع في اواخر ايامه اكثر مما ابدع في اوائلها وكان يشوب شعرهُ في اوائله تعقيد كثير وتانق على انهُ خفف من هذا الميل بعد ان اكتهل فصارت اشعارهُ مما يسهل فهمهُ ويقرب مأخذهُ وان من يتصفح ديوانهُ يتبين هذا الفرق بين شعره الاول وشعره الاخير فقد كان يتعمد الاغلاق في مبتدا نظمه على ما يظهر وهذا دأب كل مبتدىء في نظم الشعر فانهُ يتعنى اقحام الالفاظ الغريبة والابهام حتى ينسب اليه بُعد الغور في اللغة والادب على انهُ اذا مضى عليه هذا الزمان فينضج فكرهُ ويصبح يعنى بالمعاني دون المباني الا ما وجب منها للافصاح عن الفكر باحسن بيان وهذا يشبه ما حدث للمتنبي ولغيره من الشعراء المجيدين

وعلى الجملة فقد كان الشريف الرضي شاعرًا مولدًا لكثير من المعاني حافظًا لشوارد اللغة والفاظها والاكثرون على انهُ من طبقة الشعراء المشهورين مثل البحتري والمتنبي وابي تمام وديوانهُ من كتب الادب ويخلق بكل اديب ان يقرأهُ ويتقصى ما ورد فيه من مبتكرات المعاني ولطائف الاختراع في الشعر ويا حبذا لو انتخل من هذا الديوان الكبير مجموع صغير وشرح شرحًا وافيًا مثلما شرح ديوان المتنبي فيسهل فهمهُ ويعم نفعهُ .

خليل يعقوب الخوري
دمشق

السرطان

وخلاصة البحث عن سببهِ وعلاجهِ

يعلم قرَّاء المقتطف انهُ تألَّفت لجنة من كبار العلماء في بلاد الانكليز في اواخر سنة ١٩٠٢ للبحث عن سبب السرطان وعن افضل الطرق لعلاجهِ وجُمعت لها الاموال الوافرة لتمكنها من هذا البحث. وقد اصدرت هذه اللجنة الآن تقريرها الثالث وضمَّنتهُ خلاصة اعمالها وما وصلت اليهِ بعد البحث الدقيق والعناء الشديد ومفادهُ ان سبب السرطان غير معروف حتى الآن وحقيقتهُ غير معروفة ايضاً ولم يكتشف لهُ علاج يمكن استعمالهُ فيشفيهِ او يقي منهُ وخير الوسائل للنجاة منهُ حتى الآن نزعهُ بعملية جراحية

نعم ان اللجنة لم تكتشف علاجاً يمكن استعمالهُ لشفاء الانسان من السرطان او لوقايتهِ منهُ ولا عرفت حقيقتهُ ولكنها حقَّقت اموراً كثيرة ممَّا يرجَّح انهُ يوصل الى ذلك وسنبين خلاصة الامور التي حققتها في ما يلي وهي

اولاً ان السرطان كثير الانتشار جدًّا فقد حققوا ان الذين يموتون في بلاد الانكليز ومنهم ٣٥ سنة فاكثر يكون منهم رجل مصاب بالسرطان من كل احد عشر رجلاً وامرأة مصابة بهِ من كل سبع نساء اي تسع الرجال والنساء يموت بالسرطان فلا تكاد عائلة تخلو منهُ وقلما يجتمع عشرة الأ و بينهم واحد على الاقل مصاب بهِ . ولم يثبت حتى الآن ان هذا الداء آخذ في الازدياد كما زعم البعض ولا ثبت انهُ بين الامم المتمدنة بالتمدن الاوربي اكثر منهُ بين غيرهم من الامم . وقد زعم البعض انهُ نادر في بلاد اليابان ولكن الاحصاءات الحديثة اثبتت انهُ غير نادر بل هو كثير فيها كما في غيرها

ثانياً ان السرطان يصيب كل الحيوانات ذوات الفقار كما يصيب الانسان فلا تسلم منهُ الاسماك كما لا تسلم منهُ الحيوانات العليا حتى الانسان

ثالثاً ان اكثر حدوثهِ في الثلث الاخير من عمر الحيوان سواء كان عمرهُ الطبيعي طويلاً او قصيراً

رابعاً لم يثبت انهُ ينتقل بالعدوى كالامراض المعدية فقد وضعت الوف كثيرة من الفيران المصابة بهِ مع غيرها من الفيران السليمة منهُ في مكان واحد واستمرَّ ذلك ست سنوات متوالية اي نحو ثلاثة اضعاف عمر الفار الطبيعي فلم تعدَ السليمة من المصابة

مطلقاً ولم يعدَ احد من الناس الذين كانوا يجرون التجارب فيها . ويقدر ان في انكلترا وويلس نحو خمسين الفاً من المصابين بالسرطان فلو كان معدياً كالجدري لانتشرت العدوى منهم الى غيرهم وعمَّ البلاء لكنهُ ينتقل بالتطعيم اي ليس لهُ ميكروب يمكن تجريدهُ من الجسم الحي ونقلهُ من حيوان الى آخر كميكروب السل والكوليرا والتيفويد بل لهُ ميكروب يبقى عالقاً بالجسم الذي هو فيهِ فاذا قطعت قطعة من ذلك الجسم اي من الورم السرطاني وطُعّم بها حيوان آخر اي زرعت في جسمهِ نمت فيهِ وأُصيب بالسرطان . اما الناس الذين يظهر السرطان فيهم فلا يكون تولدهُ فيهم بالعدوى وكذلك الحيوانات التي يظهر فيها من نفسهِ لا يكون ظهورهُ بالعدوى بل يتولَّد في الحالين تولدًا على ما يظهر

خامساً ان انتقال السرطان بالتطعيم يكون على هذه الصورة :— اذا قطعت قطعة من ورم سرطاني في فارةٍ وطُعمت بها فارة اخرى فبعض حويصلات تلك القطعة ينمو وبعضها يموت فالحويصلات التي تنمو هي الحويصلات السرطانية والتي تموت هي الحامل لها. والحويصلات التي تنمو تولّد ورماً سرطانياً في الفارة الثانية فاذا قطعت منهُ قطعة وطُعمت بها فارة ثالثة اصابها ما اصاب الثانية اي ماتت الحويصلات الحاملة ونمت الحويصلات المحمولة المتولدة من الحويصلات السرطانية . وتختلف الحويصلات الحاملة باختلاف الاورام السرطانية اما الحويصلات السرطانية نفسها فلا تختلف على ما يظهر ولكنها لا تستطيع ان تعيش من غير الحويصلات الحاملة لها

سادساً . ان السرطان لا ينتقل من حيوان الى آخر من غير نوعهِ فلا ينتقل من الفار الى الجرذ ولا من الجرذ الى الفار بل ينتقل من الفار الى الفار ومن الجرذ الى الجرذ

سابعاً ان نسبة الورم السرطاني الى ميكروب السرطان او الى الحويصلات السرطانية كنسبة المشيمة الى الجنين اي ان الورم يغذي الحويصلات السرطانية لا غير

ثامناً ان الاورام السرطانية المختلفة لا يستحيل بعضها الى بعض كأنَّ الحويصلات السرطانية لا تولّد الاَّ نوعها

تاسعاً ان صغار الحيوانات اقبل من كبارها لان تنطعّم بالسرطان مع ان السرطان يظهر من نفسهِ في الكبار اكثر مما يظهر في الصغار . ونريد بالصغر والكبر هنا السن لا الجسم

عاشراً اذا اختلفت تنوعات النوع الواحد من الحيوان عسر على الحويصلات السرطانية ان تنتقل من تنوع الى آخر في اول الامر ثم يسهل عليها ذلك بعد حين فقد طعموا فيراناً انكليزية بمادة سرطانية من فيران دنماركية فلم يُصب منها بالسرطان في اول مرة الاَّ خمسة

في المئة ثم نقلت المادة السرطانية من هذه الى غيرها من الفيران الانكليزية فزاد فعلها رويدًا رويدًا واخيرًا صار السرطان يظهر في ٩٠ في المئة من الفيران المطعمة كأن في جسم الحيوان شيئًا يمنع بعض الدقائق السرطانية من النمو فيه ولا يمنع البعض الآخر فتزول الاولى وتنمو الثانية وتتكاثر وتستأثر بالحيوان

حادي عشر انهُ يمكن جعل الجسم غير قابل لنمو الحويصلات السرطانية وذلك بان يطعم الحيوان بمادة سرطانية مأخوذة من حيوان آخر مثلهُ مصاب بالسرطان عند اول ظهوره او بنسيج سليم من حيوان سليم . وتشتد الوقاية في الحالة الثانية اذا تماثل الحيوان كما اذا طعم ثدي فارة سليمة بمادة من ثدي فارة اخرى سليم او مصاب بالسرطان في اول ظهوره . وما يصدق على الفارة يصدق على الجرذ ولكن الفارة لا تقي الجرذ والجرذ لا يقي الفارة . والمادة السرطانية المأخوذة من السرطان الجلدي مثلاً تقي من غير السرطان الجلدي ايضًا ولكن وقايتها من السرطان الجلدي اتم وقس على ذلك بقية انواع السرطان . وقد ظهر ان بعض انواع السرطان متشابه وبعضها مخالف فالمتشابه يقي بعضهُ من بعض والمخالف لا يقي او ان وقايتهُ قليلة

ثاني عشر ان الحيوانات التي لا تعدى بالسرطان لا يخرج منها مصل يقي منهُ او يشفي منهُ . ولا يوجد حتى الآن مصل يشفي من السرطان بعد ظهوره ونموه . والام التي لا تعدى بالسرطان لا تنتقل المناعة منها الى نسلها كما يحدث في الدفثيريا فالوقاية من السرطان المشار اليها آنفًا خاصة به ولا مثيل لها في غيره من الامراض المعدية . والظاهر ان الحيوان الذي يوقى من السرطان لا يعود جسمهُ قادرًا على تقديم الحويصلات اللازمة لنمو حويصلات السرطان فتموت تلك الحويصلات لقلة الغذاء او تضعف وتفترسها خلايا الجسم المعروفة بالفوغوسيت التي تفترس الاجسام الغريبة والميكروبات المرضية وتنجي الجسم منها . ولا يعلم كيف تتم هذه الوقاية في الجسم كله ولكن ما تقدم يفسر لنا كيف يشفى السرطان لذاته احيانًا ويدعو الى الامل بالوصول الى طريقة لعلاجه وشفائه او لوقاية الجسم منهُ

ثالث عشر انهُ يمكن جعل الجسم شديد القبول للسرطان كما يمكن جعلهُ غير قابل لهُ فاذا نما فيه ورم سرطاني سهل نمو ورم آخر سرطاني آخر فيه . ولذلك لا يسهل ان يوقى حيوان ظهر السرطان فيه كما يسهل ان يوقى حيوان لم يظهر السرطان فيه .

هذه اهم الامور التي رأينا فائدة من اقتطافها لقراء المقتطف وهي تدل على ان البحث عن حقيقة السرطان وعلاجه لم يزل في دائرة الامتحان ولم يخرج الى دائرة العمل حتى الآن والظاهر ان العلماء المشتغلين بهذه المباحث قد امتحنوا كل العلاجات التي وصفت للسرطان .

لنا تصاريف الايام من تراث اجدادنا الكرام كثيرًا من الاصطلاحات الاجنبيَّة الدالة على رواج سوق المعارضات العلمية وعلى ان اهل النهى والبعيدي الانظار لا يستنكفون من تبادل الثمرات التي يصلون اليها من طريق البحث والدرس

اما الآن وقد تمددت الصلات بين الشرق والغرب وسهل تناول الفوائد العلميَّة بفضل البخار والكهرباء فستكون جامعتنا ان شاء الله كحلقة اتصال بين العالمين حتى تأخذ بلا استكبار ما تلقفهُ الفرنج عن اجدادنا ونضيف الى سلسلة معارفنا حلقات جديدة لم يعرفوها وقد جاد بها الزمان على ما تقضي بهِ نواميس الارتقاء

هذه هي ايها السادة بعض الاسباب التي دعت هذه الجامعة الى الابتداء بالابتداء فقررت تدريس الحضارات الاسلامية والقديمة وأضافت اليها ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها باوربا

***

نعم ان الشرق عاد بعد تلك الحركة الهائلة الى سبات عميق فتنزل الى الحضيض . وبعد ان وقف في مكانهِ ساكنًا جامدًا اخذ الآن يتنبه ويتحرك حركة خفيفة . فابصر المعارف قد ترقت في بلاد الغرب الى درجة تتضاءل دونها القوى والافهام . احست امم الشرق بما يتهددها من خطر الجمود والوقوف واصبحت كلها وهي شاعرة بالحاجة الماسة الى تلقي ثمرات العلوم التي وصلت اليها اوربا وتمثيلها بما يوافق طبيعتها ومزاجها . فكانت اليابان في الشرق الاقصى اول من نفض غبار الكسل والخمول ووصلت في نصف قرن الى درجة الامم الراقية بل بذَّت كثيرًا منها . وها هي الامة المصرية في الشرق الادنى قد ادركت ايضًا هذه الحاجة فهبت عن بكرة ابيها وتعاون ابناؤها لاحراز الفخار بالسعي في اعادة القطر الى مجدهِ السابق . فاسست الجامعة المصرية التي ستعمل على ارجاع اللغة العربية الى مقامها المجيد في ميدان العلم وفي حلبة الامم

كيف لا تتوصل الجامعة المصرية لتحقيق هذه الغاية الكبيرة وقد هبت عليها نفحة من نفحات مولانا العباس : نفحة تضمن لمصر وللاسلام عودة تلك الايام الزواهر التي تزدان بها عصر بني العباس

فبسعد الخديوي عباس تفتح الجامعة ابوابها للناس

مستقبل البلاد العثمانية

من خطبة امزتلو افندم سعيد بك شقير مدير عموم حسابات السودان تلاها في الخرطوم ليلة الاحتفال باقتتاح مجلس المبعوثان العثماني في ١٧ دسمبر الماضي

ابناء وطني الكرام

اسمحوا لي اول كل شيء ان اشكر لكم حسن ظنكم بي لانتخابكم اياي لارئس هذا الاجتماع لان كلاً منكم احق بالرئاسة مني . فان دعوتكم هذه التي اسعدني الحظ بتلبيتها سرتني سرورًا مضاعفًا . سرورًا بالغاية التي اجتمعنا من اجلها واشركتني معكم في الاجتماع وسرورًا لانها ضمتني وفريقًا كبيرًا من خيرة اخواني الذين مكنتهم احوالهم الخصوصية وعلاقاتهم العائلية والمادية ان يهجروا البلاد السورية العثمانية كما هجرتها انا إما فرارًا من الجور في زمن العسف والاستبداد او سعيًا وراء الرزق وقد ضاق فيها على كل عزيز نفس يأبى ان يعيش متملقًا لحاكم مستبد او خادمًا لاغراض ذي نفوذ ديني او سياسي يأتمر بامره ويميل حسب امياله مع علمه انها اميال نفسانية او اغراض ذاتية مضطرًا ان يوالي من لا يريد موالاتهُ وان يعادي من لا يريد معاداتهُ يصبح بالذي امسى فيهِ مكتئبًا مغلول اليدين ولسان حالهِ يردد ما قالهُ ابو الطيب

ومن نكد الدنيا على الحرّ ان يرى عدوًّا لهُ ما من صداقتهِ بدُّ

يروح ويغدو كارهًا لوصالهِ وتضطرهُ الايام والزمن النكدُ

فعواطفهم عواطفي والمرّ الذي يتجرعونهُ في غربتهم مما صارت اليهِ بلادهم اتجرعهُ معهم ومضض العيش الذي يصبرون عليهِ انا فيهِ صابر عليهِ صبرهم من جميع وجوههِ المختلفة شكلاً والمتفقة معنًى . والغريب في بلاد اذا كان في ضيق يعطف على الغريب نظيرهِ الواقع في ضيق من نوع ضيقهِ ويسرُّ باجتماعهِ معهُ ليكون واياهُ في الشدة اخوانًا وعلى تفريجها اعوانًا مهما اختلفت مشاربهما فكيف بهِ اذا لقي ابن وطنهِ وكانت بلواهُ نفس بلواهُ وشكواهُ نفس شكواهُ وكان اجتماعهُ بهِ وداعًا لضيق مرٍّ وكان امرّ من الصاب واستقبالاً لسعادة باتت على الابواب . هذا هو شعوري وهذه هي احساساتي وقد ضمتني هذه الحفلة معكم

وغايتنا من اجتماعنا في هذه الحفلة ايها الاخوان ان نحيي ليلة انس نفرح فيها في غربتنا بما نالتهُ امتنا من النعمة والهناء بعد ان قضينا دهرًا طويلاً والصدور منقبضة والحزن مخيم على النفوس لا ينقضي نحس حتى تليهِ نحوس—قد اجتمعنا لنشترك مع باقي اخواننا العثمانيين

في جميع انحاء السلطنة العثمانية وغيرها حيث العثمانيون مقيمون في الاحتفال بافتتاح مجلس المبعوثان عنوان مجد الامة واساس تقدمها وفخرها او بعبارة اخرى بانتقال السلطنة من حكومة مطلقة استبدادية لا شأن للامة في تدبير شؤونها الى حكومة شورويّة دستورية تديرها فئة من الامة تنوب عنها فتسن قوانينها وتنظم شرائعها بحسب الزمان والمكان وتضع للحاكم حدًّا لا يتعداهُ فهو يسير حسب ارادتها ولا تسير هي حسب اهوائهِ وهو خاضع لمشيئتها وليست هي خاضعة لمشيئتهِ فلا يستطيع ان يظلمها ليزيد في تنعمهِ ولا ان يفقرها ليزيد في غناهُ ويتمتع بكل ما تشتهيهِ نفسهُ ولا يقيد افكارها ويكمّ افواهها كي لا يعارض في شيء ينويهِ او امر ياتيهِ

اذا اكثرت من الضرب على هذه النغمة او اطلت الكلام اكثر مما يحتملهُ المقام فلاعتقادي ان هذا الحديث مما لا تملهُ الصدور رغمًا عن قصور المتكلم وسوء تعبيرهِ فانهُ منذ ٢٤ يوليو وهو اليوم الذي بُعثت فيهِ الحياة في جسم السلطنة العثمانية والخطباء مئات والوفًا يخطبون في اجتماعاتهم الخصوصية والعمومية في كل انحاء السلطنة العثمانية والكتبة يكتبون في نشرات خصوصية وعلى صفحات الجرائد العربية والاعجمية ولا يزالون حتى الساعة على هذا المنوال • والمشاهد انهُ لا يكتب كاتب في موضوع الحرية والدستور والمزايا التي اكتسبتها الامة في الحصول عليهِ الاَّ وجدت من النفوس ارتياحًا كانها السحر الحلال — ولا يعقد اجتماع في هذا الصدد الاَّ ويكون لهُ من العثمانيين على اختلاف نحلهم ومللهم كل اقبال

والعجيب انهُ ظهر في القوم من الخطباء والكتبة والشعراء ما لم يكن يحلم بوجودهِ قبل ان أُطلق اعلان الدستور الالسنة والاقلام من عقالها • ولا شك انهُ سيظهر الاداري والمالي والسياسي والمهندس والقائد والمخترع والفيلسوف وقد افسح المجال للكل في ميدان التقدم والعمران — والامل انهُ لا يمضي ربع هذا القرن حتى تصبح الدولة العثمانية من الدول العظام تفتخر بادارة داخليتها وماليتها وحربيتها وبحريتها وزراعتها وصناعتها وتجارتها وتهاب سطوتها الدول العظام كما تهاب الواحدة منهنَّ الاخرى في هذه الايام

واما انا هذه كما ذكرنا في تلغرافنا[1] الذي ارسلناهُ اليوم معقودة بمجلس المبعوثان والمساعي

(١) هذه صورة التلغراف الذي أُرسل

رئيس مجلس المبعوثان — الاستانة

العثمانيون هنا واكثرهم سوريون وارمن يحتفلون الليلة بافتتاح مجلس المبعوثان ويشتركون مع سائر العثمانيين بالابتهاج في هذا اليوم السعيد ويقدمون تهانيهم الى اعضاء المجلس لنيلهم ثقة الامة التي توجه اليهم انظارها وتعلق بهم آمالها ويؤملون ان بمساعيهم تتحد عناصر الامة وتنتشر المبادىء الحقة وينبسط لواء العدل والحرية والأمن في انحاء السلطنة فتنهض الى اوج العز والمجد سعيد شقير

التي سيبذلها في هذا الشأن معضوداً من افراد الامة وجميع عناصرها في كل مكان

وهل اصلاح هذه السلطنة بالامر اليسير يا ترى بعد ان مرَّ عليها هذا الزمن وهي مرمح الفساد فانفصل من اجزائها ما انفصل واعتلت ادارتها واختلت ماليتها و بارت تجارتها وانحطت صناعتها واهملت زراعتها وهجرها سكانها وتضاربت مشارب العناصر المؤلفة منها . وهل هي قابلة للاصلاح وبلوغ درجة الارتقاء التي نرجوها لها اذا توفرت فيها الاسباب لذلك — جوابي على هذه الاسئلة جواب عثماني يحب بلاده فلا يرى لها سوى مستقبل باهر تتحقق فيه كل هذه الاماني

ولكني لا ادعي اني ملمٌّ بكل مواضع الخلل وان كنت ملماً بكثير منها او اني اعرف كل الطرق الكافلة للاصلاح وان كنت اعرف بعضها فان هذه تستلزم خبرة كبيرة باحوال السلطنة لم تتهيأ لي وتفصيلها اذا وُفي حقهُ من الاشباع يستغرق وقتاً طويلاً لا يحتمله هذا المقام ولكني سأذكر شيئاً من اليسير الذي اعرفهُ عنها مما لي فيهِ خبرة اكثر من سواهُ

(المالية)

ماليتنا حتى الآن ليس لها نظام يعرف ولا شكل معقول يوصف فقد شاءت الحكومة الماضية ان لا تطلع الامة على دخلها وخرجها بل ان تدفع الامة الضرائب صاغرة دون ان تنبس ببنت شفة سائلة عن السبيل الذي تنفق فيهِ . يكدح العامل والزارع والتاجر والصانع اناء الليل واطراف النهار حتى اذا ما حصل شيئاً يقتات بهِ يومهُ ويدخر منهُ لشيخوخته جاءهُ جابي الاموال فابتزَّ منهُ ما جمعهُ بعرق جبينهِ تحت اسماء مختلفة من الضرائب والرسوم والعوائد فالتهم منها ما شاء وارسل الى الخزينة ما شاء . وما وصل الى الخزينة كانت حكومة الاستبداد تنفق معظمهُ فيما حرمهُ الله من السبل غير مصغية الى تبكيت ضمير او استغاثة فقير

حالٌ اذا لم تكن في ذاتها عجباً فانما صبرنا فيها هو العجبُ

ولكن الذي يظنهُ الخبيرون هو ان دخل الخزينة العثمانية يبلغ نحو ١٨ مليوناً من الليرات العثمانية يذهب منها نحو ثلاثة ملايين ونصف فائدة للديون التي اقترضتها الحكومة فيما سلف ومقدارها نحو ١١ ملايين وقسم كبير لا يعلم مقدارهُ الا الله كان ينفق على الجواسيس والمتملقين وما بقي يستخدم قسم منهُ في دفع رواتب الموظفين الكبار وفي ما كان اضطرارياً من نفقات الادارة والباقي في دفع رواتب صغار المأمورين وانفار الجند حماة الوطن الذين لولاهم لما كانت الامة العثمانية على ما هي فيهِ الآن من النعمة — هؤلاء الجنود كانوا يتركون

اليوم بعد اليوم والشهر بعد الشهر والسنة بعد السنة وليس على اجسامهم سوى خرق بالية لا تقيهم حر النهار ولا تدفع عنهم برد الليل وهم لا يكادون يحصلون اليابس من الخبز بلا أدام ليحفظوا اجسامهم وارواحهم معاً . ولكن الامر العجيب الذي يفتخر به العثمانيون في هذه الاحوال هو هؤلاء الجنود انفسهم فانهم رغماً عن هذه المعاملة السيئة لم يفقدوا عزة نفوسهم ولا فترت هممهم بل تحملوا الضيم صابرين وكانوا في كل معركة انتدبوا لها لحماية الاوطان موضوع اعجاب الصديق والعدوّ حتى شهدت لهم ام الارض انهم من اقوى جنود العالم بأساً واصعبهم مراساً واعظمهم شجاعة واشدهم اخلاصاً لدولتهم رغماً عن الظلم الذي قاسوه وسوء الحالة الذي وصلوا اليه

كذا كانت الطريقة التي كان ينفق فيها دخل المملكة ولم يكن هذا الدخل يكفي نفقاتها فكانت في معظم السنين تقترض النقود من مصادر مختلفة سدّاً لعجز الميزانية وقياماً بنفقاتها الادارية حتى بلغ دينها ما بلغ[1] وضاعت ثقة الماليين بها فلم تعد تستطيع ان تقترض درهماً الاّ بفائدة ثقيلة وبعد ان ترهن لحصول عليه شيئاً من دخلها او تتنازل عن كنز ثمين من كنوز السلطنة فاقترضت مليوناً ومئتي الف جنيه سنة ١٩٠١ بفائدة ٥ في المائة وثمانية ملايين سنة ١٩٠٢ وما ينيف على ٣٥ مليوناً سنة ١٩٠٣ ولكن القرضين الاخيرين كانا لتحويل بعض ديونها السابقة الى ما فائدته ٤ في المائة. وتمكنت من استخدام قسم منهما لسد عجز الميزانية في العامين المذكورين وسنة ١٩٠٤ اقترضت ٢٢٠٠٠٠٠ لسكة حديد بغداد وسنة ١٩٠٥ اقترضت نحو ثمانية ملايين جنيه لمآرب شتى ذهب قسم كبير منها كما ذهب سواه وسنة ١٩٠٦ و ١٩٠٧ اقترضت نحو تسعة ملايين جنيه تحويلاً لبعض ديونها السابقة ايضاً ولكنها استخدمت قسماً كبيراً من هذا القرض في سبلها المعهودة . وفي

(١) يبلغ دين الحكومة العثمانية نحو ١١٠ ملايين ليرة عثمانية منه نحو ١٩٠٠٠٠٠٠ ليرة مضمون بالجزية التي تدفعها مصر للدولة ومقدارها ٧٥٠٠٠٠ ليرة عثمانية ونحو ٨٠٠٠٠٠٠٠ ليرة مضمون بقسم كبير من موارد دخلها ونحو ١١٠٠٠٠٠٠ غير مضمون على ما يظهر . وفي الاستانة ادارة مخصوصة للديون العثمانية اشبه شيء بصندوق الدين المصري وهي تستولي على ريع الموارد المرهونة وتدفع منه الفائدة لارباب الديون والموارد المرهونة في رسوم الملح والمشروبات الروحية وورق التمغة وحلقات الاسماك والحرير والتبغ وجزية الروملي وبعض رسوم الكمارك ونحو ذلك والدخل من هذه الموارد يقدر باكثر من ثلاثة ملايين ومائتي الف ليرة عثمانية

ولا شك انه متى ظهرت ميزانية الحكومة في السنة الاولى بعد انعقاد مجلس المبعوثان تتمكن الامة من معرفة حقيقة دخلها ونفقاتها ومقدار دينها والكيفية التي انفق بها

اواخر سنة ١٩٠٧ واوائل سنة ١٩٠٨ كانت ساعية في عقد قرض آخر لكي تدفع بهِ عنها بعض نتائج نفقاتها غير مبالية بالحالة التي ستجرها اليها هذه الديون ما دام الاستحصال عليها يعطيها نفقات اليوم ولا يهمها امر المستقبل

هذه حالتنا الى امس فما الذي نأمل ان نراهُ في القريب العاجل بهمة مجلس المبعوثان وعضد الامة لهُ كما سبق الكلام

(الزراعة)

من المعلوم والتاريخ اصدق دليل ان كل بلاد انتبهت الحكومة فيها الى موارد ثروتها وامنت الزارع على زراعتهِ والصانع على صناعتهِ والتاجر على تجارتهِ والمتملك على عقارهِ فرفعت الضرائب الجائرة وابقت ما كان خفيفاً عادلاً وبسطت راية العدالة والمساواة في الحقوق بين افراد الرعية صارت تلك البلاد الى التقدم سيرًا عظيماً لم يكن يقدَّر لها فنمت تجارتها وزادت ثروتها اضعاف ما قدرهُ لها المصلحون والمتفائلون لها بالخير. ولست احتاج ان اذهب بعيداً لشواهدي فهذا السودان الذي نحن فيهِ رغماً عن رمالهِ المحرقة واهمال اكثر اراضيهِ وقلة سكانهِ وما خرب الدراويش منهُ والاحوال الخصوصية التي تقضي على مصلحيهِ ان لا يطمحوا بابصارهم في الوقت الحاضر الى النيل لريّ اراضيهِ ولا يسمحوا بزراعتها شيئاً يعود بالضرر على مالية القطر المصري كزراعة التبغ مثلاً زادت ايرادات خزينتهِ في اقل من عشر سنوات ثلاثين ضعفاً اي من ٣٥٠٠٠ جنيه الى ما ينيف على مليون جنيه وزادت قيمة وارداتهِ وصادراتهِ معاً من نصف مليون جنيه الى ما ينيف على مليونين ولا يبعد ان يكون عدد سكانهِ قد تضاعف لو امكن تعدادهم في الماضي واليوم والامن فيهِ سائد يسير الغريب كيف شاء في طولهِ وعرضهِ حيث بسطت الحكومة ظلها فاذا لم يؤذهِ الوحش لا ينالهُ اذى. كل ذلك نتيجة سهر حكام نزهاء يسعون في سبيل الاصلاح

وهذه مصر جارتنا وكلنا يعرف تاريخها الحديث منذ ربع قرن الى اليوم — فان ايراد خزينتها رغماً عن تخفيض الضرائب المستمر زاد من تسعة ملايين جنيه الى ١٦ مليوناً في ١٩٠٧ وقيمة صادراتها ووارداتها معاً زادت من ١٩٥٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٨٨٠ الى ٥٤ مليوناً سنة ١٩٠٧ واراضيها الزراعية زادت في هذه المدة اكثر من مليون فدان ومحصولها من القطن ارتفع من مليونين وربع مليون قنطار الى نحو سبعة ملايين قنطار وبلغت قيمتهُ في ١٩٠٧ نحو ٢٣٦٠٠٠٠٠ جنيه وعدد سكانها الذي هبط في عهد الحكومات الاستبدادية من ٨ ملايين الى نحو ٣ ملايين عاد فارتفع في عهد الاصلاح الى ان بلغ احد عشر مليوناً وربع مليون.

كل هذه حقائق ثابتة تثبتها السجلات الرسمية وكنت احب ان اورد سواها ولكن هذين الشاهدين يكفيان لنقيس حالة البلاد العثمانية ومستقبلها عليهما اذا بدأت فيها يد الاصلاح

ان مساحة البلاد العثمانية في اوربا واسيا وافريقيا في الوقت الحاضر عدا ما انفصل عنها من البلدان نحو مليون و ١٥٨ الف ميل مربع (١) وهذه المساحة تزيد على مجموع مساحات انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا والمجر وايطاليا واسوج ونروج واسبانيا واليابان معاً وفيها من الاراضي الزراعية ما يكفي اضعاف اضعاف سكانها الحاليين فان فيها قامت اعظم دول الارض منذ عهد التاريخ فالكلدانيون والبابليون والاشوريون والسلوقيون والفرس والعباسيون تقلبوا عليها فعمروا واستعمروا واثروا وكانت الارض تفيض لهم لبناً وعسلاً والمظنون ان وسائط الري لم تكن متيسرة لمهندسي تلك الازمان كما هي متيسرة لمهندسينا هذه الايام ويكفي ان اذكر ان بين الفرات ودجلة فقط منطقة من الارض طولها ٩٠٠ كيلومتر ومساحتها نحو ثلاثة عشر مليون فدان اي ضعفا اراضي مصر الزراعية وهذه المنطقة ذات تربة خصبة قلَّ ان تفوقها تربة في العالم وهي المنطقة التي زارها منذ امد غير بعيد السر وليم ولككس ووضع فيها تقريرهُ المشهور فابان فيه الطريقة اللازمة لاصلاح الري هناك ووصف حالة التربة وصفاً مستوفياً وذكر ما يصلح للزراعة فيها من المزروعات التي تعود بريع وافر فتغني الامة والحكومة معاً . ولكن تقريرهُ هذا بقي حبرًا على ورق شأن كل مشروع حميد في عهد الحكومة الماضية حتى انقلبت فقامت الحكومة الدستورية اليوم غيورة على البلاد راغبة في الاصلاح فتمسكت بذلك المشروع وسواهُ مما طرح في زوايا الاهمال في العهد القديم واستدعت السر وليم ولككس صاحبهُ كما هو معلوم ليستوفي درسهُ ويخرجهُ من حيز القول الى حيز الفعل . وقد اتفق لي قبل تركي مصر اني قابلت صديقي يوسف افندي افتيموس المهندس الشهير فاخبرني انهُ طالع ما كتبهُ السر وليم ولككس في هذا الصدد بالتدقيق وعلمت منهُ ان كلاً من نهري الفرات ودجلة يصب في الثانية نحو ثلاث مائة متر مكعب من

(١) مساحة الاملاك الحرة للدولة العثمانية وعدد سكانها كما يأتي

	اميال مربعة	عدد السكان بوجه التقريب
في اوربا	٦٥٣٥٠	٦٢٠٠٠٠٠
في اسيا	٦٩٣٦١٠	١٧٧٠٠٠٠٠
في افريقيا	٣٩٨٩٠٠	١٠٠٠٠٠٠
والجملة	١١٥٧٨٦٠	٢٤٩٠٠٠٠٠

المياه مدة التحاريق وتزيد هذه الكمية الى خمسة آلاف مدة الفيضان اي ان كلاً من النهرين يصب من المياه مقدار ما كان يصب النيل قبل عمل الخزان. وفي المنطقة التي سبقت الاشارة اليها فصل حار يدوم زهاء ستة اشهر في السنة وهو كافٍ لزراعة القطن وقصب السكر. والارض كما سبق القول ذات خصب عجيب ينمو فيها كل ما ينمو في البلدان الحارة ومصرف المياه منها اهون من صرفهِ من ارض مصر كما تبين بالتحليل والدرس

فهذه بقعة واحدة في بلادنا العثمانية كافية لان تخرج لنا بعد اصلاحها واصلاح ريها ضعفي ما تربحهُ مصر من حاصلاتها . وغير هذه البقعة بقاع اخرى اذا لم تكن واسعة نظيرها فهي ليست بقليلة الشان في زيادة ثروة السلطنة ولقد ذكر لي يوسف افندي كثيرًا منها في البلاد العثمانية ولكني لست اشير الا الى المعروف منها لاخواني السور بين فان في الحولة نحو ٥٠٠٠ فدان مغمورة بالمستنقعات يستطاع تجفيفها واصلاحها بنفقة قليلة وهذه الاراضي اخصب تربة من ارض مصر وتصلح لزراعة القطن والبن وقصب السكر والحبوب على انواعها وتبعد عن خط سكة حديد حيفا نحو ثلاثين كيلو مترًا فقط . وبين صور وصيداء بقعة من الارض يبلغ طولها نحو ٤٠ كيلومترًا وهي من اجود الاراضي تربة ويمكن ريها بعمل قناطر تحجز على نهر القاسمية والمشروع لا يقتضي نفقة تذكر بالنسبة الى الفائدة التي تنجم عن ري هذه الاراضي . وهو الآن يدرس هذا المشروع درسًا مدققًا ولا يبعد ان يتولى اخراجهُ من حيز القول الى حيز الفعل وعند النهر الكبير والنهر البارد قرب طرابلس الشام اراضٍ متسعة يمكن ريها بسهولة من هذين النهرين وهما لا يبعدان عن طرابلس اكثر من ثلاثين كيلومترًا ومثل ذلك يمكن ري اراضٍ كثيرة متسعة قرب حمص من بحيرة قريبة منها

ويطول بي الوقت اذا اسهبت في ذكر ما يمكن ريهُ من الاراضي وهو لا يروى الآن وفي اصلاح ري كثير من الاراضي التي تروى ريًّا غير مستوفٍ ولكني اكتفي بما ذكرت بيانًا لما يمكن عملهُ لاصلاح الزراعة في المملكة العثمانية وكلٌّ يعلم انهُ اذا تقدمت الزراعة زادت ثروة البلاد واتسع نطاق تجارتها وزاد عدد سكانها وتحسنت مالية حكومتها وساد الامن فيها لان الفلاح متى اثرى اصبح محافظًا على الامن والسكينة من طبعهِ ليتمتع بمالهِ وثروتهِ

(المعادن)

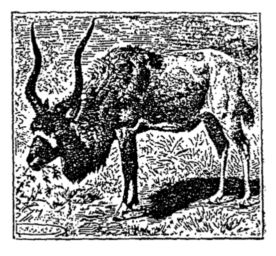
هذا من حيث الزراعة وعدا هذه فان البلاد ولاسيما المنطقة الواقعة منها في اسيا غنية بمعادنها فان فيها كثيرًا من المعادن المعروفة التي تعود عليها بالثروة اذا انتبه الى استخراجها ولكنها مهملة لاسباب شتى ففيها معدن الكروم ويستخرج منهُ الآن من بقعة واحدة عرف وجودهُ



الاروية اي الضأن الجبلي



الوعل اي المعز الجبلي



المهاة



المارية او الوضيحي

فيها نحو ١٥٠٠٠٠ طن سنوياً. وفيها الرصاص الفضي والزنك والمغنيس والانتيمون والنحاس فان في ارغني في ولاية ديار بكر منجماً من النحاس يقول الخبيرون انهُ من اكبر مناجم الدنيا واغناها وفيها البورق والذهب والفضة والزرنيخ والسنباذج والزئبق والحديد والكبريت والرخام على اختلاف انواعه وفيها الفحم الحجري واهميتهُ في الصناعة وفي نجاح البلدان لا تحتاج الى بيان. فان في هرقلة على البحر الاسود منجماً يستخرج منهُ سنوياً نحو ٤٠٠٠٠٠ طن ولا يبعد ان توجد مناجم غيره في بقاع اخرى. وفيها منابع بترول في اواسط وادي الفرات وفي اماكن كثيرة في آسيا الصغرى وعلى الشاطئ الشمالي من بحر مرمرا وفيها غير ذلك من المعادن التي لا شك انهُ في عهد الدستور يسهل على ارباب الاعمال والاموال استقصاؤُها واستثمارها فتجري منها ميازيب ثروة على البلاد والحكومة. ومتى اثرت البلاد وتحسنت مالية حكومتها امكن تنظيم داخليتها واصلاح جيشها وعمارتها البحرية وترقية جميع شؤُونها (المستقبل)

فالاصلاح اذاً ميسور والبلاد قابلة لهُ من حيث اراضيها الزراعية ومعادنها وهواؤُها واستعداد سكانها للتقدم فقد نبغ منهم في كل زمان افراد ظهر منهم من الهمة والذكاء في جميع الفنون العلمية والادبية والصناعية والسياسية ما يمكن اتخاذهُ دليلاً على ان الامة لا تحتاج الى مساعدة الاجانب طويلاً حتى تصير غنية عنهم بابنائها في كل ما يلزمها — واني اسرح نظري في عالم الخيال وانظر الى ما يمكن ان تصير اليهِ المملكة العثمانية في الاستقبال فتتجلى امامي مملكة عظيمة الشأن قوية الاركان تضاهي بعظمتها وضخامة ملكها اعظم ما وصلت اليهِ دول الارض فيما سلف من الزمان من الكلدان إلى الرومان واليونان والانكليز في هذه الايام. فارى ايراد خزينتها ١٤٠ مليوناً من الجنيهات كايراد الخزينة البريطانية لا ثمانية عشر وقيمة صادرتها نيفاً وخمسمائة مليون من الجنيهات كقيمة صادرات بريطانيا ومستعمراتها لا خمسة وعشرين مليوناً كما هي الحالة الآن وارى لها جنداً ضخماً تخفق فوقهُ رايات النصر اينما سار فيهِ المسلم والمسيحي والاسرائيلي على السواء من تركي وعربي وارمني وسوري وغير ذلك من العناصر المؤلفة منها السلطنة يحارب الواحد مكاتفاً الآخر وهو اخوهُ في الوطنية وشريكهُ في السراء والضراء وان خالفهُ ديناً ولغة وارى لها عمارة بحرية تباهي بها عمارات اعظم الدول البحرية. والبحري فيها كالجندي في الجيش مدرب احسن تدريب على الحركات العسكرية لابس احسن لباس يقبض راتبهُ في حينهِ وتعتني الحكومة بطعامهِ وشرابهِ وراحتهِ كما يعتني الاب ببنيهِ وارى التعليم الزامياً في كل انحاء المملكة والمدارس منتشرة فيها من علمية وطبية

وزراعية وصناعية وصناعنا العثمانيون يحوكون ما تلبسهُ على اختلاف انواعهِ وهم يبنون دورنا ويشيدون قصورنا ويصنعون وينسجون كل ما نحتاج اليهِ من الاثاث والرياش وسائر الادوات التي في المنازل والقصور ويخترعون ويضعون كل ما يلزم للزارع في زراعتهِ والكاتب في كتابتهِ والتاجر في تجارتهِ والصانع في صناعتهِ والجندي والبحري في دفاعهما عن الاوطان ولكل عامل في عملهِ مهما كان — وارى العثماني عزيزًا مكرمًا في عين الاجنبي فلا تداس حقوقهُ لضعفهِ ولا يستخف بهِ لانهُ تركي او سوري او رومي او ارمني عملًا من الاجنبي ان ليس لهُ دولة ذات شأن تدافع عنهُ او جند عظيم قوي يهب لحمايتهِ والذود عن حقوقهِ ولا يساق مكتوفًا في قلب السلطنة العثمانية الى السجن اذا اختصم مع اجنبي ويترك الاجنبي يسرح ويمرح ريثما يحصل التحقيق الابتدائي وارى الجنسية العثمانية فخرًا وعزًا يتمسك العثماني بها تمسك الانكليزي بانكليزيتهِ والفرنساوي بفرنسويتهِ والالماني بالمانيتهِ ولا يسعى كما كانت الحالة حتى امس وراء حماية دولة من هذه الدول العظام ويهم نفسهُ وامتهُ امامها وصمة الذل والعار لينجو من ظلم يلحق بهِ من نفس حكامهِ العثمانيين الذين افسدت الحكومة السالفة اخلاقهم

وارى عدد سكان المملكة قد نما فارتفع من ٢٥ مليونًا الى ٥٠ بل الى مئة مليون والمهاجرة من الاوطان التي حتى ٢٤ يوليو كانت منى كل انسان اصبحت اثرًا بعد عين بل ارى انهُ قد عاد النازحون الى اوطانهم من سوريين ويونانيين وارمن واتراك على اختلاف طبقاتهم وتنوع الاسباب التي هاجروا من اجلها وهي وان اختلفت صورة كان مرجعها الى الاستبداد [1] اراهم كلهم قد عادوا من جميع اطراف الارض من اوربا واميركا واستراليا ومصر والسودان والصين والهند واليابان حيث تنتاب فقيرهم الامراض وكل ضروب الذل التي ترافق الفقر وتنتاب ذا اليسار منهم انواع اخرى من الذل لا تقل عن ذل الفقر بل قد تكون آلم وامرّ

وارى حكام المملكة من اكبر وزرائها الى اصغر عامل فيها يضرب بهم المثل في الهمة والنشاط والنزاهة والكل يتفانون في خدمتها وحب الاصلاح. دينهم بعد الله العدل والمساواة

(١) تصعب معرفة عدد المهاجرين من المملكة العثمانية منذ اخذ يدب الفساد فيها الى آخر عهد الاستبداد ولكنهُ لا شك يبلغ عددًا كبيرًا فان النازحين من لبنان وحدهُ وهو من الولايات الممتازة يبلغون نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس ناهيك عما نزح من باقي السلطنة العثمانية التي كانت يد الظلم ايسر وصولًا اليها واشد فتكًا باهاليها فقد اخبرني احد اعضاء جمعية تركيا الفتاة ان عدد الذين نزحوا من السلطنة العثمانية او فتكت بهم ايدي المابين وعمالهِ في عهد الحكومة الحميدية فقط لا يقل عن المليونين

بين الرعية وديدنهم العمل لزيادة ترقيتها المادية والادبية واري مجال التقدم متسعاً للافراد الامة على اختلاف اجناسهم واديانهم والمساواة في الحقوق عامة فلا يقام حاجز حصين بين التابع منهم واعظم مراكز الدولة لانهُ مسيحي او عربي او ارمني او سوري او غير ذلك كما كان يقام في وجههِ في اكثر الولايات العثمانية اذا لم يكن تركيًّا او صنيعة المابين

هذه هي المملكة ايها السادة التي اراها في الخيال للعثمانيين في الاستقبال فهل تتحقق هذه الآمال ام تذهب كلها كانها اضغاث احلام . كل ذلك يتوقف على مجلس المبعوثان وعلى ما اذا كان وراءهُ امة حية تعضدهُ وقد بدأت تذوق طعم الحريَّة فتؤيد مطالبهُ وتبذل في الوصول الى هذه الغاية كل ما عزَّ وهان

هذه آمالنا التي نعيش عليها الآن وشتان بين هذه الآمال الحية وما كانت عليهِ آمالنا بالامس . ولمن الفضل في ذلك كلهِ الفضل فيهِ الى ضحايا الحرية وشهداء النهضة الدستوريَّة منذ ايام السلطان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز الى يومنا هذا ولا سيما اولئك الابطال الذين لم يرهبهم الوعيد ولا غرَّتهم الوعود بل قاموا ينتصرون للدستور والحرية تحت خطر الموت منذ فضّ مجلس المبعوثان الاول . فلنشرب على ذكرهم وذكر الجيش ولنقل جميعاً ليحيَ ابطال الحرية وليحيَ الجيش العثماني ولتقم لهم التماثيل في كل انحاء السلطنة اقراراً منا بفضلهم الى الابد واعترافاً بجميلهم المرسوم على الصدور باحرف من نور ومثالاً لابنائنا من بعدنا يقرأون تاريخهم و يقتفون آثارهم اذا لاسمح الله عاد الظلم عصر في ايامهم وطمحت ابصار حكامهم للاستئثار بالسيادة والعبث بحقوق الامة

ويجب الَّا ننسى ايضاً فضل الامة البريطانية في هذه النهضة العثمانية فقد كان لها يد قويَّة في هذه الحركة تقوَّى بها الاحرار واشتدَّ ازرهم فمنعت عنهم مطامع الدول الطامعة فيهم وساعدتهم في الفوز بامنيتهم فلفازوا بها دون ان يثور ثائر الثورة في البلاد وتراق دماء الالوف من العباد وهذه الامة اشتهرت في كل عصر بحب الحرية ونشر مبادئها وعضد طالبيها في كل صقع استطاعت لمساعدة اهليهِ سبيلاً وما هبَّ العثمانيون في طلبها حتى هبت لنجدتهم ووقفت في وجه من رام عرقلة مساعيهم . والحق يقال انهُ لولاها لما كانت نتيجة هذه النهضة باهرة كما نراها ولعلنا لم نكن في هذه الآمال التي نبنيها للاستقبال فلنشرب على ذكرها هذه الكاس وندعُ لها بالبقاء ولرابطتها بالفوز ولصداقتها للعثمانيين بالدوام . فلتعش الامة البريطانية

الخرطوم في ١٧ دسمبر سنة ١٩٠٨ سعيد شقير

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

ذوات الظلف والحافر والخف[1] UNGULATA

❖ البقر الاهلي ❖ Bos taurus

❖ الغَوْر[2] (هندية معرَّبة) ❖ E. & F. Gaur Bos Gaurus. نوعٌ من البقر الوحشي[3] وهو في حجم الجاموس وشبيه بهِ

❖ الجَيَال (هندية معربة) ❖ E. & F. Gayal Bos frontalis. نوعٌ من البقر الوحشيّ الهندي

❖ الجاموس (معرَّب كاوميش بالفارسية ❖ F. buffle E. Buffalo. Bos bubalis. حيوانٌ من جنس البقر وهو اكبر من البقر الاهلي واصعب مراساً منهُ · والجاموس الداجن اصلهُ من الهند ويوجد منهُ اصنافٌ وحشية في افريقية

❖ البَيْسُون (معرَّبة) ❖ E. & F. Bison B. bonasus & B. americanus جنسٌ من البقر الوحشيّ يوجد منهُ نوعان احدها أُروبي والآخر اميركي وهما نادرا الوجود الآن وكادا ينقرضان

❖ الضأن ❖ F. Mouton E. Sheep. Ovis aries.

❖ الأَرْوِيَّة · الضأن الجبلي · الكبش الجبلي[4] ❖ Ovis tragelaphus. E. Barbary wild-sheep or arui. F. Mouflon à manchette ou aroui الاروية الضأن الجبلي وهي ادماء اللون وعنقها وصدرها مكسوَّان بصوف طويل ولها قرنان اعقفان اقصر من قرني الوعل وذنبها اطول من ذنبهِ وهي من الضأن لا من الماعز كالوعل وتوجد في شمال افريقية حيث تعرف بالأَرْوي وفي جبال القطر المصري الشرقية والسودان الشرقي وجبال سينا[5]

---

(١) الظلف للبقرة والظبي والشاة والحافر للفرس وغيره من الدواب والخف للبعير بمنزلة الظفر للانسان (٢) تعريب دائرة المعارف (٣) المقصود بالبقر الوحشيّ هنا ان هذه الحيوانات من جنس البقر Bos الا انها وحشية وهي خلاف البقر الوحشي المعروف عند العرب فهو ليس من البقر بل من الظباء الكبيرة وسيأتي ذكرهُ (٤) مفردات ابن البيطار (٥) انظر قاموس الكتاب المقدس لسمث صفحة ١٤٦ ولفظة مهاة في قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست

حيث تعرف بالكبش وكانت كثيرة الوجود في جبال المقطم على مقربة من القاهرة وصيدت واحدة منها عند ابواب المدينة منذ نحو مئة سنة(١)

والأُروِيَّة في كتب اللغة الانثى من الوعول وهذا ما جاء عنها في لسان العرب قال " الأُروِيَّة ... الانثى من الوعول ... قال ابو زيد يقال للانثى اروِيَّة والذكر اروِيَّة وهي تيوس الجبل . ويقال للانثى عنز وللذكر وعل ... وهو من الشاء لا من البقر ... وهي الايائل وقيل غنم الجبل ". واطال في البحث عن اصل هذه اللفظة ووزنها ووزن جمعها مما استغرق اكثر من صفحة ولم يصفها بغير ما ذكرت . وفي غيره من كتب اللغة مثل ذلك تقريباً ووصفها مشوّش لا يفهم منهُ هل هي حقيقةً انثى الوعول لانهم قالوا ان اللفظة تطلق على الذكر والانثى وقالوا انها شاة الجبل وغنم الجبل . ولا يخفى ان الشاء والغنم يطلقان على الضأن والماعز . وعندي ان الاروية خلاف الوعل فهي ليست انثى الوعول كما قالوا بل حيوانٌ قائم بنفسهِ يعرف بهذا الاسم في وقتنا الحاضر . فالضأن الجبلي كان معروفاً عند العرب ولا يزال معروفاً عندهم ولا يعقل انهم يتركونهُ بلا اسم خاصّ بهِ مع ان التيس الجبلي اسماء كثيرة منها الوعل والبدن والتالب الخ . والاروِيَّة شبيهة بالوعل فالتبس امرها على اللغويين وقالوا انها الانثى من الوعول وخصوصاً لانها في صيغة المؤنث . والتذكير والتأنيث عندهم كان موقوفاً في غالب الاحيان على كبر الحيوان او كبر قرنيهِ فقالوا الشيهم ذكر القنافذ لانهُ اكبر منها او لان شوكهُ اطول وقد مرّ بنا ان الشيهم حيوانٌ قائم بنفسهِ وهو خلاف القنفذ وقد ورد ذكرهُ في ابن البيطار على حدة ولم يقل عنهُ انهُ القنفذ بل قال الشيهم ويسمى الضرب وهو صحيح . وقالوا ايضاً ان الأيّل ذكر الوعول وذلك لانهُ اكبر ولان قرنيهِ اكبر من قرني الوعل وشعبان . وقالوا اليأمور ذكر الايّل والحقيقة انهُ حيوانٌ قائمٌ بنفسهِ . ولدينا امثلة كثيرة خلاف ذلك في اللغة . وعندي ان عرب البادية لا تخطئ بين هذه الحيوانات فالخطأ من الذين نقلوا كلامهم فالبدوي الذي عرف ثلاثة انواع من الظباء وهي الادم والعفر والآرام وهي اسماء لم تزل معروفةً عند العرب لهذا العهد كما سيجيء لا يخطئ بين الضأن الجبلي والمعز الجبلية . وقد سألت اعرابياً من المطاربة عن الكبش الجبلي وهل يوجد في جبال مصر الشرقية فاجابني بالايجاب فقلت لهُ لعلك تقصد البَدَن (اي الوعل) قال البدن شيء وكبش الجبل شيء آخر

وتعرف الاروية بهذا الاسم في وقتنا الحاضر ويسميها عرب شمال افريقية الأُروي

---

(١) وصف مصر للبعثة الفرنسوية مجلد ٢٣

ونقل الافرنج هذه اللفظة عنهم وسموها Arui او Aroui او Lerwee ومن اسمائها عند علماء الحيوان Ovis lervia واللفظة الاخيرة مأخوذة من لفظة الاروي العربية على ما اظن. وقد جاء في كتاب التاريخ الطبيعي الانكليزي ما تعريبهُ " يظهر ان لفظة اوداد المستعملة في كتب التاريخ الطبيعي غير معروفة في البلاد التي يوجد فيها هذا الحيوان بل يسمونهُ الأروي[1] Arui " وورد ذكر الاروي في رحلة الدكتور شو في شمال افريقية وقال ان العرب يسمونهُ Lerwee اي الاروي ويظهر ان العلماء في ايامهِ لم يعرفوا حقيقة امر هذا الحيوان فسماه Tragelaphus وهو الاسم الصحيح الذي يعرف بهِ الآن لكنهُ ظنهُ من الماعز والمعروف عند العلماء الآن انهُ من الضأن ورحلة الدكتور شو هذه منذ ٢٠٠ سنة تقريباً . وورد ذكر هذه اللفظة ايضاً في كتاب فرنسوي[2] طبع حديثاً فنجد فيهِ صورة الضأن الجبلي وتحتها ما تعريبهُ " وهذا الحيوان الجميل يسمي الأروي بالعربية " . وقد ظن بعضهم ان الاروية نعاج الدست اي نعاج الصحراء المقصودة بقول الشاعر

تجذنهُ من نجعات ستّ سودٍ نعاجٍ من نعاج الدست

والغالب ان الشاعر يقصد نوعاً من بقر الوحش فان اناثها تُسمى نعاج الوحش ونعاج الرمل والأرويّة اي الضأن الجبلي لا تسكن الرمال والصحاري بل الجبال فقط . وكانوا يصيدون نعاج الوحش على النوق ويسمون الناقة السريعة التي تصاد عليها نعاج الوحش الناعجة فلا يمكن ان يكون المقصود بنعاج الوحش الضأن الجبلي لان النوق لا تسلك الجبال التي يقيم فيها . واما وصف الشاعر لها بالسواد فلم اقدر ان افهمهُ فلا البقر الوحشي اسود ولا الضأن الجبلي اسود

وقد جاء في التوراة (تث ١٤ : ٥) ذكر حيوان اسمهُ زَمر بالعبرانية ويظن علماؤُها انهُ الضأن الجبلي فان صح ذلك وجب ان تترجم هذه اللفظة بالاروية لا بالمهاة لان المها نوعٌ من بقر الوحش كما سيجيء

❀ المُفْلُون[3] (فرنسوية معرَّبه) Ovis musimon. E. & F. Mouflon نوع من الأروي يوجد في كورسيكا وسردينيا

(1) The Royal Natural History, II. 232

(2) Les Animaux Vivants du Monde, I, 223

(3) تعريب احمد فارس

الوعل Capra nubiana. E. Ibex or wild-goat. F. Bouquetin

نوعٌ من المعز الجبلي وهو آدم اللون ولهُ قرنان قويان منحنيان كسيفين احدبين يلتقيان حول ذنبهِ من اعلاهُ ويعرف في صحراء مصر الشرقية والسودان الشرقي بالبَدَن ووعل عيسو وفي سينا و بلاد العرب بالبَدَن والوعل ولهُ بالعربية اسماء كثيرة غير هذين الاسمين تجدها في الجزء الثامن من المخصص لابن سيده · وقد ورد ذكر الوعل في التوراة وهو يعل بالعبرانية واللفظان العربي والعبراني من التوغّل اي الصعود في الجبال[1] وهو مرسوم على الآثار المصرية واسمهُ وعتي[2] بالهيروغليفية واللفظة كما لا يخفى مشابهة للاسمين العربي والعبراني

وقد ترجم بعضهم لفظة Stag الانكليزية بالوعل وهو خطأٌ فهذه اللفظة تطلق غالبًا على ذكور الايائل ويجب ان تعرّب بالأيّل مثل لفظة Hart

البزْل · البازن (فارسيتان) · الوعل الفارسي C. ægagrus. E. Beozar goat F. Egagre

نوعٌ من الوعول الفارسية وهو الحيوان الذي يستخرج منهُ البازهر الحيواني ومن اسمائهِ عند الافرنج Pasen و Paseng وكلاهما من پازن الفارسية · والبزل في كتب اللغة عنزٌ وفي الالفاظ الفارسية المعرّبة ان هذه اللفظة مشتقة من پازن الفارسية فان صح ذلك يكون البزل نفس الحيوان المسمى پازن عند الفرس والافرنج وهو الوعل الفارسي

والبازهر وفيها لغات يعرف عند امراء لبنان بحجر السم وهو مادة حجرية توجد في جوف هذا الحيوان زعم اطباء الفرس والعرب انهُ مضادٌ للسموم · وفي كثيرٍ من الكتب العربية انهُ يستخرج من بطون الايائل والحقيقة ان البازهر الاصلي يستخرج من الوعل ولذلك اسمهُ حجر التيس بالعربية (البرهان القاطع ومعجم ڤولرس الفارسي) وهذا ما جاء عنهُ في كتاب الباهر في الجواهر للشيخ ابرهيم السويدي الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٠ هجرية قال "البازهر الحيواني يستخرج من بطون الاوعال الجبلية ··· ويسمى خرزة التيس نسبة الى المعز الجبلية" · وذكر المسيو لكلرك في ترجمة مفردات ابن البيطار نقلاً عن البيروني انهُ يستخرج من الوعول. وقد ذكرت ذلك لان الدميري في باب الايّل خلط بين الوعل والمارخور والايّل وقال ان البازهر يستخرج من بطون الايائل وظن الكلونل جايكرافت الايّل هو Bezoar goat لعلمهِ ان البازهر يستخرج منهُ فترجم لفظة الايل Bezoar goat وحقها ان

---

(١) Encyclopedia Biblica

(٢) بغية الطالبين لاحمد بك كمال

تترجم Fallow-deer ولا لوم عليهِ في ذلك لان وصف الايل في الدميري مشوش جدًّا وسأوضح ذلك في باب الايل

﴿ المعز الاهلية ﴾ Capra hirsuta. E. Goat. F. Chèvre

﴿ المارخور(١) (فارسية) ﴾ Capra falconeri. E. & F. Markhor نوعٌ من الوعول الهندية زعموا انهُ يأكل الحيات ولذلك سمي مارخور بالفارسية اي آكل الحيات

﴿ المرعز . المرعزى ﴾ C. angoriensis E. Angora goat F. Chèvre d'Angora صنفٌ من الماعز يوجد في آسيا الصغرى وهو طويل الشعر ناعمهُ . وقد ورد ذكرهُ في مفردات ابن البيطار لكنهُ لم يصفهُ والمرعز في اللغة الشعر الذي تحت شعر العنز واللفظة مستعملة في وقتنا الحاضر في العراق والشام ومصر والسودان لهذا الصنف من المعز الاهلي و يقتني اهل السودان فراء المرعز و يلبسون بها سروج دوابهم وجمالهم

﴿ الأَلَند (معرّبة) ﴾ Oreas canna. E. Eland. F. Oreas نوعٌ من الظباء(٢) وهو من اكبرها جثة وفي عظم الثور ولهُ قرنان طويلان مفتولان . وطنهُ اواسط افريقية

﴿ المرامري (سودانية) ﴾ Strepsiceros E. Kudu F. Coudou نوعٌ من الظباء الكبيرة وهو احمر اللون مخطط بخطوط بيض . للذكر منهُ قرنان كبيران لولبيان والانثى جمّاء اي لا قرون لها . ومن اسماء هذا الحيوان في السودان النيالت فضلت لفظة المرامري وهي مستعملة في جهات الرصيرص

﴿ النلجاي(٣) ز معرب نيل كاو بالفارسية اي البقر الازرق ﴾ B. Tragelaphus. E. Nilgau F. Nilgaut نوعٌ من الظباء الكبيرة . شبيهٌ بالبقر ازرق اللون لذكرهِ قرنان صغيران والانثى جمّاء

﴿ بقر الوحش ﴾ البقر الوحشي في كتب اللغة وغيرها الايّل واليحمور والوعل والثيتل والمهاة الّا ان العرب خصّوا هذا الاسم بثلاثة انواع من كبار الظباء كما يشهد بذلك وصفهم للبقر الوحشي في اشعارهم كابيات النابغة التي ذكرها المقتطف وشرحها في الصفحة ١٩٠ من المجلد الثامن عشر واولها " من وحش وجرة موشي اكارعهُ " . فالايل واليحمور من ذوات القرون المصمتة المتشعبة واسماؤها العلمية معروفة كما سيجيء وقد مرّ بنا ان الوعل

(١) تعريب المقتطف (٢) الظبي في اللغة الغزال المعروف وقد اطلق المقتطف هذه اللفظة على ما يسميهِ العلماء Antelope قال . اطلقنا كلمة الظباء على الحيوانات المجترة المجوفة القرون التي يطلق عليها علماء الحيوان اسم Antelopes ومنها الغزال وبقر الوحش الخ " (مجلد ١٩ صفحة ١٨٨) (٣) تعريب المقتطف (مجلد ١٩ صفحة ١٨٩)

من الماعز والعرب لهذا العهد لا يطلقون هذا الاسم اي البقر الوحشي الا على الظباء الكبيرة المجوفة القرون ولا يوجد من هذه الظباء سوى ثلاثة انواع في بلاد العرب وهي (Addax, Oryx, Bubale.) والاخير منها يعرف بالتيتل في وقتنا الحاضر. بقي علينا الادكس والاركس ولها اسماء كثيرة بالعربيَّة اشهرها المهاة وقد جاء في وصفهم لها انها بيضاء اللون وهذه الصفة تصدق على الادكس والاركس الا ان الاول منهما عيناه اجمل كما يتضح من مشاهدة الاثنين في حديقة الجيزة فاذا صدق ابن الجهم في قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

ولا اظنهُ كاذبًا تكون المهاة الحيوان المعروف بالادكس عند العلماء وهي الترجمة التي عوَّل عليها القانون ترستْرام والكلونل جايكر ولا ارى وجهًا لمخالفتهما . اما الاركس فلهُ اسماء كثيرة بالعربيَّة منها المارية والهيطلة والارخ الخ واللفظة الاخيرة تشبه كثيرًا لفظة Oryx التي وردت في كتاب النعوت لارسطو ويستعملها العلماء لهذا العهد ولا اعلم اصلها فهل اخذها ارسطو عن الشرق كما اخذ غيرها من اسماء الحيوانات او هي يونانية الاصل ونقلت الى العربيَّة

❁ المارية . البهثة . الهيطلة . الماريّ . اللأي . الأرخ . الناشط[1] ❁ Oryx beatrix

نوعٌ من الظباء الكبيرة المعروفة عند العرب بقر الوحش. وهو ابيض اللون مع حمرة قليلة في العنق ولهُ قرنان طويلان كسيفين احدبين ويُعرف في نجد والحجاز والعراق بالوُضَيحي[2] لبياض لونهِ على ما اظن وفي عمان بابي سولع[3] واظن سبب ذلك ما ذكروا عن الجاهلية انهم كانوا اذا اجدبت ارضهم يأخذون اغصانًا من السَلَع (او السَوْلع وهو نوعٌ من الصبر) والعُشَر[4] ويعلقونها باذناب ثيران الوحش ويحدرونها من الجبال بعد ان يشعلوا النار في تلك الاغصان يستمطرون بذلك والمسلَع ما علق عليهِ السلع قال شاعرهم

لا درَّ درُّ رجالٍ خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات بالعُشَرِ

اجاعلٌ انت بيقورًا مسلَّعةً ذريعةً لك بين اللهِ والمطرِ

فان صح رأيي تكون هذه التسمية ابو سولع من بقايا هذه العادة القديمة في الجاهلية . وبقر الوحش مرسومٌ على الآثار المصرية وسماهُ الباحثون المارية بالعربيَّة . وظن بوخارت وترسترام وغيرهما من علماء التوراة ان هذا الحيوان يسمى ريمًا بالعربية والرئم بالعربية نوعٌ

---

(١) لها اسماء كثيرة غير ما ذكرت تجدها في المخصص (٢) هذه اللفظة سمعتها من سليمان افندي البستاني وكان عندهُ حيوانٌ منهُ وهي مذكورة في رحلة دوطي في بلاد العرب (٣) الكلونل جايكر (٤) Asclepio gigantea

من الظباء الصغيرة في حجم الغزال المعتاد ويعرف بهذا الاسم لهذا العهد وسأبحث في ذلك عند ذكر الرئم

﴿ المهاة ﴾ Addax nasomaculatus E. & F. Addax نوعٌ من الظباء الكبيرة وهي بيضاء اللون مع سواد قليل في العنق ولها قرنان كبيران لولبيان وتعرف في المغرب بابي عدس[1] Abou Addas وذكر بلينيوس هذا الحيوان وقال انهُ يُسمى Addace في المغرب واظنها لفظة بربرية الاصل وعربت بابي عدس بعد دخول العرب . ولفظة المهاة هذه تشبه مأو بالمصرية القديمة ولا اعلم هل سميت بالمهاة لبياض لونها كما جاء في كتب اللغة او هي ومأو المصرية من اصل واحد وقد ذكرها احمد بك كمال وقال لعلها المهاة

الدكتور امين المعلوف

الامانة سر النجاح

لما نشرنا القصة المعنونة تفوُّق العقول في الجزء الاخير من السنة الماضية عقَّبنا عليها بقولنا " يا حبذا لو لم يلجأ اورلوف الى الخداع ... فان الخداع يفسد اشرف المناقب ونجاح الخادع لا يفرق عن نجاح السارق " . وقد وقفنا الآن على خطبة للاستاذ جون برنر من اساتذة مدرسة ستنفرد الجامعة باميركا موضوعها " الامانة " القاها على تلامذة تلك المدرسة حسام يدربون انفسهم على الامانة لمستخدميهم والذين يشتغلون معهم بعد خروجهم من المدرسة لانها سر النجاح . ومما قالهُ لهم ان الامانة افضل المناقب سواء كانت من الغرائز الطبيعية او من الملكات المكتسبة وهي على انواع بحسب ما تضاف اليهِ كالامانة للمبادىء والامانة للنظامات والامانة للجماعات والامانة للاشخاص . واسماها كلها الامانة للمبادىء الصحيحة فاذا اعتقد الانسان صحة امر فعليهِ ان يكون اميناً لهُ مقيماً عليهِ مهما تغيَّرت الاحوال والشؤُون وسواء انتفع من التمسُّك بهِ او نالهُ منهُ ضرر

اما الامانة للنظامات والجماعات والاشخاص اي الامانة للذين نعيش معهم ونعاملهم سواء كانوا حكّاماً او شركاء او عشراء فليست في درجة الامانة للمبادىء الصحيحة سموًّا ولكنها ضرورية ايضاً وهي من لوازم النجاح في الاعمال ومن المناقب التي يجب ان يتحلَّى بها كل انسان ولا يُعفى منها الاَّ اذا خالفت المبادىء الصحيحة . ويراد بالامانة في ما تقدَّم وما

(١) دائرة المعارف الفرنسوية

يأتي الاخلاص التام لمن يحب له الولاء مخدوماً كان او شريكاً او حاكماً

قال الخطيب المشار اليهِ مخاطباً اولئك التلامذة انكم حينما تتمون دروسكم وتخرجون لمعاطاة الاعمال فاما ان تخدموا او تخدموا فاذا استخدمتم احداً وكنتم حكماء فاول صفة تلتفتون اليها ويكون لها المقام الاسمى في نفوسكم امانته لكم واذا وجدتم انكم لا تستطيعون ان تأتمنوهُ فلا يليق بكم ان تسلموهُ اعمالكم مهما كان ماهراً فيها . واذا استخدمكم احدٌ فهو ينتظر منكم الامانة التامة وتكون اهميتكم لديهِ حسب امانتكم لهُ . وجملة القول انهُ ما من احد يريد ان يستخدم رجلاً وهو يعلم انهُ غير امين لهُ يخاتلهُ او يفشي اسرارهُ او يغتنم الفرص للانتفاع على حسابهِ

وحسبنا مثالاً لما تقدَّم القصة المشار اليها آنفاً قصة ذلك الشاب الروسي الذي استعمل اموراً تختص بالشركة لنفعهِ الخاص فلو سألتَ مديري الشركة عن رأيهم فيهِ لقالوا انهُ خدعهم وانهُ يتعذَّر عليهم ان يأتمنوا مَن كان مثلهُ وهو نفسهُ لو استخدم شاباً ثم علم انهُ سيخدعهُ كما خدع هو رؤساءهُ لاقصاهُ من خدمتهِ حالاً ولم يستخدم من يعتقد انهُ غير امين لهُ يطَّلع على اوراقهِ وتلغرافاتهِ ويستعملها لنفعهِ الخاص . واذا انتفت الامانة من بين الناس تعطلت الاعمال وبارت المتاجر والمزارع وفسد نظام الاجتماع

اي تاجر يستخدم كاتباً وهو يعلم انهُ غير امين لهُ او يستخدم مديراً لتجارتهِ وهو يعلم انهُ لا يسعى جهدهُ في ترويجها واي مالك يستخدم ناظراً لزراعتهِ وهو يعلم انهُ لا يبذل جهدهُ في خدمة الزراعة واستخدام العمال

قال احد الفضلاء ان الامانة اغلى ما يستخدم اي ان ارباب الاعمال يفتشون عن الامين ويعطونهُ اكبر الرواتب

وقال الخطيب رأيت بالامس كتاباً من مدير اكبر شركات المعادن يقول فيهِ ان مَن يخون مخدومهُ لا يليق بهِ الا المعول والرفش . اما انا فاقول ان المعول والرفش كثيران على مَن لا يؤتمن . واصحاب الاعمال يغتفرون قلة الذكاء وقلة المهارة وقلة الحنكة ولكنهم لا يغتفرون قلة الامانة ولو مع الذكاء والمهارة والحنكة

واذا اشترك كثيرون في عمل واحد كما في الشركات الصناعية والتجارية وفقدت الامانة منهم بعضهم لبعض فقد النظام وتعذر النجاح لان اول شرط من شروط المشاركة المعاونة على العمل والسعي في انجاحهِ من غير ان يفضل احد الشركاء مصلحتهُ على مصلحة شركائهِ في ما هم مشتركون فيهِ او في ما يكتسب من شركتهم ادبيًّا او ماديًّا

قال الخطيب ورب معترض يقول انطلب من الشاب الحر الشمائل ان يخدم غنياً متغطرساً و يتذلَّل لهُ او يخدم شركة مستبدة و يخضع لارادتها. فاجيب كلاَّ والخادم الامين لا يضطرّ ان يتذلَّل بل هو الذي يستطيع ان يرفع رأسهُ لان استقامة السيرة تجعل المرء يقف منتصباً مستقيماً غير هيَّاب ولا وجل . واذا كان رئيسك مستبدًّا صعب المراس فاتركهُ ولكن لا تخنهُ ولا تلوّث سمعتك بدنيئة تأتيها وخير لك ان تخرج من خدمتهِ طاهر الذيل من ان تبقى معهُ وتخدعهُ وتخونهُ فتخسر من اخلاقك ما لا يثمَّن بمال

ثم ان الامانة لا تستلزم ان يخدع الانسان زيدًا لكي يكون اميناً لعمرو ولا تستلزم ان يسعى في مصلحة زيد ولو كان غير محق فيها

والذين يطلبون الامانة من مستخدميهم يجب ان يكون عملهم شريفاً يستحق ان يعملوا بهِ و يكونوا امناء لهُ والاَّ فالامانة غير مطلوبة ولكن لما كان نظر الناس مختلفاً في تقدير الاعمال من حيث وجهتها الادبيَّة فقد يحسب المستخدم عملاً غير شريف وصاحب العمل يحسبهُ شريفاً فاذا لم يرَ المستخدم وجه الصواب في عمل رئيسهِ فعليهِ ان يتركهُ وشأنهُ لعلَّ الرئيس على هدًى وهو على ضلال . فاذا كنت في خدمة احد ولم تستحلَّ عملهُ فاتركهُ ولكن لا يجوز لك ان تغدر بهِ وتخونهُ بوجه من الوجوه وكذا اذا كنت مشتركاً مع جماعة في عملٍ ما ورأيتَ العمل غير جائز في اعتقادك فاترك الجماعة وشركتها ولكن لا تخنها لانك قد تكون مخطئاً في اعتقادك والخيانة خلة تلصق بك و يقع ضررها عليك . وما دمت مشتركاً مع الجماعة فعليك ان تبقى اميناً لها

والامانة تجب على المخدوم كما تجب على الخادم . تجب على رب العمل كما تجب على العمال فيجب على المخدوم ان يكون اميناً لخدمهِ وعلى رب العمل ان يكون اميناً لعمَّالهِ . وهذه الامانة المتبادلة هي سر نظام الاعمال ونجاحها ولا يحق للمرء ان يطلب من غيرهِ ان يكون اميناً لهُ وهو غير امين لذلك الغير لانهُ يتعذر على المرء ان يكون اميناً لمن يمتهنهُ او يغتابهُ . وما قيل عن امانة الشريك لشريكهِ والخادم لمخدومهِ والمخدوم لخادمهِ يقال عن امانة المرء لشرائع بلادهِ وقوانينها ونظاماتها واحكام الطائفة التي هو منها . والامانة المتبادلة كالحب المتبادل تزيل المصاعب وتدوس على المشاكل وتربط الناس برباط واحد ولكن على الحكيم ابن الدهر ان لا يتوقَّع من الناس فوق ما يستطيعون بل يغتفر الزلات والهفوات و يقول مع القائل

اذا انت لم تشرب شراباً على القذى ظمئتَ واي الناس تصفو مشاربهُ

دولة آل عثمان

٤

السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح

خلف اباهُ السلطان مرادًا سنة ١٤٥١ مسيحية الموافقة لسنة ٨٥٥ هجرية . وهو الذي فتح القسطنطينية وكانت قد بلغت حضيض الضعف . قال جودت باشا في تاريخهِ المشهور انهُ " حدث حينئذٍ نزاع مذهبي بين الاروام ووقع الضعف والوهن في امبراطورية الاستانة حتى انهُ لم يبقَ للامبراطور من السلطة الاَّ مجرَّد الاحتشام والرسوم والعادات البسيطة . ويروى ان وكلاءهُ لمَّا بلغهم ان حضرة السلطان محمد خان الثاني بنى قلعة بوغازكسن وسدَّ عليهم خليج القسطنطينيَّة اختبطت عقولهم واضطربت افكارهم وعقدوا للمذاكرة في هذا الامر مجلسًا كبيرًا في ايا صوفيا فاخذوا يتزاحمون في اوقات الاجتماع على التقدم في الجلوس ولم يراعوا حقوقهم بحسب مراتبهم فادَّى بهم ذلك الاختلاف الى التضارب بالكراسي على الرؤوس . وفتحُ الاستانة وان كان ممكنًا قبل هذا الاوان نظرًا لارتباك احوال اهلها فان عوارض الزمان قد حالت دونهُ ثم لما صار الامر الى حضرة ابي الفتح محمد خان المشار اليهِ تمكَّن من حل هذه العقدة وفاز بما كان يأملهُ وذلك انهُ في سنة ٨٥٧ جهَّز عساكر جرارة ومدافع عظيمة وزحف عليها من جهة ادرنه وفتحها . فاهتدت الدولة العلية بذلك الى مركزها الحقيقي واصبح حضرة الفاتح بعد ان تمت لهُ لوازم السلطنة بهذا الفتح جديرًا بلقب ملك الملوك . ولا يخفى ان سعادة الامة ناشئة عن اتحاد الكلمة واتفاق الرأي وكرم السجايا كما ثبت في هذه القضية فان الروم كانوا على غاية القوة المالية والمعرفة بامور السياسة الدولية حتى ان اوربا استفادت منهم لما انتشروا فيها بعد فتح القسطنطينيَّة لكن العثمانيين الذين كانوا شرذمة قليلة مقيمة في ضواحي الاناطولي غلبوهم وما ذلك الاَّ لدخول الفساد على اخلاقهم وشدة الشقاق بينهم فلم تنفعهم قواهم المالية ولا معارفهم السياسية

" وبعد فتح القسطنطينيَّة احرزت الدولة العلية في مدة وجيزة اسطولاً كامل العدَّة والذخيرة واستولى حضرة الفاتح على القريم وعلى قلاع ومواطن كثيرة في اسيا واوربا وضمها الى ممالكهِ وحيث كانت الدولة العلية تراعي جانب العلماء كانوا يؤمُّونها من كل فج عميق واصبحت القسطنطينيَّة في ذلك العصر دارًا للعلوم والفنون "

هذا ما قالهُ جودت باشا في تاريخهِ عن فتح القسطنطينيَّة وعن السلطان محمد الفاتح

واكتفى به . والظاهر ان السلطان لم يهتمّ بادئ بدء بفتح القسطنطينية بل جدَّد عهود الصلح والصداقة مع امبراطورها وغيره من اصحاب البلدان المجاورة وكان صاحب اثينا قد توفي لما توفي السلطان مراد فبعث اليها بابن انطونيو اكسياجولي الذي كان مقيماً في بلاطهِ فاحتفل بهِ الاثينيون من الروم الارثوذكس وزادوا ولاء العثمانيين . ووجَّه السلطان همَّهُ الى آسيا لان صاحب قرمان كان قد شقَّ عصا الطاعة فما كان من الامبراطور قسطنطين امبراطور القسطنطينية الا انهُ طلب راتباً مضاعفاً للامير أُرخان الذي كان اسيرًا عندهُ فاغتاظ السلطان من ذلك وعقد الصلح مع صاحب قرمان وارضى الانكشارية بالهبات لان عقد هذا الصلح حرمهم من الغنيمة وشرع في بناء قلعة على اضيق مكان في البسفور حيث لا يزيد عرضهُ على ٥٥٠ مترًا وهو المضيق الذي عبر منهُ زركسيس ملك الفرس . وهذه القلعة المعروفة عند الاتراك بقلعة بوغاز كسن وعند الروم بالليموكوبيون اي قطاعة الرؤُوس حصن منيع سمك جدرانهِ ٢٥ قدماً وارتفاعها ٦٠ قدماً ويقابلهُ على الجهة الاخرى من البسفور الحصن الذي بناهُ السلطان بايزيد واسمهُ اناطولي حصار فصار مضيق البسفور بين حصنين منيعين حتى يتعذر وصول المدد والميرة الى القسطنطينية من جنوى والبندقية

ولما رأى الامبراطور قسطنطين انهُ لا يستطيع المقاومة انحاز الى اللاتينيين وعزم على اعادة الاتحاد بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية فارسل اليهِ البابا الكردينال ايسيدور ومئتين من الجنود ورئيس الاساقفة ليونارد . ولرئيس الاساقفة هذا كتاب وصف فيهِ حصار القسطنطينية وكيفية فتحها . واحتفل باتحاد الكنيستين في الحادي عشر من سبتمبر سنة ١٤٥٢ في كنيسة ايا صوفيا ودعي فيها للبابا والبطريرك غريغوريوس . فاغتاظ اكليروس الروم الارثوذكس من الامبراطور واشتدَّ الشجار بين الفريقين حتى قال الارشدوك لوقا نوتاراس امير البحر وقائد مدفعية الروم اننا نفضل ان نرى عمامة (السلطان) محمد في مدينتنا على ان نرى فيها تاج البابا . وكان للجنويين والبنادقة اموال واملاك كثيرة في غلطه وبيرا فساعدوا الامبراطور للدفاع عن مصالحهم وكان الجنويون قد حصنوا غلطه واقاموا فيها برجهم المشهور واتوا بسفينتين و ٧٠٠ جندي لمساعدتهِ اما البنادقة فكانوا قد جددوا المعاهدة مع السلطان ولذلك امروا امير اسطولهم اوامر مبهمة حتى لا يؤَاخذوا بنقض عهدهم اذا دارت الدائرة على الروم . واتت عشر سفن من سفن البابا لكنها لم تعمل عملاً يذكر

وزحف السلطان من ادرنة في الثالث والعشرين من شهر مارس سنة ١٤٥٣ الى ان صار على نصف ميل من القسطنطينية وكان معهُ في ما قيل ١٦٥٠٠٠ الف من الجنود ولم يكن

عند الامبراطور لمقاومة هذا الجيش الجرار سوى ٤٩٧٣ من الجنود اليونانية المسلحة و ٢٠٠٠ من الغرباء من البنادقة والجنويين والكريتيين والرومانيين والاسبانيين . ونصب السلطان اثني عشر مدفعاً كبيراً في الاماكن المشرفة على المدينة فجعلت تقذفها بالحجارة الكبيرة وثقل بعضها خمسة قناطير مصرية . واستبسل الامبراطور وجنوده ولكن بعض الرهبان تنبأوا الشعب ان الاتراك يبلغون عمود قسطنطين امام كنيسة ايا صوفيا ثم ينزل ملاك من السماء ويطردهم ويبعدهم الى حدود بلاد الفرس فصدّق كثيرون من الروم قولهم ولم يهتموا بالدفاع عن مدينتهم

وكانت النار اليونانية قد منعت السلطان اولاً من مهاجمة المدينة ولم يستطع ان يصل اليها بسفنهِ فجرّ السفن على البر وانزلها في المكان المعروف الآن بقاسم باشا وبعث جنودهُ المدينة ودخلتها عنوة ليلة التاسع والعشرين من شهر مايو سنة ١٤٥٣ واعملت السيف في اهلها وقُتل الامبراطور مع من قتل ووجدت جثتهُ بين جثث اعوانهِ وكان السلطان قد عرض عليهِ التسليم وامنهُ على حياتهِ فابى مفضلاً الموت في سبيل الدفاع عن بلادهِ وقُطع رأسهُ ووضع على قمة عمود يوستنيانوس وقيل انهُ ارسل الى الولايات الاسيوية ليعتبر بهِ ولاتها . وخلع الكردينال ايسيدور ثوبهُ الارجواني ولبس ثياب جندي من الجنود المقتولة فاسر مع الذين اسروا . ثم هرب الى المورة ومنها الى البندقية وقصَّ على اهالي اوربا ما اصاب عاصمة مملكة الروم . واحتشد الالوف من السكان في كنيسة ايا صوفيا فاسروا كلهم . قال احد مؤرخي اليونان انهُ لو نزل ملاك من السماء حينئذٍ وخيَّرهم بين اتحاد الكنيستين والوقوع في يد الاتراك لفضلوا الثاني على الاول

ووصل خبر هذا الفتح الى الديار المصرية بعد نحو ستة اشهر قال ابن اياس في حوادث ذي القعدة سنة ٨٥٧ "وفيهِ وصل قاصد ملك الروم محمد بن عثمان يخبر السلطان [1] بفتح القسطنطينيّة العظمى وقد صنع المكايد في فتحها وكان الفتح في يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الاولى من هذه السنة (٨٥٧ هـ) فلما بلغ ذلك دقّت البشائر بالقلعة ونودي في القاهرة بالزينة ثم ان السلطان عيّن يرسباي امير اخور ثاني رسولاً الى ابن عثمان يهنئهُ بهذا الفتح العظيم فخرج يرسباي وتوجه الى بلاد ابن عثمان" . وقال في حوادث السنة التالية "وفيهِ (اي في جمادى الاخرى) قدم يرسباي الذي توجَّه قاصداً الى محمد بن عثمان وخلع عليهِ" . واكتفى ابن اياس بذلك ولم يزد . وهو يلقب صاحب مصر حينئذٍ بالسلطان واما السلطان محمد الفاتح فيكتفي بتسميتهِ محمد بن عثمان ملك الروم

(١) اي سلطان مصر والشام الملك الاشرف اينال العلائي الظاهري .

ونقل الامير خيطير الشهابي في تاريخهِ المشهور ما خلاصتهُ ان السلطان محمداً الفاتح فشل في اول الامر وعزم على رفع الحصار عن القسطنطينية وجمع وزراءهُ واستشارهم فاشاروا عليهِ بالاستمرار على الحصار وبعد ثلاثة ايام هجمت جنودهُ على المدينة وهدموا بعض اسوارها ودخلوها عنوةً ووجدوا الملك قسطنطين قدديس تحت الارجل من تزاحم الجنود وكان ذلك في السابع والعشرين من شهر ايار وكان ابتداء حصارها في شهر نيسان واطلقت يد الجنود القتل والسلب والنهب ثلاثة ايام ثم امر السلطان بتأمين الباقين احياء وامر الاساقفة والقسوس ان يختاروا لهم بطريركاً جديداً لان البطريرك الاول غريغوريوس كان قد ترك كرسيهُ ولجأ الى الكرسي الروماني فاختاروا الصالح الذكر جرجس شكولاريوس الذي كان قاضياً وسموهُ جناديوس وامر السلطان فاحتفلوا بسيامتهِ كما كان يحتفل في زمن ملوك القسطنطينية

والظاهر انهُ ليس في العربية تاريخ لفتح القسطنطينية كتب حين فتحها اما الاتراك فكتبوا تواريخ كثيرة في زمن محمد الفاتح استشهد بها كثير في تاريخهِ المشهور وذكرها فون همر لكننا لم نرها ولا رأينا ترجمتها واما الروم واليونان ففصَّلوا ذلك الفتح تفصيلاً مسهباً وقد جمع المؤرخ جبن الشهير تواريخهم ولخص منها ما يملأُ اربعين او خمسين صفحة من المقتطف ومما قالهُ فيها ان الروم هم الذين احرجوا السلطان على فتح مدينتهم بحماقتهم فعوضاً عن ان يلزموا السكينة لكي ينسى وجودهم بعثوا رسلهم وراءهم يتبعونهُ من مكان الى آخر ويطالبونهُ بزيادة الراتب المقرر للامير ارخان وكان الوزير خليل باشا مخلصاً لهم فسفَّه رأيهم وقال لهم "ايها الحمقى ان السلطان مراداً الذي كان كثير التودُّد قد توفي ونحن الآن بين يدي شاب شديد العزيمة قوي الشكيمة الفتح شيمتهُ ولا يقف شيء في طريقهِ فاشكروا ربكم اذا نجوتم من يدهِ. فان كنتم تحرجونهُ تخرجوهُ وتتهددونهُ باطلاق ارخان وجعلهِ سلطاناً على رومانيا واستدعاء المجار من وراء الدنيوب وامم اوربا لمحاربتنا فانكم تقضون على انفسكم". اما السلطان فلم يتوعدهم بل طيَّب خاطرهم وقال لهم انهُ ينظر في طلبهم حال رجوعهِ الى ادرنه . ولما رجع امر بقطع الراتب وشرع في بناء الحصن المشار اليهِ آنفاً على خمسة اميال من القسطنطينية وجمع لبنائهِ الف بنَّاء وحاول رسل الامبراطور ان يصرفوهُ عن عزمهِ فاجابهم انهُ يبني الحصن في ارضهِ لا في ارضهم لان مملكة امبراطورهم صارت محدودة باسوار مدينتهِ ثم قال لهم ارجعوا واخبروا مولاكم اني لست مثل سلفائي وان مقاصدي لا تتوقف على مشيئتكم وانكم اذا عدتم اليَّ ثانية سلخت جلودكم

ولما عاد الرسل واخبروا الامبراطور بما سمعوا ورأوا عزم ان يشهر الحرب ويمنع تقدم

العثمانيين لكنّ رجاله صرفوه عن عزمهِ كأنّ ذلك يصرف السلطان عمّا قصده ومضي الشتاء والخطر محدق بالروم وهو يتعاظم يوماً فيوماً وهم نيام او متناومون

وشرع السلطان في بناء الحصن في السادس والعشرين من شهر مارس (اذار) وجعله مثلث الجوانب وبنى ثلاثة ابراج على زواياه الثلاث وكان سمك جدرانها ثلاثين قدماً وسقفه بالرصاص وجلب حجارة الكنائس واعمدتها لبنائهِ . واطلق بعض فرسان الاتراك خيولهم في مزارع الروم حول القسطنطينيّة فرعت ما فيها من الزرع ووقع الشجار بين اصحابها واصحاب الزروع فهدمت المزارع وقتل اربعون من اصحابها . ورأى الامبراطور حينئذٍ ان الحرب صارت على قاب قوسين فاقفل ابواب القسطنطينيّة وكتب الى السلطان يقول اني القيت اعتمادي على الله لعله يلين قلبك و يصرفك عن عزمك والاّ فاني خاضع لمشيئتهِ واحتكم اليهِ وهو خير الحاكمين وما دمت حيًّا فاني ادافع عن شعبي واموت في الدفاع عنهم

اما السلطان فانهُ اتمّ بناء الحصن واقام فيهِ رقيباً يتقاضى جعلاً من كل السفن الداخلة . وحاولت سفينة من سفن البندقية الدخول من غير دفع الجعل فاطلق الرقيب عليها مدفعاً اغرقها . وهذا المدفع من عمل اربان المجري سبكهُ للسلطان كما سبك غيرهُ من المدافع الكبيرة التي هدمت حصون القسطنطينيّة وسهلت فتحها . ونجا ربان السفينة وثلاثون من بحارتها في قارب فقبض عليهم وقيدوا بالسلاسل فقطعت رؤوس البحارة وسلخ جلد الربان . وقد رأى المؤرخ دوكاس اجسادهم مطروحة للوحوش . وأخر حصار القسطنطينيّة الى الربيع التالي ولما حان الوقت استدعى السلطان وزيرهُ خليل باشا واخبرهُ بما عزم عليهِ . قيل انهُ استدعاهُ ليلاً فهرول اليهِ بعد ان ودّع زوجتهُ واولادهُ واخذ معهُ الهدية المعتادة من الذهب على جاري العادة وقدمها الى السلطان فقال لهُ السلطان ان هذه الهدية لا تكفيني وانا اطلب منك هدية أثمن واسنى اطلب منك القسطنطينيّة . فقال الوزير ان الذي وهبك الجانب الاكبر من مملكة الروم لا يضن عليك بالبقية الباقية منها فانت موفق الى ما تريد بعون الله وانا وكل عبيدك الامناء وقف على خدمتك . فقال السلطان لقد مضى الليل وجفني لم يذق الكرى فاياك وذهب الروم وفضتهم نحن اشد منهم بأساً واقوى عدةً وسنفوز عليهم بعون الله وجاه نبيهِ

ثم شرح المؤرخ جبن كيفية حصار القسطنطينيّة وفتحها والاعمال المنكرة التي عملت على اثر ذلك الفتح مما كرَّه الينا قراءة التاريخ . وتوفي السلطان محمد الفاتح وهو في الحادية والخمسين من عمره بعد ان استولى على المورة وطرابزون (وكانت امبراطورية) وتهدّد ڤينا وحارب رودس واستولى على مدينة اترنتو من مدن ايطاليا



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

مقدمة الدكتور شميل

[نشرنا في هذا الجزء جانباً من المقالة العلمية الفلسفية التي انشأها الدكتور شميل ليجعلها مقدمة لكتاب شرح بخنر على داروين الذي عزم ان يعيد طبعهُ. ثم بعث الينا بجانب آخر من تلك المقالة وطلب الينا ان ننشرهُ في باب المراسلة والمناظرة لكي يتجه اليهِ نظر المنتقدين ويبدوا رأيهم فيهِ لانهُ ضمنهُ رأياً علمياً ارتآهُ في سبب شفاء الامراض التي تشفى ولا تعود كالجدري والتي تشفى ثم تعود كالحمى الملارية والتي لا تشفى كالسرطان فارتأى ان الميكروبات التي تسبب الامراض الأولى انواع ثابتة والتي تسبب الامراض الثانية تباينات متغيرة والتي تسبب الامراض الثالثة انواع اثبت في النوعية من الانواع الاولى. كما ترى في ما يلي]

لما كان القول بمذهب النشوء يستلزم ضرورة القول بمادية الكون لم يكن تقريرهُ من السهل لدى اصحاب المبدإ الحيوي لصعوبة تأييد التولد الذاتي بالوسائل التي لنا اليوم. وقد استمسك علماء النظر بهذا المبدإ استمساك الغريق بحبل النجاة. وبلغ التحمس في المناظرة بين الفريقين حدَّ حدتهِ بين سنة ١٨٥٩ وهي السنة التي نشر داروين فيها كتابهُ في اصل الانواع وسنة ١٨٩٠ وهي السنة التي بدأت جلبتهم فيها تخف. وكان جلُّ اعتراضهم ان التولد الذاتي لم يثبت علمياً كأن هذا الاعتراض لا يجوز عليهم كما يجوز على سواهم. فان كان اصحاب النشوء لم يروا حياً نبت من غير حيّ فهل رأى اصحاب الخلق انساناً خُلق من غير انسان. فكلاهما في جواز الاعتراض العلمي سواء مع الفرق بان هؤلاء يخالفون كل قضايا العلم في التحقيق والاستقراء بخلاف اولئك فانهم في كل قضاياهم متفقون مع العلم الطبيعي. ولو اقتصر اصحاب الخلق على الاستمساك بمذهب الخلق الكلي فقط لما اشتد النزاع بينهم

وبين اصحاب النشوء اللزوم اتفاقهم بعد ذلك على تكوين الاحياء وتحولها بقوى الطبيعة نفسها ولكنهم ابوا الاّ الاستمساك بالخلق النوعي الذي يجعل كل نوع من الاحياء موضوع خلق خاص ليفصلوا الانسان بذلك فصلاً تاماً ويجعلوه في مقام ممتاز لا في سلم التحول الراقي بل في نوع الخلق نفسه لئلا يكون وجوده على تلك الصورة نتيجة يترتب عليها مشاركته الذاتية لسائر المخلوقات وهم يريدون ان لا تكون له هذه المشاركة الاّ في الاعراض فقط تأييداً لتعاليمهم من انهُ الغاية المقصودة بالذات والتي لاجلها خلق كل ما في الكون وهو قول لا يقبلهُ العلم اليوم

على ان هكل وهو من كبار العلماء الطبيعيين اكتشف في قاع البحار جسماً متعضياً يصح ان يكون حلقة الاتصال بين الجماد والحي ودليلاً على التولد الذاتي وقد اطلق عليهِ اسم المونير وهو عبارة عن ابسط الكريات الحية القائمة بنفسها ومهما يكن من ذلك ومن القول بالباثيبيوس ومن زعم آخرين ايضاً بانهم تمكنوا من احداث هذا التولد فحلّ مسألة النشوء الطبيعي لم يعد متوقفاً على ذلك بعد ما ثبت تحوُّل القوى بعضها الى بعض وتحوُّل المادة بها كذلك وتحول الاحياء نفسها تبعاً لناموس المطابقة كما ان حلّ مسألة الهيولى لم يعد متوقفاً على رد العناصر كلها الى بسيط واحد . والوقوف عند ذلك بعد ما ثبت كل هذا الارتباط تعنت اذا جاز لاصحاب المذهب الواحد جاز اكثر لخصومهم

وقد علا هتاف اصحاب المبدإ الحيوي جداً لما قام بستور واكتشف سر الاختمار . واثبت علمياً انهُ ناشيءٌ عن جراثيم اي احياء دنيا لا ترى الاّ بالمناظير المعظمة أُطلق عليها اسم المكروبات وايد قولهُ بالبرهان اذ منع الاختمار واوقف كل فساد بقتل الجراثيم في الجسم المختمر وصدها عن النفوذ اليهِ واكتشف بذلك طريقة التعقيم العلمية واقرّ مذهب الجراثيم على اساس علمي متين . فزعموا ان اكتشاف بستور هذا قد جاء بالضربة القاضية على مذهب القائلين بالتولد الذاتي

على ان لياذ اصحاب المبدإ الحيوي بجراثيم بستور لم يفدهم شيئاً جديداً لاثبات مبدإهم او لدحض مذهب خصومهم وانما هذا الاكتشاف ابعد حل المسألة اذ اثبت ان الاحياء الدنيا اجسام تامة التكوين مختلطة التركيب قديمة العهد ليست الاولى في سلم الاحياء وان حل مسألة التولد الذاتي يجب ان يبحث عنهُ في ما هو ادنى منها مما قد تعجز عنهُ مناظيرنا المكبرة وقد يكون مونير هكل نفسهُ من الصور الراقية بالنسبة اليهِ

ولكن جراثيم بستور اذا كانت لم تفدنا شيئاً من هذا القبيل فقد افادت العلم فائدة كبرى اذ كشفت لنا عالماً كبيراً جداً في التاريخ الطبيعي لم يكن معلوماً لنا من قبل واثبتت

ان لهذا العالم اتصالاً شديداً بنا فدرسهُ اذن يفيدنا جدًّا لنعرف ما لهُ من المضار وما يحرز من المنافع لتطبيق ذلك على مصالحنا الاجتماعية زراعية كانت او صناعية او طبية . وقد كان لهذا الاكتشاف شأن عظيم جدًّا خصوصاً في علم الطب اذ اثبت ان الامراض ليست الا اختياراً وان سببها جراثيم فقلب كل المذاهب الاجتهادية التي كانت شائعة قبلهُ واقرّ علم الباثولوجية على قرار مكين وتقدمت بهِ صناعة الشفاء تقدماً بيّناً بتعرّف طبائع الاحياء الدنيا والوقوف على الوسائل المقاومة لها . وعلى ذلك اكتشف بستور طريقة التلقيح العملية بالمصل الشافي والواقي معاً وهي اعظم اكتشاف في علم الشفاء ختم القرن الماضي بهِ حسناته وفي طليعة ذلك اهمية وثبوتاً مصل الدفتيريا الذي اكتشفهُ تلامذتهُ بعدهُ والذي ينقذ كل سنة مئات الالوف من الاطفال من مخالب الموت المحتوم . وانما قلت طريقة التلقيح العملية لانفصل بينها وبين طريقة التلقيح الواقي التجريبية التي اكتشفها اتفاقاً جنر قبل بستور بزمان طويل كما ان لستر كان اسبق منهُ الى القول بالجراثيم واعتبارها سبب التعفن واستعمال العلاج المعقم في الجراحة ولكنهُ قال قولهُ هذا بناء على التجربة لا على العلم الحقيقي فالفضل انما هو لبستور وحدهُ في اسناد ذلك كلهِ الى علم واسع الاكتناف قوي الدعائم . على ان الفرع الذي استفاد من هذا الاكتشاف فائدة كبرى هو علم الهيجين اي علم منع الامراض والوقاية منها . ولو كانت نظامات الاجتماع اصلح مما هي اليوم لعرفت كيف تستفيد منهُ كل الفائدة المترتبة عليهِ ولمنعت كثيراً من الامراض التي لا تزال تفتك بالناس حتى اليوم فتكاً ذريعاً

وعدا ذلك فقد استفاد الطب من هذا الاكتشاف فائدة اخرى عملية عظيمة سيكون لها شأن عظيم جدًّا في المستقبل متى توجهت الافكار اليها وهي ان علم الامراض صار بهذا الاكتشاف فرعاً من التاريخ الطبيعي داخلاً في مذهب النشوء والتحول فلا بدَّ من اطلاق نواميسهِ عليهِ : فقد كنا بالامس ندرس الامراض بمظاهرها اي اعراضها ونعتمد في مقاومتها على التجربة واما اليوم فقد انفتح امامنا باب واسع لدرسها من حيث اسبابها الحقيقية ايضاً والاعتماد في مقاومتها على العلم ولقد خطونا في ذلك حتى اليوم خطوات واسعة ولكنها ليست شيئاً يذكر بالنسبة الى ما سيفتحهُ علينا نظرنا فيها بهذا النظر وتمسكنا فيها بهذا الحبل المادي

وكان مسألة من اهم مسائل الطب العلمية والعملية حلّت بذلك او اوشكت . فقد كنا في الماضي لا نعرف كيف نعلل سير الامراض واما اليوم فقد صار من السهل ان نعرف لماذا هذه الامراض تعرض كثيراً وتشفى كثيراً ولماذا غيرها لا يعرض الا مرة في العمر غالباً وسواها اذا عرض فقلما يفارق حتى الموت . فاذا علمنا ان الاحياء الدنيا التي تحدث هذه

الامراض كالاحياء العليا انواع وتباينات وعلمنا كذلك ان صفات الانواع ثابتة او هي بطيئة التغير جدًّا وان التباينات متغيرة كثيرًا لا تثبت زمنًا طويلاً انجلى لنا سر اختلاف سير هذه الامراض . فاذا كانت الامراض الميازمية كما يسمونها تمرض كثيرًا وتشفى كثيرًا فلان اسبابها احياء دنيا من رتبة التباينات المتغيرة كثيرًا القليلة الثبوت . واذا كانت الامراض النفاطية تشفى وقلما تعود فلان اسبابها الحية من رتبة الانواع الثابتة واذا كان السرطان والتدرن والجذام لا تشفى غالبًا ولا تفارق حتى الموت فلانها ارقى في رتبة النوعية ايضًا فصفاتها اشد ثبوتًا لذلك . واذا علمنا ان الشفاء من المرض والمناعة عليه سيان في طبيعتهما مهما كانت اقوال العلماء في تعليلهما ولعلهما نوع من التكافؤ والائتلاف سهل علينا ان نفهم لماذا كانت المناعة ضعيفة قصيرة المدة في امراض الرتبة الاولى ثابتة طويلة المدة في امراض الرتبة الثانية ممتنعة (او هي غلبة المرض في هذا التنازع بينهُ وبين الجسم) في امراض الرتبة الثالثة

وعلى هذا العلم تترتب فائدة اخرى عملية لاستكشاف المصل الواقي والشافي مما تقوي عزائمنا في بعض الامراض وترشدنا الى السبيل الاقوم في البعض الآخر فلا تدعنا نضيع الوقت عبثًا في محاربتهِ من حيث لا تجدي المحاربة نفعًا لعلمنا حينئذٍ ان نجاحنا انما هو في تحدي الطبيعة نفسها فحيثما لا تنجح هي فالاولى ان لا ننجح نحن فنصرف قوانا عن الممتنع الى سواهُ مما يكون ممكنًا ليكون اهتداؤُنا اليهِ اذا نجحنا طريقة عملية شاملة هي اهم جدًّا من مكتشفات التجربة التي وان افادت كثيرًا احيانًا الاَّ انها لا تفيد فائدة عمليَّة حقيقية للتعويل عليها في العلم

وبناء على ما تقدم يمكن الجزم اليوم بان استكشاف المصل الشافي والواقي ممكن في جميع الامراض التي تشفى على اسلوب استحضار المصل الدفثيري وان صعب تعيينهُ في امراض الرتبة الاولى لقصر مدة المناعة فيها بسبب شدة تحولها واختلاط آفاتها ولكن ذلك اذا افقدهُ الفائدة الخاصة فلا يفقدهُ الفائدة العامة فيها للسبب عينهِ . ويجب ان يكون ممكنًا في الطاعون والهواء الاصفر ايضًا . ولا ينبغي ان يتولانا اليأس من استكشافهِ في الامراض الاخرى الحادة الخامنة . وهو ليس بالممتنع في الزهري وان كان صعبًا لبطوء سير هذا الداء ولعلهُ ممكن اذا عرف كيف يستخرج من المريض بعد هجوع اعراضهِ الثانوية هجوعًا تامًا .

واما التدرن والجذام والسرطان فكيف يمكن ذلك فيها على نفس الطريقة المستعملة للوقاية من الامراض الاخرى وشفائها وهي نفسها لا تشفى فكان ذلك على هذه الصورة ممتنع فيها فلم يكن بدٌّ من توجيه النظر الى مقاومتها من سبيل آخر . ومعلوم ان المرض تنازع بين الجسم والاحياء الدنيا المرضية . ومعلوم كذلك ان الامراض تختلف بحسب الاسنان والاحياء

المختلفة لاسباب يجب ان تكون في الجسم نفسهِ فلعل توجيه النظر الى هذه الجهة او الى سواها ييسر لنا استكشاف مصل من جنس آخر بعيد للجسم صفاتهِ المانعة او يكسبهُ هذه الصفات المقاومة الامراض التي لا تشفى وبالجملة امنع ايضاً على الامراض التي تشفى. فالطب العلمي الحقيقي هو هذا لا طب العقاقير وسيكون لهُ في المستقبل شأن عظيم جدًّا الى ان يتيسر للاجتماع ان يعرف بنظاماتهِ كيف يستفيد من حسنات العلم فيسهل للطب غرضهُ الاول وهو العلاج المبني لقتل جراثيم الامراض في مكامنها وصدها عن التعلق بالجسم . — ولا انكر ما في القول المتقدم من الجسارة ولكنهُ قول مبنيٌّ على تطبيق مذهب النشوء على علم الامراض بناء على ما يعلم من ثبوت الاحياء في التنازع بحسب رتبتها في النوعية وكأن الواقع يؤيدهُ اليوم الدكتور شميل

إشكال وإيضاح

حضرة الدكاترة الافاضل

جاء في الصفحة ٩٢٥ من المجلد الثالث والثلاثين من المقتطف ان معنى سياه كوش وقره قولاق الاذن السوداء والصواب اسود الاذن فان امثال هذه التراكيب في اللغتين الفارسية والتركية اوصاف تركيبية لا صفة وموصوف فيقولون سياه چشم وقره گوز لاسود العين لا للعين السوداء . وفي الصفحة ٩٢٩ في ذيل ترجمة الفهد انهُ يوز وپارس عند الفرس وكان الفرس يقولون پارسجي كما كانت العرب تقول فهَّاد . اقول ان پارس لفظة تركية وپارسجي كذلك كما يقال بوسطه جي وخانجي وليست بفارسية بل هي تركية جيغتائية ايغورية والمعهود عندنا في حقها انها النمر اي پلنك لا الفهد اي اليوز وعليهِ فترجمتها نمَّار لا فهَّاد . وما قالهُ كاترمير من انها لفظة تركية فهو الصحيح وما قلناهُ من انها بمعنى النمر فمأخوذ مما ترجمهُ صاحب الزيجات الاخيرة كالزيج الخاقاني لنصير الدين الطوسي وقد الفهُ في زمان هلاكوخان المغول وزيج الوغ بيك التركي الكوركاني وغيرهم فانهم ترجموا پارس الواقعة اسماً لاحدى السنين التركية الدائرة على اثني عشر اسماً بالنمر اي پلنك وكذلك ترجمهُ الاحكاميون عند ذكرهم لاحكام دخول پارس ييل اي سنة پارس وكذا ترجمهُ في كتاب النصاب الفارسي المنسوب الى ابي نصير الفراهي التركي اللسان

هذا ما حضر في ذهني الآن ولا يحضرني شيء من الكتب اللغوية التركية لتشتت الشمل والله يفعل في ملكهِ ما يشاء

تبريز احد مشتركي المقتطف

[المقتطف] بعثنا برسالتكم الى حضرة منشئ المقالة التي اشرتم اليها فاجاب عنها بما يأتي

وقفت على رسالة حضرة المعترض التبريزي الفاضل واجيب عليها بما يأتي .

اولاً ان حضرتهُ مصيب في قولهِ ان معنى سياه كوش اسود الاذن وليس الاذن السوداء كما ذكرت وكنت اخذت ذلك عن محيط المحيط في باب تفف حيث عرّبها بالاذن السوداء فنقلت ذلك بالحرف الواحد . واني اشكر لهُ تنبيهي الى ذلك .

ثانياً ان لفظة پارس لم ابحث عن اصلها وهل هي فارسية او تركية الاصل بل وجدت في " الالفاظ الفارسية المعرّبة " انها فارسية وفي كاترمير انها تركية فذكرت ذلك ولم ابدِ رأياً . ثم قلت " ان الفهد يوز و پارس عند الفرس وكان الفرس يقولون پارسجي كما كانت العرب تقول فهّاد " وهو صحيح وان تكن اللفظتان الأخيرتان تركيتين . وهذا تعريب ما جاء بهذا الصدد في ترجمة جامع التواريخ لكاترمير . قال " قلت آنفاً ان النمر الصغير المسمى يوز عند الفرس يسمّى پارس عند الترك وقد اخذ الفرس عنهم هذه اللفظة كما جاء في كتاب ظفرنامه قال (پارس شكار افكن) وصيغت من هذه اللفظة كلمة پارسجي وذكرها صاحب كتاب تاريخ وصّاف حيث قال (رسوم قوشجيان و پارسجيان) وفي كتاب جامع التواريخ (قوشجيان و پارسجيان در ولايت جانور گرفتند) " . وذكرها فولرس في معجمهِ الفارسي اللاتيني وفسرها كما فسرها كاترمير . وقد علمت الآن من سعادة زعيم الدولة ورئيس الحكماء الدكتور ميرزا مهدي خان التبريزي ان هذا التركيب ركيك بالفارسية والتآليف التي استشهد بها كاترمير كتبت للملوك المغول فدخلت عليها التراكيب التركية . وعليهِ يحسن ابدال العبارة المعترض عليها بما يأتي " والفهد يسمى يوز بالفارسية و پارس بالتركية الجغتائية والتركية العثمانية وكانوا يقولون پارسجي كما كانت العرب تقول فهّاداً "

واما قول حضرتهِ ان پارس بالتركية الجغتائية هي پلنك بالفارسية ونمر بالعربية ففيهِ نظر فالفرق بين الفهد والنمر لم يكن معروفاً تمام المعرفة عند كثيرين من الشعوب القديمة ولم يميز بينهما علماء الافرنج الاَّ في القرن الماضي لكن امرهما كان معروفاً عند الهنود والفرس والعرب وعندهم اسماء فارقة لها منذ القديم ولدينا شواهد كثيرة على ذلك اذكر واحداً منها وهو ان احد الاكاسرة اهدى نمراً الى قيصر الروم فظنهُ هذا فهداً لتشابهِ الوصف فتغافل عنهُ فقتل غلاماً لهُ (مروج الذهب للمسعودي صفحة ٢٣٩ على هامش نفح الطيب) فلفظة پارس عند المغول قديماً كلفظة پاردس عند اليونان والرومان و پارد عند الانكليز والفرنسويين اطلقت بدون تمييز على عدة انواع من هذه الحيوانات وقد ذكرت شيئاً من هذا في باب الفهد .

وهذا التغيير في اسماء الحيوانات كثير الحدوث كما سيأتي عند ذكر الرتم . فالشواهد التي اتى بها حضرتهُ حقيقية فلفظة پارس بلغة الايغور والقپجاق تطلق على النمر لكنها باللغة الجغتائية والعثمانية خصت باليوز اي الفهد والبارسجي هو الفهاد لا النمار . وهذا ما جاء في البرهان القاطع لحسين بن خلف التبريزي ترجمة السيد عاصم العنتابي ويقال انهُ احسن المعجمات الفارسية التركية قال " پلنك خدنك وزننده قپلان تعبير اولنان يرتجى جانوره دينور . عربيده نمر دينور " اي پلنك على وزن خدنك حيوان مفترس يسمى قپلان وهو النمر بالعربية . وفي باب يوز ما نصهُ " وپارس تعبير اولنان جانور اسيدر عربيده فهد دينور " اي يوز حيوانٌ يسمى پارس وهو الفهد بالعربيَّة . وفي نزهة القلوب نقلاً عن كاترمير ما تعريبهُ (عن الفرنسوية) " پلنك المسمى بالعربية نمرًا الخ . ويوز او الفهد ويسمى بالتركية پارس حيوان شرس غضوب كثير النوم مولع بالصيد يتعلم بسهولة " والالفاظ التركية والعربية والفارسية نقلتها عن كاترمير بالحرف الواحد لانها مكتوبة بالحروف العربية . واعظم برهان ان پارس عند الترك هو المسمَّى يوز عند الفرس قولهم پارسجي اي فهاد وهو معلم الفهود ولا يمكن ان يكون نمَّارًا لان النمر پلنك لا يعلَّم الصيد وقلما يستأنس ولم يسمع ان احدًا صاده والمشهور ان الحيوان الصائد هو ما يسمى يوز بالفارسية وچيته بالهندية وفهدًا بالعربية فهل كان الترك يصيدون بالنمر حتى قالوا پارسجي . وقد قيل عن ملوكهم ان الواحد منهم كان يقتني نحو الالف من الفهود (دائرة المعارف الانكليزية لفظة چيته) وذكر كاترمير ان الفرس سموا اليوز چيته ايضًا نقلاً عن الهنود فالنمر والفهد كما قلت شبيهان في الظاهر وكلاهما منقطان وتغلبت عليهما اسماء كثيرة في لغات كثيرة. الاَّ ان الفرس والعرب حافظوا على يوز وپلنك وفهد ونمر . والخلاصة ان لفظة پارس بلغة الايغور والقپجاق تطلق على النمر (پلنك) وباللغة التركية الجغتائية والعثمانية تطلق على الفهد (يوز) والفرق بين هذه اللغات عظيم . واما البارسجي فهو الفهاد فقط على ما ارى .

وفي الختام اكرر الثناء على حضرته لغيرته على العلم ولانهُ نبهني الى اغلاط يجب اصلاحها في المستقبل فان الغاية من نشر رسائلي في المقتطف عرضها على الباحثين . ويسرُّني ان اوَّل انتقادٍ جاءني كان من مدينة العلم تبريز ولاسيما في احوالها الحاضرة

وقد اطلع سعادة زعيم الدولة ورئيس الحكماء الدكتور ميرزا محمد مهدي خان التبريزي على رسالتي هذه لاني اجهل الفارسيَّة فوافق عليها الدكتور امين المعلوف

غرائب الاحلام

سيدي اصحاب المقتطف الفاضلين

طالما مرّ على مسامعي من غرائب الاحلام ما كنت اعدُّهُ من قبيل تلبك في المعدة وسوء الهضم الى ان ظننتُ ان للارواح الناس رحلات ليلية بعد رقاد الجسد فتنتقل من بلاد الى اخرى وتشكو الواحدة الى الاخرى ما بها وتدور في البيوت وترى ما هو جارٍ فيها وعند اليقظة تخبر اصحابها بخلاصة رحلاتها.

والآن نرجو منكم ان تعللوا لنا سبب مطابقة الاحلام لحوادثها في الزمان والمكان كما في الاحلام التالية

(١) في الخامس عشر من شهر تشرين الاول سنة ١٩٠٨ عند مطلع الفجر استيقظت امرأتي وقصّت عليّ ما خلاصتهُ

حلمتُ أننا زرنا بيت صديقنا الشيخ قسطنطين جحا في بشمزين بلبنان وكنا ننتظر ان نرى لهفة حسب العادة في استقبالنا لكننا لم نجد هذه المرة من يرد علينا السلام وشاهدنا الوالد يأكل على مائدة والكبير بادٍ على محياه وناساً تروح وتجيء والكل مظهرون الانهماك والارتباك الى ان اطللنا من نافذة البيت فرأينا الاخ الاكبر ميخائيل افندي جحا ملقىً على فراشهِ اشبه بالاموات. وهنا حدث حركة في البيت فاستيقظت امرأتي والانقباض آخذ منها مأخذهُ مما رأت ومضى على هذا الحلم ٥ ايام حيث وصلت البوسطة فتناولنا منها تحريرًا من الصديق داود افندي بشير تاريخهُ ١ تموز سنة ١٩٠٨ وفيهِ الفقرة التالية

"الشيخ قسطنطين جحا — هذه السنة افكاره متعوبة لان ميخائيل افندي ... رئيس لدرجة اخيرة والآن تحسن غير ان حالتهُ تظهر غير محمودة للنهاية"

وميخائيل افندي هو نفس من ... قالت امرأتي انها رأته مريضاً ... عند هذا مبهوتاً

(٢) وقبل وصول البريد بثلاثة ايام اخبرني اخي انهُ حلم ان شقيقتي في ... رزقت ولدًا ذكرًا . وعند وصول البريد اخذنا تحريرًا من صهرنا يفيد ذلك تماماً.

(٣) حلمت امرأتي في السنة الماضية ان شقيقتي رزقت غلاماً في كذا من شهر كذا وبعد قليل جاءنا تحرير فيهِ ان الشقيقة رزقت غلاماً في الشهر واليوم الذي عينتهُ في منامها

هذه ثلاث غرائب من الاحلام وقعت في بيتي كتبت بها اليكم طالباً حلها بما يدركهُ الفهم

(٩) اشكل عليَّ مرة حل مسألة فبقيت الى الساعة الواحدة بعد نصف الليل ولم اهتدِ الى حلها الى ان اعياني الافتكار فرقدت وقلم الرصاص والورقة بجانبي وبعد ما نمت نحو ثلاث ساعات نهضت مذعوراً لصوت حدث في البيت فوجدت اني اهتديت الى حل المسألة فقصصت هذه القصة على احد الاصحاب فعلَّل لي التعليل الآتي قال

يحتمل ان يكون غيري في مكان آخر كان يفتكر في حل المسألة نفسها وقد حل شيئاً منها واشكل عليهِ امر كنت انا حللتهُ وهو حل ما كان اشكل عليَّ الى ان رقدنا وبعد الرقاد سارت الارواح بجولانها الى ان التقت روحي بروح رصيفي فتحادثنا وتطرقنا الى ذكر المسألة نفسها فاخبرت كل منها الاخرى ما كانت حلتهُ منها وبهذه الطريقة حلّت المسألة لدى روحي وروحهِ فقمت اعرفها تماماً فهل لكلام صديقي شيءٌ من الصحة او ما رأيكم في ذلك

كروزلادو دوسول بالبرازيل جرجي مرعي

[المقتطف] لا شبهة في غرابة الاحلام التي من قبيل ما ذكرتم ولكن اذا دقق المرء نظرهُ في رواياتها والحوادث التي تشير اليها زالت الغرابة غالباً . كتبت الينا سيدة في اوائل الصيف الماضي وهي مسافرة في عرض البحر انها حلمت بان ابنة لنا ولدت صبياً وقرأنا كتابها وبقي في ذهننا منهُ انها عينت فيهِ اليوم والساعة فجاء ذلك منطبقاً على يوم الولادة وساعتها وشرعنا في كتابة مقالة في هذا الموضوع وهي المنشورة في الجزء الثامن من السنة الماضية . ثم خطر لنا ان نقرأ الكتاب ثانية ونقابل بين ما فيهِ وبين يوم الولادة وساعتها فرأينا ان ما رسخ في ذهننا اولاً من قراءة الكتاب لم يكن على تمام الصحة لان السيدة لم تعين ساعة الولادة بل قالت ان الوالدة ولدت ابنها ليلاً وهي ولدتهُ صباحاً فكأنها عينت يوم الولادة فقط ولم يكن تعيينهُ صعباً جدًّا عليها بل كانت نسبة الاصابة فيهِ الى الخطإ كنسبة ١ الى ٢٦ والاصابة مرةً من كل ٢٦ مرةً ليست من الخوارق

اما الحادثة الاولى التي ذكرتموها فيحتمل فيها ان تكون زوجتكم قد سمعت عن مرض ابن الشيخ بجا من اناس اتاهم خبر مرضهِ لكنها سمعت الخبر وهي مشغولة بالحديث مع آخرين فلم تنتبه لهُ الاَّ ان الصوت يدخل الاذن على كل حال وقد يبقى تأثيرهُ في الدماغ سواء انتبه لهُ السامع او لم ينتبه فلما نامت التفت عقلها الى الاثر الذي بقي في الدماغ من سماع الخبر وبني عليهِ الحلم المذكور . هذا احد الاحتمالات وقد توجد احتمالات اخرى تسهل عليكم معرفتها اذا بحثتم ودققتم

والحادثة الثانية تعليلها اسهل من تعليل الاول وهو انكم سمعتم ان شقيقتكم حامل فهدس

اخوكم بذلك وحلم انها ولدت ابناً وكان يحتمل ان يخطئ ويحلم انها ولدت ابنة ونسبة الاصابة الى الخطإِ كنسبة واحد الى واحد . ثم ان الرغبة في ان يكون المولود ابناً يرجح الحلم بولادة الصبي لا البنت

والحادثة الثالثة تشبه الحادثة التي ذكرناها نحن في مقالتنا المشار اليها آنفاً .

والحادثة الرابعة تعليلها سهل وهو ان العقل يبقى يشتغل بما كان الانسان يشتغل بهِ قبل نومهِ فيهتدي الى حل المسائل في النوم كما يهتدي اليها في اليقظة وقد يكون حلها اسهل في النوم لانتفاء الشواغل الاخرى حينئذٍ وانقطاع العقل اليها كما يغمض الانسان عينيهِ حينما يفكر في امر عويص او حينما يريد ان يحفظ شيئاً غيباً لكي يتجه عقلهُ كلهُ الى الموضوع الذي يفكر فيهِ . وتعليل صاحبكم لا وجه لهُ لانهُ لا يعقل ان الروح تخرج من الجسد ويبقى حياً ولا حاجة بنا الى فروض لم يقم دليل على صحتها ولدينا تعليلات كثيرة معقولة



زراعة التبغ (الدخان)

تمهيد

لما منعت الحكومة المصرية زراعة التبغ في بلادها بنت هذا المنع على ان التبغ المصري (البلدي) غير جيد لا يستطيبهُ جمهور كبير من الناس بل يفضلون عليهِ التبغ التركي والكوراني والاميركي ولا يسهل اصدارهُ من البلاد فتبقى زراعتهُ محصورة في فدن قليلة حسب مقطوعية القطر فليس من منع زرعهِ ضرر كبير ولكن هذا المنع يفيد الحكومة فائدة كبيرة لانها تضع ضريبةً كبيرة على التبغ الوارد من الخارج تستعملها في المصالح العموميَّة كأنها فرضت ضريبة على المدخنين تأخذها منهم وتعمل بها الاعمال العموميَّة التي تفيدهم وتفيد غيرهم كحفر الترع والمصارف واقامة الجسور والكباري والاعتناء بالصحة العموميَّة ونحو ذلك من الاعمال التي تعملها الحكومة . ويبلغ ايراد الحكومة الآن من جمرك التبغ نحو مليون ونصف من الجنيهات فاذا وجدت ان هذا الايراد يبقى على حالهِ او لا ينقص الاَّ قليلاً باباحة زرع التبغ فلا شيءَ يمنعها عن اباحة زرعهِ

وقد اخبرنا احد الوجهاء انهُ علَّل التبغ المصري (الدخان البلدي) وصنع منهُ سيكارًا مثل سيكار هافنا وعرضهُ على بعض الخبيرين بالتبغ فدخنوهُ واستطابوهُ وحسبوهُ من سيكار هافنا. وهو الذي عرض على الحكومة ان تعيد زراعة التبغ حتى اذا تعهَّد لها جمهور من المزارعين انهم يزرعون خمسين الف فدان ويدفعون ضريبة الفدان ثلاثين جنيهًا اجتمع لها من ذلك مليون ونصف من الجنيهات اي قدر ما تأخذهُ الآن جمركًا على التبغ الوارد الى القطر المصري . ومن رأي ذلك الوجيه انهُ اذا اعتُني بزرع التبغ وتعليلهِ امكن اصدار مقدار كبير منهُ بعد ذلك . فاذا استطاع القطر المصري ان يصدر محصول مئة الف فدان وفرضنا غلة الفدان الف كيلو وبيع الكيلو بخمسة غروش فقط بلغ ثمن الصادر من التبغ خمسة ملايين من الجنيهات واذا بلغت غلة الفدان الفي كيلو كما هو المرجح بلغ ثمن الصادر عشرة ملايين من الجنيهات

وكل ذلك ثابت مقرر الّا جودة التبغ البلدي حتى يساوي التبغ التركي او اليوناني او الاميركي فاذا ثبت بالتجارب ان التبغ البلدي جيد مثل غيرهِ لم تبقَ صعوبة في اباحة زراعتهِ واتساعها وكثرة ما يصدر منهُ

وتربة القطر المصري صالحة لزراعة التبغ ونموهِ وقد شاهدنا التبغ يزرع في لبنان حيث يعتنى بهِ اشد الاعتناء ولكننا لم نرَهُ يبلغ هناك في نموهِ ما كان يبلغهُ على ساحل النيل في الجيزة قبلما مُنعت زراعتهُ فان ارتفاعهُ كان يبلغ ثلاثة امتار او اكثر وهذا لم نرَ ما يماثلهُ في اجود حواكير لبنان. واخبرنا غير واحد انهم استغلوا من الفدان الفي اقة فلا شبهة اذًا من قبيل النمو ولكن الشبهة من قبيل الجودة فان التبغ قد ينمو كثيرًا ويكون هشًا لا طعم لهُ فلا يستطيبهُ شاربوهُ . ويقال ان البلاد الحارة التي يكثر شروق الشمس فيها ويقل الغيم لا يجود التبغ فيها فان كان ذلك صحيحًا فالقطر المصري ليس من البلدان التي يجود تبغها ولو نما كثيرًا . ثم ان التبغ لا يجود الّا اذا كثرت املاح البوتاسا في الارض واملاح الجير وهي غير كثيرة في تربة القطر المصري

ومهما كانت الارض جيدة وصالحة لزرع التبغ ومهما نما التبغ فيها فهو لا يكون من التبغ الجيد الّا اذا علّل تعليلاً مخصوصًا في قطفهِ وتجفيفهِ . وعسى ان يثبت بالامتحان ان التبغ المصري من اجود انواع التبغ فتنتشر زراعتهُ في هذا القطر ويكثر الصادر منهُ فتزيد بهِ ثروة البلاد . واذ قد تمهَّد ذلك نشرح كيفيةَ زرع التبغ وقطفهِ وتجفيفهِ على ما نعلم بالخُبْر والخَبَر

الارض الصالحة لزرعه

اصلح الاراضي لزرع التبغ الاراضي الطينيَّة التي فيها قليل من الرمل الغنيَّة بالبوتاسا والجير(الكلس)والمواد النباتية لان في التبغ كثيرًا من البوتاسا والجير والمركبات النيتروجينيَّة اي ان الارض الطينيَّة المحلولة الاجزاء تكون صالحة لزرع التبغ اذا كثرت فيها المواد التي يتغذى بها كالبوتاسا والمركبات النيتروجينيَّة واذا كانت هذه المواد قليلة فيها فلا بدَّ من تسبيخها كثيرًا بالسباخ البلدي (الزبل) وهو من اجود انواع السباخ

كيفية زرع البزر (التقاوي)

يزرع التبغ من بزره ويختار البزر من اجود انواع التبغ فيحسن بالحكومة المصرية ان تجلب البزر من هافنا او من الاماكن التي يجود فيها التبغ في تركيا وبلاد اليونان · وبزر التبغ صغير جدًّا كحبوب الرمل وهو يزرع اولاً في مسابك تختار من ارض جيدة جدًّا تركس اولاً وينعم ترابها وتمزج بالرماد او يبسط عليها القش ويحرق فيها حتى تمتزج برماده وتموت الحشرات منها ويحسن ان يكرر ذلك مرةً اخرى اي تعزق ثانية وتغطى بالقش ويُحرق فيها · ويكون طول المسكبة ثلاثة امتار وعرضها مترًا او مترًا وربع متر حتى يسهل وصول اليد الى اطرافها ويحسن ان تكون تحت شجرة تظللها · ويمزج بزر التبغ بالرماد او بالتراب الناعم قبل بذره لكي لا تقع منهُ بزور كثيرة في مكان واحد · وتركس الارض قليلاً بعد بذر البذار فيها لكي يغطيهُ التراب ثم تسقى واذا نبتت الاعشاب بينهُ وجب اقتلاعها حالاً · ومتى صار ارتفاع نبات التبغ سبعة سنتيمترات الى عشرة يقلع ويزرع في مزارع التبغ

اعداد الارض

تحرث ارض المزارع جيدًا وينعم ترابها حتى تتخللها جذيرات النبات بسهولة فلا بدَّ من حرثها مرارًا طولاً وعرضاً وتكسير ما يكون فيها من القلاقيل (الطلع) . ثم تخطط خطوطاً عمقها نصف قدم والبعد بين الخط والخط ثلاث اقدام وتزرع الترقيدة (الشتل) في هذه الخطوط وبين النبتة والاخرى قدم ونصف او اكثر ولا بدَّ من تسميد الارض جيدًا قبل حرثها الحرثة الاخيرة . واهالي سورية يسمدون الارض بزبل المعزى او يزربون المعزى في الحواكير التي يزرعون التبغ فيها حتى تسمد بزبلها

كيفية زرع الترقيدة (الشتل)

الترقيدة وتسمَّى في سورية شتلاً هي النبات الصغير الذي يقلع ليزرع حيث يراد زرع النبات اخيرًا · ويختار لزرعها يوم رطب غير جاف الهواء · والزرع قرب المساء خير من الزرع

في الصباح حتى لا يشتد حر النهار على النبات بُعيد زرعهِ فيذبل كثيراً وقد ييبس من شدة حر الظهيرة · ويجب ان لا يعلو التراب عليهِ حتى يغطي اوراقهُ ولا بدَّ من ارواء النبات المزروع مرةً بعد اخرى حتى ينمو اذا لم يروَ من المطر ولا بدَّ من الترقيع اذا يبس (نشف) بعض المزروع

الخدمة

حينما تظهر ورقتان او ثلاث من الاوراق الجديدة يقلب قليل من جانبي الخط على النبات بالفاس (معول صغير) ويكرَّر ذلك مرةً كل اسبوعين حتى تزول الخطوط كلها ويرتفع التراب حول اصول النبات · ولا يجوز هذا العزق اذا كانت الارض شديدة الرطوبة لئلا تتماسك اجزاؤها حول اصول النبات · ولا يجوز ان يبقى شيء من الاعشاب البرية في الارض التي يزرع فيها التبغ

خصي النبات

يبتدئ ازهار التبغ بعد زرعهِ بثلاثين يوماً الى اربعين يوماً واهالي اميركا يخصونهُ حينئذٍ اي يقطعون راسهُ الذي يظهر الزهر فيهِ الاَّ النبات الذي يريدون اخذ التقاوي منهُ فيبقون ازهارهُ فيهِ · اما اهالي سورية فلا يخصونهُ بل يتركون زهرهُ فيهِ واذا خصي النبات لم يبقَ فيهِ سوى عشر اوراق الى ١٤ ورقة فتترك الى ان تبلغ اشدها من النمو

ومن قبيل ذلك نزع الفروخ التي تنمو في ابط الاوراق لانها تمتص غذاء الاوراق فتضعفها ولا فائدة منها · ويسمَّى هذا العمل تفريكاً في بعض انحاء لبنان

حشرات التبغ

يسطو على نبات التبغ ديدان تأكل ورقهُ وتتلفهُ واهالي اميركا يطلقون الدجاج الرومي (الحبشي) في مزارع التبغ فتنقيها من الدود وهم يقتنونها لهذه الغاية · ولا بدَّ من تنقية الدود من مزارع التبغ مرتين كل يوم لان الدودة الواحدة قد تأكل اوراق الشجرة اذا تركت عليها اربعاً وعشرين ساعة

قطف التبغ

حينما يبلغ ورق التبغ يقطف ويبسط في الشمس حتى يذبل واهالي كوبا يقطعون النبات كلهُ وينصبون قضباناً طويلة على اعمدة متشعبة حتى تكون القضبان افقية ويقطعون الورق بسكين حادة حتى تبقى كل ورقتين متقابلتين متصلتين معاً وينصبونهما على القضيب الافقي حتى تركبا عليهِ ويضعون الورق الجيد وحدهُ وغير الجيد وحدهُ ويترك الورق حتى

يذبل . وقد يضعون النبات كلهُ واوراقهُ فيهِ في الشمس حتى يذبل من الجانب الواحد ثم يقلبونهُ حتى يذبل من الجانب الآخر واهالي سورية يشكون ورق التبغ بخيط ويجففونهُ كذلك في الشمس او في الهواء في مكان ظليل حتى يذبل ويجف

ولا يجوز قطف التبغ قبلما يبلغ جيدًا وهو يبلغ في نحو ثلاثة اشهر بعد زرعهِ من البزر ومتى بلغ يصير ملمس ورقهِ صمغيًا ويضرب لونهُ الى الصفرة وتظهر فيهِ نقط وتلتوي حروف الورقة الى الاسفل ولا يقطف الورق والندى عليهِ

اما معالجة التبغ بعد قطفهِ فسيأتي الكلام عليها في الجزء التالي

ويظهر مما تقدم انهُ لا يسهل على الرجل الواحد ان يقوم باكثر من زراعة نصف فدان وان نفقات الزراعة والخدمة كثيرة جدًا ولا نظن ان نفقات زراعة الفدان وتسميدهِ وخدمتهِ تقل عن خمسة عشر جنيهًا فاذا كان مال الفدان ٣٠ جنيهًا وايجارهُ ١٥ جنيهًا كايجار اراضي الجزائر الجيدة ونفقات الزراعة والخدمة ١٥ جنيهًا بلغ مجموع ذلك ٦٠ جنيهًا فلا تفي الزراعة بالنفقات ما لم يبلغ محصول الفدان الف اقة على الاقل اذا بيعت الاقة باكثر من ستة غروش ولم يحصل تلف للزراعة من الدودة ولا من الآفات الجوية واما اذا حصل تلف فالخسارة كبيرة جدًا لانهُ لا بدَّ من دفع الاموال والنفقات وهي تساوي ما يدفع عادة على عشرة افدنة . فاذا زرع رجل عشر اطيانهِ تبغًا وتلف محصولهُ خسر محصول اطيانهِ كلها . ولذلك فالحكمة تقضي ان لا يزرع احد الأ جانبًا صغيرًا من اطيانهِ تبغًا . واذا لم تُدبّر الحكومة ذلك حين الترخيص بزراعة التبغ فقد تضرُّ القطر اكثر مما تنفعهُ

تقليم الاشجار

ان لم تكن الاشجار المثمرة قد قلمت فيجب ان تقلَّم الآن حالاً قبل ظهور البراعم الجديدة فيها فتقطع كل الاغصان المشتبكة حتى لا يبقى في الشجرة الأ الاغصان والقضبان التي تصل اليها اشعة الشمس ويجري بينها الهواء بسهولة ولا يجوز ان يبقى في الشجرة غصنان او قضيبان واحدها يماس الآخر . ويعتنى وقت التقليم بمنظر الشجرة حتى يكون منتظمًا

واذا لم تحمل الشجرة بعد تقليم اغصانها المتوالي فلا بدَّ من تقليم جذورها وذلك بان يحفر حول اصلها على بعد اربع اقدام منها حفرة تحيط بها عرضها نحو قدم وتقطع كل الجذور الصقيلة التي تعترض هذه الحفرة بمقص الجناين او بسكين ماضية فان الجذور الصقيلة اي التي لا جذيرات كثيرة فيها لا فائدة منها للشجرة وانما الفائدة من الجذور التي فيها كثير من

الجذيرات الصغيرة . وبهذا العمل يرتد الخصب الى الشجرة وتصير كثيرة الثمر

قال بعضهم كان عندي شجرة تفاح لم تكن تحمل سوى اربع تفاحات في السنة فحفرت حول جذورها في شهر فبراير الماضي وقطعت كل الجذور الصقيلة منها فلما كان اكتوبر الماضي قطفت منها نحو ستمائة تفاحة . ويحسن بعد طمر الحفرة ان يبسط السباخ البلدي (الزبل) حول الشجرة لكي يغذيها ويمنع البرد عن جذورها اذا كانت البلاد باردة

غرس الاشجار

الحفر التي تحفر لغرس الاشجار يجب ان تكون واسعة حتى تنبسط الجذور فيها على هينتها ولا تلوى . ثم تغطى بالتراب الناعم عن وجه الارض وتطمر جيدًا

موسم القطن

يظهر من قلة الوارد من القطن الى الاسكندرية هذا العام ان الموسم قلما يزيد على مئة ملايين وربع مليون قنطار فينقص عن الموسم الماضي نحو مليون قنطار وهو نقص كبير جدًّا لذاته فوق نقص الثمن وهذا مما اوقع اصحاب الاطيان في ضنك شديد ولذلك احسنت الحكومة صنعًا في اهتمامها بارجاع زراعة التبغ الى القطر المصري لان هذه الزراعة اذا نجحت فربحها كبير جدًّا يسد مسدَّ ما ينقص من موسم القطن

اصل القطن العفيفي

قال المستر بولنر نباتي الجمعية الزراعية الخديوية ان السر وليم ولككس اخبره عن كيفية تولد القطن العفيفي في القطر المصري وهي ان القطن القديم الاسمر الذي كان يزرع في مصر (ولعلهُ القطن الاشموني) زرع في جزيرة في بلدة مت عفيف على فرع دمياط وارض هذه الجزيرة رملية يغمرها ماء النيل وقد رآها مغمورة سنة ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٧ وكانت نتيجة انغمارها بالماء ان المزارعين لم يتمكنوا الأ من جمع اللوزات التي فتحت بدريًا والسبب في تفتيحها قبل غيرها راجع اما الى خاصيةٍ في بعض النباتات لتتلقح قبل غيرها او الى مؤثرات اخرى ومن تلك اللوزات كان يؤخذ البذار (التقاوي) للسنة التالية وباستمرار انغمار الجزيرة واخذ التقاوي من اللوز البدري تكاثر هذا الصنف من القطن وهو القطن العفيفي

ولكن الذين يذكرون العفيفي القديم والعفيفي الحالي يقولون انهُ تغير عن اصلهِ وفقد

خاصة التفتيح البدري التي كانت له وسبب ذلك اختلاط بزوره ببزور غيره من القطن وتلقح بعضها من بعض وزد على ذلك ان القطن المفيفي لم يكن نقيًّا اي لم يكن كلهُ حاويًا على الصفات الجديدة التي تولدت فيهِ بل كان بعضهُ حافظًا لصفاتهِ القديمة اي تأخر البلوغ فعاد الى اصلهِ وهذا السبب الاخير كافٍ لعود المفيفي الى اصلهِ ثم قال ان الطريقة الاسهل للحصول على صنف من القطن ينضج باكرًا هي انتقاء اللوزات البدرية التفتيح واخذ البذار (التقاوي) منها فقط . وهذه الطريقة تفيد ايضًا في منع انتشار القطن الهندي اذا اخذت التقاوي من الجمعة الاولى لان القطن الهندي لا ينضج باكرًا فالجمعة الاولى تكون خالية منهُ

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٧)

زراعة البصل والبطيخ والباميا والملوخية

البصل — يزرع البصل في كل انحاء القطر المصري ما عدا جهات طيبة العليا ونواحي الدلتا السفلى . فتحرث الارض اولاً ثم تسوَّى بجذع نخل وتقسَّم الى مربعات بنفقةٍ قليلة

ويزرعون البصل في الاراضي التي تروى مباشرةً بمياه الفيضان بعد استغلال الحنطة والبرسيم وسائر الحبوب فيحفرون أثلامًا صغيرةً يلقون فيها البذار (التقاوي) . ويمكن لعشرة انفار ان يتموا ما يلزم من العمل لزرع فدان في يوم . فيزرعون فيهِ ١/٢٤ من الاردب بزرًا . واذا كانت الارض التي يزرع فيها مرتفعة يسقونهُ كل اسبوع مرةً

وبعد ٥٠ او ٦٠ يومًا من زرعهِ ينقلون البصل الى غيط آخر يكون قد حُرث ثلاث دفعات . وما ينقلونهُ من فدان واحد يكفي لزرع اثني عشر فدانًا

ويقلعون البصل اخضر في اوقات مختلفة ويابسًا بعد نقلهِ بثمانين او تسعين يومًا

وتبلغ غلة الفدان من ٢٠ الى ٣٠ اردبًا يباع الاردب منهُ بثلاثة فرنكات في اسيوط والمنيا ويبلغ ثمنهُ ٦ فرنكات في ضواحي قنا من حيث يصدَّر منهُ جانب عظيم الى بلاد العرب بطريق القصير . وتؤخذ الضرائب على البصل نقدًا بمعدل عشرين فرنكًا على الفدان

البطيخ — يزرع البطيخ في جزائر النيل وعلى شواطئهِ بعد انكشافها في زمن التحاريق . وفي اكثر الاماكن تكون هذه الشواطئ كمنحدرات كثيرة الميل مغطاة بطبقة من الرمل الناعم . فيزرعون البطيخ ضمن حفر يحفرونها فيها متحاذية قائمة الزوايا طول الحفرة منها متر وعرضها عشرون سنتيمترًا وعمقها كافٍ لحفظ رطوبة الماء الذي يجلب اليها من الداخل او

او يجرّ اليها من النيل . ويتّقون سفي الرمال على مزروعات البطيخ في بدء نموها بحواجز من القش تدفع عنها الرمال وتقيها حرّ الشمس معاً . وتنتج كل نبتة عادةً ثلاثة رؤُوس او اربعة

وفضلاً عن الجزر وشواطيء النيل يزرع البطيخ احياناً في الاراضي الواطئة المجاورة للترع حيث تبتدئ زراعتهُ في اوائل فبراير فيحفرون حفراً متباعدة بعضها عن بعض يضعون في كلّ منها حفنة من زبل الحمام يتركونها مكشوفة نحو عشرة ايام ثم يزرعون التقاوي بمعدل $\frac{1}{48}$ من الاردب للفدان

وقد يبلغ جنى الفدان من البطيخ ٩٦ فرنكاً ويهبط احياناً الى ١٢ او ١٥ فرنكاً ويجود البطيخ في لسان الارض الفاصل بين بحيرة البرلّس والبحر المتوسط حيث يزرعهُ اهالي قرية بلطيم بمقادير كبيرة ويبيعونهُ في الاسكندرية ورشيد ودمياط وخلافها

البامية والملوخية — تزرع البامية مرتين في السنة احداهما في مارس والاخرى في يوليو وغلة الفدان منها في جهات قنا من ٦ غروش الى تسعة يومياً مدة ثلاثة اشهر

وتزرع الملوخية في ازمنة واماكن مختلفة وغلة الفدان منها يومياً نحو ستة غروش الى سبعة ويبلغ مال البساتين التي تزرع خضراً وبقولاً من ١٦ فرنكاً الى ١٩ فرنكاً سنوياً وتقضي زراعة النباتات البستانية بالتعب الدائم في سقيها والاعتناء بها فتزيد بذلك نفقاتها

عجز الصادرات الزراعية

انتهى العام وظهر العجز الكبير في قيمة صادراتهِ فقد بلغت ٢١٣١٥٦٧٣ جنيهاً وكانت في العام الذي قبلهُ ٢٨٠١٣١٨٥ جنيهاً والفرق بينهما ٦٦٩٧٥١٢ اي نحو ستة ملايين وثلاثة ارباع المليون من الجنيهات المصرية . واليك جدول اهم الصادرات وما في قيمتها من العجز

	سنة ١٩٠٧	سنة ١٩٠٨	الفرق
القطن	٢٣٥٩٧٨٤٤	١٧٠٩١٦١٢	٦٥٠٦٢٣٢
بزرة القطن	٢٥٥٥٠٦٧	٢٤٧١٠٠١	٨٤٠٦٦
الكتان	١٠٣٩٧٦	٥٣٦٤٦	٥٠٣٣٠
البيض	٩٩٤٩٩	٨٥٦٦٥	١٣٨٣٤
الفول	١٩٦٤٥	٩٧٩٣	٩٨٥٢

وزادت قيمة الصادر من البصل ٣٦٤٠٨ جنيهات ومن السكر ١٨٠٤٣ جنيهاً . ونقصت قيمة الصادر من العاج والصمغ العربي ولعلَّ سبب ذلك كثرة صدورها من بورت سودان

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم أهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

طحن القمح

ضمنا منزل مع جماعة من الادباء فتجاذبنا اطراف الحديث واستوقفني سؤال لاحدهم وهو لماذا يكون الدقيق المطحون بوابور ذا لون ابيض ولزوجة ويزداد حجمه حين عجنه وله طعم وخواص مميزة له عن المطحون في وابور آخر . فالعامة تعلل ذلك بلون الحجر اي اذا كان لونه ابيض كان دقيقه ابيض والضد بالضد .

اما الحقيقة العلمية فغير ذلك وقبل بيان السبب يلزمنا ان نعلم كيفية تركيب الدقيق فدقيق القمح الجيد لونه ابيض مائل الى الاصفرار ناعم عند اللمس اما التجاري الوارد من الخارج فاغلبه مخلوط بدقيق البطاطس واللوبياء وغيرهما من الحبوب والبقول التي هي ارخص من القمح . ولفحص هذا الدقيق يكفي ان يرى بالنظارة المعظمة فان حبيبات كل دقيق تظهر مختلفة الحجم والشكل عن نظيراتها لا سيما اذا بلت بالماء وايضاً اذا عولجت باليود فيظهر لكل دقيق لون مختلف عن الآخر . اما التحليل المنزلي فيدل على ان الدقيق مكون من دقيق ناعم ونخالة واما التحليل الكيماوي فيدل على ان فيه مواد آلية متعادلة بنسبة ٧ في المئة الى ١٥ في المئة كالجلوتين والالبومين (الزلال) والفبرين والكاسين . ومواد متعادلة غير محتوية على الازوت كالنشا والدكسترين والجلوكوز .

وفي نخالته اولاً مواد دسمة وزيوت عطرية خصوصية . وثانياً املاح معدنية كفصفات الجير وفصفات المانيزيا واملاح البوتاسا ومواد نشوية .

فالجلوتين مادة لزجة مرنة غذائية وهي تحتوي على عدد كبير من الحبيبات الجنينية بعضها مع بعض في شكل الياف داخلها جلوتيين والبومين وسكر ولعاب نباتي ونشاء .

والالبومين مادة هلامية بيضاء وهي التي يتكون منها زلال البيض ومصل الدم والشعر والاظافر والغضاريف وتدخل في تركيب العين والمخ وهي التي تعطي للدقيق الخواص والمزايا المطلوبة آنفاً .

والفبرين مادة بيضاء صلبة او سنجابية عديمة الطعم والرائحة مرنة وهي تدخل في تركيب الدم وتكوين لحم العضلات

والكاسين مادة بيضاء عديمة الطعم والرائحة وهي التي تجمد من اللبن وتصير جبناً

والنشاء مادة بيضاء توجد في الحبوب والبقول وتركيبها فيهما واحد. وهي التي تعطي الدقيق لونهُ الابيض

والدكسترين مادة بيضاء مائلة الى الاصفرار السنجابي تحصل من النشاء اذا سخن الى ١٦٠ وتركيبها كتركيب النشاء اذا تركت عجينة النشاء فتستحيل الى دكسترين خصوصاً في فصل الصيف الحار

والجلوكوز من الدكسترين المعالج بالحامض الكبريتيك المركز. وكلٌّ منهما مغذٍّ

والنخالة مغذية ومساعدة على نمو العظام لاحتوائها على الفصفات والاملاح

ومن هذا يرى ان العجين ذا العرق هو الذي في دقيقهِ مادة الالبومين والنشاء بنسبة اكثر مما هما في الدقيق الذي ليس لهُ عرق والسبب في ذلك سرعة ادارة حجر الطاحون عن المائة دورة في الدقيقة الواحدة لانهُ بازديادها يزداد الاحتكاك والحرارة فيجمد جزء من الالبومين وتنعدم خواصهُ وبتحيل بعض النشاء الى الدكسترين وهذا هو السبب في الفرق بين دقيق الطاحونين. ولهذا قد استعمل من زمن نوع من طواحين الغلال لا يسخن الدقيق وتطحن فيهِ الحبوب باسطوانات من الفولاذ ولكن دقيقها قليل فقل استعمالها مع ما لها من المزايا الميكانيكية والفوائد الكيماوية

قابق جرجس

مهندس محل ستيمان ومباردي

الملح في الطعام وضررهُ

الشائع ان الملح ضروري للطعام وكل طعام يملح بملح وان الانسان لا يعيش من غير ملح ولقد كنا نسمع في صغرنا قصصاً يقال فيها ان قوماً من الاسرى اجبروا على اكل طعامهم من غير ملح فتولَّد الدود في ابدانهم وقتلهم. وهذه القصص موضوعة فان بعض هنود شمالي اميركا لم يكونوا يملحون طعامهم بالملح ولا يزال جمهور منهم يعيش من غير ان يملح طعامهُ. وكثيرون من سكان اواسط افريقية لا يملحون طعامهم. والناس الذين يملحون طعامهم متفاوتون جدًّا فبعضهم لا يأْكل شيئاً الا وفيهِ كثير من الملح وبعضهم يكره الملح حتى في الطعام الذي لا يؤْكل عادةً الا مملحاً بهِ. ونحن نعرف كثيرين لا يأْكلون الموز ولا التفاح ولا البرتقال الا

وهي مملحة بكثير من الملح مع ان اكثر الناس يأكلون هذه الاثمار من غير ملح او مذروراً عليها السكر بدل الملح

والظاهر ان استعمال الملح عادة يعتادها المرء فيصير يشعر بالحاجة اليهِ والحيوان قد يعتاد اكل الملح كما يعتادهُ الانسان فيصير يستطيبهُ ويفتش عنهُ ولكنهُ اذا لم يعتدهُ لم يعبأ بهِ فترى المواشي التي اعتادت لحس الملح تستطيبهُ جدًّا والمواشي التي لم تعتدهُ لا تلتفت اليهِ والاولى ليست اصلح من الثانية

والملح مهيج للغشاء المخاطي فاذا اذبتهُ بالماء ومصصتهُ بانفك كثر افراز المخاط منهُ فهو يفعل بالغشاء المخاطي في الفم والمعدة كما يفعل بالغشاء المخاطي في الانف فاذا اكثر الانسان من استعمال الملح فلا بدَّ من ان يصيبهُ منهُ زكام مزمن في معدتهِ وامعائهِ . والمقدار الكبير من الملح مقيئ ومسهل لهذا السبب عينهِ . ويقال ان بعض امراض القلب والكليتين مسبب عن الاكثار من اكل الملح ولذلك يستفيد المصابون بامراض الكليتين من الاقتصار على اكل اللبن لانهم يمتنعون بذلك عن اكل الملح وهذا هو السبب في فائدة الاقتصار على اكل العنب

ولا دليل مطلقاً على ان ملح الطعام لازم للهضم لان الطعام يهضم بدونهِ وفي الاطعمة الطبيعيَّة ما يكفي من الاملاح . وقد قدر بعضهم ان الملح الذي يجوز ان يأكلهُ الانسان في اليوم يجب ان لا يزيد على ثلاثين قمحة فاذا زاد على ذلك اضطرت الكليتان واضطرَّ الجلد الى افراز الزيادة . فالقليل من الملح مفيد ولكن الكثير منهُ ضار

ثم ان الاكثار من الملح يدعو الى العطش كما لا يخفى لان الملح يخرج السوائل من الجسم فيشعر بالحاجة اليها

والخلاصة ان الاكثار من الملح لا يخلو من الضرر والاقلال منهُ لا يضرُّ بل ينفع

السكَّر ومضارهُ

السكَّر طعام مفيد جدًّا اذا كانت كميتهُ معتدلة ولكنهُ اذا زاد عن الاعتدال زاد ضررهُ على نفعهِ . ومن نتائج الاكثار منهُ السمن الزائد وحصاة المرارة واليرقان وامراض الكبد والبول السكري ومرض بريط وسوء الهضم وتمدد المعدة ولاسيما اذا بلع السكر قبل ان يمزج باللعاب المزج الكافي . ولكن اذا أكل السكر بالاعتدال ومزج باللعاب جيداً قبل ازدرادهِ فلا ضرر منهُ . ولا بدَّ من مزج السكر والاطعمة السكرية باللعاب جيداً سواء اكان السكر كثيراً او قليلاً والاَّ حمض في المعدة واضرَّ بالصحة وسبَّب اضطراباً في الكبد والكليتين وزكاماً

في المعدة. وانتشر الزكام منها الى كل الاغشية المخاطية في الحلق والانف والعينين والشعب والكبد. وما قيل عن السكر يقال عن الاطعمة النشوية على انواعها فانها كلها تضرُّ اذا زادت عن الحاجة او لم تمزج باللعاب جيداً

وما يقال عن السكر الاعتيادي اي سكر القصب لا يقال عن سكر الاثمار اي المادة الحلوة التي في الاثمار الناضجة كالعنب والتين والتفاح لان سكر الاثمار سهل الهضم ولا ضرر منهُ . والمصابون بمرض البول السكري يمكنهم ان يأكلوا الاثمار الحلوة ولا يضروا منها لان الجسم يمتص سكر الاثمار بسهولة

وكذلك العسل ينفع ولا يضر وهو انفع انواع السكر الطبيعية ولذلك فالذين يجدون من انفسهم ميلاً شديداً الى اكل الاطعمة الحلاة بالسكر الكثير يستطيعون ان يأكلوا بدلاً منها العنب والتين والتمر والزبيب والعسل وان يقللوا من السكر ويعتنوا بمضغهِ حتى يمتزج باللعاب جيداً فيزول ضررهُ

باب التقريظ والانتقاد

كتاب مشهد العيان

بحوادث سوريا ولبنان

لما كتبنا تاريخ الجزار وابرهيم باشا اشرنا الى كتاب كتبهُ المرحوم الدكتور ميخائيل مشاقه واقتبسنا جانباً كبيراً منهُ في ذينك التاريخين وفي رواية امير لبنان التي ألفناها والحقناها بالمقتطف . وقد اقتصرنا في كل ما اقتبسناهُ على ما نظن ان المؤلف رحمهُ الله كان يودُّ نشرهُ لو بقي حيًّا الى الآن لانهُ قد يكون بين ما يكتبهُ الانسان في مذكراتهِ لعائلتهِ وبين ما يسمح بنشرهِ للملإِ بون كبير . وما كل ما يخال يقال ولا كل ما يكتب في الاوراق يحسن نشرهُ في الآفاق . والظاهر ان نسخة من ذلك الكتاب وقعت لحضرة الاديبين ملحم افندي خليل عبده واندراوس افندي حنا شيخاشيري فطبعاها وسمياها مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ويظهر لنا انهما حذفا من الكتاب اموراً حرية بالذكر كوصف ما عانتهُ عائلة مشاقه بعد نكبة الجزار لها وابقيا فيهِ اموراً حريَّة بالحذف في حوادث دمشق ولبنان

كتاب ثمار القلوب
في المضاف والمنسوب

من تأليف ابي منصور الثعالبي طبع حديثاً بمطبعة الظاهر بمصر

لما تناولنا هذا الكتاب لنقرظهُ قرأنا بعض فصوله فاعجبنا ما فيها من الفوائد التي يعزّ الوقوف عليها في غيره الى ان وقع نظرنا على الصفحة ١٢٣ وقرأنا بعض ما فيها فطرحنا الكتاب من يدنا واستغفرنا الله على ما نشرناهُ في المقتطف من ترجمة الخليفة المأمون في الجزء الخامس من السنة الماضية وقلنا اين احمد بك زكي مدرس تاريخ الحضارة العربيَّة في الجامعة المصرية يرى ما كان يفعلهُ خلفاء العرب وقضاة العرب وينصف التاريخ . ويا طابعي الكتب العربيَّة نناشدكم الله ان تعدلوا عن نشر هذه القبائح فاننا من احوج الناس الى نسيانها

رحلة الحبشة

هذا الكتاب من انفس الكتب التي وقع نظرنا عليها في هذه الاثناء وهو رحلة الفريق صادق باشا المظم الى بلاد الحبشة موفداً من قبل الحضرة السلطانية بهدية الى امبراطور الحبشة . والظاهر انهُ وضعهُ باللغة التركيَّة وعربهُ ابنا عمهِ رفيق بك العظم وحقي بك العظم وقد جمع المؤلف فيهِ وصف الطريق وما رآهُ فيها من البلاد والمناظر الطبيعية ومن لقيهم من الرجال والنساء واسهب في وصف اديس ابابا عاصمة الحبشة وامبراطورها ورؤساء رجاله وتاريخ بلاد الحبشة من اول عهدها الى الآن . واورد كل ذلك استطراداً حتى كدنا نقرأ الرحلة كلها ونحن لا نقصد الاَّ ان ننظر فيها نظرة عامة لتقريظها . وقد شاقنا ما فيها من وصف مدينة هرر وقصر الراس ماكونن قال ان المدينة مكتنفة من كل جوانبها بالرياض الغناء والآكام الخضراء فهي تشبه دمشق الشام او تشبه قصراً كبيراً قائماً في وسط حديقة واسعة الاطراف ويزرع في حدائقها قصب السكر والموز والبن والعنب والليمون والبرتقال والقرع والخيار والباذنجان واللوبياء وما اشبه ولكل منزل فناء واسع مكشوف وفيهِ الاشجار الباسقة التي تتجاوز بعلوها سطوح المنازل فتزين منظر المدينة وتزيد في رونقها

ويبلغ سكان المدينة ٤٠٠٠٠ نفس المسلمون منهم ٣٥٠٠٠ والباقون خليط من الاحباش والافرنج والارمن والروم ويظن الانسان لاول وهلة ان الحر فيها شديد جداً

لوقوعها قرب الدرجة العاشرة من العرض ولكن ارتفاعها البالغ ١٨٥٦ متراً عن سطح البحر والرياض والحقول المحيطة بها تجعل هواءها معتدلاً لطيفاً جدًّا وقد قال لي القناصل الذين هناك ان درجة الحرارة لا تتجاوز الستة والعشرين في فصل الصيف لان هواءها يعتدل بسقوط الامطار الغزيرة كما يعتدل برد فصل الشتاء بحرارة الشمس . وفصل المطر في هذه البلاد وفي سائر الاقطار الحبشية هو الصيف اما فصل الشتاء فلا يقع فيهِ مطر ويبتدئ وقوع المطر في مايو وينتهي في اواخر سبتمبر ويبلغ اغزرهُ في يونيو ويوليو واغسطس

وبعد ان اسهب في وصف السكان ومتاجرهم واستيلاء الاحباش على هرر انتقل الى وصف القصر الذي نزل فيهِ ضيفاً وهو قصر الراس ماكونن فقال انهُ مشيد في اعلى نقطة من المدينة وليس بين ابنيتها ما يماثلهُ في الفخامة والانتظام والمتانة وهو ثلاث طبقات من الحجر وفيهِ كثير من الغرف والبهوات والشرفات يضاهي في شكلهِ منازل الاستانة واوربا وغرفهُ متسعة ونوافذها صغيرة بالنسبة الى اتساع الغرف لكي لا يكون النور الداخل منها زائداً عن اللزوم وقد طليت الغرف من الداخل بالنقوش والالوان غير الزاهية وفرشت بالطنافس الشرقية ووضعت في بهو الاستقبال الكراسي ذات الايدي والمتكئات والموائد وفي صدر الغرفة رسم الامبراطور منليك مرفوعاً تحيط بهِ الاعلام الحبشيَّة وعلى اطراف القصر فضاء واسع مسوَّر جعل قسم منهُ حديقة والقسم الآخر الى الجهة الامامية ترك كفناء للقصر

ووصف المراحل مرحلة مرحلة وما لقيهُ فيها الوفد السلطاني من الحفاوة والاكرام فان الامبراطور كان قد امر السكان ان يحتفلوا بهذا الوفد جهدهم فكانوا يأتونهُ بكل ما يحتاج اليهِ من مواد الطعام والشراب كالدجاج والبيض والاثمار وهم يحسبونها من الاموال الاميرية التي تدفع للحكومة · والبلاد على غاية الخصب مروجها ونجودها والمزروعات على غاية النماء قال في وصف مرحلة بككا :— قمنا اليوم (١٧ مايو) باكرًا وبينما كنا نشرب القهوة ونتناول المرق ونسرح الطرف في تلك الحقول البديعة التي تحاكي الجنان ونتأمل في طلوع الشمس اذ رأينا سرب نساء من الغالَّلا يبلغ عددهنَّ العشرين سائرات في الحقول البعيدة وصوت غنائهنَّ واصل الينا وبعد السؤال علمنا ان هؤلاء النسوة ذاهبات الى اشغالهنَّ في الحقول وفي هذه الاثناء اشرقت الشمس من وراء الاكمة ونشرت اشعتها النيرة على نسيم الصباح الرطب فكان المنظر بين جمال الهضاب الزمردية وشروق الشمس وغناء النساء بهيجاً بديعاً لا يستطيع وصفهُ الا الشاعر البليغ او المصور الماهر

ثم قال وبعد ان سرنا مرةً في اراضٍ مزروعة اخذنا نتسلق اكات جبل قلوبي فصرت

اری نفسي كأني في جبال سويسره او جبال الاناضول وغاباتها وكنا نرى من اشجار الراتينج والصنوبر ما يزيد علوهُ على ٢٥ متراً ومن اشجار المفص ما ينيف طولهُ على ١٥ متراً ومن اشجار الزيتون والجوز ما يزيد جسامة عن جسامة الدلب. والارض تحت هذه الاشجار مغطاة بطبقة خضراء من الحشائش كالزمرد هذا عدا الاشجار الغريبة الجنس التي لا نعلم اسماءها. والطيور التي تتنقل بين الاغصان كثيرة الاصناف كاصناف الشجر وكلها تغرد باصواتها الشجية حتى كأن يد القدرة خلقت هذه الغابات لتكون معرضاً او انموذجاً للاشجار والاطيار ولم نكن نحتاج الى فتح المظلة لاننا لم نكن نرى اشعة الشمس الاَّ نادراً من خلال الاغصان

وبعد ان سرنا ثلاث ساعات ونصف ساعة وكنا قد خرجنا في طريقنا من الغابات ودخلنا بين حقول الذرة نزلنا تحت بعض اشجار الراتينج وجلسنا على الطنافس التي كانت معنا فتناولنا طعامنا في هذه الروضة الطبيعيَّة وكنا نرى كثيراً من المعز ترعى في هذه الحقول والغريب من امرها انها لا تمس الذرة وعيدانها بل تأكل ما تجدهُ من الحشائش النامية بينها

والوصف على هذا النسق لسبع وعشرين مرحلة فمن يعرف بلاد السودان وقفارها المحرقة والصحاري التي تحيط بوادي النيل يظن ان بلاد الحبشة على هذا النسق ولكن يظهر من هذه الرحلة انها من اجمل بلدان الدنيا وان الاحباش ليسوا في درجة التوحش التي يصورها لنا الوهم ولكنهم لا يزالون بعيدين عن حضارة البلدان الراقية

ووصل الى العاصمة اديس ابابا في ٣ يونيو ووصف دخولهُ اليها فقال

استيقظنا اليوم (٣ يونيو) مبكرين واخذ كل منا يتهيأُ ويلبس استعداداً للدخول الى عاصمة الحبشة وبعد ان تناولنا فطورنا قمنا في الساعة الاولى والدقيقة ٤٥ على الحساب العربي قاصدين (جولا) ويرافقنا جم غفير من المستقبلين وبعد قليل اقبل علينا كثير من اعيان الجنود والاحباش والمسلمين الوافدين من العاصمة وكانوا راكبين على خيول مطهمة وعليها السروج المزركشة ومرتدين بافخر اللباس وهم يطلقون بنادقهم في الهواء ترحيباً بنا. ولما اقتربوا من موكبنا نزلوا عن الخيول ووقفوا امامنا رافعين اكف التضرع الى الله بالدعاء للحضرة السلطانية وبعد ان تم الدعاء اخذوا يرشون المياه المعطرة علينا ويعطون لكل منا باقة من الزهر ومناديل حريرية ذات روائح عطرية وعلقوا على رأس الحصان الذي كنت راكباً عليهِ طوقاً من الزهر ثم استأنفنا السير جميعاً وبعد بضع دقائق لقينا جماعة آخرين من المستقبلين وهكذا اخذت الوفود تكثر الى ان قربنا من (جولا) فلاح لنا على بعد بضع مئات من الامتار المسيو (ايلغ) السويسري الذي كان بمثابة رئيس نظار الامبراطور منليك

ومستشاره الخاص ومعهُ ثلاثون فارساً ولما تقاربنا نزل هو ورجالهُ عن الخيل فترجلنا نحن ايضاً وبعد التحية ابلغنا ان جلالتهُ يهدينا تحياتهِ الخصوصية ثم قال ان الحكومة الحبشية ستستقبل الوفد السلطاني بصفة رسمية في اليوم التالي بكثير من الجنود ورجال الحبشة —

وبعد ان انتهى ذلك استأذن المسيو (ايلغ) بالاياب الى العاصمة لتلقي الاوامر الامبراطورية الخاصة باليوم التالي فرجوتهُ ان يتقدم ويعرض بالتلفون شكري العظيم لجلالتهِ ثم ذهب ونصبنا نحن الخيام والصواوين ونزلت قافلتنا هنا لقضاء هذه الليلة واخذت ترد الوفود افواجاً افواجاً من اديس ابابا وكان بينهم هذه المرة كثير من الارمن والاروام

وفي الساعة الثالثة ونصف صباحاً جاء المسيو ايلغ والمندوبون لاستقبالنا رسمياً ومعهم جميع الحرس الملكي الخاص بالامبراطور والامبراطورة الموجودة في اديس ابابا واخذ المسيو ايلغ يعرفنا بالذين جاءوا معهُ وكان بينهم من الاحباش (رأس ولدي) حاكم مقاطعة الجرد السابق والنائب الامبراطوري الآن (وغراج كزو) و (فيتواري آبردي) قائد الحرس الخاص بالامبراطورة ووكيلهُ (دجاج آباتا) ومن العرب عبد الله عقيل وعبد الله صادق ومن الهنود المسلمين جراح وكيل غلام علي ويوسف علي وكيل محمد علي والحاج صالح المصري والشيخ ابو زرعة والحاج محمد ابو بكر . وبعد التعارف والاستراحة قليلاً ركبنا الخيل واخذنا بالسير قاصدين عاصمة الحبشة والجنود الحبشية سائرة امامنا وخلفنا . ولم نقطع مسافة طويلة حتى قدم علينا المسيو مارتن ده كا . الملحق الحربي في فرنسا لابساً ملابسهُ الرسمية لاستقبالنا من قبل المسيو لاغرد السفير الفرنسوي لدى بلاط النجاشي

كنا نسير والحديث متواصل تارة بيني وبين المسيو ايلغ والمسيو مارتن ده كا وتارة بيني وبين رأس ولدي بواسطة الترجمان . وكان منظر الوهاد كزمردة خضراء والعاصمة قائمة امامنا كأنها معسكر جسيم وفي أعلى هضبة منها القصر الامبراطوري . وكان جميع الذين اتوا من اديس ابابا لاستقبالنا بالالبسة الرسمية الحربية فعلى رؤُوس اناس منهم شعر رقبة الاسد (وهم الذين قتلوا اسداً) ومنهم من هو واضع على رأسهِ خوذة يتدلى منها على وجههِ وصدرهِ حلقات وسلاسل دقيقة ومنهم من هو معلق في اذنيهِ اقراطاً وآخرون لابسون اساور في معاصمهم وكل من هذه الاشياء علامة فارقة وبشارة وسام . واما الجنود فانهم كانوا حفاة الاقدام سوى قوادهم والرأس ولدي والذين كانوا يرافقتنا فانهم لابسون في ارجلهم حذاء من لباد ثخين ومحل الاصبع الكبير من الرجل خارج من الحذاء كاصبع القفاز وذلك لاجل وضع الاصبع الكبير في الركاب عند الركوب

ولما دخلنا اديس ابابا وجدنا الشوارع والساحات وسطوح المنازل ملأى وغاصة بالناس وقد خرجوا ليتفرجوا على دخول الوفد السلطاني وليروا (الجنتار التركي) . وكان الناس من كل صوب يرحبون بنا واستمر هذا الموكب هكذا حتى وصلنا الى المنزل الخاص بنزولنا فترجلنا وصافحت المستقبلين وشكرتهم وطلبت الى كبار المستقبلين ان يعرضوا شكري لجلالة الامبراطور والامبراطورة ثم دخلنا منزلنا وانصرف رجال الحكومة الى منازلهم

ولم يكن النجاشي وقتئذٍ في عاصمتهِ بل كان في مصيفهِ في محل يسمى اديس علم وهولنا يبني بعض قصور منذ مدة . وقد اخذت رأي المسيو ايلغ في الذهاب الى المحل المذكور لاداء ما علينا فقال لي انتم الآن في حاجة الى الراحة من التعب الذي نالكم من هذه السفرة البعيدة وان النجاشي سيحضر بعد بضعة ايام الى اديس ابابا بصفة خصوصية لمقابلة الوفد السلطاني

والمنزل الذي نزلنا فيهِ ملك الحاج احمد افندي الذي مرَّ ذكرهُ آنفًا قد خصصهُ الامبراطور لنزولنا فيهِ بناء على التماس احمد افندي من جلالتهِ وكان المأكل والمشرب وكل ما يلزم لنا يأتي من قصر النجاشي . وكانت المؤن التي ارسلت اليوم عبارة من عجل كبير وثلاثة خراف كبيرة وثلاثة خراف صغيرة (قوزي) ومائة رغيف من الخبز وخمس جرار من المشروب المسمى (تيج) وقدرة كبيرة من السمن وقدرة اخرى من البربري (وهو صالصة الفلفل الاحمر المقلي) واشياء اخرى . وقد ارسل محمد ابو بكر على طريق الهدية ثورًا وثلاثة خراف وثلاث قزايز من الشراب

ومنزلنا هذا ذو دورين مع ان جميع منازل آديس ابابا ما فيها الاَّ دور واحد فقط ولمنزلنا بهو كبير على اطرافهِ شرفات واسعة والمنزل امام ساحة واسعة حيث تقام سوق المدينة والبهو الذي كان طولهُ ١٥ مترًا وعرضهُ ٨ امتار كان مفروشًا بالطنافس الجميلة وابوابهُ وشبابيكهُ مزينة بالستائر المزركشة التي نراها عند بائعي الآثار القديمة (الانتيكات) في الاستانة . وقد عمل صاحب المنزل الحاج احمد افندي كل ما في وسعهِ وأحضر كل ما يلزم لراحتنا وكان على سرور عظيم من وجود الوفد بمنزلهِ يستقبل الزائرين بوجه باش ويناظر اعمال الخدمة والطهاة ومحضري القهوة والخوانات (سفر الاكل) وبالجملة كان يريد ان يقوم بكل الاعمال بنفسهِ والناس من حولهِ تهنئهُ على نزولنا في منزلهِ . وقد سافرت كثيرًا وجلت في بلاد كثيرة فلم ارَ اكرامًا بهذه الدرجة

وبعد ان اسهب المؤلف في ذكر تاريخ الحبشة وأتى على امور كثيرة متعلقة بها وصف كيفية مقابلة الامبراطور لهُ فقال

كان اليوم موعد مقابلتنا مع جلالة النجاشي فلما اصبحنا ارتدينا اردينتا الرسمية الكبرى وقبل ان نذهب ارسلنا الهدايا السلطانية مع خدامنا وجنودنا وصحبتهم رجل ارسلهُ المسيو ايلغ . وبعد ذلك خرجت الى الشرفة منتظراً ورود الجماعة الذين سيصحبوننا الى القصر الملوكي . وكان في المدينة حركة كبيرة والطرق مزدحمة بالناس وبينهم مئات من الرؤوس والقواد والضباط والجنود وكلهم بالملابس الرسمية يمتطون ظهور البغال ووراءهم عبيدهم وهم ذاهبون الى القصر وبعضهم مصطفون في الطريق

ويرى الرائي هنا انواعاً كثيرة من الالبسة الرسمية (التشريفة) ويمشي امام اكابر الاحباش عبيدهم يحملون احسن اسلحتهم من رمح او ترس او حربة ويضع بعض قواد الجند على رؤوسهم شعور الاسد والنمور فتتدلى من وراء رؤوسهم والحاصل ان للجنود هنا هيبة تأخذ بالقلوب ويظن الناظر الغريب لاول وهلة انهُ يرى امامهُ اناساً في شكل اسد او نمر

بينما كنت اسرح الطرف في المارة على الطريق اذ رأيت في اول الشارع جنداً يقرب عددهم من الف قادمين علينا وبعد قليل وصلت هذه الاورطة (طابور) ثم جاء المسيو ايلغ ورأس ولدي وغراج كزو مدير القصر الملوكي واحد قرناء الامبراطور وفيتوراري ردى احد حجاب الامبراطورة وغيرهم من رجال القصر ليرافقونا وكلهم بالاردية الرسمية

وفي الساعة الثالثة ركبنا وسرنا قاصدين القصر والجنود محيطة بنا من كل جانب وامامنا جوقة موسيقية عسكرية مؤلفة من نايات وزمر وبعض آلات لا اعرفها . وكانت الطرق وسطوح المنازل والشرفات والدكاكين غاصة بالناس الذين كانوا يحيوننا وكان بعض المأمورين بيدهم العصي يطردون بها الناس ليفتحوا الطريق للموكب . وصلنا الى القصر ودخلنا بين الازدحام الذي يفوق الحصر والوصف وعبرنا من الباب الاول الى ساحة فسيحة محاطة من كل جانب بجدار ثم دخلنا من باب آخر الى ساحة اخرى والساحتان كانتا غاصتين بالجنود وفي الساحة الثانية كانت بطارية مدافع واقفة تؤدي التحية باطلاق البارود . وبعد الساحة الثانية وجدنا مرآة كبيرة جداً وهنا يوجد البهو الملكي الكبير المسمى آدرش . دخلنا من باب البهو فوجدنا جلالة الامبراطور منليك جالساً على عرش جسيم وهو محاط بحاشيته ورجال بلاطهِ وعددهم يقرب من مائة . فلما دخل الوفد الى البهو اخذت المدافع تدوي فقام الامبراطور حينئذٍ ثم جلس ولما اقتربنا منهُ انتصب قائماً للمرة الثانية فقمت امام جلالتهِ بخطاب وجيز في ما يخص مهمتي التي اتيت من اجلها ثم اعطيتهُ الكتاب السلطاني والنيشان فأخذهما مني بكل تجلة واحترام وفاه بعبارات الشكر للحضرة السلطانية . وبعد ان تمت هذه الرسوم

اشار بيده الى مقعد امام العرش الملكي كان احضر بصفة خصوصية فجلست عليه . وبعد ذلك اخذ جلالتهُ يسألني عن صحة جلالة مولانا السلطان الاعظم وعن الامن والراحة في البلاد العثمانية وعما اذا كنا تعبنا في الطريق ام لا . وبعد قليل قدمت الهدايا السلطانية فصار يفحصها بنفسهِ واحدة واحدة ويظهر مزيد سرورهِ . ثم اخذ يشرح امتنانهُ وشكرهُ للحضرة السنية السلطانية التي تفضلت وافتكرت بجلالتهِ (اي بالامبراطور) . واما الهدايا السلطانية فكانت مؤلفة من طاقم شاي وبنط من صنع فابريقة هركة السلطانية والاقمشة للملابس والفرش وجوز شمعدانات من الفضة وكلها من احسن ما صنع وابدع ما عمل

كانت حاشية الامبراطور كلها واقفة وراء العرش وعلى جانبيهِ ما عدا ثلاثة كانوا جالسين على مقاعد موضوعة على يمين العرش الملكي وهؤلاء الثلاثة هم رأس ماكونين ورأس جورجيس ورأس تسما . وقد عرفني بهم المسيو ايلغ الذي كان يؤدي وظيفة الترجمان فتصافحنا وشكرت الرأس ماكونين ما رايتهُ من الاكرام في منزلهِ بهرر

ودامت هذه المقابلة نصف ساعة تكلمنا في خلالها مع جلالة النجاشي في مواضيع مختلفة وكان جلالتهُ مرتدياً بالملابس الرسمية ومتقلداً وساماتهِ المرصعة والتاج الملوكي المرصع كان موضوعاً على العرش بجانب جلالتهِ . وكان على راسهِ كوفية يلبسها دائماً حتى تحت القبعة وهو جالس فوق العرش على الاصول الشرقية (متربع) وحولهُ الوسائد يتكئ عليها

تاريخ الحضارة

اهدى الينا صديقنا العالم الفاضل محمد افندي كرد علي منشئ مجلة المقتبس الجزء الاول من هذا الكتاب وقد ترجمهُ عن الفرنسوية وطبعهُ طبعاً متقناً . ويا حبذا لو وضع فيهِ اسم المؤلف بالحروف الفرنسوية وتاريخ طبع النسخة التي ترجم عنها لان الثقة بهذه الكتب تختلف باختلاف الزمن الذي وضعت فيهِ او طبعت فيهِ . ويظهر لنا من استضعاف المؤلف دليل اللغة على الجنس انهُ متابع لمذهب وجيه من المذاهب العلمية وهو المذهب الذي اتبعهُ الاستاذ دجواي رئيس قسم الانثروبولوجيا في خطبة الرئاسة التي القاها في الصيف الماضي

وفي هذا الجزء كلام وجيز على عمران المصريين والاشوريين والبابليين والفينيقيين والاسرائيليين والفرس وقد وقع كل ذلك في ٥٧ صفحة وكلام مسهب على عمران اليونان والرومان وهو باقي الكتاب والكلام على اديان هذه الامم سقيم كأن كاتبهُ لم يطلع على مباحث علماء الاديان الانتقادية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اصابة العين وتأثير الوحام

جرجا. اسكندر افندي مشرقي. ارجو جنابكم التكرم بافادتي عن السؤال الآتي واكرر الرجاء ان لا تحيلوني على اعداد المقتطف السابقة لان الاعداد ليست محفوظة عندي والسؤال هو

ذكر في الكتاب المقدس كلمة "عين شريرة" ويفسر البعض هذه الكلمة بان بعض العيون تؤثر في المنظور اليهِ بما يقال لهُ الحسد (الاصابة بالعين) ويؤيد البعض هذه المسألة ايضاً بشواهد كثيرة من الحوادث الواقعية. وقد ورد في الكتاب ايضاً في مسألة يعقوب عند رعايتهِ لغنم خالهِ لابان ان الغنم ولدت حسب الشكل الذي كان يضعهُ امامها عند شرب الماء

ويوافق هذا ايضاً ما نراهُ من توحم النساء وتأثير ما يرينهُ من الاشياء في اجسام اجنتهن اثناء الحبل — فقالوا كما ان العين تتأثر مما تراهُ لا بد ان تؤثر في ما تراهُ بما يقال لهُ الحسد المعروف باصابة العين. غير اني لم ارَ برهاناً علمياً يؤيد هذه المسألة فارجو الافادة هل هذا الحسد حاصل فعلاً وهل ما تراهُ الحامل يؤثر في جنينها

ج. لم يقم حتى الآن دليل علمي على صحة الاصابة بالعين ولا على صحة تأثير ما تراهُ الحامل في جنينها على نحو ما جاء في قصة يعقوب ولابان اي ان العلماء الذين امتحنوا الاصابة بالعين وتأثر الجنين بما تراهُ امهُ لم يروا ما يؤيد هذا ولا ذاك. ومعلوم ان النتيجة السلبية لا تنفي امكان حدوث الحوادث المقول انها حدثت ولكنها توقع الشك فيها. واذا تكرر الامتحان وبقيت النتائج سلبية قوي هذا الترجيح حتى صار في درجة اليقين ويحسن حينئذٍ البحث عن السبب الذي دعا الى القول الاول. فاذا قال لك قائل انهُ وضع مسامير الحديد في الماء القراح فصار لونهُ ازرق وامتحنت انت ذلك فوضعت مسامير الحديد في الماء القراح فلم يزرق بل صار ضارباً الى الحمرة ارتبت في صحة قول هذا القائل ويشتد

ارتيابك اذا كررت الامتحان فلم يزرق الماء حتى تكاد تقطع بعدم صحتهِ . ثم اذا علمت خواص المواد الكيماوية وعرف منها انهُ اذا وضع الحديد في الماء تكوَّن منهُ أكسيد الحديد وهو محمر اللون لا ازرقهُ وعلم ايضاً ان بصر بعض الناس يكون مختلاً فيرون الاحمر ازرق استنتجت ان مخبرك رأى اللون الاحمر ازرق فاخبر بما رأى ولم يقصد الخداع . ومن المحقق ان بعض الناس يرون ما لا يراهُ غيرهم لاسباب لا محل لبسطها الآن فيخبرون بما رأوا

اتفق لنا في صبانا ان رأينا طفلاً مرض وقال ذووهُ انهُ اصيب بالعين فاذابت امهُ رصاصة على النار وصبتها في اناء ماء فوق رأسهِ فجمدت في شكل كثير المرتفعات والمنخفضات والتخاريب فنظر النساء الحاضرات اليها وقالت واحدة منهنَّ اني ارى فيها صورة الرجل الذي اتى الى هنا امس مسلحاً بفردين في منطقتهِ ويطلقان على جنبهِ وها هو . ورأى بقية النساء ذلك ووافقنَ على قولها واتفقن على انهُ هو الذي اصاب الولد بعينهِ . ونظر كاتب هذه السطور الى الرصاصة وكان عمرهُ لا يزيد على ست سنوات فلم يرَ فيها شيئاً من ذلك وبقي هذا الامر في ذهنهِ دليلاً على تأثير الاعتقاد في النفوس ثم رأى كثيراً من امثالهِ حتى بين اكابر العلماء والفهماء والخلاصة انهُ لم يقم دليل علمي حتى الآن على صحة الاصابة بالعين ولا على صحة تأثير الوحام بالجنين على نحو ما ذكر في قصة لابان ويعقوب

(٢) الطيران وجاذبية الارض

فيدمين بالفيوم . م . ح سمعت باسم المراكب الهوائية تخطر ببالي ما يأتي . اذا كانت الارض دائرة على محورها حقيقةً ودورتها عكس دورة الشمس فلماذا لا يستطيع راكب بالون مثلاً ان يقطع كل اقطار المسكونة بغير ان يتحرك اي وهو متربص في محلهِ والارض تحتهُ تدور فينزل في المكان الذي يريد السفر اليهِ بغير ان يتحرك

ج . سبب ذلك بسيط جدًّا وهو ان الارض جاذبة لكل ما عليها فنحن دائرون معها في دورانها من الشرق الى الغرب سواء وقفنا عليها او صعدنا في الهواء ولا نخلص من جذبها الا اذا بعدنا عنها مئات الوف من الاميال فان القمر وبعدهُ عنها نحو ٢٣٩ الف ميل خاضع لجذبها ولذلك فاذا صعدنا في الهواء صعوداً عموديًّا ثم نزلنا وصلنا الى المكان الذي صعدنا منهُ تماماً لاننا ونحن في الجو نكون دائرين مع الارض في دورانها على محورها

(٣) عمل المرايا

بيروت . ادوار افندي طوقاتلي . ارجو الافادة عن تركيب المزيج الذي يستعمل الآن عند ارباب الفن لتحويل الزجاج الى مرايا

ج كانت المرايا تصنع بيسط ملغم من الزيبق والقصدير على لوح الزجاج وسنة ١٨٤٠ اشار بعضهم بترسيب الفضة من املاحها بدل ملغم القصدير وكانت ترسب اولاً بواسطة الزيوت الروحية ثم صارت ترسب بواسطة الحامض الطرطريك. ومن الطرق المستعملة لذلك الآن ان يذاب ١٢ قمحة من طرطرات الصودا والبوتاسا (ملح روشل) في ١٢ اوقية من الماء ويغلى المذوب ويضاف اليهِ وهو يغلي ١٦ قمحة من نيترات الفضة مذابة في اوقية من الماء النقي ويستمر الاغلاء عشر دقائق ثم يضاف الى المزيج ماءٌ حتى يصير ١٢ اوقية ويصنع مذوب آخر باذابة اوقية من نيترات الفضة في عشر اواقي من الماء ويضاف اليهِ من ماء الامونيا حتى يذوب أكثر الراسب الاسمر ثم يضاف الى ذلك اوقية من الالكحول وما يكفي من الماء لجعل المزيج ١٢ اوقية وحينما يراد عمل المرايا تؤْخذ مقادير متساوية من المذوب الاول والثاني ويمزجان معاً جيداً ويبسط لوح الزجاج على مائدة افقية وينظف جيداً بالصودا ويغسل بالماء النقي ويصب المزيج عليهِ وهو لا يزال رطباً فترسب الفضة منهُ على لوح الزجاج ويسرع رسوبها اذا كان المواد حاراً او كان تحت اللوح رمل حار. ويغسل لوح الزجاج بعد ذلك ويصب عليهِ فرنيش يقي غشاء الفضة من الاحتكاك

ولا بدَّ من استعمال الماء المقطر في كل ما تقدَّم ويحسن بكم ان تراجعوا ما كتبناهُ عن تجاربنا في عمل المرايا. هذا اذا اريد معرفة صناعة التفضيض معرفة نظرية اما اذا اريد معرفتها معرفة عملية ومجاراة عمال المرايا في اعمالهم فلا بدَّ من مزاولة هذه الصناعة في معمل من معامل المرايا

(٤) العلوم والمعيشة

سان باولو بالبرازيل. الخواجه خ. س رجل في السادسة والعشرين يتعاطى الاعمال التجارية ويميل الى تعلُّم علم يكتسب بهِ معيشتهُ فهل تشيرون عليهِ بذلك وما هو العلم الذي تشيرون عليهِ بهِ واي العلوم اصلح وما هي نفقات اكتسابها

ج اننا نشير عليهِ بالبقاء في اعمالهِ التجارية ودرس بعض العلوم المتعلقة بها مباشرة كالحساب والجغرافيا وهذه العلوم يسهل تعلمها في مدرسة ليلية. اما العلوم التي تستخدم للمعاش كالطب والصيدلة والهندسة والحقوق فتقتضي دروساً تمهيدية لا يظهر من سؤالكم ان من تشيرون اليهِ درسها ويصعب درسها على من بلغ السادسة والعشرين. ونفقات تعلّمها وتعلُّم فن من الفنون المتقدمة كثيرة جداً ولاسيما في اميركا حيث انتم مقيمون ولا نظن انها تقل عن مئتي جنيه في السنة مدة ست سنوات او سبع

(٥) زرع التبغ

الفيوم . جرجس افندي موسى . لقد ذاع ان الحكومة عازمة على اعادة زراعة التبغ الى القطر المصري فنرجو ان تكتبوا لنا مقالة ضافية في هذه الزراعة

ج لقد اجبنا سؤالكم وسؤال غيركم في باب الزراعة في هذا الجزء

(٦) كتابة قديمة

المتن بلبنان . فاضل افندي حرنوق . نزلت صاعقة في احد الاماكن فكشفت عن قبر قديم وُجد فيهِ خاتم من نحاس عليهِ رسوم ارسلنا صورتها اليكم ونرجو ان تخبرونا عن اللغة التي كتبت بها تلك الرسوم

ج لا نرى انها تنطبق على لغة من اللغات التي نعرف حروفها او هي تشبه حرف اللام الفينيقيَّة واليونانية القديمة مكرَّرًا او حرف الجيم او الفاء بالفينيقيَّة مكرَّرًا ونرجح انها نقوش رمزيَّة لا غير ونستغرب بقاء هذه النقوش على النحاس في قبر بلبنان حيث يكثر وقوع المطر ولا تخلو الارض من مواد يتأ كل بها النحاس وتزول النقوش عنهُ كما ترون في النقود النحاسيَّة القديمة . ومما يزيد الغرابة ان النقوش بارزة وقلما تكون كذلك على الخواتم ويخاف ان يكون هذا الخاتم خنفشاريًّا لكننا لا نقطع بشيءٍ من ذلك لانهُ يحتمل ان يكون صحيحًا وتكون الرسوم التي عليهِ كتابةً صحيحة بلغة لا نعلمها

(٧) صبغ الرخام

انيس افندي قربان . بينما كنت اتقطف ثمار المعارف من جنات مقتطفكم عثرت على نبذة في الجزء الثاني من المجلد التاسع عنوانها تنظيف تمثال لينك خلاصتها ان رجلاً صنع مزيجًا من مذوب نيترات الفضة وبرمنغنات البوتاسيوم ورش بهِ التمثال المذكور فاكتسى سطحهُ بالنقط السوداء . وقد صنعت مزيجًا من مذوب المادتين المشار اليهما وكتبت بهِ على صفيحة من نوع التمثال ثم غسلتها بالماء فزالت المنغنيسيا وبقيت الفضة مرسومة بلون رصاصي لا اسود فكيف ذلك

ج ان الذي بقي هو المطلوب والنبذة التي تشيرون اليها مترجمة عن الانكليزية وفي الانكليزية كلمة dark بمعنى مظلم فنترجمها غالبًا بكلمة اسود توسُّعًا . وقد صنعنا نحن هذا المزيج الآن ووضعنا منهُ نقطة على قطعة من الرخام فلما جفَّت بقيت منها بقعة رمادية داكنة ترى عن بُعْد سوداء

(٨) الكتابة على الرخام

ومنهُ . هل من طريقة للكتابة على الرخام بمادة يصبغ بها صبغًا اسود محل الكتابة

ج اذا أُحمي الرخام جيدًا حتى تتسع مسامهُ وكتب عليهِ بمذوب نيترات الفضة (حجر جهنم) ظهرت الكتابة عليهِ بعد حين سوداء رمادية او بنفسجيَّة ولا سبيل غير هذا الى الكتابة السوداء الثابتة ولذلك يكتب

على القبور بالرصاص ينزّل في حفر الحروف تنزيلاً

(٩) ارخميدس والتاج

مصر . احد المشتركين. اجبتم في شهر دسمبر عن سوّال يتعلق بارخميدس ان هيرو كلفهُ بفحص تاج لمعرفة ما اذا كان مصوغاً من الذهب الخالص او مخلوطاً بالفضة وان ارخميدس دخل الحمام ذات يوم ولما غطس في المغطس رأى الماء قد خرج منهُ فارشدهُ ذلك الى حل المسألة . والمشهور ان هذه الحادثة هدت ارخميدس الى معرفة قانونهِ المشهور الذي مؤداهُ ان كل جسم غمر في الماء يفقد من وزنهِ مقدار وزن الماء الذي ازاحهُ فكيف ارشدت هذه الحادثة ارخميدس الى حل مسألة التاج

ج لا بدَّ من ان الصائغ جعل وزن التاج كوزن الذهب الذي اعطاهُ اياهُ الملك وقد كان ارخميدس يعلم كما يعلم كل احد ان الذهب اثقل من الفضة اي ان العقدة المكعبة من الذهب اثقل من العقدة المكعبة من الفضة واثقل ايضاً من العقدة المكعبة من مزيج من الذهب والفضة . ولو كان التاج جسماً منتظماً تسهل مساحتهُ المكعبة لامكن الاستدلال من ثقلهِ ومساحتهِ على ما فيهِ من الذهب والفضة ولكنهُ غير منتظم فلا تعلم مساحتهُ بالتحقيق فلما غطس ارخميدس في المغطس وارتفع الماء منهُ انتبه الى ان الماء الذي خرج من المغطس يعادل حجم الجسم الذي غطس فيهِ فسهلت عليهِ معرفة حجم التاج فصارت المسألة هكذا ان وزن التاج الف غرام مثلاً فلو كان من الذهب الخالص لرفع الماء في الاناء ٥٢ سنتمترًا مكعبًا اذا غطس فيهِ ولو كان من الفضة الخالصة لرفع الماء ٧٧ سنتمترًا مكعباً ولكنهُ رفعهُ مقداراً متوسطاً ولنفرض انهُ ٦٥ سنتمترًا فليس هو ذهب خالص ولا فضة خالصة بل مزيج منهما وبالحساب يعرف اي وزن من الذهب واي وزن من الفضة اذا مزجا يكون ثقلهما الف غرام وحجمهما ٦٥ سنتمترًا مكعباً

(١٠) ماء النشع والاساسات

ومنهُ . هل ماء النشع مضر باساسات البيوت في القطر المصري

ج ما دامت الاساسات مغمورة بالتراب وغير مكشوفة للهواء فلا ضرر من ماء النشع ولكن ما يكون مكشوفاً منها ومن البناء الذي فوقها يتأكل اذا كان في الارض املاح يذيبها الماء . ويتقى الضرر بغسل الارض من الاملاح او بالفصل بينها وبين البناء بمادة تمنع وصول الاملاح الذائبة الى البناء

(١١) و ابطل التدخين

ومنهُ . اذا أُبطل شرب الدخان والاشربة الروحية فماذا يعمل تجار هذين الصنفين وهم ثلث التجار كلهم على ما اظن . أَوَ ليس اباحة بيع الدخان والاشربة الروحية

افضل من ترك هؤلاء التجار بلا باب للتعيش

ج كلاً وابواب التعيش كثيرة ولا يعدم المجتهد سبيلاً للمعيشة . ومنع بيع التبغ والاشربة الروحية ليس في الامكان ولكن الذي في الامكان هو تقليل ربح بائعيها حتى يقل اهتمامهم ببيعها وطريقة ذلك ان تبيح الحكومة لكل احد ان يبيع التبغ والاشربة الروحية على شرط ان يمسك لذلك حساباً مدققاً ويعطيها اكثر ما يربحهُ ولا يبقي لنفسهِ الأ عشرة في المئة بالنسبة الى رأس مالهِ فاذا رأى بائعو التبغ والخمر ان ربحهم قليل جداً لم يعودوا يهتمون بترغيب الناس فيهما

(١٢) تعليم الفقراء

ومنهُ . ان تعليم اولاد الفقراء من صناع ومزارعين يجعلهم يتركون حرف آبائهم واجدادهم وذلك غير حسن ولكن هل يستحسن منع التعليم عنهم مع اننا نرى كثيرين من هؤلاء الابناء ينبغون في العلوم والمعارف ويدركون اعلى المناصب اذا احسنت تربيتهم واعتني بتعليمهم . ويقول البعض بتعليم اولاد القرى بعض العلوم الزراعية والصناعية فقط حتى يشتغلوا في المستقبل بحرفة والديهم فهل يصح التمييز بين ابناء الوطن الواحد بان يُعلَّم بعضهم على كيفية بسيطة ويعلَّم البعض الآخر على طريقة راقية

ج . ان مسألة تعليم اولاد الامة من المشاكل التي يصعب حلها فاذا كانت الامة قادرة على اشراك كل ابنائها في التعليم العالي على السواء وجب عليها ان تفعل ذلك كما يجب على المرء ان يساوي بين اولاده في الميراث ولكن الامة لا تقدر على ذلك فيترتب عليها والحالة هذه ان تعلم ابناءها حسب استعدادهم وقابليتهم حتى لا تنفق على البليد نفقات تذهب سدًى ولا تقصّر في الانفاق على النجيب وهي لو انفقت عليهِ لافادت بلادها بهِ ولذلك يكون من الحكمة ان تنفق اولاً على التعليم الابتدائي الصرف الذي لا بدَّ منهُ اي تعليم القراءة والكتابة والقليل من الحساب وتشرك فيهِ ابناءها كلهم اذا استطاعت وما يبقى لديها من مال التعليم تنفقهُ على الذين تتوسم فيهم النجابة اكثر من غيرهم وتعلمهم علوماً عالية فاعلى حسب طاقتها وحاجة بلادها . ومما يرجح البال ان المجتهدين يتعلمون ويفلحون سواء ساعدتهم الحكومة او لم تساعدهم وغير المجتهدين لا يتعلمون او لا يستفيدون من التعلم ولو انفقت على تعليمهم مال قارون . ولقد رأينا اناساً لم يدخلوا مدرسة عالية وهم من ابرع الناس واناساً غيرهم اتموا دروسهم في اعلى المدارس العالية وهم لا يعرفون ان يحلوا مسألة بالحساب البسيط . ومدرسة العلم الحقيقي هي مدرسة العمل . وعلى الحكومة ان تبذل جهدها لكي لا تنفق اموال الامة عبثاً



فائدة تلغراف مركوني

اتفق في السادس والعشرين من يناير الماضي ان صدمت الباخرة فلوريدا الايطالية الباخرة ريبلك من شركة النجم الابيض وكادت تشطرها شطرين وكان في الريبلك آلة تلغراف مركوني في غرفة فيها وقد خربت تلك الغرفة من الصدمة لكن الآلة بقيت سليمة وعليها رجل اسمهُ بنس وكان حينئذٍ يرسل رسالة برقية الى مدينة نيويورك فقطع الرسالة بغتةً وارسل بدلاً منها الحروف الثلاثة .C. Q. D ومعناها الوقوع في الخطر وطلب النجدة . وانتشرت امواج الاثير في الفضاء حول السفينة فشعرت آلات مركوني بها في كثير من السفن التجارية ومراكز التلغراف الاثيري . ثم ارسل رسالة مفصلة قال فيها ان الريبلك صُدمت واشرفت على الغرق . فبادرت السفن اليها من كل صوب ووصلتها السفينة بلطيق قبل غيرها واحتملت وسقها وركابها وركاب السفينة فلوريدا وعددهم ١٤٠٠ ونجتهم من الغرق والفضل في ذلك لمركوني بل لرجال العلم الذين اكتشفوا نواميس الكهربائية واستخدموها في ما ينفع الناس . اما السفينة ريبلك فغرقت بعد خروج الركاب منها ولم يقتل بهذا الاصطدام الأ رجلان من ركابها واربعة من الذين كانوا في السفينة فلوريدا

زلزلة مسينا

وصفنا هذه الزلزلة وصفاً مسهباً في اول هذا الجزء وانقضى شهر يناير ولا تزال الهزات تنتاب تلك البلاد ولكنها خفيفة . ولا يزال النقب جارياً في مسينا ورجيو عن المدفونين تحت الردم وقد وجد البعض منهم احياء ونشرت الصحف اخباراً كثيرة عمَّا قاساهُ الذين نجوا من المشاق قبلما فازوا بالنجاة وتبرع اهل البر والاحسان باموال طائلة لمساعدة الاحياء واشتركت الحكومات كلها في ذلك حتى الحكومة الصينية

اكبر فوز للتلغراف

من حين استعمل التلغراف الكهربائي الى الآن لم يبلغ الفوز الذي بلغهُ في اواخر الشهر الماضي فقد أُرسلت بهِ الرسالة البرقية

الاولى بين منشستر وكلكتا رأساً والمسافة بينهما ٧١٠٠ ميل وكان فيها ٣٠٠ كلمة فارسلت في سبع دقائق ونصف دقيقة ثم ارسلت رسالة برقية بين رنجون في اقاصي الهند ومنشستر والمسافة بينهما ٧٧٠٠ ميل وقد افتتحها مرسلها بقوله "سلام على الغربيين من الشرقيين"

بناء مسينا

لما نظر مجلس النواب الايطالي في امر مسينا اقرّ على ان تنفق الحكومة عليها وعلى رجيو ثلاثين مليوناً من الفرنكات وقال رئيس النظار انهُ "لا بدَّ من بناء المدينتين ثانيةً". والظاهر انهُ اذا كان البناء من الحديد والخرسانة قاوم فعل الزلازل اشد المقاومة وسيكون للحديد المقام الاول في مباني المستقبل

الحمى الملارية في بلاد اليونان

تألفت لجنة في بلاد اليونان لمقاومة الحمى الملارية باتلاف البعوض ومنع تولدهِ في المستنقعات . وقد كان المصابون بالملاريا في سهل مراثون سنة ١٩٠٦ تسعين في المئة من المرضى فبلغوا سنة ١٩٠٧ سبعة واربعين في المئة وسنة ١٩٠٨ اثنين في المئة لا غير. وهذا من اقطع الادلة على ان الحمى الملارية مسببة عن لسع البعوض الذي يحمل جراثيمها ويلقح بها الاصحاء

اولاد النوابغ

ظهر بالاستقراء ان اولاد كبار العقول يكونون من كبار العقول ايضاً ولو كانت هذه القاعدة غير مطردة . وقد بحث المسيو الفونس ده كندول منذ سنة ١٩٧٣ عن اصل الذين ينتخبون اعضاء في الجمعيات العلمية فوجد ان اكثرهم من اولاد القسوس . وبيَّن العالم فرنسيس غلتون ان اكثر النوابغ هم من اولاد النوابغ واكثر المشهورين بالعقل والدراية هم اولاد المشهورين بالعقل والدراية ولذلك فالصفات العقلية تنتقل بالوراثة كالصفات البدنية

وفيات الاطفال وزيادة السكان

ان متوسط وفيات الاطفال الذين عمرهم اقل من سنة في الممالك الاوربيَّة يبلغ اكثرهُ في روسيا واقلهُ في انكلترا وهو فيهما وفي سائر الممالك كما ترى في هذا الجدول

في روسيا	٢٦٨	في الالف
« النمسا	٢٢٣	« «
« رومانيا	٢١٨	« «
« المجر	٢١٥	« «
« المانيا	١٩٩	« «
« اسبانيا	١٧٨	« «
« فرنسا	١٤٩	« «
« انكلترا	١٤٧	« «

ولكن زيادة السكان السنوية ليست تابعة لقلة وفيات الاطفال بل لكثرة المواليد فانها كانت في العشر السنوات من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٠٥ كما في هذا الجدول

في روسيا	١٥,١	في الالف
" المانيا	١٤,٦	" "
" رومانيا	١٣,٣	" "
" انكلترا	١١,٩	" "
" النمسا	١١,٥	" "
" المجر	١١,٢	" "
" اسبانيا	٧,٣	" "
" فرنسا	١,٥	" "

هذا متوسط زيادة السكان السنوية قبل سنة ١٩٠٥ ولو قلت وفيات الاطفال لزاد عدد السكان ايضاً

كنوز الصين العلمية

وجد الدكتور ستين رئيس الوفد الذي اوفدتهُ حكومة الهند الى اواسط اسيا كهفاً كبيرًا على حدود الصين فيهِ اكثر من اربعة آلاف كتاب من كتب الصينيين تاريخ كتابتها من القرن الاول للميلاد الى القرن العاشر وهي بسبع لغات مختلفة والظاهر ان اصحابها خافوا عليها من غارات الامم المتوحشة التي كانت تغير على بلادهم فاخفوها في ذلك الكهف وسدوا بابهُ سدًّا محكماً حتى لا يدري بها احد وقد وجدت فيهِ سليمة

عيد وط مخترع آلة البخار

احتفل اهالي غلاسكو بعيد ميلاد جمس وط مخترع الآلة البخارية وبينما في الاحتفال جاءهم تلغراف من طوكيو عاصمة اليابان من امير البحر كوريي يقول فيهِ " ان مستعملي الآلات البخارية في بلاد اليابان رغبوا اليَّ في ان اقدّم تهنئاتنا القلبية الى اخواننا في الصناعة في غلاسكو . نعم ان رداء وط تناولهُ الجميع بغير استثناء لكننا نقدّم احترامنا الاول للذين تناولوهُ اولاً ونفعوا بهِ "

كلام الموتى

ادعى الرئيس جون جراهم في مجلة هبرت العلمية الفلسفية ان نفس ميرس (وكان من الباحثين في العلوم النفسية) تكلمت بعد موتهِ وقالت انها احيا الآن مما كانت قبل الموت ولا تود الرجوع الى هذه الارض ولكنها لا تزال تتذكر علاقاتها بها ولا تزال ايضاً بعيدة عن العزة الالهية وانهُ يمرُّ على النفس نحو ست سنوات بعد خروجها من الجسد وهي في حالة التحول فاقدة كل وجدان ثم تبتعد عن الارض ومشاغلها ولا يعود لها علاقة بها ولعل نفس ميرس بقيت قرب الارض عمدًا لكي تعلن ذلك للناس

تقول انهُ ان كانت النفوس تبقى نحو

ست سنوات على مقربة من الناس ففي الارض الآن نحو اربع مئة مليون نفس تجول فيها ولم يقدم على التكلم الا نفس واحدة منها . ان تصديق ذلك اعجب من تصديق اي امر آخر سواه

ضرر الشركات المالية

لا شبهة في ان اكثر الاعمال الكبيرة ان لم نقل كلها عملتها الشركات المالية ولا جدال في فائدة الشركات ولكن لا شبهة ايضاً في ان كثيراً من الشركات لا ينفع بل يضر بتبذير اموال المشتركين فيهِ فقد حققت ادارة تسجيل الشركات في بلاد الانكليز انها سجلت ١٠١٠١٥ شركة في اربع واربعين سنة بين سنة ١٨٦٢ وسنة ١٩٠٦ ورأس مالها كلها ٦٧٨١ مليون جنيه ولم يبقَ الى الآن من هذه الشركات سوى ٤٠٩٩٥ شركة رأس مالها كلها ٢٠٠٣ ملايين جنيه ففي هذه السنوات الاربع والاربعين انحلّ اكثر من ستين الف شركة رأس مالها ٤٧٧٨ مليون جنيه وجانب كبير من هذه الاموال ضاع جزافاً وخسره المشتركون

ساعة وفونوغراف

صنع رجل من جنيفا ساعة صغيرة فيها فونوغراف يعلن عدد الساعات بكلام يسمع على بعد عشرين قدماً

ضعف العقل وكثرة النسل

قال السر كليفورد البوت انهُ رأى بالاختبار ان ضعاف العقول يكونون كثيري النسل وقد قال بذلك غيرهُ من الباحثين في هذا الموضوع واثبتوهُ بالاستقراء الطويل فقد وجد ان متوسط عدد الاولاد في مئة وخمسين عائلة من ضعاف العقول ٧ وثلاثة اعشار ومتوسط عدد الاولاد في عيال سليم العقل في ذلك المكان عينهِ اربعة فقط . ويموت كثيرون من اولاد ضعاف العقول ولكن الذين يعيشون منهم اكثر كثيراً من الذين يعيشون من اولاد كبار العقول . ثم ان اولاد المتوهين وضعاف العقول يكونون اميل من غيرهم الى الجنون وارتكاب الجرائم هذا في البلاد الانكليزية ولا نعلم هل ذلك مضطرد في كل البلدان او هو خاص بتلك البلاد

ثوران بركان

ثار بركان كاغوى في جزيرة من جزائر فيلبين بغتةً في التاسع عشر من شهر ينابر وجرت المواد المصهورة على جوانبهِ كالانهر فاضرّت بالبلاد المجاورة

بنوك التوفير

تقدَّر المبالغ المجموعة في بنوك التوفير الانكليزيَّة باربع مئة مليون جنيه وفي بنوك التوفير الالمانية بستمائة مليون جنيه

فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والثلاثين

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين

١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٩ — الموافق ٩ صفر سنة ١٣٢٧

مجلس المبعوثان والوزارة العثمانية

حدث في الشهر الماضي حادث كبير في الممالك العثمانية . اجتمع مجلس المبعوثان واسقط الوزارة اي اقترع على عدم الثقة بها وقبل جلالة السلطان ذلك واستدعى وزيرًا آخر لتأليف وزارة اخرى ترضى بها الامة . وهي اول مرة اسقطت فيها الامَّة العثمانية وزارتها او اضطرت الوزارة ان تستعفي لانها رأت ان الامة غير راضية عنها

وقد رأينا في تفصيل ذلك في المقتطف فائدة تاريخية وبلسماً لجراح القديمة لا من حيث استعفاء كامل باشا فانهُ من افضل الوزراء العثمانيين ان لم يكن افضلهم بل من حيث اعطاء الامة حقوقها والرضوخ لارادتها

وتفصيل ذلك ان كامل باشا امر رضا باشا ناظر الحربيَّة ان يرسل فرقاً من الجيش الذي في الاستانة الى يانيا لتسكين الهياج فيها فاحال الناظر الطلب الى هيئة اركان الحرب فرفضت ذلك بحجة ان لا حقَّ للصدر الاعظم في تعيين صنف الفرق والجنود التي ترسل بل لهُ ان يطلب ارسال جنود وهيئة اركان الحرب تعينها فساء ذلك الصدر الاعظم وعزل رضا باشا ناظر الحربيَّة من نظارتهِ وعينهُ قومسيرًا عاليًا لمصر فرفض هذا التعيين وشكاهُ الى مجلس المبعوثان . وكان ناظر البحرية عارف باشا قد استعفى منذ خمسة عشر يوماً ورفض الصدر الاعظم قبول استعفائهِ فعاد وقبلهُ حينئذٍ وعيَّن حسني باشا بدلاً منهُ . ولما علم ما فعلهُ الصدر الاعظم استعفى حلمي باشا ناظر الداخلية وحسن فهمي باشا رئيس شورى الدولة ورفيق بك ناظر العدلية وبنوا استعفاءهم على ان عزل كامل باشا لناظري الحربيَّة والبحريَّة مخالف لاصول الحكومات الدستورية

واجتمع مجلس المبعوثان يوم السبت في ١٣ فبراير وطلب من كامل باشا ان يحضر اليهِ ويجيب عن سبب عزلهِ لناظر الحربيَّة وناظر البحريَّة . وكانت بعض الجرائد قد اشاعت ان الصدر الاعظم عزل الناظرين لانهُ اكتشف مؤَامرة تدبرها جمعيَّة الاتحاد والترقي على خلع السلطان ولها ضلع فيها ولكن جمعية الاتحاد والترقي كذَّبت خبر المؤَامرة كل التكذيب وبيَّنت ان لا اساس لهُ . وافتتح احمد بك رضا جلسة مجلس المبعوثان الساعة الثانية عشرة وقرئ محضر الجلسة السابقة والاقتراحات وكلها تتعلَّق بسؤَال الصدر الاعظم عن عزل ناظري الحربيَّة والبحريَّة فأمر الرئيس كاتب السر ان يقرأ اعتذار الصدر الاعظم عن الحضور حينئذٍ وطلبهُ ان يؤَجل حضورهُ الى جلسة يوم الاربعاء

فهاج المجلس وماج وقامت قيامة النوَّاب عليهِ الاَّ نواب الاحرار فانهم صوَّبوا طلبهُ قائلين ان القانون يبيح لهُ ذلك . ولكن الفريق الاكبر من النواب الحوا طالبين حضورهُ حينئذٍ وفسَّروا عزلهُ لناظري الحربية والبحريَّة بقولهم ان الصدر الاعظم يشاهد طوابير الجنود تتمرَّن حوالي يلدز فيرى انهُ لا يمكن العود الى الحالة القديمة ما دامت تلك الجنود هناك فسعى في ابعادها عن الاستانة ومرادهُ ان يعين للبحرية ناظرًا يوافقهُ على مرامهِ ويحبس الاسطول العثماني . فاذا حبس الاسطول وذهبت العساكر والجمت ألسنة الجرائد بقانون المطبوعات الجديد سهل حل مجلس المبعوثان وارجاع الحكم السابق . فلما رأى رئيس المجلس الحاحهم طالبين حضور كامل باشا حالاً وايضاحهُ لما جرى قال انهُ سيبلغهُ ذلك تلفونيًّا وينتظر جوابهُ وتوقفت الجلسة ساعة ونصف ساعة ولما وصل جوابهُ عادت الجلسة الى الانعقاد وتلي جوابهُ فاذا هو يقول فيهِ ان اعداد الاوراق اللازمة لذلك وبعض المهام السياسية يضطرانهِ ان يؤَجل الايضاح المطلوب الى يوم الاربعاء فلا يستطيع المجيء الى المجلس قبل ذلك اليوم

فزاد النواب حينئذٍ هياجًا ووقف اسمعيل حقي بك مبعوث بغداد وطلب الاقتراع على الثقة بالوزارة او بالصدر الاعظم فاقترع المجلس على احقية طلبهِ فوافق عليهِ بمئة صوت وصوتين وباشروا الاقتراع على الثقة وكُلِّم الصدر الاعظم حينئذٍ بالتلفون ان المجلس هائج ضدهُ وان الاغلبيَّة عليهِ لا معهُ فارسل احد باورانهِ الى الرئيس يقول اذا كان المجلس يرفض تأجيل الايضاح الى يوم الاربعاء فانا اقدم استعفائي وانشر ايضاحي على صفحات الصحف والقي كل تبعة في ذلك على المجلس

اما اعضاء المجلس فقابلوا قول الصدر الاعظم انهُ يستعفي بالتصفيق الشديد وأكمل جمع الاصوات على الثقة بالوزارة فنال الصدر الاعظم ٨ اصوات من ٢٠٤ اي ان ١٩٦ مبعوثًا

صوّتوا ضدهُ . وزار رضا بك (رئيس مجلس المبعوثان) مساء يوم السبت سراي يلدز وعرض الامر على جلالة السلطان فاستطلعهُ جلالتهُ رأيهُ في هل يرضى المبعوثان بتعيين حسين حلمي باشا صدرًا اعظم فاجابهُ بالايجاب فاصدر جلالتهُ الامر باستدعائهِ اليهِ وناط بهِ تأليف الوزارة . اما شيخ الاسلام فاراد جلالتهُ ان يبقيهُ في منصبهِ لكنهُ اصرَّ على الاستعفاء فطلب جلالتهُ منهُ كشفًا باسماء الذين يصلح تعيينهم لهذا المنصب واختار سماحة ضياء الدين افندي شيخًا للاسلام

ونشرت جرائد الاستانة يوم الاثنين نص الخط الهمايوني بتعيين حسين حلمي باشا صدرًا اعظم وهذا تعريبهُ

وزيري سمير المعالي حسين حلمي باشا .

بناء على انفصال كامل باشا بسبب الاحوال الحاضرة وبناء على صداقتكم واهليتكم عهدنا اليكم مسند الصدارة والى ضياء الدين افندي قاضي عسكر روملي مسند المشيخة وكلفناكم بانتخاب بقيَّة النظار وعرض اسمائهم علينا . وحيث ان الزم ما عندنا المحافظة على القانون الاساسي ودوام الامن والسلام في المملكة وعمرانها وسعادة رعايانا واستكمال اسباب الرفاهية فاقصى رغائبنا ان تصرفوا مساعيكم وغيرتكم في سبيل ذلك جعلكم الحق مظهرًا للتوفيقات الالهية

٢٢ محرم ١٣٢٧ عبد الحميد

وأرسل باش كاتب المابين التلغراف التالي الى مجلس المبعوثان

الى رئاسة مجلس المبعوثان الجليل .

احيطكم علمًا انهُ قد عهد مقام الصدارة مع نظارة الداخلية الى حضرة حسين حلمي باشا ومقام المشيخة الى حضرة ضياء الدين افندي قاضي عسكر روملي كما عهد الى حضرة حسين حلمي باشا تأليف الوزارة الجديدة

فاجتمع حسين حلمي باشا بالرجال الذين اراد تأليف وزارتهِ منهم وبعد بحث طويل تألفت الوزارة الجديدة هكذا

حسين حلمي باشا للصدارة والداخلية

ضياء الدين افندي للمشيخة الاسلامية

رفعت باشا (السفير في انكلترا) للخارجية

حسن فهمي باشا لرئاسة شورى الدولة

علي رضا باشا للحربية .

رضا باشا (ناظر الطوبخانة السابق) للبحرية

ضيا باشا للمالية

رفيق بك للعدلية

عبد الرحمن باشا للمعارف

نوردنجيان افندي للنافعة

ماوروفوردانو افندي للمعادن والخراج

ضيا بك (مستشار الصدارة) للاوقاف بالنيابة

وعرضت اسماء النظار على السلطان وصدرت الارادة السنية بتعيينهم ومثلوا بين يدي جلالتهِ يوم الاثنين وحلفوا يمين الاخلاص

وارسل حزب الاتحاد والترقي الى جريدة التيمس تلغرافاً يقول فيهِ انهُ وان كان كامل باشا قد اضطرنا الى اسقاط وزارتهِ بسبب افعالهِ المخالفة للدستور فنحن نرى من الواجب علينا ان نعلن للامة الانكليزية صريحاً ان الواجب على كل صدر اعظم يخلفهُ ان يتبع ويرقي سياستنا الصريحة الحب والوداد لانكلترا طبقاً لمشيئة الامة العثمانية كلها ونحن واثقون مع ذلك ان صداقة انكلترا القديمة العهد العظيمة الثمن لبلادنا لا ينظر فيها الى الافراد بل الى الامة العثمانية باسرها وواثقون ايضاً انهُ يمكن لحكومتنا ان تعتمد على ميل انكلترا اليها لكونها امة صديقة لها

وخلاصة ما جرى ان مجلس المبعوثان تسلَّح بالدستور العثماني واسقط الوزارة سواءُ كانت تستحق ذلك او لا تستحقهُ فاستدعى جلالة السلطان رجلاً يرضى بهِ مجلس المبعوثان وكلفهُ تشكيل وزارة جديدة وقد تمَّ كل ذلك طبقاً للقانون كأَنهُ جرى في انكلترا اقدم البلدان في الجري على الحكم الدستوري وهذا ما تتمناهُ كل امة تريد ان يكون حكمها في يد نوابها

ثم ان الصدر الجديد اتى مجلس المبعوثان في ١٦ فبراير وخطب فيهِ خطبة وجيزة اعرب فيها عن خطة وزارتهِ وهي لا تختلف عن خطة الوزارة السالفة ومدارها بذل الهمة في توطيد دعائم الامن والعدل ونشر التعليم والاحتفاظ بصداقة الدول وحل المشاكل السياسية بالحكمة وحسن التدبير . وكل الذين يعرفون كامل باشا واصالة رأْيهِ آسفون لتركهِ مقاليد الحكومة وهم آسفون ايضاً لان ناظم باشا لم يعين في هذه الوزارة وعسى ان يرى فخامة الصدر سبيلاً لضمهِ اليها

مجاري العاصمة

صممت الحكومة المصرية اخيرًا على عمل مجاري العاصمة اي على الاعمال الهندسية اللازمة لتنظيف مدينة القاهرة من مياه الامطار ومما يتجمع في كنف منازلها ونقل كل ذلك الى مكان بعيد في جهة الخانقاه حيث يعالج بطريقة تصيره ماء وسمادًا وتروي به نحو الف فدان من الاراضي الرملية وتسمدها فتصير مثل اجود الاطيان الزراعية . وعزمت ان تزيد عوائد الاملاك في العاصمة حتى تصير عشرة في المئة من ايجارها وهي الآن ٨ وربع في المئة وجمعت الجمعية العمومية واخذت مصادقتها على ذلك

وقد وضع سعادة اسمعيل باشا سري ناظر الاشغال العمومية مذكرة في هذا الموضوع تلاها في الجمعية العمومية هذا نصها بقليل من التصرف

لما كانت الشروط الصحية في المدينة غير مستوفاة حتى في المساكن المستجدة التي فيها خزانات منتظمة لما فيها من العيوب ولما كانت المجاري المعدة لتصريف مياه الامطار لا تعم الأ جزءا يسيرًا من المدينة فعند نزول الامطار ولو قليلاً تغطي الاوحال الشوارع والحارات التي لم ترصف في الاحياء الوطنية لكثرة المرور فيها والاحياء التي شوارعها مرصوفة يكون تنظيفها في ايام المطر صعبًا وكثير التكاليف اهتمت الحكومة منذ عشرين سنة بايجاد الدواء الشافي لهذه العلة فقررت استقدام احد المهندسين الاختصاصيين في سنة ١٩٠٦ لتحضير مشروع كافل بتنظيف مساكن المدينة وطرقها بصفة مستديمة فقام هذا الاختصاصي بتحضير المشروع وقد اتمهُ ورفع بهِ تقريرًا الى الحكومة مؤداهُ ان تسلط المرتفقات والبالوعات التي في المساكن والمساجد وغيرها على مجارٍ توضع تحت دكة الشوارع والحارات وهذه المجاري تصب في مجرى عام يمرُّ بترعة الجبل الى حد عزبة العرب ثم في ترعة اسكندر حتى ينتهي قرب كفر الجاموس . وفي نهاية المجرى العام المذكور تقام طلمبات لرفع المواد الى مجرور آخر مرتفع يمر في ترعة اسكندر حتى يصل الى نقطة في ذيل التلال الرملية شرقي اسبتالية المجاذيب بالخانقاه وفيها تبنى حياض التطهير

وبعد تطهير المواد في الحياض المذكورة واماعتها تستعمل لري مساحة من الاراضي الرملية تبلغ نحو الف فدان وبالنظر لما تحويهِ من العناصر المغذية للنبات فلا شك في جودة المحصولات التي تنتج منها وقد تقوم بايفاء جزء كبير من نفقات حفظ المجاري وصيانتها

هذا ونظرًا لوجود المدينة في منخفض ولأن المواد يلزم توصيلها الى مكان بعيد عنها

فلا يمكن تصريفها بالراحة انما يوجد جزء يمكن تصريف موادهِ بهذه الكيفية في المجرى العام الموصل الى الطلبات وهذا الجزء يشمل جهات العباسية والمطرية ومدينة عين شمس الجديدة وسراي القبة وما جاورها من المساكن

وفيما عدا هذا الجزء فباقي المدينة بما فيهِ جزيرة الروضة (التي ستوصل مجاريها بسحارة تحت النيل الى المجرى العام) تصرف موادها بالطريقة المعلومة في عرف المهندسين بطريقة المناطق وهي تنحصر في تقسيم المسطح الذي يراد تصريف المواد منهُ الى مناطق يعمل لكل منها جهاز يرفع المواد الى مجرى مرتفع يصب في المجرى العام

ولاعتبارات فنية ومالية قد قرّ الرأي على استعمال الهواء المضغوط في الاجهزة المعدة لرفع المواد في كل منطقة وهذه الاجهزة تتحرك من نفسها وتوضع في باطن الارض حتى لا يشم منها ادنى رائحة

اما الهواء المضغوط فيولَّد بآلات تقام عند فم الترعة الاسماعيلية القديم قرب قصر النيل ومنها يوزع على الاجهزة الرافعة الخاصة بالمناطق المختلفة

ولتصريف مياه الامطار تبقى المجاري الموجودة الآن التي يصب بعضها في الترعة الاسماعيلية والبعض الآخر في النيل ثم تعمل مجارٍ اخرى لتصريف مياه الامطار التي تقع في الزيتون وما جاورها في ترعة الجبل اما باقي جهات المدينة فتصرف مياه الامطار منها في مجاري المواد . ومياه الامطار التي تقع في جزيرة الروضة تصرف في النيل

ومن ضمن مشروع المجاري بناء نحو اربعمائة محل للمرتفقات في كل منها عشرة مراحيض وجميع الشوارع والحارات الواقعة في الاحياء الوطنية التي لم ترصف بالمكادام يقضي المشروع برصفها بهِ اذ بدون ذلك لا يمكن منع الاوحال ونزولها في المجاري وسدها حين وقوع الامطار

وقد اشغلت الحكومة كثيرًا مسألة المواد اللازمة لبناء المجاري اذ كان يظن في بادىء الامر انهُ يلزم جلبها كلها من الخارج باثمان باهظة ولكنها وجدت في جهة اصوان ما يلزم من الطين الابليز الجيد لعمل الطوب وبرابخ الفخار اللازمة للمجاري لانهُ يلزم ان تكون كلها من الاجر المتين . وتفهم اهمية المسألة عند ما يعلم ان المقادير اللازمة هي ٢٥ مليون طوبة و ٢٠٠ كيلومتر من البرابخ الفخار

ومن المنظور ان تستغرق اعمال المجاري عشر سنوات على الاقل

ويظن كثير من الناس انهُ عند حفر الشوارع والحارات لوضع المجارير ستسوء الحالة الصحية فلتطمينهم نقول انهُ نظرًا لقلة عرض الحفر وعمقها لا يحصل شيء مما يظن خصوصًا

وان الاتربة تظهر حال استخراجها من تلك الحفر وما كان منها غير لازم للردم فوق المجاري ينقل بعيداً

اما تكاليف المشروع فقدرت كما يأتي ..

٤٠٠٠٠ جنيه للاراضي التي تروى من المواد بعد تطهيرها واماعتها
٧٤٠٠٠ لعمل حياض التطهير
٣٩٤٨٠ للجرور العام المرتفع الواصل بين الطلمبات وحياض التطهير
١١٤٤٠٥ للطلمبات التي توضع قرب كفر الجاموس وقوتها ٩٠٠ حصان
١٧٦٨٨٠ للجرور العام الواصل الى طلمبات كفر الجاموس
٢٤٠٦٨٠ للمجاري الصغيرة وطولها ٢١٨٨٠٠ متراً
٣٢٧٢٠٠ آلات واجهزة الهواء المضغوط
٥٠٨٢٠ وسائط الصرف في جهة الزيتون وما جاورها
٢٥٠٠٠ تحسين وتمديد مجاري صرف مياه الامطار الحالية

١٠٨٨٤٦٥

٠١٦٣٢٧٠ احتياطي وهو ١٥ في المئة

١٢٥١٧٣٥ والجملة

ويضاف الى هذا المبلغ تكاليف رصف الشوارع والحارات في الاحياء الوطنية غير المرصوفة وهي بحسب تقدير مصلحة اعمال المدينة ٥٠٠٠٠٠ جنيه فتكون الجملة العمومية ١٧٥١٧٣٥ جنيه

وقدرت تكاليف ادارة وحفظ وصيانة اعمال المجاري سنوياً كما يأتي :

٩٦٠ جنيه خدمة عملية (دائمة)
١١٨٨ " ظهورات وانفار مياومة لطلمبات كفر الجاموس
١٣٢٠ " " " لآلات الهواء المضغوط
١٥٧٠٠ فحم وزيت الخ
٢٧٤٨ خدمة متنقلون

٢١٩١٦ والجملة

وزيادة على ذلك يلزم ان يضاف الى هذا المبلغ ثمن المياه التي تلزم للمراحيض العمومية ولطرد المواد ومنع رسوبها في المجاري . وحيث ان كمية المياه التي تلزم لهذا الغرض سنوياً هي

٨٠٠٠٠٠ متر مكعب وثمن المتر المكعب بحسب شروط شركة المياه هو ٨ مليمات يكون الثمن الكلي ١٤٤٠٠ جنيه ولكن لما كان المنظور ان الشركة تتساهل مع الحكومة حتى تجعل ثمن المتر المكعب ٤ مليمات يكون المبلغ اللازم دفعهُ ثمناً للمياه سنوياً ٧٢٠٠ جنيه وتكون جملة ما يلزم صرفهُ على المجاري سنوياً من ادارة وثمن مياه وحفظ وصيانة ٢٩١١٦ جنيهاً

هذا ويلزمنا ان لا ننسى ايضاً قيمة ما سيصرف سنوياً لحفظ وصيانة الشوارع والحارات المزمع رصفها بالمكادام في الاحياء الوطنية وقد قدرت بمبلغ يتراوح بين ٨٠٠٠٠ جنيه و٩٠٠٠٠ جنيه . انتهى

يظهر مما تقدم ان الاموال اللازمة لانشاء مجاري العاصمة تبلغ مليوناً وربع مليون من الجنيهات وان الاموال اللازمة لاستعمالها وحفظها بعد عملها مع ثمن الماء اللازم لذلك تبلغ ثلاثين الفاً الى اربعين الفاً من الجنيهات اي فائدة مليون من الجنيهات وعليهِ فستكون الاموال اللازمة لانشاء مجاري العاصمة واستعمالها وحفظها مليونين وربع مليون ولا يبعد ان تصل الى ثلاثة ملايين من الجنيهات

ولا شبهة ان نظافة العاصمة من الاقذار والادران والاوحال امر لازم ومستحب لذاتهِ فضلاً عن انهُ يقلل امراضها ويزيد صحة سكانها ويرغب السياح في اطالة الاقامة فيها فتربح منهم ربحاً مالياً لا يستهان بهِ

ولا شبهة عندنا ايضاً ان الذي وضع هذا المشروع وقدَّر نفقاتهِ امين يوثق بهِ ولكننا نجد في المشروع امرين حريين باعادة النظر

الاول انا لا نرى وجهاً لجعل مشروع المجاري يعم العباسية والمطرية ومدينة عين شمس الجديدة فان اراضيها رملية تغور فيها المياه بسهولة

والثاني ان في ارض القاهرة وكل اراضي القطر المصري شيئاً لا مثيل لهُ في بلاد أُخرى. والمهندسون الصحيون الذين لا يلتفتون اليهِ بل يبنون احكامهم على ما يرونهُ في اوربا يخطئون . وهذا الشيء هو ان مياه النيل تصعد في الارض على اثر ارتفاعهِ وتهبط على اثر انخفاضهِ فتذيب كل ما في آبار الكنف وتأخذهُ معها حينما تغور في الارض فلا يبقى منهُ شيء ضارٌّ ابداً لان التراب افضل المطهرات اما اذا بنيت الآبار مصمتةً فالمبرزات تحفظ فيها ويجب كسحها حينئذٍ وهو الاسلوب الذي اوجبتهُ الحكومة في كل المباني الجديدة ولعلها اخطأَت فيهِ . فهل تدبَّر واضعو هذا المشروع ذلك ورأَوا انهُ لا يمكنهم ان يستفيدوا من هذه الحالة الخصوصية بوجه من الوجوه

الهجاء

اني على كراهيتي للهجاء قدر رأيتني مضطرًا الى انشاء مقالةٍ فيهِ اودعها تعريفهُ وذكر المشاهير من رجالهِ ودواعيهُ واساليبهُ وابيّن ان مدح من يتنكّب المنهج القويم اكبر هجوٍ للمادح وان هجوهُ والتشنيع عليهِ حسنة يتبرّع بها الشاعر على الانسانية بل قربة يتقرّب بها الشاعر من ربهِ

الهجاء سيف الشاعر يجرّدهُ متى غضب وسنانهُ يطعن بهِ اذا حنق بل علاجهُ الذي يعالج بهِ الاخلاق المعتلّة وعقابهُ الذي ينزلهُ باعداء الامانة والوفاء. فكم من كميّ[1] رمى بهِ الشعراء في جحيم العار يصلي نارها ما اوقد الناس نارًا وكم من جائر طاغية بالقوة في جهنم الهمجيّة والوحشيّة وتركوهُ يقاسي من عذابها فوق ما قاسى الضعفاء منهُ. فيا ما امرّ ما انزل ابو نواس بمن قال فيهِ

سيان كسر رغيفهِ ... او كسر عظم من عظامهْ

فارفق بكسر رغيفهِ ... إن كنت تطمع في كلامهْ

ويا ما اضنك موضعًا الفى اليهِ مهجوًا لهُ بقولهِ

خان عهدي عمرو وما خنتُ عهدهْ ... وجفاني وما تغيّرتُ بعدهْ

ليس لي مذ حييتُ ذنب اليهِ ... غير اني يومًا تغدّيتُ عندهْ

ويا ما احرّ هجو القائل في لئيم

رأى الصيف مكتوبًا على باب دارهِ ... فصحّفهُ ضيفًا فقام الى السيفِ

وقلنا لهُ خيرًا فظنّ بأننـا ... نقول لهُ خبزًا فمات من الخوفِ

ويا ما أوجع هجو القائل في ظالم يتظاهر بالصلاح

قد بلينا بأميرٍ ... ظلمَ الناسَ وسبَّحْ

فهو كالجزّار فينا ... يذكر الله ويذبحْ

ومن نيران الهجاء المتأججة هجو ابي العباس الكوراني اهل فاس بقولهِ

مشى اللؤم في الدنيا طريدًا مشرّدًا ... يجوب بلاد الله شرقًا ومغربا

فلما اتى فاسًا تلقّاهُ اهلهـا ... وقالوا لهُ اهلاً وسهلاً ومرحبا

وهجو الطرمّاح لبني تميم

(١) الكمي الغني الشجيع

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلتِ
ارى الليل يجلوهُ النهارُ ولا ارى خلال المخازي عن تميمٍ تجلتِ
ولو انَّ برغوثاً على ظهر قملةٍ يكرُّ على صفَّي تميمٍ لولتِ

ويهجو الخوارزميّ لطبيب

لم ارهُ الأ خشيت الرّدى وقلت يا روحي عليكِ السلامْ
يبقى ويفنى الناس من شؤمهِ قوموا انظروا كيف نجاة اللئامْ
ثم تراهُ آمناً سالماً يا ملك الموتِ الى كم تنامْ

ويهجو حبيب الطائي ابا الوليد محمد بن ابي دؤاد

أتطمع ان تُعدَّ كريمَ قومٍ وبابك لا يطيف بهِ كريمُ
كمن جعل الحضيض لهُ مهاداً ويزعم انَّ اخوتهُ النجومُ

ويهجوهُ لمحمد بن حسن الشاعر

تكلَّمَ فيَّ من يعلو بذكري ويخفضني بذكريهِ الكلامُ
يلوم على هجائيهِ الكرامُ وإن لم اهجُهُ لام اللئامُ
فكيف تصرّفت في ذاك حالي تعاورَني من الناسِ الملامُ

وقول جرير

فغضَّ الطرف انك من نميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

المشاهير من الهجائين

قلَّ شاعر لم يرشق بنبال الهجاء من يحقرهُ او يؤذيهِ من اهل عصرهِ غير ان في الشعراء من تجافى طباعهم ان ترد مواردهُ فاذا ثقل على واحدٍ من هؤلاء امرٌ ما او ضاق صدرهُ عن حال ما عاذ بالهجاء ذاهباً بهِ مذهب الحكيم تفادياً من التصريح باسم المهجوّ واشفاقاً عليهِ من لصوق العار بهِ او تحاميَ اذاهُ ومن ذلك هجو ابي تمام لبعض بني حميد

اذا جاريت في خُلُقٍ دنيًّا فانت ومن تجاريهِ سواءُ
رأيت الحرّ يجتنب المخازي ويحميهِ عن الغدرِ الوفاءُ
فلا واللّه ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا اذا ذهب الحياءُ
اذا لم تخشَ عاقبة الليالي ولم تستحيِ فاصنعْ ما تشاءُ

ومجوه لمن سرق شعره

مَنْ بنو مجدلٍ مَن ابن الحبابِ ... مَن بنو تغلب غداةَ الكُلاب [1]

مَنْ طُفَيل مَنْ عامرٌ ومَنِ الحا ... رث أم مَن عُتَيْبة بن شهابِ

انما الضيغم المصور ابو الاشـ ... بالِ مناع كل خيس [2] وغابِ

مَن عدت خيله على مسرح [3] شعري ... وهو للحين رائع في كتابي

غارة اسخنت عيون القوافي ... واستحلت محارم الآدابِ

فمن يقرأ مثل هذا المهجو فان كان ممن له علم بواقعة الحال عرف المعرَّض بهم كما يُعرف الشيء بالايماء اليهِ والاَّ عدَّ ذلك من باب الحكم والنصائح

وفي الشعراء من اذا خُيب امله او رُدَّت شفاعتهُ او لم تُسن جائزتهُ اشتاط غضبًا وانقد مخطأً على مَن اخذ عليهِ طريق الوصول الى مقصودهِ حتى تخيله كبريتًا مستهُ النار بل بارودًا القيت عليهِ الجمار

فهؤلاء حملة لواء الهجاء وناشرو اعلامهِ · ومن مشاهيرهم الحطيئة وابن المنير الشاعر وبشار بن برد الاعمى · والسائب ابو العباس الاعمى الشاعر المكي · وعز الدين الاربلي وابن شيرويه الديلي ومحمد بن سعيد القيرواني وابن رشيق وابو سعد الكرماني وابن الجهم والبحتري وابو تمام وابن القطان وابن عُنين وابن بسام صاحب الذخيرة وابن الرومي وابو الطيب المتنبي وجرير والاخطل والفرزدق · ولا يخلو عصر من شاعرٍ يشتهر بقرض الاعراض وهتك الاستار

⁂

مقام الهجاء في الناس

ان للهجاء مظاهر تختلف باختلاف المهجو فتارة يظهر رجلاً مهيبًا بل اسدًا مفترسًا تخشى وثبتهُ او افعوانًا تقتل لدغتهُ فاذا سأل أُسئل واذا شفع شُفِّع واذا عتب أُعتب وذلك كلهُ اتقاء شرهِ وحذر الوقوع في لسانهِ · وقد جرى هذا المجرى مروان فانهُ بعد ان كان في نيتهِ ان يحدّ الفرزدق ويسجنهُ قيل لهُ اخطأت فيما فعلت فانك عرضت عرضك لشاعر مضر فوجه وراءهُ رسولاً ومعهُ مائة دينار وراحلة خوفًا من هجائهِ · ولا غرو «فعداوة الشعراء بئس المقتنى» وبمثل هذا يعظم شأن الهجاء ويعلو امرهُ وتقبل عليهِ الدنيا

ولكن اعلم انهُ لا يراهُ اسدًا ولا افعوانًا الاَّ ضعفاء الانام او من لم من الرؤساء فملأت

(١) الكلاب بالضم : ماء جرت فيهِ وقعة بين اخوين شرحبيل وانصارهِ وسلمة وانصارهِ فقتل شرحبيل

(٢) الخيس : غابة الاسد (٣) الابل الراعية

تحت الستار او نبائح تحت الحجاب . وطوراً يظهر طريدة صائد او فريسة سبع او قنص خبيث وذلك متى انزل هجاءهُ بذي سلطةٍ لا يغلّ يدهُ شيءٌ عن مدها اليهِ بالاذى فقد ينزلهُ من ظهر الارض الى بطنها وقد يقتصر على اذلالهِ بالحبس او التغريب فهذا ابن المنير قد سجنهُ بوري اتابك صاحب دمشق وعزم على قطع لسانهِ ثم شفع فيهِ فنفاهُ . وهذا ابن الجهم قد هجا المتوكل فغرّبهُ الى خراسان ولما انتهى الى شاذياخ نيسابور سجنهُ طاهر بامر المتوكل ثم اخرجهُ فصلبهُ مجرداً نهاراً كاملاً . وهذا الحطيئة القاهُ الامام عمر في البئر لهجوهِ الزبرقان ولم يخرجهُ حتى استعطفهُ بابياتٍ من الشعر . وقد بلغ الهجاء بابن الرومي الى ان دُس لهُ السم في الطعام فكان آخر عهدهِ بالحياة . وقد اورد الهجاء بشاراً حوض المنية قال البطري " كان سبب قتل المهدي لبشار ان المهدي ولّى صالح بن داود اخا يعقوب بن داود الوزير ولاية فهجاهُ بشار بقولهِ :

همُ حملوا فوق المنابر صالحاً اخاك فضجت من اخيك المنابرُ

فبلغ يعقوب هجاءهُ فدخل على المهدي وقال لهُ ان بشاراً هجاك فطلبهُ المهدي فخاف ان يدخل عليهِ فوجه من القاهُ في البطيحة فمات

وممن نصب لهم الهجاء احابيل الهلاك ابو الطيب المتنبي فانهُ لما كان راجعاً من عند عضد الدولة بن بويه الديلمي عرض لهُ عند دير العاقول فاتك بن ابي جهل الاسدي في عدةٍ من اصحابهِ وكان المتنبي في جماعةٍ من اصحابهِ فقتل ابو الطيب وابنهُ محسّد وغلامهُ مفلح وما جرّ اليهِ الموت الاَّ هجاؤهُ لاخت فاتك المذكور

الهاجاة

لكن اذا دارت المهاجاة بين الشاعرين يخلع الهجاء صورة الاسد الوثاب والافعوان المنساب ولا يظهر بمظهر الطريدة او الفريسة بل ينقلب عدواً مهاجماً او خصماً مدافعاً . وكلا الشاعرين يتأهب لقتاء الآخر ويكرّ عليهِ بكتائب من الاستهزاء والتحقير وبيان المثالب حتى يسوّد اسمهُ ويمزق عرضهُ . وامضى الشعراء هجواً من كان مرّ النفس مترفعاً عن الفحش فانهُ بالبيت الواحد يكاد يسقط بالمهجو عن مقامهِ وهو لا يخرج عن ادبهِ ولا ينحط عن رتبتهِ وذلك كقول زهير يهجو آل حصن

فما أدري ولست اخال ادري أقومٌ آلُ حصنٍ ام نساء

وهذا خير مذاهب الهجاء وانقى اساليبهِ ولا يلتزمهُ الاَّ من يحاذر ان يصاب بسهمهِ او يجرح

بحسامهِ . وافضل الهجاء ما لا يقبح بالعذارى ان ينشدنهُ في خدورهن . وعندي ان الهجاء الذي يرافقهُ خوف من سطوة المهجو يخرج بحلةٍ طاهرةٍ غير ملوثةٍ بدنس المباذأة والمقاذعة والمقاذفة فان الخوف خير مؤدِّب فيكون كالسهم الصائب وقد موِّه بالذهب . ومتى كان الهجَّاء لا يأنف من الفحش ولم يكن وراءهُ ما يخيفهُ كان قلمهُ كقصبة بيت الماء فتنصرف النفوس عن انشاد اهاجيهِ واذا كان في الديوان بيوت دنسة وقصائد بذيئة اعرض الادباء عنهُ اعراض الناس عن الجيف

وفي المهاجاة التي وقعت بين جرير والفرزدق والاخطل ابيات يخجل الكاتب ان يتمثل بها كما يخجل المتكلم ان ينشدها ولاسيما في عصر التهذيب وكان الخليق بهؤلاء الثلاثة ان تكون طريقتهم في الهجو كطريقتهم في علو النظم حتى يقتدى بهم في الادب كما يقتدى بهم في اساليب البلاغة وتحبير الكلام . وما احرام ان يرعى كلٌّ حرمة الآخر ولاسيما وهو يعلم انهُ ينازل من هو كفؤهُ وفي طبقتهِ ولكنها الاعصار تتباين فيها العادات وتتباعد المشارب ولولا هذا ما كنت ترى كلاًّ منهم يقذف الآخر بماء القذر اقلّ نجاسة منهُ . ولولا هذا ما كان ليجري على السنتهم من اللفظ البذيء مثل ما اودعنهُ دواوينهم بل كان كل هجائهم من مثل قول جرير في الاخطل

لو ان تغلب جمّعت احسابها يوم التفاخر لم تزن مثقالا

والحاصل ان الفحش في الهجاء يغضّ من الهاجي فوق ما يغضّ من المهجو . وهنا يخطر لي ما جاء في الامثال من قولهم "كلّ اناء يرشح بما فيه" ومن قولهم ايضاً "كالك تحت طيّ لسانك لا تحت طيلسانك"

ومن الاهاجي ما هو كحصاةٍ ترشق على جدار فلا تضرُّ المهجوَّ شيئاً وذلك كأن يهجى المرء بخمول ابيهِ او باحترافهِ الحرف الدنيئة او بسبب وطنهِ وذلك كقول بعض الشعراء في هجو المتنبي

اي فضلٍ لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرةً وعشيّا
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما ء وحيناً يبيع ماء المحيّا

وكهجو ابي الفرج الاصفهاني لابي سعيد السيرافي

لست صدراً ولا قرأت على صد ر ولا علمك البكيُّ بشاف
لعن الله كلَّ نحوٍ وشعرٍ وعروضٍ يجيءُ من سيرافِ

وينتظم في هذا السلك هجو احد الشعراء للمبرّد صاحب كتاب الكامل

سألنا عن ثمالة كلَّ حيٍّ　　فقال القائلون ومَن ثمالهْ

فقلت محمد بن يزيد منهم　　فقالوا زدتنا بهم جهالهْ

وكذا هجاء نفطويه لابن دريد اشعر العلماء واعلم الشعراء

ابن دُرَيدٍ بقرهْ　　وفيهِ عيٌّ وشرهْ

ويدَّعي من حمقهِ　　وضع كتاب الجمهرهْ

وهو كتاب العين　　الاَّ انهُ قد غيَّرهْ

فلم يغضّ الهجاء من المتنبي ولا السيرافي ولا المبرّد ولا ابن دريد ولم ينزل بواحد منهم عن منصة الكرامة ولا زحزحهُ عن مرتبة الفضل . ألا وان آثارهم شاهدة لهم بطول الباع مكذبة لاهاجيّ حسّادهم . هذا وفيما زيّنت بهِ اعيان الفضلاء تراجمهم من القاب الاجلال اكبر دليل على ان سهام من يهجوهم قد طاشت واخطأت الغرض وكذا هجاء الحاسدين يكون

⁂

دواعي الهجاء

لا داعية للهجاء النافع في تهذيب الاخلاق كالتوغل في المذام والمساوىء التي تجتاح الآداب وتهدم اسوار القوانين فهو حينئذٍ كالعقوبة على الجناية . واما ما كان داعيهُ الحسد والغرض منهُ النقض من كبير فاضل او عالم نافع فلا يأتيهِ الاَّ من لا اخلاق لهُ من الادب . فهذا عصرنا الذي لا يعدد فيهِ من كسروا قيود الشرائع لم نرَ الشعراء قالوا في واحدٍ منهم اهجوة تبقى عقوبةً لهم ومن يحذو حذوهم على وجه الدهر . فما كان اسير الاهاجي التي تساق اليهم وتنفي سيوفها على كل مَا لهم . فهؤلاء هم احق بالهجاء من ممدوح لا يجيز المادح ومن شحيح لا يجود على فقير . ولو سلك الشعراء هذا المسلك في من يفسدون الاخلاق الكريمة ويدخلون العادات الذميمة ويأكلون حقوق الناس لكانوا من اعاظم اعوان النجاح واكابر انصار الانسانية ولرُزِقوا من حظ الاشتهار ما لا يرزقونهُ في غيرهِ من ابواب الشعر ولنالوا من شرف الاستشهاد باشعارهم ما تنالهُ الآيات المنزلات . وكانت هيبتهم في النفوس هيبة الحاكم العادل ومقامهم في الناس مقام المهذب الفاضل . هذا وان الاخلاق والآداب تستصرخ الشعراء والكتّاب ليداووا جراحها بمقالات وقصائد تصور شناعة المثالب وتمثل قباحة المذام وتأبى المروّة الاَّ ان يجيبوا والله من وراء الاجر　　سعيد الخوري

الشرتوني

الحشوية والوهابية

قلما قام بين المصلحين احدٌ بفكرة اصلاحية او مشروع جديد ولم يقم في وجههِ من ابناء جلدتهِ مناهضٌ ينوص الفتنة كل مناص فيتخذهُ سبَّة يتقوَّل عليهِ مختلق الاقاويل وينقل عنهُ مختلف الاحاديث مما هو ليس من الحقيقة في شيء . . فان كان من اهل الحكمة والسداد وُصم بخرق في الرأي او من اولي الخير والصلاح رمي بشبهةٍ في الدين . او كان من حملة العلم الصحيح غمطوا من قدرهِ ولم ينصفوهُ وربما ألَّبوا عليهِ طغمة الجهل وزعانف القوم فيذهبون بارائهِ مذاهب شتى وقد يوقعونهُ في الردى فيجنون على العلم والدين جناية تدور مع الأحقب كما وقع ذلك لكثير من مشاهير المشارقة والمغاربة

على حين ان ذلك المصلح لم يأتِ امرًا ادًّا يأباهُ العقل والدين وما ذنبهُ سوى انهُ اتى بما لا عهد لابناء الوسط بهِ او لم يجدوا عليهِ آباءهم . وقد سمَّى حجة الاسلام الغزالي امثال هؤلاء المناهضين حشويَّة . وهم اليوم ضروب فمنهم حشويَّة الدين وحشويَّة العلم وحشوية السياسة

واشدُّ ما لقي المصلحون من شيوخ السوء حشويَّة الدين الجامدين في سبيل الدعوة الى الحق وما نالهم من النكبات ماديًا وادبيًا . ومهما يحاول هؤلاء عرقلة مساعي اولئك او اضطهادهم وظفرهم بامنيتهم في بعض الاحايين فانهم ليحاولون المستحيل في الضغط على تلك الموهبة الفكريَّة التي امتاز بها اولئك المصلحون عن غيرهم من البشر — الميزة التي ولدت لهم اعداء الداء يحسدونهم في السراء والضراء ويرمونهم بما هم منهُ براء كما هو الحال الآن في حشويَّة الدماشقة ورميهم علماءهم الاطهار واحرارهم الاخيار بالوهبنة تارةً والزندقة تارةً اخرى

ألا وان التاريخ يعيد نفسهُ فقد مثَّل لنا رمي هؤلاء الحشويَّة للمصلحين بالوهابيَّة رمي الروافض لاهل السنة بالنواصب وتلقيب القدرية لهم بالجبرة وتسمية الجهميَّة لهم بالمجسمة المشبهة . على ان هذه الاقاويل لا تغمط من قدرهم ولا تحطُّ من علمهم شيئًا بل على العكس من ذلك فانها قد تكون واسطة لرفعة شأنهم وتالق شهرتهم كما قال الغزالي : " واستحقر من لا يحسد ولا يقذف واستصغر من بالكفر او الضلال لا يعرف فاي داعٍ اكمل واعقل من سيد المرسلين (صلعم) وقد قالوا انهُ مجنون من المجانين واي كلام اجل واصدق من كلام رب العالمين وقد قالوا انهُ اساطير الاولين . . . " ومن ذلك قول ابن حزم : " ومن حقق النظر وراض نفسهُ على السكون الى الحقائق وان آلمتها في اول صدمة كان اغتباطهُ

بذم الناس اياهُ اشد واكثر من اغتباطهِ بمدحهم اياهُ ... "

بيد اني مع كل هذا وذاك اراني في حاجة شديدة تدفعني الى ان أُلفت انظار الجمهور الى انهُ لايسوغ الاعتماد في مثل هذه الحال على تقول الخراصين من اولئك الطغام الحشويَّة انصار الحزب القديم او الاخلاد الى الجمود على ما نقل عنهم هؤلاء ومن لفَّ لفهم من الناغة . اذ لو اخذنا القول على عواهنهِ كما يلقى على مسامعنا جزافاً دون بحث ولا نظر لاختلط الحابل بالنابل والعالم بالجاهل ولم نعد نميز بين من كان في قومهِ مثال الكمال فاتى باعمال عظيمة واحسن صنعاً وبين من كان شرًّا مجسماً فعاث في الارض فساداً وساء عملاً

والوقوف على جليَّة الامر يجب ان تقلب صفحات التاريخ وننظر ما أُثر عنهم من فتي وقول وما ابقوا من عمل . ولا يكفي ذلك لمعرفة حقيقتهم تمام المعرفة بل يجب ان نستقرئ حركاتهم ايام حياتهم استقراء علميًّا دقيقاً ثم بعد ذلك يخول لنا ان نحكم عليهم بعد ان كنا تصوَّرناهم حق التصوُّر فان وجدناهم طبق ما يقال عنهم قبلناهُ وحولنا مجرى افكارنا والاَّ رفضناهُ باخمص اقدامنا وضربنا بهِ عرض الحائط

ومما يجري هذا المجرى ويجدر العناية بهِ واعطائهِ جانباً من التمحيص والتدقيق مسألة (الوهابيَّة) التي طار في عامة الاقطار نبأها واستلمت زمامها (الحشويَّة) فاصبحت تديرها ما شاءت وشاء لها الهوى حتى غمض الحق على طالبهِ فذهب بين جهل شيوخ السوء واغراض اعداء التجديد . وما كان احرى بهؤلاء ان لا يخوضوا في هذه المسألة فقد آل نبأ الوهابيَّة الى ان صار سمرًا وفكاهات ومن ذلك ان كل من روى من المدرسين او الخطباء احاديث في الشرك جليًّا او خفيًّا يتناجون بانهُ يرمز للوهبنة ويسمونهُ (وهابيًّا) وهكذا اشاعتهم عن غرف القراءة العامة التي أُسست في حاضرتنا حديثاً ونوهت بها جرائد سورية وبيروت بانها منتدى الوهابيَّة . ومن النكت الغريبة ان احد الشيوخ عندهُ لوح مكتوب عليهِ كلمة (ياوهاب) وعليهِ أُطار نفيس فقيل عنهُ انهُ لم يؤثر هذه القطعة الاَّ لانهُ مغرىً بالوهابيَّة ومغرم . وكذلك من كان اسمهُ (عبد الوهاب) صار يقال لهُ ان اباهُ كان وهابيًّا حتى أثر تسمية ابنهِ باسم زعيم تلك الفئة مع ان زعيمهم يدعى " محمد بن عبد الوهاب " فكان الاجدر تسميتهم (محمديَّة) . وهكذا قل عن تلقيبهم الاهرام والمقطم واشباههما بانها جرائد الوهابيَّة . ومثلهُ تشهيرهم بان كل من هاجر من وجه الاستبداد نازحاً عن بلادهِ هو من الوهابيَّة وكذلك ابطال الحريَّة وخطباء الدستور مما يضحك الثكلى ويبكي العاقل

وهكذا الحال الآن فلا تسمع في المنتديات عامة كانت او خاصة الاَّ الوهابية والوهبنة

لكل من انكر منكرًا او ناقش في امرٍ او بحث في مسئلة · وقد عرف الجميع سر المسئلة بل انقلب على القائمين على الوهابيّة الأمر وانعكست القضيّة اذ زرعوا في اذهان العامة من الرجال حتى النساء متفرداتهم وما يؤثر عنهم واصبح كثير يدقق في تلك المسائل ويلهج بها ويسائل عنها النبهاء المنورين ليصل الى اصلها · وكثيرٌ من اولي السذاجة والفطرة توهّبن بفضل تلك الثورة التي هاج ثائرها منذ عهد غير بعيد

ولقد كان بعض الفلاسفة يسر جدًا باشهار بعض المسائل ولفظ العامة بها او اضطهاد الحكومة لاجلها فيقول : " لا انجع من ذلك لاشهار امرها وادخالها الى كل اذنٍ ودار " وكان يقول : " لو شعر الثائرون في وجه امرٍ والقائمون عليهِ ماذا ينتج ثورهم وهياجهم من رد الفعل وانعكاس الامر عليهم لقبعوا رؤُسهم ولم ينبسوا ببنت شفة "

***

قالوا : " الحقيقة بنت البحث " نعم · وهذا ما حدا بي الى ان آتي في هذه العجالة على نتفٍ من حقيقة امر هؤلاء الوهابيّة ليتبين الرشد من الغي ويعلم اولئك الموهون ان للحق انصارًا وان التاريخ لا يترك كبيرةً ولا صغيرةً الاّ احصاها · وبعد فمن هم اولئك الذين يفترى عليهم ما يفترى ؟ ...

هم اولئك الطائفة الحنابلة التي تتمذهب بمذهب الامام احمد وعقيدتهِ لم يخرجوا عنها قيد شبر وهم يتبرأُون من الشرك الجليّ والخفيّ الذي حذر منهُ النبي (صلعم) وهم يعتقدون ان الله سبحانهُ اقرب الى الانسان من حبل الوريد وانهُ على كل شيء شهيد وانهُ امر ان يدعى وحدهُ كما جاء في الاية : " قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن " وفي أُخرى " ادعوني استجب لكم " وانهُ يتوسل اليهِ باسمائهِ الحسنى وصفاتهِ العليا

هم اولئك الذين يقدمون احاديث النبي (صلعم) وآثار اصحابهِ على غيرها ومذهبهم في صفاتهِ تعالى مذهب السلف لا تشبيه ولا تعطيل " ليس كمثلهِ شيءٌ وهو السميع البصير "

هم اولئك الذين على مذهب اهل السنة والجماعة (السلف) يمقتون المعتزلة والخوارج وكل فرقةٍ ليست على مشرب السلف الصالح ولا همَّ لعلمائهم الاّ البحث في الاصول والفروع ولا لعامتهم الاّ السعي وراء الاكتساب والاتجار وهم لا يأكلون لحم اخ بغيبة ولا يمشون بنميمة ولا تبدر على أسلات السنتهم بوادر القذف ولا يسلسون لانفسهم العنان فينهمكون في الفحش والموبقات وهم ليسوا بثعالب روّاغة يمكرون او يخدعون وهم احرارٌ جادون في طلب العلم اينما حلوا وحيثما وجدوا

وانك لا تراهم مرّة لاعبين او عابثين وهم يفرون من البدع فرارهم من المجذوم وبالجملة فماذا يقال عن اخلاص قوم عُرفوا بالتمسك في الاسلام وهم في مقدمة كل طوائفه ايماناً وايقاناً . ويرحم الله احد الافاضل حيث قال : "لو تجسم الاسلام بانسان لكان اهل نجد رأسهُ"

هذا ما نعرف عنهم كما دلتنا عليهم مصنفاتهم التي ألفها اهل الراي الراجح والعلم الصحيح منهم كما رأينا ذلك في غير واحدٍ من التواريخ التي تبين سيرتهم احسن تبيان كتاريخ (الجبرتي) وغيره . واذا لم تكن هذه الطائفة كما ذكرنا فليأتنا المعاندون ببرهان من كتبهم يناقض ما نسطرهُ هنا او فليدلوا بحجة ما تخالف ما نقولهُ ان كانوا من الصادقين

ليت شعري بما يجيب ذلك المعاند الذي يرميهم بانواع الكفر والضلال اذا قلت : بانهم يقيمون الصلوات الخمس باوقاتها ويؤدون زكاة اموالهم بانصبائها وانهم يصومون شهر رمضان ويزورون البيت الحرام على الطريقة المأثورة ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً

ماذا يكون جوابي اذا رفعت عقيرتي قائلاً انهم فئة يكدون ويكدحون في جهاد هذه الحياة ويفارقون الاهل والاوطان ابتغاء النفع والانتفاع والكسب من الحلال فيتجرون بالعقود المشروعة ولا يتحيلون لشبهاتها بل ولا يرضون ان يعيشوا عيشة الاذلاء الانذال كلاً على غيرهم

نحن نسأل ذلك الرجل الذي يرميهم بشبهة في دينهم : هل رأى واحداً منهم في حانات الخمور ثملاً معربداً او بين اذرع المومسات ضاحكاً مستبشراً ؟ .. او هل يقدر ان يثبت انهم اكلوا اموال الناس بالباطل واختلسوا المدارس باموالها واوقافها

ولقد علم قيامهم بشعائر الدين في حلهم وترحالهم وتصلبهم في ذلك والتورع في معاملاتهم كل من خبرهم كما عرف ذلك منهم معاملوهم من التجار في كل قطر ومصر. بيد انهُ انتقد عليهم مسائل اشتهرت ويرى الجمهور فيها نظراً وقد كثرت عليهم الردود لاجلها وربما كان في تلك الردود شية من الحق ولكن على الباحث ان ينصف . والحق يقال ان زعيمهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يأتِ بشيء من عندهِ وانما دعا الى نصوص ظفر بها وعثر عليها وهي لمن تقدمهُ من الائمة المشاهير ممن سبقوا على عصرهِ بنحو ستمائة سنة

ولا ريب ان من تقدمهُ كانوا ائمة مجتهدين عرفهم التاريخ والمجتهد مأجور باتفاق علماء المذاهب على الاطلاق ولا ينكر على امام مجتهد على كل حال

وانها لكلمة ذهبية فاه بها الامام مالك (رضي الله عنهُ) قائلاً : ما منا إلا من ردَّ او رُدَّ عليهِ الاَّ صاحب هذا القبر (يعني النبي صلعم) والحق ضالة كل احدٍ المنشودة تؤخذ من

اي وعاء خرجت وعن اي صدرٍ صدرت . وما على الراد الاَّ ان ينبذ الهوى والعصبيَّة وان يقف عند حدود آداب الجدل والمناظرة وينظر في اقوال محاوره نظر المنصف الحكيم وكما يجب ان يراجع الردود يجب عليهِ ان ينظر في ردود الردود ليزداد بصيرة وعلماً ويتجلى لهُ الحق تمام الانجلاء

ولئن كان يؤثر عنهم تنطع وغلوٌ في بعض المسائل فما من احدٍ الاَّ وعُدت عليهِ هفوات ما خلا المعصومين . والاصل الاصيل هو الاعتصام باصول الايمان وقواعد الايقان . وعلى فرض تنطعهم وغلوهم فهم لم ينفردوا بذلك اذ لم يخلُ مذهبٌ من متنطعين غالين يرون ما هم عليهِ صواباً وما لغيرهم خطأً إلا ان كل متنطع في اي مذهب كان اول من يبرأ منهُ المنصفون المعتدلون من اهل مذهبهِ فاحرِ بغيرهم .

ويكفي مريد الحق وطالب الانصاف في شأن الوهابيَّة ما كتبهُ شيخ الفقهاء الحنفيَّة بمصر المؤرخ الشهير الامام الجبرتي فليتتبعهُ المنصف بدقة وليتأمل ما يقضيهِ العقلاء وما يحكم بهِ المنصفون . وحرامٌ على من لم يراجع تاريخ الجبرتي في شأنهم ان يبهتهم رجماً بالغيب وهو مطبوع ومتداول يمكن ان يستقرىءَ هذا البحث منهُ في نحو يوم فليعمل الطالب همتهُ ولينزع عنهُ عصبيتهُ ليرى صدق ذلك الفاضل بقولهِ « لو تجسم الاسلام بانسان الخ .. » و يعلم ان بعض الظن اثم

ما كان الجبرتي وهابياً ولا نجدياً ولا حنبلياً وانما كان حنفياً بل مفتي الحنفية في مصر في عهد المرحوم محمد علي باشا الذي حاربهم . ما منع الجبرتي وهو مفتي عاصمة مصر تدر عليهِ مرتبات محمد علي ان يتكلم بالحق في الوهابيَّة ومحمد علي يحاربهم ما احتفظ عليهِ بذلك ولا كادهُ ولا اضمر لهُ السوء ولا رمتهُ علماء الازهر بالوهبنة مع انتشار كتابهِ في ايديهم والشغف بنسخهِ وعدّ الظفر بهِ من اعظم الكنوز العلميَّة التي تتزين بها المكاتب

لمَ ذلك يا ترى ؟ ..

لان محمد علي عاقل حكيم منصف محب للعلم والحقائق لا يرى ان حربهم الاَّ لامر سياسي وهو الاستعمار وان لا حرب في المسائل الدينية ولان العلماء في الازهر أئمة فضلاء يذعنون للحق وينقادون لهُ وهم يرون أمثال ماينشرهُ الجبرتي عنهم حقائق لا تشوبها شائبة وهم ولا إيهام

وبعد فلسنا نقول ذلك تشيعاً لهم او تحزباً فان ذلك من شأن المتعصبين الجامدين بل دلالة على مكان المدح وحذراً من بخس الناس اشياءهم واستبراء للدين من قذف البريء وبهت المؤمن وفي ذلك عبرة لقوم يذكرون

باحث دمشقي

ندوة العلماء ودار العلوم

انشأ مسلمو الهند جمعيةً علميةً دينيةً سموها ندوة العلماء وقد اهتمت هذه الندوة بانشاء مدرسة كبيرة سمتها دار العلوم واحتفلت في آخر شهر نوفمبر الماضي بوضع حجر زاويتها · وقد وصفت ذلك مجلة البيان التي تطبع في مدينة لكنوءُ ببلاد الهند فقالت ما خلاصتهُ

عقدت حفلة ندوة العلماء في ٢٨ و٢٩ و٣٠ نوفمبر الفارط في مدينة لكنوءُ فامها المسلمون من كل الاصقاع من الامراء والعلماء والوجهاء وكانت الحفلة بهيجة لم يرَ الناس مثلها في حسن انتظامها و بلاغة ما أُلقي فيها من الخطب الداعية الى نشر المعارف واعادة مجد العربية في بلاد الهند ومحو المراسم والبدع التي تجري عليها العامة باسم الدين ورفع الخصام المللي واصلاح ذات البين وتوطيد الاخاء والوئام بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم · وتمت الحفلات ولم يحدث فيها ما يريب ذوي الالباب او يشين الجمعية المعروفة بندوة العلماء

وقد اجتمع في هذا الاحتفال جمهور كبير من صنوف الناس فيهم المسلمون والافرنج والهنود وكان بين المسلمين اهل السنة وعلماؤهم والشيعة ومجتهدوهم والمقلدون والمستقلون والصوفيَّة والاحناف والوهابية والمتفرنجة · وهو اول اجتماع ديني حفل اهل المدن المختلفة كأنما هو طاقة رياحين مختلفة نفحاتها والوانها

ولما حانت الساعة المعينة اتى الوالي السر جون هويت وقرينتهُ فاستقبلهما اعضاء الندوة واتوا بهما الى الدكة المقامة لجلوسهما فجلسا على كرسيين من الفضة وافتتح الاحتفال بعد ان تلا القارئ آيات من القرآن الحكيم وقُدمت الى الوالي عريضة الحال فاجاب عنها بخطبة مسهبة اثنى فيها على الخطة التي سارت عليها الندوة من رفع الخصام ونشر المعارف الحديثة ممزوجة بعلوم الدين وعدَّ اعضاء الندوة من مخلصي دولتهِ · وقام بعد ذلك مع جماعة من وجهاء المسلمين ووضع حجر اساس المدرسة

اما عريضة الحال التي قدمتها الندوة اليهِ فهذا نصها على ما في مجلة البيان

مولانا الاكرم: نحن اعضاء ندوة العلماء نرحب بكم من حيث كونكم نائب الحكومة في هذه الايالة ونشكركم على اجابتكم دعوتنا لوضع حجر اساس دار علوم الندوة فيشكركم على ذلك كافة المسلمين فان الندوة كأنها لسان حال الامة ولا يوجد قيد شبر من الارض الا وفيهِ انصارها وحماتها وقد استبان بهذا ما للدولة الانكليزية من التسامح الديني الذي هو من مزايا الامة الانكليزية خاصة والذي هو ملاك والحكومة عمودها فان الندوة ليست الاجمعية دينيَّة

مولانا الاكرم : نحن نستدعي من حضرتكم ان تسمحوا لنا بابداء مطالب الندوة وطوارئها التي من احد مظاهرها الجلية دار علومنا هذه

مولانا الاكرم : ان المسلمين منذ وجدوا الى يومنا هذا لم تزل فيهم طائفة تلقب بلقب العلماء وهم قادة الحزب الاسلامي في امور الدين واحكامه والامة كانت تقفو اثرهم وتتبع هداهم في كل ما يتعلق بالدين ولو في امور الدنيا وكانوا انموذجاً لتمدن الاسلام ومكارم اخلاقه ٠ والامر الذي استوجب وجود هذه الطائفة هو ان ما تتقوم به جنسية المسلمين ليس خصوصية الاقليم ولا الشعب ولا الاسرة كما في للامم الاخرى بل كل من اعتنق دين الاسلام يحصل له كل ما كان للمسلمين قاطبة على اختلاف جنسيته وعشيرته ومبدئه ولما لم يكن للمسلمين حزب يختص بدعوة الدين كانت الامة تحتاج الى مثل هذه الطائفة لكي لا تحيد عن قصد المحجة وهذا الامر دعي الى ان نشأت طائفة كبيرة من العلماء لا يقل عددهم عن امثالهم في الامم الاخرى ٠ ومن مزية امم الاسلام ان العلم كان فيها يكتسب لاجل العلم فقط مع صرف النظر عن كل مرعى ٠ وغاية ما في هذه الامة من احترام العلم والخضوع له والتفاني فيه امر لا تشاركها فيه امة حتى ان الرؤوس المتزينة بالتيجان كانت تخضع له كرامة والحق ان تأخر الامة ما كان الا بعد ما فقدت هذه الطائفة مزاياها فذهب ما كان لها من المكانة عند القوم وحينئذٍ حرمت الامة من قيادتها وتبدد نظامها وعند ذلك اشتغلت هذه الطائفة بمحقرات الامور وبلغ الحال الى ان رفعت الشكاوي الى المحاكم السلطانية فقام حينئذٍ حزب من العلماء لسد الخلل واقامة معالم الاصلاح وكان من اول مظاهره هذه الجمعية المسماة بالندوة انعقدت حفلتها الاولى في كانون سنة ١٨٩٣ م وفي سنة ١٨٩٨ م صادقت الحكومة عليها رسميًّا وبلغت حفلاتها اثنتي عشرة حفلة اجتمعت فيها العلماء وعامة الناس على اختلاف اهوائهم واذواقهم ٠ اما مطالب الندوة فتنحصر مهماتها في اربعة امور

(١) ترقية المدارس العربية واصلاحها

(٢) رفع المخاصمات الدينية

(٣) اصلاح امور المعاشرة والاخلاق

(٤) نشر الاسلام وكل ما يتعلق بالمنافع العمومية

في بدء الامر ظهر الترحيب بالندوة من جميع الامة كافة فتوسعت حينئذٍ في مطالبها وكان من اول مساعيها انها اجتهدت في رفع الخصام الحادث في احزاب الامة واصلاح ذات البين وفازت في ذلك الى حد لا يستهان به وكذلك سعيها بتخفيض نفقات عوائد الفرح والالم

لم يذهب ادراج الرياح ثم ان الندوة اقامت دارًا للافتاء في لكنو ومحلاً للايتام في كانفور
ولكن كان اهم مطالبها امر التعليم فاُصلح ما فسد منهُ ليكون سبباً لوجود شرذمة تهدي الناس في الامور الدينية . ومن البيّن ان التعليم الصحيح هو الذي يزيل كل داء اعترى الامة وحجزها عن سبيل رقيها ونظرًا الى ذلك اسست الندوة في سنة ١٨٩٨ م مدرسة سمتها بدار العلوم كانت في اول الامر مدرسة ابتدائية ثم تحولت الى كلية في سنة ١٩٠١ م وصارت كأنها اساس جامعة دينية
ولما كان امر التربية اعظم خطرًا من التعليم تأسست دار اقامة الطلبة
ولكن كان من شؤم الحظ ان الامة لم تقدر مسعى الندوة حق قدره فالفئة القديمة اساءت الظن ان ادخال الفلسفة الجديدة في نصاب التعليم يورث وهناً في الدين حتى الفت كتب ورسائل في تكفير حزب الندوة
وفوق ذلك ان الناشئة الجديدة ايضاً كانت تتقاعد عن الاخذ بناصرنا فانها كانت تحسب ان الندوة تقيد حرية الافكار وكانوا عاجزين عن فهم منافع احياء العربية اصلاً ومع ان الندوة كانت دريئة لسهام كلتا الطائفتين لم تزل لها قدم وازمت محجتها واختارت لنفسها جادة وسطاً فرتبت نصاباً جديدًا رجح فيه جانب الادب والعلوم الدينية ومع ان دار العلوم لم يمض عليها ردح من الزمان انشأت تلاميذ يقدرون على ارتجال الخطب من غير روية وهذا شيء لم يسبق لهُ مثيل وكان يعد امرًا نادرًا في ابان الحكومة الاسلامية ايضاً وقد اضفنا في نصاب التعليم الفلسفة الجديدة وكانت هذه بدعة تعد كفرًا في المدارس القديمة . ومما زادت الطين بلة انا ادخلنا في نصابنا تعليم اللسان الانكليزي لزوماً فكان من ثمرته حرمان الندوة من بعض المساعدات المالية حتى ان بعضاً منهم استرجع ارضاً كان وقفها على دار العلوم ولم نال جهدًا في الاستفادة مما لاهل الغرب من الاكتشافات الجديدة في العلوم العربية
وخزانتنا تحتوي على اكثر ما كتبهُ المستشرقون في امثال هذه المسائل وعلى كتب غير هذه تصلح ان تكون زيناً لكل متحف علمي وتلامذتنا لم مزيد شغف في الاستفادة عن تلك الخزانة ويوجد فيهم من يكتب في مجلة الندوة مقالات علمية يستحق التنويه بها
والآن اردنا ان تنشئ لجنة يكون اعضاؤها تلامذة مدرستنا الذين يقفون حياتهم على الفحص عن المسائل العلمية المهمة
فبناء على ما توارثنا من آبائنا لا نأخذ للتعليم اجرة ونريد ان نوسع نطاق التعليم حسبما تعيننا على ذلك المساعدات المالية ومن اهم مزايا مدرستنا ان الذين بقوا على الحيادة عن

المدارس الدولية لاجل التعصب الديني او لاجل عدم الثروة لا يتحون الا الى مثل التعليم الذي اختارتهٔ الندوة فانها جعلت تعليمها تحت سيطرة التعليم الديني

ونحن نجترئُ على ان نعرض على مسامعكم ان دار علومنا مع قلة بضاعتها وقصر باعها اربت على امثالها من كلا النوعين بنوع خاص فانهم ابعد ذيلاً عن التقشف وبراءً من الفخفخة الفاسدة ومع ان مدرستنا لا تقدر على احداث طائفة يصلحون للتوظف في اعمال الدولة ولكن نحن على ثقة ان مدرستنا تنشئُ رجالاً يقدرون على اطفاء الثورات الحالية التي تريد اعتاء سيطرة الخالق والمخلوق معاً رجالاً يكون من شيمتهم الاستكانة للاكابر والمواساة للجار والتواضع للعامة وفوق كل ذلك الانقياد للحكومة والخضوع لها

فمدرستنا تنفخ في طلبتها روح المسامحة الدينية التي فتحت ابوابها لكل حزب فلم تمتن طلبتنا ولا اساتذتهم بالمشاجرات التي حدثت اليوم بين الفئتين العظيمتين من المسلمين وعلماء لجنتنا لا يزالون يدعون الناس الى الخير والصلح فنرجو من دار علومنا والمدارس التي تتبع سبيلها انها تخرّج طلبة سيسودون الامة ويملكون ازمتها مرة اخرى ويحسمون الشقاق ويشقون عصا النفاق ويصيحون لتوسعهم في المعارف الحديثة والقديمة واسطةً موصلةً بين الفئة الناشئة وحزب التقهقر العتيق ونحن على يقين من ان المسلمين كما يسلم اذعانهم لحكومتهم يزيدون من هؤلاء العلماء الناشئين طاعة وانقياداً للحكومة . والآن نقدم الى جنابكم ازكى التشكرات حيث تفضلتم علينا بقطعة من الارض لترفع عليها قواعد مدرستنا وبعد ذلك نحن نشكر الذين بلغنا من مساعدتهم ومساعيهم الى هذا الحد ونخص من بينهم اولاً سمو النظام امير حيدر اباد الذي نغترف جود امارتهِ من نعومة اظفارنا وان لم نرزق زيارتهُ حتى الآن وبعد ذلك نؤدي مفترض الولاء الى سمو الملكة اميرة بوفال التي تمنحنا وظيفة سنوية ونبث ايادي امارة باولفور التي رفدت اميرتها غير ما تسمح بهِ امارتها سنوياً بمنحة تساوي خمسين الف روبية هيأتنا لنتشرف بان يضع سعادتكم حجر اساس كليتنا

ونرى من واجباتنا ان نذكر من غير هؤلاء الكرماء الذين اخذوا بايدينا وساعدونا بما توخينا من الخير كرنل خان بهادر عبد المجيد خان وزير خارجية امارة بتياله ونحن نشكر المستر اي ال ساندرس والمستر اس ايچ بطلر مي٠ اي٠ اي والمستر ال ام جايلك الذين نصرونا بتحصيل القطعة التي انعمتم بها علينا وفي الختام نحن نشكر جنابكم من صميم افئدتنا حيث نصرتمونا بما ثنيتم الينا من اعنة فضلكم ونعيد مرة اخرى تشكرنا الذي نقدمهُ الى جنابكم حيث قبلتم ان تضعوا بيدكم الكريمة حجر الاساس . والآن نسألكم ان تأخذوا بهذا العمل الخطير الذي يبقى على كر الدهر

الحالة المالية

انتهى العام بخسارة على القطر المصري لم تقع في عام من الاعوام السالفة منذ الاحتلال البريطاني الى الآن فان قيمة الواردات زادت فيهِ على قيمة الصادرات نحو اربعة ملايين من الجنيهات فاضطر القطر ان يدفع هذه الاربعة الملايين من النقود التي كانت عندهُ او يستدينها او تبقى ديناً عليهِ . وقد ذكرنا في الجدول التالي قيمة الصادرات والواردات في كل سنة من السنين العشرين الاخيرة

السنة	قيمة الصادرات	قيمة الواردات
١٩٠٨	٢١ ٣١٥ ٦٧٣	٢٥ ١٠٠ ٣٩٧
١٩٠٧	٢٨ ١٠٣ ١٨٥	٢٦ ١٢٠ ٧٨٣
١٩٠٦	٢٤ ٨٧٧ ٢٨٠	٢٤ ٠١٠ ٧٩٥
١٩٠٥	٢٠ ٣٦٠ ٢٨٥	٢١ ٥٦٤ ٠٧٦
١٩٠٤	٢٠ ٨١١ ٠٤٠	٢٠ ٥٥٩ ٥٨٨
١٩٠٣	١٩ ٥٣٩ ٥٢٤	١٦ ٧٥٣ ١٩٠
١٩٠٢	١٨ ٠٤٦ ٩٣٩	١٤ ١٨٤ ٦٨٤
١٩٠١	١٦ ١٥٣ ٩٦٤	١٥ ٢٤٤ ٩٣٨
١٩٠٠	١٧ ١٢٤ ١١٤	١٤ ١١٢ ٣٧٠
١٨٩٩	١٥ ٦٥٨ ٩٥٦	١١ ٤٤١ ٨٠٢
١٨٩٨	١٢ ٠٧٠ ٠١٢	١١ ٠٣٣ ٢١٩
١٨٩٧	١٢ ٥٥٢ ٦٣٩	١٠ ٦٠٣ ٦٧٢
١٨٩٦	١٣ ٤٤٢ ٢٧٩	٩ ٨٢٨ ٦٠٤
١٨٩٥	١٢ ٨٤٦ ٥٩٧	٨ ٣٨٩ ٩٣٣
١٨٩٤	١٢ ٠٧٨ ٣٨٤	٩ ٢٦٦ ١١٦
١٨٩٣	١٢ ٩٥٤ ٣٥٢	٨ ٧١٨ ٧٣٥
١٨٩٢	١٣ ٥٠٥ ٧٩٦	٩ ٠٩١ ٤٨١
١٨٩١	١٤ ٠٢٠ ٣٧٠	٩ ٢٠١ ٣٩٠
١٨٩٠	١٢ ٠٠٤ ٢٥١	٨ ٠٨١ ٢٩٧
١٨٨٩	١٢ ٠٦٦ ٤٩٩	٧ ٠٢٠ ٩٦١

ويظهر من ذلك ان قيمة الصادرات كانت تزيد دائماً على قيمة الواردات ولاسيما في اوائل سني الاحتلال ولم تختل هذه القاعدة الا سنة ١٩٠٥ فزادت قيمة الواردات قليلاً عن قيمة الصادرات ثم كان ما كان في السنة الماضية اذ نقصت قيمة الصادرات عن قيمة الواردات نحو اربعة ملايين من الجنيهات اي ان القطر المصري اضطر ان يوفي من قيمة صادراته ثمن كل الواردات اليه ويوفي ايضاً فائدة دين الحكومة ودين الاهالي للبنوك فان كان قد اوفى كل ما يطلب منهُ فقيمة الصادرات لا تفي بذلك ولا بدَّ من ان يكون قد استعان بنقود كانت مدَّخرة عنده او بنقود استدانها من البنوك . وسيظهر مما يلي انهُ فعل الامرين اي اوفى بقية ثمن الوردات وفوائد الديون من نقود كانت عندهُ ومن اموال استدانها من البنوك

وظاهر الامر ان الحالة سيئة جدًّا لان قيمة الصادرات نقصت عن قيمة الواردات مبلغاً طائلاً تنزح تحتهُ بلاد غنية وهو نحو اربعة ملايين جنيه كما تقدم وفائدة دين الحكومة نحو ثلاثة ملايين ونصف وفائدة ديون الاهالي واقساطها للبنوك نحو ثلاثة ملايين ونصف والجملة ١١ مليونًا من الجنيهات بقيت مكسورة على القطر في العام الماضي

ولكن الحالة المالية ليست في هذه الدرجة من السوء للاسباب الآتية

اولاً . ان قيمة الصادرات تقدَّر في الجمارك المصرية باقل من قيمتها الحقيقيَّة بعشرة في المئة . والقطن منها خاصة جُعل متوسط ثمن القنطار منهُ في العام كلهِ ٢٦٨ غرشاً اي ثمن القنطار المحلوج المرزوم الواصل الى السفن في الاسكندرية لان اجرة حلجهِ وحزمهِ ونقلهِ الى السفن يأخذها اهالي القطر . ولا نبالغ اذا قلنا ان هذا التقدير ينقص عن الثمن الحقيقي عشرين في المئة وكذا ثمن البزرة فاذا اضفنا الى تقدير الجمارك عشرين في المئة لا نكون بعيدين عن الصواب وهذا يجعل الزيادة في ثمن الصادرات اربعة ملايين من الجنيهات على الاقل

ثانياً . إن سكان القطر المصري يكتسبون من السيَّاح والسفن ومما عندهم من الاسهم والسندات سواء كانت من الدين المصري او من القروض والشركات الاجنبيَّة نحو مليوني جنيه في السنة

ثالثاً . ان قيمة الواردات في العام الماضي من الآلات الحديدية ونحوها بلغت نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات واكثرها لسكة الحديد فالحكومة دفعت ثمنها من اموالها الاحتياطية . وجانب كبير من خشب البناء استعملتهُ الحكومة في مبانيها وما بقي من الآلات والادوات والخشب والحجارة ونحوها استعمل في تشييد المباني فهو رأس مال باقٍ في البلاد .

ولا يخفى اذا قلنا ان الحكومة ابدلت ثلاثة ملايين من اموالها الاحتياطية ودخلها السنوي بآلات وحجارة واخشاب زادت بها ثروة القطر فهي رأس مال فيهِ . وعليهِ يجب ان يضاف الى حساب القطر اولاً اربعة ملايين جنيه من ثمن الصادرات . ثانياً مليونا جنيه مما ينفقهُ السواح والسفن ومما يناله السكان لما عندهم من الاسهم والسندات . وان يطرح من ثمن الواردات ثلاثة ملايين جنيه مما استبدلتهُ الحكومة واضافتهُ الى الثروة العمومية فيصير مجموع الداخل ٢٧ مليوناً من الجنيهات وصافي الخارج ٢٩ مليوناً من الجنيهات فلم ينكسر على القطر والحالة هذه سوى مليونين من الجنيهات استدانهما الاهالي من البنوك

فحالة القطر المالية ليست سيئة جداً كما يظهر بادئ بدء وقد كنا نظن انها اسوأ مما ظهر لنا بعد حساب الداخل والخارج على ما تقدم ومع ذلك لا يزال السبيل واسعاً لزيادة "الايرادات" وتقليل "المصروفات" والزيادة تقوم بزيادة الاعتناء بالزراعة حتى يزيد محصولها . فلو بُذلت العناية في العام الماضي لاتلاف دودة القطن ومنع تولد الندوة لما نقص محصول القطن كما نقص ولما كان نوعهُ واطئاً كما جاء والفرق من هذا الباب وحدهُ يبلغ اربعة ملايين او خمسة من الجنيهات . واذا زاد الاعتناء بحرث ارض الحبوب وتسميدها فلا يبعد ان يزيد محصول الفدان اردبًا على الاقل وهذا يجعل فرقاً في محصول القمح والذرة لا يقل ثمنهُ عن اربعة ملايين من الجنيهات

واذا اعتنت الحكومة واصحاب الفنادق بترغيب السياح في المجيء الى القطر المصري وقضاء فصل الشتاء فيهِ فلا حدَّ للربح الذي يناله من ذلك فقد احصى بعضهم ان اهالي سويسرا يربحون من السياح كل سنة اكثر من ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات . ولا عبرة بما يقولهُ بعض قصيري النظر من ان ربح الفنادق يذهب الى الاجانب لان اموال الفنادق تنفق كلها في البلاد واذا اشترت بعضها مواد آتية من اوربا فتكون قد دفعت ثمنها عن القطر كأنها اخرجتها من قيمة الواردات التي يجب ان نحاسب اوربا عليها

هذه ثلاثة مصادر كبيرة لزيادة الايراد الاول دفع الآفات عن القطن . والثاني الاعتناء بزراعة وزراعة الحبوب على انواعها حتى يكثر محصولها ويجود . والثالث ترغيب السياح حتى يزيد ورودهم الى القطر المصري وتزيد رغبتهم في الاقامة فيهِ

اما تقليل النفقات فلا يكون في مواد الطعام كالحنطة والدقيق والرز والسكر واللحوم على انواعها لانَّ هذه المواد من الحاجيات فاذا كان المستخرج من البلاد لا يكفي لحاجة سكانها فلا بدَّ من جلبهِ من الخارج ولا يكون في مواد الكساء الضرورية لطبقات السكان

ولكنهُ يكون في جلب الصحيح الخالي من الغش من هذه المواد كما سيجيء في مقالة اخرى وفي الكماليات وما لا فائدة منهُ كالخمور على انواعها والتبغ والتنباك . وهاك ثمن ما ورد من هذه الاصناف في العام الماضي بالجنيهات المصرية

الخمر	١٦٦٠٠٢
البيرة	١٠٠٧٤٠
الالكحول	٠٣٩٨٤٧
سائر الاشربة الروحية	١٤٠١٣٤
التبغ	٨٠٨٦٥٧
التنباك	٠٣٢١٤١
السيكار والتبغ المفروم	٠١٩٧٤٤
	١٣٠٧٢٦٥

فهذه مليون وثلث من الجنيهات يمكن الاستغناء عن جانب كبير منها

اما الحبوب على انواعها فمسألتها هامة جدًّا و يظهر لنا انهُ يمكن ان يزيد مقدارها كثيرًا اذا سمدت ارضها بسماد كيماوي يزيد المحصول فقد ثبت لكثيرين ان ما ثمنهُ جنيه من السماد الكيماوي يزيد محصول الذرة نحو ثلاثة ارادب او اربعة و يزيد محصول القمح اردبين او ثلاثة

وقد بلغ ثمن مواد اللباس اربعة ملايين من الجنيهات وبينها اشياء كثيرة يمكن الاستغناء عنها قد لا يقل ثمنها عن مليون جنيه اضف الى ذلك الاثاث الفاخر والطيوب وسائر ادوات الزينة مما يبلغ ثمنهُ نحو مليون جنيه ويمكن الاستغناء عن نصفهِ بسهولة والمرجح انهُ يسهل اقتصاد مليون جنيه من ثمن هذه المواد كلها وسيضطر القطر اضطرارًا الى ذلك اذا بقيت الضيقة المالية على ما هي عليهِ الآن

وزبدة القول ان السنة الماضية سنة غير عادية في نقص قيمة صادراتها عن قيمة وارداتها ولكن خسارتها ليست كبيرة جدًّا كما يظهر لاول وهلة وانهُ اذا توفرت الحكومة والامَّة على الاعتناء بالزراعة وترغيب السياح في المجيء الى القطر وتقليل النفقات غير الضرورية زادت الثروة العمومية زيادة كبيرة وكل ذلك من الامور الميسورة

المكتشفات الكبيرة ووسائلها الحقيرة

نشرت مجلة البال مال التي صدرت في اول فبراير مقالة للاستاذ رمسن الكيماوي بيَّن فيها كيف ان كثيرًا من المكتشفات الكبيرة كشف ووسائل المكتشفين حقيرة جدًّا وذكر امثلة لذلك من تاريخ الكيمياء فقال ان دلتون ابا الكيمياء كان مدرسًا وكان يبحث في الكيمياء وليس لديهِ سوى ابسط الادوات مما صنعهُ بيدهِ . وهاك مثالاً من التجارب التي جرَّبها فاكتشف بها حقيقة مهمة من الحقائق الطبيعية قال انهُ اخذ كاسًا عادية واسعة من اعلاها ضيقة من اسفلها قطر فوهتها بوصتان ونصف بوصة وعمقها ثلاث بوصات (اي من الاكواب التي توجد الآن في كل بيت) وملأها ماء مما كان في غرفتهِ وحرارتهُ مثل حرارة الغرفة ووضع ترمومترًا في الماء بصلتهُ التي فيها الزيبق في اسفل الكاس وقصبتهُ الطويلة التي تقرأ عليها الدرجات خارج الكاس . ثم احمى محراك النار الى درجة الحمرة وغطس رأسهُ الحامي في الماء الى عمق نصف بوصة وابقاهُ في الماء نصف دقيقة فقط ووضع بصلة الترمومتر حيث كان رأس المحراك فوجد ان الماء قد سخن هناك وبلغت حرارتهُ الدرجة ١٨٠ (فهرنهيت) ثم انزل البصلة الى اسفل الكاس فوجد الحرارة هناك بعد خمس دقائق ٤٧ درجة وبعد عشرين دقيقة ٥٢ درجة فاثبت ان الماء ينقل الحرارة من دقيقة الى اخرى خلافًا لما قالهُ الكونت رمفورد العالم الطبيعي قبلهُ .

واكثر المباحث الطبيعية التي بحث فيها لم يستعمل لها سوى بعض الخناجر والانابيب وكثيرًا ما كانت تعوزهُ انابيب الزجاج فيستعمل انابيب الخزف بدلاً منها . وقد كانت نتيجة بحثهِ في الغازات والسائلات انهُ توصل الى التعليل البديع المعروف بالرأي الجوهري اي ان عناصر الاجسام مؤلفة من جواهر تتحد بعضها مع بعض على نسب محدودة فتتكون منها المركبات الكيماوية . وهذا الرأي او التعليل افاد علم الكيمياء فائدة لا تقدر وصارت بهِ الكيمياء علمًا معقولاً .

ومن الذين افادوا علم الكيمياء ووضعوا اساسهُ شيل الاسوجي ولعلهُ اكبر العلماء المكتشفين . نشأ في اواخر القرن الثامن عشر وكان فقيرًا سقيمًا واضطر ان يتعاطى بيع الادوية ليكتسب منها ما يسد رمقهُ . ومن مكتشفاتهِ العظيمة عنصر الاكسجين وهو اهم العناصر الطبيعية كلها وقد كان اكتشافهُ اكبر مرغب في المباحث الكيماوية واكتشف ايضًا عنصر الكلور الذي يستعمل في قصر المنسوجات واكتشافهُ مما زاد رغبة العلماء في هذا العلم . وقد

اكتشف هذين العنصرين وليس لديهِ الاَّ ما يوجد في احقر الصيدليات او دكان من دكاكين الادوية من الخناجر والانابيب

ومن مكتشفاتهِ الكيماوية الكثيرة الحامض الهيدرفلوريك والطرطريك والبنزويك والزرنيخوس والبنيك والشوريك والمليك والاكساليك والمنصيك واكتشف الباريتا وغاز الهيدروجين المكبرت وصنع املاح المغنيسيا وزرنيخيت النحاس واثبت ان الهواء مؤلف من عنصر يعين على الاشتعال وهو الاكسجين وعنصر يمنع الاشتعال وهو النيتروجين وكان شغلهُ في التحليل والتركيب معاً على غاية الدقة والاحكام مع قلة وسائطهِ كما تقدم

ومن الكيماويين الذين اكتشفوا اكتشافات كثيرة في علم الكيمياء على قلة وسائطهم برزليوس وهو اسوجي ايضاً. وقد وصف وهلر الكيماوي الالماني معملهُ الذي كان يشتغل فيهِ قال وقفت امام بيت برزليوس وقرعت الجرس وقلبي يخفق ففتح لي رجل سمين وهو برزليوس نفسهُ وسار بي الى معملهِ وانا لا اصدق اني وصلت الى حرم العلم الذي كانت نفسي تتوق اليهِ. وكان المعمل غرفتين ساذجتين لا غاز فيهما ولا حنفية ماء ولا اتون. وكل ما فيهما مائدتان من الخشب الابيض احداهما لبرزليوس والاخرى معدة لي وكان هناك بعض المواد الكيماوية وحوض من الزيبق وقنديل. واناء كبير من الخزف لصب الماء وغسل الآنية وتحتهُ نصف برميل من الخشب يصب الماء الوسخ فيهِ والمطبخ ملاصق للغرفة وفيهِ حمام رملي

هذا هو المعمل الذي اشتغل فيهِ برزليوس واكتشف اكتشافاتهِ الكثيرة ووضع العلامات الكيماوية واكتشف كثيراً من العناصر حتى عدَّ من اكبر واضعي علم الكيمياء الحديث

وليبغ الذي صار اكبر كيماوي في الدنيا كانت وسائطهُ قليلة مثل وسائط برزليوس ولما جعل استاذاً لعلم الكيمياء في مدرسة جيسن لم يكن في المانيا كلها معمل كيماوي فاستعمل مكان علف المواشي معملاً وصنع الآلات والادوات اللازمة لذلك وكانت من ابسط ما صنع وجعل يعلم الكيمياء بالعمل واكتشف اكثر مكتشفاتهِ الكيماوية وهو هناك ولما ذاع صيتهُ وعرف فضلهُ نقل الى مدرسة مونخ الجامعة وتيسر لهُ انشاء معمل كيماوي كبير كثير الآلات والادوات لم تعد اشغالهُ كثيرة ولا مكتشفاتهُ مهمة

ذكر لورد ريلي انهُ زار هيوز مخترع الميكروفون فلم يجد عندهُ من الآلات والادوات التي استعان بها على اختراعهِ سوى بعض علب من العلب التي توضع فيها خيطان الكبريت وقضيب او قضيبين من شمع الختم وبعض المسامير وبطرية صغيرة صنعها من كاس عادية من كؤوس الشرب

وقال الاستاذ رمسن ان الاستاذ رولند الاميركي كان يعمل التجارب الطبيعية والكيماوية في المطبخ ويستخدم كل ما تجدهُ يدهُ من الادوات والآنية · واكثر هؤلاء العلماء لم يكونوا يعرفون ما تأول اليهِ مكتشفاتهم فلم يخطر على بال دلتن وهو يجري التجارب في الغازات والسائلات انهُ وضع اساس علم الكيمياء ولا على بال شيل ان تجاربهُ تؤدي الى اكتشاف الاكسجين والكلور وما ينتج عن اكتشافهما علماً وعملاً ·

وما كان ميسوراً لعلماء اوربا منذ مئة سنة لا يزال ميسوراً لهم ولغيرهم الآن ولكن المكتشفات التي يتيسَّر اكتشافها بهذه الوسائل الحقيرة قد كشفت كلها ولم يبقَ منها خفيًّا الاَّ ما لم ينتبه لهُ احد· فاذا أُريد الآن اكتشاف شيء لم يكشف قبلاً فلا بدَّ من الالتجاء الى وسائل التحليل والتركيب التي يتعذر وجودها في غير المعامل الكيماوية والطبيعية الكبيرة· ومَن يقرأ وصف الاعمال التي عملتها مدام كوري وزوجها حتى اكتشفا عنصر الراديوم يجد انهما تعبا على استخلاص هذا العنصر اكثر مما تعب دلتن وشيل على اكتشاف اكثر مكتشفاتهما· ومن يقرأ عن الاعمال التي عملها مواسان لاجل اكتشاف وسيلة لعمل الماس يجد انهُ تعب في هذا السبيل اكثر مما تعب برزليوس في اكتشاف مكتشفاتهِ كلها وما ذلك الاَّ لان القدماء اكتشفوا ما كان اكتشافهُ ميسوراً ولو كان من الحقائق الاساسية الكبيرة وهذا لا ينفي ان يكون في حيز الخفاء حقائق اخرى جوهرية واكتشافها ميسور وهي مغطاة بقشة كما يقول العامة وتنتظر من يرفع القشة عنها ويظهرها للعيان وقد يكون الرافع لهذه القشة من غير العلماء المتبحرين لكن ذلك نادر لا يبنى عليهِ حكم والغالب ان اكتشاف الحقائق الجديدة يكون بالبحث عنها والاستعداد لها حتى يكون الباحث يقظاً لينتبه الى كل ما يراهُ ولو عثر عليهِ عثوراً

ولم يقفل الباب في وجه طالب علم وباحث عن حقيقة فان اليابانيين على حداثة عهدهم قد اكتشفوا من المكتشفات الكيماوية والباثولوجية والبكتيريولوجية ما يحق لهم ان يفاخروا بهِ· وقس على ذلك الايطاليين والروسيين فلم تنحصر المكتشفات العلمية بالانكليز والفرنسويين والالمانيين والاسوجيين بل بابها مفتوح لكل الباحثين المدققين الذين يطلبون العلم لذاتهِ ويغوصون وراء دررهِ · ولعلنا نحن ابناء الممالك العثمانية من اضعف الناس همة واقلهم اهتماماً بالبحث العلمي فقد اشاع المعمل الكيماوي الخديوي منذ سنوات كثيرة انهُ اكتشف عنصراً جديداً اطلق اليهِ اسم المصريوم وحتى الآن لم يعلم خواصهُ ولا حقق وجودهُ ·

ولا خير في الميدان الاَّ صلابها ولا ناهضات الطير الاَّ صقورها

مناجاة الارواح

نبهتنا اسئلة سُئلناها في الشهر الماضي الى مقالة للاستاذ نيوكم الفلكي الاميركي الذائع الصيت نشرت في جزء يناير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية يظهر منها ان بحثهُ اوصلهُ الى ما اوصلنا اليهِ البحث في ما يقال عن مناجاة الارواح وصدق الاحلام وما اشبه. ثم ردَّ عليهِ السر اوليفرلدج العالم الطبيعي في جزء فبراير من تلك المجلة فرأَينا ان نلخص المقالة الاولى والثانية لان الموضوع من اهم مواضيع البحث في هذه الايام

قال الاستاذ نيوكم ما خلاصتهُ: — اذا ادَّعى كبار العلماء انهم اكتشفوا اكتشافاً مهمَّاً فالغالب ان الناس يصغون اليهم بالوقار ويقبلون قولهم بالاجلال ما لم تقم عندهم ادلة قوية على نقضهِ او على الشبهة فيهِ وقد شذَّت عن هذه القاعدة دعويان لهما شأن كبير فيحق ان نوجه اليهما نظرنا وهما دعوى تفاعل العقول بعضها ببعض ودعوى فعل المادة بالعقل والعقل بالمادة وما كان من هذا القبيل فانهما قديمتان جدًّا سابقتان لعصر التاريخ والناس ميالون الى تصديقهما ومع ذلك نرى جمهور العلماء ينكرونهما ويعدونهما من قبيل الخرافات القديمة التي اهملها العلماء بعد ارتقاء العقل فقد اهملوا السحر واهملوا معهُ كل ما يقال عن فعل العقول بعضها ببعض بغير واسطة الحواس الظاهرة. ولكن قام الآن اناس من كبار العلماء وقالوا ان اسلافنا لم يخطئوا في ما كانوا يعتقدونهُ من هذا القبيل وان ما نحسبهُ من قبيل الخرافات لهُ اصل حقيقي لا شبهة فيهِ. ومن هؤلاء ثلاثة لهم القدح المعلَّى بين العلماء وهم السر اوليفرلدج والاستاذ برت والسر وليم كروكس. وقد قالوا ان العقول تتفاعل عن بُعد وان نفوس الموتى محيطة بنا وهي تقرع ابوابنا. فاذا كان ذلك من الحقائق المقررة فهو من اهم الامور لانهُ يخرج اعتقادنا ببقاء النفوس من حيز الايمان بما لا يدرك بالحواس الى حيز العلم بما يدرك بها ويجعلهُ من الحقائق العلمية ويفتح لنا مجالاً واسعاً لتربية عقولنا على ادراك ما في عقول غيرنا فنصير نتحادث مهما كانت المسافات شاسعة بيننا ويقرأُ بعضنا افكار البعض الاخر كما نقرأُ صحف الاخبار. واذا كان الامر كذلك وجب على من ينكرهُ ان يبين الاسباب التي تحملهُ على الانكار والاَّ فسكوتهُ دليل على احتقارهِ لشأن الموضوع

واذ التفتنا الى جمهور الناس رأَينا منهم فريقاً صغيراً جدًّا يؤيد ما تقدم من تفاعل العقول ومناجاة الارواح وفريقاً كبيرًا ينكر ما تقدم او يقول انهُ خالٍ من كل دليل. وفريقاً ثالثاً بَيْنَ بين يصدق الاخبار التي تروى عن تفاعل العقول ومناجاة الارواح ولكنهُ يقول

ان العلم لم يجد لها حلاً حتى الآن وهذا الفريق كبير ايضاً واعضاؤهُ من اهل العلم

قال الاستاذ نيوكم انهُ لما كان ولدًا كان يحاول جعل امهِ تفتكر بهِ بمجرد افتكارهِ بها فلم يفلح . ثم لما شاعت اعمال المدَّعين مناجاة الارواح منذ خمسين سنة بقرع الابواب والموائد امتحن بعضها فرأى فيها من السخافات ما جعلهُ يهزأ بها و يستخف بهذا الموضوع كلهِ

وسنة ١٨٥٨ احتدمت نار الجدال في جريدة من جرائد اميركا في امر مناجاة الارواح والوسطاء وانتهى الجدال بان واحدًا عرض مبلغاً طائلاً من المال جائزة للوسيط الذي يحرك مائدة من غير ان يلمسها او يقرأ ورقة من غير ان يراها او يقرع قرعة لا يُعرف سببها . واشترط ان يكون ذلك امام لجنة يعينها هو . فقبل رئيس المعتقدين بمناجاة الارواح طلبهُ واتى باشهر الوسطاء من اماكن مختلفة . والفت اللجنة من ثلاثة وهم الاستاذ لويس اغاسز واستاذان آخران من اساتذة مدرسة كمبردج الاميركية وجرى الامتحان في نزل بوستن فلم يفلح الوسطاء في شيء واستصغر اولئك الاساتذة انفسهم لما رأوا انهم جلسوا ساعة بعد ساعة ولم يروا شيئاً يستحق الذكر . ولم يعمل الوسطاء الا بعض ما يعملهُ المشعوذون عادةً وكان عذرهم عن فشلهم ان الارواح لا تظهر امام اناس لا يؤْمنون بها . ومن ثم لم يعد الاستاذ نيوكم يعبأُ بما يسمع عن مناجاة الارواح بل كان يقول للذين يكلمونهُ في هذا الموضوع ايتوني بوسيط تعتقدون صدقهُ ودعوني امتحنهُ على انفراد واخيرًا وجد الوسيط المطلوب وهو فتاة اسمها لولو هرست عملت اعمالها المدهشة امام جماعة كبيرة وهو بينهم لكنها لم تدعِ انها فعلت شيئاً خارق العادة بل اظهرت كيف فعلت كل ما فعلتهُ . واتضح حينئذٍ ان كل ما سمعهُ الاستاذ نيوكم عنها قبلاً كان من قبيل المبالغة والوهم . وكان هناك جمهور من مخبري الجرائد فصدرت جرائدهم وفيها اغرب الاخبار كأَنَّ الفتاة فعلت اعجب ما يدعيهِ مناجو الارواح

ثم انشئت جمعية اميركية للبحث في المسائل النفسيَّة على نسق الجمعية الانكليزية المنشأَة لهذا الغرض وجُعل الاستاذ نيوكم رئيساً لها فبحث ودقَّق وحقق فلم يجد ما يخرج عن حد المألوف او عن حد الافعال الطبيعيَّة المعروفة

ومن غريب الاتفاق ان الخطة التي جرى عليها الاستاذ نيوكم جرينا عليها نحن ففي حدود الرابعة والسبعين اشتهر امر التنويم المغنطيسي ومناجاة الارواح في مدينة بيروت وكان هناك امرأَة ايطالية تدَّعي انها تكتشف الخفايا وتقرأُ الافكار و بلغنا عنها امور كثيرة خارقة العادة واخيرًا دُعينا لمشاهدتها مع جماعة من الادباء وقيل لنا انها هي طلبت ذلك لتقنعنا فرأَيناها ولم نرَ غير سخافات يستطيعها كل محتال . ثم اشتهر كمبرلند بقراءة الافكار

واستعظم الناس امره ولاسيما بعد ان جاء القطر المصري ورأى الخديوي السابق ورسم صورة كان الخديوي يفكر فيها . ففسرنا فعله في المقتطف قبل ان رأيناه ثم عرض اعماله امام جمهور كبير في نزل شبرد فلم نرَ فيها غير ما فسرناه سابقاً وفسّر هو اعماله كما فسرناها نحن على مسمع ذلك الجمهور ومع ذلك سمعنا كثيرين منهم يتحدثون باعماله بعدئذٍ وينسبونها الى قوة روحية تفوق الطبيعة ولا يزالون على اعتقادهم هذا الى اليوم

وبعد ان مهّد الاستاذ نيوكم التمهيد السابق طرق الموضوع من جهة اخرى فاشار الى نوعين من البحث بحث فيهما السر وليم كروكس احدهما اكتشافهُ الاشعة التي تصدر من القطب السلبي في الانابيب المنسوبة اليهِ وهي التي شرحناها في بعض المجلدات السابقة حالما اكتشفها واكتشف ايضاً حركةً في بعض المواد لم يعلم لها سبباً . ومرّت السنون من غير ان تظهر اهميّة هذين الاكتشافين . وسنة ١٨٩٥ اكتشف الاستاذ رنتجن ان بعض الاشعة الصادرة من انابيب كروكس تخترق الاجسام غير الشفافة وتؤثر في الواح التصوير الشمسي وفي نحو ذلك الوقت اكتشف بكرل ان اشعة مثل هذه تصدر من الاورانيوم وللحال تناول العلماء هذين الاكتشافين واشتغلوا بهما في كل مكان ووسعوا نطاق البحث فاكتشفوا الراديوم وفعل الاشعاع وكادت المكتشفات الحديثة في هذا الباب تقلب نظام العلوم الطبيعيّة رأساً على عقب

هذا من قبيل اكتشاف كروكس الاول والآن ننظر الى ما تم في اكتشافهِ الثاني :—
انشئت جمعية المباحث النفسية قبلما قام رنتجن بعشر سنوات وغرضها البحث عن القوى الخفيّة وتأثير العقول بعضها ببعض من غير توسط المادة واكتُشف حينئذٍ اكتشاف قدّر لهُ قلب العلوم العقلية كلها لا سيما وان امتحانهُ بسيط جدًّا فانهم اجلسوا شخصاً على كرسي واغمضوا عينيهِ ووضعوا في يدهِ قلماً وورقة ووقف واحد وراءهُ وبيدهِ اشكال هندسية ينظر اليها ويمعن نظرهُ فيها وكلما نظر الى واحد منها صوَّر الرجل المغمض العينين صورتهُ بيدهِ . وظاهر الامر ان عقل الرجل الذي كان ينظر الى الشكل الهندسي اثر في عقل الرجل المغمض العينين فارشد يدهُ الى رسم شكل مشابه لهُ . وأُبدلت الاشكال الهندسية بصور اخرى فصوَّرها الرجل المغمض العينين فظهر من ذلك ان عقل الواحد يؤثر في عقل الآخر من غير وسائط التأثير العادية كالكلام واللمس

ولا يخفى ان هذا العمل بسيط لذاتهِ يسهل اجراؤهُ في كل مكان وفي كل بيت لانهُ لا يقتضي الا ورقة وقلماً من الرصاص لا مثل امتحان انابيب كروكس وما تقتضيهِ من

الآلات الكهربائية الكبيرة الثمينة . فكان المنتظر ان اكتشاف طريقة انتقال الافكار او تأثير العقول بعضها في بعض يذيع ويشيع في كل الدنيا اكثر مما يذيع استعمال اشعة رنتجن بالف مرة وقد مضى الآن خمس وعشرون سنة على هذا الاكتشاف ولكن ما هي نتائجهُ العلمية . لا شيء . وما ذلك الاَّ لان ما قيل عن انتقال الافكار لم يثبت ثبوتاً علميًّا ولا دلَّ على ناموس طبيعي يمكن اتباعهُ والجري عليهِ وان اشعة رنتجن وفعلها حقيقة علمية لان كل احد يستطيع ان يولّدها و يستعملها اذا استخدم الآلات اللازمة لتوليدها واستعمالها

اما انتقال الافكار فاذا ظهرت الطرق التي يتم فيها حتى اذا جربها ايٌّ كان نجح كما نجح غيرهُ اي نقل افكارهُ كما ينقل الذين يدَّعون نقل الافكار افكارَهم صار انتقال الافكار حقيقة علمية . وقد حاولت جمعية المباحث النفسية معرفة الاحوال التي تنتقل فيها الافكار بالامتحان فوجدت ان الافكار تنتقل تارة ولا تنتقل تارةً اخرى ولم اجد في ما نشرتهُ في السنوات العشر الاخيرة انها تقدَّمت اقل خطوة في هذا الموضوع والظاهر ان النجاح في نقل الافكار يكون على اقلهِ اذا كان التدقيق في تجنُّب الخطإ على اكثرهِ دلالة على ان الخطأ سداهُ ولحمتهُ . وقد كثر الاهتمام بموضوع آخر وهو "التلبثي" اي الشعور عن بُعد او نقل الافكار الى الاماكن البعيدة ولكن ان كانت الافكار تجد صعوبة في الانتقال من انسان الى آخر والبعد بينهما بضع اقدام فكيف تنتقل من مدينة الى اخرى البعد بينهما شاسع جدًّا . وقد رووا حوادث كثيرة من هذا القبيل نشرت في الكتاب المعنون بتخيُّلات الاحياء وهي على هذا النسق :—يهجس انسان او يحلم ان صديقاً او نسيباً اصيب بمكروه ويؤَثر ذلك في ذهنهِ تأثيرًا شديدًا حتى يخاف من صدق ما هجس او حلم بهِ . وفي الصباح او حالما يصل البريد يأتيهِ كتاب وفيهِ خبر المكروه الذي اصاب صديقهُ او نسيبهُ في الساعة التي هجس اوحلم فيها . وقد اجتهد جامعا ذلك الكتاب وهما الاستاذان غرني وميرس في جمع كل الادلة التي تثبت صحة ما ذكراهُ فيهِ من الاخبار فرأَيا ان كثيرًا منها يدل دلالة قاطعة على علاقة سببيَّة بين الحادثة وشعور من شعر بحدوثها . ولكن ألا يمكن تعليل ذلك باسباب معلومة غير انتقال الافكار فاذا كان ذلك ممكناً فلا داعي لفرض انتقال الافكار لانهُ لا ينبغي فرض اسباب مجهولة حيث يمكننا تعليل المعلولات باسباب معلومة ولا سيما اذا كانت الاسباب المجهولة بعيدة عن المألوف اوعن المحتمل كانتقال الافكار

اما الاسباب التي تدعو الناس الى الاعتقاد بانتقال الافكار فكثيرة اولها مزج الصدق بالكذب على اسلوب يجعل التمييز بينهما صعباً فيدعي الذين يثبتون انتقال الافكار حدوث

امور لم تحدث حقيقةً ولكنهم توهموا حدوثها توهماً لكثرة ما سمعوا عنها كأن يقولون ان فلاناً نوّم فلانة وهو بعيد عنها وهي لا تدري انهُ يقصد تنويمها في الوقت الذي نامت فيهِ والحقيقة انهُ لم ينومها الاَّ وهي عالمة انهُ يقصد تنويمها في الساعة التي نامت فيها .

وثانياً حذف امور مهمة من الخبر لو ذكرت فيهِ لكشفت سببهُ وازالت غرابتهُ . وقد تفحصت مرةً حادثة من هذا القبيل فقد قيل ان سفينة حربيةً غرقت وغرق ربانها واكثر بحارتها وقبلما سافرت سفرتها الاخيرة هجس احد رجالها انها ستغرق وطلب ان يعفى من البقاء فيها فلم يُجَب طلبهُ فعصى امر رؤسائهِ وترك السفينة فحوكم في مجلس عسكري كهارب من الخدمة ثم كان من غرقها ما كان . وقد ثبت لي لدى البحث ان القصة صحيحة بنوع عام ولكن ينقصها امر يزيل كل غرابتها وهو ان ذلك الرجل كان كثير الهواجس وقد هجس مراراً كثيرة ان السفينة ستغرق ولم تغرق ولا سافرت سفرتها التي غرقت فيها الاَّ بعد ما خرج منها ببضعة اشهر وقد سافرت سفرات كثيرة بعد ما خرج منها وقبلما سافرت سفرتها الاخيرة التي غرقت فيها . فلما علمت واقعة الحال زالت الغرابة كلها

اذا حدثت حادثة لشخص ما وتأثر شخص آخر بعيد عنهُ وقت حدوثها لا يجوز ان يقال ان التأثير ناتج عنها الاَّ اذا كانت هي حقيقية وكان التأثير غير عادي . وفي اثبات ذلك كلهِ مجال واسع للخطإِ فاننا كلنا معرَّضون للخطإِ في ما نتذكرهُ ولاسيما اذا اردنا ان نعين الوقت الحقيقي الذي حدثت فيهِ الحادثة وحدث فيهِ التأثير . وما اقل الذين يستطيعون ان يتذكروا ما حدث لهم امس او اول امس ساعة بعد ساعة من غير خطإٍ بزيادة او نقصان او ادخال امور حدثت في ايام سابقة . والظاهر ان الذين يكتبون عن انتقال الافكار لا يحسبون حساب ما يقع في ذلك من الخطإِ . والغالب ان الخطأ يمازج الصواب ويبقى كذلك ولا سبيل الى اصلاحهِ . وما ادرانا ان ليس كل الاتفاقات الغريبة هي من قبيل الخطإِ ولا يعلم الخطأ من الصواب الاَّ اذا وجد دليل قاطع على حدوث الحادثة كما وقعت تماماً ويجب ان يكون مكتتباً ومؤرخاً بحيث تنفى كل شبهة وهذا قلما يوجد او لا يوجد مطلقاً

ولا اتذكر الاَّ حادثة واحدة استشهد فيها بشهادة شخص خارج عن المشتركين فيها فقد ذكر غرني وميرس سنة ١٨٨٤ حادثة جرت للسر ادمنند هرنبي قاضي مجلس القضاء القنصلي في شنغاي مفادها ان مخبراً من مخبري الجرائد زارهُ ليلاً وطلب منهُ صورة حكم كان عازماً ان يصدرهُ في اليوم التالي فقام من سريرهِ واملى على المخبر ما كان عازماً ان يقولهُ في الصباح وصرفهُ بعد ان وبخهُ لانهُ اقلقهُ . ولما قام في الصباح ونزل الى المحكمة بلغهُ

ان المخبر المشار اليهِ مات بغتةً في الليلة الماضية ولما بحث عن الساعة التي مات فيها وجد انها تنطبق على الساعة التي تخيل فيها ان المخبر ايقظهُ فقام واملى عليهِ صورة الحكم . وقال غرني ومبرس ان زوجة القاضي وافقت على صحة ما قالهُ زوجها

ولما وصل ما نشراهُ الى شنفاي رآهُ بعض العارفين بواقعة الحال فاثبتوا ان بين وفاة المخبر والحلم الذي حلم بهِ ذلك القاضي شهورًا كثيرة وأُخبر القاضي بذلك فاعترف انهُ كان يعتقد صحة ما رواهُ لما رواهُ . وواضح من ذلك ان الحادثة الوحيدة التي تدل دلالة قاطعة بشهادة شاهد على صحة انتقال الافكار وجدت لدى البحث مبنية على الوهم

ولا بد من احصاء الحوادث التي تصدق والتي لا تصدق حتى يعلم هل صدق التي صدقت مبني على سبب او هو من قبيل الاتفاق فاذا وضعنا مليون حبة من حبوب الحنطة البيضاء في كيس ووضعنا معها حبة واحدة سوداء واغمضنا عيني ولد وجعلناهُ يمد يدهُ الى ذلك الكيس ويستخرج منهُ حبة واحدة فالاحتمال انهُ يستخرج الحبة السوداء قليل جدًّا جدًّا فاذا مد يدهُ واستخرجها اول مرة استغربنا ذلك ثم اذا اعيدت الى الكيس ومدَّ يدهُ ثانية فاستخرجها ايضًا حكمنا ان الامر خارق العادة فاما انهُ استعمل حيلة ما او توجد جاذبية خصوصية بين يدهِ وحبة الحنطة . ولكن اذا استدعينا ثلاثين مليون نفس وطلبنا من كل واحد منهم ان يمد يدهُ الى الكيس ويستخرج منهُ حبة ثم يردها اليهِ حق لنا ان ننتظر ان اولئك الثلاثين مليونًا يستخرجون الحبة السوداء نحو ثلاثين مرة واذا استخرجوها عشر مرات فقط حكمنا انهُ يوجد سبب يبعد اياديهم عنها او انهُ وقع غلط في عدد المرات . فالمسألة اذًا متوقفة على احصاء المرات التي تصيب فيها الحوادث والمرات التي تخطئ فيها فاذا أُحصيت الحوادث التي وقعت فيها الاصابة واهملت الحوادث التي وقع فيها الخطأ فالحكم المبني على الحوادث المصيبة غير صحيح

وقد ظهر من استقراء جمعية المباحث النفسية ان عشر الناس معرَّض للخيالات والتخيلات والهواجس والاحلام وعليهِ فالذين يتخيلون ويهجسون من بين الناس كلهم يعدون بالملايين الكثيرة فاذا تخيلوا موت اقربائهم وانسبائهم ولم يمت منهم حينئذٍ الاَّ شخص واحد من كل مليون فعدد الذين يموتون حينما يتخيلونهم يجب ان يكون كثيرًا . ومعلوم اننا نتذكر ما يصدق من احلامنا وهواجسنا وننسى ما لا يصدق فلا تناسب بين ما يصدق وما لا يصدق . وزد على ذلك اننا اذا حلمنا حلمًا ثم حدث ما حلمنا بهِ نعلقهُ بالحلم وزمانهِ ولو حدث بعدهُ ونوفقهُ عليهِ ولو كان مخالفًا لهُ من وجوه كثيرة على غير قصد منا

لما نشرت مقالة الاستاذ نيوكم ونعقبها المستر ستد في مجلة المجلات الانكليزية وعنون

ما كتبهُ عنها بكلام مأثور عندهم وهو " لا اشد عمىً من الذين لا يريدون ان يبصروا "
وذكر حادثة جرت لهُ يعتقد انها حجة قاطعة على انتقال الافكار قال ان سيدة من صديقاتهِ تكتب بيدهِ اي تحرك يدهُ حينما تريد مهما كانت بعيدة عنهُ فيكتب ما تملي عليها باسهل مما تكتب في يدها . وكانت هذه السيدة قد مضت الى هسلمير مكان يبعد عن لندن نحو اربعين ميلاً واراد المستر ستد ان يعرف هل هي باقية هناك فاخذ القلم بيدهِ ووضعهُ على القرطاس وسألها في ذهنهِ هل رجعت الى لندن فكتبت يدهُ ما ترجمتهُ
" يسوءُني ان اخبرك انهُ اصابني ما غاظني جدًّا واكاد اخجل من ذكرهِ وهو اني خرجت من هسلمير بعد الظهر بساعتين و ٢٧ دقيقة وكان معي في مركبة سكة الحديد امرأتان ورجل فلما وصل القطار الى غودلمن نزلت المرأتان وبقيتُ وحدي مع الرجل فلما سار بنا القطار قام من مكانهِ وجلس الى جانبي فخفت وابعدتهُ عني فحاول ان يبوسني فقبضت على مظلتهِ وضربتهُ بها فانكسرت وخفت ان يتغلب عليَّ ولكن القطار خفف سيرهُ حينئذٍ لانهُ دنا من محطة غلدفورد فخاف الرجل وتركني ونزل قبلما وصل القطار الى الرصيف وركض هاربًا وترك المظلة معي "
قال المستر ستد وارسلت كاتبي اليها وارسلت معهُ كتابًا اقول فيهِ ان ما جرى لها كلدرني وطلبت منها ان تحضر مظلة الرجل معها حينما تأتي اليَّ . فكتبت اليَّ الجواب تقول لقد ساءني اطلاعك على ما جرى لاني كنت عازمة ان لا اخبر احدًا وسآخذ المظلة معي ولكنها مظلتي لا مظلتهُ
وبمثل هذه القصة يريد المستر ستد ان يثبت ان عقل هذه المرأة يحرك يدهُ من غير ان تشعر هي بما يفعلهُ عقلها . ولماذا لا يفسر ذلك بان الرجل كتب الحادثة كما وقعت في احدى الجرائد ولم يذكر اسمهُ واكتفى بوصف المرأة عن ذكر اسمها (والجرائد الانكليزية تذكر كل ما كان من هذا القبيل) ووقع نظر المستر ستد على الكتابة وهو مشغول بموضوع آخر فنسي انهُ قرأها وتوهم انهُ كتبها بيدهِ وهذا مما يقع لكل احد وهو اقرب الى العقل من ان عقل تلك المرأة يؤثر في يد رجل بعيد عنها اميالاً كثيرة ويفشي لهُ ما لا تريد افشاءَهُ وهي غير شاعرة بشيءٍ من ذلك . ولا ندري كيف يسهل على بعض الناس ان يبلعوا جبلاً لكي يتخلصوا من بلع قولة
اما مقالة السر اوليفر لدج فسنأتي على خلاصتها في الجزء التالي

غش البضائع

اشرنا غير مرة الى مخافة البضائع التي يجلبها تجارنا من اوربا و يتاجرون بها في الاقطار الشرقية ولاسيما ما كان منها من نوع المنسوجات . فان المنسوجات الوطنية التي تنسج من غزل وطني تفني الزمان ولا تفنى . وحتى الآن نجد في المدافن المصرية القديمة منسوجات نسجت منذ ثلاثة آلاف سنة او اربعة آلاف سنة او اكثر وهي لم تبلَ بل لا تزال امتن من المنسوجات التي يتاجر بها تجارنا اليوم . والذين يحفظون في بيوتهم اكسية قديمة مما كانت لابسةُ جداتهم من نسج القطر المصري او الشامي او الحلبي او البغدادي اذا قابلوا بينها وبين المنسوجات التي ترد الآن من اوربا او المنسوجات البلدية المنسوجة من غزل اوربي وجدوا بين الاثنين فرقاً كبيراً في المتانة وثبوت الالوان . واسباب ذلك معلومة وهي ان المنسوجات الاوربيَّة تقصر وتصبغ بمواد كيماوية تعرضها للبلى الباكر حتى ان بعضها يبلى من نفسهِ ولو لم يلبس او هي محوكة من ادنى انواع القطن والكتان والصوف والحرير وما اشبه . وقس على ذلك اكثر المصنوعات الاوربية التي يتاجر بها في الاقطار الشرقية كالاقفال والسكاكين والامتعة البيتية فانها تصنع من مواد سخيفة ولا يعتنى بعملها حتى تكون متينة .

وقد كنا نظن ان هذا الحكم يُطلَق على البضائع الاوربيَّة التي تستعمل في اوربا نفسها كما يطلق على البضائع التي يجلبها تجارنا منها لكننا رأينا بالاختبار ان الامر على غير ذلك فاتفق لنا في سفراتنا الى اوربا اننا اشترينا بعض البضائع منها من الثياب والاحذية ونحوها فوجدنا ان منسوجات فرنسا وانكلترا الحريرية لا تبلى ولو كانت مصبوغة بالصباغ الاسود الذي يبلي الحرير عادةً . وعندنا منها الآن ثياب مضى عليها خمس عشرة سنة ولا تزال على جدتها وهذا شان منسوجات انكلترا وسويسرا الصوفية والكتانية التي اشتريناها منهما فاننا وجدناها تقيم بضع سنوات ولا تبلى ولا يظهر عليها انها عتقت كثيراً مع ان ما كان شبيهاً بها من المنسوجات التي نشتريها من القاهرة لا يقيم سنة

وقس على ذلك الاجربة والاحذية وما اشبه من المصنوعات الجلدية والمعدنية فان ما يصنع منها في اوربا لاهالي اوربا يكون امتن واجود مما يُتجر بهِ في هذه البلاد كأنَّ التجار يوصون على البضاعة السوقية السخيفة عن قصد لكي تتلف سريعاً او لا يشترون الا بالاسعار الرخيصة فيضطر اصحاب المعامل ان يصنعوا لهم بضاعة سخيفة توافق الثمن الذي يشترون بهِ

وقد اشترى القطر المصري في العام الماضي من المنسوجات القطنيَّة والكتانية والصوفية

والثياب والبسط ونحوها ما ثمنهُ ستة ملايين ونصف من الجنيهات وفي العام الذي قبلهُ ما ثمنهُ سبعة ملايين من الجنيهات هذا عدا المصنوعات الخشبية والجلدية والمعدنية والاشربة الروحية وثمنها خمسة ملايين من الجنيهات . أضف الى ذلك ان اكثر دقيق الحنطة الذي يرد الى القطر مغشوش بدقيق البطاطس ان لم يكن مغشوشاً بغيره . فهذه اثنا عشر مليوناً من الجنيهات يدفعها القطر المصري سنوياً ثمن بضاعة اكثرها مغشوش لا يستعملها اهالي اوربا انفسهم بل تصنع للامم المنحطة التي تطلب الرخيص المزوق مهما كان نوعهُ واطئاً . ولا نبالغ اذا قلنا ان خسارة القطر السنوية من ابتياع هذه البضائع لا تقل عن خمسة ملايين او ستة ملايين من الجنيهات . وعلاج هذا الداء عسير ولكنهُ ليس من المستحيلات وهو يقوم بامور كثيرة

اولها تشجيع الصناعة الوطنيَّة بكل واسطة ممكنة . ولا نعني بالصناعة الوطنية الاقتصار على خياطة الثياب من المنسوجات الاوربية وعلى عمل الاحذية من الجلود الاوربية ونسج المنسوجات من المغزولات الاوربية بل استعمال المواد الاصليَّة الوطنية او التي يمكن جلبها من البلدان المجاورة وهي في حالتها الاصلية قبلما يدخلها الغش فالقطن موجود في البلاد وكذلك الصوف والكتان . والحرير يمكن جلبهُ صحيحاً نقياً من بلاد الشام فاذا نسجت المنسوجات من هذه المواد الاصلية قبلما يدخلها الغش فالثوب الذي يبلى في نصف سنة اذا كان من نسيج اوربي مما يجلبهُ التجار عادة لا يبلى في خمس سنوات اذا كان من نسيج وطني خالٍ من الغش . والجلود موجودة في هذه البلاد وفي بلاد السودان والحبشة وترسل منها الى اوربا فاذا دبغت هنا وصنعت منها الاحذية صنعاً متقناً لم تبلَ سريعاً كالاحذية التي تصنع من جلود اكثرها صناعي او مصبوغ بصبغ يبليها

وليس عندنا معادن لتصنع الادوات المعدنية منها ولا سبيل للغش في المعادن الاصلية ولكن الغش الكثير يقع في ما يصنع منها فان المصنوعات السخيفة او التي لا تكون اجزاؤُها على تمام الاحكام لا تقيم مثل المصنوعات المتينة المحكمة

اما تشجيع المصنوعات الوطنية فيكون باعفائها من الرسوم وبفرض استعمالها في كل المصالح والدوائر الاميريَّة فيكون منها ثياب الجنود ورجال البوليس ومستخدمي سكة الحديد والبوسطة وتفرش منها دواوين الحكومة واذا اريد استعمال المصنوعات في دوائر الحكومة كالموائد والكراسي والاقفال ووجد الوطني منها وجب تفضيلهُ على الاجنبي بشرط ان يكون متقناً مثل الاجنبي ومتيناً مثلهُ على الاقل

ومتى جرت الحكومة هذا المجرى في تنشيط المصنوعات الوطنية . اقتدت بها الدوائر

والمعامل الكبيرة التي تستخدم عدداً كبيراً من العمال وزادت رغبة الناس فيها

ثانيها الاكثار من الكلام على هذا الموضوع واظهار الفرق الكبير بين المصنوعات الوطنية والاجنبية من حيث الجودة والفرق بين الجيد وغير الجيد من المصنوعات الاجنبية حتى يصير جمهور الناس يميز الفرق بينهما ويشتري الجيد ويرفض ما سواه

وثالثها ترقية آداب التجار بالتعليم والتهذيب حتى لا يبيعوا الا البضائع الجيدة الخالية من الغش سواء كانت وطنية او اجنبية حاسبين ذلك واجباً وطنياً تقتضيه الذمة منهم. فان آداب بعض التجار قد انحطت الى درجة تفوق الوصف فتراهم يبيعون القطن حريراً والنحاس ذهباً وزيت القطن زيت زيتون والزبدة الصناعية زبدة طبيعية ولا يصعب عليهم ان يمزجوا الصابون بنصفهِ تراباً واللبن بنصفهِ ماء

وما قلناهُ عن الديار المصرية يقال عن سائر ولايات السلطنة العثمانية فان قيمة الواردات اليها في السنة من المغزولات والمنسوجات الاوربية نحو عشرة ملايين من الجنيهات واذا كان الغش جارياً في كل جمارك‌ها كما كان في جمرك بيروت فلا تقلّ قيمة هذه البضائع عن خمسة عشر مليوناً من الجنيهات وقيمة الواردات من سائر المصنوعات قد لا تقل عن ذلك فكم تقتصد البلاد العثمانية اذا نشطت صناعتها الوطنية واعتمدت عليها لا سيما وان فيها جميع المواد الاصلية كالحرير والصوف والقطن والجلد والمعادن على انواعها والفحم الحجري والبترول والاسفلت وما اشبه ولماذا تجلب من البلاد الانكليزية كل سنة ما ثمنهُ احد عشر مليوناً من الجنيهات ولا ترسل اليها الا ما ثمنهُ نحو ستة ملايين من الجنيهات وتجلب من بلاد النمسا ما ثمنهُ ستة ملايين ونصف مليون من الجنيهات ولا ترسل اليها الا ما ثمنهُ مليونان من الجنيهات وتجلب من روسيا ما ثمنهُ مليونان من الجنيهات ولا ترسل اليها الا ما ثمنهُ نصف مليون وتجلب من ايطاليا ما ثمنهُ مليونان ونصف مليون وترسل اليها ما ثمنهُ اقل من مليون - هذا امر يجب تدبيرهُ ولا يحسن ان يوكل الاهتمام بهِ الى الحكومة لان لديها مشاغل كثيرة بل يجب على الامة ان تدبرهُ وتسعى في اتقان الصناعة الوطنية وترويجها بكل جهدها

وخلاصة المقال ان البضائع التي يجلبها تجارنا من اوربا خفيفة ضعيفة مغشوشة لا كالبضائع التي تستعمل في اوربا نفسها وخسارة الممالك العثمانية بذلك كبيرة جداً تقدر بملايين كثيرة من الجنيهات ونقوم مداواة هذه الخلل بتنشيط المصنوعات الوطنية وتعليم الناس التمييز بين الجيد وغير الجيد من المصنوعات والصحيح والمغشوش من البضائع . وترقية آداب التجار بالتعليم والتهذيب حتى لا يبيعوا الا البضائع الجيدة الخالية من الغش وطنية كانت او اجنبية

الشعر الوصفي

بينما كنت اتصفح المجلد الثامن والعشرين من المقتطف قرأت في صفحة ٤٣٨ منهُ اقتراحهُ على "ابناء هذا العصر ان يحذوا حذو الثعالبي وابي تمام بجمع ما يستحق الجمع والحفظ من اشعار الذين نبغوا بعد زمانهما الى الآن ولو جاءَ ذلك في مجلدات. ويجب ان لا يقتصروا على ما اقتصرا عليهِ من الابواب بل ان يذكروا ايضاً ما يدخل في باب الوصف الطبيعي كوصف المدن والمباني والبلدان والرياض والحيوان والنبات والشمس والقمر والغيم والمطر ونحو ذلك ... الخ" وقد جمعت كتاباً سميتهُ (شحذ القريحة في القطعات البليغة الفصيحة) وقسمتهُ الى جزئين احدهما في الشعر والشاعر والفنون الشعرية على اسلوب جديد ومباحث دقيقة في المطالعة والحسن والخيال وتوليد المعاني الخ يقع في نحو ثلاثمائة صفحة بقطع كبير. وثانيهما في المقطعات والقصائد مبوبة على اسلوب جديد يوافق اقتراح المقتطف وينقسم الى وصف العوالم العلوية كالسماء واديمها والسيارات وتوابعها كالقمر سواء كان بدراً او هلالاً والثوابت والشمس ثم الظواهر الجوية كالاقتران والكسوف والخسوف والنيازك والرجوم والمذنبات والفجر والشفق وقوس قزح والبرق والرعد والغيم والمطر والثلج والآل والسراب والظل والنسيم والهواء. ثم وصف العوالم السفلية كالانسان وما يتعلق بهِ والحيوانات على اختلافها والنباتات واشكالها ووصف الرياض والاثمار والازهار ثم وصف الجمادات كالابحار والانهار والغدران والفوّارات والبرك والشلالات والخلجان ثم وصف العلوم والفنون والاكتشافات والاختراعات والمدن وما يتصل بذلك مما ملأ نحو الف ومائتي صفحة بقطع كبير. ولقد مثلتهُ بالطبع منذ سنوات ونشرت عنهُ مقالة سميتها (لمحة في الشعر والعصر) جعلتها كمقدمة او فذلكة لمواضيعهِ وطبعتها سنة ١٨٩٨ م ولكنَّ كساد بضاعة الادب يؤخرني عن طبعهِ ولا سيما انهُ يقتضي نفقات كثيرة لكبر حجمهِ ولقد رأيت الآن ان انتخب من بعض مواضيعهِ مثالاً يدل على ما تضمَّنهُ من الاساليب فاقتصرت على انتخاب فصل من القسم الثاني منهُ وهو في وصف الثالث من ذلك في وصف الرياض قول بعضهم :

روضٌ بهِ اشياءُ ليست في سواهُ تؤلفُ
فمن الهزار ترنمٌ ومن القضيب تقصُّفُ
ومن النسيم تلطفٌ ومن الغدير تعطفُ

وقول الآخر:

والروض قد راق العيون بحلةٍ قد حاكها بسحابهِ آذارُ
وعلى غصون الدوح خضر غلائلٍ والزهرُ في اكمامهِ ازرارُ

وقول ابن الأزرق:

تأملتُ من حسن الربيع نضارةً وقد غرَّدت فوق الغصون البلابلُ
حكت في غصون الدوح قسًّا فصاحةً لتعلم أنَّ النبت في الروض باقلُ

وقول احمد الحلبي الصنوبريّ:

خجل الوردُ حين لاحظهُ النرجسُ من حسنهِ وغار البهارُ
فعلت ذاك حمرةٌ وعلت ذا صفرةٌ واعترى البهار اصفرارُ
وغدا الاقحوان يضحك عجبًا عن ثنايا لثامهنَّ نضارُ
ثم نمَّ النمام واستمع السوسنُ لما اذيعت الاسرارُ
عندها ابرز الشقيقُ خدودًا صار فيها من لطمهِ آثارُ
سكبت فوقها دموعٌ من الطلّ كما تسكب الدموع الغزارُ
فاكتسي البنفسج الغضُّ اثواب حدادٍ دخانها الاصطبارُ
واضرَّ السقام بالياسمين الغضّ حتى آذى بهِ الاضرارُ

وقول ابي الفضل الميكالي:

روضٌ يروض هموم قلبي حسنهُ فيهِ لكأس اللهو ايُّ مساغِ
إن تنثني قضبانُ ريحانٍ بهِ حيث بمثل سلاسل الاصداغِ

وقول بعضهم:

في روضة ابدت ثغورُ زهورها لما بكى فيها الغمامُ تبسما
مدَّ الربيع على الخمائل نورَهُ فيها فاصبح كالخيام مخيما
تبدو الاقاحي مثل ثغرٍ أشنبٍ أضحى المحبُّ بهِ كئيبًا مغرما
وعيونُ نرجسها كأعين غادةٍ ترنو فترمي باللواحظ اسهما
وكذلك المنثورُ منثورٌ بها لما رأى ورد الخدود منظَّما
والطير تصدح في فروع فنونها سحرًا لتوقظ بالهديل النوَّما

وقول الآخر: ورياض تختال منها غصونٌ في برودٍ من زهرها وعقودِ
فكأنَّ الادواح فيها غوانٍ تتبارى زهوًا بحسن القدودِ

وكأن الاطيار فيها قيانٌ تتغنى في كل عودٍ بعودِ
وكأن الازهار في حومة الروض سيوفٌ تُسَلّ تحت بنودِ

وقول ابي الوليد اسماعيل بن حبيب :

فالارض في بزة من يانع الزهرِ تزري اذا قستها بالوشي والحبرِ
قد احكمتها أكفُّ المزن واكفة وطرّزتها بما تهمي من الدررِ
تبرّجت فسبت منا العيون هوًى وفتنةً بعد طول الستر والخفرِ

وقول علاء الدين بن غانم

فللهِ روضٌ زرتهُ متنزّهاً فأبدى لعينيَّ حسن مرأًى بلا دِيا
غدا الغصن فيهِ راقصاً ونسيمهُ يكرّ على من زارهُ متعديا
ترجلت الاشجار والماء خرَّدٌ نسيم الصبا اضحى بهِ متمشيا
تغني لديهِ الوُرق والغصن راقصٌ فيعرق وجه الارض من كثرة الحيا

وقول يوسف بن لؤلؤ :

باكر الى الروضة تستجلها فثغرها في الصبح بسّامُ
والنرجس الغضّ اعتراهُ الحيا فغضّ طرفاً فيهِ اسقامُ
وبلبل الدوح فصيحٌ على الايكة والشحرورُ تمتامُ
ونسمة الصبح على ضعفها لها بنا مرٌّ والمامُ
فعاطني الصهباء مشمولةً عذراء فالواشون نوّامُ
واكتم احاديث الهوى بيننا ففي خلال الروض نمّامُ

وقول ابن الوردي يصف وادي الباب او باب بزاعة في نواحي حلب :

ان وادي الباب قد ذكّرني جنّة المأوى فللهِ العجبْ
فيهِ روح يحجب الشمس اذا قال للنسمة جوزي بأدبْ
طيرُهُ معربةٌ في لحنها تُطرب الحيّ كما تحيي الطربْ
موجهُ مبتسمٌ مما بكت سُحُبٌ في ذيلها الطيب انسحبْ
فيهِ روضاتٌ انا صبٌّ بها مثل ما اصبح فيها الماء صبْ
نهرُهُ إن قابل الشمس ترى فضةً بيضاء في نهر ذهبْ

ومن وصف الازهار قول مجد الدين الاربلي وقيل انها لجوبان القواس في الورد :

أُصغي الى قول الوشاة بجملتي مستفهماً عنهُ بغير ملالِ

لملتقطي زهرات ورد حديثكم من بين شوك ملامة العذّال

وقول ابي الفتح البستي فيهِ ايضاً :

لا يغرّنك انني لين اللمس فعزمي اذا انتضيتُ حُسامُ
انا كالورد فيهِ راحةُ قومٍ ثم فيهِ لآخرين زُكامُ

وقول بعضهم فيهِ ايضاً :

ارى الورد عند الصبح قد مدّ لي فماً يشير الى التقبيل في حالة اللمسِ
وبعد زوال الشمس القاهُ وجنةً وقد اثّرت في وسطها قبلة الشمسِ

وقول الآخر في النرجس :

وقضب زبرجدٍ تعلو عليها عيونٌ لم تذق طعم الغماضِ
توهمت النامَ لما رقيباً فنكست الرؤوس الى الرياضِ

وقول جمال الدين بن مطروح في الشقائق والبهار مشبهاً :

لما وقفنا للوداع وصار ما كنّا نظنُّ من النوى تحقيقا
نثروا على ورق الشقائق لؤلؤاً ونثرتُ من ورق البهار عقيقا

وقول الآخر في الياسمين :

والأرض تبسم عن ثغور رياضها والافق يسفرُ تارةً ويقطبُ
وكأن مخضرَّ الرياض ملاءةٌ والياسمين لها طرازٌ مذهبُ

وقول مهيار الديلمي في الخزامى :

بكر العارض يحدوهُ النعامى فسقاكِ الريَّ يا دار إماما
وتمشت فيك أرواح الصبا يتأرجن بأنفاس الخزامى

وقول ابن الساعاتي في الاقحوان والشقيق والنرجس :

ما الجوُّ الاّ عنبرٌ والدوح الاّ جوهرٌ والروض الاّ سندس
سفرت شقائقها فهمّ الاقحوان بلثمها فرنا اليهِ النرجسُ
فكأن ذا خدٌّ وذا ثغر يحاولهُ وذا أبداً عيون تحرسُ

وقول بعضهم في الآس (الريحان) وتفضيلهِ على الورد :

محاسنكم كالورد لوناً وريحةً وعما قليل تنقضي مدة الورد
وحبي لكم كالآس في اللون والبقا مقيم على الحالين في الحرّ والبردِ

ومن وصف الاثمار قول ابن المعتز في الرمان :

يارب بيت زرتهُ فكأنما قد ضمني من ضيقهِ سجنُ
لم يحسن الرمانُ جمع أحبتي في قشرةٍ الاَّ كما نحنُ

وقوله ايضاً في النارنج:

وكأنما النارنج في اغصانهِ من خالص الذهب الذي لم يخلطِ
كرةٌ رماها الصولجان الى الهوا فتعلقت في جوّهِ لم تسقطِ

وقول الآخر في الأترج:

جسم لجين قميصهُ ذهبٌ مركّبٌ في بديع تركيبِ
فيهِ لمن شمّهُ وابصرهُ لون محبٍّ وريح محبوبِ

وقول ابن الشقاق في عنب اسود مغطّى بورق اخضر مرتجلاً:

عنب تطلَّع من حشى ورق لنا صبغت غلائل جلدهِ بالإثمدِ
فكأنهُ من بينهنَّ كواكب كسفت فلاحت في مياه زبرجدِ

وقول عبد الرحمن المشهور بابن الحموي في بطيخة مقطّعة وفيهِ تشبيه سبعة بسبعة

بقطّع بالسكين بطيخةً ضحىً على طبق في مجلس لاصاحبهْ
كبدرٍ بيرق قدّ شمس اهلّةً لدى هالةٍ في الأفق بين كواكبهْ

وقول بعضهم في الباذنجان:

ومستحسن عند الطعام مدحرج غذاهُ نمير الماءِ في كلّ بستانِ
تطلّع في اقماعهِ فكأنهُ قلوب نعاجٍ في مخاليب عقبانِ

وقول ابن اسرائيل في تفاحة:

حمراء في صورة المرّيخ عاطرةٌ يزري بنشر الحيا نشرُها العطرُ
اتى بها قاتلي تحوي فهل احدٌ قبلي تمشّى اليهِ الغصنُ والثمرُ

وقول ابن المعتز في الجزر:

انظر الى الجزر الذي يحكي لنا لهب الحريق
كذبةٍ من سندسٍ وبها قصابٌ من عقيق

ولهُ ايضاً في القثاء:

انظر اليها انابيباً منضّدةً من الزمرّد خضراً ما لها ورقُ
اذا قلبت اسمهُ بانت ملاحتهُ وصار مقلوبهُ اني بكم اثقُ

عيسى اسكندر المعلوف

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

❖ البَيسَة . المَنهَت (سودانيتان) ❖ Oryx beisa

❖ ابو العُرْف (سودانية) ❖ Hippotragus equinus. E. Roan antelope. F. Égocère bleu

❖ الثَّيتَل ❖ Bubalis boselaphus. E. Bubale hartebeeste. F. Bubale.

نوعٌ من الظباء الكبيرة المعروفة عند العرب ببقر الوحش وهو اشقر اللون طويل الوجه مرتفع الحارك منحدر الكفل . قرناهُ اقصر من قرني الوعل ولا ينعطفان الى الوراء الاَّ قليلاً ويلتقيان فوق رأسهِ وهو ليس جميل المنظر كالمهاة ولذلك قلما نرى لهُ ذكراً في اشعار العرب . ويوجد في فلسطين وبلاد العرب وشمال افريقية . وفي المتحف المصري في القاهرة حيوانٌ محنط منهُ

ووصف الثيتل في المؤلفات العربية مشوَّش جدًّا فهو في الدميري " الذكر المسن من الاوعال " وفي محيط المحيط " الوعل او مسنهُ او ذكر الاروى وجنس من بقر الوحش " وفي كتاب الحيوان للجاحظ " الثيتل شبيهٌ بالوعل " اي انهُ خلاف الوعل (الجزء السادس صفحة ٩٨) وقد ذكر الوعل على حدة في الصفحة نفسها . وفي الدميري ايضاً في باب بقر الوحش " الثيتل جنس من بقر الوحش " وهو الصحيح . وفي لسان العرب " الثيتل الوعل عامة وقيل هو المسن منها وقيل هو ذكر الاروى . . . . الثياتل تكون صغار القرون والثيتل ايضاً جنسٌ من بقر الوحش ينزل الجبال . . . . الثيتل من الوعول لا يبرح الجبل ولقرنيهِ شُعَب والوعول على حدة . الوعول كدر الوان في اسافلها بياض والثياتل مثلها في الوانها وانما فرق بينهما القرون . الوعل قرناهُ طويلان يلتقيان من حول ذنبهِ في اعلاه " . فتجد انهُ التبس عليهم امر الثيتل فلا هو من الوعول اي التيوس الجبلية ولا هو متشعب القرون كالأيائل بل الثيتل جنسٌ من بقر الوحش يعرف بهذا الاسم لهذا العهد واللفظة شائعة في السودان ويطلقونها على عدة انواع من كبار الظباء التي يسميها الافرنج Hartebeestes والثيتل الموجود في بلاد العرب نوعٌ منها يسميهِ العرب ثيتلاً في يومنا هذا وقد اخذ الافرنج عنهم هذه اللفظة وسموهُ Titel hartebeeste (١)

(١) The Royal Natural History, II,

وورد ذكر الثيتل في التوراة وهو تأو او تو بالعبرانية وعرّبت هذه اللفظة في الترجمة الاميركية بالثيتل في تث ١٤ : ٥ وبالوعل في اشعياء ٥١ : ٢١ وحقها ان تعرّب بالثيتل دائمًا كما هي في الترجمة اليسوعية

❖ الوحش . النوُّ [1] (معرّبة) ❖ Connochœtus. E. Gnu or wildebeeste F. Gnou

❖ الغزال ❖ Gazella. E. & F. Gazelle

❖ الرِّئم ❖ E. White gazelle. F. Gazelle blanche جنسٌ من الظباء

وهو في حجم الغزال الاعتيادي المعروف ابيض اللون يعرف منهُ نوعان احدهما يوجد في بلاد العرب Gazella marica والآخر في شمال افريقية الى مديرية الفيوم جنوبًا Gazella leptoceros وكلاهما يعرفان بالرئم الى يومنا هذا [2]. فاستعمال العرب لهذه اللفظة ينطبق على وصف الرئم في كتب اللغة وهي مجمعة على ان الرئم الظبي الخالص البياض.

وظن بوخارت وترسترام وغيرهما ان لفظة الرئم تطلق عند العرب على الوضيحي اي الاركس لان الوضيحي ابيض اللون لكن الرئم عند عرب البادية وفي كتب اللغة نوع من الظباء والظبي عندهم هو الحيوان الذي نسميهِ غزالاً وهو كذلك عند الاشوريين والعبرانيين ولم يطلق العرب هذه اللفظة الاَّ على ثلاثة انواع منهُ وهي الآرام والأدم والعفر كما ذكر ابن سيده وغيره من ايمة اللغة . اما الوضيحي فهو نوعٌ من بقر الوحش عند العرب ولهُ اسماء كثيرة ذكرت بعضها في العدد الماضي والظباء عندهم على حدة . ويظهر ان لاين من القائلين ايضًا ان الرئم هو الوضيحي وزعم ان لفظة الظبي تطلق على الكبير الحجم من هذه الحيوانات وذلك ليفسّر قولهم ان الرئم الظبي الخالص البياض وارى ان وصف الظبي واضح في كتب اللغة فهو نفس الحيوان الذي نسميهِ غزالاً [3] . ولعلهُ في زمن ترسترام ولاين لم يكن هذا الغزال الابيض معروفًا فتبادر الى الذهن ان الرئم هو الوضيحي لان هذا ابيض اللون ايضًا و يظهر ان موسوعات التوراة المطبوعة حديثًا اعتمدت على قول ترسترام و بوخارت [4]

---

(١) كلاهما تعريب المقتطف مجلد ١٩ صفحة ١٩١

(٢) Ad-Damiri by Lt.-Col Jayakar. Sportman's Handbook by Roland Ward.

(٣) انظر لفظتي رئم وظبي في معجم لاين ولا يلتبس على القارئ استعمال لفظة الظبي في الوقت الحاضر فهو اصطلاحيٌّ فقط وقد اطلقها المقتطف على ما يسميهِ الافرنج Antelope وهي تشمل بقر الوحش والظباء المعروفة عند العرب

(٤) Encyclopedia Biblica, Art. unicorn

اما الرئم المذكور في التوراة فهو حيوان آخر خلاف الرئم المعروف عند العرب وقد قامت بسببهِ مشاحنات كثيرة بين العلماء وعبّر عن هذه اللفظة بمعان والفاظ مختلفة في كثير من اللغات التي نقلت التوراة اليها فهي Monokeros في الترجمة السبعينية و Unicornis في الترجمة اللاتينية وكلاهما بمعنى وحيد القرن وهو الحريش عند العرب . واما في الترجمات العربية القديمة واخصها ترجمة سعيد الفيومي (1) فهي الرئم في بعض الآيات ووحيد القرن والكركدن والجاموس في غيرها . وقد وجدوا بعد البحث ان صفة الكركدن لا تنطبق على صفة الرئم المذكور في التوراة والرأي المعوَّل عليهِ الآن هو ان لفظة رئيم بالعبرانية وريمو بالاشورية ورئم بالعربية اطلقها قدماء الساميين على نوع من البقر الوحشيّ العظيم الجثة وقد باد هذا الحيوان من الشرق فبقيت اللفظة عند العرب واطلقوها فيما بعد على هذا النوع من الظباء من اول عهدنا بتآليفهم الى يومنا هذا وهو رأْي القانون ترسترام الاَّ انهُ قال ان العرب اطلقوا هذه اللفظة على الوضيحي وهو ما اخالفهُ فيهِ اذا جاز لي مخالفة عالم مثلهِ . ومما يرجح هذا الرأْي وجود الرئم مرسوماً على الآثار الاشورية بشكل ثور عظيم الجثة وعليهِ فقد ابدلوا وحيد القرن في التوراة الانكليزيَّة بالثور الوحشيّ كما تجد ذلك في الترجمة المنقَّحة الحديثة

اما في التوراة العربية الحديثة فاللفظة مترجمة بالرئم في بعض الايات وبالثور الوحشيّ والبقر الوحشيّ في غيرها ولا اعلم سبباً لهذا الاختلاف فاما ان تبقى كما هي اي الرئم في كل الآيات او تعرَّب بالثور الوحشيّ كلما وردت . ثم انهُ يوجد حيوان آخر خلاف الرئم يسمّى ديشون بالعبرانية وعرّب بالرئم ايضاً والمرجح عند علماء التوراة انهُ الادكس اي المهاة والآية هي "والرئم والثيتل والمهاة" تث ١٤ : ٥ وارى ان صحة ترجمتها ما يأتي "والمهاة والثيتل والاروية" (انظر المهاة والاروية في العدد الماضي)

ومن شاء زيادة البحث عن الرئم فليراجع ما كتب علماؤهم في هذا الموضوع مثل قواميس التوراة وحيوانات الكتاب المقدس وحيوانات الآثار الاشورية لهوطن ورحلة بروس في الحبشة الجزء الخامس ورحلة دوطي في بلاد العرب وغيرها

❊ الاعفر ❊ Gazella arabica. E. Arabian gazelle. F. Gazelle d'Arabie

العفر من الظباء التي يعلو بياضها حمرة وهي قصار الاعناق واضعف الظباء عدواً تسكن

(1) سعيد بن يوسف الفيومي و يسميه الافرنج سعديه احد احبار العبرانيين ومن علمائهم المشهورين وكان معاصراً للمسعودي في اوائل القرن الرابع للهجرة

القفاف وصلابة الارض (الجوهري) وهذا الوصف ينطبق على الظبي المعروف عند علماء الحيوان بالظبي العربي ويعرف بالاعفر لهذا العهد (انظر رحلة دوطي الجزء الثاني صفحة ١٤٥)

❁ الآدَم ❁ Gazella dorcas. E. Dorcas gazelle F. Gazelle dorcas

الأُدْم من الظباء غبر الالوان تعلوهن جُدَد (الجدتان الخطان على جانبي الظبي) طوال القوائم والاعناق بيض البطون سمر الظهور (ابن سيده بتصرُّف) وتعرف بهذا الاسم الى يومنا هذا كما جاء في رحلة دوطي المذكورة آنفًا واما في المغرب فانهم يطلقون هذا الاسم على نوع آخر من الظباء شبيه بالمتقدم ذكرهُ ويعرف عند علماء الحيوان بغزال كوفيه

❁ الأَدْرَع ❁ Gazella ruficollis. E. Addra gazelle. F. Gazelle a cou rouge

نوعٌ من الظباء في حجم الغزال الاعتيادي المعروف اغبر اللون احمر العنق والصدر. والادرع في اللغة ما كان لون رأسهِ ونحرهِ مخالفًا للون سائر البدن واظن اللفظة الانكليزية عربية الاصل ولعلَّ اهل السودان يطلقونها على هذا النوع من الغزال لكني لم اسمعها منهم والاسم الذي يعرف بهِ هذا الظبي عند علماء الحيوان معناهُ الغزال الاحمر العنق

❁ الأَرْيَل ❁ Gazella dama. E. Ariel. F. Gazelle dama جنسٌ من الظباء اكبر من الغزال الاعتيادي المعروف ابيض البطن والكفل. وهذه اللفظة لم ترد في كتب اللغة على ما اعلم ويطلقها اهل السودان على عدة انواع من الغزلان الكبيرة الحجم وجاء في رحلة بركهارت في سورية ان اهل الشام يطلقونها على الايَّل وهو محتمل فقد عثرت على كتاب مخطوط لعبدالله بن جبريل بن بختيشوع ذكر فيهِ الايَّل عدة مرات بالحبر الاحمر واللفظة منقّحة بالاريل بخطّ غير الخط الاصلي كأن الذي عثر على هذا الكتاب لم تعجبهُ لفظة الايل فاصلحها حسب زعمهِ بالاريل (انظر اريل في وبستر ودوزي)

❁ الكَتَمبُور . ام حنيت (سودانيتان) ❁ Cobus ellypsiprimnus E. Waterbuck. F. Cobe

❁ الدِقْدِق (سودانية) ❁ Madoqua جنسٌ من الظباء الصغيرة وهو في حجم الارنب جميل المنظر جدًّا لذكرهِ ناصية بين قرنيهِ والانثى جمَّاء

❁ الإِيَّل والأُيَّل (ايَّل بالعبرانية وايلو بالاشورية وأَيول وأيور بالمصرية القديمة وايولا بالقبطية) ❁ الايائل Cervus. E. Deer. Stag. Hind. F. Cerf جنسٌ من ذوات الظلف لذكورها قرون متشعبة مصمتة اي لا تجويف فيها كما في قرون الظباء وهي تنسلخ عنها في كل سنة وتتجدد واما اناثها فجماء اي لا قرون لها . والايل المعروف عند العرب والمذكور في التوراة

يوجد في الشام والعراق وشمال افريقية ويسمى عند علماء الحيوان Cervus dama وهو Fallow-deer بالانكليزية وDaim بالفرنسوية

وقد خلط الدميري بين الايّل والوعل الفارسي والمارخور فترجم الكولنل جايكر لفظة الايّل Bezoar goat وحقها ان تترجم كما ذكرت . ولا بأس من ايراد عبارة الدميري قال "الايّل ذكر الاوعال ويقال هو الذي يسمى بالفارسية كوزن واكثر احوالهِ شبيهٌ ببقر الوحش وهو اذا خاف من الصياد يرمي نفسهُ من رأس الجبل ولا يتضرّر وعدد سني عمرهِ عدد العقد التي في قرنهِ (الوعل) واذا لسعتهُ الحية اكل السرطان (عن ارسطو الاّ ان الاخير قال اذا اكل الشبث [1])وهو مولع بأكل الحيات يطلبها حيث وجدها (المارخور حسب زعمهم) وربما لسعتهُ فتسيل دموعهُ الى نقرتين تحت محاجرعينيهِ يدخل الاصبع فيها فتجمد تلك الدموع وتصير كالشمس فيتخذ درياقاً لسم الحيات وهو البازهر الحيواني (الوعل الفارسي) .... وهذا الحيوان لا تنبت لهُ قرون الاّ بعد مضي سنتين من عمرهِ فاذا نبت قرناهُ نبتا مستقيمين كالوتدين وفي الثالثة يتشعبان ولا يزال التشعب في زيادة الى تمام ست سنين .... وقرنهُ مصمت لا تجويف فيهِ" . وقد اصاب في وصف القرون فقط واخذ ذلك عن كتاب النعوت لارسطو [2] (الكتاب التاسع الفصل السادس الفقرة الثانية) وسماهُ ارسطو إلافوس باليونانية وهو الحيوان المعروف عند الانكليز بالايّل الاحمر . فالايّل عند العرب هو هذا الحيوان المتشعب القرون وليس الوعل او ذكرهُ كما جاء في كتب اللغة وذلك للاسباب الآتية

اولاً — وردت هذه اللفظة كثيرًا في التوراة وهي نفس اللفظة العبرانية واجمع علماء التوراة على ان المقصود بها هذا الحيوان المتشعب القرون المسمى Cervus dama

ثانياً — يسمى الايّل بلغة اشور ايلو ووجد مرسوماً على الآثار الاشورية متشعب القرون

ثالثاً — يسمى الايل باللغة المصرية القديمة أيول وايور (والراء واللام تتبادلان في هذه اللغة كما فهمت من احمد بك كمال) وهو مرسوم على الآثار المصرية بقرون متشعبة ايضاً

رابعاً — قال اطباء العرب قرن الايل كما قال اطباء الافرنج Cornu cervi وهي الترجمة التي عوّل عليها لوسيان لكلرك في نقلهِ مفردات ابن البيطار الى اللغة الفرنسوية

---

(١) Phalangium

(٢) كتاب نعوت الحيوان لارسطو نقلهُ العرب الى لغتهم والنسخة العربية مفقودة فيما اعلم ويظهر ان اكثر الحقائق الموجودة في حياة الحيوان منقولة عنهُ

والذي يطّلع على هذه الترجمة يعلم مكانة المترجم من العلم وتدقيقهُ في البحث . وكذلك فورسكال فانهُ ترجم قرن الايل Cornu cervi اي Hartshorn بالانكليزية[1]

خامساً — جاء في عجائب المخلوقات للقزويني ونقل عنهُ الدميري ان الايل يسمى كوزن بالفارسية وهي Cervus dama في معجم ڤولرس الفارسي اللاتيني

سادساً — يظهر من وصف الايل في الكتب العربية ان قرونهُ متشعبة ومصمتة كما جاء في آخر العبارة من وصف الايل في الدميري وكذلك في وصف اليحمور حيث قال " وقرونهُ كقرون الايل يلقيها كل سنة وهي صامتة لا تجويف فيها " واليحمور نوع من الايائل كما سيجي . وقد وصف الجاحظ الايل وصفاً مدققاً قال " والايل ينصل قرنهُ كل عام فيصير كالاجم وقرنهُ مصمت وليس في جوفهِ تجويف ولا هو ومصمت الاعلى اجوف الاسفل " . وقال ايضاً " ورأينا بعضها ينصل قرنهُ في كل سنة كما تسلخ الحية جلدها وتنفض الاشجار ورقها وهي قرون الايائل " . ولا عبرة بما جاء في كتب اللغة من قولهم ان الايل ذكر الاوعال فالوعل لهُ ما يكفيهِ من التذكير والجاحظ من ايمة اللغة كما لا يخفى وهو اقدم من مؤلفي كتب اللغة المتداولة بيننا[3] . وقد اصاب الاب لويس المعلوف في صورة الايل في المنجد حيث نجد الايل مرسوماً بقرون متشعبة

استدراك

الاروى — بعد كتابة المقالة التي نشرت في العدد الماضي عثرت بين مخطوطات المكتبة الخديوية على كتاب اسمهُ عقد الجمان في منافع وطبائع الحيوان لعبد الله بن جبريل بن بختيشوع وهو اشهر بني بختيشوع واوسعهم علماً ألّف هذا الكتاب وغيرهُ للخليفة المتقي في اوائل القرن الرابع للهجرة وقد ورد ذكر الاروى في هذا الكتاب وقال عنهُ ما نصهُ بالحرف الواحد " اروى وهو الضأن الجبلي " ثم ذكر خواصهُ ومنافعهُ في الطب وكرر لفظة الاروى عدة مرات وذكر المعز الجبلي على حدة في باب آخر وهذا يثبت ما قلتهُ سابقاً اي ان الاروية الضأن الجبلي وليست انثى الوعول كما جاء في كتب اللغة . وهنالك فائدة اخرى وهي ان الضأن الجبلي كان معروفاً عند العرب وموجوداً في بلادهم والاّ لما ذكرهُ النابغة في قوله

بتكلّمٍ لو تستطيعُ كلامهُ لدنت لهُ أروى الهضابِ الصخّدِ

(1) Materia Medica Kahirina, Forskal

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ الجزء الثالث ٧١ والسابع ١٥

(٣) توفي الجاحظ سنة ٢٥٥ هجرية فيكون اقدم من الجوهري وابن سيده والفيروزبادي وغيرهم ويظهر من عبارته انهُ رأى الايل ووصفهُ عن خبرة

وكان علماء التوراة حتى الآن في ريب من وجود الضأن الجبلي في بلاد العرب وما يجاورها فان بعضهم فسَّر لفظة زمر العبرانية (تث ١٤ : ٥) بالضأن الجبلي واعترض على ذلك بان الضأن الجبلي لم يكن معروفاً عند العبرانيين ولا وجود لهُ في فلسطين وسينا والحقيقة انهُ معروفٌ عند العرب ولا بد من انهُ كان معروفاً عند العبرانيين ايضاً وهو موجودٌ في جبال مصر الشرقية ولا مانع من وجودهِ في الجهة الثانية من البحر الاحمر

السِمع — ذكرت في احدى مقالاتي السابقة اني لم اسمع هذه اللفظة في السودان وقد علمت الآن من مصدر يوثق بهِ ان لفظة السِمع معروفة عند عرب كردوفان ويطلقونها على الحيوان الذي ذكرتهُ وهو ليس من خرافات العرب بل حيوانٌ قائمٌ بنفسهِ يوجد واحد منهُ في حديقة الجيزة على مقربةٍ من الفهد والنمر الاسود الدكتور امين المعلوف

دولة آل عثمان

٥

السلطان بايزيد الثاني

ختمنا الكلام في الفصل السابق بوفاة السلطان محمد الفاتح وقد سقطت كلمة في ذلك الفصل اخلَّت بالمعنى وهي كلمة مستعمرات قبل كلمة جنوى والبندقية في السطر ١٣ من الصفحة ١٦٦ فانهُ كان لهما مستعمرات على سواحل البحر الاسود

ذكر ابن اياس وفاة السلطان محمد الفاتح في اخبار سنة ٨٨٦ قال " وفي ربيع الاول جاءت الاخبار بوفاة السلطان المعظم المفخم المجاهد المغازي ملك الروم وصاحب القسطنطينية العظمى .... وكان ملكاً جليلاً عظيماً ساد على بني عثمان كلهم وانتشر ذكرهُ بالعدل في سائر الآفاق وحاز الفضل والعلم والكرم الزائد وسعة المال وكثرة الجيوش والاستيلاء على الاقاليم الكفرية وفتح الكثير من حصونها وقلاعها وكان نائب ملك مملكة الروم في حياة ابيهِ ثم استقل بهِ من بعدهِ ومكث فيهِ مدة طويلة تزيد على احدى وثلاثين سنة ومولدهُ بعد الاربعين والثامنمئة ولما مات تولى بعدهُ ولدهُ ابو يزيد يلدرم الموجود الى تاريخهِ فلما سمع ذلك السلطان (اي الملك الاشرف قايتباي صاحب مصر) اظهر الحزن والاسف عليهِ

ومن يطالع تاريخ ابن اياس يجد انهُ لم يذكر احداً من سلاطين آل عثمان بهذا التبجيل . والظاهر انهُ جرى على المثل العامي القائل ابعدوا حتى احبكم واقربوا حتى اسبكم فان

السلطان سليماً كان اعظم من السلطان محمد الفاتح ومع ذلك لم يذكرهُ بالتبجيل بل اكثر من لومهِ وتعنيفهِ كما سيجيء . او ان ما ذكر عن وفاة السلطان محمد الفاتح مقحم في تاريخ ابن اياس

ولم يكد السلطان بايزيد يجلس على سرير الملك حتى ثار اخوهُ عليهِ وقصد مدينة بروسه ودخلها عنوةً فقصدهُ السلطان بايزيد اليها وحاربهُ وتغلب عليهِ فالتجأ الى البلاد المصرية .

قال ابن اياس في اخبار سنة ٨٨٦ "وفي جمادى الآخرة جاءت الاخبار من حلب من عند الاتابكي ازبك بان الجام بن عثمان ملك الروم قد وقع بينهُ وبين اخيهِ ابي يزيد وان الجام وصل الى اطراف بلاد السلطان وبعث يستأذن في الدخول الى حلب . فعاد الامر من السلطان للاتابكي ازبك بان يوصلهُ الى القاهرة في قليل من عسكرهِ واستعد لملاقاتهِ . . . وفي شعبان خرج الصاحب خشقدم الزمام لملاقاة الجام بن عثمان ومدَّ لهُ اسمطة حافلة ببلبيس والخانكاه ثم لاقتهُ الامراء المقدمون والعسكر ورؤوس النوب والحجاب الى المرج والزيات فسار في موكب حافل حتى طلع الى القلعة من بين الترب فاقام لهُ السلطان الموكب بالحوش . فلما مثل بين يدي السلطان وهو جالس على الدكّة تحرك ولم يقم لهُ ثم خلع عليهِ كاملية بسمور حافلة واركبهُ فرساً خاصاً من مراكبهِ بسرج ذهب وكنبوش زركش[1] ونزل من القلعة في موكب حافل والدامة الامراء ورؤوس النوب وكان لهُ يوم مشهود . وقد قيل في المعنى

يا ايها الملك الهمام ومن لهُ اسدُ الفلا تأتي اليهِ ملجمه

قد فاق قدرك في الملوك تعاظماً مذ صحَّ بين يديك فاق الجمجمه

(وكانوا يسمون هذا الامير جاماً وجمجمة) وانزلوهُ في دار ابن جلود كاتب المماليك التي في ام الغور . وحضر معهُ والدتهُ واولادهُ وعيالهُ وقد فرَّ من اخيهِ ابي يزيد خوفاً على نفسهِ من القتل فالتجأ الى سلطان مصر"

ثم ذكر احتفال السلطان بالامير جام في اوقات مختلفة وقال انهُ سافر الى مكة مع ركب المحمل هو وامهُ وعيالهُ .

وقال في حوادث سنة ٨٨٧ ان الحج وصل الى القاهرة في محرم ومعهُ الامير جام لكنهُ قلق من اقامتهِ في مصر وطلب التوجه الى بلادهِ ليحارب اخاهُ فجمع السلطان الامراء واستشارهم في ذلك ثم اذن لهُ في السفر الى بلادهِ على كره منهُ وكان ذلك عين الخطإ . . .

(١) الكنبوش البرذعة التي تجعل تحت سرج الفرس والزركش الحرير المنسوج بالفضة وقد كان الفرسان في القرون الوسطى يسدلون ملاءة كبيرة من الزركش على ظهور خيولهم تحت السرج فتكاد تغطي الفرس كلهُ وتقيهِ من السهام

ولجأ الامير جم او جام الى فرسان مار يوحنا اصحاب جزيرة رودس فابقوهُ عندهم اسيرًا ثم قتلهُ البابا اسكندر السادس ويقال ان اخاهُ السلطان بايزيد اعطى البابا ثلثمئة الف دوكا من اجل ذلك

ونشبت الحرب بين نائب حلب والسلطان بايزيد ويقول ابن اياس ان الدائرة دارت على عسكر ابن عثمان وكانت هذه الحركة اول الفتن مع ابن عثمان . الأ ان سلطان مصر اراد استرضاءهُ واشار عليهِ خواصهُ ان يرسل اليهِ هديةً تزيل هذه الوحشة فانصاع لكلامهم وعين الامير جاني بك حبيب ليذهب بالهدية الى ابن عثمان فتوجه اليهِ بحرًا من الاسكندرية وارسل السلطان معهُ تقليدًا من الخليفة بان يكون مقام السلطان على بلاد الروم وما سيفتحهُ الله على يدهِ من البلاد الكفرية وكتب اليهِ الخليفة ما يدعو الى اخماد الفتنة التي قامت بينهُ وبين السلطان . قال ابن اياس والذي استفاض بين الناس ان سبب هذه الفتنة بين السلطان وبين ابن عثمان ان بعض ملوك الهند ارسل الى ابن عثمان هدية حافلة على يد بعض تجار الهند فلما وصل الى جدَّة احتاط عليها نائب جدَّة واحضرها صحبتهُ الى السلطان وكان من جملة تلك الهدية خنجر قبضتهُ مرصعة بفصوص ثمينة فطمع السلطان في تلك الهدية واخذ الخنجر فلما بلغ ابن عثمان ذلك حنق وجاء عقب ذلك ان علي دولات ترامى على ابن عثمان وشكى اليهِ من افعال السلطان وما يصدر منهُ فتعصب لعلي دولات وامدَّهُ بالعساكر فارسل السلطان الخنجر المذكور والهدية التي بعث بها ملك الهند وارسل يعتذر الى ابن عثمان عن ذلك بعد ان صار ما صار فكان كما قيل

جرى ما جرى جهرًا لدى الناس وانبسط   وعذر اتى سرًّا يؤكد ما فرط
ومن ظن ان يمحو جليَّ خفائهِ   خفيُّ اعتذار فهو في غاية الغلط

لكن ابن عثمان (اي السلطان بايزيد) لم يكف عن تدويخ اطراف الممالك المصرية فارسل نائب حلب يستحث سلطان مصر على الخروج لقتالهِ ثم قال ان جاني بك حبيب الذي ارسلهُ السلطان الى ابن عثمان عاد من سفرتهِ وخلا بالسلطان واخبرهُ عن احوال ابن عثمان وانهُ لم يرَ منهُ اقبالاً ولا اكرمهُ وانهُ غير راجع عن اذية عساكر مصر . فكثر القال والقيل بسبب ذلك ثم نشب القتال بين جنود حلب وجنود ابن عثمان فدارت الدائرة على جنود ابن عثمان وغنمت الجنود المصرية منهم غنائم كثيرة واسرت جماعة من امرائهم وغنمت مئة وعشرين سنجقًا وقطعت كثيرًا من الرؤوس وارسلتها الى مصر وكانت اكثر من مئتي رأس فلما وصلت اليها زينت القاهرة

وبعث السلطان بايزيد ستين سفينة حربيةً مشحونة بالسلاح لمقاتلة الجنود المصرية فعصفت بها الرياح واغرقتها. وتوالت الحروب بين الجنود المصرية والجنود العثمانية وكان النصر غالباً للجنود المصرية على ما رواهُ ابن اياس واخذت مدينة ادرنة بعد ان حصرتها ثلاثة اشهر

وقال في حوادث جمادى الاخرى من سنة ٨٩٣ وفيهِ قدم قاصد من عند داود باشا وزير ابن عثمان يشير على السلطان بان يبعث قاصداً الى ابن عثمان لعلهُ يكون الصلح فردَّ لهُ الجواب انهُ اذا اطلق تجار المماليك الذين عندهُ ويبعث مفاتيح القلاع التي اخذها كاتبناهُ في الصلح وارسلنا اليهِ قاصداً . ثم جرَّد السلطان جيوشاً جرارة لقتال ابن عثمان فوصلوا الى قيسارية واجتاحوها ونهبوا عدة من ضياعها واحرقوها

والظاهر ان الفوز لم يكن دائماً للجنود المصرية فقد ذكر ابن اياس في حوادث سنة ٨٩٦ ان السلطان جمع رجال دولتهِ وقال لهم ان ابن عثمان ليس براجع عن محاربة عسكر مصر وان احوال البلاد الحلبيَّة قد فسدت وآلت الى الخراب والتجار منعوا ما كان يجلب الى مصر من الاصناف والمماليك الجلبان يرومون مني نفقة وان لم انفق عليهم شيئاً نهبوا مصر والقاهرة وحرقوا البيوت . ومتى رجع عسكر ابن عثمان الى البلاد الحلبيَّة لا يخرج العسكر من مصر للقائهِ الاَّ بعد ان انفق عليهم . ثم جعل يقسم بالله تعالى انهُ ما بقي في الخزائن شيء من المال وطلب ان يفرض على الاوقاف والاملاك التي بمصر والقاهرة اجرة سنة كاملة يستعين بها على خروج التجريدة . فسكت المجلس ساعة ثم قال القاضي الشافعي لعلَّ الله تعالى يكفيكم مؤنة ذلك . وقال القاضي المالكي ان اجرة سنة كاملة تثقل على الناس ولا يطيقون ذلك فان كان لا بدَّ من ذلك فلتفرض عليهم اجرة خمسة اشهر ..... ثم آل الامر الى ما قالهُ قاضي القضاة المالكي وانفضَّ المجلس

واسهب ابن اياس في وصف المظالم التي نتجت عن ذلك ثم قال في حوادث جمادى الاخرى من سنة ٨٩٦ انهُ حضر الى الابواب الشريفة قاصد من عند ابن عثمان وهو من اجلّ قضاتهِ وكان متولياً القضاء بمدينة بروسه واسمهُ الشيخ علي جلبي فلما صعد الى القلعة اكرمهُ السلطان وبالغ في تعظيمهِ جدًّا واحضر مفاتيح القلاع التي كان ابن عثمان قد استولى عليها فسلمها الى السلطان واشيع امر الصلح . واطلق السلطان الاسرى الذين كانوا مأسورين من عسكر ابن عثمان وكساهم واحسن اليهم فتوجهوا الى بلادهم صحبة القاصد

وجاء في التواريخ الافرنجية ان السلطان بايزيد انشأ اسطولاً قويًّا نازل اسطول البنادقة وتغلَّب عليهِ وكان ذلك اول غلبة بحرية للعثمانيين وانهُ كان محبًّا للسلم غير ميَّال الى

الفتوح فلم يضف الى مملكة آل عثمان الأ مدناً قليلة من بلاد اليونان ولذلك خرج عليهِ الانكشارية واضطروهُ ان يتنازل عن الملك لابنهِ سليم فتنازل وتوفي بعد ايام قليلة وذلك في ربيع الاول سنة ٩١٨ ولم يذكر تاريخ ابن اياس المطبوع خبر وفاتهِ لانهُ ناقص تاريخ ١٥ سنة

السلطان سليم الاول

هو اعظم سلاطين آل عثمان واشدهم بطشاً واوسعهم فتوحاً قتل اخويهِ لكي لا ينازعاهُ في الملك وقتل اولادهما ايضاً وزحف على بلاد الفرس وقتل خمسة واربعين الفاً من اهل الشيعة الذين على تخوم بلادهِ لكي لا يعاونوا الفرس عليهِ ونازل جيوش الفرس في وادي چالد يران فاثخن فيهم ودخل تبريز عنوة واستولى على خزائن صاحبها الشاه اسمعيل الصوفي وارسلها الى القسطنطينية وكان قد دوخ ديار بكر وكردستان في طريقهِ الى بلاد ايران . ثم نشبت الحروب بينهُ وبين العساكر المصرية وقد فصَّلها ابن اياس تفصيلاً مسهباً ولعلهُ تحامل على الجنود العثمانية ولكنهُ لم يحابِ ولا اخفى الحقائق فنعتمد عليهِ في تلخيص ما يلي لان اكثرهُ من الحوادث التي شاهدها عياناً قال ما خلاصتهُ

ويوم الخميس سلخ صفر من سنة ٩٢٢ اتى ساعيان بكتاب من نائب حلب فيهِ ان الشاه اسمعيل الصوفي ملك العراقين جمع من العسكر مالا يحصى وهم زاحفون على بلاد ابن عثمان وكان في سنة ٩٢٠ قد حصل بينهُ وبين سليم شاه ملك الروم واقعة مهولة وانكسر اسمعيل شاه فاستمرَّ من حين جرى لهُ ما جرى وهو في جمع العساكر واستعان بملوك التتار وزحف على آمد وقتل من كان فيها من العثمانية واستخلصها من يد جماعة ابن عثمان . فلما طرق هذا الخبر مسامع السلطان (اي الملك الاشرف ابو النصر قانصوه الغوري) اجتمع بالامراء في الميدان وتشاوروا الى قرب الظهر وانفضَّ المجلس على تجريد جيش يقيم في حلب ويحرس البلاد الحلبية . ثم جاءت الاخبار بان ابن عثمان كتب الى نائب حلب يقول لهُ انت والدي واسألك الدعاء واني ما زحفت على بلاد علي دولات الأ باذنك وهو الذي أثار الفتنة بين والدي والسلطان قايتباي حتى جرى بينهما ما جرى وهذا كان غاية الفساد في مملكتكم وكان قتلهُ عين الصواب . وان البلاد التي اخذتها من علي دولات اعيدها اليكم وجميع ما ترومونهُ وبريدهُ السلطان فعلناهُ . فبعث نائب حلب بهذا الكتاب الى السلطان قانصوه الغوري فاستبشر بالصلح

ومن رأي ابن اياس ان كتاب السلطان سليم ضرب من الحيلة والخداع اما السلطان

قانصوه الغوري فسار بالجيوش المصرية الى ان بلغ دمشق ووردت الاخبار منهُ في جمادي الآخرة انهُ دخل دمشق يوم الاثنين ثامن جمادى الاولى وكان معهُ الخليفة المتوكل على الله والقضاة الاربعة والجيش المصري كلهُ ويقال انهُ دخل في موكب لم يتفق لسلطان مثلهُ بعد الاشرف برسباي وزينت لهُ مدينة دمشق سبعة ايام ثم رحل عنها وسار الى حمص ومنها الى حماه فحلب ودخلها يوم الخميس عاشر جمادى الاخرى وكان لدخوله يوم مشهود فمشى الخليفة والقضاة امامهُ وحملت القبة على رأسهِ حملها ملك الامراء خاير بك نائب حلب. وحال دخوله حضر من قبل سليم شاه بن عثمان ملك الروم قاضي عسكر يقال لهُ ركن الدين واحد الامراء واسمهُ قراجا باشا وقالا ان استاذهما فوَّض اليها امر الصلح وقال ان كل ما اختارهُ السلطان امضاهُ ولا تشاوراني. قال ابن اياس وكل هذا حيل وخداع حتى تبطل همة السلطان عن القتال. ثم ان قاضي ابن عثمان احضر فتاوى من علماء بلادهم وقد افتوا بقتل شاه اسمعيل الصوفي وان قتلهُ جائز شرعًا. وارسل ابن عثمان يقول للسلطان في كتابهِ انت والدي واسأُلك الدعاء وبعث اليهِ بالهدايا الفاخرة وطلب منهُ ان يرسل اليهِ سكرًا وحلوى فارسل اليهِ مئة قنطار سكر وحلوى في علب كبار. ثم انجلى الامر واتضح غرض السلطان سليم فانهُ قبض على رسول سلطان مصر الامير مغلباي ووضعهُ في الحديد. وكان السلطان قد بعث اليهِ بالامير كرتباي الاشرفي بهدية سنية تساوي عشرة آلاف دينار وخلع على قاضي عسكرهِ ووزيرهِ قراجا باشا خلعًا سنيةً فلما وصل الامير كرتباي الى عينتاب بلغهُ ان ابن عثمان ابى الصلح وقبض على الامير مغلباي ووضعهُ في الحديد فرجع الى حلب واخبر السلطان بما بلغهُ وبان طلائع عسكر ابن عثمان وصلت الى عينتاب وملكت قلعة ملطية فاضطرب السلطان ورجالهُ واستعد لملاقاتهِ واخيرًا التقى الجيشان في مرج دابق قرب حلب في الخامس عشر من رجب وكان حول سلطان مصر اربعون مصحفًا في اكياس من حرير اصفر على رؤُوس جماعة من الاشراف وفيها مصحف بخط الامام عثمان بن عفان وجماعة من الفقراء وهم خليفة السيد البدوي ومعهُ اعلام والسادة الاشراف القادرية ومعهم اعلام خضر وخليفة السيد احمد الرفاعي ومعهُ اعلام والشيخ عفيف الدين خادم السيدة نفيسة باعلام سود. والمماليك الذين معهُ كانوا اسودًا لا يهابون الردى فهزموا عساكر ابن عثمان وغنموا منهم سبعة سناجق واخذوا المكاحل التي كانت على العجل ورماة البندق. وهمَّ السلطان سليم بالهرب وقد قتل من عسكرهِ اكثر من عشرة آلاف ولكن بلغ المماليك القراصنة ان السلطان قال للمماليك الجلبان لا تقاتلوا ابدًا وخلوا المماليك القرانصة وحدهم فلما بلغهم ذلك ثنوا عزمهم عن القتال. ثم قتل الاتابكي سودون العجمي

وملك الامراء سيباي نائب الشام فانهزم جانب كبير من ميمنة العسكر ثم انهزم خاير بك نائب حلب فكسر الميسرة . وقيل لان خاير بك كان خائناً وضلعهُ مع ابن عثمان وهو اول من هرب من العسكر ونادى بالهزيمة فبقي السلطان واقفاً تحت السنجق في نفر قليل من المماليك فشرع ينادي يا اغوات هذا وقت المروءة هذا وقت النجدة فلم يسمع لهُ احد قولاً وصاروا ينسحبون من حولهِ وهو يقول للفقراء ادعوا الله تبارك وتعالى بالنصر وهذا وقت دعائكم . وكان اليوم شديد الحر وانصبَّ غضب الله فيهِ على عسكر مصر وغلّت ايديهم عن القتال وقد قلت في هذه الواقعة هذه الابيات

لما التقى الجيشان مع سلطاننا ... في مرج دابق قال هل من مسعفِ

فلهُ اجاب لسان حال قائلاً ... عرِّضت نفسك للبلا فاستهدف

ولما اضطربت الاحوال وتزايدت الاهوال خاف الامير تمر الزردكاش على السنجق السلطاني فانزلهُ وطواهُ واخفاهُ وتقدم الى السلطان وقال لهُ يا مولانا ان عسكر ابن عثمان قد ادركنا فانجُ بنفسك وادخل حلب . فلما تحقق السلطان ذلك اصابهُ فالج عطل شقهُ وارخى حنكهُ فطلب ماء فاتوهُ بهِ في طاسة من ذهب فشرب قليلاً والفت فرسهُ لكي يهرب فمشى خطوتين وانقلب عن الفرس الى الارض فاقام نحو درجة (اي اربع دقائق) وخرجت روحهُ من شدة قهرهِ . ولما اشيع موتهُ هجم عسكر ابن عثمان على من كان حول السلطان فقتلوا الامير بيبرس احد المتقدمين وجماعة من الخاصكية ممن كان حولهُ واما السلطان فلم يُعلم لهُ خبر ولا وقف لهُ على اثر ولا ظهرت جثتهُ بين القتلى . وفقد المصحف العثماني ايضاً وزال ملك الاشرف الغوري في لمح البصر بعد ما تصرَّف في ملك مصر واعمالها والبلاد الشاميَّة واعمالها خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وعشرين يوماً فانهُ ولي ملك مصر في مستهل شوال سنة ست وتسعمائة وتوفي في الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وكان طويل القامة ابيض اللون مدور الوجه مشحم العينين جهوري الصوت مستدير اللحية لم يظهر بلحيتهِ الشيب الاَّ قليلاً وكان مهيباً جليلاً تملأُ العيون طلعتهُ ولولا ظلمهُ وكثرة مصادراتهِ للرعية لكان من خيار ملوك الجراكسة بل من خيار ملوك مصر قاطبةً وكان ينزل يوم الاثنين والخميس الى الحوش السلطاني ويوم السبت والثلاثاء الى الميدان فينزل من السبع حدرات وقدامهُ طوالتان من الخيل بسروج ذهب وكنابيش زركش وكان يلبس في اصابعهِ الخواتم الياقوت والفيروز والزمرد والالماس وعين الهر وكان مولعاً بشم الرائحة الطيبة من المسك والعود والعنبر ترفاً في ملبسهِ يحب رؤية الازهار والفواكه مولعاً

بغرس الاشجار وحب الرياض وسماع الاطيار المغردة نهماً في الاكل والشرب . وكان لهُ محاسن ومساوئ لكن مساوئهُ اكثر من محاسنهِ . ومن محاسنهِ انهُ كان رضيَّ الخلق يملك نفسهُ عند الغضب شديد الاعتقاد بالفقراء والصالحين ويعرف اقدار الناس ويفهم الشعر ويحب سماع الآلات والغناء وكان مغرماً بقراءة التواريخ والسير ودواوين الاشعار ويحب المزح ولم يكن عندهُ شمم ولا كبر نفس

وذكر ابن اياس اسماء الامراء الذين قتلوا او اسروا من الجيش المصري وقال ان المماليك الجلبان لم يقاتلوا فلم يسلّوا سيفاً ولا هزوا رمحاً بل وقفوا كأنهم خشب مسندة وان ابن عثمان (السلطان سليم) غنم كل ما كان في معسكر السلطان الغوري ثم دخل حلب وامتلكها وان اهل حلب قتلوا من لجأ اليهم من العسكر المصري لانهم كانوا ناقمين على المماليك السلطانية لقبح فعالهم فهرب من نجا منهم الى دمشق فوصلوها وهم في اسوإ حال . ثم قال اما الخليفة امير المؤمنين وثلاثة من القضاة وهم الشافعي والمالكي والحنبلي فمضوا الى ابن عثمان وهو في ميدان حلب فاكرم امير المؤمنين واجلسهُ بين يديهِ وانعم عليهِ بمال كثير وردَّهُ الى حلب اما القضاة فقيل انهُ وبخهم وقال لهم انكم تأخذون الرشوة على الاحكام الشرعية وتسعون بالمال حتى تتولوا القضاء وما منكم من يرشد الى الخير لانكم لم تمنعوا سلطانكم عن المظالم . واخبرني من رأى سليم شاه ابن عثمان انهُ مربوع القامة واسع الصدر اقنص العنق مكرفس الاكتاف واسع العينين دريُّ اللون وافر الانف مليء الجسد حليق اللحية ليس لهُ غير الشاربين كبير الرأس عمامتهُ صغيرة دون عمائم امرائهِ . فلما جاء الى حلب سلّمهُ اياها اهلها من غير نزاع وهرب قانصوه الاشرفي نائب القلعة وتوجه الى الشام مع العسكر وترك ابوابها مفتوحة فدخلها ابن عثمان ورأى فيها ما ادهشهُ من مال وسلاح وتحف ورأى من السروج الذهب والبلور واللجم المرصعة والفصوص المثمنة والسيوف المسقطة بالذهب والزرديات والخوذ الفاخرة وغير ذلك من السلاح ما لم يرَ مثلهُ

ثم بيَّن ان بعض اخصاء الغوري كانوا معهُ ظاهراً ومع ابن عثمان باطناً فكانوا يكاتبونهُ ويكشفون لهُ عورات الغوري واولهم خاير بك نائب حلب فخلع عليهِ ابن عثمان وسماهُ خاين بك لانهُ خان مولاهُ ولبس زي التراكمة العمامة المدوَّرة والدلامة وقص لحيتهُ

ولا يسعنا تلخيص كل ما ذكرهُ ابن اياس عن هذه الواقعة وما يليها لان وصفهُ مسهب جداً وفيهِ كلام كثير لغيره كما يظهر من اسلوبهِ فاجتزنا بما تقدم . ووصل فلُّ العسكر المصري الى القاهرة وهم في اسوإ حال من العري والجوع والضعف ولما وصل الامراء الذين نجوا اجمع

رأيهم على تمليك طومان باي الدوادار وحلفوا لهُ انهم لا يخونونهُ وسمي بالملك الاشرف ابي النصر طومان باي وهو السابع والاربعون من ملوك الترك واولادهم في الديار المصرية والحادي والعشرون من ملوك الجراكسة واولادهم وكان اصلهُ من كتابية الاشرف قايتباي اشتراهُ الملك الاشرف قانصوه الغوري ولهذا يدعى طومان باي بن قانصوه . وبايعهُ ابو الخليفة وكان نائبًا عنهُ وقاضي الحنفية ونواب القضاة الثلاثة الآخرين ومن حضر من الامراء واحضروا لهُ خلعة السلطنة وهي الجبَّة السوداء والعمامة السوداء والسيف البدوي وافيض عليهِ شعار الملك وقبَّل الامراء الارض قدامهُ ونودي باسمهِ في القاهرة وفرح الناس بهِ لانهُ كان محبًّا للعوام لين الجانب قليل الاذى غير متكبر ولا متجبر

وجاءت الاخبار الى مصر بان السلطان سليمًا زحف على الديار الشامية وامتلكها . ولخص الامير حيدر ذلك في تاريخهِ لكنهُ لم يوردهُ بعبارة المعاصرين كما اوردهُ ابن اياس فقال ما خلاصتهُ

كانت الديار الشامية في حكم ملوك مصر الشراكسة وكان خير بك نائبًا في حلب والغزالي في دمشق (جان بردي الغزالي) فكاتبهما السلطان سليم ووعدهما انهُ اذا انتصر على الشراكسة يوليهما على الايالات المصرية والشامية ولما التقت العساكر في مرج دابق امر السلطان الاشرف خير بك والغزالي ان يقودا عسكرهُ ويقدما الى الحرب وكان ابن معن وامراء جبل الشوف (بلبنان) مع خير بك والغزالي فقال الامير فخر الدين (المعني) لمن معهُ دعونا نتفرد وننظر لمن يكون النصر فنقاتل معهُ ولما اضطرمت نار الحرب فرَّ الغزالي وخير بك الى ناحية عسكر السلطان سليم بمن معهم من الديار الشامية . ومن شدة ما جرى على الغوري من الضيق والغضب بسبب خيانة النواب لهُ ضرب نفسهُ بخنجر فقتل وقيل ان احد العساكر قتلهُ . واقام السلطان سليم في حلب الى ان رتب امورها وخُطب باسمهِ في الجوامع ثم ملك حماه وحمص وسار بالعسكر الى دمشق فخرج اهلها للقائهِ فاعطاهم الامان وكتب بالامان الى امراء جبل لبنان فحضر اليهِ الامير فخر الدين المعني والامير جمال الدين اليمني والامير عساف التركماني وغيرهم لكن الامراء التنوخيين لم يحضروا لانهم كانوا من احلاف الشراكسة فاقرَّ الامير فخر الدين على بلاد الشوف والامير جمال الدين على بلاد الغرب والامير عسافًا على بلاد كسروان وبلاد جبيل ورتب عليهم مالاً قليلاً

ثم اسهب ابن اياس في وصف ما لقيهُ السلطان سليم من المماليك في الديار المصرية الى ان استتب لهُ الامر فيها وسنلخص ذلك في الجزء التالي

انباء الاموات

يدّعي جماعة من الكتّاب انهُ وصلتهم انباء من الاموات لا شبهة في صحتها وهم يقولون ان ارواح بعض الاموات حاولت التأثير في الاحياء بطرق مختلفة وفي جملتها روح المستر ميرس الذي كان لهُ الشأن الاكبر في المباحث النفسية وروح المستر وليم ستد بن ستد المشهور محرر مجلة المجلات الانكليزية وقد توفي في اواخر سنة ١٩٠٧ والارواح لا تستطيع ان تؤثر الاَّ في بعض الناس الذين فيهم استعداد خصوصي للتأثر بها ولذلك يقلُّ فعلها جدًّا

ومن الناس الذين تؤثر فيهم الارواح على ما رواهُ المستر ستد سيدة لم يذكر اسمها لكنهُ قال انها كتبت لهُ خلاصة ما اوحت بهِ اليها روح المستر ميرس وهذه ترجمتها

" ان الاتفاق قد تمَّ حديثاً بين العالمين (اي عالم الاحياء وعالم الاموات) اجابة لرغبة شديدة بدت منهما كليهما معاً على اظهار ادلَّة عمليَّة لبقاء شخصيَّة الانسان حيَّة بعد خلع الجسد الفاني وعلى انها تبقى قادرة على التجلّي ولو وقتيًّا بصورة جسميَّة تشبه جسمها السابق

" ونحن في هذا العالم (عالم الارواح) وانتم في العالم الآخر (عالم الاجساد) متفقون على السعي وراء ذلك ولكن لكل فريق منا غرض خاص يختلف عن غرض الفريق الآخر. فانتم مهتمون باثبات التجسُّد وبانهُ حقيقة مقررة واما نحن اي الذين يعتقدون منا ان التجسُّد حقيقة مقررة فغرضنا ان نعلم ما هي الوسائل اللازمة لجعل هذا التجسُّد امرًا فعليًّا

" والنجاح بطيء في هذا الامر عندنا كما ان النجاح بطيء عندكم في كل الامور المبنيَّة على التجربة والامتحان. وقد فشلنا مرارًا كثيرة والصعوبة عندي انا قائمة في انتقاء الوسطاء واما الآن فلم اعد اعنى بهذه الصعوبة لانني وجدت السيدة طمسن وفيها قوة نفسيَّة فائقة تفوق ما في زوجها لان الهيولى[1] التي تنبعث من نفسها تستطيع ان تتكيف بكيفية جسميَّة ولا يُعلم حتى الآن ما هو سبب ذلك. وانا حاصر همي الآن في الاشتغال بهذا الموضوع وقد وجدت انهُ لا بدَّ من توفر بعض الوسائل ليصير التجسم امرًا فعليًّا وان هذه الوسائل متوفرة في السيدة طمسن وقد يكون بعضها موزعاً بين الحضور على درجات مختلفة فاذا اجتمعوا واتفقوا صاروا كالحلقات البطرية الكهربائية وحصل من مجموع قواهم ما يماثل القوة التي في السيدة طمسن

(١) الكلمة الانكليزية aura وهي يونانية معناها الهواء المتحرك او النسيم ويراد بها اصطلاحاً شيء لطيف يزعم اهل الارواح انهُ يكون حول بعض الناس وان الارواح تتجسم بهِ

" ولا بدَّ لاظهار هذه القوة من الاتفاق التام . والشك عدو ألدّ للنجاح وما هو الاَّ انكار في صورة الريب ولكن يظهر انهُ اذا مزج الشك العلمي بما يكفي من الاتفاق واخلاص النية سهل اجراء التجارب من الجهتين

" ولذلك رضي الذين كانوا شركائي (في المباحث النفسيَّة) ان يشتغلوا مع المستر ستد واول جلسة حدثت في بيتهِ في ٩ يناير كانت من النوع النوافي وجرى فيها التدقيق التام لمنع الغش ولقد كان لها شأن كبير عندي ورأيت فيها لاول مرة ما هي الشروط اللازمة لجعل التجسُّد ممكناً ورأيت اسباب الفشل الظاهر والاساليب التي ستؤدي الى النجاح اخيرًا

" ولذلك فالجلسة الاولى كانت بالنسبة الينا حسنة جدًّا وانكاري امكان التجسُّد بمثابة انكاري شهادة حواسي . ولكن السيدة طمسن شديدة التأثر العصبي ولذلك تعذَّر عليها ان تحتمل ما احتملتهُ زماناً طويلاً . ولا حاجة بي الى وصف الاعمال التي تمت حينئذٍ . وقد طلب المستر ستد بناء على رغبتي الشديدة ان لا يحدث شيءٌ الاَّ ما يشاءهُ الله

" وقد وثقنا في ذلك النور الضئيل نرَى ولا نُرَى ونضحك رغماً عنا اذ نرى كيف يتأثر الجلوس على صور مختلفة حينما رأوا الظاهرة الاولى (وهي طاقة كبيرة من الازهار المختلفة الانواع) . ولكن اظهار هذه الظواهر ليس الغاية التي نسعى اليها

" ولقد شاهدت الارواح تخرج من الخزانة المظلمة مترديةً اردية مختلفة لكي تثبت الحضور بالكلام والاشارات انها موجودة ملموسة ويمكن الشعور بها "

وقد قدَّم المستر ستد لهذا الكلام مقدمة قال فيها انهُ احضر السيدة طمسن الى بيتهِ وكان هو وجماعة من نخبة القوم فعروها والبسوها ثياباً احضروها لها وانهُ هو صنع لها الخزانة التي اقامت فيها من الستائر وان السر اولفر لدج رآها ووضع الستائر بعضها مع بعض . وطبع المستر ستد شهادة من الحضور تدلُّ على انهم عرُّوا تلك المرأة وأكدوا انها لا تحمل شيئاً مما اظهرتهُ بعدئذٍ . والثياب التي البسوها اياها كانت سوداء

نقول ونحن احضرنا حاوياً منذ نحو عشرين سنة وادخلناهُ غرفةً في بيتنا وعريناهُ من ثيابهِ ومع ذلك صفر واستخرج حية من تحت مائدة كانت في تلك الغرفة . ولما اعيتنا الحيل ولم نستطع ان نكتشف كيف استخرجها اعطيناهُ ريالاً فكشف لنا الحيلة التي استعملها وخدعنا بها وهي انهُ كان ينقل الحية من مكان الى آخر وهو يخلع " زعبوطهُ " واخيرًا نزعها عن جسمهِ مع الزعبوط وكان قد ارانا ان الحيات كلها في كيس معهُ وقد ابعدنا الكيس عنهُ اما زعبوطهُ فانفنا من لمسهِ بايدينا فجمعهُ في احدى يديهِ والحية فيهِ ثم احتال حتى نقلها

الى اليد الاخرى وكان قد مدها الى تحت المائدة وهو يصفر للحية واخرجها منها .

واذا كانت المرأة التي عرّاها المستر ستد ورفاقهُ قاصدة ان تغشهم لا يتعذر عليها ذلك . وامرأة لا تأنف ان تتعرى امام الرجال لا يكبر عليها ان تغشهم ولو كانوا شيوخاً طاعنين في السن . واذا كانت امينة صادقة ولم تقصد ان تغشهم فلا يبعد ان يكونوا هم انفسهم قد تخيلوا ما رأوهُ وسمعوهُ تخيلاً كما يتخيل النائم اموراً كثيرة لا وجود لها الاَّ في ذهنهِ وان يكونوا قد حركوا اقلامهم فكتبت ما في اذهانهم وهم يحسبون ان القوة المحركة لها آتية من الخارج . ولذلك امثلة كثيرة في كثير من الآفات العصبيَّة

اما الاعمال التي عملتها تلك المرأة فهي اولاً انها اخرجت من الغرفة المظلمة ازهاراً مختلفة . ثانياً ظهرت خارج الغرفة بثياب بيضاء لاصقة بجسدها وعليها نقاب ابيض مع انها لما دخلت الغرفة كانت لابسة ثياباً سوداء . ثالثاً اظهرت ارواحاً مجسمة قال بعض الحضور انها تشبه اقاربهم المتوفين في الهيئة والكلام والحركات وقال المستر ستد ان ابنهُ كان بينها وانهُ رآهُ جليًّا وسمعهُ يقول لهُ يا ابي يا ابي يا ابي وامسك المستر ستد القلم وطلب من ابنهِ ان يحرك يدهُ ويصف كيف تجلَّت تلك الارواح فكتب ما ترجمتهُ

" ان حول الوسيط(1) حالة من الهيولى اكثف من الحالة التي حولك وهي تنبعث منها كما تنبعث الاوردة الدقيقة من الشرايين الكبيرة ومن هذه الهيولى تؤخذ المادة اللازمة للتجسم والتقمص وفي الحالة الثانية تصنع الارواح القمصة من هذه الهيولى وتلبسها كما تلبس الخياطات الاثواب لتماثل من الخشب . وهيولى الوسيط كافية لالباسهِ اللباس الذي تختارهُ وجعلهِ مشابهاً للشخص الذي يراد تشبيههُ بهِ . اما التجسم اي لبس الروح جسماً فاصعب من ذلك لانهُ يستلزم عمل جسم جديد ولا يعمل هذا الجسم كاملاً في كل اجزائهِ بل يعمل منهُ ما يكفي لتمييزهِ ولا حاجة حينئذٍ الى تكوين اعضائهِ الداخلية بالتفصيل فالجسم الذي صُنع لي ليس فيهِ الاَّ رأسي وجذعي ولم تتم يداي ولا رجلاي فلم يكن في طاقتي ان امشي وكان مقداراً من الجبس افرغ على جسمي الروحي وشعرت انهُ لا يسهل على جسمي الروحي حمل رأسي وجذعي المادّيين وكنت كمن أُسبغ عليهِ درع من الفولاذ ولكنني كنت قادراً على استعمال اوتاري الصوتية وقد تلفظت بثلاث كلمات . واذا أُريد ان يكون التجسم تامًّا وجب اخذ المواد اللازمة لهُ من هيولى الوسيط ومن هيولى غيرها من الحضور . والارواح تستعمل الهيولى كما يستعمل الخزاف الطين فتكثفهُ وتكيفهُ كما تشاء وهذا العمل يستحق النظر وقد

(1) اي المرأة طمسن وكل شخص تظهر الارواح بواسطتهِ او تظهر بواسطتهِ اعمال المنوّم يسمى وسيطاً

ساعدتْ فيهِ روح جوليا (كانت من رفيقات المستر ميرس في المباحث النفسيَّة) اما انا فلم اساعد فيهِ بل بقيت واقفاً ارى ما يجري · واذا وزنت الوسيط حينما صُنع جسمي من هيولاها وجد وزنها اخف مما كان واذا وُزنت انا وهي فوزنتا كلينا اثقل من وزنها وحدها لان بعض جسمي أُخذ من هيولى غيرها من الحضور . ولم يؤْخذ منهم على السواء لان بعضهم لا يعطون شيئاً من هيولاهم · والعمل دقيق ولا يخلو من الخطر ونحن في عالم الارواح نحتاج الى موازرتكم لنا في الفكر فاذا وازرتمونا فلا حدَّ لما يمكن ان نفعلهُ"

وبعد ان ذكر المستر ستد ما كتبهُ بيدهِ وقال — ان روح ابنهِ كانت تحرك يدهُ اتمَّ ما قيل ان روح المستر ميرس حرَّكت يد احدى السيدات لتكتبهُ ثم قال قد لا يكون المستر ميرس هو الكاتب لما تقدَّم ولا تكون روح ابني هي التي حركت يدي للكتابة ولكن لا شبهة عندي انني رأيت وجه ابني وسمعت صوتهُ وقد رآهُ ايضاً وسمع صوتهُ الشخص الذي كان جالساً امام باب الخزانة · فما رأيتهُ وسمعتهُ وكتابتي لامور اوحيت اليَّ كل ذلك جعلني اعتقد ان في السيدة طمسن قوة روحيةً يمكنها ان تستعملها احياناً لاظهار ظواهر مثل هذه في احوال تنفي وجود الغش . والذين ينكرون ذلك يتعذَّر عليهم ان يفسروا ما رأيتهُ وسمعتهُ وكتبتهُ .

هذه خلاصة ما كتبهُ المستر ستد في هذا الموضوع في مجلتهِ ويا حبذا لو أُغريت السيدة طمسن بالمال حتى تكشف سر عملها ان كانت تستعمل الحيلة والخداع واما اذا كانت صادقة وكانت ارواح الموتى لا تزال في هذه الارض وهي تتجسم احياناً وتظهر للاحياء فيكون ذلك اعظم اكتشافات العصر العلمية

ومما استغربناهُ ان ما كتبتهُ الكاتبة بالهام روح المستر ميرس على ما تقدم لغتهُ محكمة كابلغ ما يكتبهُ كبار الكتاب · وتكوين الازهار من الهيولى على ما فيها من اختلاف الانواع والالوان من اصعب الاعمال . فاذا كانت الارواح تستطيع ان تنشئ مثل ذلك فلماذا لا تعلم الاحياء بتفصيل الاحوال التي هي فيها فان ذلك اهمُّ لنا من تفصيلها كيف تكوّن اجسامها من هيولى الوسطاء · وما من احد الاَّ وهو يود ان يعرف ما آل اليهِ حال احبائهِ بعد موتهم · وعسى ان لا يكون تجلي الارواح هذا وهماً في وهم بل يكون امراً حقيقياً تحلُّ بهِ اهم مسألة شغلت عقول الناس من قديم الزمان الى الآن وهي الى اين نحن سائرون وماذا يكون بعد الموت



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

الدستور والاسلام

ما كادت مظاهرات العثمانيين يوم نودي بالدستور تبلغ بهجة التبسط في الفرح حتى انفرد بعضهم استياء منهُ لانتفائهِ الحرية والمساواة . ولا غرابة فان الاختلاف في الجديد لا تخلو منهُ امة من امم العالم والعثمانيون اقل اختلافاً من سواهم واقربهم الى الاتفاق وخصوصاً متى ادركوا الحقيقة فانك لا تجد حينئذٍ فيهم من يكابر ولكنهم اختلفوا في الدستور على علمهم بفضلهِ وعلى ما تحملوهُ من ضغط الاستبداد وقهرهِ بدسائس اعدائهِ اولئك الذين قد طرقوا الطعن فيهِ من باب ديني تعزيزاً لمقاصدهم ولذلك جعلنا موضوع كلامنا (الدستور والاسلام) حتى يتأكد لحضرات الذين قد شوَّشت المطاعن اذهانهم وكدَّرت افهامهم ان الدستور ليس بالشيء الحادث الذي لم يعهد قبلُ . وفضلاً عن ذلك ان الاختلاف ولاسيما في المسائل العمرانية ضرب من التخريب فمن الضرورة ان نفهم الحرية والمساواة بمعناها الصحيح حتى يمكن لنا الوصول الى الحقيقة فان لم نفهمها كذلك فليس وراء المفهوم غير حرية محظورة ومساواة مستحيلة واليك البيان .

ان جميع ما يرى على الارض من شرور الانسان صادر عن حريتهِ المحضة اي الحرية المفطور عليها ولولاها لما دعت الحاجة الى اقامة حكومة . فوالحالة هذه ما استطاع الانسان ان يجتمع منقيداً بشريعة تحفظ حقوقهُ حتى باع حريتهُ المحضة للعدل واصبح مسئولاً امامهُ عن كل ذنب يقترفهُ وهو انما رضخ لذلك لعلمهِ ان باجراء العدل حرية اجتماعية تخولهُ التمتع بخير الحضارة والعمران .

تلك هي حرية الدستور التي نستفاد منها وهي في حصر المعنى عبارة عن اجراء العدل وليست

هي وحدها كذلك بل المساواة وسائر الاحكام الدستورية بدليل وجود الكل حيث يكون الاجراء وليس ثمَّ دستور . فان قيل ان لهذهِ الحرية معنى آخر يضر بالعوائد والعقائد . قلنا : ان المقول محمول على اشتراكها في الاسمية مع الحرية المحضة ألا ترى كيف ان العامة عندنا وبعض خاصتنا الذين يدعون الخاصة بدون حق لم يفهموا لها معنىً غير ما يستفاد منهُ عدم المسئولية بالاطلاق حالة كون مسماها على طرفي نقيض — هذه للخير وتلك للشر . فما حرية الدستور الاَّ لوقوفنا ازاء السلطة الحاكمة احرارًا نتكلم بالسنتنا ونكتب باقلامنا ونسعى بالاشتراك مع حكومتنا في ما يوفقنا الله اليهِ من اسباب التقدم والنجاح مغذين حياتنا الاجتماعية بالغذاء الذي نجدهُ نحن انفسنا صالحًا لها بدون ان يكون فوقنا يد تغلبنا على امورنا

وغني عن البيان ان شر الانسان في ازمنة الاستبداد اكثر منهُ في ازمنة الدستور وسبب ذلك ان المظالم تقوي فيهِ حريتهُ المحضة حتى يغدو كل فرد من الهيئتين (الحاكمة والمحكومة) لا همَّ لهُ الاَّ الجري وراء مصالحهِ الخصوصية فتكثر حينئذٍ الشرور وتستولي الرذيلة وتنحدر البلاد باهلها وبعوائدهم وعقائدهم معاً في دركات الشقاء والانحطاط . وهذا كلهُ مشاهد فينا وفي كل امة يتأمرها حكام ظلام فاذا كنا نخشى في حال الدستور ان يلحق بعوائدنا وعقائدنا اضرار ادبية ودينية فبالاحرى ان نخشى ذلك في حال الاستبداد زمان لا يكون غير الرياء والخداع والكذب والنفاق الى آخر رذيلة مضرَّة بالدين والآداب . على ان حرية الدستور قد تجري مجرى الحرية المحضة اذا لم تتهيأ لها اسباب الخير او تهيأ بعضها وأغفل البعض الآخر كما هي الحال عند الامم الراقية وسنأتي على ذلك في وقت آخر ان شاء الله . فعلينا اذن ان نهتم باستعمال حرية الدستور في ما وضعت لهُ دفعاً للشر فما الاستياء منها الاَّ ضغث على ابالة

تقدم ان المظالم تقوّي في الانسان حريتهُ المحضة ولتحقيق ذلك نقول : كما ان هذه الحرية قد باتت اسيرة العدل من يوم اجتمع الانسان تحت ظل الشرائع والاحكام كذلك الحرية الاجتماعية المعروفة بحرية الدستور اسيرة الظلم لما ان كلاً منهما (اي العدل والظلم) عامل على معاكسة الآخر . وعليهِ فاذا حلَّ الظلم محل العدل أُطلق سراح الحرية المحضة كما أن العدل يطلق سراح الحرية الاجتماعية ولا اشكال في كل ذلك

هذا ولا بدَّ لنا وان نعلم ان من الاضرار التي نخشاها ما يعدهُ غيرنا نافعاً — اولئك الغير الآخذون بحقائق الامور الذين من حوضهم نغترف فعلينا ان نحذو حذوهم في جميع امورنا العمرانية حتى لا يبقى لهم مطمع في الانتفاع من ضعفنا كما هي الحال الحاضرة . فان لم نفعل

نظل حيث نحن ولو أُعطينا الف دستور بدل الدستور الواحد او نبيت هدفاً لعوامل التقهقر الى درجة الانقراض حتى لا يبقى منا احد يخبر الامم عن جهلنا — هذا اذا بقيت البلاد بلادنا والملك ملكنا

ومن غرائب احوالنا نحن العثمانيين اننا نأخذ بمناصرة خصوم الارتقاء على شدة احتياجنا اليهِ وعلى علمنا بما كان عليهِ اسلافنا قديماً زمان كانوا لا ينامون عن المجد وراء احراز المجد

هذا ولكي نعرف نوع حرية الدستور ومقدار نطاقها حق المعرفة ينبغي ان نقابلها بحرية دستور الاسلام قديماً — تلك الحرية التي منحها عمر بن الخطاب للناس يوم قال لهم " من رأى منكم فيَّ اعوجاجاً فليقوّمهُ " فاذا قابلنا تبيَّن لنا وحدة النوع بينهما وان حريتنا اضيق نطاقاً من حرية اسلافنا الاقدمين لان ذلك النطاق الغريب قد وسع الحرية بجميع معانيها التي يمكن للعقل ان يتصوَّرها . فاذا لم يكن بدٌّ من الاستياء من حرية الدستور فلنستأ من ضيق نطاقها التماساً للزيد حتى يعادل ذلك النطاق القديم

على انهُ لمن المحال ان نجد اليوم بين حريات الامم الراقية ما يعادل الحرية التي اثبتها هذا القول . نعم قد سمعنا عاهل الالمان يقول لشعبهِ " انا خادمكم اسألوني فألبيكم " غير ان هذه الحلية التي حلَّى بها سلطانهُ هي صنعة يد العصر لا صنعة يدهِ فاين هو من ذلك الامير العربي الرافع لواء العدل الذي اندفع من تلقاء نفسهِ الى منح الحرية لشعبهِ من دون ان يسبقها طلب او ادنى حركة مقلقة من حركات هذا العصر القائمة عندهم ضد السلطات . واية حرية لشعبٍ من شعوبهم تضاهي جواب ذلك الشعب العربي بلسان واحد منهم نهض قائلاً " لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوّمناهُ بسيوفنا " بل اية منحة في عوالم السلطات تقاس بقول ذلك الخليفة العظيم الشأن " اشكر الله الذي جعل من يقوّم اعوجاج عمر بسيفهِ "

نقول : كما ان الحريَّة الاجتماعية عائد فضلها الى الاسلام كذلك المساواة لان مقدار الاسوة الذي جاءت بهِ الشريعة الغراء لم يسمع بمثلهِ قط . ولا حاجة الى ايراد ما يؤكد ذلك كقول عمر لامير ضرب اعرابياً " لا فرق عندنا في القضاء بين الامير والصعلوك " وكاستواء عليّ فيهِ مع رجل من عامة الاسرائيليين — لان ما جاء في الاسلام من نحو هذه الفضائل اعلى شهرة من ان يذكر فكلنا يعلم بما كان لليهود والنصارى في صدر الاسلام من الحرية الشخصية والمساواة في الحقوق اذ كان لهم ما للمسلمين بلا خلاف . ولا يزال صدى ذلك القول المأثور " لهم ما لنا وعليهم ما علينا " يدوي حتى في آذان العامة ولا يرد

عليهِ ما حرموهم اياهُ من الحقوق الوطنية فان ذلك الحرمان لم يكن من الشريعة اصلاً وانما اقتضتهُ السياسة زمانئذٍ لضعف الثقة بهم اذ كانوا حديثي العهد بالمواطنة وكانت الفتوحات مدار السياسة الاسلامية

ولا جدال ان دولة الاسلام الاولى كانت تحكم بأحكام دستوريَّة محضة. ولا يشكل بعدم قيام مجالس نيابية فيها فانهُ لا علاقة بينها و بين الدستور الا من حيث الخوف من الرجوع الى الاستبداد خصوصاً وان الدستور لم يكن منهُ الا احكامهُ اي ان اسمهُ ما كان معروفاً عندهم فكان الدين قائماً مقامهُ لمنع السلطة من الاستبداد. وواضح ان انتشار روح الدين ايامئذٍ بقوة راسخة واتخاذ الشريعة اساساً لكل عمل اغناهم عن كل ذلك اذ لم يكن قط ما يدعو الى الخوف من استيلاء الاستبداد

غير ان الانسان يبطر والايام تتغير فلم يكن الا ردح من الدهر حتى دبَّت عقارب الضغط والقهر فتوارى العدل وتنوسي الفضل و برز الظلم وانطفأ نور العلم

ولذلك اسباب سياسية منها تجزُّؤ المملكة العربية زمان لم يبقَ في وسع الخلفاء اخضاع العمال الذين مرقوا من طاعتهم وتحكموا في رقاب الناس كيف شاؤُوا. ومنها غارة جبابرة اجتاحوا البلاد بحملاتهم وهتكوا حرمة العدل باستبدادهم. واخيراً مظالم الالتزام ايام كانت البلاد تباع اقساماً لمدات معينة والحكم لمن يدفع الاكثر وكان الشارون يدخلونها فاغري الافواه لابتلاع اموال الناس. واظن ان سوريا لا تخلو اليوم من شيوخ قد لحقوا شيئاً من ذلك البلص. على ان الاستبداد الاخير قد رجع بالبلاد الى مثل ذلك الالتزام اذ كان الولاة والمتصرفون يبتاعون مراكز الحكم بالمال كما هو معلوم

فامر مسلَّم هو ان تلك الشدائد السياسية مع انطفاء نور العلم الديني والدنيوي معاً وابتداع تعاليم فاسدة اتخذها الناس قاعدة للظالم — كل ذلك جعلنا وراء سائر الامم بين ان وسائل التقدم منا على قاب قوسين — ولكن ما الحيلة اذا كنا نأبى الا ان نعيش بعوائد راسخة نجد بها لذة التفوق والسيادة على جهلنا بان اسلافنا الاقدمين كانوا يستخرجون من مكنونات الدين الاجتماعية جواهر باهرة وبانا كلنا اخوة في البشرية والوطن. ألسنا نعلم ان تلك العوائد هي غرسة يد الجهل لا غرسة الدين بحق م‍َ اذن نتقاعد عن استخدام قوة الارادة لقلعها. فان كان ولا بد لنا من الامتيازات الدينيَّة فلنتوقعها في السماء دون الارض لان للامتيازات الارضية احوالاً اخرى لا تعلق لها بالدين وهاك بيان ذلك

ليس يخاف ان المساواة التي اسمعنا اياها الدستور هي المساواة في الحقوق ليس غير

لان المساواة في غير الحقوق مستحيلة على الارض . ثم من المعلوم ان كل فرد من افراد الانسان يختلف عن غيره في الاخلاق والمدارك والاستعداد الى آخر ما هنالك من المميزات بين الافراد حتى يستحيل وجود اثنين متساويين . وعليه فاذا طالب احد منا غيره بالمساواة في غير الحقوق فانما يطالبهُ بالمستحيل ولعل هذه المساواة لا توجد حتى ولا في عالم واحد من عوالم الاكوان كلها لاختلاف طبائع الكائنات . اذن اية مساواة جاءنا بها الدستور ان لم تكن المساواة في الحقوق حال كونهِ لا يستطيع ان يوجد لنا مساواة اخرى غيرها ولو عززناهُ بملايين من الدساتير

هذا ومن آفات الحياة الاجتماعية التي نجدها في بلادنا دون سائر بلاد الله ان نرى زيدًا من الناس يدعي التفوق على عمرو لاختلافهِ عنهُ دينًا كأن الدين جاء ليعلو بالوضيع على الرفيع . مع ان مقامات الناس انما تكون بحكم التأثير في الهيئة الاجتماعية فكل مقام لا تأثير لهُ فيها كمقام الغني اللئيم مثلاً هو باطل . فالوثني المحسن الصالح مثلاً أعلى مقامًا في نظر الارض والسماء معًا من اللئيم المسيء المتدين باحد الاديان المنزلة لمجرد التفاخر بدينهِ . ومقام العالم الوثني فوق مقام الجاهل مهما كان دينهُ . ومقام فيلسوف من فلاسفة اليونان كارسطو وسقراط يعلو على جميع ما في شرقنا الآن من المقامات . فاذا رأيت عطلاً يحدثك عن معبودهِ او عن جدودهِ فاولهِ ظهرك وامشِ لان المقامات الصحيحة انما تقوم بالذاتية

مرسين جرجس خولي

المكاتب العربية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعت على الخطب التي تليت يوم افتتاح الجامعة المصرية ونشرتموها في جزئي يناير وفبراير وقد وقفت امام عبارة تاريخية وردت في خطبة حضرة احمد بك زكي سكرتير الجامعة وهي قولهُ " ان المكتبة التي جمعها بطرابلس بيت من بيوت القضاة وهم آل عمار بلغت ٣٠٠٠٠٠٠ مجلد ولكنها قضى عليها نحس الطالع فذهبت كلها طعمة للنار "

فهل يريد حضرة زكي بك انهُ كان في طرابلس الشام مكتبة لبعض قضاتها تحوي ثلاثة ملايين من المجلدات افلا تظنون انهُ وقع خطاء مطبعي والصواب حذف صفرين من الاصفار الستة فان ذلك اقرب الى العقل وثلاثون الفًا من المجلدات ليست مما يستهان بهِ بل هي مكتبة كبيرة جدًّا اذا احتواها بيت انسان واحد اما اذا حوت تلك المكتبة ثلاثة ملايين

مجلد فتكون اوسع مما استطاع جمعهُ المتقدمون والمتأخرون في مكتبة واحدة فارجوان تنصحوا لنا عن رأيكم في ذلك ولكم الفضل بيروت احد الطلبة

[المقتطف] لا ندري عمن نقل حضرة الخطيب ما نقلهُ . وقد جاء في تاريخ سورية الذي الفهُ حضرة المؤرخ جرجي افندي يني الطرابلسي في الصفحة ٣٨٢ما نصهُ " ان خزائن طرابلس كانت ملئت من الكتب المفيدة التي احالها الافرنج رماداً تخسر العالم بفقدها كنزاً عظيماً فان بين مجلداتها كثيراً من كتب الفرس والعرب واليونان وكان فيها عديد من الكتبة يشتغلون على الدوام بنسخ كتب الخط وقال ابن طيء المؤرخ العربي ان عدد هذه الكتب كان ثلاثة ملايين من المجلدات غير ان مؤرخاً آخر يقول ان عددها لم يتجاوز المائة الف مجلد وان جامعها القاضي ابو حسن طالب وهو نفسهُ قد ألف كثيراً وانهُ كان متولياً البلدة وقد بعث برسائل الى الاقطار مفتشاً عن الكتب النادرة مهما كان ثمنها عظيماً وقد ندب مؤرخو العرب فقدان تلك المكتبة على ان المؤرخين الصليبيين القدماء لم يذكروا عنها شيئاً ليستروا زلة قومهم "

وواضح مما تقدم ان احد مؤرخي العرب جعل عدد تلك الكتب ثلاثة ملايين اي اكثر مما استطاع جمعهُ اي ملك كان من الملوك العظام واكثر مما في المكتبة الانكليزية الكبرى والمكتبة الالمانية الكبرى ومثل ما في المكتبة الفرنسوية الكبرى او اكثر منهُ وان مؤرخاً آخر قال ان عددها مئة الف فقط وان اسم جامعها هو القاضي ابو حسن طالب . وقد نقل كترمير في تاريخ المماليك ان عددها مئة الف ايضاً وان الذين جمعوها آل عمار ونقلت ذلك الانسكلوبيذيا البريطانية في كلامها على طرابلس اما ابن الاثير وابن خلدون فذكرا اخذ الافرنج لطرابلس ولم يذكرا شيئاً عن حرق كتبها وواضح مما جاء في ابن الاثير ان آل عمار كانوا ولاة طرابلس او على الاقل القاضي فخر الملك ابو علي ابن عمار . وقد قال ابن الاثير ان الافرنج نهبوا من اهل طرابلس الاموال والامتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحدُّ ولا يحصى ولم يقل انهم احرقوها وكان ذلك سنة ٥٠٣ للهجرة وكان ابن عمار والياً على طرابلس فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٠١ ان القاضي فخر الملك ابا علي ابن عمار صاحب طرابلس الشام ورد الى بغداد قاصداً باب السلطان محمد مستنفراً على الفرنج طالباً تسيير العساكر لازاحتهم عن طرابلس . اما اهالي طرابلس فراسلوا الافضل امير الجيوش بمصر يلتمسون منهُ والياً يكون عندهم ومعهُ الميرة في البحر فسيَّر اليهم شرف الدولة بن ابي الطيب والياً ومعهُ الغلة وغيرها مما تحتاج اليهِ البلاد في الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة

من اهل ابن عمار واصحابهِ واخذ ما وجدهُ من ذخائرهِ وآلاتهِ وغير ذلك وحمل الجميع الى مصر في البحر فاذاً نُهب اموال آل عمار والٍ من قبل مصر لا الافرنج على قول ابن الاثير. وان كان ذلك الوالي قد ارسل الامتعة الى مصر وترك الكتب فيكون ذلك لقلة احتفاله بها وان صحَّ ان آل عمار هم الذين جمعوا تلك الكتب فالذين جمعوها من ولاة طرابلس لا من آحاد الناس فهي مكتبة عموميَّة ويبقى امر الاختلاف بين ما نقلهُ تاريخ المماليك وما نقلهُ تاريخ سورية في اسم الجامع لهذه الكتب وبين المؤرخين الذين استشهد بهما تاريخ سورية . وان كان اغفال المؤرخين الصليبيين القدماء ذكر احتراق هذه المكتبة هو لستر زلة قومهم فلماذا اغفل ذكرهُ ابن الاثير وابن خلدون ايضاً. هذه امور تستحق البحث المدقق اما القول ان تلك المكتبة كانت تحوي ثلاثة ملايين من المجلدات اي اكثر مما تحويهِ المكتبة الخديوية ستين ضعفاً فما يصعب تصديقهُ

الوحام والاجنة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

ذكرتم في الجزء الماضي في ما اجبتم بهِ عن السؤال الاول انهُ لم يتم دليل علمي حتى الآن على تأثير الوحام في الاجنَّة على ما جاء في قصة لابان . والمتعارف عندنا ان الوحام يؤثر في الاجنَّة ويذكر الناس اشياء كثيرة غير عادية ظهرت في الاجنَّة ولا تعليل لظهورها غير ان امهاتهم توحمنَ عليها ومنْ حوامل كأنْ يولد الطفل وفي وجههِ علامة مثل التفاحة لان امَّهُ توحَّمت على التفاح وهي حامل بهِ او يولد وفي ذراعهِ علامة تشبه القثاء لان امهُ توحمت على القثاء . افلم يذكر العلماء ولا سيما الاطباء امثلة مثل هذه وكيف تعللونها

مصر باحث مستفيد

[المقتطف] نعم ذكر الكتاب امثلة كثيرة من هذا القبيل ذاهبين فيها الى ان وحام المرأة او ما يعرض لها اثناء الحمل يؤثر في جنينها جسداً وعقلاً وقد جمعت الدكتورة فلورنس دوسلر الامثلة التالية على ذلك

المثال الاول . قال الدكتور بنكوست ان امرأة رأت زوجها دخل بيتهُ ووجههُ وارم مشوَّه من لطمة اصابتهُ وكانت حبلى فولدت ابنة وجهها وارم محمرٌ

المثال الثاني . جاء في كتاب الاحاديث الطبيعية ان ولداً حرق وجههُ وتشوه ورأتهُ

امهُ على تلك الحال وكانت حبلى فلما جاء وقت ولادتها ولدت جنيناً ميتاً ورأسهُ كبير بالنسبة الى جسمهِ وعليهِ نقاط كأنهُ محروق

المثال الثالث . روى الدكتور اشبرتن طمسن ان رجلاً اصيب بآفة واضطرَّ الجراح ان يخرق رقبتهُ ويدخل فيها انبوباً يتنفس منهُ . ورأتهُ امرأة حامل وهو على تلك الحال فرسخ في ذهنها ان جنينها سيولد مشوَّهاً كذلك فولدت طفلاً في عنقهِ شق كالشق الذي رأتهُ في عنق ذلك الرجل

المثال الرابع . خُرقت اذنا ابنة للبس الحلق وكان ذلك على غير رضى امها وكانت حبلى واعتقدت انها ستلد طفلاً اذناهُ مخروقتان فكان كذلك

المثال الخامس . ولد طفل وفي احدى قدميهِ اربع اصابع فقط وهي فاقدة الاصبع الاصغر وقالت امهُ انها لما كانت حبلى كان زوجها يقص اظافر قدمها فلما وصل الى الاصبع الاصغر قال لها مازحاً الاحسن قص هذا الاصبع فصرخت وابعدت رجلها عنهُ غيظاً فاثَّر ذلك في جنينها

المثال السادس . روى الدكتور مانجن ان امرأة رأت قريباً لها والطبيب يعلق لهُ العلق (الدود) على رجله فنفرت من ذلك وكانت حبلى فولدت طفلاً على رجلهِ شيء كالعلقة لاصق بها

المثال السابع . كان ولد مغرماً بالمراهنة يراهن رفاقهُ التلامذة على كل شيء ويكسب منهم ولا يكلم احداً الاَّ ويدعوهُ الى المراهنة حتى ضاق بهِ معلموهُ ذرعاً وقاصُّوهُ كثيراً ولم يرتدع وبحث طبيب العائلة عن سبب ذلك فوجد ان ابا الولد كان يركب خيل الرهان ويعلم ايهما يسبق غيرهُ ويخبر زوجتهُ لكي تذهب وتراهن وكانت تفعل ذلك دائماً وهي حبلى بهِ ثم تركت الرهان وترك زوجها ركوب الخيل واحترف حرفة اخرى وولد لهما اولاد آخرون ولكنهم لم يكونوا مثل الولد الاول المغرم بالرهان

المثال الثامن . كان رجل سائراً مع امرأتهِ في غابة ليلاً ورأيا شيئاً خافت المرأة منهُ وطلبت من زوجها ان يهرب بها وكانت حبلى في شهرها السادس اما هو فامعن نظرهُ في الشيء الذي اخافها فوجد انهُ رجل سكران ملقى على الارض يتمرَّغ ثم ولدت تلك المرأة ابنة معتوهة كالسكران

المثال التاسع . قال الاستاذ فولر اصيب ولد على رأسهِ بشيء سلخ جلدهُ وأتي بهِ الى البيت على هذه الصورة ورأتهُ امهُ وكانت حبلى فولدت طفلاً مشوَّهاً معتوهاً

المثال العاشر · قال الدكتور بنكوست ان امراةً أُجبرت على رؤية عجل يذبح ويشق بطنهُ وتنزع امعاؤهُ منهُ وكانت حبلى فولدت طفلاً امعاؤهُ خارجة من بطنهِ

المثال الحادي عشر · راى رجل خنوصاً صغيراً راكضاً يفتش عن امهِ ليرضع منها فضربهُ بعصاً كسرت ظهرهُ فزعق زعيقاً مؤلماً وكانت زوجتهُ واقفة ورأت الخنوص وسمعت صوتهُ وقالت انهُ خرق اذنيها وكانت حبلى فلما ولدت جاء طفلها فاقداً قوة الحركة في ظهرهِ ورجليهِ

ويقال ان ام نبوليون بونابرت رافقت زوجها في واقعة حربية وهي حامل وساعدتهُ في تنظيم حركات الجنود فولد نبوليون وهو رجل حرب لا يهنأ لهُ عيش الاَّ اذا كان على ظهر جوادهِ يدير الوقائع الحربية ولم يكن احد من اخوتهِ كذلك

وان موزار الموسيقي المشهور كانت امهُ تشتغل بالموسيقى وهي حامل بهِ ثم اهملت الموسيقى بعد ولادتهِ فجاء اولادها بعدهُ ولا ميل لهم اليها

وان ابنة مدام بورغي مامو كانت تغني كل اغاني الاوبرا وهي في الثالثة او الرابعة من عمرها من غير ان تتعلم وذلك لان امها كانت تغني في الاوبرا وهي حامل بها

وزارح كلبرن الرياضي كان نابغة في الرياضيات وسئل وهو في السادسة من عمرهِ كم يوم وكم ساعة في ١٨١١ سنة فاجاب بعد ثلث دقيقة ان فيها ١٥. ٦٦١ يوماً و١٥٨٦٤٣٦٠ ساعة وقد كانت امهُ حائكة تحيك المنسوجات المرقّقة وتعد الخيوط وتحسب ما يلزم ان يؤْخذ من كل لون لتكوين العروق اللازمة وكانت تفعل ذلك وهي حامل فولد حسَّاباً كما تقدم

وقد ذكروا امثلة كثيرة من هذا القبيل ولاسيما من حيث ولادة الاولاد الجمال المنظر المعتدلي القامة وتعليل ذلك بان امهاتهم كنَّ ينظرن الى الصور الجميلة في حال حملهن

ولكن من يمعن نظرهُ في هذه الحوادث وامثالها يجد ان التعليل يوجد بعد الحادثة اي اذا وُلد ولد وفيهِ علامة ما غير عادية ادعت امهُ انها رأت ما يشبه تلك العلامة فاثَّرت رؤيتها فيها · ولم يُذكر ان امرأة حبلى رأت شيئاً غير عادي وانبأت هي او غيرها ان طفلها سيولد وفيهِ ما يشير الى ذلك الشيء وكتب ذلك في كتاب حتى لا يقع غلط فيهِ لانهُ لا يعتمد على الذاكرة في هذه الاحوال

واذا كانت الحوادث المتقدمة صحيحة فلماذا لا تتخذ قاعدة لتحسين نوع الانسان شكلاً ولوناً وقواماً وعقلاً وادباً

ثم اننا رأينا بعض العلامات التي قيل انها تشبه شيئاً رأتهُ الحامل فلم نرَ اقل مشابهة بينها و بين ما قيل انها تشبههُ فقد قيل لنا مرةً ان ولداً ولد وفي جنبهِ صورة سمكة ولكن ذلك

ناتج عن ان امهُ اشتهت السمك وهي حامل وحكّت جنبها فجاء ابنها وفي جنبهِ صورة سمكة ولما اظهرنا الريب في ذلك اتونا بالولد وكان فتى فرأينا في جنبهِ مشحة بنيّة اللون لا تشبه السمكة الاَّ في كونها طويلة ضيقة وليس لها رأس ولا ذنب ولا زعانف ولا شيء من مقومات صورة السمك

وقيل لنا مرةً اخرى ان ولداً ولد وفي عنقهِ صورة كبش من كبوش التوت الشامي لان امهُ اشتهت التوت الشامي وهي حامل وحكّت عنقها فرايناهُ واذا في عنقهِ شامة كبيرة مستطيلة لا غير ولم نرَ شبهاً بينها وبين التوت الشامي

وكل حامل ترى اموراً كثيرة تؤَثر فيها مدة حملها وتشتهي اشياء كثيرة فلو كان ذلك يؤَثر في الجنين لما وجدنا حدًّا لاختلاف صور الناس المقدَّمة لاشكالهم

ولا شبهة ان حالة الحامل الصحيَّة تؤَثر في جنينها وانهُ يرث منها ومن ابيهِ واسلافهما كل ما فيهِ جسداً وعقلاً وانهُ قد يشذُّ عنهما في اشياء لان الدقائق التي تصل اليهِ منهما تتركَّب فيهِ على صور تخالف الصور الاصلية التي كانت فيهما . ومن المحتمل ان الامور التي تؤَثر فيها تأثيراً شديداً تؤَثر في جنينها ايضاً ولكن الذي يعلم كيف يتكوَّن الجنين وكيف انهُ خلاصة تاريخ والديهِ واسلافهما منذ الوف والوف الوف من السنين ولم تثبت صفة فيهِ الاَّ بعد ان توالت على اسلافهِ اعقاباً كثيرة لا يصدّق ان رؤْية المرأة وجه زوجها وارماً تؤَثر في جنينها فيولد ووجههُ وارم

ومهما يكن من ذلك فالامر يحتاج الى تحقيق علمي وتجارب كثيرة حتى يثبت او ينفى بالامتحان

مذهب جديد في تعليم اللغة العربية

يا صاحبي المقتطف الزاهر

سلام عليكما ونفع الله بعلمكما الناس وبعد فارجو ان تفسحا للبيان الآتي مجالاً في صحيفتكما الزاهرة

لا يخفى على المشتغلين بتعليم اللغة العربيَّة او تعلمها انها من اصعب لغات الارض وان الناشىء قد يصادفهُ من العقبات ما لا يصادفهُ من اللغات الاوربيَّة واكثر المصاعب وضوحاً في اللغة العربيَّة ما يأتي :

١ ان اللفظ الواحد فيها يمكن ان ينطبق على صور مختلفة ويؤدي معاني مختلفة فلفظ (فهم) مثلاً يقرأ فُهِمَ وَفَهِمَ وفَهْمٌ وعلم يقرأ عَلِمَ وعُلِمَ وعَلَمٌ وعِلْمٌ

٢ ان اللغة المكتوبة والمقروءة في الكتب الصحيحة واسفار العلم وصحف الادب ونحوها هي اللغة الفصحى وهنالك غيرها لهجات شائعة بين عوام الناس وتختلف باختلاف الاقليم الواحد والقطر الواحد ويشاهد برهان ذلك ان فلاح مصر لا يمكنهُ فهم لغة رجل من المغرب الاقصى او الجزائر او الشام . فالعربي في الحقيقة يتعلم لغة للتفهم اليومي ولغة لفهم ودرس الكتب الفصيحة

امام هاتين الصعوبتين الرئيسيتين في اللغة العربية نرى ان اللغات الاوربية خالية من كل ما يصعب تعلمها ويجعل السبيل اليها وعراً . فالاختلاف بين لغتهم المكتوبة والمقروءة والمتكلم بها قليل او معدوم ولذلك تجدهم يكتبون تحاريرهم ونحوها بدون تكلف وتراهم يجيدون فيها باقل عناء. زد على ذلك ان اللفظ الواحد عندهم لهُ رسم واحد فلا يلتبس بغيرهِ ففي الانكليزية مثلاً لا يمكن ان يحتمل اللفظ الواحد من المعاني غير الدال عليهِ وذلك لعدم الاحتياج الى ما يماثل الشكل في اللغة العربية

ولذلك قد فكر الضعيف صاحب هذه السطور في استنباط طريقة مبنية على اساس بيداجوجي بها يسهل تعليم وتعلم اللغة العربية الشريفة ولو ان اهل التفكير واصحاب الرأي السليم يشفعون مقالي هذا بما يبدو لهم استحساناً واستهجاناً وما يؤيد كلاً لعملوا الواجب نحو لغتهم الشريفة

في الفرق الاولية من المدارس النظامية لا يستحسن تعليم شيء من اجرومية اللغة العربية ونحوها وصرفها بل الاولى ان ينصرف التلاميذ الى الامور الآتية

(اولاً) حفظ قسم كبير من القرآن الكريم بالضبط والشكل الكامل مع فهم المعاني فهماً جيداً ويكون الحفظ عن ظهر قلب

(ثانياً) حفظ ما استسهل واستعذب وجاد من اشعار العرب بعد الاسلام ويكون الحفظ عن ظهر قلب المتعلم

(ثالثاً) تكليف التلاميذ بانشاء منشآت مع ادخال المناسب مما حفظوهُ

(رابعاً) الخطابة يلزم ان يتدرب عليها التلاميذ وتفرض لها جوائز . ومناظرة بعضهم بعضاً واستعمال اللغة العربية الفصيحة في جدلهم من اول الامور الواجب الاهتمام بها اهتماماً عظيماً . ويلزم ان لا يتكلم التلاميذ مع معلميهم او مع رفاقهم الا باللغة الفصحى

ويجب في الفرق الراقية ان يكثر التلاميذ من عمل المنشآت ويتدربوا على تنسيق الموضوعات وابداء الآراء بطريقة منطقية راقية في قالب فصيح عذب . وبالجملة فاني اري ان التلميذ يلزم ان يرمي بسهمين في آن واحد اولها حفظ الكثير من اشعار العرب وكلامهم والقرآن الكريم ثانياً استعمال العربية الفصحى كثيراً في المخاطبة والجدل .

اما النحو والصرف وعلوم الادب فتعلم في الفرق الارقى وبالطرق البيداجوجية الصائبة فيلزم ان تستخرج القواعد من امثلة كثيرة لا ان يذكر المدرس القاعدة ويمثل لها بامثلة قليلة مبتذلة ويلزم الاعتناء والاكثار من التمرينات فالتمرين ليس كمثله شيء في ازالة العقبات وتذليل المستعصيات ولقد يأتي الانسان بالمدهش والمعجب ويصير وحيد دهره وعالم عصره باي شيء مها صعب وذلك كلهُ بالتمرن عليهِ والتدرب فيهِ

مصر حسين لبيب
مدرسة المعلمين الخديوية

تنازع البقاء بين العلوم

نشر المقتطف في الجزئين الاول والثاني من مجلده الرابع والثلاثين الصادرين في شهري يناير وفبراير (كانون الثاني وشباط) من العام الحاضر جانباً من مقالة علمية وضعها الدكتور شبلي شميل لتكون مقدمة لكتاب عزم على اعادة طبعهِ وهو "شرح بخنر على دارون" . وقد اشتملت هذه المقالة على آراء غريبة لم يألف قراءة شيء يماثلها الناطقون بالضاد الاَّ من تفرّغ منهم لدرس العلوم العالية واشتغل بالبحث عن الحقائق الملموسة وغير الملموسة

ولما كنت من الذين اهتموا بمثل هذه المباحث وقد عكفت على تمحيصها منذ حداثة سني جئت اذكر هنا ما جال في خاطري عند مطالعتي تلك المقالة . فاقول

ان المقالة التي وضعها الدكتور شميل اذا حللناها الى عناصرها الاخيرة على مذهب الكيماويين او نظرنا في مقدماتها ونتائجها على مذهب المنطقيين رأيناها تحوم حول نقطة واحدة هي هدم ركنين من اركان الاجتماع البشري وهما : الدين والشرع : وما ذلك الاَّ ليقيم مقامهما ركناً اوهى من خيط العنكبوت هو : الطبيعة ونواميسها المسيِّرة : ولم يراعِ حضرتهُ الفرق العظيم الموجود بين الحوادث البشريَّة والحوادث الطبيعية فاراد ان يطبّق الشرائع البشرية التي اساسها الاختيار على الشرائع الطبيعيَّة التي اساسها الاضطرار . وقال " ان

درس نواميس الاجتماع البشري يجب ان يكون بدرس الجسم الحي نفسهِ ووضع نظاماته على نفس نظاماته لان الاجتماع البشري نفسهُ ليس الاّ جسماً حيّاً ايضاً "

ومن الغريب انهُ مع اعتقادهِ وجوب المبادرة الى هذا التطبيق فقد اقرّ هو نفسهُ " ان الاجتماع (البشري) عاقل والطبيعة عمياء " فلا نعلم كيف انهُ يريد تطبيق ما هو عاقل على ما هو اعمى الاّ اذا حاول سلخ الحرية من افراد بني البشر ونزع مسؤوليتهم عن اعمالهم . وبغير ذلك يكون هذا التطبيق معمّى لا يدرك لهُ معنى

اما البراهين التي اتى بها لهدم ما بناه عقلاء بني البشر في مدة تتجاوز عشرين قرناً فهي قولهُ :

" ان العلوم الدينيّة تفصل الانسان عن هذا العالم حتى لا يعود يعتد بهِ وهو بالواقع لا ينفصل عنهُ شيء حتى ولا بالموت . والحياة الادبيّة تصوّرهُ فوق حقيقتهِ بكثير كما تتخيل هي لا كما هو فتزيدهُ ضعفاً على ضعفهِ وتجعل حياتهُ تكلّفاً ورياء . وهاتان الحياتان الخياليتان تصطدمان في الاجتماع بالحياة العملية التي لا يسع الانسان ان ينفك عنها طرفة عين فتتنازعهُ كل هذه العوامل المتناقضة وتمزّقهُ اي تمزيق وهو الخاسر في هذا التنازع . ولو بُني دين الانسان على علاقتهِ الحقيقية الطبيعيّة واُقيمت آدابهُ على نواميس الاجتماع الطبيعي لكان في كل اعمالهِ متناسباً مع نفسهِ متوافقاً مع تعاليمهِ .... ولاستغنى عن تلك الفلسفة النظرية المضللة المبنية على الخيال واقام مقامها الفلسفة العملية الهادية الى السبيل القويم "

وقد توصل الدكتور شميل بتلك الاقوال الى هذه النتيجة العظمى وهي : " ان العلوم الطبيعيّة هي المعول الذي يزعزع اركان تلك العلوم (اي العلوم النظرية) ويهدم بنيانها . بل هي المعول الذي سيتكفل بقلب ما بني عليها من النظامات المتقلقلة والشرائع التي هي سبب كل ما نراهُ من الاضطراب في الاجتماع لفقد التوازن "

وانتقل حضرتهُ من الطعن على العلوم النظرية الى الطعن على الشرائع الثيوقراطية والشرائع الاوتوقراطية . كأن الفلاسفة هم الواضعون لتلك الشرائع المسؤولون عما سببتهُ من استبداد السلطتين الدينية والمدنية واعتدائهما على حقوق الافراد ومصلحة الجمهور استيثاراً بنعمة ائمة الدين والدنيا الشخصية

اما حدة انتقادهِ العلوم الفلسفيّة والادبية فقد بلغت بهِ الى درجة حملتهُ على اعتبارها عقبة في سبيل ارتقاء الانسان وجعلتهُ يشدّد النكير على الحكومات التي " ما زالت تؤيدها

وتنشئ لها المعاهد وتقيم لها الجامعات التي يتغنى بها بعض الشعوب حتى اليوم والتي لا يزول ضررها الاّ بانقراضها "

ومن غريب غلوّهِ بالحمل على هذه العلوم انهُ استحسن حرق مكتبة الاسكندرية لانّ كتبها الثمينة لم تكن سوى " آثار مخلدة لضلال الانسان صارفة اياهُ من النظر في ما لديهِ من الحقائق مانعة لهُ عن السلوك في الصراط المستقيم "

وحيث ان هذه العلوم لم تفقد بين الناس بحرق تلك الكتب لاهتمام الخلف بلمّ شعثها وجمع شتاتها في كتب طبعت اليوم طبعات تعدّ بعشرات الوف الالوف فقد تمنّى لها الانقراض بل تنبأ بانقراضها في القريب العاجل بقولهِ : " ولكنها ستنقرض وستنقرض معها كل تلك العلوم العالية كما يسمونها اليوم حتى يعفو اثرها وهي من يوم خطا الانسان الخطى الصائبة في علوم الطبيعة في احتضار ستجهز عليها وكل سنة في هذا السبيل بمقام قرون في الماضي "

فاذا صدقت نبوة الدكتور شميل تمّ لا محالة هذا الانقراض بفعل ناموس تنازع البقاء وتغلب العلوم الطبيعية القوية على العلوم النظرية الضعيفة · واصبحت هذه العلوم الاخيرة حلقة من الحلقات المفقودة في سلسلة المعارف البشرية سوف يبحث عن آثارها خلفاؤنا كما نحن اليوم نبحث عن الحلقات المفقودة في سلسلة الكائنات

ثم انهُ لما كان تاريخ العلوم الفلسفية لا يتجاوز القرن السابع قبل المسيح وكان من ثم دهر هذه العلوم نحو ستة وعشرين قرناً فاذا حسبنا كل سنة الآن في سبيل احتضار هذه العلوم بمقام ثلاثة قرون على الاقل فتكون المدة الباقية لها اقل من تسع سنوات على حساب الدكتور شميل

على انني أرى الدكتور شميل قد نسي اليوم ما قالهُ امس . والاّ لما ناقض بقولهِ هذا ما قالهُ في رسالتهِ " الحقيقة " التي طبعها منذ اعوام . فقد جاء في تلك الرسالة ما يأتي بالحرف الواحد :

" نعم ان صلاح الهيئة الاجتماعية صلاحاً تامًّا لا يكون الاّ اذا كان العلم الصحيح تامًّا عامًّا ولا بدّ منهُ يوماً ما الاّ ان ذلك بعيد جدًّا وربما لزم لهُ الوف من الاجيال لان ازالة ما رسخ في العقل من المبادىء في الوف من الاجيال ليست بالامر السهل "

فاين التسع السنوات الباقية لانقراض العلوم النظرية على ما قالهُ الدكتور شميل من الوف الاجيال التي ظنها ضرورية لتغلب العلوم الطبيعية عليها ونشر هذه العلوم بين الناس ورسوخها في عقولهم

وخلاصة القول ان الغرض الوحيد الذي من اجله وضع الدكتور شميل مقدمتهُ التي نحن في صددها هو تعظيم العلوم الطبيعية وجعلها وحدها منار الحق وقسطاس اليقين . فدعاها العلوم الحقيقية الصحيحة . ووصف العلوم الاخرى البشرية بالالفاظ الآتية : محاكات لا طائل تحتها . مخافات يتنزل العقل فيها الى حد التبذل . مخرقة وتفنن في المشاغبات لا دليل مرشد الى الحق رادع للباطل . هيام في الاوهام لا ضابط لها الا الخيال . حكايات كحكايات الغول والعنقاء " وشبهها " بسلم واهي الدرجات متناخر القوائم . وزينة كزينة القبور المكلسة . وعقال كعقال العقدة التي لا تحل " وغير ذلك من التشابيه الغريبة في بابها .

اما العلوم الطبيعية فهي على رأيهِ . " ام العلوم الحقيقية . ويقتضي ان تكون ام العلوم البشرية وان تقدم على كل شيء وان تدخل في تعليم كل شيء . فيصح نظر الانسان حينئذٍ في لغاتهِ وينتظم قياسهُ بدليلهِ وتقوى فلسفتهُ بارتباطها وتعلو ادابهُ لانطباقها على العمل وتصلح شرائعهُ لتطبيقها على نظام الاجتماع الطبيعي ويتسع عقلهُ لانطلاقهِ من قيودهِ المتناقضة وتقييدهِ بنظام واحد شامل ذي اتساع لا يحد وتصح احكامهُ لترتيبها على القياس الصحيح ويسرع ارتقاؤهُ لانطباقهِ في سيرهِ بهِ على نواميس الكون " .

ومعنى ذلك ان الانسان اذا نقب الارض ليدرس معادنها واكبَّ على انبيق الكيماويين ليحلل المادة الى عناصرها ودخل الغابات ليبحث عن انواع اشجارها وطباع حيواناتها وعالج مشراط الجراح وتعاطى صناعة الطب او البناء او الفلاحة والزراعة فقد صار لغويًا فصيحًا . ومنطقيًا مصيبًا . وفيلسوفًا حكيمًا . واديبًا فاضلاً . ومشترعًا عادلاً . كيف لا والعلوم العملية هي العلوم الحقيقية الصحيحة ذات المعجزات العجيبة . وما العلوم الاخرى الا اوهام في اوهام . ومخافات اضلت العقل واغوتهُ . وافسدت الآداب والاخلاق . وبلبلت نظام الاجتماع . وبذرت بذور البغضاء والشحناء بين الافراد والجماعات . اما العلوم الطبيعية فهي التي سوف تغير اخلاق الانسان وفلسفتهُ وشرائعهُ وحكوماتهِ وغير ذلك مما يتعلق بهيئتهِ الاجتماعية

ان العاقل منا اذا نظر في مثل هذه الاقوال نظر المتبصر يقف حائرًا مدهوشًا مما يراهُ فيها من الغلو والتهور اللذين تجل عنها الابحاث الفلسفية والعلمية

ولا يخفى ان كلام العلماء لا يقدَّر الا بقدر ما يتضمنهُ من الادلة والبراهين لا الطعن والتنديد . ومن ثم كان اول واجب على من يذهب مذهبًا حديثًا في العلوم او الفلسفة يناقض

المذاهب المتقدمة ويريد ان يبرهن على بطلان هذه وحقيقة تلك ان يراعي شعور خصومهِ فلا يقول لهم ان آراءهم : هذيان . ومخافات . ومماحكات . ومشاغبات . وتضليل وغير ذلك من الالفاظ التي تمس باحساسهم دون ان تقوي حجتهُ

قلت ذلك لان الحدة التي يبديها الدكتور شميل كما ذكر العلوم النظرية لو ابداها عالم نظري فقال عن مذهب العلماء الطبيعيين مثلاً : انهُ تضليل وغواية وهذيان وغير ذلك من قوارص الكلام لتحول البحث العلمي الى مشاحنة وضاعت الفائدة المقصودة منهُ . وليس هذا بمقام من جعل وجهتهُ البحث عن الحقائق العلمية للاستفادة والافادة

هذا ما جال في خاطري عندما طالعت المقدمة التي وضعها الدكتور شميل تعظيماً للعلوم الطبيعية

ولست انا ممن ينكرون ما للعلوم الطبيعية الجليلة من اليد البيضاء على الهيئة الاجتماعية وما يجنيهِ منها بنو البشر من الفوائد الجزيلة . وغاية ما اتمناهُ ان تسير هذه العلوم بجانب الفلسفة لتنفقا معاً على تبديد غياهب الجهل السائد بين الناس في ما يختص بامر دينهم ودنياهم

واستلفت هنا نظر الدكتور شميل الى حقيقة غابت عنهُ وهي ان الانسان يدرك العلوم بعقلهِ . وان الفلسفة هي علم العقل . فالفلسفة اذاً هي ام العلوم لا العلوم الطبيعية كما يدعي

ثم انني استأذنهُ ان اجول معهُ في ميدان البحث عن موضوع هو مدار الخلاف بين العلم والفلسفة ونقطة النزاع بين العلماء الماديين والعلماء الروحيين وهو : وجود النفس : وذلك اذا فسح لي المقتطف الاغر مجالاً لوضع مقالة عنوانها " المادة والروح " كنت قد شرعت في نشر جانب من مقدماتها في مجلة ادبية منذ احدى عشرة سنة ثم توقفت لتوقف تلك المجلة عن الظهور

يوسف شلحت

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فصل الخطاب في الرجل والمرأة (١)

هذا موضوع كان قد كتب فيهِ بعض المتأدبين في جرائد هذه المدينة (بيروت) ايام لم تكن هذه القصيرة اليد قادرة على الدخول في مثلهِ موضوعاً . وكثرت الحادثات فيهِ في الاجتماعات المنزلية على ما عرفت وظهر للمرأة انصار يوجبون مساواتها للرجل ظن انها في حالها المألوفة لها من صدور الدهر منحطة قدراً عن الرجل . وقد جرى امامي محادثة بين سيدتين متعلمتين تمادتا فيها وانتهتا الى ان المرأة ينبغي ان يكون لها من الحقوق في مناصب الحكومة مثل ما للرجل فمنذ ذلك اليوم جعلت افكر في هذه المسألة والتفت اثناء تفكيري فيها الى الحالة الاجتماعية التي جرت عليها المرأة من اوائل الدهر الى يومنا هذا فخطر لي ما انا كاتبتهُ وهو فيما اعتقد القول الفصل في المسألة المشار اليها فاقول

من المعلوم لكل احدٍ ان الرجل والمرأة مصدر الكائنات البشريَّة والعلة في بقائها فاذا انقرض احدهما انقرض النوع البشري برمتهِ حتى لا يبقى على سطح الغبراء ديَّار ولا نافخ نار وقد صاغ الخالق الحكيم كلاً منهما صيغة مناسبةً لما اراد بهِ كما صاغ كل واحدة من المشاعر الخمس صيغةً لا يحصل المقصود من تلك الحاسة الاَّ بها

وهذا المبدع الذي لا حدود لحكمتهِ ولا تخوم لقدرتهِ قد جعل البشر طبقات وجعل كلَّ طبقة محتاجة الى غيرها فكانت الحاجة هي الرابطة بين تلك الطبقات . فالملوك على مقامهم هم في حاجةٍ الى رجال السيف والقلم او الى الجند والوزراء . والاغنياء مع بسطة ثروتهم هم في حاجة الى الفقراء . وترى الجهال من اية طبقة كانوا في حاجةٍ الى العلماء والمرضى في حاجةٍ الى الاطباء ولا رزق لهؤلاء الاَّ العلل والاسقام فكأنما كرومهم وبساتينهم وحقولهم الحمى وذات الجنب والنقرس وانتفاخ الكبد ومرض القلب وهلمَّ جرًّا الى سائر

(١) للكاتبة الاديبة المرحومة انيسة كريمة الاستاذ سعيد الخوري الشرتوني

انواع المرض . وللفقراء اعمال ضرورية لا يستطيع الاغنياء أن يقوموا بها . فهل من غنيّ يكفيك مؤونة الزرع والحصاد والدياس والطحن والخبز ام هل من متمول يحمل لك الامتعة الى منزلك

ولكن الغنيّ يجلب لك القمح ويبيعك اياهُ بربحٍ فلولاهُ لكان يتعسر عليك او يتعذر جلب القمح من البلاد القاصية اعوام القحط فهذا بثروتهِ نفعك لينتفع منك . وعلى هذه القاعدة وزّع الخالق الحكيم اعمال الحياة بين الرجل والمرأة وبتعاونهما واتحادهما يحفظ النوع وتستتب احوال البيوت و يستمر الكون معمورًا

ماذا اراد الخالق بالمرأة

اذا نظرت المرأة الى الغرض العظيم الشان الذي كونت تكوينًا كافلاً القيام بهِ رأت انها منبت الورى كلهم اجمعين من ضعيف وقوي ومسكين وغني وجاهل وعالم وسوقة وملك . وعلمت علم اليقين انهُ لم يأتِ العالم رجل الاَّ خاضعًا لسلطانها منقادًا لحكمها لائذًا بأرفقها مستخرجًا رزقهُ من ثديها . لا ملجأ لهُ سواها . وانها هي اوّل استاذ لهُ واول حاكم عليهِ فما على وجه البسيطة من ملك لم يكن اول عهدهِ بالدنيا تحت يد المرأة وما من سلطان لم تعرك المرأة اذنهُ او تضرب خدهُ بكفها فاذا التفتت اختي المراة الى ما ذكرت رأت انها في مقام عالٍ في الاجتماع الانساني بل رأت انها احد ركني الكون العظيمين واذا نظرت الى ذلك حق لي القول ان من العجب العجاب ما يقرأ من المقالات لبعض النساء اللواتي يطلبن اعمال الرجال كالقضاء مثلاً مع ان الطبيعة تشهد بغير لسان ان الصيغة التي صيغت عليها المراة لم تعدّها لمثل ما تطلب نساء البلاد الزاهرة الحضارة المستأثرة بحمل راية المعارف والصنائع دون سائر بلاد الله كلها جمعاء

عظمة العمل الذي اعدت لهُ المرأة

يا لهُ من عمل خلقت لهُ المرأة يخطّ عندهُ كل عمل الا وهي التي خلقت لوقاية النوع البشريّ من الفناء والاضمحلال . وهي التي برئت لأن تهدي الى الدنيا الذرية البشرية الكافلة بقاء العمران ولان تربي الاطفال وتهذبهم ولان تكون ربة البيت وسائسة العائلة . وحسبي من بيان عظمة هذه الامور ان أوجه نظر المطالع اليها وحسبُ الرجل ان يراعي ذلك حتى يقدّم للمرأة حقها من التكريم بل حتى يضعها على منصة التعظيم ولما كان ذلك هو الغرض الذي ارادهُ الخالق بها صوّرها صورةً تسهل الطريق الى ادراكهِ فهي مقضيٌ عليها بالنظر الى جبلتها ان تكون ملازمةً بيتها معتنيةً بشؤونهِ قائمةً بتدبيرهِ كافية الرجل مؤونة

الاهتمام بما يلزم البيت من اعداد المآكل والملابس وتربية الاطفال ليكون هو متفرغاً للاشغال الخارجية التي يستخرج منها نفقة عيالهِ . وعلى وجه الاستطراد اقول ومن عجيب امر المرأة اقبالها على تربية طفلها بلذّة فوق لذّة اقبالها على التحلي بعقود الجمان وقلائد الياقوت والخروج الى المنازه في العجلات الفاخرة فلو لم يكن للمرأة من صنيع في الكون الا هذا لوجب ان تكرَّم لولا نهي الله عن السجود لغيرهِ بالسجود . فايّ رجل لم يكن وديعة رحمتها وامانة رأفتها ام ايّ رجل ليس هو ابن امرأةٍ . فهي امّ العلماء والاطباء والفلاسفة . وهي امّ العظماء والوزراء . وهي امّ الملوك . وهي امّ رؤساء الدين ووعاظ المنابر . وهي امّ الرسل والانبياء كما انها امّ اهل الزراعة والصناعة والتجارة فلا ادري كيف تطلب بعد هذا مساواة الرجل ومشاركتهُ في ما لم تخلق لهُ من الامور والاعمال

ما يجدر بالمرأة ان تباري الرجل فيهِ

ان الذي يجدر بالمرأة ان تباري الرجل فيهِ انما هو الاعمال التي يصلح لها كيانهُ وكيانها من نحو الكتابة والشعر والتصوير والنقاشة مما لا يدفع العامل الى التعرُّض للاعمال الشاقة . وفي الحقّ ان من بنات جنسي من بارينَ الرجل في الكتابة والشعر كالخنساء وابنتها عمرة وجليلة بنت مرّة زوجة كليبَ واخت جسَّاس قاتلهِ وعمرة بنت دُريد وعمرة الخثعميَّة والفارعة بنت شدَّاد والفارعة بنت طريف وفاطمة الخزاعية ولُبانة ومحبوبة ومفضَّلة الفزاريَّة وميَّة بنت ضرار . وميَّة بنت عتيبة واسماء بنت ابي بكر الصدّيق الى كثيرات غيرهنَّ ممن حفظت اسماؤهنَّ بما بقي لهنَّ من الشعر

وليس في الادباء من يجهل مقام الخنساء ومقام جليلة والفارعة بنت طريف وليلى الاخيليَّة . واذا اردت الاطلاع على ما لهؤلاء الشواعر وغيرهنَّ من الشعر فعليك بديوان الخنساء الذي نشرتهُ المطبعة اليسوعية وضُمَّت اليهِ قصائد في الرثاء لستين شاعرة من شواعر العرب . وتتبع كتب التراجم فترى عدة شواعر مثل عليَّة بنت المهديّ العباسيَّة اخت امير المؤمنين هارون الرشيد التي توفيت سنة ٢١٠ للهجرة فهذه لها ديوان شعر ومثل عائشة الباعونية صاحبة البيتين المشهورين وهما

بنى سلطاننا برقوق جسراً بعدل والعباد لهُ مطيعه
مجاز بالحقيقة فاسلكوهُ وامر بالسلوك على الشريعه

والباعونية هذه من اصحاب البديعيات

وكما بارت الرجل المرأة الشرقية في الكتابة والشعر فقد بارتهُ المرأة الغربية ايضاً كالسيدة

سيفينه وابنتها وحفيدتها والسيدة سيفينه عشرة مجلدات من الرسائل التي كتبتها الى ابنتها وهي عند الافرنج مثل مضروب في السهولة والانسجام وقد ذكر المقتطف ترجمتها ورسم صورتها

ومن كاتبات الافرنج السيدة منتنون التي طبعت رسائلها من بعد موتها والسيدة ستايل وهي اشهر النساء والمؤلفات في القرن الثامن عشر الى كثيرات غيرهنَّ

وقصارى القول ان استمرار النوع البشري في دار الدنيا قائم باثنين الرجل والمرأة فهما الركنان اللذان لا تعمر الارض بدونهما وان كلاً منهما ميسر بالصورة التي صوّر بها لضروب من اعمال الحياة لم يتيسر لها الآخر . وان من الاعمال ماهو موافق للاثنين وعلى هذا مشى الناس من صدور الدهر ولم يزالوا عليهِ الى اليوم ولن يزالوا ما بقوا فلا يظنن بعض اخواتي من اديبات العصر ان المرأة لا تستوفي حقها من الكرامة الا بمساواة الرجل ومشاركتهِ في كل ما اهلتهُ الطبيعة للانفراد بهِ كالجندية وصناعة البناء وصناعة الحدادة وسوق العجلات

فان العناية بتدبير البيت وترتيب احوال العائلة اس الراحة والاطمئنان وسبب لتفرغ الرجل لما يتعاطاهُ من صناعة او تجارة او خدمة وهو مما انفردت بهِ المرأة وهذا على اهميتهِ لا يُعدّ شيئًا بالقياس الى ما تهدي الى الدنيا من النسل وتعنى بتربيتهِ وتحتمل المشاق في سبيل تنشئتهِ

فاكتفي ايتها المرأة الحكيمة بالاستقلال بحمل هذا العبء العظيم الذي من اجلهِ يجب على الرجل ان يقدم لك أقصى ما يتصوَّر من التكريم

واما هذه الآراء الجديدة فلا أراها الاَّ من باب مخالفة الطبيعة ولا يُعرَف في الكون عمل خالف الطبيعة ونجح

وعلى سبيل الاستطراد اقول ان من شوائب هذا العصر ان جمهور اهلهِ يتهالكون على الجديد ولو باطلاً وينفرون من القديم ولو حقًّا وهو انحطاط عقلي يزري باهل عصر يسمونهُ عصر العلم . فسبيل كلٍّ من اهل العصر ان يعرض على عقلهِ ما يراهُ من الاقوال الجديدة المخالفة للعادات او قواعد او نواميس قديمة ويوازن بين الجديدة والعتيقة حالاً ومآلاً ونتيجة وسببًا ومسببًا وعليهِ قبل ان يفضل الجديد ان يكرّر هذه الموازنة مرَّات فاذا رأى ان الصواب اتباع الجديد اتبعهُ والاَّ بقي مستمسكًا بالقديم وهو على علم ان من الصواب البقاء عليهِ وان من الضلال اتباع الجديد الذي ولَّدهُ الغرور

هذا ولقد صار من اللائق ان نفكه المطالع بشيءٍ من شعر ربَّات الخدور مما تتراءى فيهِ العواطف الشريفة تحت ضياء العقل ونور الحكمة . قالت جليلة من قصيدة تخاطب بها

اخت كليب وهي من طيب الشعر

يا ابنة الأقوام ان لمت فلا تعجلي باللوم حتى تسألي
فاذا انت تبينت الذي يوجب اللوم فلومي واعذلي
ان تكن اخت امرئ ليمت على شفق منها عليه فافعلي
جل عندي فعل جساس فيا حسرتي عما انجلى او ينجلي
فعل جساس على وجدي به قاطع ظهري ومدن أجلي
لو بعين فقئت عين سوى أختها فانفقأت لم احفل
تحمل العين أذى العين كما تحمل الام اذى ما تفتلي
يا قتيلاً قوّض الدهر به سقف بيتيّ جميعاً من علٍ
هدم البيت الذي استحدثته وسعى في هدم بيتي الاول
ليس من يبكي ليومين كمن انما يبكي ليوم ينجلي
يشتفي المدرك بالثار وفي دركي ثاري ثكل مثكلي
انني قاتلة مقتولة ولعل الله ان يرتاح لي

وقالت الخنساء من قصيدة ترثي بها اخاها صخراً

يا عين جودي بالدمو ع المستهلات السوافح
فيضاً كما فاضت غرو ب المترعات من النواضح
وابكي لصخرٍ اذ ثوى بين الضريحة والصفائح
رمساً لدى جدث تذي م بتربه هوج النوافح
السيد الجحجاح وابن السادة الشم الجحاجح
الحامل الثقل المهم من الملمات الفوادح
الجابر العظم الكسير من المهاصر والمنائح
الغافر الذنب العظيم لذي القرابة والمالح

الى ان تقول

فاصابنا ريب الزمان فنالنا منه بناطح
فكأنما ام الزما ن نحورنا بمدى الذبائح
فنساؤنا يندبن نوحاً بعد هادية النوائح
يندبن فقد اخي الندى والخير والشيم الصوالح
والجود والايدي الطوا ل المستفيضات السوامح

فالآنَ نحن ومن سوا نا مثل اسنان القوارحِ

وقالت الفارعة بنت طريف ترثي اخاها الوليد الذي قتل سنة ١٧٩ للهجرة من قصيدةٍ

بتلّ نهاكى رسمُ قبرٍ كانهُ على جبلٍ فوق الجبال منيفِ
تضمّن مجدًا عدمليًا وسؤددًا وهمة مقدامٍ ورأي حصيفِ
ايا شجر الخابور مالك مورقًا كانك لم تجزع على ابن طريفِ
فتى لا يريد العزَّ الأَ من التقى ولا المال الأَ من قنًا وسيوفِ

الى ان تقول

حليف الندى ما عاش يرضى بهِ الندى فان مات لا يرضى الندى بحليف
خفيف على ظهر الجواد اذا غدا وليس على اعدائهِ بخفيف
وما زال حتى ازهقَ الموتُ نفسهُ شجًا لعدوٍّ او نجًا لضعيف

وقالت الحارثية بنت زيدٍ ترثي زياد بن عبيد القرشي من قصيدة

صلى الالهُ على قبرٍ وطهرهُ عند الثوية تسفي فوقهُ المورُ
زفت اليهِ قريش نعش سيدها ثمَّ كل التقي والبر مقبورُ

الى ان تقول

قد كنت تغشي وتعطي المال من سعة ان كان بيتك أضحى وهو مهجورُ

هذا وفي ظني ان المرأة اذا كتبت في التربية والتهذيب يتيسَّر لها نظرًا الى مزاولتها لذلك ان تذكر طرقًا تصل بالمربي الى ما ينوي من تقويم الطباع بصورةٍ لطيفةٍ ويخطر لها في هذا الباب ما قد لا يخطر للرجل لعدم مزاولتهِ لتربية الصغار وتثقيفهم. فعسى بعض اديبات العصر ان تندفع لتأدية هذه الخدمة على احسن ما ينتظر في مثل هذا الزمان ويعلم الله ان في نفسي شوقًا الى انشاء رسالة في هذا الموضوع وان كنت معترفة بقصر اليد لكن وقتي اقلُّ من ان يسع الاشتغال بمثل هذا الموضوع المحتاج الى اعمال الفكر للاتيان بما هو افضل نتيجةً من كلام من تقدَّموا فأَدعهُ لمن يسمح لها الوقت ان توفيهُ حقهُ والسلام . انتهى

طعام لا طبخ

قال احد العلماء اننا مهما عملنا لا نستطيع ان نعمل احسن مما عملتهُ الطبيعة فكل طعام نستطيبهُ من غير طبخ يجب ان يؤْكل من غير طبخ . فالفاكهة على انواعها نأْكلها من غير طبخ ونستطيبها فهي اصلح لنا واكثر غذاءً اذا اكلناها ناضجة في حالتها الطبيعية من غير طبخ

وقد علل بعضهم ذلك بقوله ان نور الشمس يذخر في الاثمار قوة حيوية وهي التي تفيدنا في اكلها ولو كنا لا نستطيع استخراجها منها وتحليلها بالوسائط الكيماوية

وقد بين المسيو جاك لوب في مباحثهِ الفسيولوجية الحديثة ان الجسم يستمد من الاطعمة القوة الكهربائية التي تكون مذخورة في دقائقها وان الحرارة المتكونة من الطعام ليست الشيء المقصود بالذات بل هي من نتائج الاشتعال وانما الامر المقصود بالذات هو القوة الكهربائية التي ينالها الجسم من الطعام

ويقول بعضهم ان تناول هذه القوة الكهربائية او الحيوية من الاطعمة اسهل وهي غير مطبوخة منهُ وهي مطبوخة ولاسيما اذا كانت من الفواكه والاثمار والحبوب وان حرارة النار وقت الطبخ تزيل هذه القوة من الطعام كما تزيل منهُ قوة النمو ولكن حرارة الطبخ لا تتلف كل دقائق الطعام كما تتلف بعضها فيغتذي الآكل مما لا يتلف منها واما ما يتلف فيصير فضولاً لا فائدة منهُ بل قد يكون منهُ ضرر ولا سيما في الشيخوخة اذ يكثر الحامض البوريك في الجسم فتكثر فيهِ المواد الجامدة التي تصلّب الاوعية الدموية وتزيل مرونتها وليونتها

وسواء كان اصحاب هذا المذهب مصيبين في قولهم او مغالين فيهِ فلا شبهة ان الاثمار كلها كالعنب والتين والتفاح والبرتقال وما اشبه يجب ان تؤْكل بلا طبخ وهي كذلك الذ منها مطبوخة. والبزور مثل الجوز واللوز والبندق يجب ان تؤْكل من غير طبخ وهي كثيرة الغذاء جدًّا. وهاك قائمة مافي بعض الفواكه والبزور والحبوب والاثمار من عناصر الغذاء وهي البروتيدات اي المواد النيتروجينية التي يتكون منها اللحم. والسكر والكربوهيدرات والدهن والهلام اي المواد التي يتكون منها الدهن وتتكون منها حرارة الجسم

	ماء	سكر	بروتيدات	هلام
الاناناس	٨٩	٨،٩	٠،٤	٠،٢
البرتقال	٨٧	٤،٥	٠،٨	
البرقوق (خوخ)	٨٥	٣،٦	٠،٤	٤،٦
التمر (بلا نوى)	٣٨	٥٧	٣،٠	٠،٢
التفاح	٨٥	٨	٠،٥	٠،٥
التين الاخضر	٧٩	١٨	١،٥	٠،٥
التين اليابس	٣١	٥٠	٤،٠	٣،٠
الخوخ (الدراقن)	٨٠	٤،٥	٠،٧	٧،٠

الزبيب	٣٢	٥٥٫٠	٢٫٥	٠٫٧
الشمام	٩٠	٨	٠٫٥	
الكرز	٨٠	١٠٫٠	٠٫٧	١٫٨
العنب	٧٨	١٤	٠٫٦	٠٫٢
الكمثرى (اجاص)	٨٣	٨٫٢	٠٫٤	٣٫٣
الليمون الحامض	٨٩	٢	١٫٠	
البطيخ	٩٢	٧	١٫٠	
المشمش	٨١	٤٫٥	٠٫٥	٦٫٥
الموز	٧٧	٢٠٫٠	١٫٥	

	ماء	بروتيدات	دهن	كربوهيدرات
البندق	٣٫٧	١٥٫٦	٦٥٫٠	١٣٫٠
الجوز	٢٫٥	٢٧٫٦	٥٦٫٣	١١٫٧
الجوز الهندي	١٤٫٠	٦٫٠	٥١٫٠	٢٨٫٠
الزيتون	٦٧	٢٫٥	٢٢٫٧	٣٫٤
الصنوبر	٣٫٤	١٤٫٦	٦٢٫٠	١٧٫٣
الفستق	٤٫٢	٢٢٫٣	٥٤٫٠	١٦٫٠
الفول السوداني	٥	٣٢٫٦	٤٧٫٣	١٢٫٦
القمح	١٠	١٤	٢	٧٢
الكستنا الجاف	٦	١٠٫٧	٧٫٠	٧٤٫٠
اللحم المدهن	٥٤	١٦	١٦	٠
اللحم الهبر	٧٢	٢٢	٦	٠
اللوز	٤٫٨	٢١٫٠	٥٤٫٩	١٧٫٣
العدس	١١٫٦	٢٦	١	٥٩
الفول	١٢٫٦	٢٢٫٥	١٫٨	٥٩٫٦
اللوبياء اليابسة	٩٫٥	٢٤٫٦	١٫٥	٦٢٫٧
البيض	٥٦٫٥	١٣٫١	٩٫٣	
اللبن	٨٧٫	٣٫٣	٤	٥

فنري من ذلك ان الفواكه والاثمار والحبوب ليست قليلة الغذاء لان الغذاء يتوقف على ما فيها من البروتيدات والسكر والملام والدهن وان اللحم لا يفوقها في ما فيه من الغذاء ففي كل مئة درهم من اللحم المبر ٢٢ درهماً من البروتيدات وستة دراهم من الدهن والباقي ماء . وفي كل مئة درهم من الجوز اكثر من ٢٧ درهماً من البروتيدات و٥٦ درهماً من الدهن فالجوز اكثر غذاء من اللحم وقس على ذلك اللوز والفستق والصنوبر وما اشبه والفول واللوبياء والعدس واكثر هذه المواد يؤكل نيئاً من غير طبخ كما لا يخفى



الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٨)

زراعة البرسيم والحلبة والجلبان والبسلة

زراعة البرسيم من اهم زراعات القطر المصري واعمها . وهي تشمل جميع انحاء الوجه البحري حيث يخصص لها قسم متسع من الاراضي . وتتناول ايضاً معظم جهات الصعيد لغاية فرشوط فلا تتخطاها لان الاراضي وراءها سريعة الجفاف فلا تصلح لهذه الزراعة .

ويزرع البرسيم دائماً في الاراضي التي تروى بالراحة فيبذرون بزرهُ في الارض قبل حرثها وهي بعد رطبة بمعدل ثلث اردب لكل فدان ويبدأون يقطعونهُ في الصعيد بعد ٤٠ او ٤٥ يوماً من زرعهِ . وفي اسيوط والمنيا تباع الحشة الاولى منهُ بستة وعشرين فرنكاً لكل فدان . وبعد ذلك بثلاثين يوماً يقطعونهُ ثانية وتباع هذه الجنية بخمسة فرنكات

اما الاراضي التي يخصصونها لاخذ التقاوي منها فلا يقطعون زرعها الا مرة واحدة يبيعونهُ اخضر ويتركون ما يفرخ الى ان ييبس فيدرسونهُ بأن تدوسهُ الثيران على البيادر . فيستغلون عادةً نحو اردبين بزراً من الفدان يباع الاردب منهُ بثلاثين غرشاً الى خمسين

وفي مديرية الفيوم حيث الري بالآلات اسهل مراساً يزرعون البرسيم في حقول الذرة قبل جنياها بشهر فيقتصرون على زرع ½ اردب في كل فدان يقوم بامره نفر واحد في نصف

يوم . فينمو البرسيم سريعاً ويجنون الجنية الاولى حالاً بعد حصد الذرة . وتكفي غلة الفدان من البرسيم اليابس (الدريس) لعلف ثورين شهراً

وبعد الجنية الاولى يسقون البرسيم مرتين في اثناء عشرين يوماً ويقطعونهُ ثانية فيجنون منهُ اقل من المرة الاولى . وفي بعض الاوقات يأخذون "التقاوي" من الجنية الثالثة فتبلغ غلة الفدان بزراً بين اردبين وثلاثة . واذا كان الفيضان موافقاً يستخرجون البذار من الجنية الرابعة على معدل اردب ونصف للفدان

اما في الجيزة فيزرعون اردباً في كل فدان . ويبدأون بقطع البرسيم بعد زرعهِ بستين يوماً ويقطعونهُ مرة ثانية بعد ذلك بثلاثين يوماً ومرة ثالثة بعد الثانية باربعين يوماً . وتبلغ غلة الفدان من الجنيتين الاولى والثانية ٧٧ فرنكاً غير انهُ اذا كان الفيضان شحيحاً لا يقطعون البرسيم الاَّ دفعتين ويحتفظون بالجنية الثانية لزرع بزرها في السنة المقبلة فيستغل من الفدان نحو اربعة ارادب بزراً اما بدرس البرسيم بالنورج واما بدقهِ بالنبابيت

ويباع من البرسيم الاخضر في الشتاء واليابس في الصيف مقادير وافرة في القاهرة حيث يكثر استعمالهُ علفاً للخيل والحمير

اما في الوجه البحري فاكثر ما يستعمل البرسيم علفاً للثيران والجواميس ترعاهُ بعد زرعهِ بستين يوماً . ويؤجر الفدان المزروع برسيماً بستة عشر الى تسعة عشر فرنكاً . وفي مديرية المنوفية يقدَّر ما يكفي لرعاية ثورين يومياً بمعدل $\frac{1}{24}$ من الفدان

وفي اطراف الدلتا الشمالية يزرع البرسيم حالاً بعد استغلال الارز ولا يلزم من اعداد الارض لزراعتهِ سوى سقيها . ويقطعون الجنية الاولى بعد الزرع بستين يوماً . والثانية بعد ذلك بثلاثين يوماً وكل من الثالثة والرابعة بعد عشرين يوماً من التي قبلها

وعلى العموم يقتضي لري عشرة افدنة ستة ثيران ويخصصون لرعايتها مزروعات ثلاثة افدنة ويجففون غلة السبعة افدنة الباقية فتكفي علفاً للثيران والجواميس جانباً من السنة . ويقدر ما ترعاهُ البهائم عموماً من البرسيم هنالك بثلاثة اخماس البرسيم وما يجفف علفاً بخمسيهِ

الحلبة — انما تزرع الحلبة في الجهات المتوسطة من القطر المصري في الوقت الذي يزرع فيهِ البرسيم وطريقة زرعها كطريقة زرعهِ . ويختلف جنيها عن جنيهِ بكونها تجنى قلعاً لا قطعاً وذلك بعد زرعها بستين او سبعين يوماً فيطلقون عليها حينئذٍ البهائم فترعاها ٠

و يستفرخون جانباً من بزوره بنقعهِ في الماء يبيعونهُ على تلك الحالة للاكل .

ويبلغ ما يزرع في الفدان من الحلبة ١/٤ من الاردب. وتباع مزروعات الفدان علفاً بنحو ٣٠ فرنكاً

وهي تبلغ حبًّا من اردبين الى خمسة اوادب تبعاً للمحل او الاقبال . ويدرسون سوق الحلبة اليابسة بالنورج و يستعملونها علفاً للجمال

الجلبان — تعدُّ الارض لزرع الجلبان على نحو اعدادها لزراعة المدس. ويزرعونها بمثل الطريقة التي يزرع بها البرسيم والحلبة . فيبذرون ٣/٤ الاردب منها في الفدان ويقلعونها خضراء بعد زرعها بستين يوماً فيطعمونها للبهائم . ويبلغ محصول الفدان بين ١٠ و ١٥ حمل جمل تباع جميعاً بستة الى ثمانية فرنكات

اما النباتات التي يخصصونها لاخذ "التقاوي" منها فتبقى مائة يوم قائمةً في الارض ويجنون من الفدان ٥ اوادب حبًّا . ويدرسون سوقها بالنورج فيستخدمونها علفاً للجمال فقط

البسلة — في جهات طيبة وقنا حيث تتعذر زراعة الجلبان بمقادير كافية يستبدلون الجلبان بالبسلة فيزرعونها في نفس الوقت الذي يزرع هو فيهِ ويكاد يكون مقدار جني هذين الصنفين واحداً . وعندما يأخذ نبات البسلة في الجفاف يطلقون عليهِ البهائم على اختلاف انواعها ما عدا الخيل فترعاهُ . ويستبقون عشرهُ لاخذ "التقاوي" منهُ

وفي مديرية الفيوم حيث لا يعم الفيضان كثيراً يزرعون الحلبة والجلبان والبسلة في حقول الذرة قبل ايناع هذه باربعين يوماً . ولا يروونها الَّا في اثناء هذه المدة مع الذرة . واهل هذه المديرية يستعملون البسلة غذاء لهم

زراعة التبغ

تعليلهُ

شرحنا في الجزء الماضي كيفية زرع التبغ من حين بذر البذور في الارض الى حين قطف الورق وتجفيفهِ ووعدنا باستطراد الكلام الى تعليلهِ او معالجتهِ حتى يجود فانهُ مهما كانت الارض جيدة ومهما اينع نبات التبغ فيها لا يصير طيباً غالي الثمن ما لم يعالَل جيداً وقت تجفيفهِ و بعدهُ حتى يختمر وتتولد فيهِ مواد كيماوية تجعل لهُ الطعم والنكهة الخاصين بهِ

وقد كان الشائع ان الحكومة المصرية ستلبي طلب نوّاب الامة الذين طلبوا ان تباح لهم زراعة التبغ في الجمعية العمومية . اما نحن فكنا نرجح انها لا تفعل وانها ان فعلت واشترطت ان تأخذ ثلاثين جنيهاً على الفدان الذي يزرع تبغاً كما عرض عليها بعضهم لم يستفد احد من زرع التبغ كما اوضحنا في الجزء الماضي . والظاهر ان الحكومة لم تكن تنوي اجابة هذا الطلب او انها عدلت عن اجابتهِ فقد اخبرت الجمعية العمومية انها غير عازمة على اباحة زراعة التبغ . وحبذا لو اهتمت من الآن بامتحان زرعهِ في مساحة ضيقة حتى اذا ثبت لها انهُ يكون جيداً مثل اجود انواع التبغ وانهُ يمكن تصدير مقدار كبير منهُ لم يبقَ ما يمنع اباحة زرعهِ ولرض ضريبة معتدلة على ما يزرع منهُ وعلى ما يصدر منهُ فيبقى دخلها على حالهِ ويزيد دخل القطر

وسواء شكت اوراق التبغ بخيط كما يفعل اهالي سورية او بسط النبات كلهُ واوراقهُ فيهِ او قطعت الاوراق حتى تبقى كل ورقتين متقابلتين عالقتين معاً ونصبت على عود افقي فانها تترك حتى تذبل وتجف ويجف ضلعها الاوسط وقد لا تجف كذلك في اقل من ثلاثين يوماً الاَّ اذا وضعت في الشمس بضع ساعات كل يوم فانها تجف حينئذٍ في بضعة ايام ومتى جفت الاوراق تقطع من الساق اذا كانت لم تزل متصلة بهِ وترصف بعضها فوق بعضٍ وتترك حتى تختمر ويختار لرصفها كذلك يوم رطب وتبسط بسطاً حيثما ترصف ورؤوسها الى جهة واحدة ويكون ارتفاع كل عرمة قدمين او ثلاثاً وتغطى باوراق الموز وتوضع اجسام ثقيلة عليها وفي اليوم التالي تفتح هذه العرم ويغير وضع اوراقها اي ان الاوراق الموضوعة داخل العرمة توضع خارجها وذلك برصفها في عرمة أُخرى ووضع الاوراق التي كانت خارجاً في قلب العرمة . ويكرر ذلك مراراً كثيرة لكي لا يزيد الاختمار عن القدر اللازم ومتى مرَّ على العرم ثلاثون او اربعون يوماً تكون قد صارت في حالة صالحة فتفتح وتحزم حزماً في كل حزمة ثلاثون ورقة واهالي سورية يلفون مشاكيك التبغ لفّاً منتظماً ويربطونها ربطاً محكماً ولا بدَّ من ضغطها جيداً حين ربطها لكي لا يتخللها الهواء . واهالي كوبا يرشونها حينئذٍ بنقاعة التبغ اي ينقعون التبغ حتى يعطن ويبلى ويرشون ربط التبغ بنقاعتهِ ويضعونهُ بعضهُ فوق بعض

والخلاصة ان زراعة التبغ وقطفهُ وتجفيفهُ وتعليلهُ من الاعمال الصعبة التي تقتضي كثيراً من التعب والنفقة . فهل يقدم عليها اهل الزراعة في هذا القطر . هذا امر لا يعلم الاَّ بالامتحان ولا يحسن ان يجازف بهِ مجازفة

باب التقريظ والانتقاد

احكام الصكوك التجارية

يتضمن احكام البولسة (الكمبيالة) والسند المحرر لامر (الذي تحت اذن) وسند محل الاقامة والسند المحرر لحامل واوراق الحوالات الواجبة الدفع بمجرد الاطلاع عليها والاوراق المتضمنة امراً بالدفع ورسالة الاعتبار والشك. الفهُ حضرة باسيل افندي جبادري المحامي امام محكمة الاستئناف المختلطة وفصل ابوابهُ تفصيلاً حسناً والحقهُ بذكر بعض المصطلحات المصرية والعثمانية المتعلقة بهذا الموضوع وقد طبع بمطبعة العرب في مصر

اسباب الانقلاب العثماني

كتاب صغير الحجم كبير النفع الفهُ حضرة الكاتب السامي الاديب محمد روحي بك الخالدي عضو القدس الشريف في مجلس المبعوثان بدأهُ بتمهيد حسن في الفرق بين الانقلاب والثورة فبيّن ان ما حدث في البلاد العثمانية اخيراً انقلاب لا ثورة وان سببهُ الاستبداد الذي هو منبع الشرور ومشبع الاستبداد قصر الملك والخلافة. ويلي ذلك تاريخ الانقلاب الاخير من حين ابتدأت اصولهُ في زمن السلطان محمود الى الآن وقد بين المؤلف ان اول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا ابن ابرهيم باشا وهذا ما اوردهُ في هذا الصدد

" اول مؤسس لحزب تركيا الفتاة هو مصطفى فاضل باشا ابن ابرهيم باشا المصري ثم صهرهُ خليل شريف باشا. ولد مصطفى فاضل في القاهرة سنة ١٨٣٠ م وحصل العلوم الجديدة حتى صار على جانب من العرفان والاضطلاع والوقوف على دقائق الامور. فخدم في مصر ولما بعد جلوس السلطان عبد العزيز بسنة عين ناظراً للمعارف في الاستانة. ثم ناظراً للمالية واجرى فيها عدة اصلاحات وكان فؤاد باشا قد انتدب حكماً لفصل الخلاف الحادث بين مصطفى فاضل باشا واخوته على تقسيم ميراث ابيهم فحصل بينهما موجدة وعداوة. فلما تولى فؤاد باشا الصدارة تسبب في عزل مصطفى فاضل من نظارة المالية مع ما لهُ من

الخدم والاصلاحات المفيدة فشق ذلك على مصطفى فاضل وقدم للسلطان عبد العزيز خان لائحتهُ الشهيرة التي شدد فيها النكير على الاستبداد . وكشف الغطاء عن عورات الدولة . وبين اسباب الضعف والانحطاط وسوء الاستعمال بحرية لم يعتدها رجال المابين ولا سمعوا بمثلها قبل ذلك . ثم هاجر الى باريس سنة ١٨٦٥ ولحقت بهِ فئة من الشبان فاكرم مثواهم وانفق على تعليمهم . ونبغ منهم كثيرون في الادب والكتابة والسياسة . حدثني احدهم قال كنا في باريس في عيشة راضية لا يهتم الواحد منا بامر معايشهِ . فاذا فرغ من الدرس والتحقيق والمشاهدة عاد الى منزلهِ فوجد ما يحتاج اليهِ من الطعام والمنام . بخلاف احرار هذا الزمان الذين قاسوا اشد العذاب في امر معايشهم

فاشتغلت النابتة الجديدة بفنون الادب وعلوم التاريخ والسياسة والصناعات النفيسة . فنظموا الشعر والفوا القصص ونشروا المقالات في الجرائد . ونبغ منهم نامق كمال بك شاعر النشأة الجديدة واديبها وموجد الادب الجديد العثماني . ولد في الاستانة سنة ١٢٥٠ وقرأ في المكاتب وتعلم الفرنسية وصارت لهُ مهارة زائدة في الانشاء الذي نشر بهِ مقالاتهِ السياسية في الجرائد باسلوب مستحدث طريف هو من السهل الممتنع . واشعارهُ على نسق اشعار فيكتور هوجو في طلب الحرية وتدبير المملكة واصلاح شؤُون الحكومة . ولهُ مؤلفات كثيرة منها التاريخ العثماني الذي لم يطبع . وقصة وطن او سليستره التي تمثل اليوم في الاستانة وسلانيك بعد حدوث الانقلاب . وتوفي نامق كمال بك وهو متصرف في جزيرة ساقز سنة ١٣٠٥ ومنهم ضيا باشا الاديب الشاعر . وسعدالله باشا سفير فينا الاسبق مترجم قصيدة لامارتين التي عنوانها (البحيرة) . ولهُ اشعار عصرية رائقة . ومنهم ابو الضيا توفيق بك الذي اصلح حروف الطبع وكتب الخط الكوفي . وطبع الكتب والرسائل والمجموعات بصنعة بديعة عجيبة لم تبلغها الى الآن مطابع الشرق ولا مطابع اوربا الشرقية . وعبد الحق حامد بك سفير بروكسل وصاحب قصة طارق بن زياد . وكثير غيرهم من الكتاب والادباء انصار حزب تركيا الفتاة الذي اسسهُ مصطفى فاضل باشا . ثم صهرهُ خليل باشا الذي جاء من مصر الى الاستانة وتوظف في نظارة الخارجية بسبب معرفتهِ بالفرنسية وصار سفيرًا في باريس وغيرها وناظرًا للخارجية وتزوج باكبر بنات مصطفى فاضل باشا وهي الاميرة الشهيرة نازلي هانم التي اقتفت اثر والدها وزوجها الاول في تعضيد حزب تركيا الفتاة . وساعدتهُ بالمال والجاه هي وشقيقها الامير محمد علي باشا

والكتاب على هذا النسق من ذكر الذين لهم شأن في هذا الانقلاب وحبذا لو ذكر كل

الذين جاهدوا في سبيل الدستور واسماؤهم مذكورة في المقطم الذي حارب الاستبداد منذ اول انشائهِ الى الآن

لبنان والدستور العثماني

رسالة مسهبة جمعت فاوعت وضعها حضرة الفاضل بولس افندي مسعد بحث فيها بحثاً سياسياً قانونياً تاريخياً في موقف لبنان ازاء الدولة العثمانية قبل الدستور وبعدهُ وبدأهُ بايضاح مذهبهِ او متمناهُ وهو

" ان يحتفظ اللبنانيون بامتيازاتهم الحاضرة — ان يطلبوا من الدولة العثمانية والدول الاوربية الست الموقعة على نظام لبنان اعادة حدود الجبل كما كانت في السنوات الاولى التي تلت فتنة سنة ١٨٦٠ — ان يطلبوا تنفيذ ما أُلغي من موادهِ او بطل العمل بهِ منها وذلك طبقاً لاعتراضات السفراء المدرجة في كل بروتوكول كان يحرر عند تعيين كل متصرف من متصرفي لبنان — ان يطلبوا تفسير هذا النظام لانهُ مبهم يمكن تأويلهُ كيفما شاءت السياسة — ان يطلبوا تعديلهُ من الدول بصورة يصير معها منطبقاً على احتياجاتهم وعلى روح العصر الحاضر — ان يحافظوا جهد طاقتهم على عثمانيتهم ويوردوا الشواهد الحسية على اخلاصهم للدولة العثمانية الدستورية وشدة تعلقهم بها ومشاركتهم لها في السراء والضراء — ان يؤلفوا منهم حكومة عادلة حازمة حكيمة رشيدة راغبة في خير لبنان رغبة حقيقية شعارها العدل والمساواة واحترام الحرية ومراعاة الحقوق الوطنية العامة تعمل لخير لبنان ومصلحتهِ بكل همة واخلاص — ان يزيلوا من بينهم عوامل التفريق والاختلافات المذهبية والطائفية ويؤلفوا جامعة لبنانية يكون غرضها التأليف بين عناصر الشعب اللبناني وتوحيد كلمتهِ في الشؤون العمومية والسعي الى ايجاد روح التآخي والتعاضد بين الطوائف المختلفة التي يتألف منها الشعب اللبناني وبث روح الوطنية الصادقة في صدور الناشئة اللبنانية والى انشاء الشركات الوطنية والمختلطة للقيام بمشاريع نافعة من شأنها ان ترقي البلاد مادياً وادبياً وتجعلها صالحة لان تصبح في مستقبل قريب مقصداً للمصطافين ومحجاً لطلاب النزهة والراحة والصحة من سكان القطرين الشقيقين المصري والسوري "

وما من احد من ابناء لبنان ومحبيهِ الاَّ ويتمنى لهُ ما تمناهُ المؤلف ولكن الاماني لا تروي من عطش ولا تشبع من جوع فعلى اللبنانيين ان يقرنوا القول بالفعل وان يسعى كلٌّ منهم الى تحقيق هذه الاماني بما يصل اليهِ جهدهُ

تاريخ سولو
THE HISTORY OF SULU

ذكرنا غير مرة ان حضرة الشاب الذكي الدكتور نجيب صليبي اللبناني انتظم في سلك الخدمة في الحكومة الاميركية فارسلتهُ الى جزائر فيلبين فخدمها خدمةً نصوحاً. ولم يكتفِ بالقيام بما يطلب منهُ بل بحث في لغة الاهلين وتاريخهم ونشرت حكومة فيلبين الآن كتاباً مسهباً وضعهُ في تاريخ جزيرة سولو احدى جزائرها وهي جزيرة صغيرة متوسط طولها ٣٢ ميلاً ومتوسط عرضها ١٠ اميال وهي بركانية الاصل ساحلها مؤلف من صخور مرجانية وقد قال احد واصفيها انهُ ليس في الارض بقعة تفوقها في جمال منظرها فان اراضيها تغطيها المروج الخضراء والحراج الشجراء ولا تحتاج الا الى يد الصناع لتصييرها فردوساً ارضيًّا. وعاصمة الجزيرة مدينة جولو وسكانها الآن نحو الفي نفس وهم من امم مختلفة وبعضهم من العرب. وقد استخلص المؤلف تاريخ الجزيرة من كتابة قديمة عند وزير سلطانها واسمهُ الحاج بوتو عبد الباقي وهي مكتوبة بالملقية وقال كاتبها انهُ اتم كتابتها يوم الجمعة في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ١٢٨٥ للهجرة

وفي الكتاب فوائد كثيرة تدل على ان الدكتور صليبي صار من مهرة الكتَّاب في الانكليزية

بطل المروءة والسيف

تأليف المسيو فيفال الفرنسوي وتعريب حضرة المنشيء المجيد ادوار افندي مرقص اللاذقاني قال المعرب في ما ذكرهُ تمهيداً لها " اذا شاء القارىء ان يقف على اتم صورة للشجاعة الحسيَّة والادبيَّة والذكاء. واتم صورة للخبث واللؤم مع سعة الجاه والذكاء ايضاً. واتم صورة لامانة الصديق والزوجة والام. واتم صورة للضغط والتضييق واستبداد الفرد بالفرد. وذلك كلهُ بشكل مقبول معقول. فليطالع هذه الرواية التي لها شهرة مستطيرة بين المطبوعات الفرنسوية وليعلم ان حجمها في الاصل هو ثلاثة اضعاف حجمها معربة لان المعرب رحم القارىء وكفاه مؤونة الاطلاع على تفاصيل الاماكن والاشخاص وغيرها مما قد يهم القوم المؤلفة الرواية في لغتهم دون سواهم "

والمعرّب مشهور بين رجال الادب كما يعلم قراء المقتطف وقد افرغ هذه الرواية في قالب عربي قريب المأخذ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الاستهواء الكاذب

مصر . توفيق افندي الرافعي . طالعت في بعض المجلاَّت قصةً غريبة يخالها القارئ لاول وهلة خرافة وهي مترجمة عن الفرنسوية واصلها لاحد كتَّاب العصر ومؤَداها ان شابًّا احب فتاة رائعة الجمال وكانت هي تكرههُ وكان ماهرًا بالتنويم المغنطيسي فرآها مرةً وجعل يشير على ظهرها اشارات مستديرة فصارت ترتعش ثم نامت النوم المغنطيسي ثم كرر ذلك فصارت تخضع لارادتهِ وهي نائمة ثم تعصيهِ اذا افاقت فهل ذلك صحيح

ج . ان كان الرجل قد نوَّم الفتاة النوم المغنطيسي فلا بدَّ من انها تكون قد رأَتهُ ينومها او اعتقدت انهُ يعمل اشارات لتنويمها ولو لم يعملها لان نومها ليس ناتجاً عن اشاراتهِ بل عن اعتقادها ان واحدًا يستعمل الوسائط لتنويمها واذا نامت لا يتعذر على منومها او غيرهِ ان يأْمرها بأي امر كان فتطيعهُ وهي نائمة وقد يبقى تأْثير امرهِ فيها ولو استيقظت كما يحدث لمن يمشي في نومهِ فانهُ يسهل عليك ان تقودهُ كيفما شئت . اما اذا كان مراد الكاتب ان الرجل استهواها باشاراتهِ وهي لا تعلم فذلك غير صحيح بل هو موضوع وضعاً من المؤَلف

(٢) الاستهواء الصحيح

ومنهُ . أَلَّف بعضهم كتابًا قال فيهِ ان غلامًا اتهم اباهُ بقتل فتاة في قرية من قرى بلاد النمسا . وكان الابن مستهوًى فشهد على ابيهِ انهُ رآهُ يذبح الفتاة امام اناس آخرين ويطرحها في الماء فان صحَّ ذلك احدث ثورة في الدنيا وقلب نظام الحكومات فهل هو صحيح

ج . ان صحتهُ محتملة اي اذا كان انسان عصبيًّا فقد يستطيع مَن يمارس التنويم ان يستهويهُ ويجعلهُ يعتقد انهُ رأَى ما لا حقيقة لهُ واذا تكرَّر عليهِ ذلك فقد يبقى هذا الاعتقاد راسخًا في ذهنهِ ولو استيقظ

(٣) التنويم

ومنهُ . هل كتبتم شيئًا في هذا الموضوع في المجلدات الماضية من المقتطف . وكيف تكون ممارسة التنويم

ج . نعم كتبنا فصولاً كثيرة فيهِ ولا سيما في المجلد الثاني عشر والثالث عشر والحادي والثلاثين والثاني والثلاثين . ورأينا ان لا تتعلموا التنويم ولا تمارسوه ولو تعلمتموهُ . واكثر الاطباء الذين يمارسونهُ دجالون ولكن بعضهم امين يستعملهُ في ما يفيد ولهُ فوائد لا تنكر

(٤) أكل الطيور الحجارة

مونتريال بامبركا . الخواجه جرجس حنا جرجور . يقال ان معد الطيور ولا سيما الحجل تهضم الحجارة حتى الصوان فهل لها فائدة من ذلك

ج . تلتقط الطيور الحجارة الصغيرة مع طعامها لكي تساعدها على هضم الطعام وبعضها يهضَم مع الطعام حقيقة كالحجارة الكلسيَّة الرخوة وتتناول ابدانها الكلس منهُ لتكوين قشور بيضها

(٥) اول متكلم بالعربية

ومنهُ . من هو اول متكلم باللغة العربيَّة ومن هو اول من كتب بها

ج . يقول علماء اللغات ان الناس ابتدأوا ينطقون باصوات قليلة منذ الوف كثيرة من السنين ثم تدرجوا الى النطق بالكلمات القليلة المقاطع . ولما اقام كل فريق منهم في بلاد زماناً طويلاً وتنوعت لغاتهم على مرور الزمان كثر الفرق بين لغة وأخرى فسكان جزيرة العرب اختلفت لغتهم عن لغات الشعوب الذين كانوا معهم من اصل واحد ثم اعتمد الذين جمعوها على فروع مخصوصة منها وهي اللغة العربية المحفوظة في الكتب فلم يكن وقت تكلمها فيهِ انسان واحد بل تولدت تولداً ومبدأها قديم جدًّا قبل عصر التاريخ فلا يعلم زمنهُ وكذلك لا يعلم من اول من كتب فيها لان الكتابة العربية تدرجت تدرجاً وارتقت ارتقاء في القرون الاولى من التاريخ المسيحي من اختلاط العرب باليهود والسوريين ونحوهم من الامم التي تكتب لغاتها

ويغلب على ظننا ان احد دعاة الدين اليهودي او المسيحي كتب فصولاً دينية للعرب بلغتهم واستعمل لها حروفاً تشبه الحروف السريانية او النبطية ثم تنوعت وصار منها الخط الكوفي والخط النسخي ولكن التاريخ لم يحفظ اسمهُ في ما نعلم

(٦) اهم الاكتشافات

بغداد . الخواجه منصور ايار . ما هي اهم وافضل الاكتشافات التي تحت التجربة

ج . من اهمها وانفعها تحقيق فعل الراديوم في شفاء السرطان كما ترون في صدور الاخبار العلمية في هذا الجزء . ومن اهمها ايضاً اكتشاف علاج شاف من السل واكتشاف طريقة لاستخدام القوة المذخورة في جواهر الاجسام واكتشاف الاساليب التي تمنع تولد الحشرات والآفات المضرة بالزراعة واكتشاف طريقة لتوليد الاسمدة

اللازمة لخصب الارض وتكثير غلتها حتى ترخص مواد الطعام . واهم من ذلك كلهِ في نظرنا تحقيق ما يدعيهِ البعض من ان نفوس الاموات تبقى في هذا العالم تجول حول الاحياء وتؤثر فيهم احياناً فان حياة الانسان قصيرة جدًّا وهو يودُّ ان يعرف ما وراء الموت معرفة علمية اي معرفة مبنية على الحس والاختبار كمعرفتهِ ان السماد يزيد نمو المزروعات والنار تحرق الخشب والنور ينعكس عن المرآة والتطعيم يقي من الجدري . والمعرفة التي كذلك يسلّم بها كل احد مهما كان دينهُ وشعبهُ

(٧) هل تضيق الارض بسكانها

ومنهُ . هل يأتي يوم تضيق فيهِ الارض بسكانها نظرًا الى ما نراهُ من مساعي الدول في تسهيل اسباب العمران وتقليل الوفيات

ج . لا نظن لان الذين تقل وفياتهم بانتشار الوسائل الصحيَّة تقل ايضاً مواليدهم باحجامهم عن اخلاف النسل وتحمُّل مشاق الولادة والتربية . واكثر هذا الاحجام من قبل النساء المتعلمات

ومما يسوءُ ذكرهُ ان الدول التي تسعى الى تلافي ذلك غرضها الاول ان لا يقل دخلها من رعاياها ولا تقل جنودها منهم

(٨) التمدن والدين

ومنهُ . هل ينتشر الدين ويتقوَّى بازدياد التمدن او يضيق نطاقهُ ويضعف

ج . اذا اريد بالدين الرسوم الدينية فالمرجح انها تقل وتضعف واذا اريد بهِ البر والتقوى اي الجري على موجب القول القائل حد عن الشر واصنع الخير اطلب السلامة واسعَ وراءها فهو يزيد انتشارًا ورسوخاً

(٩) العلم والتمدن

ملوي . سعيد افندي ابو البقاء الملوي . هل العلم اصل التمدن وهل هو طبيعي في البشر او التمدن اصل العلم وهو اكتسابي

ج . اذا اريد بالعلم ادراك الجزئيات والتوصل منها الى الكليات فهو طبيعي الآن في الانسان ولعلهُ كان كذلك فيهِ دائماً اي ان اول من صحَّ ان يطلق عليهِ اسم الانسان كان يدرك بعض الجزئيات و يستنتج منها الكليات . واذا اريد بهِ تنسيق المعارف وتبويبها حتى تصير علوماً كالحساب والجبر والهندسة والكيمياء فهو اكتسابي ولو كان الكثير من اصولهِ بديهيًّا . والتمدن اكتسابي ايضاً وقد سار مع المعارف والعلوم وما من امة تحت السماء الأ وعندها معارف تساعدها على معيشتها

تنبيه — لما عاد المقتطف الى الانتشار في الممالك العثمانية بعد الدستور زادت مسائل المشتركين جدًّا فسنوسع الباب المعد لها مبتدئين من الجزء التالي



المدرسة الكلية السورية الانجيلية

بعث الينا صديقنا الفاضل الدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية المتجول الآن في اميركا نشرات نشرها هناك يظهر منها انهُ باذل جهدهُ هو وامناء المدرسة في جمع الاموال اللازمة من اهل البر لانشاء ثلاثة فروع اخرى في المدرسة فرع منها لتعليم الحقوق وفرع لتعليم الهندسة وفرع لتعليم الزراعة فتصير فروع المدرسة الكلية سبعة فرع العلوم بنوع عام ويدخل فيهِ كل العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية. وفرع تعليم الطب وفرع الصيدلة وفرع التجارة وهي الفروع الحالية ويضاف اليها فرع الحقوق وفرع الهندسة وفرع الزراعة ما عدا القسم الاستعدادي من المدرسة . ويظهر لنا ان حضرة الرئيس عازم على ان يباري والدهُ في هذا السعي المشكور فتصير المدرسة الكلية مثل اكبر الجامعات الاوربية والاميركية والفضل فيها كلها لكرم الاميركيين ولسعيهِ وسعي والدهِ والذين شاركوهما في ذلك من اساتذة المدرسة ومحبيها

معهد الراديوم والسرطان

اشار ملك الانكليز بانشاء معهد للراديوم في مدينة لندن لدرس خواصهِ وفوائدهِ ولاسيما في شفاء الامراض . وقد تبرع السر ارنست كاسل ولورد اقياغ بان يقوما بكل ما يلزم لهذا المعهد من النفقات لبنائهِ وتأثيثهِ والانفاق عليهِ . والرجلان معروفان بكرمهما فالسر ارنست كاسل هو الذي وهب القطر المصري اربعين الف جنيه لاجل مستشفيات الرمد ولورد اقياغ وهب معهد لستر الطبي ببلاد الانكليز مئتين وخمسين الف جنيه

وقد أُلفت لجنة لمعهد الراديوم اعضاؤُها السر فردرك ترفس الجراح الشهير والسر وليم رمسي الكيماوي الشهير والسر جوزف طمسن الطبيعي الشهير والسر لوذر برنتن الطبيب الشهير والشريف ربرت سترت ابن لورد ربلي والسر ملكم مرس المشهور بطب امراض الجلد واثنان آخران يعينهما السر ارنست كاسل ولورد اقياغ

ولا يخفى ان عنصر الراديوم اكتشف حديثاً اكتشفتهُ مدام كوري منذ بضع

سنوات . ووجدت له خواص غير عادية لا تماثلها خواص عنصر آخر من العناصر المعروفة بعضها طبيعي وبعضها كيماوي وبعضها طبي فبخواصه الطبيعية ينير بعض الاجسام ويغير لون الزجاج وبعض الحجارة الكريمة ويخترق الاجسام غير الشفافة . وبخواصه الكيماوية يجعل الاكسجين اوزونًا ويركب الاكسجين مع الهيدروجين لتكوين الماء ويحوّل الفصفور من الحالة الصفراء الى الحالة الحمراء ويطلق اليود من بعض مركباته

اما خواصهُ الطبية وهي التي يراد البحث عنها بنوع خاص في هذا المعهد العلمي فهي انهُ اذا وُضع على الجلد مباشرة او كان مفصولاً عنهُ بالثياب فقط كواهُ كيًّا كما تكويهِ اشعة رنتجن . وقد ازيلت بهِ الوُحَم والخيلان والكلف والثآليل ونحوها من الآفات الجلدية . وشفيت بهِ الآكلة (القرحة الاكالة) وهي نوع من السرطان الجلدي كما تشفى باشعة رنتجن ولكنهُ افعل من اشعة رنتجن اي ان فعلهُ ينور في الجلد اكثر من فعلها . وقد مرَّ الآن خمس سنوات على آكلة شفيت بهِ ولم تعُد . فهل يكون الدواء الشافي من السرطان . هذا هو الامر الذي يهتم العلماء الآن بتحقيقهِ ولهُ بنوع خاص انشئ هذا المعهد العلمي فقد ثبت انهُ يشفي سرطان الفيران والمظنون انهُ يشفي سرطان الناس ايضاً

وعنصر الراديوم نفسهُ لم يستخضر حتى الآن والذي استحضر منهُ هو بعض مركباته والكمية التي استحضرت منها قليلة جدًّا وهي غالية غلاء فاحشاً لصعوبة استحضارها وتزيد غلاء يوماً فيوماً فقد كان ثمن المليغرام من بروميد الراديوم خمسة جنيهات اي ثمن الغرام الواحد خمسة آلاف جنيه والآن صار ثمن المليغرام ١٨ جنيهاً اي ثمن الغرام الواحد ثمانية عشر الف جنيه . والتجارب الطبية لا يمكن اجراؤُها ما لم تكن كمية الراديوم كبيرة ولذلك تعذر اجراء التجارب الكثيرة فيهِ حتى الآن . اما المعهد الجديد فيتكفل بتقديم النفقات اللازمة لاستخراج المقدار الكافي من الراديوم لاجراء هذه التجارب

ومركبات الراديوم كانت تستخرج حتى الآن من اكسيد الاورانيوم الموجود بكثرة في بلاد بوهيميا وقد رأوا الآن انهُ موجود ايضاً في ناحية كورنول من بلاد الانكليز في اكسيد الاورانيوم ومركبات الاورانيوم والنحاس ويختلف مقدارهُ فيها من غرام الى نصف غرام في كل طن . وما دام المال اللازم لاستخراج المقادير الكافية منهُ قد وجد الآن فلا بدَّ من اكتشاف كل فوائدهِ عاجلاً او آجلاً

واذا اثبتت التجارب ان الراديوم علاج شاف من السرطان فيكون اكتشافهُ في هذا الزمن الذي اتجهت فيهِ همة العلماء الى البحث عن حقيقة السرطان وسببهِ وطرق

علاجهِ توفيقاً قليل النظير . ولكن تبقى ندرتهُ عقبة كبيرة في سبيل هذا التوفيق ولا ينتظر ان توجد مقادير كبيرة منهُ لانهُ سريع الانحلال فينحل كلهُ في نحو ١٧٠٠ سنة ولولا انهُ يتركب دواماً من عنصر آخر لما بقي منهُ شيء في ارضنا الى الآن

خزان اسنا

انشأَت الحكومة المصرية قناطر في اسنا ترفع ماء النيل منعاً للشرق في مديرية قنا مهما انحط الفيضان . واحتفلت باتمامها في ٩ فبراير الماضي ووضع آخر حجر فيها الجناب الخديوي وكان احدنا الدكتور فارس نمر قد اختير لينوب عن الصحافة المصرية العربية فانشأ مقالة في وصف الاحتفال نشرت في المقطم وسندرجها في الجزء التالي من المقتطف

مشاهير فرنسا

سأَلت جريدة البتي جرنال الفرنسوية قراءها ان يذكروا اسماء اثني عشر رجلاً من الذين يحق لهم ان يدفنوا في البنثيون (مدفن العظماء) فجاء اسم باستور في اول القائمة ونال من الاصوات ٣١٥٢٠٣ وبعدهُ اسم غمبتا وقد نال ٢٧٩٤٤٣ اي ان الفرنسويين قدموا رجل العلم على رجل السياسة

الزلازل والبراكين

لا تزال الزلازل تنتاب مسينا وكلبريا وقد حدثت فيهما زلزلة شديدة في ١٣ فبراير وجاء من بطرس برج انهم شعروا بزلزلة في سنش بولاية سكوم في ذلك اليوم ومن مكسكو ان بركان كوليما زاد ثورانهُ في ١٣ فبراير وجرت الحمم السائلة منهُ مسافة ميل وحدثت زلزلة في جنوبي البلغار في ١٦ فبراير

السل من البقر

تعزز رأي القائلين ان سل البقر يصل الى البشر بواسطة لبنها فيصاب بهِ الاطفال الذين يسقون ذلك اللبن . وان ميكروب السل يصل الى لبن البقر المصابة بالتدرن من تلوثهِ بمبرزاتها ونفسها فان في نفسها ومبرزاتها كثيراً من ميكروبات السل

هبة جديدة لركفلر

وهب المستر جون ركفلر مدرسة شيكاغو الجامعة مئتين وخمسين الف جنيه فصار كل ما وهبها اياهُ حتى الآن اكثر من خمسة ملايين جنيه

عيد دارون

احتفل في مدرسة اكسفورد الجامعة في ١٢ فبراير بمرور مئة سنة على ميلاد دارون وخطب الاستاذ بولتن فذكر المؤَثرات التي اثرت في دارون من رجال العلم المعاصرين لهُ مثل ليل وهوكر وغراي . والتأْثير العظيم الذي اثرهُ مذهبهُ في كل العلوم والفنون . وليس مذهب دارون ان الانسان مرتقٍ

من القرد كما يزعم المتهكمون عليهِ بل ان ارتقاء انواع الحيوان والنبات قد حصل بواسطة الانتخاب الطبيعي اي بقاء الاصلح للبقاء وانقراض ما سواهُ

تعقيم اللبن

لم تبقَ شبهة في ان اللبن (الحليب) قلما يكون خالياً من ميكروبات الامراض ولا سيما في زمن الحر وانهُ هو سبب ما يصيب الاطفال الذين يسقونهُ من الآفات. والظاهر ان طرق التعقيم العادية لا تنقيهِ من كل الميكروبات لان بعضها يبقى حيًّا ولو اشتدت الحرارة التي يعقم بها حتى كادت تبلغ درجة الغليان. وقد استنبط الدكتور بود الدنماركي اسلوباً لتعقيم اللبن حتى لا يبقى فيهِ شيء من الميكروبات وهو ان يسخن الى الدرجة ١٢٠ بميزان فارنهيت وينفذ فيهِ بواكسيد الهيدروجين فتموت الميكروبات التي فيهِ كلها ويصب حينئذٍ في زجاجات معقمة وتسد سدًّا محكماً

الحكمة الشرقية

حُكم بالاعدام على رجل من رجال كوريا بالقتل لجريمة سياسيَّة فكتب قبل موتهِ الى ابنهِ يقول. "لقد حُكم عليَّ بالموت لاني جاهدت في سبيل الدفاع عن وطني وملكي فلا تجزع لذلك. وحينما يقضى الامر خذ جسدي وادفنهُ كما يدفن الفقراء ولا تحملني الى مدفن آبائي لان الشقة طويلة والنفقات طائلة واخوك صغير ويجب ان تنفق على تعليمهِ ونحن فقراء بل اتعس من اقاربنا ان يعطوك قطعة ارض على مقربة من السجن وادفني فيها ولا تخلع عني ثيابي التي البسها وانا في السجن ولا تحزن لموتي لان نهاية الابرار مجيدة ولو ماتوا قتلاً ولذلك لا اخجل من هذه الميتة لاني كنت على هدًى. وبعد ما تدفنني اذهب مع اخيك الى الجبال واحرث الارض وعلّم الاولاد ولازم الاجتهاد والاعتناء فتسرّ نفس ابيك"

وكانت امرأة عجوز مسكينة من نساء اليابان واقفة تنتظر قطر سكة الحديد وعلى ظهرها حمل ثقيل فلما وصل القطر هرولت اليهِ وكان الجنرال نوجي القائد الياباني الشهير واقفاً هناك مع اركان حربهِ فلما رآها حاد من طريقها وامسك بيدها وساعدها على الصعود الى القطر بعد ان سند حملها بيدهِ وقال لها ديري بالك يا اماه. فشكرتهُ ولم تكن تعرف من هو وكان المسافرون معها يعرفونهُ فقالوا لها انهُ الجنرال نوجي فلما سمعت ذلك ابرقت اسرَّتها وحمدت ربها قائلة الآن اطمأن بالي فان ابني كان في جيشهِ لما قُتل والقائد الذي يشفق على عجوز مسكينة مثلي لا بد من ان يشفق على جنودهِ ويعاملهم بالحسنى

فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٠ ربيع اول سنة ١٣٢٧

الشؤون العثمانية

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة ما جرى في سقوط وزارة كامل باشا وقيام وزارة حلمي باشا حسب رغبة مجلس المبعوثان. وقلنا في ختام ذلك "ان مجلس المبعوثان تسلّح بالدستور العثماني واسقط الوزارة سواء كانت تستحق ذلك او لا تستحقهُ فاستدعى جلالة السلطان رجلاً يرضى بهِ مجلس المبعوثان وكلفهُ تشكيل وزارة جديدة وقد تمَّ ذلك كلهُ طبقاً للقانون كأنهُ جرى في انكلترا اقدم البلدان في الجري على الحكم الدستوري وهذا ما تتمناهُ كل امة تريد ان يكون حكمها في يد نوابها"

ثم نشرت جريدة الطان حديثاً لمكاتبها في سلانيك مع الدكتور نظيم بك من كبار اعضاء لجنة الاتحاد والترقي اخبرهُ فيهِ بما يأتي عن سقوط وزارة كامل باشا وقد نشرناهُ برمتهِ في المقطم وها نحن موردون خلاصتهُ هنا لانهُ جلا امرًا غامضاً وبرأ لجنة الاتحاد والترقي مما اتُّهمت بهِ وبررها في عملها قال —

" لما توصلت لجنة الاتحاد والترقي الى اعادة الاحكام الدستورية وقرَّ قرارها على ان لا تستلم مقاليد الحكومة بنفسها اضطرت ان تبحث عن سياسي يقوم بمقتضى الحالة حينئذٍ فلم تكد تجد لسوء الحظ من تضع فيهِ بعض ثقتها الاَّ كامل باشا الذي كان السلطان قد اقصاهُ عن الاستانة وجعلهُ والياً على ازمير. فلم يمتنع عن قبول منصب الصدارة الثقيل الاعباء مع طعنهِ في السن ولم يعترض السلطان على تعيينهِ لان المشاكل الداخلية والخارجية كانت كبيرة وكان كامل باشا معروفاً بالدهاء السياسي. غير ان سعيد باشا ابنهُ تصرَّف تصرفاً اضطر لجنة الاتحاد والترقي ان تطلب من والدهِ ان يبعدهُ عن الاستانة ولكن كامل باشا

يحب ابنهُ حبًّا شديداً فرفض طلب الجنة رفضاً باتًّا وهذا السبب الحقيقي في الخلاف بين لجنة الاتحاد والترقي والصدر الاعظم وفي اظهار كامل باشا للاستياء وعدم الرضاء. فجعل يشكو من انهُ غير حرٍّ في التصرف. ثم رفض ان يدعو مندوبي لجنة البلقان في لندن الى مأدبة حين مرورهم بالاستانة. فلما اتصل بالسلطان خبر رفضهِ هذا استدعاهُ اليهِ وكلفهُ بحضور ثلاثة من مندوبي لجنة الاتحاد والترقي مظهراً رغبتهُ في ايداب تلك المأدبة تحت رئاستهِ فاذعن كامل باشا حينئذٍ ثم خاطب مندوبينا قائلاً "انكم تنسبون الفضل في اعادة النظام الدستوري الى انفسكم وحدكم دون سواكم مع اننا مديونون بهِ الى فضل جلالة السلطان" فاجابهُ احد مندوبينا قائلاً "انك تقول ما تقولهُ لتتملق السلطان علماً منك ان كلماتك هذه ستنقل اليهِ والاَّ فانك تعلم حق العلم كيف جرت الحوادث في يوليو الماضي". ووقع كلام كامل باشا هذا وقعاً اليماً في نفوسنا. وبعد ايام عقد اعضاء لجنة الاتحاد والترقي جلسة غير اعتيادية للنظر في الاحوال لانها جعلت تسوء وتظلم في داخل البلاد بسبب المطاعن التي كانت تنشرها جرائد ساقطة المبادىء والاراجيف التي كانت تشاع عن مؤامرة لاهلاك الاجانب وكذلك ساءت في الخارج بما كان يشاع عن صعوبة الاتفاق مع النمسا والبلغار. ثم ابلغونا على وجه شبيه بالرسمي انهُ اذا اضطر كامل باشا الى الاستعفاء لم تؤمن العاقبة لاننا نفقد ثقة اوربا بنا حتماً. ولذلك دامت جلستنا طويلاً وتدبرنا الاحوال من كل وجوهها بتأنٍ وسكون ورباطة جاش واتفقنا على ان واجباتنا الوطنية تقضي علينا بترك حرية التصرف التامة للصدر الاعظم فيبقي مطلق التصرف تام الحرية في آرائهِ وافعالهِ ولكن مع مراقبتهِ مراقبة شديدة

وهذا الامر الذي فعلناهُ عن اخلاص وحب لوطننا (لان مجلس المبعوثان لم يكن قد عقد بعد وكنا نريد ان نسير حسب الاحكام الدستورية) عدهُ كامل باشا دليلاً على ضعفنا وظن ان الجو قد خلا لهُ ليفعل ما يشاء بلا محاسب ولا مراقب. وانت تعلم ما جرى بعد ذلك بامر نظارتي الحربية والبحرية واقتراع مجلس المبعوثان الذي كانت الاكثرية فيهِ ضدهُ. وكانوا يشيعون في اروقة المجلس اشاعات مفزعة عن التأثير الذي سيؤثرهُ سقوط كامل باشا في اوربا ولكن المجلس لم يتردد مع ذلك في القيام بواجباتهِ والسلطان نفسهُ قبل قرار ذلك المجلس العالي وتصرف تصرف الملك الدستوري مع ان دستور سنة ١٨٧٦ يعطيهِ حق المعارضة في ما يقر عليهِ قرار المجلس في مثل تلك الاحوال

ومما تقدم ترى ان لجنة الاتحاد والترقي لم تتجاوز حدود حقوقها وواجباتها. فالواجب

عليها ان نستمر على السهر والمراقبة مدة طويلة بعد . واقول لك اننا سنقوم باعباء هذه المهمة التي اخذناها على عاتقنا واملنا وطيد ان الجرائد الفرنسوية تبسط الحقيقة لكي يعلمها الرأي العام ولا تجوز عليه الاراجيف والاوهام "

وسواء خلا هذ الحديث من كل مبالغة او لم يخلُ فالامر مؤكد ان وزارة حلمي باشا سارت سيرًا حسنًا حتى الآن فامضى الاتفاق مع النمسا على العوض المالي الذي تدفعهُ لتركيا وسائر الشروط المتعلقة بذلك . وعادت المصافاة بين دولتنا العلية ودولة النمسا الى سابق عهدها وابطل العثمانيون مقاطعة البضائع النمسوية وقدكان لهذه المقاطعة او المحاربة التجارية الشأن الاكبر في تسوية الخلاف بين الدولتين وتم الاتفاق مع البلغار على ان روسيا تتنازل لتركيا عن قسط الغرامة السنوية وهو ٣٥٠ الف ليرة عثمانية مدة اربعين سنة وذلك بمثابة اعطاء دولتنا خمسة ملايين او ستة ملايين من الجنيهات . ولما رأى المجلس ان اعمالهُ كثيرة والزمن المحدَّد لاجتماعهِ قصير طلب تطويلهُ فاطيل ثلاثة اشهر

ومن اهم اعمال الوزارة الحالية عمل ميزانية لدخل الحكومة وخرجها اي ايراداتها ومصروفاتها لسنة ١٣٢٥ المالية التي تبتدئ من شهر مارس الرومي فقدرت الايرادات بمبلغ ٢٥٣٩٤١٥٣ ليرة عثمانية والمصروفات بمبلغ ٢٩١٠٠٣٢٢ فتقل الايرادات عن المصروفات مبلغ ٣٨٠٦١٧٠ او نحو اربعة ملايين من الليرات . ولقد كان المأثور ان ميزانية الايرادات لا تتجاوز سبعة عشر مليونًا من الليرات وان المأمورين ينزون من الامة ما يماثلها فلا يتعذَّر على الامة ان تدفع خمسة وعشرين مليونًا في السنة بل ثلاثين مليونًا وهوذا القطر المصري قد دفع لحكومتهِ في العام الماضي ١٥ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات او نحو ثمانية عشر مليونًا من الليرات العثمانية وسكانهُ اقل من ١٢ مليونًا وسكان الولايات العثمانية اكثر من ٢٥ مليونًا فلا يكثر عليهم والحالة هذه ان يدفعوا لحكومتهم ٤٠ مليونًا من الليرات اذا تمتعوا بحكومة ساهرة على مصالحهم وساعية في ترقية شؤونهم

ومن اهم اعمالها ايضًا الاهتمام باستخدام ابناء العرب اي المتكلمين بالعربيَّة في مناصب الحكومة السامية فعينت عارف بك المارديني واليًا على البصرة لكنها لم تنصف المتكلمين بالعربيَّة حتى الآن كما يجب عليها . واقلُّ ما ينتظر منها ان تنظر الى كفاءة الرجال لا الى جنسهم ولغتهم فانها اذا فعلت ذلك فالنجاح محقق لها والاَّ زادت الحالة سوءًا ولن تبلغ بلادنا ما تتمناهُ ولو مرَّت عليها السنون الطوال

مزارع النمل وفنادقهُ

ابان الشهير داروين ان لدود الارض المعروف بالخراطين شأْناً كبيرًا في توليد التربة في البلدان الباردة والمعتدلة وعليها يتوقف خصب تلك الاراضي. وابان غير واحد ان للنمل شأْناً كبيرًا في خصب الارض في البلدان الحارَّة. وبالامس اثبت بعضهم ان الطمي يصل الى ماء النيل من بيوت الطين التي يبنيها النمل في بلاد الحبشة. وفي اميركا الجنوبية نمل آخر يقطع اوراق الاشجار ويمزقها ويستخدمها مزارع للفطر ثم تنحل وتعود الى الارض وتزيد بها التربة ويزيد الخصب

وهذا النمل كثير في حراج اميركا الجنوبية وهو يدأب على العمل بهمة لا يعتريها الملل وقد اشرنا اليهِ في المجلد السابع عشر من المقتطف اي منذ ست عشرة سنة حيث قلنا ما نصهُ

"ذكر العالم تنر انهُ ربّى قريتين من قرى هذا النمل ورأَى العمَلَة تذهب وتقطع قطعاً صغيرة من اوراق النبات وتحملها الى قريتها وتلقيها فيها فتتناولها العمَّال الكبار منها وتقبل عليها بأَلسنتها ومشافرها وايديها تلحسها وتدعكها دعكاً الى ان تصير كل قطعة منها كرة صغيرة كحبة الخردق او اصغر الى ما يساوي حبة الخردل فتصفها بعضها بجانب بعض بقرب مكان من قريتها فيهِ فطر مزروع وتأْتي العمال الصغار بقطع من هذا الفطر وتزرعها في هذه الكرات متفرّقة لكي لا يضعف بعضها بعضاً حينما تنمو فلا تمضي اربعون ساعة حتى تكتسي الكرات بالفطر الابيض فتغتذي منهُ وتطعم صغارها"

وذكر العالم توما بلت انهُ رأَى جيشين كبيرين من هذا النمل احدهما ذاهب من قريتهِ الى الغاب والآخر راجع من الغاب حاملاً قطع الاوراق فتخرج النملة من القرية وتعدو مسرعة الى الغاب وتصعد على الشجرة وتقطع جانباً من اول ورقة تصل اليها وتنزل بهِ وتعود الى القرية لا تلوي على احد. ولا يمضي وقت طويل حتى تتعرَّى الشجرة من ورقها لكثرة النمل وسرعة حركتهِ. وقد وجد العالم ملّر ان النمل لا يكتفي بعمل هذه المزارع وزرع الفطر فيها بل يخصُّها بنوع مخصوص من الفطر وهو الذي يغتذي بهِ واذا وقعت عليها بزور فطر آخر ونبتت فيها اقتلعها منها حالاً. والنمل الذي يفعل ذلك هو غير النمل الذي يقطع الاوراق ويحملها الى قريتهِ. اي ان هذا النمل جارٍ على ناموس تقسيم الاعمال فيختص بعضهُ بعمل وبعضهُ بعمل آخر. وضع ملّر مزرعة من مزارع هذا النمل في اناء من الزجاج لكي يراقب حركاتهِ واعمالهُ ووضع معها نملاً قليلاً من النمل الذي يعتني بالمزرعة فنبت فيها الفطر الذي لاحاجة

لهُ بهِ فبادر اليهِ حالاً وجعل يقطعهُ ولكنهُ كان قليلاً كما تقدم فكثر الفطر وصار مثل غاب حول المزرعة حتى ضاق بهِ النمل ذرعاً

وقد ثبت من بحث ملران في كل قرية من قرى هذا النمل ثلاث فرق او طوائف . طائفة تقطع الورق وتحملهُ وتجلبهُ الى القرية . وفرقة تمهّد الطريق التي تسير فيها قطاعة الورق . وفرقة تصنع المزارع من الورق وتزرع فيها الفطر الذي يصلح لطعامها وتقتلع منها الفطر الذي لا يصلح اذا نبت فيها

ومن النمل اصناف تصنع مزارعها من الخشب البالي لا من اوراق الاشجار فتبني قراها في جذوع الاشجار النخرة وتصنع المزارع من خشبها ومن مبرزات الحشرات التي تنخرها

ومن يرى النمل يقطع اوراق الاشجار ويعريها منها يعجب كيف تبقى اشجار مورقة في البلاد التي يكثر فيها هذا النمل . لكن بعض الشجر يتقي النمل بما فيهِ من المادة الصمغية او الراتينجيَّة او بصقال اوراقهِ لان النمل يزلق عليها ولا يستطيع الوقوف لقطعها. وبعضهُ يتقيهِ بواسطة النمل المحارب الذي يبني قراهُ في جذوعهِ فان هذا النمل يحارب النمل الزارع الذي يقطع الاوراق ويمنعهُ من قطعها. والنمل المحارب من اشرس الحشرات وهو يسير في جيوش جرارة فتهرب الحيوانات الكبيرة من وجهها ولا يسلم منها الانسان . قال بانتس في كتابهِ عن نهر الامازون ان الطيور تدري بقدوم جيش النمل المحارب فتنشر اجنحتها للرياح وتلجأ الى الفرار ويرى الهنود ذلك فيهربون ايضاً واذا كان هناك اوربي ولم يقتدِ بهم هجم النمل عليهِ حالاً وغطى بدنهُ من رأسهِ الى اخمص قدميهِ واوسعهُ لسعاً ولذلك تخشاهُ سائر انواع النمل ولا تدنو من شجرة تراهُ معششاً فيها

والظاهر ان الشجر الذي يرى في النمل المحارب واقياً لهُ من النمل الزارع يجعل جوفهُ مضيفةً للنمل المحارب او فندقاً او خاناً لهُ . لكن النمل المحارب لا يحتمل البرد الشديد فاذا قرَّهُ البرد لم يعد قادراً على محاربة النمل الزارع ووقاية الاشجار منهُ فيهجم عليها النمل الزارع ويعريها من ورقها

قلنا ان هذا الشجر يجعل جوفهُ فندقاً او خاناً للنمل المحارب وهذا الكلام حقيقة لا استعارة لان اغصان الشجر مجوفة وفي جوفها غرف كثيرة مفصولة بعضها عن بعض بغشاء رقيق يسهل على النمل خرقهُ فيتم الاتصال بين الغرف. وعند مغرز الاوراق في الساق مكان رقيق جدًّا يسهل على النمل خرقهُ والدخول منهُ الى داخل الساق وتحت مغرز ساق الورقة مادة مخملية ذات زغب بين زغبها ذرات بيضاء مستديرة تسمى اجسام ملر نسبة الى العالم

ملر مكتشفها وهي طعام هذا النمل ويقال انها مغذية جدًّا لاحتوائها على مادة لحمية ومادة دهنيَّة فيأْكلها النمل ويغتذي بها . فكأَن هذه الاشجار شعرت بالخطر الذي يتهددها من النمل الزارع فلجأَت الى النمل المحارب واستغاثت بهِ واعدَّت لهُ منازل في جوف اغصانها وهيأَت لهُ الطعام اللازم لمعيشتهِ لكي يقيها من هجمات النمل الزارع

وهناك اشجار اخرى من نوع السنط لها شوك حاد مغرزهُ في الغصن مجوَّف يسكنهُ النمل المحارب ليدفع عنها النمل الزارع والشجر يقدم للنمل مؤُونتهُ اي انهُ يتعهد للنمل المحارب بالمأْوى والمأْكل مقابل دفع الاعداء عنهُ . لكن لا عهد لهذا السنط بل هو مثل كل المستبدين يوليك زمامهُ ما دام محتاجاً اليك فاذا استغنى عنك لفظك لفظ النواة فانهُ اذا جاء الصيف وجفَّت الاوراق وسقطت ولم يعد السنط يخشى بأْس النمل الزارع قطع الطعام عن النمل المحارب فيموت اكثرهُ جوعاً والبقية الباقية منهُ تحتمل الضيم وتبقى على عهد الولاء الى الربيع حتى اذا ظهرت الاوراق الجديدة جددت قوتها واخلفت نسلها وعادت الى الدفاع عن الشجر وعاد هو الى تقديم الطعام لها . وهذا الطعام مؤَلف من هنات صغيرة برتقالية اللون كمثرية الشكل تتولَّد عند رؤُوس الاوراق وتسمَّى اجسام بلت نسبة الى العالم بلت الذي حقق فائدتها . وقد بيَّن المستر فرنسيس دارون ابن دارون الشهير ان اجسام ملر واجسام بلت تنوعات من غدد الاوراق . ومن الغريب ان هذين الشجرين من نوعين مختلفين جدًّا ولكنهما يتقيان النمل الزارع على اسلوب واحد اي باعداد المأْكل والمأْوى في جوفهما للنمل المحارب حتى يقيم فيهما ويقيهما من النمل الزارع

وقد وجد الباحثون انواعاً اخرى من الشجر في بلدان مختلفة تعد المنازل في جوفها للنمل حتى يسكنها ويدافع عنها

ويعلل علماء النشوء وجود هذه المزايا في الشجر والنمل بالانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح فيقولون مثلاً ان النمل الزارع جارٍ على الاشجار وعرَّاها من ورقها واتفق ان بعضها اوى النمل المحارب فسلم من النمل الزارع واخلف نسلاً فقويت هذه المزية في نسلهِ وتكوَّنت فيهِ المعدات لاواء النمل المحارب وتغذيتهِ . والنمل الزارع صارت لهُ هذه المزية بان ظهر فيهِ ميل الى جمع اوراق الشجر واكل ما ينبت عليها من الفطر وقوي هذا الميل بالانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح اي ان الذي قوي فيهِ هذا الميل استفاد منهُ فعاش واخلف نسلاً والذي لم يتولَّد فيهِ هذا الميل او لم يقوَ فيهِ ضعف وانقرض او ظهر فيهِ ميل آخر وقاهُ من الانقراض وقوي فيهِ فصار منهُ صنف مخالف للصنف الاول وهلمَّ جرًّا

السكسوفون او دليل الجنس

نشر المستر ستد صاحب مجلة المجلات خبرًا في غاية الغرابة لا نرى لهُ تعليلاً معقولاً ان كان صحيحًا ولم نرَ ما يؤيدهُ في جريدة علمية لكن ذلك لا يمنعنا من نشره قال

ان المستر وليمس من المشتغلين بالاعمال الهندسية وتربية الدجاج رأى ذات يوم اهتزازًا في ادوات حديدية صغيرة معلقة في دكانهِ لغير سبب ظاهر ثم رأى تحت تلك الادوات سلة فيها بيض فرفعها ظانًّا ان تحتها قطعة من المغنطيس وهي التي هزَّت ادوات الحديد فلم يجد تحتها شيئًا. ولكن اهتزاز الادوات زال حينئذٍ فاعاد السلة الى مكانها فعادت الادوات الى اهتزازها فقال انهُ لا بدَّ من علاقة بين سلة البيض واهتزاز ادوات الحديد . ومن ثم جعل يمتحن فعل البيض بها فوجد ان بعض البيض لا يحرّك الحديد مطلقًا وهو البيض العقيم وبعضهُ يحركهُ ذهابًا وايابًا كرقاص الساعة وبعضهُ يحركهُ في دائرة فحضن البيض الاول الذي يحرك الحديد ذهابًا وايابًا فنقف عن فراخ اناث وحضن البيض الثاني الذي يحرّك الحديد في دائرة فنقف عن فراريج (اي فراخ ديوك) واتضح لهُ من ذلك ان الذكر والانثى يؤثران في الحديد المعلّق وتأثيرهما مختلف فالذكر يحركهُ في دائرة والانثى تحركهُ في خط مستقيم ذهابًا وايابًا وهما يفعلان ذلك ولو كانا لا يزالان في البيضة

قال المستر ستد رأيت المستر وليمس في معرض الدهلي مرور في اوتل مسل وهو يعرض آلتهُ دليل الجنس (السكسوفون) وقلت لهُ هل انت واثق بصحة ما تدّعي

فقال نعم وقد امتحنتهُ الف مرة ففرّخت في السنة الماضية مئات من البيض فاتت فراخها كما دلتني هذه الآلة وبديهي اني لم افرّخ البيض العقيم

فقلت اذًا جاءت الفراخ دائمًا حسب ما دلتك الآلة

فقال نعم ولم اكن كثير التدقيق في اول الامر فوقع بعض الخطإ اما الآن فان زوجتي تستطيع ان تمتحن مئتي بيضة في الساعة وكل البيض الذي تضعهُ في الحاضن يفرخ وتأتي فراخهُ ذكورًا او اناثًا حسبما تدلنا الآلة

فقلت لهُ وما هي هذه الآلة

فقال ها كها واراني سلكًا دقيقًا من الفولاذ (الصلب) وقد علّق بها كرة صغيرة من الفولاذ ايضًا

فقلت وهل جنس الحيوان يؤثر في هذه الآلة على اسلوب واحد دائمًا

فقال نعم دائمًا ابدًا سواء كان رجلاً او امرأةً او طيرًا او وحشًا او سمكاً . والآلة لا تخطئ ابدًا خذها وجرّبها بيدك

فاخذتها من يدهِ ومسكتها فوق رأس الجنرال السر الفرد ترنر فارتجفت الكرة في اول الامر ثم صارت تدور واستمرَّت على الدوران . ثم مسكتها فوق رأس احدى السيدات فابطلت حركتها المستديرة وجعلت تخطر ذهابًا وايابًا مثل رقّاص الساعة . فقلت لهُ لعلّ هذه الكرة تتحرك بارادتنا على غير قصد منا . فقال امتحنها في حيوان لا نعرف هل هو ذكر او انثى . هناك قنفذًا وارانب وفيرانًا بيضاء ولا احد يعلم ايها ذكر وايها انثى الاَّ بعد البحث الدقيق فامتحنها فيها

فامتحناها في تلك الحيوانات فدلَّت على جنسها دلالةً صحيحة من غير خطإٍ . وكان مع المستر وليمس كلب في سلَّة فهمَّ باخراجهِ منها لامتحان الآلة فيهِ فقلت لهُ لا تخرجهُ من السلَّة بل لتمتحن الآلة وهو فيها . فامسك الآلة فوق السلَّة ولم يمضِ الاَّ بضع ثوانٍ حتى جعلت تدور دورانًا فقلت ان الكلب ذكر فاخرجهُ لنرى فاخرجهُ واذا هو ذكر كما دلت الآلة . وستعاد التجارب في مكتبي امام لجنة من المشهورين بتفريخ البيض وانشر نتيجة ذلك في عدد تالٍ من مجلة المجلات

انتهى كلام المستر ستد وهو في حد الغرابة وقد رسم صورتهُ بالفوتوغراف والآلة في يدهِ فوق رأس الجنرال السر الفرد ترنر وهي سلك دقيق طولهُ نحو شبر في اسفلهِ كرة كالجوزة . ولا ندري لماذا مسكها بيدهِ لانهُ لا بدَّ ليدهِ من ان تتحرك وتحرك الآلة حسب ما يعتقدهُ في نفسهِ وكان الواجب ان يعلّق الآلة بشيءٍ ككعب الميزان ويحيطها بما يمنع تحريك الهواء لها ويضع الحيوان تحتها فيعتمد على حركتها حينئذٍ اما اذا امسك الآلة بيدهِ فانهُ يحركها من تلقاء نفسهِ ولو على غير قصد منهُ فان كان يعلم جنس الحيوان فتكون حركتها مطابقة لما يعلمهُ وان كان لا يعلم جنس الحيوان فتكون دلالتها عليهِ من قبيل الاتفاق . والاتفاق هنا واحد من اثنين لانهُ لا يخلو ان يكون الحيوان ذكرًا او انثى . وقد علقنا قطعة حديد فوق حيوان فلم نرَ لها حركةً مستديرة ولا غير مستديرة واشكل علينا تصديق المستر ستد لامر مثل هذا ونشرهُ لهُ ان لم يكن صحيحًا وهو لم يذكرهُ على سبيل المزاح بل على سبيل الجد وسنرى ما يكتبهُ في الجزء التالي ونذكر خلاصتهُ

الاحتفال بفتح قناطر اسنا

اختارني حضرات زملائي الافاضل ارباب الصحافة المصرية العربية لأنوب عنها بين مدعوي نظارة الاشغال العمومية في الاحتفال بفتح خزان اسنا وذلك بناء على كوني اقدمهم عهداً في صناعتنا الشريفة

فركبت القطر المفتخر مع سائر المدعوين وبرحنا محطة مصر الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ في السابع من فبراير مساء فلم نبعد عنها الاّ القليل حتى علمت ان اصحاب السعادة بطرس باشا غالي وسعد باشا زغلول وفتحي باشا زغلول ومحمود باشا صدقي محافظ العاصمة ارسلوا في آخر ساعة يعتذرون عن السفر الى خزان اسنا وان جناب السر وليم جارستن اعتذر كذلك ايضاً لانحراف مزاجهِ واعتذر قبلهم آخرون مثل سعادة عزيز باشا عزت و يعقوب باشا ارتين بحيث لم يسافر من المدعوين غير اربعين مدعواً وهم مع حفظ الالقاب وعدم مراعاة تقديم او تأخير في ذكر اسمائهم السر الدن غورست . والنظار اسمعيل باشا صبري ورشدي باشا وحشمت باشا . والمستشارون المستر بول هارفي والمستر وب والمستر دنلوب والمستر شيتي . و بوغوص باشا نوبار . ومحمد شواربي باشا وكيل شورى القوانين . وعفيفي باشا ويحيى باشا ابرهيم رئيسا الاستئناف المختلط والاهلي . وعبد الخالق باشا ثروت النائب العمومي . ومحمد انيس باشا وفريد باشا يبازوغلي وبوانه باشا من اكابر موظفي الاشغال . واللوا بلنت باشا مدير اللوازمات . والمستر فنسيترت سكرتير الوكالة البريطانية الثاني وحضرات مديري جرجا وقنا وحافظ بك حسن مدير اصوان . وحسن بك بكري ومحمد بك تمام حباريز وقرشي بك احمد مندوبو قنا وجرجا واصوان. والمستر بري والمفتشون العموميون للري والحياض والمستر وليمس والمستر لنجلي والمستر ايرلند ومراقب عموم مجاري القاهرة المستر جيمس ومفتش ري جرجا محمود بك صدقي ومدير عموم الصحة المستر جرانم ومدير عموم السجون كولس باشا . ومدير عموم المساحة الكبتن ليونس ورئيس شركة ري البحيرة المستر فوستر ووكيل شركة روتر المستر ريس ووكيل شركة هافاس المسيو فنسيه . ومندوب الصحافة الاوربية المسيو دوروجا والمستر برسفورد والسر شارلس متكاف والسر بمفيلد فلر من اكابر الانكليز وكاتب هذه السطور

غير ان كثيرين من هؤلاء المدعوين لم يسافر في القطر المفتخر بل قصدوا الخزان من جهات مختلفة كانوا يمرون فيها للتفتيش فجاؤوا خزان اسنا راكبين بواخرهم وآخرين انضموا الينا على الطريق فبلغنا الاقصر قبل الساعة التاسعة من صباح الاثنين اول امس وانتقلنا

منها الى باخرتين من بواخر شركة "سبرج انجلو اميركان هما نوبيا وماي فلاور . وكانت نظارة الاشغال قد استأجرتهما لنقلا المدعوين من الاقصر الى خزان اسنا فذهب كل مدعو الى المحل المعد لهُ فيهما وبقيت اسرَّة بل غرف كثيرة منهما فارغة لاعتذار المدعوين عن الحضور او لسفرهم في بواخر اخرى كما تقدم . فسارت الباخرتان في يوم صفا جوهُ واعتدل بل احرَّ هواؤهُ فكنا نرى الزينات التي اقامها الاهالي واكابر المزارعين والشركات مصفوفة على ضفتي النيل مسافات طويلة . وقبيل الساعة الرابعة بعد الظهر رست الباخرتان وراء يخت الجناب العالي نسيم البحر ويخت معيتهِ مهيا . فاسرع حضرات النظار الثلاثة الى سرادق مضروب على الضفة الغربية قرب طرف الخزان الغربي حيث تشرفوا بمقابلة سمو الخديوي المعظم . وكان حينئذٍ منتهى التشريفات وقد تشرف علماء مركز اسنا وموظفوهُ واعيانهُ وعمدهُ بمقابلة سموهِ

اما سموهُ فوصل بمعيتهِ الى محطة خزان اسنا ظهر يوم الاثنين راكباً قطرًا خصوصيًّا ونزل من هناك الى يختهِ . ثم شرف الصيوان في الساعة الثالثة بعد الظهر حيث جرت التشريفات كما تقدم

وكان اهل مركز اسنا قد عينوا لجنة من اعيانهم وفي مقدمتها حضرات الوجيهين حسن بك بكري ومتولي بك حزين فنصبت اللجنة السرادق المذكور وفرشتهُ بالرياش الفاخر والسجاد الوثير واقامت زينة عظيمة ممتدة من طرف الخزان الغربي الى البلدة . واراد الاهالي ان يستقبلوا سموهُ بميدان يتسابق فيهِ فرسانهم على متون خيلهم فمنعوا من ذلك لانهُ لم يكن مقررًا في بيان الاستقبال

وكانت بواخر المدعوين ترد احداها بعد الاخرى وترسو بجري الخزان وقبليهُ حتى اجتمع في ذلك اليوم وصباح اليوم التالي عشرون باخرة بين كبيرة وصغيرة وكلها مزينة بالرايات والاعلام من اعاليها الى اسافلها

ثم نزلنا من الباخرة وزرنا حضرات اعضاء اللجنة وانتقلنا من هناك الى الخزان فرأينا في الطرف الغربي منهُ هويسًا تمر السفن فيهِ طولهُ ٨٠ مترًا ولهُ قرب طرفيهِ بابان كبيران من الحديد عرض كل منهما ١٦ مترًا وهما يفتحان ويغلقان بكل سهولة وعلى هذا الهويس كبري متحرك عرضهُ ١٦ مترًا وثقلهُ ٩٠ طنًّا ومع ذلك يفتحهُ ويغلقهُ رجل واحد بسهولة لانهُ يدور على اسطوانات سهلة التحريك . وقد وضع تحت هذا الكبري محرك كهربائي متصل بيد من الفضة قد نقش الشعار الخديوي على وجهها وكتب على قفاها بالانكليزية . قناطر اسنا . فتح

هذا الكبري المتحرك عباس حلمي الثاني في السنة الثامنة عشرة من حكمهِ ٩ فبراير ١٩٠٩

فسرنا على هذا الكبري الى ظهر القناطر المذكورة فوجدنا هناك طريقاً متقناً مبلطاً ببلاط السمنت ممتداً من اول القناطر الى آخرها مسافة ٩٠٠ متر وقرب حدهِ القبلي سكة حديد للعربات الصغيرة التي يسميها الانكليز ترولي ويسميها الاهالي العربات المكسحة . وعند هذا الحد القبلي حائط تسير عليهِ آلة رافعة للاثقال تعرف بالونش او العفريت وهذه الآلة من احدث طرز وابدع صنع اتوا بها ليرفعوا ابواب عيون القناطر بها وينزلوها ولم يسبق لها نظير في هذا القطر • وعلى الحد البحري من الطريق حائط قائم على بغلات القناطر وقد نصبت على بغلة كل عشر عيون راية وعدد العيون ١٢٠ عيناً فبلغ عدد الرايات المنصوبة عليها ١٢ راية كبيرة وهي من الغرب الى الشرق (١) مصرية (٢) مصرية (٣) انكليزية (٤) ايطالية (٥) انكليزية (٦) فرنسوية (٧) خديوية (٨) يونانية (٩) مصرية (١٠) ايطالية (١١) انكليزية (١٢) مصرية ولم نذكر الراية العثمانية لانها هي والمصرية واحدة

ثم ركبنا العربات المكسحة وسرنا من اول القناطر الى آخرها حيث وجدنا وكيل شركة رنسوم ورابيه التي صنعت كل ما في الخزان من الاشياء الحديدية وركبتها في اماكنها فارانا الونش الذي مر ذكرهُ وهو يدار بزيت البترول فيرفع ابواب عيون القناطر وينزلها وفي كل عين بابان من الحديد علو كل منهما ثلثة امتار • فيرفع الونش احدها او يخفضهُ بجانب الآخر بحيث يحجزان الماء وراءها الى علو ستة امتار عند الاقتضاء • واخبرنا انهُ يمكن رفع هذه الابواب او خفضها في العيون كلها في يوم ونصف بحيث يتيسر حجز ماء النيل كلهِ الى العلو المطلوب في تلك المدة • ثم رأينا بعض المباني التي بنيت شرقي هذه القناطر وشاهدنا ما في الخزان من الاعمال • ورأينا رسوم القناطر والمثال المصنوع لها ومنهُ يفهم الناظر كيفية شكلها وبنائها في طرفة عين

وقد وضع على الطرف الشمالي الغربي من القناطر حجر مربع من الجرانيت الاصواني نقش على جانبهِ الغربي بالخط الفارسي ما يأتي " وضع هذا الحجر سمو الخديوي المعظم عباس حلمي الثاني في ١٨ محرم سنة ١٣٢٧ " ونقش على جانبهِ القبلي بالانكليزية ما هو بمعناهُ بالتاريخ الميلادي

وعلى الطرف الشمالي الشرقي من القناطر حجر آخر نقش على جانبهِ بالعربية « الواضع لاول حجر في هذه القناطر صاحب السعادة حسين فخري باشا ناظر الاشغال العمومية في ٢٤ يناير سنة ١٩٠٨ م » ونقش على الجانب القبلي بالانكليزية ماهو بمعناهُ

هذا وبينما كنا عائدين على ظهر القناطر اذنت الشمس بالمغيب وكست السماء حللاً

بديعة الالوان بيْن اصفر ذهبي واحمر وردي واحمر قانٍ مما تعجز عن وصفهِ قرائح الشعراء واقلام البلغاء ثم التفتنا واذا الانوار الكهربائية قد اشرقت دفعة واحدة على اعمدة الزينة التي نصبتها نظارة الاشغال العمومية ورفعت قلائد الانوار المتعددة الالوان على يخت الحضرة الفخيمة الخديوية ثم على يخت المعية السنية وباخرتي الشركة الانجلو اميركية وسائر البواخر الراسية بجري القناطر وقبليها وانيرت زينة اهالي اسنا فانارت ضفة النيل الى البلدة · وكانت الزينات كلها ولا سيما زينة اليختين الخديويين من ابهج ما رأتهُ العين حتى شهد المشاهدون ان زينة قناطر اسنا كانت من الطف ما شاهدهُ ذوو الذوق السليم في هذا القطر كما شهد اهل اسنا ان بلدهم لم يرَ قط زينة ابهج من تلك الزينة ولا منظرًا اعظم من ذلك المنظر

واقبل حضرات الاعيان حسن بك بكري ومتولي بك حزين وغيرهما فدعوا بعض المدعوين الى وليمة فاخرة اولموها فاجاب سعادة الفاضل الشواربي باشا الدعوة واعتذر آخرون شاكرين لطفهم وفضلهم · وبات الجميع في انس وسرور تلك الليلة يتسابقون للتيمن برؤية مليكهم في كل فرصة تسنح لهم وحضرات مأمور المركز وحكمدار البوليس وسائر رجال البوليس يحفظون النظام بينهم بكل طاقتهم

وفي الساعة العاشرة من صباح الثلثاء ٩ نوفمبر توجه المدعوون الى الاماكن المعدة لهم في الطرف الغربي من الخزان وكان الاهالي مجتمعين الوفًا على الوف في الفسحة المعدة لوقوفهم.

فلما وصلنا الى هناك وجدنا حضرات مندوبي الصحف قد سبقونا الى الاماكن المعدة لهم قادمين من الاقصر في قطر خصوصي وجمعًا غفيرًا جالسًا بالقرب منهم . وفي الساعة العاشرة ونصف ضرب النفير فخرج سمو الخديوي المعظم من يختهِ واقبل وبجانبهِ جناب السر الدن غورست ووراءهُ حضرات النظار واكابر رجال المعية ورجال الاشغال العمومية فحيا سموهُ حضرات المدعوين الواقفين بقرب الهويس مصافحة

وكان كبري الهويس قد فتح قبل ذلك بقليل فتقدم سموهُ وشد يد الفضة التي مر وصفها قبلاً فادارت المحرك الكهربائي وادار المحرك الكبري حتى اغلقهُ ثم تقدم سموهُ عليهِ الى دكة بجانب حجر الغرانيت الغربي الذي تقدم ذكرهُ وهناك قرأ سعادة اسماعيل باشا سري الخطاب التالي باللغة العربية

مولاي . قد دعتني واجبات الوظيفة التي تفضل جنابكم السامي فاسندها اليَّ ان اتقدم الى سموكم الفخيم في هذا اليوم المبارك باحدث الاعمال العظيمة ذات المنفعة العميمة التي قامت بها مصلحة الري في عصركم الزاهر وتحت رعاية جنابكم الرفيع ألا وهي قناطر اسنا

كان ري مديرية قنا مرتبطاً حتى الآن بدرجة فيضان النيل وكانت اراضيها تصاب بالشرق في السنين التي تنخفض فيها مياههُ وهو ما حصل في سنة ١٨٧٧ حيث انحطت المياه وبقي نحو ال ٢٥٠٠٠٠ فدانًا من غير ري وفي سنة ١٨٨٨ التي كان الفيضان فيها قليلاً كذلك بلغت مساحة الشراقي ١١٤٠٠٠ فدانًا اما في سنة ١٨٩٩ فقد نزلت مساحة الشراقي الى ٨٠٠٠٠ فدان فقط وذلك بفضل الاعمال التي عملت بعد فيضان سنة ١٨٨٨ لتخفيف غوائل الشرق

اما الآن وقد تمت قناطر اسنا وصار الشراقي لا يمكن وقوعهُ في مديرية قنا حتى في احط السنين فيضانًا فسيكون هناك تحسن في حالة ري ال ٣٥٠٠٠٠ فدانًا التي يتعلق ريها بالقناطر الجديدة مباشرة وبذلك تتوفر على خزينة حكومة جنابكم الفخيم تلك المبالغ الجسيمة التي كانت تخصص سنويًا بالميزانية لرفع ضرائب الاراضي الشراقي وفي هذا اعظم الفوائد لرعاياكم

مولاي . فكرة تشييد هذه القناطر العظيمة ترجع الى جناب السير ولم جارستن المستشار السابق لنظارة الاشغال وجناب المستر وب مستشارها الحالي

ان هذه القناطر واقعة على بعد ١٦٢ كيلو مترًا تقريبًا شمالي خزان اصوان وترتفع تسعة امتار ونصفًا فوق تسوية التحريق ويبلغ طولها تسع مئة متر وتشتمل على مئة وعشرين عينًا كل عين خمسة امتار وفي ظرفها الغربي هويس للملاحة طولهُ ثمانون مترًا وعرضهُ ستة عشر مترًا وظهرها طريق عمومي عرضهُ ستة امتار يوصل بين شاطئي النيل . اما نفقاتها فقد بلغت مليونًا من الجنيهات وقد عهد بمقاولة بنائها الى الخواجات ايرد وشركائهِ وبمقاولة الاعمال الحديدية الى الخواجات رانسون ورابيه

وكان الشروع في عملها عقب فيضان سنة ١٩٠٦ وتمت قبل الموعد الذي كان محددًا لاتمامها بثمانية عشر شهرًا بفضل الهمة الفائقة التي بذلها المقاولون والعناية التي ابداها المستر ماكدونالد مدير عموم الخزانات والمستر لويد مدير اعمال قناطر اسنا والذين عاونوهم في ذلك من وطنيين واوربيين يحق لهم جميعًا اعظم الفخر

ان في تفضل جنابكم الكريم بتشريف الاحتفال باتمام هذا العمل الجليل وتنازلكم الى ختم آخر حجر فيهِ بيدكم الكريمة تشجيعًا وفخارًا للذين ساعدوا على اتمامهِ بعلمهم وعملهم واظهارًا لحسن تعطفاتكم السنية لفريق من رعاياكم كانوا قبل الآن في حالة لا تسر فاصبحوا اليوم في نعمة كبرى وانهم دون شك سيقابلون على الدوام هذه المنة بعظيم الشكران

والمسأول من الله سبحانهُ وتعالى ان يديم ذاتكم الكريمة ذخرًا للبلاد والعباد

وقرأ سموهُ الجواب التالي بالعربية ايضاً

يا سعادة الناظر · يسرني ان اشهد هذا الاحتفال الشائق بتمام قناطر اسنا التي هي حسنة جديدة من حسنات الري في قطرنا السعيد · وفي تشييدها اكبر دليل على اهتمام حكومتي بترقية شؤُون البلاد ترقية مادية حقيقية تعود على الاهالي بالنفع العظيم والخير العميم واني اشترك معكم يا سعادة الناظر في الثناء على السير وليم جارستن والمستر وب صاحبي هذا المشروع الجليل وعلى جميع الذين ساعدوهما في هذا العمل النافع العظيم سواءٌ كان من الوطنيين او الاوربيين والآن باسم مفيض النعم افتتح قناطر اسنا لخير البلاد والعباد

وحينئذٍ انعم سموهُ بالنياشين على تسعة من الموظفين والمقاولين الذين بنوا هذه القناطر وهم المستر وب والسرجون ايرد ومكدونلد ولويد وجارو وستوكس وبري وجوردون ونيومن

وتقدم جماعة لابسون ثياباً حمراء وبيضاء كالذين يعدون امام خيل المركبات وهم يجرون عربات مكسحة مغطاة بجوخ احمر فجلس سموهُ على اولها وجلس جناب السر الدن غورست عن يسارهِ وسعادة وطسن باشا وراءهما وتلتهم سائر العربات تقل اربعة اربعة من حضرات النظار واكابر رجال المعية ووجوه المدعوين على قدر ما تحمل العربات المكسحة الموجودة فساروا فوق القناطر وشاهدوا ما كنا قد شاهدناهُ ووصفناهُ في ما تقدم ثم ركبوا يختين وعادوا بهما في النيل ومروا في الهويس فهتف لهم جمهور المدعوين وغيرهم كثيرًا وتم بذلك الاحتفال بعد الساعة ١٢ بدقائق قليلة وكان حضرات مندوبي الصحافة قد عادوا الى قطرهم قبيل ذلك وقفلوا راجعين الى الاقصر .

هذا ما شاهدتهُ مما يختص بالصحافة ذكرتهُ في هذه العجالة

بقي عليَّ ان اذكر ولو بالايجاز حسن عناية الحكومة بمدعويها واهتمامها بكل ما يلزم لراحتهم ورفاهتهم فقد كانت غرف نومهم من احسن ما يمكن اعدادهُ في هذا القطر بل في سائر الاقطار وكان طعامهم في القطر المفتخر من افخر ما يأكلهُ عيون اعيان المسافرين فيهِ وكان طعامهم في الباخرتين من افخر ما طهاهُ المسيو بارا الطاهي الشهير الذي جعل صناعة الطبخ علماً من جهة وشبه فن من الفنون الجميلة من جهة أُخرى · وكان سعادة الفاضل فريد باشا بازوغلي يكلف نفسهُ كل تعب ومشقة لراحة المدعوين والاهتمام بكل كلي وجزئي من حاجاتهم حتى بات جمهورهم شاكرًا لهُ على ملاطفتهِ وحسن عنايتهِ وحامدًا الحكومة على ما رأى من كرمها واكرامها

١٠ فبراير سنة ١٩٠٩ فارس نمر

انتقال الافكار

اشرنا في الجزء الماضي الى ما ردَّ بهِ السر اوليفر لدج على ما كتبهُ الاستاذ نيوكم من قبيل مناجاة الارواح وانتقال الافكار ووعدنا بتلخيص الرد في هذا الجزء وانجازاً لذلك نقول

بدأ السر اوليفر لدج كلامهُ باعترافهِ ان كثيرين من اهل الغش والخداع ادَّعوا مناجاة الارواح وما يجري مجراها من الامور الغريبة غير المألوفة فكانت دعواهم عثرة في سبيل الباحثين . ولكنهُ لام الاستاذ نيوكم لانهُ اقتصر على ما قيل في هذا الموضوع منذ عشرين سنة وما قبلها ولم يلتفت الى ما تمَّ بعد ذلك ولا سيما لانهُ انكر "التلبثي" اي انتقال الافكار او تأثير عقول الناس بعضها ببعض عن بُعد ولا صلة بينها من المشاعر الخمس . قال واذا امكننا ان نجد تعليلاً آخر غير انتقال الافكار للافعال التي تفعلها مسز پيبر مثلاً كان ذلك غاية منانا لان كثيرين يعترضون على هذا التعليل ويحسبونهُ عثرة في سبيل البحث لاسيما وان انتقال الافكار قوة من القوى الخاصة ببعض الناس على ما يظهر فانا محروم منها مثل الاستاذ نيوكم ولكن حرماني منها لا يؤْخذ دليلاً على نفيها فقد عرفتُ اناساً ليس فيهم شيءٌ من المقدرة على الغناء او ليس فيهم شيءٌ من المقدرة على الاشتغال بالمسائل الرياضية ولكن ذلك لا ينفي وجود اناس مقتدرين في الموسيقى وفي الاشغال الرياضية

ثم اشار الى غرض جمعيَّة المباحث النفسية وهو تمحيص ما يروى من الامور الغريبة للوصول الى سببها الحقيقي . وقال ان ليس من غرضها التسليم بصحة كل ما يروى لها بل اعضاؤُها اميل الى الشك منهم الى التصديق . وكثيرًا ما لامهم البعض على شدَّة ريبهم . ووافق الاستاذ نيوكم على ان الاعتقاد بالسحر قد زال من عقول المتمدنين منذ قرنين وزال معهُ كل اعتقاد بتفاعل العقول الاَّ بواسطة الحواس الخمس. ثم قال ولكن حدث شيءٌ من الردَّة بعد ذلك واخذنا نرى اننا تطرفنا في الافكار فنفينا ما لاحقَّ لنا في نفيهِ لا سيما وان حواسنا الظاهرة التي ارتقت بارتقاء طبيعتنا الحيوانية لكي ترشدنا الى ما يلزم لمعيشتنا المادية لا يُنتظر منها ان تدرك كل الظواهر العقلية . ولا شيءَ ينفي ان يكون في هذا العالم امور كثيرة لا نعلم بوجودها وهذا مما جعل عالماً كبيرًا مثل الاستاذ سدجوك يشتغل في هذه المباحث حينما كان جمهور العلماء ينظر اليها بالازدراء . وانا اعذر العلماء الطبيعيين الذين يأْنفون من البحث في هذه الامور العقلية المبهمة ولكنني لا اعذرهم اذا وجدوا فيها سبيلاً للبحث فاغمضوا عيونهم عنهُ والشك ضروري في كل المباحث وويل للعالم اذا انقلب ابناؤُهُ من الانكار الى التصديق

دفعة واحدة من غير ان يبحثوا و يدققوا · فالدرس والبحث واجبان في كل الامور ولا سيما على رجال العلم ومتى ثبت لهم امرٌ وحققوهُ تحقيقاً ينفي كل ريب وجب عليهم ان يعلنوهُ على رؤُوس الاشهاد · والذين ينتقدونهم انما يدفعونهم الى زيادة البحث والتمحيص وقد يغلُون ايديهم اذا مزجوا الانتقاد بالتهكم والازدراء ولكنني لا اظن ان ذلك يحدث بعد الآن لا سيما وقد انضم الى جمهور الباحثين كثيرون من رجال العلم والفضل وكبار المنشئين وارباب السياسة

الاَّ ان الاستاذ نيوكم قد قال ان الغرائب التي تروى لا يبنى عليها حكم ولو كانت صحيحة لانها لا تجري على نسق واحد دائماً ولا تدلُّ على ناموس طبيعي يمكن اتباعهُ والجري عليهِ فاذا ظهرت الطرق التي يتم بها انتقال الافكار حتى اذا جرَّبها ايٌّ كان نجح كما نجح غيرهُ اي نَقَلَ افكارهُ كما ينقل الذين يدَّعون نقل الافكار افكارهم صار انتقال الافكار حقيقة علمية · هذا ما قالهُ الاستاذ نيوكم وهو من الغرابة بمكان نعم ان جمع الحوادث المتفرقة التي لا يعلم ما بينها من الروابط لا يكفي لان يكون علماً قياسياً ولكن اكثر العلوم جرت هذا المجرى فظهور النيازك لم يعرف قياسهُ منذ مئة سنة وحتى الآن توجد حقائق كثيرة في علم البيولوجيا والجيولوجيا والميتورولوجيا اذا قسناها بالمقياس الذي وضعهُ الاستاذ نيوكم وجب علينا ان نرفضها ولا نعتدَّ بها · وحكمُهُ هذا ينفي كل العلوم الاستقرائية · والامتحان ليس شرطاً لازماً لصحة الحوادث والاَّ لوجب علينا مثلاً ان ننفي ما يقال عن ظهور نجوم جديدة في الفلك لان ظهورها او اظهارها لا يقع تحت الامتحان

وقد اشار الاستاذ نيوكم الى اكتشاف السر وليم كروكس للاشعة الكهربائية السلبيَّة وتناول العلماء لهذا الموضوع واشتغالهم بهِ في كل مكان واكتشافهِ حركةً في بعض المواد لم يعلم سببها اشارةً الى انتقال الافكار ولكن لم ينتج من اكتشافهِ هذا نتيجة مع ان جمعية المباحث النفيسة أُنشئت للبحث عن مثلهِ . وعندهُ ان سبب ذلك هو ان ما قيل عن انتقال الافكار لم يثبت ثبوتاً علمياً ولا دلَّ على ناموس طبيعي يمكن اتباعهُ والجري عليهِ وانا اوافقهُ على ذلك ولكنني اذكر لهُ تعليلاً آخر وهو ان انتقال الافكار اكتُشف قبلما كان رجال العلم مستعدين لهُ · ولو كانوا غير مستعدين للبحث في اشعة الكهربائية السلبيَّة لما كان لها اقل شأن عندهم ولم يكن لها اقل شأن عند جمهور الناس لولا استعداد رجال العلم للبحث فيها · ورجال العلم كانوا مستعدين كلهم او بعضهم للبحث في النور والكهربائية بما عندهم من الآلات والادوات ولكنهم غير مستعدين للبحث في انتقال الافكار لانهُ يتوقف على وجود قوًى خصوصية في بعض الناس للتأثير في غيرهم وقوى خصوصية في غيرهم للتأثر منهم · والبحث الاول اي البحث

في الكهربائية والنور مطروق الآن لكل العلماء ولجمهور الناس ايضاً واما البحث الثاني فلم يزل في مجاهل لم يألفها الناس ولا هي مطروقة لهم كلهم . ولم يكن الامر كذلك في المباحث الاولى في غابر الزمان بل كان الحكم فيها كالحكم في المباحث الثانية فلما قام رجر باكن وبحث في المواضيع الاولى قوبل بالتعنيف وكان حظ بحثهِ الاهمال والنسيان .لان الناس لم يكونوا مستعدين لها ولا كان عندهم معاهد طبيعيَّة للبحث فيها وكان المتنورون قليلين متفرقين .وكان يسهل على بعض العامة ان يعيدوا تجارب باكن و يثبتوها ولكن لم يكن لهم فائدة من ذلك بل كانوا يضطرون ان يهملوها ويهربوا . وكان اسلم الامور عاقبةً حينئذٍ ان ينسب الانسان ما يراهُ من الغرائب الطبيعيَّة الى فعل السحرة والابالسة وان يهزأ بالقائلين انها طبيعيَّة . اما الآن فالذين يسبقون غيرهم لا يعامَلون بالجفاء كما عومل رجر باكون ولكن يُنظَر اليهم بعين الشفقة كأَنهم من سخاف العقول وعليهم ان يكتفوا بذلك الاَّ اذا كان طبعهم يأبى الازدراء. ولكن يحسن بهم ان يصبروا لان الزمان ابو العجب واذا ظهر اخيرًا انهم واهمون ضالون فلا افضل لهم من ان ينبهوا من وهمهم ويرشدوا من ضلالهم

ولننظر الآن الى انتقاد الاستاذ نيوكم بالتفصيل ولا سيما في الامرين اللذين انتقدهما بنوع خاص وهما نقل افكار وخيالات المحتضرين

ولا شبهة في ان التجارب التي جُربت في نقل الافكار اتخذت فيها الاحتياطات اللازمة لمنع كل اتصال بين الاشخاص بواسطة الحواس الظاهرة . ولا ندَّعي اننا منعنا كل اتصال ممكن لانهُ لا يمكن نقل شيء من شخص الى آخر الاَّ بواسطة شيء يصل بينهما فهل هذا الشيءُ هو التلبثي اي تأثير العقول بعضها ببعض عن بعدٍ وهل مُنع كل اتصال عادي . فان كانت الافكار قد انتقلت مسافة اميال كثيرة فلا شبهة في انهُ لم يكن بينها اتصال عادي وان كان ما حدث من انتقال الافكار لم يحدث اتفاقاً فلهُ سبب آخر

وقد قال الاستاذ نيوكم ان النجاح في نقل الافكار يكون على اقلهِ اذا كان التدقيق في تجنب الخطإِ على اكثرهِ اما انا فلا اسلم لهُ بذلك على احتمالهِ وستبين التجارب صحة قولهِ او صحة قولي . ثم قال انهُ اذا أُحصيت الحوادث التي وقعت فيها الاصابة وأُهملت الحوادث التي وقع فيها الخطأُ فالحكم المبني على الحوادث المصيبة غير صحيح . واتهمنا باننا نحصي الحوادث التي تصيب ونهمل الحوادث التي تخطئ . وهذا غير صحيح ومن يظن اننا فعلنا ذلك يكون قد اتهمنا باننا جارون في مباحثنا مجرى الاطفال السخاف العقول . والحقيقة التي لا شبهة فيها اننا في كل تجاربنا نحصي الحوادث التي لم تصب كما نحصي الحوادث التي اصابت . وقد

اهتم بعضنا ايضاً بمعرفة ما يمكن ان يحدث لو ترك الامر لمجرَّد الصدفة والاتفاق

وقال ايضاً انهُ لم يجد في ما نشرتهُ جمعيَّة المباحث النفسية في السنوات العشر الاخيرة ما يدل على انها تقدَّمت اقل خطوة في هذا الموضوع . ولكنهُ لو طالع ما نشرتهُ في اكتوبر سنة ١٩٠٧ لوجد تجارب مس ميلز ومس رمسدن اللتين امتحنتا انتقال الافكار مسافات طويلة ثم ما نشرتهُ بعد ذلك عن تجارب مسز بيبر. واذا كانت تلك الاعمال لا تفسَّر بانتقال الافكار فلا بدَّ من تفسيرها بقوة اخرى ولذلك اقول ولا اخشى معارضاً ان التجارب قد اثبتت امكان انتقال الافكار من شخص الى آخر ولا صلة بينهما من الصلات المعروفة

وقد استبعد الاستاذ نيوكم ان توجد قوة نقل الافكار في الناس ولم ينتبه لها قبل الآن اما انا فاقول ان قوة نقل الافكار قلما تكون قوية حتى يسهل امتحانها . وقد اتخذ ندرتها دليلاً على نفيها لكن ندرة الشيء لا تنفيهِ . نعم ان من عادة الناس ان يكتموا ما يجول في خواطرهم ويحفظوا افكارهم في نفوسهم ولكن ذلك لا يمنع ان يوجد منهم من ترشح افكارهُ من عقلهِ وهؤلاء قلال جدًّا ولو كانوا كثارًا لانتبه الناس لهذا الامر من قديم الزمان

ولكن تأثير الناس بعضهم في بعض بواسطة ما يصدر من افكارهم ليس باغرب من تاثيرهم بعضهم في بعض بتموجات الهواء (في الكلام) وبعلامات يرسمونها على الورق (في الكتابة) . وعلى اي شيء يستند الاستاذ نيوكم في دعواهُ وهي ان كل قوة توجد في اناس قليلين يجب ان توجد في كل الناس والاَّ فهي غير موجودة

ونتقدم الآن الى الامر الثاني وهو ان الحوادث التي تحدث لبعض الناس قد تؤَثر في غيرهم فيرون خيالات ونحوها تدلُّ على تلك الحوادث . فقد قال الاستاذ نيوكم ان بعض ما روي عن ذلك غير صحيح او مبالغ فيهِ . وانا اوافقهُ على قولهِ واقول ان اكثر ما روي من هذا القبيل غير صحيح ولا بدَّ من التدقيق والتمحيص لمعرفة الخبر الصحيح من الكاذب وهذا قد فعلتهُ جمعية المباحث النفسية كما يُرى في كتبها . وقد حُسب بعض هذه الاخبار صحيحاً ثم ثبت انهُ غير صحيح ولكن ما كان من هذا القبيل قليل جدًّا لا يزيد على اربع حوادث فيما اعلم ومن هذه الحوادث حادثة القاضي التي ذكرها الاستاذ نيوكم وقال انهُ لا يتذكر غيرها من الحوادث التي استُشهد فيها بشهادة شخص خارج عن المشتركين فيها. فلماذا لا يتذكر غيرها ألأنها اصح من غيرها او لأنها ابطل من غيرها وهل كان يتذكر غيرها من الحوادث لو أُقيمت الادلة على بطلانهِ

ثم التفت السر اوليفرلدج الى احصاء الحوادث التي تصدق والتي لا تصدق وبيَّن ان

التي تصدق اكثر كثيرًا مما لو كان صدقها من قبيل الاتفاق فالتفت الى الخيالات التي تدلُّ على موت الاقارب فقال ان احتمال موت الانسان في اي يوم كان من ايام حياتهِ هو واحد من ١٩٠٠٠ (حسب ان متوسط عمر الانسان نحو ٥٠ سنة فيكون فيهِ ١٩٠٠٠ يومًا) فاذا تخيَّل انسان موت صديق لهُ ١٩ الف مرةً وصدق تخيلهُ مرةً واحدة فيكون ذلك من قبيل الاتفاق الواجب الحدوث حسب قواعد الممكنات او اذا تخيَّل ذلك ١٩ الف نفس وصدق واحد منهم في تخيلهِ فصدقهُ من قبيل الاتفاق الواجب الحدوث ولكن جمعية المباحث النفسية نشرت في تقريرها اجوبة ١٧ الف نفس ومن هؤلاء ١٦٨٤ قالوا انهم يرون الخيالات ومن هؤلاء ٣٨١ قالوا انهم رأَوا خيالات حقيقية ٣٥٢ منها خيالات اناس ثبت انهم ماتوا حينئذٍ و٢٠ خيالات غير واضحة و ٩ خيالات اناس لم يموتوا. هذه هي الخيالات التي تذكَّروها والمرجح انهم هم او غيرهم رأَوا خيالات اخرى لم تصدق فنسوها واذا فرضنا ان ما نسي مضاعف ما ذكر فتكون الخيالات التي رُئيت نحو ١٣٠٠ وقد ثبت بعد البحث الدقيق ان ثلاثين من الذين رُئيت خيالاتهم ماتوا في اليوم الذي رُئيت خيالاتهم فيهِ اي صدقت رؤْيةٌ واحدةٌ من كل ٤٧ رؤْية وذلك بمثابة ٤٠٠ من ١٩٠٠٠ وقد تقدم ان قوانين الاتفاق تقضي بصدق رؤْية واحدة فقط من كل ١٩٠٠٠ فما صدق من رؤْيات هؤلاء الناس اكثر مما يقتضيهِ قانون الاتفاق ٤٠٠ ضعف هذا اذا حدثت الوفاة ورؤْية الخيال في مدى يوم كامل ولو كان الفرق بينهما نحو ٢٤ ساعة ولكن اذا كان الفرق بين الحادثين اقل من ٢٤ ساعة لم يعد مقتضى الاتفاق واحدًا من ١٩٠٠٠ بل اقل من ذلك كثيرًا. ولهذا حكمت جمعيَّة المباحث النفسية ان الحوادث التي بُلّغتها عن ظهور خيال الانسان يوم موتهِ تدل دلالة قاطعة على انها لم تحدث بالاتفاق المحض ولا يفسَّر حدوثها الاَّ بوجود علاقة ما بين وفاة الانسان وظهور خيالتهِ او بوجود الغش او الخطإِ في ذكر هذه الحوادث . وقد فسر السر اوليفرلدج هذه العلاقة بتأْثير عقلي بين عقل المحتضر وعقل مَن يرى خيالهُ وقال انهم لجأوا الى هذا التفسير لانهم لم يروا تفسيرًا اقل بعدًا منهُ عن المألوف ولان بعض الناس حاولوا ان يؤَثروا في عقول غيرهم فنجحوا في ذلك . وسواءٌ صح هذا التعليل او لم يصح فلا شبهة ان الخيالات الصحيحة لا تظهر بمجرد الاتفاق ولا بدَّ من علاقة سببيَّة بين الموتى وخيالاتهم التي تظهر للاحياء كما قالت لجنة المباحث النفسية التي بحثت في هذا الموضوع . انتهى . هذه زبدة الردّ الذي ردَّ بهِ السر اوليفرلدج على الاستاذ نيوكم وسنرى ما يكون رد الاستاذ نيوكم عليهِ

الشعر الوصفي

في المياه واوصافها

فمن وصف النهر قول بعضهم :

والنهر مكسوٌّ غلالة فضةٍ فاذا جلا سيفاً فثوب نضارِ
واذا استقام رأيت صفحة منصلٍ واذا استدار رأيت عطف سوارِ

وقول الآخر فيهِ :

وليلٍ لنا بالسدّ بين معاطفٍ من النهر ينساب انسياب الأراقمِ
تمرُّ الينا ثم عنّا كأنها حواسدُ تمشي بيننا بالنمائمِ

وقول ابن ناهض في نهر النيل :

شاطئُ مصرٍ جنّةٌ ما مثلها في بلدِ
لا سيما مذ زخرفت بنيلها المطّردِ
وللرياح فوقهُ سوابغٌ من زردِ
مسرودةٌ ما مسها داودُها بمبردِ
سائلةٌ وهو بها يرعد عاري الجسدِ
والفلك كالأفلاك بين حادرٍ ومصعدِ

وقول القيراطي في نهر بَرَدى بدمشق :

وكأنَّ ذاك النهرَ فيهِ معصمٌ بيد النسيم منقّشٌ ومكتّبُ
واذا تكسّر ماؤُهُ أبصرتَهُ في الحال بين رياضهِ يتشعّبُ
فالوُرْق تنشد والنسيم مشبّبٌ والنهر يسقي والحدائق تشربُ
وضياعها ضاع النسيم بها فكم أضحى لهُ من بين روضٍ مطلبُ

وقول الآخر:

قد قال وادي جلّق للنيل اذ كسروهُ اعين جبهتي لك ترفعُ
فاجاب بحر النيل لما ان طغى عندي مقابل كلّ عينٍ إصبعُ

وقول ابن المرحّل :

ولما جلا فصلُ الخريف محاسناً وصفّق ماء النهر اذ غرّد القمري
اتاهُ النسيم الرطبُ ارقص دوحهُ فنقّط وجهَ الماء بالذهب المصري

وقول الآخر :

حيث التفتَّ رأيت ماءً سائحاً ورأيتُ ظلّاً
والنهر يفصل بين زهر الروض في الشطّين فصلا
كبساطِ وشيٍ جرّدت أيدي القيون عليهِ نصلا

وقول عبد الباقي العمري الفاروقي :

من قراب السحاب اذ جرّد الودق سيوفَ الانهار كالسلسالِ
وبظلّ الاشجار في الروضة الغنّاء باتت مسحوبة الاذيالِ
قالت الدوحة الوريقة اني جنةٌ والسيوفُ تحت ظِلالي

ومن وصف الغدران قول موفق الدين الانصاري :

ارى غدير الروض يهدي الصبا وقد ابثّتهُ سكوناً يدومْ
فؤادُهُ مرتجفٌ للنوى وطرفُهُ مختلج للقدومْ

وقول ابن المعتزّ :

ومزنة حار من اجفانها المطرُ فالروض منتظمٌ والقطر منتثرُ
ما زال يلطم وجه الارض وابلها حتى وقت خدها الغدران والنهرُ

ومن وصف الفوّارة قول بعضهم :

وبركةٍ ماؤها يسمو بها ابداً اذا جرى مسرعاً من كل دستورِ
كأنهُ اذ بدا في الجو منتثراً درٌّ تناثر من قضبان بلورِ

وقول ابن حجاج :

صنعتَ في دارك فوّارةً اغرقت في الارض بها الانجما
فاض على نجم السما ماؤها فأصبحت ارضك تسقي السما

ومن وصف الشلاّل قول يوسف بن لؤلوء :

بعيني رأيتُ الماء القي بنفسهِ على رأسهِ من شاهقٍ فتكسّرا
وقام على اثر التكسّر جارياً ألا فاعجبوا ممن تكسّر قد جرى

وقول حفني بك ناصف في تدفق الماء من قناطر الترعة السوهاجية باسيوط (مصر) يوم الاحتفال بفتحها في ١٤ اغسطس (آب) سنة ١٨٩٠ :

قد جرى الماء من خلال الحنايا فتبدّى لنا بشكل بهيِّ
كجيادٍ تسابقت في طرادٍ فتداعى الكميُّ فوق الكميِّ

او سهام قد فوّقت من بعيدٍ وتلاقت نصالها في الرميِّ

ومن وصف البرك قول ابن المعتز :

كأن البركة الغنّاء لما غدت بالماء مفعمةً تموجُ
وقد لاح الدجى مرآة قينٍ قد انصقلت ومقبضها الخليجُ

وقول البحتري يصف بركة المتوكل من قصيدة وهو مشهور باوصاف البرك :

تنصبُّ فيها وفودُ الماء معجلةً كالخيل خارجةً من حبل مُجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلةٌ من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حُبكاً مثل الجواشنِ مصقولاً حواشيها
فحاجب الشمس احياناً يضاحكها وريِّق الغيث احياناً يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبتَ سماءً ركِّبت فيها
لا يبلغ السمك المحصورُ غايتها لبعد ما بين قاصيها ودانيها
يعمنَ فيهِ باوساطٍ مجنحةٍ كالطير تنفضُ في جوٍّ خوافيها
لهنَّ صحنٌ رحيبٌ في اسافلها اذا انحططنَ وبهوٌ في اعاليها
صورٌ الى صورة الدلفين يؤنسها منهُ انزواءٌ بعينيهِ يوازيها
تغنى بساتينها القصوى برؤيتها عن السحائب منحلاً عزاليها

ومن وصف الناعورة (الساقية) قول بعضهم :

وناعورةٍ قد أُلبست لحيائها من الشمس ثوباً فوق اثوابها الخُضرِ
كطاووس بستانٍ يدور ويجتلي وينفض عن اثوابهِ بَلَل القطرِ

وقول ابن نباتة :

وناعورةٍ قسِّمت حسنها على واصفٍ وعلى سامعِ
وقد ضاع نشر الربى فاغتدت تدورُ وتبكي على الضائعِ

وقول ابي جعفر بن وضّاح :

وباكية والروض يضحك كلَّما ألحّت عليهِ بالدموع السواجمِ
يروقك منها إن تأملت نحوها زئيرُ أُسودٍ والتفافُ أَراقمِ
تخلص من ماء الغدير سبائكاً فتنبثها في الروض مثل الدراهمِ

وقول الآخر :

وناعورةٍ حنّت وغنّت وقد غدت تعبر عن حال المشوق وتُعربُ

ترقص عطف البان تيهاً لانها تغني لهُ طول الزمان و يشربُ

وقال ابن جنادة في تنفس الموج على شاطئ البحر :

أنظر الى البحر في أمواجهِ عجبٌ يأتي الى الشطّ احياناً وينعطفُ

كأنهُ ملكٌ تسعى الجيوش لهُ تقبّل الارض طوعاً ثم تنصرفُ

وقول الآخر: وزاخر ليس لهُ صولةٌ الاّ اذا ما هبّت الريحُ

وهو اذا ما سكنت ساكنٌ كأنما الريحُ بهِ روحُ

عيسى اسكندر المعلوف

علّة الفساد فساد الاعضاء

ما من امّةٍ الاّ وقد دلّ ماضيها البعيد والمتوسط والقريب على ان لا فرق في السلطة بين ان تكون مطلقة العنان او مقيّدة بدستور وانما الفرق في الرجال القابضين على زمام الاحكام لان ما يجيء بهِ الدستور قد تجيء بهِ السلطة المطلقة فربّ ملكٍ مطلق السلطان يفيد بلادهُ ورعيتهُ من التقدُّم والتمتع بخيرات بلادهم ما لا تفيدهُ المجالس النيابية . ولا غرابة فان موالاة الملوك لرعاياهم بمثابة موالاة الآباء لاولادهم وبهذا الاعتبار هم خليقون بالسلطان المطلق لانهم اكثر شعوراً بالألم من جميع المجالس النيابية التي تتهافت عليها الامم في هذا الزمان . فان لم يكن الملك مطلق السلطان قلّ شعورهُ باوجاع الرعية لتعلّق شؤونها بنوّابها وذلك ممّا يسهل ادراكهُ على كل فرد من الناس

وعليهِ فعبثاً تجتهد الامم في تنويع سلطاتها وباطلاً تتعب لانهُ مهما كان الملك المطلق السلطان عادلاً محبّاً شفوقاً اذا لم يكن الرجال المحتفّون بهِ ذوي كفاءة وامانة واخلاص فسدت امورهُ وتعذر عليهِ اصلاح بلادهِ وحدهُ . وهكذا قل عن الدستور اذا لم يكن رجالهُ امناء مخلصين لان العبرة برجال السلطة لا بانواعها

وبديهي ان الملك يحكم شعبهُ بواسطة الرجال الذين منهم تتألف دوائر الحكومة فاذا خبثوا تغلّبوا على عواطفهِ مهما كان مستقيماً صالحاً واذا صلحوا فانهم ليردّونهُ الى العدل ولو كان الظلم شيمتهُ وخصوصاً في هذا الزمان الذي لم يبقَ فيهِ حياة لاستبداد الملوك الاّ اذا خلت قلوب رجالهم من الصلاح

وليس يخافِ ان طبيعة العدل واحدة مهما تعدّدت انواع السلطات والشرائع فليس

القانون الاساسي بالشيء الجديد كما يتبادر الى الاذهان بل هو كائن في طبيعة العدل الذي هو قاعدة الشرائع ومدارها وانما يخفيهِ الظلم وبطمسهُ الاستبداد

وواضح ان لا وظيفة للدستور ولا عمل سوى منع السلطة من التقدُّم في التسلُّط الى درجة الاستبداد وبما ان العدل لا يحتاج الى دستور الاَّ اذا خيف الاستبداد فاحتياجهُ في الحقيقة الى رجال منفذين لاحكامهِ لان الظلم قد يكون مع الدستور اذا لم يُعضَد برجال مخلصين. أليست المجالس النيابية ذات سلطات فاي دستور يضمن لنا ان اعضاءها يرفعون فيها صوت الامة ولا يرفعون اصواتهم الخصوصية

وقد ارانا التاريخ استيلاء العدل في السلطات المطلقة احياناً كثيرة فما من امة عاشت محكومة على الاطلاق الاَّ وقد قام فيها في بعض ادوارها رجال متَّعوها بملء العدل. والعثمانيون ما برحوا غير بعيدين من عهد السلطان عبد العزيز واكثرهم شاهد ملءَ التبسُّط في الحرية اذ كان ما يُعرَف اليوم عندهم بالاحكام الدستورية جارياً بينهم ايا مثلهِ على احسن ما يكون حتى كأن عرش السلطة المطلقة قد صيغت جواهرهُ من معدن الدستور. طالع ايَّة جريدة تصل اليها يدك من الجرائد التي كانت تُطبَع في ايامهِ تجدها ليست بأقل حرية من جرائد الامم الراقية في هذا الزمان. ناهيك انهُ كان ساهرًا على راحة تبعتهِ ورفاهيتها بدليل انهُ افتقدها اكثر من مرَّة بارادات سنية واوامر عالية ايذاناً بالمساواة على اختلاف النحل والملل اذ كان ابغض شيء اليهِ ان يراها منقسمة على نفسها تحكم في قلوبها شياطين التفريق والتمزيق

ولا يشكل بما كان من ارتكاب الحكام واعتساف رجال المحاكم وبما ناب البلاد في آخر ايامهِ من القلاقل والمشاكل — لان علة ذلك الفساد كلهِ فساد الاعضاء. ما حيلة ملكٍ عادل مستقيم يعرف الالم في جسم شعبهِ كما يعرفهُ في جسمهِ اذا هو لم يلقَ رجالاً يتولون الرعية بما تقتضيهِ مقاصدهُ النبيلة هل في وسعهِ ان يخلق رجالاً والله وحدهُ القادر على الخلق

هذا ومما لا بد من الالماع اليهِ هنا هو ان العدل قائم في الارض على مقدار محدود فليس لأي نوع كان من انواع السلطة ان يزيد عليهِ شيئاً مما ينقصهُ فاذا اتفق لامةٍ ان ترى مزيدًا فلا يكون المزيد الاَّ قشرًا بدون لب. اما شرائع الانسان فلا تخلو من النقص لان من العدل ما قد اغفلهُ المشترعون لاسباب لا محل لذكرها هنا وهيهات ان يقوم على الارض مشترعون نزهاء يلمون بجميع فروعهِ. فمن المحال ان توجد الراحة التامة للانسان ما دام نظامهُ الاجتماعي عاملاً على اكل قويهِ ضعيفهُ

وسيّان اغفلت الشرائع شيئاً من العدل او احاطت بجميع فروعهِ فلا مراء في انها مفتقرة في ذاتها الى اخلاص رجالها حتى تستولي قوّة الانتصار للحق والعدل فان لم يسعدها الحظ برجال يخدمونها بصدق وامانة تسمع بها ولا ترَاها ومعلوم ان هؤلاء الرجال قليلون حتى عند الامم الراقية ولسوء الحظ نجد القلّة عندنا على نوع أخص. انظر في سلك رجال الحكومة رجلاً يحدّثك اليوم عن ظلمهم تجدهُ عمّا قليل قد صار في مقدّمتهم — وهذه مسألة ينبغي النظر فيها بعين الاهتمام لانها آفة كل اصلاح . وعندي ان انجع دواء لهذا الداء وضع نظام لاجراء النظام وسآتي على ايضاح ذلك في ختام الكلام

وواضح ان الحكومة اذا كانت مستقيمة الاحوال بعيدة عن مراعاة الخواطر والاغراض شديدة العزم في الاجراء لا تعرف للرشوة اسماً ولا للفساد معنًى متخذة القوانين والنظام اساساً لكل عمل فهي الدستور بعينهِ ولو بلغ اطلاق عنانها عنان السماء وهي على ضد ذلك اذا كانت دستورية ولم تكن كذلك . مثالهُ الحكم الجمهوري وهو موضوع الاطناب عند اكثر الامم فانهُ اذا لم يكن رجالهُ ممن يعيشون لغيرهم كما يعيشون لانفسهم ليس باخف وطأة من الاستبداد الملكي الجائر

فكل ما يوضع لأمرٍ ما اذا لم تتهيأ اسبابهُ انصرف الى عكسهِ ان خيرًا فالى شر وان شرًّا فالى خير . ادخل مدرسة تهذيبية ترقى بك في اوج الاستقامة والدماثة ثم اخرج منها الى قوم يتحكم الخبث في اخلاقهم فلا يمضي عليك حين من الزمن حتى تصير مثلهم . وعاشر قوماً متأدّبين فضلاء فلا تشعر بنفسك الاّ وقد صرت واحداً منهم ولو لم تدخل مدرسة . اذن كل شيء في العالم خيرًا كان او شرًّا انما يكون باسبابهِ . فنحن اليوم نفرح بالدستور لاقتضائهِ الحريَّة الاجتماعيَّة ولكننا نخشى ان لا نجد لدينا من اسباب الخير ما يمكننا من استخدامها في سبيلهِ فتنصرف بنا الى الشر كيف لا وهي قد تكون كذلك حتى عند الامم الراقية فبالاحرى كثيرًا جدًّا ان تكون عندنا لمحض الشر اللهمَّ الاَّ اذا جاريناهم في ما هو معمول بهِ عندهم من اسباب الخير فنحصل اذ ذاك على الخير قدر ما يكون لدينا من الشر كما هي الحال عندهم وبذلك تبدو الموازنة بين الاثنين وويلٌ اهون من ويلين

هذا واذ كان كمال السياسة وتوفير سعادة الامة لا يتم الاَّ بكفاءة رجال السلطة واخلاصهم في الخدمة واستقامتهم في الجملة كان من السهل على كل امة ان تدرك هذه القاعدة فتعرف هل من الممكن ان تتمتع بسياسة مستقيمة اذا لم يكن فيها رجال اكفاء مخلصون

وليس المراد بما تقدم وقد ذقنا من الاستبداد أمرَّهُ ان لا حاجة الى مجالس نيابية . كلاَّ . لان الخير الذي نهتم اليوم بالسعي وراءهُ انما نتوقعهُ بما أُعطيناه من الحرية الاجتماعية . ثم انهُ لمن المعلوم ان مطالب الاصلاح كثيرة فما الحرية وحدها بالشيء الذي يفيدنا نفعاً فقبل كل شيء ينبغي ان نعلم ان المقدار الذي يمكن ان تصل اليهِ ايدينا من اشياء الاصلاح لا يكون الاَّ بنسبة ما فينا من المواهب والاستعداد وان تفاوت الامم في احراز القوة ونشر المدنية نتيجة تفاوتهم في الاصلاح وحدهِ دون سواهُ وعليهِ فكل امة ليس في وسعها ان تحصل منهُ على مقدار يضمن لها احراز القوة تبيت هدفاً لعوامل الضعف والتقهقر مهما كانت كبيرة

ومعلوم ان بلوغ الكمال في هذا العالم ضرب من المحال غير انهُ شتَّان بين امة قريبة من الكمال واخرى غير بعيدة عن النقصان التام . وواضح ان جميع الامم تجدُّ اليوم وراء الاصلاح وما نحن غير امة من امم العالم لا سيما واننا احوجهم اليهِ لكثرة عناصرنا وتباين نزعاتنا ووجود الخلل في دوائرنا وتقهقرنا بالنظر الى الامم الراقية ولدفع الهجمات الخارجية التي تنتابنا حيناً بعد حين وذلك مما لم يقوَ عليهِ الرومانيون قديماً على ما كان لدولتهم من امتداد السلطة وفخامة الملك . وفي الجملة فكيفما نظر العثماني في هذا الزمان رأى لهُ علاقة مهمة باصلاح الشؤون العمومية بحيث لم يبقَ في وسعهِ الاستمرار على الترقيع الموقت الذي تعودناهُ من يوم قعدت بنا فخامة الملك والسلطان عن الاهتمام بما يحرزهُ غيرنا من مفاخر القوة والعلم والعرفان لانهُ قد عرف حق المعرفة ان ليس وراء ذلك الترقيع غير اتساع الخرق الى درجة تبطل عندها كل حيلة

لا جرم اننا لفي اشد الحاجة الى رجال يخدمون الدولة والامة بالصورة التي يخدمون بها انفسهم لان الاصلاح انما يتم بالعمل لا بمجرد الدستور فمن الباطل ان نكل امورنا اليهِ اذا لم يكن عندنا رجال تعمل . ويظن الكثيرون من العثمانيين ان وراء الاكمة رجالاً يبارون في مضمار الاصلاح اكابر رجال الامم الراقية . اما كاتب هذه السطور فانهُ يسال الله ان يخيب ظنهُ تحقيقاً لما يظنون لان من يظن ان البلاد خالية ممن يشعر بالالم في غير جسمهِ وبالنقصان في غير مالهِ لا يستطيع ان يقول بصحة تلك الظنون . نعم كلنا يتحدث اليوم بالالم والنقصان غير ان شعورنا بذلك ضعيف جداً ألا ترى ان بعضنا لا يفرقون بين الدين والوطن وان البعض الآخر لم يتربَّوا على خدمة وطنهم لحرمانهم من حقوقهِ . على انهُ مهما يكن من امورنا فليس من العدل ان نقول بخلو البلاد من الرجال وانما ينبغي ان نحقق كونهم قليلاً جداً وان القلة لا تقوم مقام الكثرة

واقول في الختام ان لاسبيل الى تكثير الرجال الأ بوضع قانون شديد الوطأة في القصاص ينال كل فردٍ من افراد الهيئة الحاكمة بما يجنيهِ من ثمار الاعوجاج بلا استثناء. فقد آن للامم ان تعرف ان رجال المجالس النيابية انما يكونون في كثير من الاحوال نواباً عن انفسهم لا عن الامَّة التي انتخبتهم للدفاع عن مصالحها وحقوقها. فلا يخدعنَّ الامم مجرد الاسم فان على هذه الارض اسماء كثيرة لا مسميات لها واكثر ما يكون ذلك عند الامم المتمدنة ألا ترى كيف انهم يغتصبون رزق الضعيف ثمَّ يعطونهُ فحماً في الشتاء وثلجاً في الصيف ويسمون العطاء احساناً . اولا ترى كيف يدعون المدنية واساسها الظلم وهنالك كثيرٌ من الاسماء الخيالية التي لا حقيقة لها

واعود فاقول ان لا سبيل الى تكثير الرجال الأ بوضع قانون شديد العقاب وعندي ولا اخشى لومة متعنّت لا يعرف للقصاص مزية انهُ يجب ان تكون وطأة القصاص غير منظور فيها الى نسبة الجرم لان مَن يفعل الشر لا يقتصر فيهِ على مقدار محدود بل انما يفعل منهُ ما تصل اليهِ يدهُ قلَّ او كثر. ولا بد من جعل القانون قاضياً في احوال كثيرة باعدام كل متعوّج من رجال دوائر الحكم ولو خطيراً عالي المقام اذ لا شرف في هذا العالم يضاهي شرف الصدق في الاحكام التي عليها تمشى الحقوق الافرادية والعمومية بل هو الشرف الحقيقي الوحيد الذي يمكن الاركان اليهِ .فقد آن للانسان ان ينزع عن العقائد الباطلة والخرافات السخيفة وان يخرج من هذه الصروح المؤسسة على الرمل الى خيامٍ مضروبة اطنابها في الارض التي يعيش عليها فان كان لا بد لهُ من أن يعيش لاصطلاحات قديمة قد اطلقتها الايام فما هو فضل تمدُّنهِ اذن . شدَّ ما كذب هذا التمدن وخدع . انظر اصلحك الله كيف يسوقون الى الاعدام كل مَن يخون دولتهُ فما الفرق بين مَن يخون الدولة ومن يخون الرعية .فاذا كان الانسان يعيش لهيئة حاكمة تأمر باعدام من يخونها ولا تبالي باعدام خائني الهيئة المحكومة فهل من فرقٍ في هذه السلطة المستبدَّة بين ان تكون للملك او للدستور او للجمهورية او للشيطان . كن على يقين ايها الانسان ان لا خير للامم في اي نوع كان من انواع السلطة الأ بالرجال ولا يكون هؤلاء الأ بالقصاص الصارم وما أصدق ذلك القائل " ولكل شيء آفة من جنسهِ " فان لم يُعاقب الاشرار بأشر العقاب فلا ترجُ لهذا العمران حياة والسلام

جرجس خولي مرسين

المدارس في القطر المصري

نشرت ادارة الاحصاء كتاباً مفيدًا عن تعداد المدارس في القطر المصري في العام الماضي وانواعها وعدد تلامذتها ونسبتهم الى عدد السكان ونحو ذلك مما يستدلُّ منهُ على سير التعليم في هذا القطر فرأينا ان نلخص منهُ الحقائق التالية

بلغ عدد سكان القطر في الاحصاء الاخير الذي احصتهُ الحكومة المصرية سنة ١٩٠٧ نحو ١١ مليوناً و١٧٥ الفاً المصريون منهم احد عشر مليوناً ونحو ٣٨ الفاً والباقون من امم مختلفة بين يونانيين وايطاليين وانكليز وفرنسويين ونمسويين والمانيين ما عدا جيش الاحتلال. ويعني بالمصريين كل سكان القطر من مصريين وعرب وترك وارمن وما اشبه. وقد بلغ عدد اولادهم الذين يترددون على المدارس والكتاتيب من صبيان وبنات ٢٨٦٦٣٩ وهم على ما في هذا الجدول

الجنس	العدد			التلامذة			النسبة في المئة	
	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث
المصريون	٥٥٢٤٠٨٨	٥٥٠٤٤٧٥	١١٠٢٨٥٦٣	٢٣٧٠٥٣	٣٠٣٠٦	٢٦٧٣٥٩	٤٫٣	٠٫٥
اليونانيون	٣٥١٧٦	٢٧٧٩٨	٦٢٩٧٤	٤٦٢٩	٣٣٠٠	٧٩٢٩	١٣٫٠	١٢٫٠
الايطاليون	١٧٠٧٨	١٧٨٤٨	٣٤٩٢٦	٣٥٣٨	٢٨٤١	٦٣٧٩	٢١٫٠	١٦٫٠
الانكليز	٨٢٨٢	٦٤٧١	١٤٧٥٣	٩٠١	٧٦٣	١٦٦٤	١١٫٠	١٢٫٥
الفرنسويون	٧٤١٥	٦٩٧٦	١٤٥٩١	٩٧٩	٨٦٥	١٨٤٤	١٣٫٠	١٢٫٠
النمسويون	٣٢٤٨	٤٤٥٧	٧٧٠٥	٤٦٧	٤٧٧	٩٤٤	١٤	١١
الالمانيون	١٠٠٥	٨٤٢	١٨٤٧	٢٢١	٢٩٩	٥٢٠	٢٢	٣٥

ونظرة واحدة الى هذا الجدول تكفي للدلالة على قلة التلامذة المصريين بالنسبة الى عدد السكان فان الذكور منهم نحو اربعة في المئة والاناث نحو نصف في المئة فقط مع ان عدد التلامذة من سائر الامم القاطنة في القطر المصري يختلف بين ١١ في المئة و٣٥ في المئة ومتوسطهُ نحو ١٥ في المئة اي نحو ستة اضعاف التلامذة المصريين نسبة الى السكان. واذا اخرجنا من المصريين كل السوريين والاتراك والارمن ونحوهم من الامم العثمانية غير المصرية قلّت نسبة التلامذة من المصريين ايضاً

ولقد ظهر من تعداد السكان المصريين ان الذين سنهم بين ٥ و١٩ اي هم في سن التعلُّم يزيدون على ثلاثة ملايين و٧٠٠ الف وواضح مما تقدَّم ان الذين يترددون على المدارس منهم نحو ٢٣٧ الفاً لا غير فلا يتردد على المدارس عشر الاولاد الذين في سن التعلُّم . ولا ينسب ذلك الى ضيق المدارس لانها لم تزدحم حتى الآن ولكنها لو ازدحمت لما وسعت اكثر من عشر الاولاد الذين في سن التعلم لان هذا العشر يبلغ اكثر من ٣٧٠ الفاً فهل في الامكان ان يبلغ عدد الكتاتيب والمدارس من كل الانواع عشرة اضعاف ما هو الآن وان يزيد عدد المعلمين والمعلمات عشرة اضعاف ايضاً . واذا فرضنا انهُ يكفي ان يتردد على المدارس نصف الاولاد الذين في سن التعلم حتى يصير اجبارياً فهل يمكن ان يزيد عدد المعلمين والمعلمات خمسة اضعاف ما هو الآن حتى يصير التعليم اجبارياً وتصير المدارس كافية لنصف الاولاد الذين في سن التعلم ويصير المعلمون والمعلمات كافين لتعليمهم كلهم. واذا زادت مدارس الصبيان ومعلموها الى الحد المطلوب فهل في الامكان ان تزيد مدارس البنات ومعلماتها ايضاً الى ذلك الحد

قلنا ان عدد التلامذة المصريين يبلغ ٢٣٧٠٥٣ ويظهر من جداول الاحصاء ان الجانب الاكبر منهم في الكتاتيب لا في المدارس فان عدد اولاد الكتاتيب من الصبيان والبنات ١٧٥٥١٥ والباقون وهم ٦١٥٣٨ فقط في سائر المدارس

وقد كان عدد الكتاتيب ٤٣١٩ سنة ١٩٠٧ وعدد معلميها ٦٧٩٥ فكل معلم منهم يعلم نحو ٢٦ ولداً والمرجح ان الاولاد الذين في سن التعلم في الكتاتيب اي بين ٦ سنوات و١٠ سنوات لا يقلون عن مليوني ولد من الصبيان والبنات فاذا اريد تعليمهم كلهم لزم لهم نحو ٧٧ الف معلم ومعلمة واذا فرضنا ان متوسط اجرة المعلم والمعلمة عشرون جنيهاً في السنة وهي اقل اجرة يقبل بها مَن يعرف القراءة والكتابة بلغت اجور المعلمين والمعلمات لهذه الكتاتيب اكثر من مليون ونصف مليون من الجنيهات في السنة واذا فرضنا ان الكتاتيب اللازمة لذلك تبلغ خمسين الف كتّاب وان متوسط ما يلزم لبناء كل كتّاب منها اربعون جنيهاً فيلزم لبنائها كلها مليونان من الجنيهات . والصعوبة الكبرى ليست في ايجاد المال اللازم لبناء الكتاتيب واجور معلميها بل في وجود المعلمين والمعلمات لها فانهُ قد لا يصعب ان يوجد الف معلم او الفا معلم الى خمسة آلاف او عشرة آلاف ولكن بين هذا العدد وبين السبعين الفاً بون شاسع وشقةٌ لا نرى كيف يمكن اجتيازها لاسيما وان عدد هؤلاء الاولاد يزيد سنوياً زيادة كبيرة جداً لا تقلُّ عن ثلاثين الفاً اي انهم يزيدون سنوياً زيادة تقتضي اكثر من الف

معلم ومعلمة فلو استطاعت المدارس الموجودة الآن ان تخرج سنويًا الف معلم ومعلمة مستعدين للتعليم في الكتاتيب لما كفوا للزيادة السنويَّة في عدد الاولاد الذين في سن التعلم

ولا بدَّ لنا قبل ترك الكتاتيب من الالتفات الى مَن فيها من الصبيان والبنات فقد كان عدد من فيها من الصبيان ١٦٠٩٣٠ وعدد من فيها من البنات ١٤٥٨٥ اي ان عدد البنات اقل من عشر عدد الصبيان فاذا لزمنا ان نزيد عدد كتاتيب الصبيان ستة اضعاف لكي تكفيهم لزمنا ان نزيد عدد كتاتيب البنات اكثر من ستين ضعفًا لكي تكفيهنَّ

الأَ ان ما ظهر من الهمة في انشاء الكتاتيب منذ عشر سنوات الى الآن يدلُّ على ان تعميم التعليم آخذ في الانتشار بسرعة عظيمة وقد يظهر لاول وهلة انهُ اذا استمرَّت زيادة الكتاتيب في السنوات العشر التالية على نسبة الزيادة في العشر السنوات السابقة بلغت بعد عشر سنوات ما يكفي لكل اولاد القطر ففي سنة ١٨٩٨ كان عدد الكتاتيب ٣٥٦ وكان عدد تلامذتها ١٠٤٥٩ فزاد عدد الكتاتيب في عشر سنوات اكثر من اثني عشر ضعفًا وزاد عدد تلامذتها نحو ١٧ ضعفًا

ومعلوم انهُ اذا زادت الكتاتيب اثني عشر ضعفًا صارت كافية لكل اولاد القطر ولكن الزيادة في السنوات العشر الماضية ناتج اكثرها من ان اكثر الكتاتيب لم يكن تحت مراقبة الحكومة فصار تحت مراقبتها لا ان تلك الكتاتيب قد انشئت جديدًا · فالكتاتيب التي تحت مراقبة الحكومة وليس لها اعانة كان عددها ٢١٩٤ سنة ١٩٠٥ فصار عددها ١٤٢٠ سنة ١٩٠٧ وليس المراد بذلك ان بعضها أُقفل بل المراد ان بعضها صار يعطي اعانة فعُدَّ مع الكتاتيب التي تنال الاعانة · والكتاتيب التي لها اعانة من الحكومة كان عددها ١١٠ سنة ١٨٩٨ فصار عددها ٢٧٦١ سنة ١٩٠٧ فليس المراد ان ما زاد منها انشئَ كلهُ في هذه السنوات العشر بل المراد انهُ لم يكن يأْخذ اعانة فصار يأْخذها واحصي مع الكتاتيب التي تأْخذ اعانة · اما الكتاتيب الاميرية التي يدل عددها على ما انشئَ منها حقيقة فقد زاد عددها في السنوات العشر الماضية على ما في هذا الجدول

السنة	عدد الكتاتيب	عدد المعلمين	التلامذة	التلميذات
١٨٩٨	٥٥	١٠٢	٢٤٨١	٤٤٢
١٨٩٩	٥٦	٩٨	٢٥٣٩	٥١٩
١٩٠١	٨٦	١٤٥	٣٣٢٣	٦٤٣
١٩٠١	٨٧	١٥١	٣٧٧١	٧٥٩

السنة	عدد الكتاتيب	عدد المعلمين	التلامذة	التلميذات
١٩٠٢	٨٨	١٥٨	٣٥٠١	٨٤٤
١٩٠٣	٩٣	١٩٧	٣٩٤٠	١٣٢٦
١٩٠٤	٩٤	٢٠٠	٤٣١٨	١٣٥٣
١٩٠٥	١٠٩	٢١١	٥٥٧٧	١٨٣٣
١٩٠٦	١٢٢	٢٦٦	٦٩١٠	٢١٣٥
١٩٠٧	١٣٨	٣١٥	٨١٦٩	٢٨٤٠

فالزيادة مضطردة في عدد هذه الكتاتب وعدد معلميها وتلاميذها ولكنها ليست بالغة حدًّا كبيرًا جدًّا فقد زاد عدد الكتاتيب نحو ضعفين وزاد عدد التلامذة نحو خمسة اضعاف وهي زيادة حسنة جدًّا وعسى ان تستمر على هذا النمط في السنوات التالية

ثم ان ادارة الاحصاء لم تدَّعِ انها احصت كل كتاتيب القطر بل قالت ان بعض الكتاتيب الاهلية لم تصل بياناتها الى ادارة الاحصاء . وقولها هذا يشعر بان تلك الكتاتيب قليلة ولعلها كذلك

ونترك فصل الكتاتيب الآن ونلتفت الى غيرهِ من فصول هذا التقرير المفيد واول فصل ننظر فيهِ منها فصل المدارس الاميرية

كان عدد التلامذة في المدارس الاميرية في العام الماضي ١٣٦٠٨ واكثرهم يدفعون ما تطلبهُ الحكومة منهم من اجرة تعليمهم والذين يتعلمون منهم مجانًا ١٨٢٩ فقط . واكثر هؤلاء التلامذة من المصريين فانهم ١٣٤٨٢ وليس بينهم من الامم الاخرى سوى ١٢٦ تلميذًا وهم ٣٩ من اليونان و١٨ من الفرنسويين و١٦ من الايطاليين و١٢ من الانكليز و ٩ من النمسويين و ٤ من الالمانيين و٢٨ من امم اخرى

ولا يخفى ان البلاد تنفق على نظارة المعارف اكثر من ٤٥٠٠٠٠ جنيه في السنة وكل هذا المال تقريبًا تنفقهُ على تلامذة المدارس وادارة ديوان المعارف فمتوسط ما تنفقهُ على التلميذ منهم نحو ٣٣ جنيهًا عدا ما يدفعهُ هو لنظارة المعارف واذا اضفنا الى هؤلاء التلامذة تلامذة كتاتيب نظارة المعارف انحطت نفقات التلميذ الى ١٨ جنيهًا في السنة وهي نفقة طائلة جدًّا لا مثيل لها في بلاد اخرى . فميزانية المعارف في بلاد اليابان نحو ستمئة الف جنيه وعدد التلامذة في مدارسها نحو ستة ملايين فتكون نفقة كل تلميذ عشرة غروش في السنة واذا اغضينا عن تلامذة الكتاتيب عندهم وحسبنا ان هذه النفقات كلها تنفق على تلامذة

المدارس المتوسطة والعالية فقط فعدد هؤلاء نحو ستمئة الف فتكون نفقات التعليم جنيهاً واحداً على كل تلميذ. وميزانية المعارف في فرنسا نحو احد عشر مليوناً من الجنيهات وعدد التلامذة في مدارسها خمسة ملايين ونصف مليون فيصيب كل تلميذ منهم جنيهان في السنة. وعدد التلامذة في مدارس بريطانيا العظمى نحو ستة ملايين ونفقات التعليم فيها نحو ١٥ مليون جنيه فيصيب كل تلميذ جنيهان ونصف جنيه في السنة وفرنسا وانكلترا اغنى ممالك الدنيا واكثرها انفاقاً على التعليم ولا تبلغ نفقات التلميذ فيها اكثر من جنيهين ونصف جنيه في السنة ومع ذلك يشكو نظار المدارس المصرية وتلامذتها من قلة رواتبهم. وللمرسلين الاميركيين ١٥٦ مدرسة في هذا القطر وعدد تلامذتها ١٢٦٤٠ فلو انفقوا على تعليمهم كما تنفق الحكومة على مدارسها لوجب ان تكون نفقاتهم السنوية ٢٣٠ الف جنيه ولا نظن انهم ينفقون عشر ذلك

ومما هو حريٌّ بالذكر بنوع خاص اهتمام النزلاء بالتعليم وكثرة مدارسهم على قلة عددهم في هذا القطر. واكثر التلامذة في مدارسهم من الوطنيين لا من ابناء جلدتهم ففي المدارس الاميركية ١٢٦٤٠ تلميذاً وتلميذةً والوطنيون منهم ١٢٣٥٦ والباقون وهم ٢٨٤ من سائر الامم القاطنة في القطر المصري. وفي المدارس الفرنسوية ١٧٨٠٥ والمصريون منهم ٩٦٩٢. وفي المدارس الانكليزية ٣٢٨٧ والمصريون منهم ١٧٣٦. وفي المدارس الايطالية ٥٧٦٦ والمصريون منهم ١٦٣٦. فالاميركيون من اكثر الناس تعليماً للوطنيين ويتلوهم في ذلك الفرنسويون ثم الانكليز والايطاليون. الاَّ ان اكثر التلامذة الوطنيين في هذه المدارس من الاقباط ففي المدارس الاميركية ٩١٤٣ من التلامذة الاقباط وفي المدارس الفرنسوية ٣٥٠٥ وفي المدارس الايطالية ٨٩٥. الاَّ المدارس الانكليزية فان اكثر تلامذتها من المسلمين لا من الاقباط

ومن الغريب ان التلامذة الذين يتعلمون التعليم الثانوي منهم المصريون ٣٧٦٧ والاجانب ١٨٠٠ مع ان عدد الاجانب نحو جزء من ثمانين من عدد السكان. واذا استثنينا تلامذة الازهر ونحوهم من تلامذة التعليم العالي وجدنا ان عدد الطلبة المصريين نحو ١٣٠٠ وعدد الطلبة الاجانب ٨٤٢

وكيفما قلبنا نظرنا في هذا الاحصاء رأينا اهتمام الاجانب بالتعليم اعظم جدًّا من اهتمام الوطنيين. ولكن اهتمام الوطنيين قد زاد كثيرًا في السنتين الاخيرتين وعسى ان يزيد هذا الاهتمام سنة فسنة

سورية في عصر فولنه

منذ قرن وربع قرن زار مصر والشام عالم فرنسوي مشهور وهو الكونت ڤولنه وتعلَّم العربيَّة وبحث في احوال البلاد الطبيعيَّة والاجتماعيَّة والَّف في ذلك كتاباً مشهورًا طبع بالفرنسوية والانكليزية سنة ١٧٨٧ ذكر فيهِ امورًا كثيرة قلما تخطر على بال كاتب شرقي ولكنها ضرورية لمعرفة احوال البلاد في ذلك العصر . مثال ذلك انهُ وصف اول مطبعة انشئت في جبل لبنان فقال ما خلاصتهُ : — انشأ اليسوعيين مطبعة في حلب في بداءة القرن الثامن عشر واتفق لشاب اسمهُ عبدالله زاخر ان قرأ العربيَّة على اربابها وتعلم فن الطباعة واتى جبل لبنان ونزل في دير مار حنا الشوير وانشأ فيهِ مطبعة وصنع حروفها بيديهِ وطبع بها المزامير وكان ذلك سنة ١٧٣٣ فراجت نسخهُ جدًّا في جبل لبنان فكرر طبعهُ مرارًا وصحح كتباً كثيرة من الكتب التي ترجمها اليسوعيون وطبعها وقد طبع حتى الآن (اي حتى عصر ڤولنه) ثلاثة عشر كتاباً وهي ميزان الزمان للاب نيرمبرج اليسوعي واباطيل العالم لديدا كو ستلاَّ اليسوعي ومرشد الخاطئ ءلويس غرنايد اليسوعي ومرشد الكاهن ومرشد المسيحي وقوت النفس وتأمُّل الاسبوع والتعليم المسيحي وتفسير مزامير التوبة السبعة والمزامير والنبوات والانجيل والرسائل والسواعية . وكان يصنع الامهات بيدهِ ويصبُّ الحروف ويجمعها

وتوفي عبدالله زاخر سنة ١٧٥٥ وخلفهُ تلامذتهُ ولكن شأن المطبعة كان قد انحطَّ لما رآها ڤولنه . والظاهر ان ڤولنه لم يكن يعلم ان مطبعة الشوير قديمة وان المزامير طبع فيها سنة ١٦١٠ اي بعد اختراع الطباعة بزمن يسير ونستغرب كيف انهُ لم يعلم ذلك من رهبان ذلك الدير مع انهُ اقام فيهِ زماناً طويلاً ووصف مكتبة ذلك الدير وقال انهُ كان فيها من كتب الخط المسيحيَّة ما يأتي

(١) تقليد المسيحي (٢) بستان الرهبان (٣) علم النيَّة (لبوزمباوم) (٤) مواعظ سيناري (٥) لاهوت مار توما (٦) مواعظ فم الذهب (٧) قواعد النواميس (لكلودفرتيو) (٨) مجادلات الانبا جورجي (٩) المنطق (١٠) نور الالباب (١١) المطالب والمباحث (للمطران جرمانوس فرحات) (١٢) ديوان جرمانوس (١٣) ديوان الخوري نقولا اخي عبدالله زاخر (١٤) مختصر القاموس

ومن كتب الخط الاسلامية ما يأتي : —

(١) القرآن (٢) قاموس الفيروزابادي (٣) الفية ابن مالك (٤) تفسير الالفية (٥) الاجرومية (٦) علم البيان للتفتزاني (٧) مقامات الحريري (٨) ديوان ابن الفارض (٩) فقه اللغة (١٠) طب ابن سينا (١١) مفردات ابن البيطار (١٢) دواة الاطباء ؟ (١٣) عبارات المتكلمين (١٤) نديم الوحيد (١٥) تاريخ اليهود (ليوسيفوس) (١٦) الهيئة على طريقة بطليموس

ثم قال ولم يكن في بلاد الشام حينئذٍ غير هذه المكتبة ومكتبة الجزار . ولا بدَّ من انهُ اخطأَ في حكمهِ هذا لانهُ كان في دمشق اكثر من مكتبة . ولما انشئت مدرسة عيبه والجمعيَّة السورية لم يتعذَّر عليهما ان تجمعا كتباً كثيرة من الكتب الخطيَّة من انحاء سورية ولما الَّف الامير حيدر تاريخهُ كان في مكتبتهِ كثير من كتب التاريخ كاخبار الدول لابن العبري وتاريخ صاحب صور وتاريخ ابن سباط ومروج الذهب وتاريخ البيعة

ولقد كانت اديرة الرهبان ملاجئ للاسفار العلميَّة من قديم الزمان ولو جهل الرهبان ما فيها في غالب الاحيان ولكن قلما يخطر على البال انهُ كان في دير من اديرة لبنان مثل قاموس الفيروزاباداي والفيَّة ابن مالك ومقامات الحريري وديوان ابن الفارض ومفردات ابن البيطار ونحو ذلك من كتب اللغة والعلم والادب

هذا و يظهر من رحلة فولنه ان خيرات البلاد الزراعية كانت وافرة جدًّا رغماً عن فساد الاحكام . قال ما خلاصتهُ غادرت طرابلس في شهر فبراير (شباط) وكانت الاشجار قد ازهرت والخضر قد اينعت فلما بلغت عين طورا رأيت النباتات في بداءة ظهورها ولما وصلت الى دير مار حنا الشوير رأيت الثلج يغطي الارض ولم ينكشف عن جبل صنين الاَّ في اواخر ابريل مع ان الورد كان قد فتح في الوادي الذي تحتهُ . وكل الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة مجموعة في تلك البلاد الطيبة وفي ساعة واحدة ينتقل المرء من اقليم الى اقليم . ومما يزيد في نزهة البلاد ومزاياها تنوُّع حاصلاتها . ولو استخدمت الصناعة لمساعدة الطبيعة لانتجت تلك البلاد كل حاصلات المسكونة في ما لا يزيد انساعهُ على عشرين غلوة . والآن رغماً عن فساد الاحكام وظلم الولاة تنذهل من تنوُّع خيرات البلاد فانها كلها تنتج القمح والمرظان والشعير والفول والقطن ويختص بعضها ببعض المزروعات ففي فلسطين يجود السمسم الذي يستخرج منهُ زيت الشيرج والدخن وهو مثل دخن مصر . وتجود الذرة في سهل بعلبك والارز في سواحل الحولة وقد شرع الاهلون يزرعون قصب السكر بكثرة في سواحل صيداء وبيروت فوجدوهُ مثل قصب وادي النيل . وينبت نبات النيل من غير زرع على ضفاف الاردن في بلاد بيسان ولا يحتاج الاَّ الى قليل من العناية ليجود نوعهُ . ويزرع في آكام اللاذقية كثير

من التبغ وهو اكبر اصناف التجارة بين سورية ودمياط والقاهرة وقد انتشرت زراعتهُ في كل جبال سورية . اما من جهة الاشجار ففي البلاد شجر الزيتون ولاسيما في انطاكية والرملة . وعلى شجر التوت تتوقف ثروة بلاد الدروز بما يربى عليهِ من دود الحرير وحريرهُ من اجود ما يكون والكروم قائمة على المساميك او متعرشة على شجر السنديان ويخرج من عنبها خمر بيضاء وحمراء تزريان بخمر بوردو . وكان في جنائن يافا شجرتان من اشجار القطن الهندي . وهي مشهورة بليمونها وقد رأيت واحدة من ليمون الكباد ثقلها ثمانية ارطال . وبطيخ يافا يفضل على بطيخ البرلس . وتمر غزة مثل تمر مكة ورمانها مثل رمان الجزائر وبرتقال طرابلس مثل برتقال مالطة وتين بيروت مثل تين مرسيلية وموزها لا يقلُّ عن موز سنت دومنغو . وتمتاز حلب بشجر الفستق وتفتخر دمشق بكل الاثمار التي تمتاز بها فرنسا وحقَّ لها الافتخار فتفاحها مثل تفاح نورمندي وخوخها مثل خوخ تورين ودراقنها مثل دراقن باريس وفيها عشرون صنفاً من المشمش . وينمو في سواحل سورية الصبر الذي يربى عليهِ دود القرمز وقرمزها على غاية الجودة مثل قرمز المكسيك وسنت دومنغو واذا اعتبرنا ان جبال اليمن التي تنبت اجود انواع البن هي امتداد من جبال سورية وان تربة البلادين واحدة واقليمها يكاد يكون واحداً حكمنا انهُ يمكن زرع البن في سورية . وبلاد ممتازة هذا الامتياز في اقليمها وجودة تربتها لا يستغرب حسبانها دائماً اطيب بلاد الله بقعة وقد عدها اليونان والرومان من اجمل بلدانهم كلها وقالوا انها ليست دون القطر المصري

وفي البلاد كل الحيوانات الاهلية المعروفة في اوربا وفيها ايضاً الجاموس والجمل ومن الحيوانات البرية الغزال والخنزير البري ولكنهُ اصغر من خنزيرنا البري واقل منهُ شراسة وفيها قليل من الذئاب والثعالب وكثير من بنات اوى وهي التي يسميها اهالي مصر ذئاباً . وفي بعض جهاتها الضبع والنمر ولكن ليس فيها اسود وتكثر فيها الطيور المائية والارانب والحجال

والتفت الى احوال الزراعة في الايالات السورية ايالة ايالة او لواء لواء فقال في الكلام على ايالة حلب ان فيها سهلين وسيعين سهل انطاكية الى الغرب وسهل حلب الى الشرق والارض شديدة الخصب لا يكاد المطر يقع فيها حتى تنبت نباتاً طيباً يدل على خصبها ولكن اكثرها بور لا يزرع الآن وقلما يوجد اثر للاعتناء بالزراعة حول المدن والقرى واكثر غلاتها القمح والشعير والقطن ويزرع في جبالها الكرم والتين والزيتون . ويزرع التبغ في جوانب اكامها المطلة على البحر ويكثر الفستق في عمل حلب

ويلتزم ايالة حلب محصّل من الاستانة بثمانمئة كيس (اكثر من اربعين الف جنيه) في السنة

يضاف الى ذلك البابوجيَّة وهي نحو خمسة آلاف جنيه تقدَّم هدية الى الصدر الاعظم وحاشيتهِ. ويبلغ ايراد الملتزم نحو ستين الف جنيه . ويُعطى الوالي ٨٣٣٠ جنيهاً في السنة لنفقات الولاية لكنهُ يبتز اموالاً طائلة من الاكراد والتركمان وسائر السكان . ولقد جمع منهم عابدي باشا الذي كان والياً قبل عهد فولنه ١٦٠ الف جنيه في سنة واحدة وضرب ضريبة على كل احد وكل صناعة . واسهب فولنه في وصف الحكام والجنود في ذلك العهد وقد نعود الى ذلك في فرصة اخرى

ثم قال ولحلب تجارة واسعة مع بلاد الارمن وديار بكر وبغداد وبلاد فارس والهند ودمشق ومكة ومصر واوربا ويصدر منها القطن والفستق والمنسوجات الكتانية والحريرية والنحاس والبُرص والمرعزى والعفص وبضائع الهند كالشيلان والموصلين ويأتيها من اوربا المنسوجات القطنية والقرمز والنيل والسكر والبن الاميركي . ويقدر عدد سكانها بمئتي الف نفس . ولكني ارجح ان عدد سكانها لا يزيد على مئة الف نفس لان مساحتها ليست اكبر من مساحة مرسيليا واكثر بيوتها طبقة واحدة

وايالة طرابلس تمتد من اللاذقية الى نهر الكلب وساحلها سهل فسيح تجري فيهِ نهيرات كثيرة تزيدهُ خصباً ولكنهُ اقل زراعة من الجبال التي فوقهُ . ومن غلاتهِ الذرة والشعير والقطن . وفي جهات اللاذقية يزرع التبغ والزيتون بنوع خاص واما في جبل لبنان وكسروان فاكثر الاعتماد على التوت والكرم

ولوالي طرابلس التزام البلاد كلها فهو يجبي اموالها ويدير امورها ويدفع للدولة ٣٩ الف جنيه كل سنة وعليهِ ان يقدّم لركب الحج كل سنة ما يلزم لهُ من حنطة وشعير وارز وما اشبه ويبلغ ثمن ذلك نحو ٣٩ الف جنيه اخرى وعليهِ ان يشيع الركب بنفسهِ كل سنة ويلاقيهُ . وعندهُ نحو خمس مئة من الفرسان وبعض المشاة من المغاربة . وقد سلم بلاد كسروان للامير يوسف وضرب عليهِ ١٥٥٠ جنيهاً في السنة

ولطرابلس جنائن غضاء يزرع فيها التوت لتربية دود الحرير ويكثر فيها الرمان والبرتقال والليمون الاَّ ان توتها قديم جذوعهُ منخورة وحريرهُ خشن غير جيد واذا سئل احد لماذا لا تزرعون توتاً جديدًا اجابك ان من يزرع توتة يقول الباشا انهُ ذو مال فيغرمهُ واذا انكر امر بجلدهِ واذا اعترف راغ عليهِ بالضرب الى ان يعطي كل ما يملكهُ . مع ان اهالي طرابلس اباة ضيم وقد عصوا على واليهم منذ عشر سنوات او اثنتي عشرة سنة وطردوهُ من مدينتهم وظلوا ثمانية اشهر من غير والٍ فارسل اليهم الباب العالي رجلاً خبيرًا بطرق الخداع

فاستمالهم بالاقسام والمواعيد ففرّق جامعتهم وقتل منهم ثمانمئة في يوم واحد ولا تزال رؤُوسهم الى الآن في كهف قرب نهر قاديشا

وتجارة طرابلس بيد الفرنسويين ولهم فيها قنصل وثلاثة بيوت تجارية ويصدرون منها الحرير والاسفنج ويأتونها بالمنسوجات والقرمز والسكر والبن

وبين اللاذقية وطرابلس قرًى كثيرة كجبلة والمرقب وطرطوس وهناك جزيرة ارواد التي كانت مدينة عظيمة وجمهورية مستقلة مشهورة بصناعتها وتجارتها ولكنها الآن قفر بلقع

وايالة صيدا جنوبي ايالة طرابلس واقامة واليها الآن في عكاء وكانت قبل عهد ظاهر العمر تمتد من نهر الكلب الى جبل الكرمل وتشمل كل جبل الدروز ثم جاء الجزار فاضاف اليها بلاد صفد وطبرية وبعلبك وقيصرية وسكان قيصرية عرب اولاد صخر. ورأى الحصون التي اقامها ظاهر العمر في عكاء فنقل مركز الولاية اليها وصارت ايالته تشمل كل البلاد من نهر الكلب الى قيصرية ومن البحر الى لبنان الشرقي وفيها سهل عكاء ومرج ابن عامر وسهل صور والحولة والبقاع وهي سهول خصيبة يجود فيها القمح والشعير والذرة والقطن والسمسم وتبلغ الغلة خمسة وعشرين ضعفاً من البذار. وفي قيصرية غابة كبيرة من شجر السنديان وينتج من صفد قطن ابيض يماثل قطن قبرص . وتبغ الجبال المجاورة لصور مثل تبغ اللاذقية ويخرج منها نوع من كبش القرنفل يرسل كلهُ الى الاستانة ويستعمل في السراي السلطانية. وبلاد الدروز كثيرة الخمر والحرير وقد التزم الوالي البلاد كلها على مال يدفعهُ الى الدولة وهو ٧٥٠ كيساً (٣٩ الف جنيه) وينفق على ركب الحج مثلها . لكن دخلهُ كثير جدًّا فيأخذ مكوساً على البضائع الداخلة الى البلاد اكثر من خمسين الف جنيه عدا الاموال الاميرية وجزية جبال الدروز وبلاد المتاولة وقبائل العرب . ولهُ في البلاد زراعة واسعة وهو شريك لاكثر التجار في متاجرهم . ويبلغ دخلهُ من هذه المصادر كلها نحو اربع مئة الف جنيه (عشرة ملايين فرنك) لكنهُ لا يتمتع بما يبقى لهُ من ذلك لان الدولة تصادرهُ من وقت الى آخر وتبتز منهُ الاموال التي جمعها

هذا بعض ما ذكرهُ فولنه عن احوال سورية المعاشية لما جاءها منذ نحو قرن وربع قرن اي حينما كانت في حضيض ذلها. ولقد جار عليها الدهر ولكنهُ عجز عن محو آثار عظمتها ومصادر ثروتها وهي الآن لا ينقصها الاّ العدل والامن وان يتحد ابناؤُها على رفع شأنها فيجدوا من خيراتها الطبيعيةّ وموقعها الجغرافي ما يرقى بها وبهم الى فوق ما كانت عليهِ في عهد الفينيقيين واليونان والرومان

شمس العدالة في تركيا

من خطبة للدكتور هورد بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجليزية القاها في الجمعية الجغرافية الوطنية باميركا في ١٨ دسمبر سنة ١٩٠٨ وقد ترجمت الى العربية بقلم سليم افندي خوري من مستخدمي مالية السودان

يعلم من اسعده الحظ منكم بزيارة الاستانة ان اليوم المطير فيها يكون قاتماً اسود الاديم واذا طالت اقامتهُ فيها علم ايضاً ان يوم الصحو يكون مبهجاً رائق الجلد كذلك كان يوم امس فانهُ كان يوماً في الدهر معدوداً ببهجتهِ وحسن روائهِ وسيبقى معدوداً في تاريخ السلطنة العثمانية . فارفع بالنيابة عنكم وعن سائر مواطنيَّ في انحاء البلاد خالص المنة والشكر لنوابنا في المجلس العام (الكنغرس) لانهم بعثوا بالتهانيء القلبية من وراء البحار الى العثمانيين يتمنون لهم خيراً بما نالوهُ يوم امس

إخال ان الخيال صوَّر لكم وانتم تقرأُون صحف امس وصحف هذا الصباح انكم تقتفون ذلك الجم الغفير الذي انحدر من غلطه كالبحر الزاخر الى الجسر وتوجه صُعُدًا الى جامع ايا صوفيا ورأيتم جلالة السلطان مغادراً يلدز يسير في طريق لم يسلكها من قبلُ وشهدتم الشوارع في كل جهة ومكان تدل على ان ذلك اليوم يوم عيد وابتهاج . فهنا جنود تركية انيقة المنظر ليس لهم في العالم مثيل وهناك اعلام عثمانية خافقة وجماهير قد شق هتافها العنان وهنالك جماعات من النساء — وهنَّ الآن عضو جديد في المجتمعات التركية — ولم يقتصر احتشاد المتفرجين من الناس على الإشراف من النوافذ والشرفات بل قصدوا المساجد واطلوا منها على تلك المناظر الجديدة الغريبة

طالعت اليوم ما دوَّنهُ التاريخ في صفحاتهِ عن اجتماع مجلس المبعوثان لاول مرة سنة ١٨٧٧ فقرأت مقالة طويلة لمكاتب التيمس من الاستانة يصف فيها افتتاح ذلك المجلس فرأيتهُ قد استوفى الكلام عليهِ ولكن يظهر من مقالتهِ ان افتتاح ذلك المجلس كان خالياً من مزايا الحماسة والحمية العامة التي ظهرت اخبارها في صحف اليوم وهذه الحماسة والحمية مفعمة بالتيمن والتفاؤُل السعيد بالمستقبل

فمنظر ذلك المجلس حيث تليت خطبة السلطان في حضرتهِ وحيث اشترك جلالتهُ في الدعاء الذي فاه بهِ قاضي الاسلام ضارعاً الى الله ان يبارك المجلس كان منظراً مهيباً محفوفاً

بالجلال والوقار. ثم قام الوف ومئات الالوف من الرجال والنساء والاولاد بحفلات حماسية لم يسبق لها مثيل

يذكّرنا ذلك باحتفالات مرّت بنا منذ خمسة اشهر واعني بها احتفالات شهر يوليو. لم يخطر في بال واحد منا ان تلك الثورة كانت على الابواب . وانني وان كنت غائباً عن بيروت حينئذٍ فانا اعرف شيئاً مما جرى فيها لما اعلن الدستور — تلك المدينة التي هي اكبر ميناء في سورية والتي تضم مئة وعشرين الف نفس او مئة وثلاثين الفاً

اطلاق اللسان بعد حبسهِ ثلاثين عاماً في سجن المراقبة

لما ذاعت هذه البشرى لم يستطع الناس تصديقها بل زعموا انها خطاء ورد في التلغراف فلم يجرأوا على اظهار شيء من الحماسة والاستحسان ولا غروَ فقد تعودوا الصمت منذ اعوام وهم يكتمون آمالهم الخفية في صدورهم . وبقي السكون مخيماً فوق المدينة يوماً ويومين وثلاثة ايام واهلها بين اليأس والرجاء فيأسهم كان ناشئاً عن تخوفهم من ان يكون الخبر غير صحيح ورجاؤهم كان يضرم في صدورهم نيران المسرة والابتهاج كلما أملوا صحة الخبر. وبينما هم كذلك اذ تحققوا صحتهُ فزال اليأس وصح الرجاء وانهمكت المدينة ثلاثة ايام تقيم الافراح والاحتفالات وجعل الناس يهنئون بعضهم بعضاً فكانت اياماً مشهودة لم يسبق لها مثيل في سورية . طير البرق اليهم ان جمعية تركيا الفتاة انتهزت فرصة سانحة فقالت لجلالة السلطان لقد حان الاوان الآن لاعطاء الدستور. ولا أرى ثم حاجة الى شرح الاحوال التي دفعت تلك الجمعية الى هذا الطلب ولكنكم تعلمون ان السلطان سلّم بقول حزب تركيا الفتاة ان الوقت قد حان لمنح الدستور . واعلن على رؤُوس الاشهاد في مجتمع ضم مئة الف نفس انهُ يحتفظ بالدستور ويخلص لهُ. وليس ذلك فقط بل الاهم منهُ ان شيخ الاسلام صرّح على مسمع من ذلك الجمع ان جلالة السلطان اقسم يمين الاخلاص للدستور امامهُ فاظهر سماحتهُ بذلك للملإِ ان منح الدستور مطابق لنص القرآن . وليس ذلك فقط بل استدعى السلطان اليهِ السفراء والقناصل ونواب كل الدول الاجنبية وصرح امامهم بمصادقتهِ على منح الدستور . واجتمعت الجنود واقسمت يمين الاخلاص للدستور على مسمع من الناس

فكانت جميع الوسائل التي اتخذت والحالة هذه ضماناً قويًّا باننا على ان الحكومة ستحافظ حتماً على هذه السياسة الجديدة

كل هذه الاخبار وردت على بيروت في اثناء يومين او ثلاثة ايام وانبئت المدينة ايضاً ان الواجب عليها ان تستعد لانتخاب اناس من اهلها نواباً لمجلس المبعوثان الذي عقد امس .

فاطلقت حينئذٍ الحريّة في المدينة ولم يعد الناس يتمالكون ضبط نفوسهم عن اظهار بهجتهم ومع هذا كلهِ فان بعضهم كان لا يزال غير مصدق هذه الاخبار

ان لي صديقاً سورياً ذكي الفؤاد شديد الحذر قابل اخي على قارعة الطريق ذات يوم في شهر اغسطس وقال لهُ لو اخبرني اصدق اصدقائي الذين اثق بهم عما يجري الآن في بيروت لما صدقتهُ . فقد كنت اليوم حاضراً الاحتفال الكبير الذي اقيم امام سراي حكومتها وذهبت الى البرج فرأيت ان هذه الامور العجيبة جارية فعلاً ومع ذلك فانا لا ازال مرتاباً من صحتها . ولقد جاهر الناس باشياء لم يجهروا بها طول ايام حياتهم فكانوا يقولون "إخاء" "مساواة" "حرية" ولو تلفظوا بهذه الكلمات قبل ذلك باسبوع لوقعوا في خطر مبين وصار الغلمان يجوبون المدينة وفي ايديهم الصحف والتلغرافات التي تحوي تلك الاخبار المدهشة بلا مراقب ولا رادع

اتفق ان صحافياً من اصدقائي في بيروت نشر اعلاناً في جريدتهِ منذ بضعة اشهر جاءت فيهِ كلمة عربية سهواً كان مراقب المطبوعات قد حرم نشرها فلم يشعر الا وقد طُلب وجوزي بايقاف الجريدة ثلاثة اشهر وكان السبب تلك الكلمة

اما الآن ففي كل جهة ومكان نسمع الرجال والنساء والاولاد يجهرون بتلك الكلمات التي كانت محرَّمة . فما كان ممنوعاً في خلال ثلاثين عاماً صار الآن مباحاً في كل انحاء المدينة . صار الرجال يتألبون جماهير والجمعيات تعقد هنا وهناك والخطباء يندفعون فيخطبون في الناس خطباً تتدفق الفصاحة منها تدفق السيل فيدوي صداها في الآذان دوياً يزري بشلالات نياغرا

المسيحيون والمسلمون يتعانقون امام الناس

هناك كان خليط من الناس . الناس الذين قضوا السنين الغابرة والعداوة بينهم مستحكمة صاروا الآن اصدقاء اعزاء في الحفلات والمجتمعات وصار رؤساء الدين من المسيحيين والمسلمين يتضامون ويتعانقون . قطعت الاغصان من الاشجار وأُتي بالبسط من المنازل واكتظت الشوارع بالناس فكانوا يضيفون اخوانهم الذين اضاعوا صداقتهم زماناً طويلاً . وكانت امارات المودة والإلفة ظاهرة في كل مكان حتى بين الرعاع وذوي الجرائم

بليت بيروت في السنين الاخيرة بزمرة من المعثرين المسلمين وزمرة من المعثرين المسيحيين اقلقوا راحتنا والقوا الرعب في المدينة . اما الآن فهوذا فجر الحرية وهوذا فجر الاخاء فقد قصدت عصابة من المعثرين المسلمين بامرة زعمائهم احياء زمرة المعثرين المسيحيين ودعوهم

الى مأدبة فاخرة صنعوها لهم في ساحة البرج وصاروا لهم ندلاً يخدمونهم . وبعد ايام قليلة قابل معشرو المسيحيين — الذين اقلعوا عن الشر وصاروا اخوانًا — الدعوة بمثلها فدعوا اصدقاءهم معشري المسلمين الى ساحة البرج فاكلوا وشربوا

ففي كل اقسام المدينة كان الناس يجتمعون جماهير مختلفة فيخطب فيهم المسيحي فالمسلم فالاسرائيلي . وخطب ايضاً بعض اساتذة الكلية وحبذا لو كان احد منهم من الذين قضوا من اربعة اعوام الى عشرة في كليتنا حاضرًا هنا هذه الليلة لكان يخطب فيكم فيثير حميتكم وليس ذلك فقط بل انهُ يخطب بلغة انكليزية لاغبار عليها ويا لهُ من تأثير في نفوسكم عندما يخطب فيكم مندفعاً بقوة تلك الحرية الجديدة وحميتها فانهُ كان يوقظنا وينبهنا . انني اشعر احيانًا باننا سائرون الى شيء من الفتور وعدم المبالاة في هذه البلاد . واشعر احيانًا ايضاً ان وطنيتنا في حاجة لان تذكى بنار حمية جديدة لتوطد وتمحص بتضحية جديدة . وانا متأكد انهُ اذا كان واحد من اولئك الخطباء السوريين هنا وخطب فيكم باللغة الانكليزيَّة استطاع ان يؤثر فينا تأثيرًا يحملنا ننظر الى معنى حريتنا نظرًا جديدًا

فالعلَم التركي صار لهم علماً جديدًا وهل خطر على بالكم ان العلَم التركي علم جميل . حينما نظرتم اليهِ ورأيتم الهلال والنجم على بساط احمر اعتدتم ان تفكروا انهُ نجم آفل . على انني مؤكد ايها الاصدقاء ان النجم الذي في ذلك العلَم ليس نجماً آفلاً في عرف السوريين والاتراك وسائر العناصر المختلفة في المملكة العثمانية بل هو نجم الصباح وليس ذلك الهلال قمرًا سائرًا الى المحاق بل هلال في اول نموهِ

فؤاد باشا

وحدث في بيروت امور اخرى فقد صدر مع اعلان الدستور امر بالعفو عن المسجونين السياسيين وقيل ان ذلك العفو شمل ٤٢ الفًا والبعض يبالغون في هذا العدد فيجعلونهُ ٦٠ الفًا . وهم الذين طردتهم الحكومة من الاستانة في اثناء الثلاثين سنة الغابرة فتشتتوا في البلدان الاوربيَّة . فالرجال الذين كانت الحكومة الغابرة تعد تأثيرهم سمًّا ناقعاً برهنوا على انهم كانوا اليد البيضاء في اعلان الدستور

لا ريب ان بعضكم رأى دمشق فاذا كنتم قد زرتموها في السنوات الست الماضية وسرتم في الطريق المار فيها الى الفندق رأيتم على يساركم بناءً كبيرًا وامامهُ حرَّاس فعراكم الريب فيهِ ليس لان عليهِ حراساً فقط بل لان كل نوافذهِ مسدودة بدرف خشبية كبيرة وان كنتم قد سألتم من يسكن هناك ولماذا خفر ذلك البناء بالحراس فقد اُجبتم لانهُ مسكن فؤاد باشا .

ومن هو فؤاد باشا ؟ كان من الرجال النافذي الكلمة في الاستانة ومن الذين اشتهروا في المناصب العسكرية ولكن منذ ستة اعوام صار من المغضوب عليهم ونفي الى دمشق الآ ان فؤاد باشا وهو في ذلك السجن المنيع كان لهُ تأثير اعظم منهُ لو بقي في الاستانة

فلما صدر العفو أُبلغ انهُ صار حرًّا يستطيع الرجوع الى الاستانة اذا شاء ولكن هذا الجندي الباسل قال انهُ لا يبرح مكانهُ حتى يعاد اليهِ ذلك الحسام الذي أُخذ منهُ في الاستانة وتوضع على صدرهِ تلك النياشين والاوسمة التي نزعت منهُ

فانتظر ريثما جيء اليهِ بالسيف والاوسمة وعاد الى الاستانة فرحًا مسرورًا. ركب القطار الى بيروت حيث استقبلهُ اهلها على المحطة ودفعتهم الحمية ان فكوا الخيل من العربة ليجروها الى الفندق والحق يقال انهم من شدة حماستهم الشرقية كانوا يودون حملها على اكفهم . على ان فؤاد باشا خاف على حياتهِ وطلب منهم ان يرجعوا عن عزمهم ويدعوا عربتهُ تسير كالمعتاد الى الفندق . وتلا هذه الحادثة اقامة عدة حفلات ومظاهرات اكرامًا لهُ والقيت خطب عديدة . ثم سافر هذا البطل الى الاستانة ويقال انهُ لما وصلت الباخرة بهِ الى مرفإِها كان هنالك جمع غفير من اهلها في انتظارهِ وكان منظر استقبالهم لهُ مؤثرًا جدًّا فان ذلك الشيخ وقف على ظهر الباخرة ورأسهُ مشتعل شيبًا والدموع تنهمر على خديهِ بلا خجل ولا استحياء فكانت دليلاً على تعلقهِ الشديد بابناء وطنهِ

الترك يكرمون شهداء المذابح الارمنية

كانت الاحتفالات والمظاهرات تتوالى على هذا المنوال ليس في بيروت والاستانة فقط بل في سائر المدائن والقرى الصغيرة حتى باتت المملكة كلها مشتركة في السرور قلبًا وقالبًا وقد احتفل بذلك ايضًا في المدينة المنورة على خط سكة حديد الحجاز التي شرع جلالة السلطان في مدها الى مكة المكرمة واتفق ان افتتاح هذه السكة واعلان الدستور جاءا في آن واحد. على ان اعظم ما شوهد من الشعور بالاخاء كان في الاستانة اذ قصد الارمن ومعهم كثيرون من الاتراك قبور الذين ذهبوا ضحايا المذابح الارمنية. هنالك اقاموا الصلاة وشكروا الله على حلول هذا اليوم واظهر الاتراك حزنهم واسفهم من تلك الحال التي اهرقت فيها دماء الكثيرين من رجال الارمن ودخل الارمن والمسلمون معًا الكنائس في اليوم التالي وانبرى الخطباء من الفريقين يخطبون ويشكرون الله على مجيء ذلك اليوم المبارك. ولما كان العمل الذي قامت بهِ لجنة الاتحاد والترقي فنشأ عنهُ منح الدستور قد انبعث من سالونيك امتازت تلك الولاية على سواها بالحماسة والابتهاج بهذا الفوز العظيم

ومما قيل لنا ايضاً انهُ لما اطلق سراح السجناء طبقاً للعفو الاخير لم يحدث اقل مكدر مما يطرأ عادة في مثل هذه الاحوال . والفضل في ذلك راجع الى المنهاج الذي انتهجوهُ فقد كانوا يأتون بكل مسجون الى رئيس ديانتهِ فيلجئونهُ الى وضع يدهِ على التوراة او القرآن ويلقون عليهِ الاسئلة الآتية :—

اتتعهد انك تجتنب كل الجنايات والجرائم اذا اطلق سراحك ? اتتعهد انك لا ترتكب عملاً مضرًّا بالامة والحكومة . ثم تؤخذ عليهِ المواثيق فيقسم بالله العظيم انهُ يبرُّ بيمينهِ فيخلي سبيلهُ . وكان يقال لهم ايضاً ان اخوانكم بني الانسان قد اضلوا سبيلكم فحافظوا على حرية الناس واحترموها والاَّ صدر الامر في الحال باعدامكم شنقاً فكان السجناء يجيبون عن ذلك — اننا لا نشنق لانا عازمون عزماً اكيدًا على ان نراعي مصالح الاخرين . وقد تنسبون ذلك الى تحمس وقتي كعادة الشرقيين ولكن الامر العجيب هو ان الجنايات تناقصت وقلما سمع ان دم احد اهرق في اثناء هذه الاسابيع او في اثناء الخمسة الاشهر الماضية ولقد ملئت العواطف خشوعاً وشعورًا بالدين وهما خلتان خليقتان بمن تعطش ساعات واياماً وسنين للحرية فاخذ اخيرًا يبتهل الى الله ويحمدهُ على هذه المنحة الطاهرة ويستزيد من الحمد لانهُ نالها بلا انتظار

فتح ابواب جامع عمر للمسيحيين

احتشد خلق كثير من اليهود والمسيحيين والمسلمين في داخل ذلك السور العجيب سور الحرم المقدس في مدينة القدس في اثناء ثلاثة ايام . وانتم تعلمون الصعوبة التي تحول دون دخول ذلك المكان عادة فان الزائر يضطر ان يستأذن من قنصل دولتهِ ومن الحكومة المحلية ليتسنى لهُ الدخول اليهِ ولكن هذه الصعوبة زالت واذن للجميع في دخول الجامع ثلاثة ايام متوالية فكان ذلك برهاناً لامعاً على انتفاء التعصب الديني واحلال الاخاء محلهُ وكان الواحد منهم يقول

" انني عندما ارى رجلاً داخلاً الى الكنيسة اعلم انهُ مسيحي وعندما ارى آخر داخلاً الى الكنيس اعلم انهُ يهودي وعندما ارى ثالثاً داخلاً الى الجامع اعلم انهُ مسلم ولكن في غير تلك الامكنة وفي كل آن وزمان نعد بعضنا بعضاً عثمانيين وكلنا اخوان تجمعنا راية واحدة "

يبلغ عدد العثمانيين الاتراك خمسة ملايين فقط اما عدد العثمانيين كافة فيبلغ خمسة وعشرين مليوناً واذا عددنا البلدان التابعة للدولة العلية او التي كانت تحت سيادتها بلغ عدد

العثمانيين واحداً واربعين مليوناً او اثنين واربعين ولكن كلمة عثماني قد اطلقت الآن على جميع ابناء المملكة وذلك طبقاً لنص القانون القاضي بان جميع اتباع الحكومة العثمانية يلقبون بالعثمانيين فلم يبقَ بينهم الآن من يقول انا سوري او ارمني او مكدوني بل صار الجميع عثمانيين

هبت الثورة وانقضت ولم يحدث الاَّ قليل من التعدي

كل هذه الامور جرت باعتدال عجيب فالعداوات والحزازات التي كانت مستحكمة من الصدور في السنين الغابرة اندثرت فجأَة على ما يظهر وقام محلها الحلم والاعتدال ليس باخفاء الحقد ودفن العداء فقط بل بتجنب كل تعدٍ وشحناء . ولقد كان لهذا الحكم شواذ ولكن اذا تدبرنا الامر نعجب من قلة تلك الشواذ . فمنها قتل فهيم باشا الذي كان السبب في نفي فؤَاد باشا ومئات غيره وهو الذي نفي اخيراً الى بروسه بسعي سفيري انكلترا والمانيا . فلما بلغهُ وهو في منفاه ُ ان الدستور قد منح استولى الرعب عليهِ ولاذ بالفرار ولكن الناس عثروا بهِ فلم يستطيعوا ردع نفوسهم عن الانتقام من رجل كان علة لقتل الكثيرين من اخوانهم او لنفيهم فهجموا عليهِ ومزقوهُ اربًا اربًا . على ان هذا الفعل لم يكن بارادة جمعية تركيا الفتاة التي بعثت من سالونيك فوقفت تيار تلك الحركة باسرع ما يمكن وهذه حادثة من ست حوادث فقط ومن المحتمل ان يكون قد حدث غيرها مما لم يتصل بنا خبرهُ

الى متى تستمر هذه الحال

اني لاعترف ان كل ما جرى عجيب لذاتهِ ولو استمرَّ يوماً واحداً فقط . فهو عجيب جداً لانهُ استمر اسبوعاً بل شهراً بل خمسة اشهر . ولو أُوقظت الثورة غداً وجرت مذبحة دموية لبقي ما جرى قبلها عجيباً لانهُ حدث في بلاد اشتدت فيها العداوات ويسهل فيها اعطاء النفس هواها

ارسل عثماني كتاباً الى اميركي على اثر اعطاء الدستور قال فيهِ " نحن نعلم اننا سنفشل في امور كثيرة ونعلم ان عقبات ستعترضنا وربما آلت بنا الى اليأس والقنوط ولكن لا شيءَ يستطيع ان يسلبنا سرورنا وابتهاجنا في هذه الايام الاول "

اراكم تتساءلون الآن أتدوم هذه الحال وهل تستمر والى متى تستمر ؟ والبعض منكم يراجعون تاريخ اجتماع مجلس المبعوثان الاول منذ اثنتين وثلاثين سنة . وتسلمون ان هناك فرقاً بين الحالة الماضية والحالة الحاضرة ولكن ربما قلتم ان مراسلي الجرائد لم يكونوا يبالغون في الوصف حينئذٍ كما يبالغون الآن والتسهيلات التلغرافية لم تكن متوفرة حينئذٍ لارسال الوصف المسهب ولذلك اهملت تفاصيل كثيرة فمن المحتمل ان مثل هذا الابتهاج وتلك

الحماسة كانا حينئذٍ ومع ذلك فكم بقيت تلك الحال كذلك . على انني اعتقد انكم تلاحظون ان الاحوال التي منح فيها الدستور الآن تختلف كثيرًا عن الاحوال التي منح فيها سنة ١٨٧٦ وكان بقاؤُهُ قصيرًا جدًا فالتفاصيل التي ذكرتها الآن وانا استطيع ان اسرد عليكم كثيرًا مثلها مما يدل على الابتهاج العام هي اصدق دليل على ان القائمين بهِ سواءٌ كانوا عارفين كثيرًا او غير عارفين وسواءٌ كانوا مدركين تمامًا كل مقدار الصعوبات التي تعترضهم او غير مدركين فضالتهم المنشودة من وراء هذه الحركة هي الحرية فقد سئموا عيشة القرون الوسطى واشرأبوا باعناقهم الى عيشة القرن العشرين وسواءٌ نجح مشروعهم او لم ينجح فلا بد ان يتلوهُ آخر يستطيع بهِ هؤُلاء الرجال والنساءُ والاولاد ان يعيشوا كما يعيش معاصروهم في القرن العشرين

ان اسم جمعية تركيا الفتاة لا يقصد بهِ ان اعضاء هذه الجمعية فتيان . لا. فان كثيرين منهم رجال اشتعلت رؤُوسهم شيباً ولكنهم رجال شديدو العزيمة فهم فتيان في آمالهم وطموح نفوسهم فتيان في عزيمتهم وتصوراتهم . وقوة هذه التصورات هي أُسُّ هذه النهضة

والاخطار لا تعد ولا تحصى وكلٌّ يستطيع ان يشير اليها والاعداءُ كثيرون . اختلافات جنسية واختلافات دينيّة وهذه يسهل ان ينتج عنها عدوان وشحناء وكذلك مساعي الدول الاوروبية-كل هذه اخطار تتهدَّد العثمانيين واي شيءٍ يستظهر على هذه الاخطار

ليس في استطاعتي الخوض في السياسة الاوربية ولكنني اقول عن اوربا وعن الاخطار التي تتهدد هذه النهضة الجديدة بمساعي الدول انهُ ليس ثمَّ الأَ رجاءٌ واحد وهو ان تتوخى الدول المسيحية في اوربا العدل وكرم الاخلاق في معاملتها المسلمين وتأْخذها هزة الشهامة نحوهم فتستظهر في حرب صليبية جديدة ولكن ليس في ميدان القتال بل في ميدان السياسة السلمية .على ان بريطانيا العظمى التي لم تمت فيها الشهامة والمروءة سيكون لها والحمد لله صوت عظيم في ذلك . ثم ان الولايات المتحدة ايضاً لم تمت فيها المروءة والحمد لله فسيكون لها صوت مسموع في هذا الصدد

ولكن ما القول بالاخطار الاخرى التي تتهدَّد العثمانيين — العداء الذي كان ينمو ويزيد كل هذه السنين حيث الناس المختلفون مللاً ونحلاً كانوا دائمًا متحفزين لمناوأَة بعضهم بعضاً ومناصبتهم العداء حتى لم يعودوا يهتمون الأَ بعداواتهم وضغائنهم فماذا يقال عن هذه الاخطار وكيف يكون الفوز عليها

سنأْتي البقية

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

ذوات الظلف والحافر والخف UNGULATA

اليَحْمُور . اليأْمُور (يحمور بالعبرانية والسريانية) Cervus capreolus. E. Roe deer. F. Chevreuil.

نوعٌ من الايائل لكلٍّ من قرنيهِ ثلاث شعب وهو قصير الذنب احمر اللون ابيض الاليتين اغبر البطن مصفرّهُ ويتصل قرنهُ كالايّل . وقد ورد ذكر اليحمور في التوراة بين الحيوانات المجترَّة المشقوقة الظلف (تث ١٤ : ٥) التي يحلُّ اكلها لبني اسرائيل فلا يمكن ان يكون الحمار الوحشيّ كما جاء في بعض كتب اللغة . واللفظة مشتقة على الغالب من الاحمرار[1] ولا علاقة بينها وبين الحمار سوى المشابهة في اللفظ . واليحمور يعرف بهذا الاسم الى يومنا ويوجد في العراق والشام . وقد جاء في بعض المؤلفات العربية ما يثبت انهُ من الايائل فهو في المخصّص " نوع من الايّل " وفي حياة الحيوان الكبرى " اليحمور دابة وحشية نافرة لها قرنان طويلان كأنهما منشاران ينشر بهما الشجر فاذا عطش وورد الفرات يجد الشجر ملتفة فينشرها بهما وقيل انهُ اليأمور نفسهُ وقرونهُ كقرون الايل يلقيها في كل سنة وهي صامتة لا تجويف فيها ولونهُ الى الحمرة وهو اسرع من الايل وقال الجوهري اليحمور حمار الوحش " انتهى كلام الدميري

اما اليأمور فهو ذكر الايل في كتب اللغة ووصفهُ في القزويني والدميري يشبه وصف اليحمور ولعلَّ اللفظة محرَّفة عن اليحمور في الاصل . وفي معجم دوزي اليأمور هو اليحمور

الرَّنة (معرَّبة) Rangifer tarandus. E. Reindeer F. Renne واظنها تعريب الدكتور كرنيليوس فان ديك لانها وردت كذلك في جغرافيتهِ

الأَلك (معرَّبة) Alces. F. Elk F. Elan

غزال المسك . دابة المسك Moschus moschiferus. E. Musk-deer. F. Porte-musk

وحقهُ ان يسمى ايّل المسك لانهُ من الايائل وليس من الظباء

---

(1) Encyclopedia Biblica

﴿ الزَّرافة (مصرية الاصل) ﴾ Giraffa camelopardalis E. & F. Giraffe

حيوانٌ من ذوات الظلف وهي في حجم البعير قصيرة الرجلين طويلة اليدين والعنق · جلدها مبقّع ببقع حمر ولها قرنان صغيران · وتوجد الزرافة في افريقية فقط

وقد جاء في الاساطير الهندية ذكر حيوان يسمى سرابه بالسنسكريتية ونقل العرب هذه اللفظة وعرّبوها بالزرافة في بعض مؤلفاتهم وورد ذكرها في كتاب عجائب الهند لبزرك ابن شهريار وكتاب وصف الهند لابي الريحان البيروني . والزرافة حسب وصفها في هذين الكتابين حيوانٌ هائل عجيب الشكل وهو بلا ريب خلاف الزرافة المعروفة (انظر كتاب عجائب الهند صفحة ١٩٧ وتعليقات المترجم في الملحق· كذلك وصف الهند لابي الريحان البيروني الترجمة الانكليزية المجلد الاول صفحة ٢٠٣ ولم اقدر ان اقف على نسخة عربية من هذا الكتاب)

اما الزرافة المعروفة فمختلف في اصل تسميتها فهي في كثير من المعجمات الافرنجية عربيّة الاصل وفي غيرها هندية او فارسية وفي لاروس من سُرافي بالمصرية القديمة ومعناها الطويلة العنق وفي الالفاظ الفارسية المعربة من زورنايه بالفارسية وفي بغية الطالبين تسمى الزرافة سر بالمصرية القديمة ويرجح المؤلف ان اللفظة مصرية الاصل وهو الاقرب الى الصواب ولا بد ان العرب سمعوا بالزرافة قبل الهنود والفرس ولا يعقل انهم اخذوا هذه اللفظة عنهم اذ لا وجود للزرافة في اسيا ولا دليل على سابق وجودها فيها في عهد التاريخ وفضلاً عن ذلك يظهر ان اللفظة الفارسية مختلف في كتابتها فهي سرنايا وزرنايا وزرنايه وزرّاف وزرّافة كما جاء في معجم ڤولرس ومعجم الالفاظ الفرنسويَّة المشتقة من اللغات الشرقية لمارسل دڤيك ولعل الزرافة الهنديَّة التي ذكرت آنفاً سبب هذا الارتباك

﴿ الجَمَل (متشابهة في اللغات السامية) ﴾ Camelus dromedarius.

E. Dromedary or Arabian camel. F. Chameau d'Arabie.

﴿ الدُّهَانج · الدُّهَامج · الفالج . الفَلْج · القِرْمِل ﴾ Camelus bactrianus.

E. Bactrian camel. F. Chameau de Bactriane

الجمل ذو السنامين وهو اقصر من الجمل العربي وأضخم ووبره اطول ويوجد في اواسط اسيا. اما البُخْتيّ فهو الجمل المتولد بين الفالج والجمل العربي ووصفهُ في كتب اللغة مضطرب لا يفهم منهُ هل هو الفالج بعينهِ ام المتولد بينهُ وبين العربي الّا ان القزويني خصّهُ بالهجن كما جاء في آثار البلاد عند ذكرهِ الندهة في الهند قال « وبها الجمل الفالج ذو السنامين وهذا الصنف

من الابل لا يوجد الاَّ هناك يجلب منها الى خراسان وفارس ويجعل فحلاً للنوق العربية فتولد منها البخاتي ". وفي عجائب المخلوقات لهُ ايضاً ما نصهُ "ومنها المتولد من الابل الفالج والعراب ويسمى البختي". وفي المؤلفات الافرنجية الحديثة مثل ذلك ايضاً وجاء فيها ان اللفظة مستعملة في خراسان لهذا النتاج المركب[1]. وجاء في بعض كتب اللغة ان اهل مصر يطلقون هذه اللفظة على الابل مطلقاً ولا اعلم هل يفعلون ذلك الآن وانما هذه اللفظة لا علاقة بينها وبين الابل البختية الخراسانية بل هي نسبة الى بختة في بلاد البجة اي شرق السودان كما ذكر الادريسي في نزهة المشتاق (صفحة ٢٧) قال "ومن بلاد البجة بلد بختة وهي ايضاً قرية مسكونة وبها سوق لا يعوَّل عليها وحولها قومٌ ينتجون الجمال ومنها معايشهم وهي اكثر مكاسبهم والى هذه القرية تنسب الجمال البختية وليس يوجد على وجه الارض جمال احسن منها ولا اصبر على السير ولا اسرع خطىً وهي بديار مصر معروفة بذلك". وقول الادريسي هذا لا مبالغة فيهِ فقد رأيت هذه الابل البجاوية وهي احسن ابل في الدنيا ومشهورة عند العرب من قديم الزمان

❖ اللاَّمة.[2] (معرَّبة) الجمل الاميركي[3] ❖ E. & F. Lama

❖ الالبكا[4] (معرَّبة) ❖ E. & F. Alpaca

❖ الخنزير ❖ Sus scrofa. E. Pig. F. Cochon

وهو حزير بالعبرانية واللفظة مشتقة من الخَزَر اي صغر العين وليس من الخنزرة اي غلظ العنق فتكون النون زائدة

❖ الرَّتّ (ورت بالمصرية القديمة[5]) . العِفْر (من اصل سنسكريتي) المَلُّوف[6] ❖
E. Wild boar. F. Sanglier.

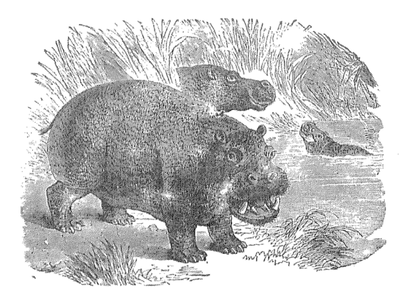
الخنزير البرّي ويوجد في اسيا واوربا وافريقيا واوشك ان ينقرض من القطر المصري ولا يوجد منهُ الاَّ عدد قليل في وادي النطرون تحميهِ الحكومة ويقال انهُ يوجد على مقربة من دمياط ايضاً

والرتّ في اساس البلاغة "الجريُّ من ذكور الخنازير". وفي لسان العرب "الرتّ شيءٌ يشبه الخنزير البرّي وقيل هي الخنازير الذكور (هو رَرْ بالمصرية القديمة والتاء للتذكير)

(١) The Royal Natural History.

(٢ و ٣ و ٤) تعريب المرحوم احمد فارس

(٥) بغية الطالبين لاحمد بك كمال (٦) المنجد للاب لويس المعلوف



فرس النهر



الوَبْر

والرتّ الخنزير المجلّح* . اما الملّوف فلم اجدها بهذا المعنى سوى في المنجد للاب لويس المعلوف وقد سألت حضرتهُ عنها فاجابني انهُ متأكد من صحتها . وفي غير المنجد من كتب اللغة الملّوف الثقيل الجافي والكثير الشعر والجمل الضخم ولا يبعد انها اطلقت على الخنزير وحرّفها العامة وقالوا حلّوف كما هو شائع في مصر والسودان . وزعم امرنبرغ ان لفظة حلوف من اروبا او هروبا بالحبشية وهو بعيد . وذكر دوزي ان لفظة هلوف في معجم غوليوس وفريتاغ خطأ وان صحتها حلوف وقال انها ايلف بلغة البربر . لكني ارجح صحة تسمية الخنزير البرّي بالملّوف كما جاء في المنجد فتكون اللفظة العامية محرّفة عنها .

﴿فَرَس البحر. فرس النهر (وهو كذلك باليونانية واللغات الاوربية). جاموس البحر. البَرْنيق﴾

Hippopotamus amphibius. E .Hippopotamus. F. Hippopotame

حيوانٌ من ذوات الحافر عظيم الجثة كبير الرأس قصير القوائم والعنق والذنب . لهُ اربعة حوافر في كلٍّ من قوائمهِ وجلدهُ غليظ جدًّا يعمل منهُ السياط المشهورة ويوجد في النيل وغيرهِ من نهور افريقية وكان كثير الوجود في مصر سابقاً وآخر من ذكر وجودهُ فيها من مؤلفي العرب عبد اللطيف البغدادي في اواخر القرن السادس للهجرة وذكر المقريزي وجودهُ في النوبة ولم يذكر وجودهُ في مصر مع انهُ بقي في فرع دمياط الى سنة ١٦٠٠ مسيحية وهو الآن نادرٌ جدًّا شمالي الخرطوم ورأيت واحدًا منهُ في ولد حامد سنة ١٨٩٨ وذلك على مسافة ٦٠ ميلاً شمالي الخرطوم . ويسمى فرس النهر في السودان بالقِرنْتي [1] والعِسنْت

(١) عرب السودان يلفظون القاف كما يلفظها اهل الصعيد وعرب البادية لهذا العهد اي كما تلفظ الجيم في مصر القاهرة فتكون هذه اللفظة الجرنتي حسب نطق سكان القاهرة ورأيت ان انبه الى هذا الامر ولو خرجت عن موضوعي وذلك لكثرة الخطاء في كتابة الاعلام السودانية في بعض الجرائد المحلية وكتب الجغرافية التي تدرّس في مصر فيكتبون الاسماء الآتية جوز رجب وجوز ابي جمعة وجبل جدير والحلانجه وحقها ان تكتب قوز رجب وقوز ابي جمعة وجبل قدير والحلانقه اي كما يكتبها اهل السودان . وبعض هذه الالفاظ عربي فصيح ولا يجوز التصرّف في كتابته مثل قدير وقوز فالقوز في اللغة الكثيب المرتفع من الرمل وكل الاماكن التي يطلق عليها اسم القوز في السودان مبنية على الكثبان المرتفعة . واغرب من هذا كله كتابة دنقله دنجله . اما ولد حامد وولد مدني فلا بأس بكتابتها ود حامد وود مدني وانما لا مسوّغ مطلقًا لكتابتها واد حامد وواد مدني فهذه اللفظة لا علاقة بينها وبين الوادي كما يتوهم البعض بل هي ولد وينطقها اهل السودان ود وليس واد وهذه الاماكن منسوبة الى اشخاص معلومين كانوا شيوخًا عليها او كانت ملكًا لهم فولد مدني اصلها حلة ولد مدني وهذه الاسماء مكتوبة على صحتها في تاريخ السودان لنعوم بك شقير فلتراجع هناك

والعنسيت وهو البهيموت المذكور في سفر ايوب ويظن انهُ كان موجودًا في نهر الاردن في عهد التاريخ ولفظة البهيموت عبرانية

اما لفظة البرنيق فقد وردت في رحلة بركهارت في النوبة وفي معجم ريتشاردسون وهو مطبوع قبل رحلة بركهارت ولا اعلم اصلها وربما كانت مستعملة في مصر قبل انقراض هذا الحيوان

﴿ الوَبْر ﴾ Procavia E. Hyrax. F. Daman حيوانٌ من ذوات الحافر وهو في حجم الارنب الطحل اللون اي بين الغبرة والسواد قصير الذنب والاذنين يحرّك فكهُ السفلي كأنهُ يجترُّ لذلك عُدَّ في التوراة من الحيوانات المجترَّة (تث ١٤ : ٧) . ويوجد الوبر في لبنان حيث يعرف بالطَبْسُون وفي جبال سينا والحجاز حيث يعرف بالوَبْر والثُفُن وغنم بني اسرائيل وفي جبال مصر الشرقية والسودان المصري الى الكاب جنوبًا وهو كثير في جبل كسله على مقربة من مقام السادة الميرغنية ومن اسمائهِ في السودان الكيكو والأشكوكو

وقد ورد ذكر الوبر في كثير من المؤلفات العربية عدا كتب اللغة وهو في محيط المحيط " دويبة كالسنور اصغر منهُ كحلاء اللون (اظن صوابها طحلاء) حسنة العينين لها ذنب قصير جدًّا تدجن في البيوت وتعلّم وتؤكل لانها تعتلف البقول " . ويظهر من كلام الجاحظ ان الوبر كثير الوجود في بلاد العرب وذكرهُ ابن البيطار في باب صنّ الوبر وهو بول هذا الحيوان المتجمع على صخور الحجاز وكانوا يستعملونهُ في الطب القديم

اما لفظة الثُفُن فاظنها عربيَّة ولو لم ترد في كتب اللغة بهذا المعنى وذلك لمشابهتها للفظة شَفَن العبرانية وهي بمعناها وكثيرًا ما تبدل الشين بالعبرانية ثاءً بالعربيَّة وبالعكس . ومن المحتمل ان عرب سينا اخذوا هذه اللفظة عن العبرانيين وبقيت شائعة بينهم الى اليوم . ولا اظن ان السيد ادّى شير مصيب في قولهِ ان لفظة الوبر فارسية الاصل فهذا الحيوان لا وجود لهُ في بلاد فارس ولا يوجد في اسيا سوى في الاماكن التي ذكرتها ولا يعقل ان العرب يأخذون عن الفرس اسمًا لحيوان كثير الوجود في بلادهم ولا وجود لهُ في بلاد فارس وفضلاً عن ذلك فان وصف الوبر مضطرب في المعجمات الفارسية وهو الارنب في بعضها . وقد بحث علماء التوراة بحثًا دقيقًا في امر هذا الحيوان ولم يتركوا لنا مجالاً للريب في ان الوبر عند العرب نفس الحيوان المذكور في التوراة والمسمى وبرًا في الزمن الحاضر وقد عُدَّ في التوراة من ذوات الظلف او الحافر فلا يمكن ان يكون الارنب واذا كانت لفظة الوبر اصلية في اللغة الفارسية فالوبر الفارسي خلاف الوبر العربي ولا علاقة بينهما سوى المشابهة في اللفظ

الدكتور امين المعلوف

دولة آل عثمان

٦

ختمنا المقال في الجزء الماضي بمقتل الملك الاشرف قانصوه الغوري في مهل دابق قرب حلب وزحف السلطان سليم على الديار المصرية . وقد نظم الشيخ بدر الدين ابو النجا الصوفي زجلاً يصف بهِ تلك المعركة وبوادرها ولواحقها وصفاً مسهباً يدل على احوال الناس في ذلك العصر فان المعركة حدثت في ايامهِ فوصف ما رآهُ وسمعهُ وذكر ما كان يتحدث بهِ اهل بلدهِ حتى ان مَن يقرأ هذا الزجل يشعر انهُ في عصر الغوري يسمع ما يقولهُ الناس ويشعر بما يشعرون بهِ وقد بدأ الزجل بالشكوى من ابن عثمان (اي السلطان سليم) لانهُ منع التجار من جلب البضائع الى القطر المصري فقال نقلاً عن تاريخ ابن اياس

غربت شمس دولة الغوري واجى عثمان نجمو طلع ساير
وبهذا رب السما قد حكم والفلك دار ولم يزل داير
ابن عثمان باداه باخذ القلع ويمنع التاجر مع الجلاَّب
ان يجيبوا الى مصر مملوك ولا فروة بسمور ولا سنجاب
ولا وشق ولا ثعلب يجلبوا ومن الصوف ما عاد يجينا ثياب
على الصوف ياما قعدنا سنين ما يجي من عندو ولا تاجر
والامارة جوا للملك قالوا ابن عثمان باغي عليك جاير

***

ضرب الكل بهم مشوره قالوا ملَّت منا القلوب والنفوس
نحن نخرج جميع لاجل القتال بالجنايب والسلاح واللبوس
ونجرد لنصرة السلطان نكبسر الروم والاراضي ندوس
راهنوا بالنفوس وهم اقمار كل واحد بمجنو قامر
ولا يدري ما خبي لهُ الغيب من تقادير القادر القاهر
خامس العشرين من ربيع آخر لتسعمائة اثنين وعشرين عام
كان خروج السلطان بتجريده لابن عثمان طالب بلاد الشام
والامارة في خدمته موكبين بالمماليك والطلب تتفاخر
وخروج الجميع من القاهره كان بتقدير الواحد القاهر

في محفه خرج معهُ القاضي كاتب السر المنتخب محمود
والخليفة المتوكل ولد يعقوب هو محمد فعلو الجميل محمود
وقضاة القضاة ومن معهم كاتب قد ابذل المجهود
دخلوا الشام اوكب فيهم موكب ما سمعنا موكب رئي مثله
ولا نالو ملك ولا سلطان في المواكب ولا احد قبله
ومن الشام خرج دخل في حلب وقطع من وعره الى سهله
وسليم شاه لما سمع اظهر ان طبعو منها بقي حاير
طلب الصلح ارسل لهم قاصد بالهدايا والملبس الفاخر
جو جواسيس الاشرف الغوري اعلموهُ انو عليهِ ماكر
قالوا احذر تركن الى صلحو واعلم انو خاين عليك غادر
حقق القول ومن حلب برز والعساكر معولاجل القتال
وجد الروم مجهزين بالسلاح والتراكيش معمره بالنبال
ووقع بين العسكرين وقعه للفريقين شابت لها الاطفال
نصر الله المصري على الرومي وبخيلو اضحى عليهِ غاير
ولا يدري ما قد خبي في الغيب ولا يدري ما هو اليهِ صاير

ثم قال ما مفادهُ ان العسكر المصري اشتغل بنهب معسكر الروم فارتدَّ ابن عثمان عليهِ . ووصف مقتل الغوري وطلب من الله ان يكشف العار باخذ الثار "ويرد الكسره على الكافر" وغنيٌّ عن البيان ان هذا الزاجل ذكر ما جرى وعبَّر عمّا كان يختلج في صدور قومهِ بلغتهم المألوفة

ولما بلغ المصريين ان السلطان سليماً اخذ الشام اوجسوا ان يزحف على مصر ويأخذها ايضاً فلجأُوا الى التوسل بالاولياء وفي ذلك يقول ابن اياس

يا ابن عثمان كفٌّ عن اخذ مصر بلد شرفت بخير امامِ
حبرنا الشافعيّ قطب وليٌّ نجل ادريس عمدة الاسلامِ
هي تدعى كنانة مَن غزاها قصم الله ظهرهُ بالحسامِ

ثم قال ما خلاصتهُ وجعل الملك الاشرف طومان باي يستعد لطوارق الحدثان ولا سيما بعد ان بلغهُ وصول الجنود العثمانية الى غزة واخذها فعرض عجلات من خشب تجرها ابقار وفيها رماة بالبندق الرصاص وكانت نحو ثلاثين عجلة او فوق ذلك وعرض جمالاً وفوقها مكاحل ورماة يرمون بالبندق الرصاص من المكاحل فوق ظهور الجمال وعرض طوارق خشب



من جنود الاتراك الرماة في القرن السادس عشر



احد فرسان الاتراك في القرن السادس عشر



قاضٍ تركي في القرن السادس عشر



من فرسان الاتراك في القرن السادس عشر

للرماة بالنشاب فقوي قلب العسكر على القتال واظهر السلطان انهُ يخرج بنفسهِ الى قتال ابن عثمان واستحث بقية الامراء على الخروج بسرعة ولم ينفق على الامراء شيئًا وقال لهم اخرجوا قاتلوا عن انفسكم واولادكم وازواجكم فان بيت المال لم يبقَ فيهِ لا درهم ولا دينار وانا واحد منكم ان خرجتم خرجت معكم وان قعدتم قعدت معكم وما عندي نفقة انفقها عليكم

ويوم الاثنين في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ٩٢٢ هـ خرج بعض المماليك السلطانية نحو المطرية فرأوا جماعة مقبلين من نحو بركة الحاج فلما قربوا منهم فاذا هم من جماعة ابن عثمان فقالوا لهم مَن انتم قالوا نحن قصّاد من عند السلطان سليم شاه بن عثمان وكانوا نحو ١٥ وفيهم القاصد الكبير وهو رجل شيخ بلحية بيضاء وعليهِ ثياب مخملة ورأوا صحبتهم رجلاً من مصر يقال لهُ عبد البر بن محاسن كان كاتب الخزانة عند الاتابكي سودون العجمي فلما قتل وملك ابن عثمان حلب والشام تحشّر فيهِ بواسطة يونس العادلي والسمرقندي فلما ارسل ابن عثمان هذا القاصد ما جسروا يجيئون من جهة غزة فان نائب الشام جان بردي الغزالي كان بالقرب من غزة يحاصر جماعة ابن عثمان الذين بغزة فبرطل القاصد بعض العربان بمال لهُ صورة حتى اتوا بهم من طريق الدرب السلطاني وطلعوا بهم من التيه واتوا بهم الى عجرود فما شعر بهم اهل مصر الاَّ وهم في وسط المدينة . فلما صادفهم هؤُلاء المماليك قبضوا على القاصد الكبير وعلى جماعتهِ وعلى ابن محاسن ووجدوا معهم ثلاثة من العربان فقبضوا على الجميع فبينما هم على ذلك اذ رأوا ثلاثة انفار من الاروام الذين في خان الخليلي قد اتوا اليهم وسلموا عليهم وباسوا ايديهم فقبض عليهم هؤُلاء المماليك وقالوا لهم من اين علمتم ان هذا القاصد يجيءُ اليوم حتى اتيتم اليهِ ما انتم الاَّ جواسيس من عند ابن عثمان فقبضوا عليهم بعدما اشبعوهم ضربًا ..... ولما مثل عبد البر بن محاسن بين يدي السلطان شرع يطنب في اوصاف بن عثمان وفي تزايد عظمتهِ فمن جملة ما حكى عنهُ انهُ لما دخل الى حلب قطع في يوم واحد ثمانمائة رأس من جماعة اهل مصر من جملتهم خليفة سيدي احمد البدوي وآخرون من الاعيان ممن تخلفوا بحلب . واخبر ان عسكر ابن عثمان فوق الستين الفًا وانهُ خطب باسمهِ من بغداد الى الشام وان معاملتهُ ماشية من بغداد الى الشام وانهُ لما دخل الى الشام وملكها شرع في عمارة سور وابراج من القابون الى آخر مدينة دمشق ويقول ما ارجع حتى املك مصر واقتل جميع من بها من المماليك الجراكسة . واخبر ان ابن عثمان يحتجب عن عسكرهِ اياما لا يظهر فيها ففي هذه المدة يقتل عسكرهُ خلقًا في المدينة ويجاهرون بالمعاصي وانهم لا يصومون شهر رمضان ويشربون فيهِ الخمر والبوزة ..... فلما اطنب ابن محاسن في اخبار ابن عثمان

حنق منهُ السلطان وقال لهُ انت جاسوس من عند ابن عثمان اتيت لتكشف اخبارنا وتطالعهُ بذلك فرسم بسجنهِ في البرج الذي بالقلعة . وقد قطع قلب العسكر بما حكاهُ

واضطربت احوال الديار المصرية واخذ كل احد حذرهُ من ابن عثمان وقالوا مثلما طرقنا قصّادهُ على حين غفلة كذلك هو يطرقنا ايضاً على حين غفلة فشرع الناس في تحصين اماكن في اطراف المدينة وجوانبها ليختفوا فيها اذا دخل ابن عثمان الى مصر

ثم ان السلطان نادى للعسكر ان اول النفقة يوم الاربعاء ٢٣ الشهر (ذي القعدة) فجلس في الحوش على الدكة وطلع العسكر لقبض النفقة فانفق عليهم لكل مملوك ثلاثين ديناراً وجامكية ثلاثة اشهر بعشرين ديناراً فرموا تلك النفقة في وجههِ وقالوا ما نسافر حتى نأخذ مئة دينار لكل مملوك فاننا لم يبقَ عندنا لا خيول ولا قماش ولا يرك ولا سلاح فنزلوا كلهم من القلعة وهم على غير رضى فحنق منهم السلطان وقام عن الدكة وطلع الى المقعد وقال ما اقدر على مئة دينار لكل مملوك والخزائن فارغة من المال وان لم ترضوا بذلك فولوا عليكم من تختارونهُ في السلطنة وانا اتوجه الى مكة او غيرها من البلاد . فوقع في ذلك اليوم بعض اضطراب

وذكر ابن اياس اموراً كثيرة من هذا القبيل تدل على ان البلاد كانت فوضى ثم قال ان السلطان احتال على جمع المال ببيع ما في الخزائن من التحف والذخائر والصوف والسمور والبعلبكي وارضى المماليك فانفق على كل مملوك خمسين ديناراً وثمن اللحم والعليق المنكسر من خمسة اشهر وفرّق الاموال على الفقراء في الزوايا والمزارات وقال لهم ادعوا بالنصر للسلطان وقرأ عدة ختمات عند الامام الشافعي والامام الليث

وفي الخامس من ذي الحجة وصل الامراء الذين نجوا من غزة وهم في اسوإ حالـــ وذكروا عن ابن عثمان ان مع عسكرهِ رماحاً بكلاليب يخطفون بها الفارس عن فرسهِ ويلقونهُ على الارض . وذكر جان بردي الغزالي (الذي كان نائب دمشق) انهم رموهُ على الارض ولولا ان غلمانهُ قاتلوا عنهُ العثمانية لكانوا حزوا رأسهُ . وحكوا عن عسكر ابن عثمان انهم مثل الجراد المنتشر لا يحصى عددهم وان معهم رماة بالبندق الرصاص على عجلات خشب تسحبها ابقار وجاموس في اول العسكر

ورسخ في اذهان الناس حينئذٍ ان دولة الجراكسة قد آلت الى الانقراض وان ابن عثمان هو الذي يملك البلاد لكن السلطان بقي على عزمهِ وعرض الزردخانة في عيد الاضحى وهي مئة عجلة من الخشب وتسمى عند العثمانية عربات وكل عربة منها يسحبها ابقار وفيها

مكحلة نحاس ترمي بالبندق الرصاص ونزل من المقعد وركب وصار يرتب العجلات في مشيها بالميدان ثم انسحب بعد العجل مئتا جمل محملة طوارق نحو الف وخمس مئة طارقة ومحملة ايضاً باروداً ورصاصاً وحديداً ورماح خشب وقدام العجلات اربعة طبول واربعة زمور وقدامها من الرماة نحو مئتي انسان ما بين تركمان ومغاربة وبايديهم صناجق بعلبكي ابيض وكندكي احمر وهم يقولون الله ينصر السلطان وجماعة من النفطيّة ما بين عبيد وغيرهم يرمون بالنفط قدام العجلات

ووصف ابن اياس مرور هذا الموكب في شوارع القاهرة وقال انهُ اشيع حينئذٍ ان صاحب رودس ارسل الى السلطان الف رامٍ من جماعتهِ يرمون بالبندق الرصاص وارسل اليهِ عدة مراكب فيها بارود فوصلت تلك المراكب ثغر دمياط وهذه عونة من صاحب رودس الى سلطان مصر حتى يستعين بذلك على قتال ابن عثمان . ثم ثبت ان الاشاعة كاذبة

ووصلت الاخبار بان عساكر ابن عثمان وصلت الى بلبيس فاراد السلطان ان يخرج لقتالهم هناك فلم تمكنهُ الامراء من ذلك . قال ابن اياس ولو لاقاهم هناك لكان عين الصواب فان خيولهم كانت متعبة وهم في غاية التعب لانهم مشوا من حين خروجهم من الشام

وامر السلطان جنودهُ ان يبيتوا تلك الليلة قدام الوطاق وهم على ظهور خيولهم لابسين آلة حربهم وان لا يناموا الّا مناوبةً مخافة ان يهجم عليهم العثمانيون تحت جناح الليل . فلما قرب عسكر ابن عثمان من الخانكاه خرج منها غالب اهلها باولادهم وعيالهم وقماشهم واتوا القاهرة خوفاً على نفوسهم وكذلك غالب فلاَّحي الشرقية خوفاً من النهب والقتل وجعل عربان السوالمة يقبضون على كل مَن يصادفونهُ من العثمانية ويقطعون رأسهُ ويحضرونهُ الى بين يدي السلطان فيأمر بتعليقهِ في باب النصر او باب زويلة . ثم عرض العسكر بالزيدانية وهم لابسون آلة حربهم وعرض الامراء المقدمين والمشراوات وسار الى بركة الحاج ومعهُ الامراء والعسكر وعاد الى الوطاق وقدامهُ الطبول والزمور والنفوط فامتدت العساكر من الجبل الاحمر الى غيطان المطرية حتى سدَّت الفضاء . ولما وصل ابن عثمان الى بلبيس امر السلطان بحرق الشون التي في بلبيس وما حولها حتى الشون التي في الخانكاه فاحرقوا التبن والدريس والقمح والشعير والفول

ويقال ان رجلاً اسمهُ ابرهيم السمرقندي من المدينة الشريفة طاف من بلاد العجم الى بلاد الروم وكان يعرف اللغة التركية ووصل الى مصر والتصق بالسلطان الغوري وصار من اخصائهِ فلما جرى للغوري ما جرى التفَّ على سليم شاه بن عثمان وصار من اخصائهِ . وقيل

انهُ هو الذي حسَّن لهُ ان يدخل مصر ويتملكها ويستأصل الجراكسة منها واطمعهُ في ذلك واتى معهُ الى الديار المصرية فاحتال عليهِ بدوي واضافهُ وقطع رأسهُ واتى بهِ الى السلطان طومان باي وقال لهُ ماذا تعطي من يأتيك برأس ابرهيم السمرقندي فقال اعطيهِ الف دينار فاخرج الرأس من تحت برنسهِ فلما تحقق السلطان انهُ رأس السمرقندي اعطاهُ الف دينار

وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة وردت الاخبار ان جاليش عسكر ابن عثمان نزل بركة الحاج فاضطربت احوال مصر واغلق اهلها باب الفتوح وباب النصر وباب الشعرية وباب البحر وباب القنطرة وغيرها من ابواب المدينة واغلقت الاسواق وتعطلت الطواحين وقلَّ الدقيق والخبز من الاسواق ونادى النفير بالوطاق فركب العسكر قاطبةً وركب الامراء المقدمون والامراء الطبلخانات والعشراوات واجتمع من الصناجق نحو ثلاثين صنجقاً ومن المماليك السلطانية ومماليك الامراء والعربان نحو عشرين الف فارس وركب السلطان طومان باي وجعل يرتب الامراء على قدر منازلهم وصفَّ العسكر من الجبل الاحمر الى غيط المطرية ولم يقع في ذلك اليوم قتال بين الفريقين . وكان السلطان طومان باي قد نصب وطاقهُ في الريدانية وحصَّنهُ بالمكاحل والمدافع وصفَّ الطوارق ووضع عليها تساتير من خشب وحفر خندقاً من الجبل الاحمر الى غيط المطرية وجعل خلف المكاحل نحو الف حمل جمل من المليق لانهُ ظن ان القتال يطول بينهُ وبين ابن عثمان فجاء الامر على غير ذلك لان ابن عثمان اقام يومين في بركة الحاج ثم زحف يوم الخميس في التاسع والعشرين من ذي الحجة ووصلت طلائعهُ الى الجبل الاحمر وتلاقى الجيشان في اوائل الريدانية فكان بينهما معركةٌ عظيمة اعظم من معركة مرج دابق وقتل من العثمانيين خلق كثير وقتل سنان باشا لالا ابن عثمان وكان اكبر وزرائهِ وانقسم العثمانيون فرقتين فرقة جاءت من تحت الجبل الاحمر وفرقة هجمت على العسكر المصري عند الوطاق بالريدانية وطرشوهم (رموهم) بالبندق الرصاص وهجموا عليهم هجمة منكرة فقتل من عسكر مصر خلق كثير ومن الامراء المقدمين جماعة كبيرة ولم يكن الا خمس عشر درجة (ساعة) حتى انكسر عسكر مصر وولى مدبراً وثبت السلطان طومان باي بعد الكسرة نحو عشرين درجة (ساعة وعشرين دقيقة) وهو يقاتل بنفسهِ في نفر قليل من العبيد الرماة والمماليك السلحدارية ولما تكاثرت عليهِ العساكر العثمانية خاف ان يقبضوا عليهِ فطوى الصنجق السلطاني ولاذ بالفرار

اما الفرقة العثمانية التي سارت من تحت الجبل الاحمر فانها نزلت على الوطاق السلطاني وعلى وطاق الامراء والعسكر ونهبت كل ما كان فيهما من قماش وسلاح وخيل وجمال وابقار

وغنمت المكاحل والطوارق والتساتير والعربات والبارود ولم تبقِ شيئاً ودخلت القاهرة عنوةً وسارت جماعة منها الى المقشرة واحرقت بابها واخرجت من كان فيها من المحابيس من العثمانية والديلم ووقع النهب في القاهرة وبولاق وفي ذلك يقول الشيخ بدر الدين الزيتوني

نبكي على مصرٍ وسكانها قد خربت اركانها العامره
واصبحت بالذل مقهورةً من بعد ما كانت هي القاهره

ويوم الاثنين سلخ سنة ٩٢٢ (٢٣ يناير سنة ١٥١٠) دخل القاهرة امير المؤمنين المتوكل على الله ومعهُ وزراء ابن عثمان والجم الكثير من العساكر العثمانية وملك الامراء خائر بك وقاضي قضاة الشافعية والقاضي المالكي والقاضي الحنبلي وكل هؤلاء كانوا في امر ابن عثمان من حين مات السلطان الغوري . فلما دخل الخليفة من باب النصر شق القاهرة وقدامهُ المشاعلية تنادي للناس بالامان والاطمئنان والبيع والشراء والاخذ والعطاء وقد اغلق باب الظلم وفتح باب العدل وان كل من عندهُ مملوك جركسي ولا يغمز عليهِ وظهر عندهُ يشنق والدعاء للملك المظفر سليم شاه بالنصر. فضجَّ لهُ الناس بالدعاء ولكن المناداة لم تجدِ نفعاً لان كثيرين جعلوا ينهبون البيوت بحجة انهم يفتشون عن المماليك الجراكسة واستمرَّ النهب والسلب ثلاثة ايام متوالية . ويوم الجمعة خُطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة وترجم لهُ بعض الخطباء في خطبتهِ فقال وانصر اللهمَّ السلطان ابن السلطان ملك البرين والبحرين وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين الملك المظفر سليم شاه اللهمَّ انصرهُ نصراً عزيزاً وافتح لهُ فتحاً مبيناً يا مالك الدنيا والآخرة يا رب العالمين . وقال ابن اياس في ختام ذلك العام هذين البيتين

خُتِم العام بحروب وكدَرْ وجرى للناس غايات الضررْ
واتاهم حادث من ربهم كل هذا بقضاء وقدَرْ

ثم قال ولما كثر العثمانية في القاهرة جعلوا يدورون في الحارات والازقة والاسواق وكل مَن رأوهُ لابساً زنطاً احمر وتخفيفة قالوا لهُ انت جركسي وقطعوا رأسهُ فلبس اولاد الناس كلهم عمائم حتى اولاد الامراء والسلاطين وابطلوا لبس التخافيف والزنوط من مصر. ويوم الاثنين ثالث المحرم دخل السلطان سليم القاهرة بموكب عظيم من باب النصر واستمرَّ سائراً حتى دخل من باب زويلة ثم عرَّج من تحت الربع وتوجه من هناك الى بولاق ونزل تحت الرصيف . ولما كانت ليلة الاربعاء خامس الشهر لم يشعر الاَّ وقد هجم عليهِ السلطان طومان باي ومعهُ من العساكر واستمرَّ القتال الليل كلهُ واليوم التالي الى ما بعد المغرب . ثم نزل في جامع

شيخو العمري الذي بالصليبة وصار يكرّ على العساكر العثمانية · وانتشرت اجساد القتلى من بولاق الى قناطر السباع واعيدت الخطبة لهُ في القاهرة · واستمرت الحال على ذلك من فجر يوم الاربعاء الى يوم السبت ثامن المحرم وحينئذٍ تفرَّق اتباعهُ عنهُ ولم يبقَ معهُ الاَّ نفر قليل فاركن الى الفرار وحلَّت حينئذٍ المصيبة العظمى بالقاهرة فاحرق العثمانيون جامع شيخو والبيوت التي حولهُ في درب ابن عزيز واعملوا السيف في كل مَن وجدوهُ وطرحت الجثث في الطرق من باب زويلة الى الرميلة ومن الرميلة الى الصليبة الى قناطر السباع الى الناصرية الى مصر العتيقة فكان من قتل في هذه الواقعة من بولاق الى الجزيرة الوسطى الى الصليبة اكثر من عشرة الآف نفس في هذه الاربعة الايام · وقبض العثمانيون على نحو ثمانمئة مملوك وضربوا رقابهم

وصعد السلطان سليم الى القلعة بموكب حافل ومعهُ المماليك الذين طلبوا الامان وخرب اكثر الاماكن التي في القلعة وفك رخامها وبعث بهِ الى القسطنطينيَّة

اما السلطان طومان باي فانهُ لجأَ الى الصعيد وجيَّش الجيوش منهُ وكتب الى السلطان سليم يقول لهُ ذلك ان كنت تريد ان اجعل الخطبة والسكة باسمك واكون نائبًا عنك في مصر واحمل اليك خراجها حسبما يقع الاتفاق عليهِ بيننا فارحل عن مصر انت وعسكرك الى الصالحية واحقن دماء المسلمين وان كنت لا ترضى بذلك فاخرج ولاقني في بر الجيزة ويعطي الله النصر لمن يشاء منا · فلما وقف السلطان سليم على ما كتبهُ السلطان طومان باي احضر امير المؤمنين (اي الخليفة) والقضاة الاربعة وجماعة من وزرائهِ وكتب صورة حلف الى السلطان طومان باي ووقع الاتفاق على ان الخليفة والقضاة الاربعة يذهبون بذلك الحلف اليهِ فذهبوا ومعهم قاصد السلطان سليم وبعض رجالهِ لكن الخليفة لم يذهب معهم بل ارسل نائبهُ فلما وصلوا الى البهنسا خرج عليهم جماعة من الجراكسة وقتلوا البعض منهم ونهبوا امتعة القضاة فاغتاظ السلطان سليم من ذلك ورأى ان لا سبيل الى الصلح فنقل وطاقهُ الى بركة الحبس وامر باحضار الامراء الذين طلبوا الامان وهم اربعة وخمسون اميرًا وضرب اعناقهم بثار قاصدهِ ورجالهِ الذين قتلوا في البهنسا · ثم عبر الى بر الجيزة لانهُ بلغهُ ان طومان باي وصل الى المنوات ومعهُ جيش كبير من العربان والمماليك الجراكسة . والتقى العسكران على وردان وقيل على المنوات وكان بينهما واقعة اعظم من واقعة الريدانية فدارت الدائرة اولاً على العساكر العثمانية ثم ارتدَّ هؤلاء وكسروا طومان باي ورجالهُ فلاذ بالفرار ولاقاهُ حسن ابن مرعي وشكر ابن اخيهِ من مشايخ البحيرة وطلبا منهُ ان يضيفهما ولم يكد يدخل منازلهما

حتى احتاطت بهِ العربان وقبضوا عليهِ ووضعوهُ في الحديد واتوا بهِ الى السلطان سليم فلما وقعت عينهُ عليهِ قام لهُ اجلالاً لكنهُ ابقاهُ عندهُ في الحديد الى يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الاول ثم أُركب على كديش وسير بهِ من بر انبابه الى بولاق ومنها الى باب زويلة وشُنق هناك . وقد اسف عليهِ اهل مصر اسفاً شديداً لانهُ كان حسن الشكل كريم الاخلاق شجاعاً مقداماً ساس الناس احسن سياسة لما كان نائباً عن عمهِ السلطان الغوري ولما تسلط بعدهُ ابطل كثيراً من المظالم

هذا وسنأتي على بقية اخبار السلطان سليم في الجزء التالي . وقد ابقينا على كثير من تراكيب ابن اياس والفاظهِ حيث لم نخشَ خفاء المعنى



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

المأمون ويحيى بن اكثم

حضرة الدكتور الفاضل منشىء المقتطف

قرأت في الجزء الثاني من مقتطف هذه السنة تقريظاً لكم على كتاب (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) فقلتم انهُ اعجبكم ما فيهِ من الفوائد الى ان وقع نظركم على احدى صفحاتهِ فانعكس الامر والقيتموهُ من يدكم مستغفرين الله مما كنتم نشرتموهُ في المقتطف من ترجمة المأمون . قائلين " اين احمد بك زكي مدرس تاريخ الحضارة العربيَّة في الجامعة المصرية يرى ما كان يفعلهُ خلفاء العرب وقضاة العرب وينصف التاريخ " قرأت هذا فتنسمت من خلال سطورهِ انكم لا تنقمون من احمد بك مبالغتهُ في وصف حضارة العرب وانتصارهُ على الحسن الجميل منها بل انكم تنقمون ايضاً ان يكون للعرب حضارة وقد نسب الرواة الى خلفائهم وقضاتهم ما نسبوا

وهذا هو موضوع عتابي . بل مثار عجبي واندهاشي

عجبت من جعل كتب الادب التي يقصد فيها عادة الفكاهة والاحماض — ميزاناً توزن بهِ رجال التاريخ . ويؤْخذ عنها تراجم العظماء . ودهشت من جعل ما كان يفعلهُ خلفاء العرب وقضاتهم على فرض ثبوتهِ — آيةً على تجرّد العرب من الحضارة . ولو جعل آيةً على تجرّد اولئك الخلفاء والقضاة انفسهم من الفضيلة لكان اقوم قيلاً . واظهر دليلاً .

فمن ثمّ كان الحديث مع منشىء المقتطف الفاضل يتناول امرين : الاول ان نزوع عظماء الامة الى الملذات الجسدية لا ينفي ان يكون لتلك الامة حضارة راقية . والثاني تكذيب ما جاء في كتاب (ثمار القلوب) من نسبة الهنات الى المأْمون وقاضيهِ يحيى بن اكثم . ونحن في بحثنا هذا لا نريد ان نفيد حضرة مناظرنا فائدةً يجهلها . او ان نحيلهُ على ما لا عهد لهُ بهِ من مسائل التاريخ واطوار الاجتماع الانساني . وانما نحب ان نحيلهُ على ما اختزن في ذاكرتهِ . وقد اذهلهُ عن تذكرهِ اغراق احمد بك زكي في وصف الحضارة العربية او الاسلامية . فنقول في الامر الاول : انهُ لا علاقة منافاة بين التفنن في الملذات مهما فحشت وبين الحضارة . فلا يحسن ان يقال ان الامة الفلانية لاحضارة لها لان رجالاً منها كانوا ذوي اميال فاسدة ويتعاطون من المنكرات ما قبح وسمج . نعم قد يكون تفشي الفواحش في الامم عاملاً على انحطاطها . واماطة حلية المدنية عنها " واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميرا " — القرآن الشريف . فلو قال حضرة المنتقد الفاضل : ان ما كان يفعلهُ بعض الخلفاء والقضاة ادى الى ضعف الامة العربية . وانحطاط شأْنها . والتواء امرها — لكان لهُ وجه . اما ان فعل اولئك الخلفاء والقضاة ينافي ان ننسب الى مجموع الامة العربية حضارة فهذا لعمري لا وجه لهُ . الاسترسال في اللذات والتفنن في تحصيلها اثر من آثار مدنيات الامم . ولا شيء من هذا الاثر في الامم ذات الهمجية . وكلما ارتقت مدنية امة ارتقى هذا الاثر فيها حتى يصبح اخيرًا ضربة قاضية يصيب مقاتلها فيصميها . اعتبر ذلك في الامم الغابرة . ولم تنجُ منهُ المدنيات الحاضرة . لولا ان قادة هذه المدنيات يحوطونها بشيء من التبصر وحسن التدبير من مثل تعميم علوم الصحة . وترتيب الاغذية . وفنون الرياضة الجسدية

ومدنية العرب في الاندلس وبغداد كان لها حظ وافر من التقلب في ضروب الترف والنعيم وصنوف الملذوذات الجسديّة . وقد سارت فيها على آثار من تقدمها شبرًا بشبر وذراعاً بذراع : فقد جاء بعض السياح من الاندلس الى بغداد ليفحص حضارتها ويقارن بينها وبين

حضارة بلاده · فكان مما رآهُ فيها حمّام لبعض امراء الخلافة · ثم وصف السائح الحمام ووصف حجرة فيهِ خاصة باغتسال الامير مع من يختارها من حظاياهُ وصفاً مدهشاً · ثم قال ان مترفي الاندلس على ما كان من امرهم لم يبلغوا هذا المبلغ في التورّن والافانين التنعم

ولكنهم لما كشفوا في هذه الازمنة المتأخرة عن انقاض مدينة (بمباي) الرومانية وجدوا حجرة فيها لبعض غلاة مترفيها تحكي في وضعها وشكلها ونقشها حجرة اميرنا البغدادي

وليس من شرط المدنية الفاضلة ان يكون كل فرد من مشهوري رجالها طاهر الذيل كريم الخلوة · ولماذا يريدون هذا في حضارة العرب ولا يريدونهُ في حضارات الامم الاخرى

وانهُ ليبلغنا عن بعض ملوك اوربا وملكاتها لهذا العصر — دع عنك الاعصر الوسطى — وعن بعض رجال فرنسا ومترفيها المحنكين واغنياء اميركا وغرائبهم في تقحم الشهوات — يبلغنا عنهم ما يكاد ينكرهُ الساذج مثلي · ومنذ ايام حدثني زميل فاضل وقف على شيء من اسرار المعيشة الاميركية · ومارس بنفسهِ بعضاً من شؤونها : انهُ اذا استحكمت عرى المودة بين رهط من اغنياء الاميركيين المترفين كان لهم خلوات خاصة · يدعون اليها فتاة من فتيات اشتهرنَ بضرب من ضروب الرقص غاية في الخلاعة والمجون · بحيث لا يصدق ان قوماً خوطبوا بآية — من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبهِ — ينزعون الى مثل هذه الهنات · ولكن هي الشهوات والثروات والخلوات

اما ما يرويهِ لنا التاريخ القديم عما كانت تأتيهِ اممهُ المتمدنة من افانين الفحشاء والمنكر فمن الغرابة بمكان . وقد قرأت في كتاب فرنسوي فصلاً ذكر فيهِ مؤلفهُ ما كان جرى بين ابن احد فراعنة مصر وبين ابنة رئيس الكهنة · مما يدل على ان الدين والمدنية في امةٍ من الامم لا يمكن ان ينزعا الاميال الفاسدة من نفس كل واحد من ابنائها. اللهمَّ الّا اذا نزعتها النفس نفسها · وربما ترجمت الفصل المذكور الى اللغة العربية ونشرتهُ في بعض اعداد المؤيد ·

وهذه الخزاية التي تلطخ بها التمدن العربي وشوّهت اسم بعض رجالهِ تلطخ بها التمدن اليوناني والروماني وتاريخ كثيرين من عظمائهِ : فلم يحكم على سقراط اشهر حكماء اليونان بالقتل لكونهِ ألحد في الآلهة فقط بل لانهُ افسد غلمان البلد ايضاً · وذكروا انهم لما اعطوهُ كاس السم ليتجرعهُ امسك الكاس بيد وجعل يعبث بشعر (السيبياد) عشيقهِ باليد الاخرى

وقد قالوا في يوليوس قيصر اقبح قول ووصفوا ميلهُ الفاسد بابلغ وصف · ومثلهُ في ذلك نيرون وادريان · وقلما يخلو متحف من متاحف اوربا من تمثال لانطونين عشيق ادريان المذكور فما عزي الى المأمون وقاضيهِ على فرض وقوعهِ لا ينافي ان يكون للعرب حضارة ذات

شأن . فما بالك اذا كان الخبر من اصلهِ حديثاً مفترى . وهذا هو الامر الثاني الذي جئنا نعاتب عليهِ حضرة منشيء المقتطف الفاضل من حيث انهُ صدقهُ وبنى عليهِ حكمهُ الجائر

ذكر ثقات المؤرخين من عظمة الخليفة المأمون . وكبر نفسهِ . وعلو همتهِ . وطهارة اخلاقهِ . ما لا يجتمع قط مع هذه القاذورة التي اتهم بها . ولو صح ما قالهُ عنهُ صاحب كتاب (ثمار القلوب) لكان في الدرك الاسفل من الخسة والدناءة . واذكر ان بعض المحققين قال : انهُ ما كان يأخذ على المأمون سوى قولهِ بخلق القرآن . ولم يحملهُ على هذا القول الاَّ تعمقهُ في علم الكلام (اللاهوت) . ونسبة الفحشاء الى المأمون وقاضيهِ يحيى بن اكثم في البطلان كنسبة شرب الخمر اليهما : حتى زعموا ان القاضي سكر مرةً مع شربٍ فيهم الخليفة فأمرهم ان يدفنوهُ بالرياحين ففعلوا ثم افاق وانشد

يا سيدي وامير الناس كلهم قد جار في حكمهِ من كان يسقيني
إني غفلت عن الساقي فصيَّرني كما تراني سليب العقل والدين

يا سبحان الله : هل يعقل ان قاضياً وراوياً لحديث رسول الله مثل يحيى بن اكثم يقول وهو نشوان في حضرة اكبر خليفة ولاَّهُ اكبر وظيفة دينيَّة — انهُ مسلوب العقل والدين !!!

وقد تناقل الرواة والقصاصون نسبة المعاقرة الى المأمون ويحيى حتى بلغت ابن خلدون فكذبها في مقدمة مقدمتهِ . وقال ان ما يعزى اليهما والى هرون الرشيد من المعاقرة لا اصل لهُ . وانما هم كانوا يشربون النبيذ . ولم يكن محظوراً عندهم (يعني لانهُ غير مسكر) . وقال ايضاً ثبت ان المأمون وقاضيهُ كانا يصليان الصبح جميعاً . فاين هذا من معاقرة الخمور . وارتكاب الفجور . وما ذكرهُ صاحب (ثمار القلوب) ظاهر عليهِ التردد والضعف : فهو تارةً يقول (يحكى) وطوراً (يقال) ومما استدل بهِ : ان المعتصم انما اتخذ الغلمان من الاتراك جنوداً لهُ اقتداء باخيهِ المأمون في الميل اليهم . مع ان محققي المؤرخين قالوا انهُ اتخذهم ليقاوم بهم عصبية الجند العربية التي ربما كانت تمالئ الخلافة العلوية . ومن التناقض البين ان صاحب (ثمار القلوب) قال في وصف يحيى "انهُ كان متقدماً في الفقه وآداب القضاة" ثم نقل بعد ذلك ما رواهُ الراوون عنهُ . فاي ادبٍ للقضاة مع هذه التهمة ؟ واذا ذكرنا لك ما قالهُ علماء الحديث في يحيى بن اكثم تبينت لك قيمة الخبر من الصحة ويتبع ذلك براءة المأمون نفسهِ لان مؤلف ثمار القلوب زعم ان يحيى هو الذي اغراهُ بهذا الشيء وزينهُ لهُ :

كان يحيى بن اكثم من كبار رجال الحديث . وقد خرَّج عنهُ الترمذي صحيحهُ . وروى عنهُ البخاري . واثنى عليهِ احمد بن حنبل . وذكرهُ ابن حيَّان في الثقات . اي عدهُ

في جملة رواة الحديث الذين يوثق برواياتهم . فاذا صدقنا بعد هذا كلهِ ما قيل في يحيى نكون اسأنا الظن بهؤلاء الرجال من ائمة الحديث . وكذبناهم في اخص وظائفهم التي هي نقد رواة الحديث . وتمحيص اخبارهم . والكشف عن مساويهم . وهم لا يدوّنون اسم احد في الثقات ما لم يبلغوا الغاية في البحث والتنقيب فمن المستبعد جدًّا ان يؤدّوا شهادة حسنة ليحيى . ويعدوهُ في الثقات الذين تتلقى عنهم احكام الدين وتعاليمهُ . ثم يكون امرهُ على الحالة التي وصفها القصاصون ورواها بعض الادباء في كتبهم . والثعالبي مؤلف (ثمار القلوب) مهما علت منزلتهُ في فن الادب فليست لهُ منزلة في فن الحديث . ونقد رجال الرواية . وما هو الَّا أديب يحب الفكاهة . ويروي النكتة . ويدوّن كل ما لهُ علاقة بالشعر وفنون الادب . اما التمحيص والتحقيق فقد تركهُ للمشتغلين بهِ من علماء التاريخ والحديث

على ان هؤلاء لم يفتهم خبر تلك التهمة التي الصقت بيحيى . ولم يألوا جهدًا في تكذيبها وتسفيه رأي راويها : فقد قال ابن خلدون " وكذلك ما ينبذ المجان بهِ يحيى بن اكثم من الميل الى الغلمان بهتانًا على الله . وفرية على العلماء . ويستندون في ذلك الى اخبار القصاص الواهية التي لعلها من افتراء اعدائهِ : فانهُ كان محسودًا في كمالهِ وخلّة (صداقتهِ) للسلطان . وكان مقامهُ من العلم والدين منزهًا عن مثل ذلك . ولقد ذكر لابن حنبل ما يرميهِ بهِ الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا ؟ وانكر ذلك انكارًا شديدًا . واثنى عليهِ اسماعيل القاضي (وهو من كبار رجال الحديث) فقيل لهُ ما كان يقال فيهِ . فقال معاذ الله ان تزول عدالة مثلهِ بتكذيب باغ وحاسد . واني ابرأُ الى الله من ان يكون فيهِ شيءٌ مما يرمى بهِ . ولقد كنت اقف على سرائرهِ فاجدهُ شديد الخوف من الله . لكنهُ كانت فيهِ دعابة وحسن خلق فرمي بما رمي بهِ "

فدلّنا قولهم هذا على ان منشأ التهمة امران : وجود اعداء لهُ يحسدونهُ على تقربهِ من الخليفة . والدعابة التي فيهِ : فقد يفاكه غلامًا من كتّاب الدواوين لأثر حبر يراهُ في وجههِ مثلاً فيقول قائل ان القاضي يتعشق ذلك الكاتب حتى اذا وصل الخبر الى رئيس الديوان او غيرهِ من رجال قصر الخلافة وفيهم من يحسد القاضي ذكروا ذلك للخليفة . فيضحك الخليفة او يقطّب زجرًا للقائل . وعلى كل حال تعدّت التهمة اليهِ نفسهِ . فاذا بلغ الامر ابا نواس او غيرهُ من الشعراء شياطين النكتة او غواة تلك الفاحشة نظموهُ شعرًا . وربما كان فيهم من يتعمد ترويجهُ في عقول الناس احتجاجًا بهِ على حسن فعلتهِ . واستقامة طريقتهِ وهكذا كل من ارتكب منكرًا . او اعتاد رذيلة . تراهُ احيانًا يتسقط اخبار الرؤساء

والفضلاء . حتى اذا توهم ان احدًا منهم مبتلًى بما ابتلي بهِ هو اذاعهُ بين الناس : فالخائن والحقود واللئيم يسرهُ جدًّا ان يتهم كبار القوم بمثل ما اتهم هو بهِ . والمدمن يزعم ان فلانًا وفلانًا من الفضلاء يتعاطون الشراب سرًّا والمبتلي بالحشيش لا يقف عن هذا الحد بل يذهب الى ان الحشيش مما اكتشفهُ اهل الله وكبار رجال التصوف . وانهم يتعاطونهُ لاجل ان تصفو نفوسهم من الاكدار وتلحق بافق الملائكة الاطهار

فقد تحصل معنا كذب ما رواهُ الراوون عن المأمون وقاضيهِ كما تبين ايضًا ان هذه الرواية وامثالها مهما فرضنا صحتها لا تقدح في حضارة العرب ولا تنفي وجودها . واذا كان في هذه الحضارة ما يؤْخذ عليها كما اخذ على غيرها فان الكمال لله وحدهُ

القاهرة في ٧ مارس سنة ١٩٠٩ عبد القادر المغربي

[المقتطف] تدور رسالة حضرة المنتقد الفاضل على ثلاثة امور اولاً تنشُّمهُ من خلال سطورنا اننا ننقم ان يكون للعرب حضارة . والثاني نسبتهُ العيوب الى بعض العظماء ولا سيما الى سقراط كبير الحكماء لكي يستدلَّ من ذلك على ان نزوع عظماء الامة الى الملذات الجسدية لا ينفي ان يكون لها حضارة راقية . والثالث وهو الاهم نفي ما جاء في كتاب ثمار القلوب عن نسبة الهنات الى المأمون وقاضيهِ يحيى بن اكثم

والامر الاخير هو الاهم وبهِ الغناء عن الامرين الاولين ولذلك نقدمهُ بالذكر ونقول اننا لما قرأْنا ما قرأْناهُ في كتاب ثمار القلوب لم يخطر ببالنا ان احدًا نفى روايتهُ ولو خطر ذلك لنا لاشرنا اليهِ واظهرنا غيظنا من الثعالبي لذكرهِ هذه التهمة . ومن لا يغتاظ من نسبة امر قبيح مثل هذا الى مَن نعدهُ اساس النهضة العلميَّة العربيَّة لا سيَّما وان الثعالبي من الثقات الذين يؤْخذ بقولهم لم يذكر القصة في معرض الريب بل ذكرها كأَنها من الامور المتعارفة التي تضرب بها الامثال . ولا يخفى انهُ اذا تعادلت حجة الاثبات وحجة النفي فحجة الاثبات اقوى لان مَن حفظ حجة على مَن لم يحفظ . ولكننا اميل الى تصديق النافي في امر المأمون وقاضيهِ منا الى تصديق المثبت ونعتقد ان حجج النفي قاطعة في هذه المسأَلة . ولو اكتفى حضرة المنتقد الفاضل بتبرئتهما لخلا كلامهُ من كل ما نؤَاخذهُ بهِ

والتعليل الذي اوردهُ لاصل هذه التهمة معقول ولكنهُ يبيض وجهين ويسوّد وجوهًا لانهُ حكم على الذين اتهموا المأمون وقاضيهُ انهم من مرتكبي ذلك المنكر ومعتادي تلك الرذيلة فتوهموا انهما مبتلَيَن بمثل ما ابتلوا هم بهِ

وعناية لنا على تصدينا الخبر كان يصبح لو خلت كتب اللغة وكتب الادب وكتب التاريخ مما يعلمهُ ونعلمهُ . من فتح القاموس وقرأ صفحة فيهِ ولم يحمر وجههُ خجلاً ومن قرأ المستظرف وهو من نخبة كتب الادب ولم يرَ فيهِ من تلك الهنات بل الكبائر ما يحمرُّ منهُ جبين الادب . وان قيل ما علاقة ذلك بالحضارة قلنا هذه مسألة اخرى سنبحث فيها قريباً

الامر الثاني استشهاد حضرة المنتقد بمساوىء بعض الامم للاستدلال على ان الاسترسال في اللذات اثر من آثار المدنية . ولا ندري لماذا لا يقول انهُ داء يظهر في جسم المدنية فيميتها كما اشار الى ذلك اولاً وهب انهُ اثر من آثار المدنية فهل يؤخذ ذلك دليلاً على استحسانهِ اوعدم استهجانهِ او على تسويغ الاغضاء عنهُ ونحن نبحث عن اسباب ارتقاء الامم وانحطاطها . ولقد قال اننا لو قلنا ان ما كان يفعلهُ بعض الخلفاء والقضاة ادى الى ضعف الامة العربية وانحطاط شأنها والتواء امرها لكان لنا وجه . فان كان الامر كذلك افليس لنا ان نؤاخذ من يشرح مدنية العرب ولا يشير الى الهنات التي اضعفتها وحطَّت شأنها

واشارة المنتقد الى سقراط خطأ ادَّى اليهِ سوء الترجمة فان الكلمة التي ترجمها بكلمة افسد غلمان البلد وترجمتها دائرة المعارف بافساد الاحداث معناها تضليل الاحداث او افساد اخلاقهم وآدابهم ولا تأتي هنا بغير هذا المعنى . وقد اوضح زنيفون تلميذ سقراط كيف استدل خصوم سقراط على صحة هذه التهمة فقالوا انهُ "اولاً علم اتباعهُ ان يحتقروا قوانين البلاد ولاسيما الانتخاب بالقرعة . وثانياً عدَّ بين اصحابهِ كرسياس والسبيادس واولهما من زعماء الحكم الاستبدادي والثاني من زعماء الحكم الجمهوري وكلاهما من اشد الزعماء خطراً . وثالثاً علَّم الاحداث ان يعصوا والديهم واوصياءهم وان يفضّلوا سلطتهُ على سلطتهم . ورابعاً انهُ استشهد بابيات من هوميروس وهسيودس تضرُّ بالآداب العمومية والحكم الجمهوري".

وما من احد قرأ عن سقراط الا وهو يعلم انهُ من احكم الحكماء وافضل الفضلاء سيرةً وسريرة . ولكن هب انهُ كما فهم المنتقد وهب ان جمهوراً كبيراً من الملوك وقضاتهم كذلك فهذا لا يمحو وصمة العار عن المأمون وابن اكثم ان كان ما نُسب اليهما صحيحاً لان الاسودين لا يكونان ابيض كما يقول المثل الانكليزي . واستشهادنا بعيوب الغير تنصلاً من عيوبنا شنشنة قبيحة نجلُّ حضرة المنتقد عنها

ونأتي الآن الى الامر الثالث الذي قدَّمهُ المنتقد بالذكر وهو انهُ تنسَّم من خلال سطورنا "اننا نقم ان يكون للعرب حضارة" وهو موضع عتاب كاتب هذه السطور ومثار عجبهِ واندهاشهِ فان المقتطف نوَّه بحضارة العرب وانشأ فيها الفصول الطوال قبلما ولد اكثر اصحاب القلم

من ابناء هذا العصر. ولما رأينا كتاب حضارة الاسلام في دار السلام لمؤلفهِ المأسوف عليهِ جميل المدور طبعناهُ على نفقتنا تنويهاً بحضارة الاسلام. وكلما رأينا اثرًا من آثار تلك الحضارة اخذتنا هزّة الطرب. وبالامس كان كاتب هذه السطور مارًّا امام سواحل الاندلس فكادت العبرات تفيض من عينيهِ ومسك القلم ليصف ما شعر بهِ فكتب شعرًا بدل النثر لشدّة انفعالهِ قال

نصرَ الله امةً اذ تولّى امرها العادلون بين الخلائق
قام صدّيقها باصدق امرٍ وتلاهُ الفاروق بالعدل فارق
وكماة في المكرمات تباروا وهم الاسدُ في صدور الفيالق
دوّخوا الارض وطّدوا الملك قاموا بفروض الكتاب تحت البيارق
ثم عزّوا والملك صار عضوضاً فاستكنوا كأنهم في حدائق
وتباروا في البذخ فالظلم فالايغال في ما يُعدّ للملك ماحق
شمس عدل ضمّت شعوباً فلما كسفت فرّق الشعوب طرائق

وقال قبل ذلك

شمخ الروم قبل ذاك وجاروا هل اتاهم ان ليس للخلق خالق
واناخ الفساد والفرس جاسوا بحرة خائضين حتى الخانق
واذا الظلم والفساد اقاما نضب الحوض من حماة الحقائق

فلخص تاريخ الحضارة الاسلامية تلخيص من يعرف مقامها و بيّن الاسباب التي قوّضت اركانها كما قوّضت من قبلها حضارة الروم والفرس

وان مَن يكتب تاريخ امة قامت وعزّت ثم انحطت وضعف شأنها لا ينصف التاريخ ولا سامعيهِ اذا لم يذكر اسباب قيامها وعزتها واسباب انحطاطها وضعفها. وزبدة المقال ان المنتقد الفاضل احسن في دفاعهِ عن المأمون وابن اكثم واتى باحسن ما يقال في هذا الموضوع. واذا لم يكن للسطر الذي كتبناهُ من فائدة غير تنبيه حضرتهِ الى كتابة ما كتب في نفي هذه التهمة لكفى بها فائدةً. ولكنهُ لم يحسن في ما استنتجهُ من كلامنا لانهُ لا ينطبق على كل ما جاء في المقتطف منذ ثلاث وثلاثين سنة الى الآن ولا هو مرادنا ولا مقتضى ايرادنا والسلام

آمنت وصدَّقت

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف المحترمين

ما جئت لاعترض على مقالة تنازع البقاء، غير ان صاحبها في آخرها يستأذنني من فضلهِ ان يجول معي — اذا سمح المقتطف — في موضوع اعدُّ لهُ المعدَّات منذ زمان طويل وحالت حوائل دون نشرهِ عنوانهُ "المادة والروح" فانا اشكرهُ على تفضُّلهِ واستئذاني والتمس منهُ ان لا يكلّف نفسهُ لاجلي هذا العناء الدكتور

مصر في ٥ مارس سنة ١٩٠٩ شبلي شميل

الحالة المالية

استيضاح

حضرة الفاضل منشىء مجلة المقتطف الزاهرة

اولاً نشرتم في مقتطف الشهر الماضي مقالة شائقة عن الحالة المالية بالقطر المصري جديرة بالحفظ والادخار وحريَّة بان يطالعها كل مصري ليعلم حالة قطرهِ في الحال والاستقبال وارجوكم ان تفيدوني عن امر اشكل عليَّ فهمهُ فيها وهو

قلتم ان الصادرات بلغت ٢١ مليون جنيه سنة ١٩٠٨ والواردات ٢٥ مليون جنيه فيكون العجز ٤ ملايين وان القطر يدفع ٧ ملايين فائدة دين الحكومة والاهالي فيكون المكسور على القطر ١١ مليوناً . ثم ذكرتم انهُ يلزم ان يضاف الى قيمة الصادرات ٤ ملايين فوق قيمة تقدير الجمارك ومليونان ممَّا يحصل من السياح والسفن و ٣ ملايين مما تضيفهُ الحكومة على الثروة العمومية او بعبارة اخرى يضاف ٩ ملايين جنيه فيكون المكسور على القطر مليونين فقط لكن بينتم في الصفحة ٢٣٤ (من صحائف هذه المقالة) انهُ يجب ان يضاف على الصادرات (وهي ٢١ مليون) مبلغ ٦ ملايين (من فرق تقدير الجمارك و ٢ من السياح والسفن) فتكون الصادرات ٢٧ مليوناً وهذا صحيح و يطرح من الواردات ٣ملايين (ما تضيفهُ الحكومة على الثروة العمومية) فيبقى ٢٩ مليوناً مع ان هذه الواردات قيمتها ٢٥ واذا طرحنا منها ٣ يبقى ٢٢ مليون وبذا تزيد الصادرات عن الواردات (٢٧ — ٢٢) ٥ ملايين جنيه اي لا ينكسر على القطر شيء بل يكسب ٥ ملايين جنيه فما صحة ذلك

ثانياً — لا ينكر احد فائدة البضائع الوطنية وضرورة تشجيع الصناع والتجار الوطنيين

لكن ارى انهُ يجب عليهم ان يقلدوا الاوربيين في صنع وبيع البضائع الرخيصة غير المتينة حتى يسهل تداولها وتروج التجارة وتزيد حركة الاعمال والاَّ فما فائدة الاتجار بالبضائع التي تعيش طويلاً ولا تتغير. واضرب لذلك مثلاً . يصنع النساجون في الوجه القبلي من القطر المصري عباءات واحرمة تعيش العباءة منها ٥ او ٦ سنين والحرام ١٠ او ١٥ سنة فكيف يعيش صانعها او كيف يغتني مثل الاوربيين اذا كان الشاري (او الزبون) الذي يشتري منهُ حراماً هذا العام لا يعود اليهِ ويشتري منهُ آخر الاَّ بعد ١٠ اعوام او ١٥ عاماً

مشترك في المقتطف

مستفيد

[المقتطف] اولاً ان ما اشكل عليكم فهمهُ يتضح لكم مما يلي : —

(المصروفات) التي صرفها القطر ثمن وارداتهِ		٢٥ مليون جنيه
يطرح منها ما هو باقٍ فيهِ كراس مال	٣	
فالباقي وهو المصروف الحقيقي		٢٢ مليون جنيه
يضاف اليهِ فوائد دين الحكومة والاهالي		٧
فجملة المصروف		٢٩ " "
(الايرادات) ثمن الصادرات من القطر	٢١	
ما يضاف اليها فوق تقدير الجمارك	٤	
من السياح والسفن	٢ والمجموع	٢٧ " "
فالمكسور على القطر		٢ " "

ولم نقل في الصفحة ٢٣٤ انهُ يطرح من قيمة الواردات ٣ ملايين فيبقى ٢٩ بل قلنا ان صافي الخارج اي صافي ثمن الواردات مضافاً اليهِ ما تدفعهُ الحكومة والاهالي فائدة . لان هذه الاموال كلها خرجت من البلاد. والذي خرج من البلاد هو فائدة ديون الحكومة والاهالي اي ٧ ملايين وثمن الواردات مطروحاً منهُ ثلاثة ملايين اي ٢٢ مليوناً والجملة ٢٩ مليوناً

ثانياً اذا اعتبرنا الامة بما يفعلهُ زيد صانع العباءة وعمرو مشتريها فحكمكم صحيح اي ان زيداً يكسب ما يخسرهُ عمرو واذا لم يخسر عمرو شيئاً فلا يكسب زيد شيئاً ولكن الامة لا ينظر اليها هذا النظر بل تعتبر كجسم واحد او كشخص واحد . وهذا الشخص لهُ قوة

محدودة فاذا بذلها في عمل عباءة تقيم شهرًا وتتلف يكون اضاعها في شهر واذا بذلها في عمل عباءة تقيم عشر سنوات يكون قد استفاد منها عشر سنوات . والامة الراقية يعرف افرادها ان العباءة التي تقيم عشر سنوات افضل كثيرًا من التي تقيم سنة او بعض سنة فيشترون الاولى ويتركون الثانية واذا لم يكن جمهور افرادها كذلك فيجب ان نعلمهم حتى يصيروا كذلك . ولو عرف التجار انهُ لا يروج عندنا الاّ البضاعة الخالية من الغش لاتونا ببضائع خالية من الغش فقط فيكون النفع منهُ للامة كلها . اما الحال الحاضرة فمآلها الخسارة والخراب

تعليم العربية

حضرة الفاضلين منشئي مجلة المقتطف الغراء

بينما كنت اسرح الطرف في رياض مقتطفكم الزاهر عثرت في باب المراسلة والمناظرة من عدد مارس على "مذهب جديد في تعليم العربية" لاحد الفضلاء وفيهِ وصف الداء والدواء في تعليم العربيةً اي ذكر بعض الصعوبات وكيفية ازالتها حسب رأْيهِ — والصعوبتان اللتان ذكرها اي امكان تشكيل الخط الغير المشكل على طرق مختلفة وعدم شيوع اللغة الفصحى هما بلا جدال من اكبر العقبات في تعلم العربية — اما الصعوبة الثانية فلا يمكن ازالتها الاّ بعد تعميم التعليم وبعد ان تعلم اولاد كل طبقات الامة وتجعل اللغة الفصحى لغة الدرس والتدريس ولا بأس بعد ذلك اذا بقيت اللهجات المختلفة وكان للجميع ملكة التعبير عن الافكار باللغة الفصيحة — وهذا هو الحال في المانيا مثلاً فان نسبة اللهجات فيها الى اللغة الفصحى تكاد تكون كما هي الحال في العربية على ان الجميع هنالك يستطيعون متى ارادوا ان يتكلموا باللغة الفصيحة المكتتبة — وعسى ان يدنو الوقت لتنفيذ موادّ التعليم في القانون الاساسي فيعم التعليم ويجعل الزاميًّا في كل الممالك العثمانية

اما صعوبة تشكيل الكلمات فيمكن ازالتها بالدرس المتواصل والتمرين الكثير — وقد اقترح الكاتب الفاضل صرف النظر عن تعليم قواعد اللغة من صرف ونحو في "الفرق الاولية" الى استظهار الكثير من القرآن الكريم ومن اشعار العرب بعد الاسلام ثم تكليف الطلبة انشاء منشآت وتدريبهم على الخطابة — اما من جهة الامر الاول فاقول انهُ من المستحسنات ان يحفظ التلاميذ عن ظهر القلب بعض الفصول والآيات من الكتب المنزلة (القرآن عند المسلمين والتوراة والانجيل عند النصارى) وكذلك حفظ شيء من الشعر والنثر ولكن لا يجوز على كل حال التثقيل على عقول التلاميذ فان الحفظ غيبًا يقتضي وقتًا كثيرًا وتعبًا شديدًا

يمكن صرفها في امور أُخرى في التعليم وتكون الفائدة اكبر . وقد يورث التغييب الكثير التلميذ ملالاً وضجرًا يذهبان غالبًا بكل لذة التعليم والمدرسة

ولست ادري كيف ينتظر حضرتهُ من " الفرق الاولية " ان ينشئوا منشآت و يخطبوا خطبًا — و يناظروا بعضهم بعضًا قبل ان يتعلموا شيئًا من قواعد اللغة وهي من اصعب الامور فمن اين لهم الافكار والذوق والادراك والانشاء والمقالات والخطب — أليس الاجدر بنا ان نمرّن عقول التلامذة على الافتكار والتكلم بكل الوسائل الممكنة بواسطة الصور والحديث عن البيت والعائلة والحقل والبستان وهلمَّ جرًّا — اوَلا يليق بنا ان نمرّنهم على ابسط قواعد اللغة كما فعل المرحوم رشيد الخوري الشرتوني في كتابهِ " مبادىء العربية " ولماذا لا يمرّن الصغار في بعض مراد الصرف والنحو كالجمع المكسّر. ولِمَ لا يعوَّدون النظر الى عدد أصول احرف الكلمة وما اشبه — ويحسن التدرج في تعلم قواعد اللغة حسب القاعدة المشهورة : من السهل الى الصعب ومن القريب الى البعيد ومن المعلوم الى المجهول ومن المألوف الى غير المألوف — وعلى كلٍّ يجب الانتباه الى القصد من تعليم اللغة في المدارس الابتدائية والى الوقت المسموح بهِ لذلك فليس القصد تخريج علماء في اللغة بل غاية القصد ان يفهم التلامذة ما يطالعونهُ في الكتب والجرائد والمجلات وان يعلّموا كيفيَّة التعبير عن افكارهم بلغة صحيحة مهذبة مجتنبين الاغلاط الكتابية واللغوية

واما الانشاء في المدارس فلا يجوز ان يستهان بهِ فبعد ان تكون عقول التلامذة قد تمرّنت وصاروا يحسنون القراءة والكتابة وذلك قلما يكون قبل نهاية السنة الرابعة المدرسية يجب تدريبهم على كتابة انشاءات سهلة فصعبة فأصعب ولا بد من تصليحها وإلفاتهم الى اغلاطهم والى ما كان يمكن ان يكون التعبير بهِ اصح والكلام ابلغ

ولي كلمة في الختام على كتب القراءة المتداولة في المدارس الابتدائية — لا ينكر ان لهذه الكتب تأثيرًا ليس بقليل في عقل التلميذ وآدابهِ واخلاقهِ وانشائهِ وذوقهِ فيجب بذل الهمة لجعلها صالحة لهُ ومهذبة اياهُ . قال المثل الالماني " الافضل والاحسن هو الحسن للاولاد ليس الا " واذا نظرنا الى كثير من كتب القراءة وصرفنا النظر عن الورق السخيف والتجليد الواهن نجد بين مقالاتها النفيسة مقالات تافهة ليس من ورائها نفع وقد نجد قطعًا تفوق كثيرًا ما يدركهُ عقل الولد فيجب اختيار افضل ما كتب بالعربية نثرًا ونظمًا وما يناسب سن الاولاد وان يتجنَّب الكلم الوحشي غير المألوف و يبدل بكلام مألوف كثير الاستعمال — و يا حبذا لو نقحت هذه الكتب قبل اعادة طبعها وحذف منها ما هو غير نافع

وعوّض عنهُ بما هو جزيل الفائدة ويا حبذا لو أُعتني كل الاعتناء بطبعها ودقق كل التدقيق في تشكيل الكلمات في الكتب المشكلة منها لكي لا يعتاد التلاميذ تلفظاً مغلوطاً يكاد يستحيل اصلاحهُ في المستقبل ويا حبذا لو وضعت كل الحركات والسكنات والضوابط التي يؤْمن بها اللبس ولو كانت الكتب غير مشكولة عند التلفظ بها واصطلح على وضع علامات للاستفهام والنداء وما اشبه ابرهيم مخائيل عطا



المعرض الزراعي الصناعي

افتتح سمو الخديوي المعظم المعرض الزراعي الصناعي يوم الاربعاء في الثالث من مارس بالاحتفال المعتاد . فابتدأ المدعوون الى الاحتفال رسميًّا يفدون الى حديقة المعرض من الساعة العاشرة ونصف صباحاً وهم حضرات اصحاب الدولة امراء العائلة الخديوية وحضرات النظار ومستشاري الحكومة واكابر رجال المعية وسعادة محافظ العاصمة واعضاء الدومين وصندوق الدين وجناب السر الدن غورست وغيرهم من وكلاء الدول واكابر الاعيان والتجار ورجال الصحافة من وطنيين واجانب

وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً اقبل سمو الخديوي المعظم في موكبهِ الحافل وعن يسارهِ في مركبتهِ عطوفة بطرس باشا غالي رئيس النظار فصدحت الموسيقى بالسلام الخديوي وخف دولة البرنس حسين باشا كامل رئيس الجمعية الخديوية الزراعية وحضرات اعضاء مجلس ادارتها وغيرهم من اكابر رجالها فاستقبلوهُ بالاجلال والاكرام وحياهم سموهُ مصافحة وحيا كذلك حضرات البرنسات الفخام ووكلاء الدول ورجال الحكومة وغيرهم وتوجه الى دار المعرض حيث سار دولة البرنس حسين بمعيتهِ يشرح لسموهِ ما هو معروض فيها من محصولات القطر كالقمح والذرة والشعير والفول والارز وسائر انواع الحبوب والقطن على اختلاف اصنافهِ وقصب السكر والبنجر وبعض الحاصلات الحيوانية من لبن وجبن وزبدة وعسل وشمع وما شاكل . والخضر على اختلاف اصنافها وانواعها ومما استوقف الابصار هناك خصوصاً شجرتا قطن زرعتهما مصلحة الدومين في قطعتين متجاورتين من ارض واحدة

وخدمتهما خدمة واحدة من كل وجه ولكن الواحدة زرعت في ارض مصرفها عميق والاخرى في ارض ليست كذلك فنمت التي زرعت في القطعة الاولى اضعاف ما نمت التي زرعت في القطعة الاخرى وكان محصول الفدان من الارض ذات المصرف العميق ثمانية قناطير ومحصول الفدان من الارض الاخرى ثلثة قناطير فقط فالعبرة كلها بالري والصرف

وتوجه سموهُ بعد ذلك الى الصيوان الذي عرض فيهِ صنع الكسوة الشريفة وكان كل الصناع من الحاكة والمطرزين وغيرهم لابسين الطيالس المقصبة فوق ثيابهم المعتادة. وقد سر المشاهدون بعرض هذه الصناعة الجميلة المتقنة وشكروا عبد الله بك فائق مديرها على هذه الفكرة. ومما يستحق الاعتبار ان سر هذه الصناعة محصور الآن في شيخ جليل طاعن في السن وولديهِ لا يعرفهُ سواهم فهم يديرون العمل من حياكة ونسج وتطريز ويتوارثون هذا السر خلفاً عن سلف وهذا ليس من الحكمة ولا الصواب بل هو من الامور التي افقدت الشرق سر صنائع كثيرة بانقراض الذين كانوا حافظين سرها. وقد قيل لنا ان ذلك الشيخ عرض على الحكومة مرارًا ان يعلّم غيرهُ سر صناعتهِ اذا رتبت لهُ معاشاً يرثهُ ولدهُ من بعدهِ فلم يجب الى طلبهِ فيحسن بالحكومة تلافي هذا الامر بما يرغب الشيخ في تعليم كثيرين سر صناعتهِ. وقد رأينا نموذجات مما كان يصنع للكسوة في الماضي وما يصنع الآن وهو يفوق الماضي اتقاناً وجمالاً وحسن كتابة ولكن حرير هذه الايام ادنى من حرير الايام الماضية كثيرًا

وبعد ما طاف الجناب العالي باقسام المعرض الزراعي قسماً قسماً ودَّع وعاد باليمن واقبال فوُدع بمثل ما قوبل من الاحتفال والاجلال وتم بذلك افتتاح المعرض

نظرة اجمالية

وقد تنقلنا في المعرض برهة مع جمهور المدعوين والقينا عليهِ نظرة اجمالية فوجدنا انهُ متقدم على ما سبقهُ من المعارض في القسم الصناعي خصوصاً ولكن المواشي والدواب المعروضة فيهِ اقل مما كان في المعرض الزراعي الاخير ولا غرابة في ذلك فعرض المواشي والدواب يقتضي نفقة كبيرة فلا يرغب فيهِ عامة الاهالي الاّ اذا نالوا منهُ عوض ما ينفقونهُ كأن تعطى لهم جوائز نقود وهذا غير ميسور الآن فيكتفى بعرض المواشي في معارض الاقاليم

ومما يشرح الصدر في هذا المعرض خصوصاً معروضات الصنائع الوطنية ولاسيما معروضات المدارس الزراعية والصناعية ونحوها. فتلامذة مدرسة الزراعة المصرية يستقبلون المشاهدين بوجوه باشة ويعرضون عليهم معروضاتهم الزراعية المتعددة الاشكال ومدرسة محمد علي الصناعية بالاسكندرية عرضت معروضات على غاية بالاتقان من صنع تلامذتها وتلميذاتها

في النجارة وعمل الاثاث والحدادة وسكب الحديد والسروجية وصنع الاحذية وعمل الكراسي من الخيزران والتطريز البديع ومن جملة ذلك صورة جامع قايتباي وكلها من تطريز تلميذاتها ومدرسة الصنائع والفنون ببولاق ومدرسة الورش الصناعية عرضتا معروضات بديعة متينة من عملها . ومدرسة العميان عرضت مصنوعات متعددة الاشكال والالوان على غاية الاتقان . ومدرسة محفل الاتحاد بالمنصورة عرضت معروضات جميلة . ومعمل الجمعية الزراعية الكيماوي عرض مفروضات عديدة

وقد عرض افراد الصناع والتجار وبائعو الآلات الميكانيكية معروضات عديدة كمحل الن والدرسن ومحل حسبو ومحل اورنستين وكوبل ومحل كوك ومحل هاجويان والكسندر يونغ ووابورات مكلارين وقصابيته ومحل سنجر صاحب آلات الخياطة وقد ارانا مديرهُ رسم الجناب العالي مصنوعاً بآلة خياطة من آلاتهِ وقال لنا ان المقطم انتقد رسم سموهِ الذي عرضناهُ منذ اربع سنوات واصاب في انتقادهِ فحملنا ذلك على الاعادة والتكرار حتى اتقنا هذا الرسم غاية الاتقان بفضل الانتقاد المصيب . وقد رأينا نولاً للخواجا حبيقه ينسج الحرير الكشمير نسجاً بديعاً . وشاهدنا من المعروضات الحريرية المصنوعة في المعامل الوطنية ما يعجز قلم البليغ عن وصفهِ وكذلك البسط والسجادات والمصنوعات الحريرية التي تصنع في معمل هركه الشاهاني وهي بديعة واعجبتنا العطور التي يصنعها معمل محمد التبراوي الماوردي . وكذلك مرشح شوقي الذي يبيع منهُ للمحل الصحي في حلوان وآلة اطفاء الحريق المسماة مانياكس وقد صنع حضرة ماريوس بك شميل آلة منها لعربية الجناب العالي . ومما يستحق الذكر ايضاً خصوصا شمع الستيارين الابيض النقي الصلب الذي يصلح للبلاد الحارة وهو يصنع في معمل الكوكب المصري الذي انشئ في الحضرة منذ مدة غير طويلة وهو على اشكال مختلفة الى غير ذلك من المصانع والمصنوعات الكثيرة المقطم

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٩)

زراعة السلجم والخس والسمسم

يزرعون السلجم في مديريتي اسيوط وجرجا لاستخراج الزيت منهُ . فيبذرون "التقاوي" في الاراضي التي تروى مباشرةً بمياه الفيضان حالما تُصرَف المياه عنها

ويقيم السلجم في الارض ثلاثة اشهر فيقلعونهُ ويدقونهُ على البيادر بالنبابيت

ويلزم نحو ١٠ فعلة لقلع جنى الفدان في يوم و ٦ فعلة لدقهِ

ويذرّي السلجم وينظف وينقى كغيرهِ من الحبوب باجرة $\frac{1}{12}$ من الاردب لكل فدان

ويجنى من الفدان بين ٤ و ٦ ارادب . وسوق هذا النبات لا تصلح الَّا وقوداً . وكثيراً ما يتركها المزارعون على البيادر فيجمعها فقراء الفلاحين لانفسهم

الخس — في انحاء طيبة الجنوبية وفي ما وراء قنا يستبدلون زراعة السلجم بزراعة الخس . فيزرعونهُ مع الشعير والعدس في الاراضي التي تروى بالراحة او مع الذرة في الاراضي التي تسقى بالآلات . ففي الحالة الاولى يمزجون $\frac{1}{4}$ اردب من "تقاوي" الخس مع اردب من حبوب العدس او الشعير . وفي الحالة الثانية يزرعون منهُ $\frac{1}{4}$ اردب في كل فدان ذرة وذلك قبل جنى الذرة بعشرين او خمسة وعشرين يوماً اي حين لا يبقى لزوم لإروائها

ولا يسقى الخس مطلقاً في مدة تفريخهِ . فيبقى ستة اشهر في الارض وحينما يدرك يقطعون رؤُوسهُ ويعرضونها للشمس على البيادر ستة ايام ثم يدقونها بالنبابيت

ويتراوح ريع الفدان من حب الخس بين اردبين وستة ارادب . وثمن الاردب منهُ في قنا ستة فرنكات

وتزهو زراعة الخس في ضواحي ادفو حيث يزرعون $\frac{1}{24}$ من الاردب في الفدان فيجنونهُ ٣٦ ضعفاً . ويباع الاردب منهُ هنالك بخمسة فرنكات

وكثيراً ما يستخدم الخس الاخضر علفاً للبهائم فيقل بذلك محصولهُ حبّاً

السمسم — يستخرج من السمسم شيرج صالح للاكل

وهو يزرع في جهات قنا من الوجه القبلي وفي جميع انحاء الوجه البحري

اما في جهات قنا فيحرثون الارض لزراعتهِ عدة مرات . وبعد ذلك يقسمون الارض الى مربعات على نحو ما يعمل في زراعة الذرة ويزرعون منهُ في كل فدان $\frac{3}{48}$ من الاردب . ونسقي الحقول "بالشادوف" ثلاثة اشهر . ويقوم الانفار الذين يزرعونهُ بنزع الاعشاب البريَّة من بين الزرع ويحصدهِ وقت ادراكهِ . فيلزم خمسة فعلة لجني محصول الفدان في يوم

وبعد حصدهِ بالمناجل يجمعونهُ حزماً يشدّونها بحبل يحيط بها . وعندما تيبس رؤُوس السنابل التي تكون متجهة الى الاعلى يميلونها جانباً فتتناثر الحبوب من اوعيتها . واذا بقي شيء منها يعيدون الحزَم الى سابق وضعها . وبعد ان تتعرَّض للشمس يومين او ثلاثة يعودون فيكفأونها ويجمعون ما يتساقط منها من باقي الحب . فيستغلون من الفدان نحو ٦ ارادب

سمسماً يباع الاردب منهُ بستة عشر الى تسعة عشر فرنكاً فضلاً عن السوق التي ينتفع بها وقوداً

اما في الوجه البحري فيخصصون لزراعتها اقرب الاراضي لمياه السواقي ويزرعون في كل فدان ١/٢٤ من الاردب بعد تغريق الارض جيداً بالماء عدة ايام . ويغطون « التقاوي » المزروعة بان يفلحوا الارض مرةً أُخرى . ويسقونها من السواقي للمرة الاولى بعد زرعها بخمسة وعشرين يوماً ويعيدون سقيها كل عشرة ايام حتى يرتفع النيل فيقيمون على محيطها سدًّا صغيرًا يثلمونهُ حيث يريدون جرّ المياه الى الارض وقت لزومها . ويبقى السمسم في الارض خمسة اشهر اي لغاية اكتوبر . ويقتضي لجنى الفدان عمل عشرة فعلة في يوم . وينقلون المحصول الى البيادر حيث يعرّضونهُ لحرارة الشمس شهرًا يقلبونهُ في اثنائهِ يوميًّا لييبس جميعًا فيدقونهُ بالنبابيت الى ان يقع الحب منهُ

ويختلف ريع الفدان من ٤ الى ٥ ارادب وثمن الاردب من ٢٢ الى ٥٦ فرنكاً

زراعة القرطم

تتسع الارض لزراعة القرطم بين القاهرة واسنا غير انهُ لا يزرع في الفيوم ولا في الوجه البحري . ولزراعتهِ غايتان خاصتان احداهما الانتفاع بزهرهِ في الصباغة والاخرى استخراج الزيت من حبهِ

ويكثر زرعهُ في مديرية اسيوط حيث يزرعونهُ بذرًا تارةً قبل حرث الارض وتارةً بعدهُ في اثلام يخطونها بالمحراث وفي هذه الحالة يزيد محصولهُ شيئًا يسيرًا . اما فقراء الفلاحين فيزرعونهُ كالذرة في حفر يحفرونها بالاصابع . فتستغرق زراعة الفدان خمسة عشر يومًا يشتغل بها عامل واحد

ويبتدئ الازهار بعد ثلاثة اشهر من زرعهِ اي بين ١٠ و ٢٥ ابريل وفي بعض جهات طنطا يتأخر الى اوائل مايو . ويستخدم لكل فدان ١٢ الى ١٥ شخصاً من النساء والاولاد يجمعون في كل صباح ما يفتح من الزهر . وبعد ان يذبل الزهر في الظل يدقونهُ في هاون من خشب الى ان يصير بقوام العجين فيصنعون منهُ اقراصاً صغيرة يزن العشرة الى الخمسة عشر قرصاً منها جافة رطلاً

ويستخرج من زهر الفدان ثلاثة قناطير من هذه الاقراص التي تسمَّى بالعصفر (او الزعفران) يباع القنطار منها بين ٣٠ و ٦٠ فرنكاً تبعاً لجودتها ورواجها او كسادها

وفي مديرية جرجا يغشون معجون العصفر هذا بمزجهِ بدقيق الترمس فيخلطون رطلاً

منهُ بكل ستة ارطال من المعجون فتقل بذلك قيمتهُ · وافضل اقراص العصفر ما يعمل في طنطا و يتلوهُ اقراص اسيوط فالقاهرة

وخلافاً للمعتاد في اسيوط والقاهرة يزرع القرطم في انحاء طيبة وجرجا مع العدس ولذلك لا تزيد غلَّة الفدان هنالك عن اردب ونصف

واشتهرت اسيوط بكونها مركز تجارة هذا الصنف فيصدر من اسواقها كميات وافرة الى القاهرة وبلاد العرب بطريق القصير

و بعد جني الزهر يتركون نبات القرطم في الارض الى ان ييبس فيقلعونهُ ويدقون الحب منهُ بالنبابيت فيجنون من الفدان الذي يكون قد قطف من زهرهِ اردبين او ثلاثة ارادب حبًّا · ويبلغ ريع الفدان الذي لا يجنى زهرهُ كما هي الحال في البلاد بين فرشوط واسنا نحو ستة ارادب حبًّا يباع الاردب منهُ من ٦ الى ١٠ فرنكات

اما سوق القرطم فتستعمل وقوداً يختلف ثمنها باختلاف الاماكن. فما يباع منها بفرنكين في اسيوط يباع بثمانية فرنكات في القاهرة

الهمَّة والآفات الزراعية

يعجبنا من الفلاَّح المصري اجتهادهُ في خدمة زراعتهِ فيثابر على الحرث والزرع والعزق والجني مثابرة مَن يعلم ان معيشتهُ متوقفة على زراعتهِ ولكن اذا عرضت آفة لمزروعاتهِ فاما انهُ لا يلتفت اليها او انهُ يجبن عن مقاومتها ويتركها تفتك بمزروعاتهِ امام عينيهِ كانهُ يسلّم للاقدار ولا يعوّل حينئذٍ على الاجتهاد والسعي كما عوّل عليهما قبلاً

مررنا بالامس بزراعة كبيرة فيها القمح والفول والحلبة والبرسيم ورأينا فيها كلها من دلائل الاجتهاد ما يعود على المزارعين بالمدح ومن دلائل الاهمال ما يعود عليهم باللوم فالارض محروثة ومزروعة ومخدومة جيداً ولكن جوانب المراوي مثغورة حتى يتعذَّر المشي عليها وقد نما الهالوك (خانق الذئب) بين الفول فكاد يهلكهُ ولو جمعهُ اصحاب الزراعة عند اول ظهورهِ وحرقوهُ لنجوا من شرهِ ولكنهم رأوهُ وتركوهُ كانهم حسبوا انهُ آفة المية فلا تجوز مقاومتها · ورأينا بين القمح سنبلاً مضروباً بالارجوت وهو مادة فطرية سوداء كدقيق الفحم تتلف السنابل التي تقع فيها وتلصق بغيرها من حبوب القمح فتجعل لون دقيقها اسمر · وهو داء موذٍ والتخلص منهُ سهل جدًّا لانك قلما تجد في الفدان اكثر من عشرين سنبلةً مصابة بهِ تجمع في عشر دقائق

ويجب ان يفهم الفلاحون ان الهالوك والجدوار مضرّان جدًّا وانهُ يجب ان لا يطرحا على الارض حين قلعهما ولا يرميا في مساقي الماء بل يجب ان يحرقا حتى تتلف بزورها

ومما يدخل في هذا الباب قلة الاعتناء بجسور الترع فان الفلاح يكسر جسر الترعة كما روى منها ويتحمل اشد المشاق هو وبهائمهُ في المشي عليهِ كل ذلك بخلاً ببضعة غروش ثمن بربخ من الخشب او الخزف وتراهُ اذا باع قطنهُ او قمحهُ للتاجر يتجاوز عما ثمنهُ ريالات او جنيهات

طفي الشراقي

طلب البعض من اعضاء الجمعيَّة العمومية ان تأذن مصلحة الري لكل مزارع بالقدر الذي يحق لهُ من الماء وهو مخيَّر في استعمالهِ لري القطن او لري الذرة . والظاهر ان الحكومة لم تعبأ بهذا الطلب حتى الآن او لم تَرَ وجهاً لاجابتهِ لان زراعة القطن يجب ان تقدَّم على كل زراعة اذ عليها يتوقَّف دفع الاموال الاميريَّة ولاسيما في الوجه البحري وعليها ايضاً يتوقف دفع ربا الديون المتراكمة على القطر وثمن الواردات كلها . ولكن ان صدق ذلك على الوجه البحري بنوع عام فهو لا يصدق على الوجه القبلي واذا فرضنا انهُ يصدق على الوجه البحري فرجال الري ليسوا ادرى بمصلحة الفلاَّح من الفلاَّح نفسهِ . ويمكن التوفيق بين طلب ارباب الزراعة وغرض رجال الري بتوزيع المياه بالقسط على زمام الاطيان وترك الخيار لارباب الزراعة ليزرعوا ما شاؤُوا . وقد شرعت مصلحة الري في توزيع المياه حسب الزمام بانها امرت كل صاحب طين ان يضع ماسورة في الترعة التي يروي منها تكفي لري اطيانهِ فقط . و بلغنا من باشمهندس احدى المديريات انهُ لقي مشقة شديدة في اول الامر في اقناع اصحاب الاطيان بوضع هذه المواسير حتى اضطرَّهم الى ذلك اضطرارًا والآن توزع المياه هناك بالقسط . فاذا تمَّ توزيع المياه كذلك في كل المديريات وشُدّدت المراقبة عليها لم يعد مانع من التصريح باستعمال المياه لري القطن او لري الذرة حسبما يشاء صاحبها. فاذا رأى ان ري القطن اربح لهُ لم يتلف قطنهُ لري الذرة واذا رأى ان ري الذرة اربح لهُ لم يفضل القطن عليها

ولم نكن نحسب ان تأخير اسبوعين في طفي الشراقي يؤَثر كثيرًا في زراعة الذرة حتى قابلنا امس جماعة كبيرة من الفلاحين انفسهم في جهات مختلفة وسألناهم على انفراد عن زراعة الذرة وسبب ضعفها في العام الماضي فاجمعوا كلهم على ان سبب ذلك تأخير طفي

الشراقي اسبوعين فانهُ اضرّ بالمحصول والضرر كبير جدًّا فالفدان الذي يبلغ محصولهُ عشرة ارادب عادة لم يبلغ محصولهُ اكثر من خمسة · اما اراضي الجزائر والسواحل التي تروى من النيل بواسطة الآلات مباشرة وقد اطفئت باكرًا فقد جاءت زراعتها على ما يرام وبلغ محصول الفدان فيها من عشرة ارادب الى عشرين اردبًا

ومتى تأخرت زراعة الذرة تأخرت زراعة القمح والفول بعدها وشمل التأخير المزروعات كلها ومن ذلك ضرر كبير في غالب الاحيان

فعلى اصحاب الاطيان من رجال الري ان يتدبروا ذلك ويسرعوا في تحديد المياه التي يمكنهم اعطاؤها للاطيان ويوزعوها عليها بالقسط ويتركوا لاصحابها الخيار في استعمالها على ما يرونهُ مناسبًا لهم

ولو كان اختيار مفتشي الري ومهندسيهِ في يدنا لاشترطنا على كلٍّ منهم ان يكون صاحب اطيان وان يشتغل بيدهِ في الزراعة بضع سنوات حتى يتعلم بالعمل ما يلزم للمزروعات من الري واوقات ريها · اما التعلم في المدارس الهندسيَّة ولا سيما المدارس الانكليزيَّة فلا يكفي لحاجة القطر المصري على الاطلاق . لان العلم النظري لا يغني عن العلم العملي ولا سيما في مصلحة الري

زراعة الاثمار

رأينا قبيل كتابة هذه السطور فكهانيًّا يخرج سباطات (اقراطًا) من الموز من صندوق كبير فسألناهُ عن نوع الموز فقال بلدي ولما رأى اننا ارتبنا في صدقهِ اعترف ان الموز اميركي اي من جزائر اميركا · وهذا ما ظنناهُ لانهُ مثل موز جاميكا الذي كنا نأكلهُ في اوربا · وقد انتبهنا منذ عهد طويل الى ان جانبًا كبيرًا من الموز الذي يباع الآن في عاصمة الديار المصرية وفي اكبر بلد زراعي واصلح البلدان لزرع الموز يؤتى بهِ من جزائر الاوقيانوس الاتلنتيكي كما يؤتى بهِ الى لندن وباريس وهذا مما يقضي بالعجب فان القطر المصري من اصلح البلدان لزرع الموز وهو يزرع فيهِ الآن وزراعتهُ رابحة جدًّا مثل زراعة كل انواع الفاكهة ولاسيما ما تنتجهُ البلاد الحارَّة والمعتدلة كالموز والبرتقال

قال المستر جونس احد تجار الانكليز وهو رئيس شركة السفن التجارية المعروفة بشركة دمبستر انهُ مرَّ بجزائر كناري مرةً فرأى فيها مستعمرة اسبانية اخذ الفقر من اهلها كل مأخذ لانهم كانوا يعيشون من زرع الصبير وتربية دود القرمز فلما صنع الكيماويون صبغ الانيلين

وبطل استعمال القرمز ساءت حالهم جدًّا فامسوا في فاقة شديدة ولم يخطر لهم ببال ان يلتفتوا الى زراعة اخرى يعيشون بها ورأى المستر جونس خصب ارضهم فاشترى كل ما قبلوا ان يبيعوهُ منها ووعدهم بانهُ يشتري منهم كل الاثمار التي ينتجونها وسلّفهم نقودًا يستعينون بها على زرع البساتين وللحال ارتفع ثمن الارض حتى بلغ ثمن الفدان الف جنيه وبلغ دخل تلك الجزائر الصغيرة من الاثمار فقط مليون جنيه مع ان عدد سكانها لا يزيد على ٣٦٠ الف نفس

فاذا اتقن القطر المصري زراعة الاثمار التي تروج سوقها في اوربا كالموز والبرتقال والنجو والخضر التي تروج فيها اذا أُرسلت اليها باكرًا كالطماطم والبطاطس فلا يستحيل عليهِ ان يرسل اليها كل سنة من هذه الحاصلات ما يبلغ ثمنهُ بضعة ملايين من الجنيهات عدا عن انهُ يستغني بما يجني منهُ عمّا يرد اليهِ الآن من الخارج

وقد تقدَّم ان فدان الارض في جزائر كناري صار يساوي الف جنيه بعد ان يئس اصحابهُ من اكتساب شيء منهُ وكادوا يموتون جوعًا ولم يعلُ ثمنهُ كذلك الاّ لان ريعهُ زاد كثيرًا فصار يستحق هذا الثمن. ولا شبهة ان تربة القطر المصري والقطر السوري لا تقلُّ جودة عن تربة جزائر كناري والسكان ليسوا اقل همة من الاسبانيين سكان جزائر كناري وان خيف من الآفات التي تعتري البساتين احيانًا كآفة الليمون فالحكومة الساهرة على مصلحة بلادها تجد سبيلاً للتخلص منها ولذلك يحق لنا ان ننتظر ان الاراضي التي تزرع اشجارًا مثمرة او تعد لزراعة الخضر يصير فدانها يساوي الف جنيه اي يصير ريع الفدان منها نحو مئة جنيه في السنة. وقد بلغنا ان لبعضهم احد عشر فدانًا قرب ميت غمر مزروعة جنائن وايجارها السنوي نحو الف جنيه. واخبرنا احد الاصدقاء انهُ زرع دوالي العنب في مكان قريب من دمنهور فلم يكد عنبها ينضج حتى اشتراهُ اهالي البلاد المجاورة وبلغ متوسط ثمن الاقة غرشين وهو ثمن غالٍ جدًّا للعنب اذا بيع في ارضهِ واذا هبط الى ربعهِ بكثرة المزروع من العنب يبقى منهُ ربح كبير جدًّا. واذا كثر حتى زاد عن المقطوعية صنع منهُ الزبيب والخمر وقس على ذلك التين والمشمش والبرقوق فانهُ يمكن تقديدها كلها اذا زادت عن المقطوعية او تعذَّر تصديرها الى الخارج ومن هذا القبيل الليمون الحامض فانهُ يمكن تكثيف عصيرهِ او تجميدهُ واصدارهُ الى اوربا

ولا يخفى انهُ لا يتيسَّر الاكثار من زرع الجنائن دفعةً واحدةً بل لا بدَّ من السير في ذلك حسب مقطوعية البلد وحسب الطرق التي تستعمل لنقل الاثمار ونحوها الى اوربا وتكثير سكك الحديد الواسعة او الضيقة في القطر المصري كلهِ حتى لا تبقى صعوبة في النقل بسرعة

باب التقريظ والانتقاد

تجارة مصر الخارجية[1]

اهدت الينا ادارة عموم الاحصاء تقريرها السنوي الاول عمّا دخل مرافئ القطر المصري وخرج منها ومرّ بها من البضائع والركاب . ويظهر منهُ ان عدد السفن التجارية التي دخلت موانئ القطر المصري في العام الماضي لتفريغ شحنها وركابها فيها ٣٢٤٥ سفينة وقد فرّغت من الشحن ٤٠٣٤٣٨٠ طنًّا ومن الركاب ١٢٥٤٠٧ . واكثرها دخل ميناء الاسكندرية ويتلوهُ ميناء بورت سعيد فالسويس فالطور . والسفن التجارية التي دخلت ميناء الاسكندرية ٢١٢٧ والتي دخلت ميناء بورت سعيد ٨٧٩ والتي دخلت ميناء السويس ٢٤٣ والتي دخلت الطور ٩٥

والسفن التي خرجت من هذه الموانئ في خلال السنة الماضية ٣٣٦٢ اخذت معها من الشحن ١١٢ ١٥٦ ١ طنًّا ومن الركاب ١١٦١٩٨ واكثرها خرج من ميناء الاسكندرية فبورت سعيد فالسويس فالطور

اما السفن الشراعية التي دخلت موانئ القطر المصري فبلغ مجموعها ٢٠٤٤ ومحمولها كلها ٢٢٢٦٦٨ طنًّا والتي خرجت منها ٢٠٠١ محمولها ٢٢٨٩٧١ طنًّا

والسفن التجارية والشراعية المذكورة آنفًا لا تشمل السفن التي مرّت ببورت سعيد وانزلت شحنًا او ركابًا بقصد مرورهِ الى بلاد اخرى (ترنست) ولا السفن التي مرّت ببورت سعيد ولم تنزل شحنًا ولا ركابًا

اما السفن التي مرّت بقنال السويس في العام الماضي فبلغ مجموعها ٣٧٢٧ سفينة وصافي محمولها ١١٣٥٧١٧٩ طنًّا وهي لامم مختلفة كما ترى في هذا الجدول وقد ذكرنا فيهِ صافي محمول سفن كل امة على حدتها

(1) Shipping, Cargo and Passenger traffic in the ports of Egypt and Suez Canal transit for 1908.

بريطانيا	٦٨٥٨٦٩٥	دنمارك	٧٠٦٥٥
المانيا	١٩٢٧٦٣٤	اسبانيا	٦٤٨٨٤
فرنسا	٠٧١٤٧٢٩	نروج	٤٨٧٧٠
هولندا	٠٦٦٠٠٤٥	تركيا	٢٦٦٤٠
النمسا	٠٣١٤٧٩١	اليونان	٠٨٩٠٠
اليابان	٠٢٥٧٦٢٥	اميركا	٠١٢٥٢
روسيا	٠٢٠١٣١٥	امم اخرى	٣٧١٤٤
ايطاليا	٠١٦٤١٠٠	والمجموع	١١٣٥٧١٧٩

مساحة القطر المصري

THE CADASTRAL SURVEY OF EGYPT

لم يشأ الكبتن ليونس ان يودع القطر المصري قبل ان يتحفهُ بكتاب مسهب عن اعمال المساحة التي عملت فيهِ من قديم الزمان الى الآن. وقد نشر الكتاب بالانكليزية لكنهُ ترجم الى العربيةّ وهو يطبع بها الآن وهذا امرٌ طالما تمنيناه كلما رأينا كتاباً انكليزياً من كتب مصلحة المساحة

وقد جاء في هذا الكتاب ان كثيرين اهتموا بمساحة اراضي القطر المصري في ازمنة مختلفة من عهد المصريين القدماء الى زمن سعيد باشا بين سنة ١٨٥٣ وسنة ١٨٥٩ ولكن المساحة الاخيرة التي شُرع فيها سنة ١٨٧٨ ولم تزل جارية الى الآن هي المساحة الوحيدة التي صنعت فيها خرائط للاراضي الممسوحة حوضاً حوضاً

والمساحات الحديثة حدثت في الاوقات التالية على ما في هذا الكتاب

الاولى بين سنة ١٨١٣ و ١٨٢٢ على يد المعلم غالي والمسيومازي الايطالي ورسمت فيها خريطة ٦٠ قرية في الشرقية

الثانية سنة ١٨٥٣ على يد بهجت باشا

الثالثة سنة ١٨٦١ وهي مساحة طوبوغرافية على يد محمد باشا الفلكي

الرابعة من سنة ١٨٧٨ الى ١٨٨٨ لجزء من البحيرة والغربيةّ والمنوفية والقليوبيةّ والفيوم

الخامسة سنة ١٨٩٢ وما بعدها لسائر جهات القطر

وفي الكتاب فوائد جمة تتعلق بمساحة الاراضي والمقاييس المستعملة فيها وقد جاء فيهِ ان مقاييس المصريين القدماء كان مبدأها القبضة وهي اربع اصابع وفوقها الراحة وهي قبضة وربع والفتر وهو ثلاث قبضات والشبر وهو ثلاث قبضات ونصف قبضة والعضد وهي خمس قبضات والذراع القصيرة وهي ست قبضات والذراع الطويلة وهي سبع قبضات . وطول القبضة ٧٥ مليمترًا . الّا ان طول الذراع الطويلة لم يكن واحدًا دائمًا كما يظهر من مقاييس النيل الباقية الى الآن في جزيرة انس الوجود وجزيرة اصوان وهيكل ادفو وهيكل اسنا وهيكل لقصر . واطولها ٥٥ سنتمترًا واقصرها نحو ٥٤ سنتمترًا وكذا الذراع القصيرة فان اطولها ٥٢ سنتمترًا ونصف سنتمتر واقصرها ٥٠ سنتمترًا

اما القصبة فاختلف طولها فقد قال محمَّد باشا الفلكي انها كانت في عهد الرومانيين تساوي ٣ امتار و ٩٤ سنتمترًا وان القصبة الهاشمية تساوي ٦ اذرع و ١٨ قيراطًا بالذراع الهاشمية او ٣ امتار و ٨٨٤ مليمترًا وقال المسيو جومار انهُ وُجدت قصبة في جامع بالجيزة زمن الحملة الفرنسوية طولها ٣ امتار و ٨٥ سنتمترًا . ثم جُعل طول القصبة ٣ امتار و ٦٤ سنتمترًا في زمن محمد علي . وفي ١٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٧ (١٨٦١ م) امر سعيد باشا ان يكون طول القصبة ٣ امتار ٥٥ سنتمترًا وان تكون مساحة الفدان ٣٣٣ قصبة مربعة و ⅓ قصبة وهو الجاري الى الآن وتعتبر مساحة الفدان الآن ٤٢٠٠ متر مربع و ٨٣٣و٠ من المتر

وكان القدماء يجرون على طريقة تقريبيَّة في مساحة الارض كما يفعل المساحون الآن اي انهم كانوا يحسبون الارض ذات الاربع الجوانب قائمة الزوايا ويضربون متوسط الضلعين المتقابلين في متوسط الضلعين الاخرين المتقابلين . واذا كانت الارض مثلثة كانوا يستخرجون مساحتها بضرب ساقها في قاعدتها واخذ نصف الحاصل كأَنها قائمة الزاوية واذا كانت كثيرة الاضلاع كانوا يقسمونها الى مثلثات ولا يخفى ان هذا العمل لا يصحُّ الاَّ اذا كان المثلث قائم الزاوية . وقد بلغت مساحة الاطيان الزراعية في القطر المصري على ما قالهُ المقريزي ٢٢٦٣٥٠٠ فدان اي اقل من نصف مساحة الارض الزراعية الآن

والكتاب كبير فيهِ اكثر من اربع مئة صفحة وكثير من الخرائط والرسوم البديعة

المدارس في القطر المصري

نشرت ادارة عموم الاحصاء كتابًا كثير الجداول والارقام قالت انهُ كشف احصاء التلامذة في المدارس العمومية والخصوصية في القطر المصري من سنة ١٩٠٧ الى ١٩٠٨

وقد اشرنا اليهِ في مقالة خاصة في هذا الجزء وهو مطبوع بالانكليزية والعربيَّة ايضاً ولا غناء عنهُ لمن يبحث في تقدم القطر المصري من حيث نشر العلوم والمعارف

التقرير الثالث

لدور البحث العلمي في الخرطوم

THIRD REPORT OF THE WELLCOME RESEARCH LABORATORIES AT THE GORDON MEMORIAL COLLEGE, KHARTOUM.

هذا التقرير او الكتاب اثر نفيس للبحث العلمي الذي قام بهِ علماء الانكليز في بلاد السودان هم والذين ساعدوهم في ذلك من رجال الحكومة وغيرهم

ومدار التقرير على الامراض والآفات التي تعتري الناس والحيوانات والنباتات في بلاد السودان وعلى كل ما يتعلَّق بالصحة العمومية . ففيهِ بحث مستفيض مثلاً في داء النوم ومرض المواشي . والاحوال الصحيَّة في الخرطوم والافاعي السامَّة والحشرات الضارة بالانسان والحيوانات التي تضرُّ بالمزروعات والاشجار . وطرق العلاج المستعملة عند الاهالي في بلاد السودان وكيمياء الصمغ العربي ونحو ذلك من المباحث التي تعود بالنفع على بلاد السودان

وفي هذا التقرير كثير من الرسوم الملونة بالوان بديعة تمثل جراثيم الامراض بالوانها الطبيعيَّة او كما ترى بالميكرسكوب وتمثل الحشرات المختلفة عدا رسوم الاهالي التي يستدلُّ منها على سحنتهم والبستهم وما اشبه . وقد اطلعنا على كثير من تقارير الحكومة الانكليزية والاميركية فلم نرَ فيها ما هو اجمل طبعاً واكثر اتقاناً منهُ

والتقرير بالانكليزيَّة كما لا يخفى ولو ترجم الى العربية ولو تلخيصاً لكانت منهُ فائدة كبيرة لقرائهِ من سكان هذا القطر والقطر السوداني علماً وعملاً . مثال ذلك انهُ يصف الافاعي السامَّة ويرسم رسومها فاذا ترجم هذا الفصل الى العربية تلخيصاً ورسمت فيهِ الرسوم ارشد القراء الى تمييز الافاعي السامَّة وتجنبها . وكذلك فصل الحشرات المضرة بالزراعة فانهُ كبير الفائدة ويؤْخذ منهُ ان الجراد اضرَّ في بزراعة بربر سنة ١٩٠٦ بما يساوي ثلاثين الف جنيه . وربما لخصنا فصلاً او اكثر من فصول هذا التقرير في بعض الاجزاء التالية . هذا واننا نسدي وافر الشكر للدكتور بلفور الذي عني بجمع هذا التقرير ونشرهِ

كتاب مطالع الاضواء

في مناهج الكتاب والشعراء

لم يمرَّ بنا شهر جاءنا فيهِ من الكتب المفيدة ما جاءنا في هذا الشهر فكتاب الكبتن ليونس عن اعمال المساحة في القطر المصري وكتاب الدكتور بلفور عن المباحث العلمية في السودان وكتاب مطالع الاضواء هذا من الكتب العميمة الفائدة الدائمة النفع

وكتاب المطالع موضوع لتعليم الانشاء على اساوب مطابق لحاجة هذا العصر فترى قواعد المعاني والبيان والبديع مفصلة فيهِ احسن تفصيل على طريقة السوءال والجواب. وقد قال موءلفهُ في التمهيد الذي مهدهُ لهُ ان الآلات التي يحتاج اليها المنشيءُ غير القريحة المولدة هي اولاً معرفة المتداول من اللغة المأنوس استعمالهُ من فصيح الكلام. ثانياً معرفة علم العربيَّة من صرف ونحو. ثالثاً معرفة تواريخ الامم والدول وتراجم العلماء والمشاهير. رابعاً معرفة وصف البلاد (الجغرافية). خامساً حفظ الجيد من كلام الكتَّاب وقصائد الشعراء. سادساً معرفة علم البيان. وحبذا لو اضاف الى هذه الآلات او الاصول آلة اخرى وهي معرفة مبادىء العلوم الطبيعية والرياضية لانها هي التي تغني المنشيءَ بالمادة المعنوية وتعصمهُ مما يحطُّ من مقام الانشاء مهما كان بليغاً. فمن انشأَ مقامة تفوق مقامات الحريري فصاحةً وقال فيها ان الارض اكبر من الشمس ومن نظم شعرًا يزري بشعر المتنبي وقال فيهِ ان التراب عنصر بسيط سقط انشاؤُها ونظمها في عيون الخاصَّة كما يسقط انشاء من يقول ان البرامكة نكبوا في عهد الامويين وان تهامة في وادي النيل. ولذلك كان لاشعار تنيسن المقام الاسنى عند الانكليز لانهُ جارى كل الحقائق العلمية المعروفة في عصرهِ فاذا اشار الى شيء في الجيولوجيا او المتيورولوجيا او البيولوجيا او الكيمياء او الاقتصاد السياسي ذكرهُ على حقيقتهِ كما يذكرهُ ارباب هذه العلوم. ويلي قواعد المعاني والبيان والبديع خاتمة مسهبة كان الواجب على طابع الكتاب ان يفتتح بها صفحة جديدة لا ان يضع بداءتها في ذيل صفحة اخرى حتى لا يهتدي اليها الاَّ من يفتش عنها. وفي هذه الخاتمة فصول كثيرة تتناول مواضيع مختلفة لكنها مرتبطة كلها بعلم الانشاء اي بتعليم الطالب كيف يصير قادرًا على الانشاء البليغ وهاك فصلاً من هذه الفصول انموذجاً لها وهو فصل طبقات الكلام

س هل الكلام البليغ طبقةٌ واحدة ام هو طبقات

ج ان الكلام المستوفي شروط البلاغة ثلاث طبقات · طبقة ساذجة · وطبقة مزخرفة · وطبقة عالية

س ألا يختلط بعض هذه الطبقات ببعض

ج بلى فقد تجد في الكلام الساذج عبارات من المنمّق المزخرف ومن العالي

س بأيّ اعتبار يقسم الكلام الى هذه الطبقات الثلاث

ج باعتبار المعنى واختلاف وجوهه وباعتبار سبك العبارة وصياغتها وباعتبار مناسبة التعبير للمادّة التي يدور عليها الكلام

س ما الكلام الساذج

ج ما كان مألوف النظم خالياً من تكلف التحسين صحيح المعنى مستقيم التركيب فهو كالمائدة النظيفة تقدم عليها الاطعمة الطيبة بآنيةٍ ساذجة نقيّة . فأيّ من سمعهُ يعتقد انهُ هيّن عليه ولكن متى كلف نفسهُ محاكاتهُ رأى يدهُ قاصرةً عنهُ ولذلك قيل لهُ السهل الممتنع

س أيّة المقامات تقتضيه

ج يقتضيه مقام القصص والاساطير والحكايات والقصائد الزهريّة والمراثي والرسائل والخطب والمحاورات العامة والكتب العلميّة · وفي الجملة فهو مقتضى كل مقام لا يهم المنشئ فيه الاّ ايصال معناهُ الى فهم السامع من اقرب سبيل كالمناشير وصحف الاخبار التي توجَّه الى كل طبقات البشر

س ألا اذكر لي مثالاً لهذه الطبقة من الكلام البليغ

ج اليك قطعة من ترجمة الحريري

"هو ابو محمد القاسم بن عليّ بن محمد بن عثمان الحريريّ البصريّ الحراميّ كان احد أئمة عصره ورُزِق الحظوة التامة في عمله المقامات وقد اشتملت على كثيرٍ من بلاغات العرب في لغاتها وامثالها ورموز اسرار كلامها· ومن عرفها حقّ معرفتها استدلّ بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادّته · وكان سبب وضعه لها ما حكاهُ ولدهُ ابو القاسم عبدالله · قال كان ابي جالساً في مسجد بني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليه أُهبة السفر رثّ الحال فصيح الكلام حسن العبارة · فسألتهُ الجماعة من اين الشيخ قال من سروج . فاستخبروهُ عن كنيته فقال ابو زيدٍ · فعمل أبي المقامة الثامنة والاربعين المعروفة بالحرامية وعزاها الى ابي زيدٍ المذكور واشتهرت فبلغ خبرُها الوزير شرف الدين ابا نصر انوشروان بن خالد ابن

محمد القاشانيّ وزير الامام المسترشد بالله فلما وقف عليها اعجبتهُ فأشار على والدي ان يضمّ اليها غيرها فاتمها خمسين مقامةً "

س ما الكلام المنمّق المزخرف

ج هو ما لا ينفصل عن صورتهِ حتى تذهب طلاوتهُ

س ايَّة المواضيع تطلب النمط المنمق المزخرف

ج هي المواضيع المحبوبة لذاتها والروايات الافتراضية والشعرية وقصائد الوصف والاقاصيص الشعرية والقصائد الزهرية وخطب المحافل العلمية والمدائح واذا اردت امثلةً على ذلك فعليك بمثل كتاب قلائد العقيان وكتاب نفح الطيب وديوان الفارض

س ما هو النمط العالي

ج هو ما حوى من المعنى والتخيل والشعور ما يملك القلب فهو برق القريحة يظهر ظهور الصاعقة ويختفي اختفاءها وهو مستقلٌ عن الصورة اعني ان اختلاف العبارة لا يخرجهُ عن كونهِ عالياً * والنهج من هذا النمط

س بماذا يقوم علو المعنى

ج بالاسلوب الوجيز المؤَثر السريع التسلط على القلب. مثال الاول قول موسى في سفر التكوين " قال الله ليكن النور فكان النور " وقول علي " لا تنصبنَّ نفسك لحرب الله " وقول المسيح " انا نور العالم " وقولهُ ايضاً " السماء والارض تزولان وكلامي لا يزول ". وفي المزامير " رأيت الكافر معتزًّا منبسطاً مثل شجرة ناضرةٍ في ارضها ثم اجتزت فلم يكن والتمستهُ فلم يوجد " وفي الانجيل " لا تقدرون ان تعبدوا ربين الله والمال " . فليس في كل ما قيل في المال نثرًا ونظماً ما يصل في تمثيل سطوتهِ الى ما تصل اليهِ آية الانجيل

س بماذا يقوم التخيُّل

ج بشعور عالٍ عليهِ صورة بديعة كقول المزامير في تمثيل قدرة الله " من مجرَّد صوتهِ يهرب البحر وتتزلزل السماء " . ومنهُ قولك لمن يخيرك بين الحياة مع محاربة الوطن وبين الموت . اموت ولا احارب وطني

س بماذا يفترق العالي عن المنمق

ج بثلاثة امور (١) ان المنمق يذهب رونقهُ اذا ذهبت صورتهُ فهو معصوب بالمحسّنات اللفظية والعالي ساذج وقد يكون خشناً ومبتذلاً وهو ينفكّ عن الصورة ويبقى على طبقتهِ وهو عادة يملك النفس فجأةً وينبثّ فيها كما ينبثّ لهيب الشجاعة والحمية

و (٢) ان المنحق يجيء حتى في المواضيع الحقيرة واما العالي فهو ابداً كبيرٌ وغائص فيما لا حدَّ لهُ

و (٣) ان المنحق يدخل علينا الشعور الحلو اللطيف الحسن

س أإلى اختلاف العصر راجع كل اختلاف في ديباجة الانشاء ام الى اختلاف الكتبة

ج بعض ذلك راجع الى اختلاف الاشخاص والدليل ان المتعاصرين يختلفون في الرقة والجزالة كابي تمام والبحتري والمتنبي وجرير والفرزدق والاخطل

س أليس للعصر سطوة على الذوق

ج نعم فكل من جاء فيهِ يضطرّ ان يستنَّ بسنَّة اهلهِ ويتَّبع عاداتهم ولا يزال ذلك دأب اهلهِ حتى ينبغ فيهم رجل فيبدل من العادات والسنن في الكتابة وينهج مناهج لم ينهجها اهل عصرهِ فيجرّهم وراءهُ ويقودهم الى مناهجهِ لطول باعهِ وعلو كعبهِ فقد يمرُّ على الناس قرن واساليبهم في الكتابة باقية فكم انقضى على الكتَّاب من الاعوام وهم يتعمَّدون المحسّنات اللفظية في الرسائل والخطب كما كان الامر لعهد ابي حليم بطريرك النساطرة وعبد الرحيم بن نباتة الفارقيين. وقد يهجر تعمد المحسّنات اللفظية في ذلك ويكره استعمالهُ قطعة من الدهر ثم ينبغ كاتب تميل نفسهُ الى تلك المحسنات فيتراجع استعمالها كما يقع ذلك في المهجور من الالفاظ والازياء

ويلي هذه الخاتمة نبذة مسهبة في الشعر وابوابهِ وموازينهِ وما يطرأ عليها وقد وضع هذا الكتاب حضرة العالم العامل الشيخ سعيد الخوري الشرتوني صاحب القاموس المشهور المعروف باقرب الموارد

تحفة الانام

في مختصر تاريخ الاسلام

اهديت الينا نسخة من هذا الكتاب والظاهر انهُ طبع حديثاً لانهُ يذكر بين مآثر السلطان عبد الحميد السكة الحميدية الحجازية ومع ذلك نرى في الصفحة ٩٦ منهُ هذا الكلام " وقتل ملك الاندلس قتلهُ طارق وانهزم الكفار " اي مسيحيو اسبانيا . فهل يليق نشر كلام مثل هذا في عصر تريد الامم العثمانية ان تتصافى فيهِ وتتضافر

ديوان عبد الرحيم افندى شكري

لما وقع نظرنا على هذا الديوان ظنناهُ ككثير من دواوين الشعراء كلام موزون ومعان مبتذلة اخلق الجديدان جدتها فلم نكد نقرأُ صفحة او صفحتين منهُ حتى رأيناهُ شعرًا بكل معاني الشعر — صورًا خيالية جسمتها بصيرة الناظم حتى تكاد تراها وتلمسها كقولهِ

عمي الدجى عن مطلع الفجرِ ... في ليلة كسريرة الدهرِ
ولع البكاء بناظريَّ كما ... ولع الندى ببدائع الزهرِ
والروض ممتنع الرقاد وقد ... نمَّت عليهِ مواقع القطر
والليل مشقوق الجيوب وقد ... باح السحاب بطلعة البدر
والطرف بالافشاء متهم ... والقلب مؤتمن على السرّ
واكاد ان لا استقر جوى ... فكأنما خلس الدجى صبري
لا تلحَ مشتاقًا على شجن ... ان الشباب مطية العذر
والسعي رزق والهوى املٌ ... والهجر يأ كل جدة العمر
والصفو قد يفضي الى كدرٍ ... واليسر قد يفضي الى عسر

ومن بديع قولهِ في الحث على الجود للجامعة

فيا حسن ذكر للذين تملكوا ... لباب الغنى فاستمسكوا بالتكرمِ
ايدعى غنيُّ القوم سيد قومهِ ... اذا غاب عنهُ فضل فعل معظم
اذا لم يكن طبع فجودوا تطبعًا ... فرب جميل جاء من متندم
وانتم عماد للبلاد مشيد ... فلا تتركوها كالبناء المهدم
ألم يكفكم فخرًا وعزًّا وسؤددًا ... رجاءٌ محلَّى بالثناء المفخم

وقولهِ في مخاطبة الاقباط

اذا الاواصر لم تجعل لنا سببًا ... فحرمة الود فيما بيننا سببُ
اذا هفوتم رميناكم بمعتبة ... فان هفونا فلا يملككم الغضب
يدان ان تقطعونا تقطعوا يدكم ... كذاك نحن لنا في عزكم ارب
اني على شغفي بالاهل يطربني ... اني اليكم اذا فاخرت انتسب
كانت لكم دولة غراء ثابتة ... في مرتقى العز تبغي شأوها الشهب

والديوان صغير ولكنهُ حافل بمثل هذه الغرر

كتاب الاشتقاق والتعريب

ألَّف هذا الكتاب حضرة العالم الفاضل الاستاذ عبد القادر المغربي احد محرري جريدة المؤيد وقال فيهِ ما يقولهُ كل من عانى التأليف والتعريب والتحرير من ابناء هذا العصر بل من ابناء كل العصور القريبة والبعيدة وهو ان اللغة حيٌّ نامٍ ونموها يكون من الداخل بالمجاز والنحت والاشتقاق ومن الخارج بالتعريب فتستعمل الكلمات لمعانٍ لم توضع لها مجازاً كما استعمل الصرف والبيان للعلمين المعروفين وتنحت كلمة من كلمتين او اكثر كما نحتت الحمدلة من الحمد لله وتشتق كلمة من اخرى كما اشتقت المزولة من الزوال . اما التعريب من اللغات فامثلتهُ في العربيَّة تفوق الحصر . قال المؤلف في فاتحة كتابهِ

" وبعد — فان أُمتنا العربية في اشد الحاجة الى نشر العلوم بين ظهراني ابنائها . ولن يكون تعليم تلك العلوم وافياً بالحاجة مالم يكن بلغة المتعلمين التي نشأُوا على التفاهم بها . ولن تصلح اللغة العربية لاداء هذه الوظيفة مالم تنمُ وتتسع دائرتها وتتوفر فيها الكلمات المحتاج اليها في تلقين تلك العلوم والفنون . ولتوفر تلك الكلمات والاستكثار منها طريقان " الاشتقاق " و " التعريب " أعني جعل الكلمة الاعجمية عربية . وقد نرى الغريب عن اللغة البعيد عن معرفة اسرارها يرميها بضيق العطن وقلة الكلمات المحتاج اليها في المطالب العصرية المختلفة . وان اللغة غير صالحة بالجملة للتعليم والتعلم . واذا عذرنا هؤلاء فلا يحسن ان نعذر ابناء اللغة انفسهم الذين اعرضوا عن الانتفاع بالاشتقاق والتعريب . بل ربما اقاموا العواثير في سبيل ذلك الانتفاع . وليتني كنت ادري ما هو حدُّ التعريب عند اولئك الفضلاء ؟ وما هي طريقتهُ وشروطهُ في رأيهم ؟ وكيف اذا سمعوا بكلمة غريبة عن اللغة عربت وشاعت بين اهلها وطابت لها نفوسهم ومرنت عليها أَلسنتهم — حوقلوا وسجلوا وعدوا دخولها في تراكيب اللغة كدخول ميكروب الامراض الخبيثة في تجاليد الانسان العزيز عليهم : فهم يعملون على اخراجهِ والتخلص من شرهِ بأَية وسيلة كانت . وتراهم من جهة ثانية يرفعون اصواتهم بالانتصار للغة والاعجاب بخصائصها ومزاياها والاحتجاج على اولئك الذين يرمونها بالاملاق وضيق النطاق

واني لا أَرى انتصارهم واحتجاجهم صحيحين . ما لم يعملوا على احياء هاتين القوتين " الاشتقاق " و " التعريب " وتمهيد السبل للانتفاع بهما

وقد اثبت في كتابي هذا ان التعريب قياسي او هو طبيعي في اللغة لا تتيسر مقاومتهُ وان المعرَّب عربي . فاستعمالهُ في الكلام الفصيح لا يحط من قدر فصاحتهِ . ولا يخرج البليغ

عن بلاغتهِ . فان اصبت في رأيي فتلك المثلى . وان كانت الاخرى فليست بالاولى"

وقد اقام المؤلف الادلة الكثيرة العقلية والنقلية على لزوم التعريب وعلى ان العرب جروا عليهِ من اول عهدهم . ويعجبنا قولهُ ان اسم المصحف الذي سمي بهِ القرآن نفسهُ معرَّب عن اللغة الحبشيَّة وهو مشتق من صحف ومعناها بالحبشيَّة كتب وكلمة قاموس التي سمَّى بها الفروزابادي معجمهُ الشهير في متن اللغة العربيَّة غير عربيَّة . وقولهُ ان القول المعتمد عند جهابذة اللغة وصيارف كلمها كسيبويه واضرابهِ ان مدار التعريب على الاستعمال فاذا استعملت الكلمة الاعجمية عندنا اصبحت معربة

اما قولهُ بتفسير "كلمة السكرتير بالناموس كما عرضت في كلامهم" فتساهل لا داعي لهُ لان كلمة سكرتير اشيع من كلمة ناموس . ولقد قرأنا مئات من الكتب العربيَّة ولا نتذكر اننا رأينا فيها كلمة ناموس بمعنى كاتب ولو مرةً واحدةً . ولا ندري لماذا يأنف الكتَّاب من كلمة كاتب في ترجمة سكرتير فان معنى سكرتير الافرنجية كاتب ولا مدخل فيها للسر وكتابتهِ الآن بل هذا معنى قديم مهجور . ووظيفة الكاتب كانت اشرف الوظائف في دول العرب وقد تقلَّدها كبار الوزراء في عهد الخلفاء والسلاطين

تاج العروس الهادي لتهذيب النفوس

هذا الكتاب كما يدلُّ عليهِ اسمهُ نصائح وحكم في تهذيب النفس وضعهُ الامام الصوفي تاج الدين بن عطاء الله السكندري المتوفى سنة ٧٠٧ للهجرة اي منذ اكثر من ستمئة سنة وهو مثل غيرهِ من كتب الصوفية بل من كتب حكماء المشرق احكام مبني اكثرها على عقائد دينية او نفسية كقولهِ " ان الشياطين تغلُّ في شهر رمضان" وكقولهِ " الاحمق من مات ولدهُ وجعل يبكي عليهِ ولا يبكي على ما فاتهُ من الله عزَّ وجلَّ" فكأنهُ يقول بلسان حالهِ انا ابكي على ما كان يشغلني عن ربي بل كان ينبغي لهُ الفرح بذلك ويقبل على مولاهُ لانهُ اخذ ما كان يشغلهُ عنهُ " . وكقولهِ " انما عصي الله مَن لم يعرف عقابهُ وانما ترك طاعة الله مَن لم يعرف ثوابهُ فلو اطلعوا على عذاب النار لما غفلوا ولو اطلعوا على ما اعدَّ الله لاهل الجنة لما تركوها طرفة عين " . وكقولهِ " الشك في الرزق شك في الرازق وما سرق السارق وما غصب الغاصب الا رزقهُ . ما دمت حيًّا لا ينقص من رزقك شيئًا "

وقد عني بنشر هذا الكتاب حضرة الفاضل صالح بك حمدي حماد على جاري عادتهِ في نشر الكتب المفيدة وقسمهُ الى مطالب طبع مضمونها على هامش صفحاتهِ

دواني القطوف

في تاريخ بني المعلوف

تأليف الكاتب الفاضل الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

اذا اردت مثالاً لعلو الهمَّة ومضاء العزيمة وطلبت الوقوف على اخبار سورية وسكانها من اول عهدها الى الآن فعليك بهذا الكتاب فقد جمع فيهِ مؤلفهُ ما ملأ اكثر من سبع مئة صفحة بقطع كبير وحرف دقيق من الاخبار والتراجم

ومدار الكتاب على تاريخ بني المعلوف ويقول المؤلف ان الخلفاء الراشدين تركوا الخراج للغساسنة فلقبوا بني المعيوف اي المعفين من الخراج ولما جاء الخلفاء العباسيون نزعوا ذلك الامتياز منهم فغير سكان دامة لقبهم المعيوف بالمعلوف لقرب الصيغة. وحبذا لو ذكر سنداً تاريخيًّا لهذهِ التسمية كما ذكر لاكثر ما اوردهُ في كتابهِ. ثم اورد قصة عن فتاة من بني المعلوف اسمها لطيفة كانت تسير سنة ١٥٢٠ مع خوادمها فلقيها بعض الخصوم واختطفوا الطعام من خوادمها فلما وصلت الى قومها انشدتهم ابيات ليلى بنت لكيز الوائلية التي تقول فيها

ليت للبراق عينًا فترى   ما اقاسي من بلاء وعنا

الى ان قالت

يا بني (المعلوف) سيروا وانصروا   وذروا الغفلة عنكم والكرى

فما اتمت كلامها هذا حتى سالت عيناها بالدموع واجتمع حولها اخوتها وبنو اعمامها واتباعهم فقصَّت عليهم احدى خوادمها ما جرى لها فحرك ذلك ساكن غيظهم ... وعقدوا اجتماعًا اقروا فيهِ على انهم بعد جمعهم زورعهم ودياستها وبيعها مع مقتنياتهم يفتكون بخصومهم ويتركون بلادهم قاصدين لبنان. وقال في الحاشية انهُ اتفق على هذه الرواية جميع بني المعلوف على اختلاف مواطنهم ولكنهُ لم يذكر لها سندًا تاريخيًّا قديمًا

والكتاب حافل بالفوائد التاريخية وترجمات اعلام السوريين. ولقد اذهلنا صبر المؤلف على جمعهِ وتبويبهِ. وسواء صحت نسبة بني المعلوف الى الغسانيين او لم تصح فلا شبهة في انهُ قام منهم رجال يفتخر بهم مثل مؤلف هذا الكتاب وكثيرين من الادباء والفضلاء الذين ترجمهم فيهِ فلهُ الشكر على ما خدم بهِ فن التاريخ وما بذلهُ من العناية في جمع انساب اللبنانيين

الحرية والمساواة والمبعوثان

رسالة وضعها حضرة العالم الفاضل عبدالله افندي العلمي بيَّن فيها ان الشورى والحريَّة والمساواة من تعاليم القرآن لقوله وامرهم شورى بينهم. وشاورهم في الامر. ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون. وقوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل عملاً صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون وقوله يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة . ومن سيرة الخلفاء كقول الامام عُمَر لعمرو ابن العاص والي مصر موبخاً منذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً . وفي ما تقدم نصوص صريحة على وجوب الشورى والمساواة والحريَّة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) النوم المغنطيسي

اسنا . الياس افندي جرجس . ماهي منافع التنويم المغنطيسي ومضاره

ج . يفيد التنويم المغنطيسي في الامراض الكاذبة عموماً اي الناتجة عن الوهم فقد يتوهم الانسان انهُ مصاب بخفقان في قلبهِ او قرحة في معدتهِ او سل في رئتيهِ وليس بهِ خفقان ولا قرحة ولا سل فاذا نوّم النوم المغنطيسي وأُقنع انهُ شفي من الداء فالغالب انهُ يشفى منهُ اي لا يعود يشعر انهُ مصاب بهِ

ويفيد ايضاً في منع الحس لعمل بعض العمليات الجراحية لان النائم النوم المغنطيسي يفقد الحس او الشعور بالالم. فقد نام شاب سوداني امامنا وغرزت ابرة في رجلهِ أُدخلت من جهة واخرجت من اخرى ولم يحرّك رجلهُ ولما أُوقظ نُبّه الى رجلهِ فقال انهُ يشعر بشيء من الالم ولكنهُ لا يعلم سببهُ

ويفيد في بعض الآفات العصبية فيقال

ان الالم العصبي المعروف بالنفرلجيا يزول بالتنويم وكذا الم عرق النساء اما ضرره فيقوم بانها كهِ القوى العصبية . فان للقوة العصبية مقداراً محدوداً فاذا صرف الكثير منها وقت التنويم ضعفت الاعصاب بعد الاستيقاظ منهُ واذا تكرَّر ذلك صار فعلهُ في الانسان مثل فعل المنبهات او المخدرات القوية ولذلك منعت حكومات اوربا استعمالهُ بعد الوقوف على رأي المشاهير من اطبائها . راجعوا مقالة التنويم وفوائدهُ الطبيَّة في المجلد الثاني والثلاثين من المقتطف صفحة ٥٣٥

(٢) تعليم التنويم

ومنهُ . هل يوجد في مصر من يعلّم التنويم المغنطيسي

ج . فيها اطباء يستعملون التنويم احياناً فاذا رأيتم واحداً منهم ينوّم احداً امكنكم ان تقلدوهُ بسهولة لان ليس في الامر صناعة مخصوصة واذا طالعتم المقالة المشار اليها آنفاً رأيتم فيها الاساليب المستعملة في التنويم

(٣) استطاعة التنويم

ومنهُ . هل كل انسان يستطيع ان ينوِّم وينوَّم

ج . ان المعرَّضين لان يناموا النوم المغنطيسي قلال ويقال انهم لا يزيدون على خمس الناس واذا كان الانسان معرَّضاً لان ينام النوم المغنطيسي فلا يتعذَّر على ايّ كان غالباً ان ينوّمهُ اذا تمرَّن على استعمال الحركات اللازمة واقنع من يراد تنويمهُ انهُ قادر على تنويمهِ

(٤) التعليم بالمراسلة

ومنهُ . بلغني انهُ توجد مدارس باميركا وانكلترا تعلّم طالبي العلم بواسطة ارسال الدروس بالبوسطة فهل ذلك صحيح وهل يمكن تعليمهُ في مدة قصيرة وهل لكم ان تخبرونا بعنوان مدرسة منها

ج . نعم يوجد اناس يعلمون بالمراسلة . ولا يخفى ان من الناس مَن يطلب العلم برغبة فيتعلم ولو لم يدخل مدرسة وهذا يتعلم بالمراسلة لانهُ يستفيد من كل شيء . ومنهم مَن لا رغبة لهُ في العلم فيدخل المدارس ويقيم فيها السنين ويقوم بما يطلب منهُ ولكنهُ ينسى ما تعلمهُ فيها او لا يحفظ منهُ الَّا القليل وهذا لا يتعلم بالمراسلة . وكل الذين عانوا التعليم يعلمون انهُ يكون في الفرقة عشرون تلميذاً فينبغ منهم ثلاثة او اربعة ويحصلون من غير ان يتعب الاستاذ في تعليمهم وهؤلاء يتعلمون بالمراسلة كما يتعلمون في المدارس او في بيوتهم والباقون يبذل الاستاذ جهدهُ في تعليمهم وتمرينهم فلا يتعلمون الَّا قليلاً وهؤلاء لا يستفيدون من المراسلة ابداً او لا يستفيدون الَّا قليلاً جدًّا هذا اذا صبروا عليها ولم ينقطعوا عنها حالاً

وهاكم عنوان مدرسة تعلم بالمراسلة

International Correspondenee School Scranton Pen.
U. S. America.

(٥) مخترع الساعات

اسيوط . امين افندي لوقا . من هو مخترع الساعات وفي اي سنة كان ذلك

ج . الساعات مختلفة الانواع فاقدمها المزولة او الساعة الشمسيَّة التي يقاس الوقت فيها بظل الشمس وهي قديمة اشير اليها في عهد حزقيا ملك يهوذا واول من وصفها بيروسس المؤرخ الكلداني الذي كان قبل المسيح بنحو ٥٤٠ سنة ولا يعلم من استنبطها . وقد اتى بها انكسيمندر الفيلسوف اليوناني من بلاد الكلدان الى بلاد اليونان بعد زمن بيروسس بمئتي سنة . والظاهر مما نقلناه من تاريخ ابن اياس عن السلطان سليم في هذا الجزء ان الاعتماد كان عليها في قياس الوقت في ذلك الزمن . وتلاها الساعة المائية ويقال انهُ اخترعها غلام من سكان الاسكندرية اسمهُ كتسيبيوس سنة ٢٤٥ قبل المسيح اي في اوائل حكم البطالسة ولكن يرجح الآن انها اقدم من ذلك كثيرًا وانها استعملت قبل عهد التاريخ وان كتسيبيوس انما وضع فيها آلة لقياس الساعة من كل اليوم على مدار السنة . والظاهر ان الساعة التي اهداها هرون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسا كانت ساعة مائية . واستنبط الاسكندريون الساعة الرملية بعد استنباط الساعة المائية لانهم رأوا ان تفرُّغ الماء من الساعة المائية لا يكون واحدًا في كل الازمنة

والساعة ذات الثقل مخترعها مجهول قيل انهُ رجل اسمهُ بثيوس اخترعها سنة ٥١٠ للمسيح وقيل غيره والمؤكد ان الراهب جربرت الذي صار بابا باسم سلفستر الثاني صنع ساعة لمغدبرج سنة ٩٩٦ ولم يتقن عمل هذه الساعات حتى القرن الثالث عشر فانهُ يقال ان الملك الكامل الايوبي اهدى الى الامبراطور فردرك الثاني ساعة متقنة سنة ١٢٣٢ وهي شبه كرة سموية فيها الشمس والقمر والسيارات تتحرك في مداراتها باثقال ودولايب وتدلُّ على ساعات النهار والليل بالتدقيق . واتقنت الساعات بعد ذلك ولكنها بقيت مضخمة الى ان استنبط الرقاص ويقول البعض ان مستنبطهُ عربي ويقول غيرهم انهُ افرنجي والاكثرون على انهُ غليليو الايطالي

اما الساعات الصغيرة التي توضع في الجيب فالظاهر ان اول من صنعها رجل اسمهُ بطرس هيلي وذلك سنة ١٤٩٠

(٦) الشعر العارية

ومنهُ . هل الشعر العارية الذي يضعهُ بعض النساء على رؤُوسهن طبيعي او صناعي وكذلك الشعر الابيض الذي تصنع منهُ المنشات

ج . كلهُ طبيعي الاول شعر نساء والثاني شعر اذناب الخيل

(٧) الراي السديمي

سان بدرو ماكورس . جمهورية دومينكو

الخواجه انطونيوس الدربي · من المعلوم ان اول من قال بالرأي السديمي هو العالم الفلكي لابلاس ولكنني بينما كنت اطالع في كتاب "الكون كإرادة ووجدان" للفيلسوف الالماني شوبنهور وجدتهُ ينتقد انتقادًا مرًّا على بعض العلماء الذين يأخذون بعض الآراء عن غيرهم ويدعون انها لهم ثم قال ان ذلك يذكرنا بما جرى بين الفيلسوف قنت ولابلاس اذ الاول هو اول من قال بالرأي السديمي سنة ١٧٦٠ في كتابهِ التاريخ الطبيعي والنواميس السموية ثم محصهُ وزاد عليهِ شرحًا سنة ١٧٦١ ذاكرًا في آخرهِ ان العالم لمبر اخذ عنهُ هذا الرأي وترجمهُ الى اللغة الافرنسية بدون ان يذكرهُ (اي يذكر قنت) تحت عنوان

" Lettres cosmologiques sur la Constitution de l' Univers "

الى ان قال ومن المحقق ان لابلاس نظرًا الى معرفتهِ الواسعة في علم الهيئة اخذ رأي قنت هذا ووضعهُ في قالب يفهمهُ الكبير والصغير وكانت نتيجة ذلك ظهور كتابهِ المعروف مدبجًا في تفصيل ذلك الرأي الذي خلَّد اسمهُ مع ان هذا التخليد كان يجب اعطاءه نصفه لقنت ان لم نقل كلهُ · فتعجبت من ذلك واتيت اسألكم عن منزلة كلام شوبنهور من الصحة

ج · ان شوبنهور شاعر وفي كلامهِ شيءٌ من الصحة وشيءٌ من التزويق فان قنت قال بالرأي السديمي قبل لابلاس ولكن لابلاس اقام الادلة الرياضيَّة على صحة هذا الرأي وعلى تطبيقهِ على الاجرام السموية وحركاتها · ويحتمل انهُ عرف بقول قنت كما يحتمل انهُ لم يعرف بهِ بل انتبه الى هذا الامر من نفسهِ كما انتبه اليهِ قنت · وهب انهُ انتبه اليهِ مما قالهُ قنت فذلك لا يمنع نسبة الرأي اليهِ لانهُ هو الذي اقام الادلة على صحتهِ وبين كيفية تولد الاجرام السموية من السديم · وحتى الآن لم تُحَلّ كل العقبات التي تعترض هذا الرأي حلاًّ مقنعًا

(٨) لزوم النوم

مصر · الخواجه حزقيال هارون متالون قرأت في احدى الجرائد ان النوم ليس ضروريًّا للانسان بل هو عادة يمكن ازالتها بالتمرن على عدم النوم · فهل العلم يعزز هذا القول

ج · ان بعض الناس ينام ساعات قليلة ثلاث ساعات او اربع ساعات وتكتفي اجسامهم بها فلا يستحيل على غيرهم ان يقتدي بهم · ولا بدَّ لدقائق الجسم من ان تنقطع عن العمل مدة لتتنظف من الفضول وتذخر القوة اللازمة لها وقت العمل ولا يستحيل ان يُعوَّد بعضها على الراحة وذخر القوة وقتما يكون البعض الآخر عاملاً فان القلب مثلاً يعمل دوامًا نهارًا وليلاً مدى الحياة وبعض دقائقهِ يستريح وقتما يعمل البعض الآخر فهل

يتيسر تعويد كل اعضاء الجسم هذه العادة وهل يتم ذلك في سنة او في قرن بعد ان جرت كل طوائف الناس والحيوانات على النوم قروناً لا يحصى عددها حتى رسخ ذلك فيها ؟ هذه مسألة أخرى ونرجح ان من يحاول الانقطاع عن النوم يصيبهُ ما اصاب الفرس الذي عُوّد الانقطاع عن الاكل فلما تعوده مات

(٩) مَن الملام

يافا . الخواجه انيس فياض ما قولكم في المرأة الزانية هل اللوم عليها او على الهيئة الاجتماعية وماذا قصد فكتور هيغو بقولهِ لا تلم المرأة الساقطة تحت مهاوي عارها انك لا تدري تحت اي حمل سقطت من احمال الدنيا واثقالها. وهل يصدق ذلك على بعض النساء المترفهات اللواتي يحببن فعل المنكر

ج . الغالب ان اللوم على الذي اغراها اولاً ثم على الذين تلوهُ لان الانثى مطلوبة غير طالبة في الغالب . ولو كان سن الشرائع في يد النساء لا في يد الرجال او لو انصف الرجال الذين يغوون النساء لوقع العقاب على الرجل لا على المرأة وهذا هو رأي جمهور الباحثين في هذا الموضوع . اما المرأة التي تفعل المنكر من تلقاء نفسها فيجب ان يقع العقاب عليها

(١٠) مصدر الآداب

ومنهُ . ما هو مصدر الآداب

ج . المذهب المتغلب الآن ان مصدر الآداب إحكام الاعمال حتى يتمكن كل فرد من حفظ حياتهِ وتربية نسلهِ من غير ان يضر بسواه . والانسان الذي بلغ هذه الغاية من إحكام اعمالهِ يساعد غيرهُ على احكام عملهِ فيسهل احكام الاعمال على الاثنين بالتعاون وهذا هو الصلاح الذي تتوخاهُ الشرائع الادبية وهو عملي لا فلسفي لكن الفلسفة اخذت مآخذ العلم الطبيعي الآن وصار الفلاسفة يجرون مجرى العلماء الطبيعيين في مباحثهم واحكامهم . والسنن الادبية المبنية على الاصول العلمية اوسع نطاقاً من السنن الادبية الفلسفية لانها تتناول اعمالاً لا تتناولها السنن الفلسفية حسب مفهومها القديم فالذي يتعرض لمكروبات الامراض او يلبس ثياباً لا تدفئهُ حكمهُ في السنَّة الادبية العلمية حكم من يدمن المسكرات او يرتكب المنكرات ولكننا لم نسمع احداً من اهل السنن الادبية الفلسفية ينذر المتعرضين للميكروبات المرضية بالعقاب او المتعرضين للبرد بالعذاب

(١١) العصر الجليديّ

بيت لحم الخواجه زخريا عيسى ابو مخيله المصور . ما هو السبب في حدوث العصر الجليدي في الازمنة الغابرة

ج . ظن السر تشارلس ليل ان سبب ذلك ظهور اراضٍ واسعة عالية قرب القطب الشمالي وظن غيرهُ من العلماء ان للعصر الجليدي اسباباً فلكية اخصها اختلاف اهليلجية

الارض فان هذه الاهيلجية كانت في اول القرن التاسع عشر ٠١٦٨ و٠ وكانت قبل ذلك بمئتي الف سنة ٠٥٦٧ و٠ وهذا زاد ايام الشتاء نحو ٢٩ يوماً حينئذٍ فزاد البرد والجليد وحدث العصر الجليدي

(١٢) بحيرة لوط

ومنهُ . يقال ان قاع بحيرة لوط آخذ في الارتفاع فما سبب ذلك وهل هو بفعل بركاني وهل توجد براكين في سورية

ج . لا نتذكر الآن اننا قرأنا لاحد بحثاً مدققاً اثبت منهُ ان قاع تلك البحيرة آخذ في الارتفاع وعيَّن مقدار ذلك الارتفاع . ولا يبعد ان يكون الامر كذلك ويحتمل ان يكون الارتفاع قليلاً وهو من الرواسب التي يحملها اليها نهر الاردن ويحتمل ان يكون كثيراً وسببهُ ارتفاع قاع البحيرة بفعل بركاني . وقد كانت البراكين كثيرة في كل البلاد السورية في غابر الزمن ولكن لم يثر فيها بركان في عصر التاريخ . نعم ان الزلزلة التي حدثت سنة ١٥٤٦ جففت ماء الاردن اي رفعت قاعهُ في بعض الاماكن بفعل بركاني وابقتهُ كذلك يومين ولكن لم يذكر ان الحمم خرجت من الارض حينئذٍ كما تخرج من البراكين عادة

(١٣) جنس الجنين

ومنهُ . هل يمكن ان يعرف كون الجنين ذكراً او انثى وهو في بطن الحامل

ج . كلاَّ

باب الاخبار العلمية

القطب الجنوبي

ان البعثة العلمية التي قصدت القطب الجنوبي برئاسة شاكلتن كادت تبلغهُ وورد تلغراف من شركة روتر في ٢٣ مارس يقال فيهِ عادت بعثة شاكلتن التي كانت قد غادرت زيلاندا الجديدة في اول يناير سنة ١٩٠٨ (قاصدة القطب الجنوبي) وجميع رجالها بخير . وقد ارسل اللفتننت شاكلتن تلغرافاً الى الديلي ميل قال فيهِ ان الفئة الرئيسة من رجال الرسالة قطعت ١٧٠٨ اميال في ١٢٦ يوماً على مركبات من المركبات التي تجري على الجليد ووصلت الى الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي والدرجة ١٦٢ من الطول وعينت مركز القطب المغنطيسي في الدرجة ٧٢ والدقيقة ٢٥ من العرض والدرجة ١٥٤ من الطول الشرقي . ورفعت العلم البريطاني في ذينك المكانين . وصعدت

الى بركان اريبوس واكتشفت ثماني سلاسل من الجبال وعينت مراكز نحو مئة قمة · وفوهة اريبوس يبلغ طول قطرها نصف ميل وعمقها ٨٠٠ قدم و يتصاعد منها عمود غازي علوهُ الفا قدم

وقد سارت الرسالة في الاوتوموبيل مسافة ٤٠٠ ميل على البحر المتجمد وغادرت رأس رويد في ٢٩ اكتوبر وكان سطح الارض مستوياً والثلج يسد شقوقاً لا يعلم عمقها ولذلك كانوا كثيرًا ما يتعرضون لاخطار عظيمة · وقد اصيبت خيل منشوريا الصغيرة بالبهر من انعكاس النور عن الثلج فاضطروا ان يقتلوا بعضها في الدرجات الثلاث الاخيرة · وكانوا يكافحون زوابع الثلج كل يوم والريح الصرصر التي تهب بسرعة ٧٠ ميلاً في الساعة · وقد هبطت درجة الحرارة الى ٥٨ تحت الصفر وتورموا من شدة البرد وكانوا ينامون في ثيابهم المصنوعة من جلود الحيوانات · ووصلوا في ٢٦ دسمبر الى نجود مرتفعة علوها عشرة آلاف قدم · فلم يروا جبالاً الى جهة الجنوب · واضطرت البعثة ان تعود بعدما انهكت قواها واصابتها الدوسنطاريا من اكل لحم الخيل وتركت اثنين من رجالها في مكان هناك وجعل اللفتننت شاكلتن ورفاقهُ يبحثون عن سفينة النمرود فوجدوها بالمرايا العاكسة النور ويظن اللفتننت شاكلتن ان القطب واقع في هذه النجود المرتفعة . ولا صحة لما يقال عن هدوء الجو حول القطب · ومسحت فئة اخرى سواحل بوغاز مكردو حتى اكوام الجليد المعروفة باسم دريجالسكي واكتشفت سلسلتين من الجبال مجاورتين للسواحل على عرض ٦٩° ٨َ ٤ً وطول ١٦٦° ولم يصب احد بالاسكربوط

خزنة كارنجي

تفنن اللصوص في فتح خزائن الحديد حتى صار يصعب حفظ الاموال والجواهر الثمينة . فصنع الاوربيون والاميركيون بيوتاً من الحديد يتعذر على اللصوص فتحها وعلى النيران حرقها وجعلوا فيها مخادع للاغنياء يحفظون فيها جواهرهم واموالهم · وامنع ما صنع من هذا القبيل خزانة تسمى خزانة كارنجي وهي صندوقان من الحديد الواحد فوق الآخر طول كلٍ منهما ١٠٨ اقدام وعرضهُ ٣١ قدماً وعلوهُ ١٠ اقدام وهما مصنوعان من اصلب انواع الفولاذ (الصلب) الممزوج بالنكل ثقلها ١٤٠٠ طن وسمك فولاذها خمس بوصات في الجوانب و١٨ بوصة عند الباب والواح الفولاذ معشقة بعضها ببعض ذكرًا في انثى لامسمار ولا قتير ولكل صندوق باب مستدير ثقلهُ ٢٥ طنًا ولكل باب ٢٤ قفلاً على دائرهِ وثقل كل قفل مئة رطل وهي تقفل وتفتح باربع آلات كهربائية داخل

الصندوق وهذه الآلات تفتح الابواب في ساعة معلومة كل يوم ولا تفتحها في غيرها وكل آلة تكفي وحدها لفتح الباب واذا حدث ما يبطل فعلها لم يعد فتحهُ في الامكان مطلقاً

الديانة السورية في رومية

اكتشف تمثال من تماثيل بعل معبود السوريين في رومية ويستدل منهُ على ان عبادة بعل بقيت شائعة في رومية الى القرن الرابع بعد المسيح ثم ابطلت فجأة فاضطر كهنتهُ ان يخفوا تمثالهُ خوفاً من الاضطهاد

دليل الزلازل

دلت مقاييس الزلازل في آسيا واوربا وجنوبي افريقية على حدوث زلزلة كبيرة في ٢٣ يناير الماضي وعينت موقعها في اواسط اسيا من جهة الغرب وقد ثبت الآن ان هذه الزلزلة حدثت في بلاد ايران فدمرت خمسين قرية وقتلت خمسة آلاف من سكانها ولكن موقعها كان متجهاً الى الجنوب اكثر مما دلت مقاييس الزلازل وذلك لان الهزة الاولى لم يصل تأثيرها الى المقياس الذي في جنوبي افريقية

غرس الاشجار

تجد كتب الزراعة متفقة على ان الاشجار التي تغرس اي تنقل من مكان الى آخر يجب الاعتناء بجذورها حتى لا تتلف قبل غرسها ويجب ان تكون الحفرة التي توضع فيها واسعة حتى تبسط فيها الجذور على هيئتها لكن الامتحان العلمي نفى ذلك كلهُ واثبت انهُ اذا جمعت الجذور بعضها مع بعض ودُكَّ التراب عليها دكاً شديداً كان ذلك اصلح لها واذا تلف بعض جذورها قبل غرسها لم يضرها ذلك بل افادها لان ليس العبرة بالجذور القديمة بل بالجذور الجديدة التي تنبت بعد غرسها . وقد نشرت جريدة ناتشر صوراً فوتوغرافية لاربع شجرات غرست اثنتان منها ولم يكبس التراب على جذورها وغرست اثنتان وكبس التراب على جذورها فنمت الاخريان اكثر مما نمت الاوليان

برج ايفل وتلغراف مركوني

استعمل برج ايفل في باريس للاشارات بتلغراف مركوني وقد وصلت اليهِ الاشارات بالامس من خليج غلانس بكندا والمسافة بينهما ٣٢٥٠ ميلاً ويراد نقل الاشارات اليهِ من املاك فرنسا في الهند الصينية على مسافة ٦٨٠٠ ميل

البعوض والسمك

ان جزائر بربادوس من جزائر الهند الغربيَّة خالية من الحميات الملاريَّة وقد اتضح ان سبب ذلك وجود نوع من السمك الصغير في بركها وغدرانها فان هذا السمك يأكل

يبض البعوض الذي ينقل عدوى الحميات الملارية . والسمك صغير جدًّا طول الانثى البالغة منهُ بوصة ونصف بوصة والذكر اصغر منها ولما رأَت الحكومة الانكليزية ذلك نقلت كثيرًا من هذا السمك الى سائر جزائر الهند الغربية فافاد في استئصال الحمى الملارية منها

علاج ادواء الزراعة

من المعلوم ان الآفات الزراعية التي تصيب المزروعات تبلغ حدًّا محدودًا ثم تقف عندهُ كأَن الميكروب الذي يسبب الآفة يتلف نفسهُ حينئذٍ لا يبقى لهُ شيء يتلفهُ كالنار تأْكل نفسها ان لم تجد ما تأْكله

والحقيقة انهُ يتولد من الميكروب اخيرًا شيء يضرُّ بهِ ويميتهُ . وقد اشار بعضهم بالانتفاع من هذا الامر فانهُ ربى ميكروبًا من الميكروبات التي تضر بالمزروعات وتركهُ حتى يتولد منهُ السم الذي يميتهُ واستخرج ذلك السم وعالج بهِ المزروعات المصابة بذلك الميكروب فشفاها منهُ . ولا يزال هذا الاسلوب في بداءتهِ والمرجح انهُ يؤَدي الى فوائد كبيرة في علاج الآفات الزراعية فعسى ان تنتبه لهُ الجمعيَّة الزراعيَّة الخديويَّة

اعلى الكباري

ان الجسر (الكبري) الذي صنع فوق نهر زمبيسي في قلب افريقية يعلو عن سطح الماء ٣٨٠ قدمًا وعن قاع النهر ٤٢٠ قدمًا وطول هذا الجسر ٥٦٠ قدمًا وعرضهُ ٣٠ قدمًا وهو اعلى جسور الانهار

السم في البضائع

توفي بالامس خمسة من الروسيين كانوا مسافرين في قطار ببلاد البلجيك وظن انهم مصابين بالكوليرا لان الاعراض التي اصابتهم مثل اعراضها ولكن لما بحث في امعائهم لم يوجد منها شيء من ميكروبات الكوليرا . ثم ثبت من التحقيق ان المركبة التي كانوا فيها كان قربها مركبة فيها مادة تسمى سليكون الحديد وهي تستعمل بكثرة في مسابك الحديد لعمل الفولاذ (الصلب) وهذه المادة لا ضرر منها اذا كانت جافة ولكنها اذا تبللت تولد منها غاز الهيدروجين المفصفر وهو من اشد السموم فعلاً فاذا احتوى الهواء قليلاً منهُ صار سمًّا قاتلاً لمن يستنشقهُ

ترعة الفولاذ

عملت شركة كوم امبو في اعلى الصعيد عملاً هندسيًّا لم نسمع بمثلهِ في بلاد اخرى فانها لما رأَت المياه تغور في الترع لان الارض رملية هناك صنعت ترعة من الفولاذ (الصلب) طولها ٥٢٠٠ قدم وعمقها ١٢ قدمًا وعرضها ٢٠ قدمًا واسفلها كنصف دائرة وسمك حديدها ستة مليمترات اي اكثر من

نصف سنتمتر. ولقد عانت اشد المشاق في عملها وتركيبها لان الرياح كانت تسفي الرمال من تحتها فتهبط وحرارة الشمس تمددها فتطول وتنحرف يمنةً او يسرةً الى ان تم تركيبها وردمت الارض حولها وجرت المياه فيها

معاهد الراديوم

ذكرنا في الجزء الماضي اهتمام البلاد الانكليزية بانشاء معهد للراديوم في مدينة لندن وقد قرأنا الآن انهُ سينشأ معهد لدرس خواص الراديوم في مدرسة هيدلبرج الجامعة فتصير معاهد الراديوم خمسة في باريس ولندن وفينا وبرلين وهيدلبرج

تعقيم الماء بالفضة

ثبت ان القليل من املاح الفضة يعقم الماء حالاً ويميت منهُ كل الميكروبات ثم اذا رسبت الفضة بواسطة الكلوريد عاد الماء صالحاً للشرب. وقد امتحن ذلك في ايطاليا على هذه الصورة عقم الماء ثم زرعت فيهِ ميكروبات مرضية مختلفة كمكروب التفويد والدفثيريا واضيف الى ماء نقي فيهِ جزء من عشرة آلاف الى جزء من خمس مئة الف جزء من نيترات الفضة فالذي كانت الفضة فيهِ بمعدل جزء من عشرة آلاف جزء لم تتولد فيهِ ميكروبات والذي كانت الفضة فيهِ جزءًا من خمس مئة الف جزء تولدت ميكروبات قليلة جدًّا فيهِ

ارز لبنان في بلاد الجزائر

كان المظنون في ارز لبنان انهُ خاص بجبل لبنان وانهُ اذا انقرض منهُ انقرض من المسكونة الَّا اشجار قليلة منهُ زرعت في بعض الحدائق ولكن ثبت الآن ان في بلاد الجزائر حراجاً من الارز مثل ارز لبنان تماماً واشجارها كبيرة جدًّا. ولا يخفى ان خشب الارز من اصبر الاخشاب على البلى وكان القدماء يصنعون توابيت موتاهم منهُ لانهُ لا يبلى. وقد قال بلنيوس ان روافد هيكل ابولو في يوتيكا كانت من خشب الارز وقد مرّت عليها السنون الطوال ولم يعترها البلى

السكلوبيديا اليابانية

ألّف علماء اليابان سكلوبيديا بلغتهم اشتغل في تأليفها ٢٣٩ عالماً من علمائهم وستصدر في سبعة مجلدات في كل مجلد منها نحو الف صفحة وقد احتفل الكونت اوكوما بنشر المجلد الاول منها

وفاة اكبر المعلنين

توفي المستر بيرس صاحب الصابون المعروف باسمهِ ولعلَّهُ كان اكبر المساعدين للجرائد والمجلات بما كان ينشرهُ فيها من الاعلانات عن صابونهِ ويقال ان مجموع ما دفعهُ اجرة اعلانات يبلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات

قوات الدول الحربية

قلق الانكليز لما علموا ان المانيا تبني البوارج الكبيرة بسرعة فائقة وخافوا ان تلحقهم وتناظرهم مع انها لا تزال الرابعة بين الدول البحرية فان قوات الدول اي محمول سفنها الحربية الكبيرة تحسب هكذا

بريطانيا	١٨٧١١٧٦	طنًا
فرنسا	٨٠١١٨٨	"
اميركا	٧٧٠٤٦٨	"
المانيا	٦٩٣٥٩٩	"
اليابان	٤٤٤٩٠٣	"
روسيا	٣٢٠٠٤٠	"
ايطاليا	٢٨٤٧٧٨	"
النمسا	١٤٨٣٥٠	"

لكن الالمان اعدوا المعدات لعمل البوارج الكبيرة وفاقوا الانكليز في ذلك وشرعوا في عمل اربع بوارج قبل الوقت المحدد لها بسنة من الزمان

قتل امبراطور الصين

كتب المسيو فرنسيس مري في المجلة الفرنسوية لا رڤي يقول ان امبراطور الصين لم يمت حتف انفهِ بل انتحر مكرهاً وذلك انهُ لما ثبت ان الامبراطورة قد اشرفت على الموت وانهُ لا امل بشفائها اتفقت هي ووزراؤها على انهُ لا بدَّ للامبراطور ان يموت بموتها فاتاهُ رئيس الخصيان مع اثنين من المقربين واخبروهُ ان الامبراطورة في حالة النزع ووضعوا بين يديهِ قرصاً من الافيون واوراقاً من الذهب وبنداً من الحرير وقال لهُ رئيس الخصيان انهُ سيأتيهِ في الغد فاذا وجد انهُ لم ينتحر بشرب الافيون او استنشاق ورق الذهب اضطرَّ ان يخنقهُ ببند الحرير . وعاد رئيس الخصيان في اليوم التالي فوجد الامبراطور ملقًى على مقعد وقد دخَّن قرص الافيون كلهُ وهو في حالة النزع فأُعلن سفراء الدول انهُ مريض وحالتهُ تنذر بالخطر ثم قبض الساعة الخامسة اما الامبراطورة فلم تمت الَّا بعد اربع وعشرين ساعة

نفقة بناء البوارج

ينفق الانكليز على بناء البارجة الكبيرة التي محمولها ١٨٠٠٠ طن ١٥٢٠٠٠٠ جنيه والالمانيون ١٨٢٠٠٠٠ جنيه والفرنسويون ٢٠٨٠٠٠٠ جنيه

قانون المطبوعات

عادت الحكومة المصرية الى العمل بقانون المطبوعات الذي سنتهُ سنة ١٨٨١ في ما يختص بالجرائد بعد ان اوقفت العمل بهِ سنين كثيرة . وقد التجأَت الى ذلك لان بعض الجرائد تعدت كل حد ولان الحكمة برأَت بعضها في قضية لم ينتظر احد انها تبرئها منها . ويظهر لنا ان المراقبة على الجرائد والمطبوعات لا تزال في كل البلدان اشد مما صارت الآن في القطر المصري ولقد كانت المراقبة في الممالك العثمانية في العام الماضي اشد

مما صارت اليهِ الآن في القطر المصري بما لا يقدر ومع ذلك كانت الجرائد كثيرة والمطبوعات عديدة . ويقال ان الانكليز تأخروا عن نشر الجرائد في بلادهم الى سنة ١٦٤١ حينما نشرت اول نشرة دورية ثم نشرت اول جريدة يومية سنة ١٦٦٠ وما ذلك الاَّ لشدة المراقبة على المطبوعات حينئذٍ لانهُ لم يكن يجوز طبع شيءٍ مالم يقرأْهُ اولاً رئيس اساقفة كنتربري او اسقف لندن . والآن احكام المحاكم هناك على الجرائد صارمة جدًّا ولكنها لا تضر ولا تمنع الانتقاد

النور والنبات

لا يخفى ان النبات يحاول الاتجاه الى النور دائمًا واذا غرست شجرة بين بيوت تحجب عنها اشعة الشمس من جوانبها طالت بين البيوت حتى تقابل اشعة الشمس . وقد زرع بعضهم نباتًا مما ينبسط على الارض عادةً واحاطهُ بما يحجب اشعة الشمس عن جوانبهِ فنهض على اوراقهِ كما ينهض الجالس على رجليهِ لكي يعلو وسطهُ ويقرب من اشعة الشمس

١٤٠ سنة على المركبة البخارية

منذ مئة واربعين سنة صنع المسيو كينيو Cugnot مركبة بخارية سارت في شوارع باريس وكانت سرعتها ميلين ونصف ميل في الساعة وهي اول مركبة بخارية على ما يظهر ثم مرَّت السنون والهمم متجهة الى اتقان قاطرات سكك الحديد لا الى اتقان المركبات البخارية الى ان كانت سنة ١٨٩٣ فصنعت مركبة تسير بآلة فيها (موطركار) قوتها اربعة احصنة . ومن عشر سنوات الى الآن تقدم عمل هذه المركبات اكثر مما تقدم في المئة والثلاثين سنة التي قبلها

مدافع البالون

لم يكد البالون يبلغ درجة من الاتقان يصحُّ معها ان يستعمل في الحروب لرمي القنابل على الجيوش والحصون حتى صنع معمل كروب مدفعًا يرمي قنابلهُ في الجو الى علو شاهق جدًّا ومتى وصلت قنابلهُ الى البالون تكون حامية فتشعل غازهُ وتحرقهُ كلهُ وهي تفعل بالطيارة كما تفعل بالبالون . وقد امتحن هذا المدفع فاطير بالونان صغيران ورميا بالقنابل فاصابت احدهما القنبلة الثانية من القنابل التي رمي بها واصابت الثاني القنبلة الخامسة مع ان الريح كانت تعصف شديدًا

اكان غاتي ملهمًا

اثبت المستر فرنل في مقالة كتبها عن غاتي الشاعر الالماني انهُ كان يعتقد بالالهام فاذا جاءَهُ الالهام امسك القلم ونظم الاشعار الى ان يملأَ الورقة التي بيدهِ . وكان الالهام يأْتيهِ احيانًا ليلاً فيزيل همومهُ وينعش فؤَادهُ . ولكن أَلا يمكن تعليل ذلك براحة الدماغ وغزارة الدم النقي فيهِ

فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين



جلالة السلطان محمد الخامس

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الرابع والثلاثين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١١ ربيع ثاني سنة ١٣٢٧

السلطان محمد الخامس

مرَّ بنا شهر لم ترَ الممالك العثمانية مثلهُ منذ امد بعيد فقد تراوحت فيهِ بين ان يحرَم الدستور ويثور ابناؤُها حتى يفني بعضهم بعضاً غدرًا وحربًا وتمسي البلاد طعمةً للطامعين فيها وبين ان يتأيد الدستور وتنزع اسباب العداء والخصام وتنفى عوامل التفريق والتمزيق. واخيرًا تغلَّب حزب الدستور اي جمعية الاتحاد والترقي وانصارها على الاحزاب المعادية لهم بعد ان صُبغت شوارع الاستانة بالدماء وتراكمت اشلاء القتلى بل شهداء التعصُّب الديني والجهل المطبق في ولايات الاناضول. وانقضت تلك الرزايا قبل كتابة هذه السطور بخلع السلطان عبد الحميد وتنصيب اخيهِ رشاد

ولقد كنا قبل اعلان الدستور نراقب احوال السلطنة العثمانية ونحن بين عاملَي الخوف والامل — الخوف من التعصُّب الديني والجنسي المستولي على عامَّة الاهلين وقد رسخ فيهم بالوراثة خلفًا عن سلف واستُنبطت كل الوسائل التي تزيدهُ حتى يبقى بعض الخاصة مستأثرين بالسلطة يجزُّون صوف الرعية ويأكلون لحمها ويشربون دمها ولا رادع لهم — والامل ان اشتراك الناس في تحمُّل الظلم والقهر يؤَلف بين القلوب المتنافرة ويجمع شتات القوى المتفرقة فتقاوم المرهقين

وكان الأَمل رائدنا ولاسيما بعد ان رأينا نهوض اليابان وصيرورتها دولة عظيمة كاعظم الدول الاوربية في سنوات قلائل ولا شعبها ارقى في جنسهِ من الشعوب العثمانية ولا بلادها افضل في خصبها وموقعها من البلاد العثمانية . فجعلنا نكتب انباء اليابانيين اغراء للعثمانيين بالجري على خطتهم والنسج على منوالهم وبقينا نتراوح بين الخوف والامل الى ان أُعلن

الدستور ورأَينا الشيخ يعانق القسيس في الكنيسة والقسيس يعانق الشيخ في الجامع ويقولان ديننا الوطنية . والعربي والتركي واليوناني والارمني يتصافحون ويتعانقون ويقولون لقد تركنا جامعاتنا الجنسيَّة واتخذنا لنا جامعةً واحدة وهي العثمانية . لما رأينا ذلك قلنا لقد غلب الامل وتحقق الرجاء . ثم انتخب النواب لمجلس المبعوثان وساد السلام والوئام وحلف السلطان يمين الولاء للدستور وجعلت الحكومة تحلُّ المشاكل الكبار واحدةً واحدة والدول الاوربية تنظر اليها بعين الاجلال والتعظيم

لكن ابت سُنة الكون ان تخالف نظامها وتقبل بهذا الانقلاب من غير سفك دم فان الذين كانوا ينتفعون من الحكم القديم وزال انتفاعهم في الحكم الجديد والذين توقعوا ان ينيلهم الحكم الجديد مغنماً فلم ينالوهُ دسوا الدسائس واستعانوا بجهل الجهلاء وتنطع المتحمس بالدين لكي يقلبوا الحكومة الجديدة رأساً على عقب ويلغوا الدستور او يجعلوهُ آلةً في يدهم ووسيلة لنيل اغراضهم . ولقد نقلنا في الجزء الماضي من المقتطف كلاماً للدكتور نظيم بك من كبار اعضاء جمعية الاتحاد والترقي قال في خاتمتهِ انهُ يجب على الجمعيَّة ان تستمرَّ على السهر والمراقبة مدة طويلةً . فتم ما قالهُ ونجَت السلطنة من العود الى الاستبداد القديم لكنها فعلت ذلك بشفار السيوف وقنابل المدافع فقد زحفت بالجنود العثمانية على الاستانة واحاطت بها واحتلتها وادَّبت العصاة وقبضت على السلطان لما ثبت لها انهُ مشترك في هذه الفتنة وافتى شيخ الاسلام بخلعهِ امام مجلس الامة المؤلف من المبعوثان والاعيان لانهُ عبث بكتب الدين وبدَّد اموال السلطنة وسفك دماء الابرياء فأُسقط من الخلافة الاسلاميَّة والسلطنة العثمانية . وصعد الى مقام الخلافة وجلس على عرش السلطنة اخوهُ ولي العهد المشروع محمَّد افندي رشاد فمضى الى نظارة الحربية بصحبة مختار باشا الغازي واستقبل الوزراء والكبراء ونواب الامة واقسم يمين الامانة للدستور وسمي محمَّد الخامس وكان ذلك في ٢٧ ابريل

والذين يعرفون سلطاننا الجديد محمد الخامس يقولون انهُ رجل حسن النية خالص الطوية محباً لخير الدولة وخير الرعية وقد ذاق مرارة الاضطهاد من اخيهِ فشارك الامة في ما نالها منهُ وعلم ما ترومهُ وتبتغيهِ وايقن ان حكم الاستبداد لا يطاق ولا يؤْمن وان الحكم الدستوري خير للجميع ولذلك تناط الآمال بان يكون جلالتهُ حصناً حصيناً للدستور وعضداً متيناً لاركانهِ الثلاثة الحرية والاخاء والمساواة وان يحيي عهد الاصلاح الذي ابتدأ في زمن والدهِ السلطان عبد المجيد ويسعى في رفع شأْن الدولة وترقية مصالح الامة فانهُ اذا فعل ذلك وجد من رعيتهِ امةً واحدة تفديهِ بارواحها وتصون ملكهُ بمهج ابنائها واموال رجالها

ولم يجد اهل الشر والفساد سبيلاً الى تكدير صفاء الامن وتمزيق احشاء السلطنة

ولقد قابلهُ مكاتب جريدة الديلي كرونكل الانكليزية بعد ارتقائهِ الى عرش السلطنة فقال لهُ من حديث طويل

ان جرائد العالم ولاسيما الجرائد الانكليزيَّة مطالبة بقضاء واجب عظيم فاني اعتقد ان الرجل الذي يدير السيف بيدهِ قوي ولكني اعتقد ان الرجل الذي يحرك القلم بانامله اقوى جميع الناس. كن رسولي وابلغ اوربا والعالم كلهُ عني ما اقولهُ لك ليعلم الجميع اني كنت دائماً راغباً في الحرية والتقدم ومؤيداً لها ولا ازال كذلك وقد شاء الله سبحانهُ وتعالى ان ارتقي الى سرير آل عثمان وانا شاعر كل الشعور بالمسأولية الملقاة على عاتقي والواجبات المطلوبة مني والعبء الثقيل الذي احملهُ وأؤمل بمعونة الله ان اسير في الصراط المستقيم واؤيد كل من كان شريفاً مستقيماً سواءٌ كان من المسلمين او غير المسلمين بلا فرق ولا تمييز. نعم ان صوتي لم يسمع مدة ثلاث وثلاثين سنة ولكن صوت ضميري لم ينم

وهو كهل في الخامسة والستين من عمره متوسط القامة مملوء الجسم لين العريكة لهُ المام بالعربيَّة والفرنسوية ومعرفة تامة بالفارسيَّة واطلاع تام على السياسة الاوربيَّة فاذا سار في الممالك العثمانية سيرة ميكادو اليابان في بلادهِ ومنع كل شغب فيها بعلة الدين فلا شيء يمنع بلوغ الامة العثمانية اعلى المقامات بين الامم الاوربيَّة. لان الاجناس التي تتألف منها من ارقى اجناس البشر وقد كان لها تاريخ مجيد لا تفوقها فيهِ امة من امم الارض وبلادها اغنى بلدان المسكونة في خيراتها الطبيعيَّة واطيبها بقعةً واصلحها للتجارة ولا تحتاج الاَّ الى حكومة تحفظ لها حقوقها ولا تقف في طريق ارتقائها

افتتاح ميناء بورت سودان

يظهر باقل نظر انهُ لا يرجى فلاح بلاد السودان ما لم تُصدِر شيئاً من حاصلاتها توفي بهِ ثمن ما تجلبهُ من البضائع والمواد التي لا توجد فيها. والتصدير منها بطريق القطر المصري كثير النفقة لطول الشقة فرأى اولياء الامر ان ينشئوا لها مرفأً تجاريًّا على البحر الاحمر فاختاروا لذلك مكاناً قريباً من مدينة سواكن فيهِ مرمىً امين للسفن فانشأوا هناك مدينةً ومرفأً يقال انهُ لا يفوقهُ مرفأ في المسكونة في بنائهِ واتقان وسائل الشحن والتفريغ التي فيهِ لاسيما وانها كلها تتحرك بالكهربائية. وقد فتح هذا المرفأ رسميًّا في اول ابريل فخمة الجناب

الخديوي باحتفال عظيم حضرهُ جماعة من اعضاء مجلس شورى القوانين وارباب الصحف ومندوبيها من القطر المصري وسعادة السردار ورجال حكومة السودان من الخرطوم . وهاك ما بعث بهِ الينا مندوب المقطم نجيب بك صروف من بورت سودان في ١ ابريل

وصلت بنا الباخرة برنس عباس الى بورت سودان امس الساعة الثامنة مساء بعد سفر ٥٤ ساعة كان فيها البحر الاحمر ساكناً . والهواء هنا حار ولكنهُ مقبول وكلنا بتمام العافية . وقد زينت بورت سودان زينة باهرة وقد شاهدنا الرصيف فوجدنا طولهُ ٦٣٠ متراً وهو مبني بناء متقناً على احدث طريقة والاثقال ترفع كلها بالقوة الكهربائية ونحن نستعد الآن للابتداء بالاحتفال

ومنها الساعة ½ ٧ صباحاً

لما قامت بنا الباخرة من السويس ارسل سعادة السردار الحاكم العام تلغرافاً الى حضرة ستاك بك وكيل حكومة السودان الذي رافقنا في سفرتنا يحيي بهِ المدعوين ويتمنى لهم سفراً سعيداً . فتلي هذا التلغراف علينا وقت العشاء فاجاب حضرة عزتلو حسن بك بكري عليهِ شاكراً لسعادة السردار بالنيابة عن جميع المدعوين وكلف ستاك بك ان يبلغ سعادتهُ ذلك حال وصولنا . وفي هذا الصباح بكَّر سعادة السردار مستصحباً معهُ سعادة سلاتين باشا وياورانهُ واتى للتسليم على المدعوين ولاطفهم كثيراً . وهذه الكلمات تكتب الآن الساعة السابعة تماماً . والمدافع تطلق ايذاناً بدخول يخت المحروسة الى الميناء

ومنها الساعة ٩ صباحاً

فلما يدخل اليخت الميناء استقبلهُ حضرة مراقب الموانئ والفنارات ثم دخل بين صفين من الرايات والاعلام حتى رسا قرب الرصيف وحينئذٍ صعد سعادة السردار اليهِ مصحوباً بياورانهِ لتقديم واجب السلام والترحيب لسمو الخديوي المعظم . ثم نزل سموهُ من اليخت وكان يحيي المستقبلين بيدهِ وبمعيتهِ سعادة اسمعيل باشا سري ناظر الاشغال واحمد باشا حشمت ناظر المالية وما زال كذلك حتى وقف بين العلمين المصري عن اليمين والانكليزي عن اليسار . وكان فرقة قول شرف واقفاً هناك من العساكر المصرية والعساكر الانكليزية ومعهم الموسيقى السودانية فصدحت الموسيقى بالسلام الخديوي واطلقت الطوبجية ٢١ مدفعاً تسليماً وتعظيماً وقدم سعادة الحاكم العام اكابر موظفي حكومتهِ واركان حربهِ الى سموهِ . ثم تعهد سموهُ فرقة قول الشرف . وبعد ذلك صعد مع سعادة الحاكم العام وناظري الحربية والمالية ورجال المعية والحكومة السودانية واعضاء مجلس الشورى ورجال الصحافة الى الايوان

المعد لسموه . فالقى فيه سعادة الحاكم العام الخطبة الآتية باللغة الانكليزية . وقرأ حضرة عزتلو شاهين بك جرجس سكرتيره العربي ترجمتها العربية وهي :

مولاي صاحب السمو المعظم

اني افتخر بالشرف الذي اناله اليوم اذ ارحّب بسموكم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن ضباط السودان وموظفيه وعلمائه ومشايخه واعيانه واهاليه واعرب عن امتناننا المقرون بالاحترام على الشرف السامي الذي منحتموه سموكم للبلاد اذ تفضلتم ورضيتم ان تفتحوا هذا الثغر والميناء

ان تشييد بورت سودان لعمل يحق للعالم ان يفتخر به وهو بمثابة خطوة جديدة في سبيل منح السودان واهاليه بركات السلام والعمران فاسمحوا لي ان اقدم الى سموكم التهاني المقرونة باوفر الاحترام بنجاح هذا المشروع الذي تم تحت عناية سموكم . واني ارحب ايضاً ترحيباً قلبياً باصحاب السعادة النظار واعضاء مجلس شورى القوانين وغيرهم من الاعيان الحاضرين هنا واسدي الشكر على المساعدة التي نالتها السودان من كبار رجال حكومة سموكم

وفي الختام اتشرف بان اذكر امام سموكم الهمة والمقدرة اللتين ابداهما صاحب العزة القائمقام كندي بك مدير قسم الاشغال والقائمقام دروري بك مراقب الموانى والفنارات اللذين بمساعدة الضباط والموظفين الانكليز والمصريين والسودانيين الذين تحت امرهما قد كان لهما الفضل الاكبر في النجاح باتمام هذا العمل العظيم

واتشرف ان اذكر ايضاً اسماء صاحب العزة الميرالاي هيس سدلر بك مدير الجمارك والمستر هرنتون مورجان القاضي المدني وصاحب العزة القائمقام فلدن بك من ضباط حكومة السودان والدكتور كريسبن من ضباط مصلحة حكومة السودان الطبية الذين اتموا اعمالاً جليلة فيما يتعلق بتنظيم وادارة المدينة والميناء

وباذن سموكم سأطلب الآن من صاحبي العزة القائمقام كندي بك والقائمقام دروري بك ان يصفا بالايجاز اهم ما يتعلق ببناء المدينة والميناء وان يعرضا على مسامع سموكم اسماء الضباط والموظفين الذين قاموا بخدمات ممتازة

ثم تلا حضرة القائمقام كندي بك مدير قسم الاشغال خطبة باللغة الانكليزية وهذه ترجمتها العربية

مولاي صاحب السمو المعظم

بمناسبة افتتاح سموكم لهذا البناء الجديد اتشرف بان اعرض شرحاً موجزاً عن العمل الذي قد تم الآن مكللاً بالنجاح . ان اللجنة الخصوصية التي نظرت سنة ١٩٠٤ مسألة

اختيار افضل نقطة تكون ميناء السودان ومنتهى سكة حديد البحر الاحمر فورت اختيار بورت سودان وتفضيلها على سواكن الميناء القديمة التاريخية . وفي اوائل سنة ١٩٠٥ خصصت الاموال اللازمة للاعمال المختلفة التي قرَّ عليها القرار وارسلت الفرقة الاولى من المهندسين والعمال الى بورت سودان ولم تكن في ذلك الحين الاَّ شاطئاً مقفراً قاحلاً ولم يبلغ عمل البناء اشدَّهُ الاَّ في بدء سنة ١٩٠٦ . وعند تخطيط المدينة والميناء خصص الجانب الشرقي من الميناء بتمامهِ للارصفة التجارية ومستودعات الفحم ومخازن الجمارك ووراء هذه مكاتب ومخازن الترحيلات . اما المدينة نفسها فخططت على الارض المرتفعة الواقعة غربي الميناء حيث بنيت ابنية الحكومة المختلفة ومن جملتها الثكنات والمدارس والسجن والمستشفى ومكاتب البوستة والتلغراف ومكاتب الحكومة الاعتيادية واحياء السكن . وقد بنيت نقطة الكورنتينا على الارض المنفصلة الى الجنوب من الميناء . و يبلغ طول ما بني من الرصيف الى الآن ستمائة وخمسة وعشرين متراً و يمكن خمس سفن كبيرة ان تفرغ شحنها عليهِ في وقت واحد وعمق المياه على جانب الارض تسعة امتار في معظم الجزر. وقد وجدت صعوبة كبيرة في اعداد الاساسات عند بناء حائط الرصيف لان الشاطىء المرجاني غير متناسب فكان في بعض الاماكن ليناً للغاية وفي غيرها صلباً اقتضى استعمال كراكات من طرز مخصوص . ومعدات الميناء الميكانيكية تامة وهي تشتمل على خمس ونشات كهربائية ذات زاوية تمكنها من تفريغ شحن اكبر البواخر المعروفة . وست آلات كهربائية لجر السفن على جانب الارصفة وسحب عربات السكة الحديدية على الارصفة . والرصيفان المعدان للفحم مجهزان بآلات خصوصية لتفريغ الفحم تتألف من اربع نقالات للفحم وجسر تفريغ . وآلات تفريغ الفحم هذه من احدث وامتن طرز وكافية لتفريغ ثلاثمائة طن في الساعة . ولما كان العمل الصناعي اليدوي في السودان كثير النفقة قليل الفائدة كان من اهم الامور اعداد معدات ميكانيكية وافية بالغرض للميناء . وكل الآلات تدار بالكهربائية وتشتغل من آلة مركزية كبيرة وتجهز هذه الورشة النور والقوة الميكانيكية اللازمة لورش الارصفة والنور للمدينة وللارصفة نفسها وتجهز القوة ايضاً لادارة الكبري المتحرك الذي تسير عليهِ سكة الحديد فوق الميناء . وقد بني حوض شمالي الكبري لاجل اعمال الترميم العمومية للسفن والعمل جارٍ هناك في بناء مزلقان . و يرجى ان بورت سودان وان لم تكن كبيرة الاتساع فستكون من جهة معداتها من احسن موانئ العالم . و يجدر بي في هذا المقام ان اذكر ان مجموع ما انفق على كل الاشغال المتعلقة بمدينة بورت سودان وميناها قد بلغ ٩١٤ الف جنيه مصري

وفي الختام اسمحوا لي ان ارفع الى سموكم العالي اسماء الاشخاص الآتي ذكرهم الذين قاموا بمساعدات كبيرة في بناء مدينة بورت سودان الجديدة وميناءها :—

حضرة البكباشي ه . ه . كلي . وحضرة المستر ب . بارنت . وحضرة المستر ف . ه . كوب . وحضرة المستر ج . ا . ما كلارن . وحضرة المستر ف . س . س . بالفور . وحضرة اليوزباشي موسى افندي فهمي . وحضرة الملازم الاول عارف افندي لبيب . وحضرة الملازم الاول عبد الحميد افندي توفيق

والتمس ايضاً توجيه انظار سموكم الى العمل المتقن الذي قام بهِ مقاولو حائط الرصيف الخواجات بتشيني وكوستانس من الاسكندرية الذين اتموا عملاً هندسياً فائقاً بطريقة مرضية الى الغاية في احوال شديدة الصعوبة . وقرأ بعدهُ حضرة القائمقام درووري بك مراقب الموانئ والفنارات خطبة اخرى انكليزية وهذه ترجمتها العربية

مولاي صاحب السمو الاعظم

انشرف بان ارفع الى مقام سموكم العالي بعض الافادات المهمة المتعلقة بميناء بورت سودان وفائدتهِ البحرية . فاول كل شيء كما لاحظتم سموكم ان مدخل الميناء حسن جداً نعرضهُ يزيد عن الف ومئتي قدم والدخول اليهِ سهل والمرسى فيهِ صالح وامين وطولهُ نحو ثلاثة اميال وعمقهُ يتراوح ما بين سبع قامات واربع عشرة قامة والسفن التي تدخلهُ تكون مصونة من كل ريح تهب او نوء يثور . وطريقة انارة الميناء هي كما يأتي :—

قد نصب في مدخلهِ في مكان ظاهر فنار من الدرجة الثالثة يختفي نورهُ كل عشر ثوانٍ ويرى في البحر عن بعد اربعة عشر ميلاً وقد صنع هذا الفنار بحيث ينبعث منهُ شعاع احمر علامة على الخطر الى شعب ونجت والبر الشمالي الذي يخشى منهُ على السفن وشعاع آخر احمر الى شعب توارتيت والبر الجنوبي الذي يخشى منهُ على السفن ايضاً وشعاع ابيض الى البوغاز الامين . وفي القسم الضيق من المدخل قد نصب فناران ثابتان من الدرجة الخامسة احدهما على الجانب الايسر للداخل الى الميناء ونورهُ احمر والآخر على الجانب الايمن ونورهُ اخضر وقد جعل لارشاد السفن الداخلة الى الميناء منارتان مصنوعتان من الحديد المشبك علو الاولى منهما اربعة وثلاثون متراً وعلو الثانية ثمانية واربعون متراً والمسافة بينهما تسع مئة واربعة وستون متراً وينار على كل من هاتين المنارتين في الليل نوران احمران والمسافة بينهما عشرون قدماً (والفنارات التي تنبعث منها هذه الانوار هي من الدرجة الخامسة) وعند ما تكون المنارتان في خط مستقيم من السفينة ترى الانوار الاربعة الحمراء الواحد منها فوق

الآخر • وقد وضعت علامات على الشعب القريبة من الميناء لارشاد السفن في النهار ولذلك لا يوجد اقل خطر على السفن التي تدخل الميناء او تخرج منهُ ليلاً او نهاراً • ثم ان الارصفة وما لها من المعدات المتقنة والتسهيلات للشحن هي بحد ذاتها تجعل الميناء مرغوباً فيهِ وارى انهُ يجب ان تغرى السفن القليلة الشحن بالمجيء الى هنا بدلاً من ان تنقل شحنها الى سفن اخرى من السويس او غيرها • ومما تقدم اظن ان سموكم تلاحظون ان الميناء الذي تكرمتم بفتحهِ اليوم يضاهي في فائدتهِ وحسن معداتهِ افضل الموانئ الواقعة شرقي السويس

وفي الختام اتشرف بان ارفع الى مقام سموكم العالي اسمَي اللفتننت درابير من البحرية الملوكية الاحتياطية مساعد مدير الموانئ والفنارات والمستر بوكسال مهندس الاحواض اللذين قاما بخدمات جليلة فيما يتعلق ببناء البناء والارصفة

ثم رد سموهُ على هذه الخطب بخطبة عربية سنية هذه صورتها

يا سعادة الحاكم العام للسودان و يا ايها السادة

يسرني كثيراً ان احضر اليوم هذا المشهد الشائق للاحتفال باتمام هذا الميناء الجميل • فان افتتاح بورت سودان لمن الادلة الساطعة على ترقي اسباب العمران في بلاد السودان • وبتسهيلهِ طرق المواصلات يقرب النواحي القاصية بعضها الى بعض و يوسع نطاق التجارة ويزيد منابع الثروة في البلاد فيتمتع الاهالي ببركات الامن والسعادة

واني اشارك سعادتكم في الثناء على حضرة القائمقام كندي بك وحضرة القائمقام دروري بك وعلى جميع من ساعدوهما في هذا العمل العظيم من الضباط والموظفين الانجليز والمصريين والسودانيين

وتلا حضرة بروستر بك سكرتير سموهِ الانكليزي ترجمتها الى الانكليزية • ولما انتهى سموهُ من ردهِ قدم سعادة الحاكم العام اليهِ خطبتهُ في علبة من الذهب داخلها على شكل قبة ضريح الشيخ برغوث تذكاراً لفتح الميناء قائلاً اتشرف ان اقدم هذه العلبة الذهبية الى سموكم هدية من حكومة السودان لتكون تذكاراً لتشريفكم هذه الديار وافتتاحكم ميناء بورت سودان • فاجابهُ سموهُ قائلاً اني اشكر سعادتكم وسأحفظ هذه الهدية الجميلة لتكون لي ولابنائي من بعدي تذكاراً لافتتاح هذا الميناء

ثم ادار سموهُ اداة صغيرة متصلة برافعة (ونش) فتولدت قوة كهربائية رفعت آخر حجر من افريز الرصيف واعلن فتح الميناء رسميًّا • فادى قره قول الشرف السلام وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوي وسلام جلالة ملك الانكليز

شمس العدالة في تركيا

(تابع ما قبله)

الاتراك شعب حري بالاعجاب

في البلاد العثمانية خمسة وعشرون مليوناً من السكان وخمسة ملايين منهم اتراك من سلالة رجال عثمان الاول الذين خرجوا من اواسط اسيا وامتدوا في فتوحهم الى اوربا وهم شعب يُعجب بهِ قويٌّ باسل . نتكلم هنا عن الشعب التركي بالاستخفاف لكنهُ ليس بالشعب الذي يستخف بهِ . وحسبكم دلالة على مقدرتهِ انهُ تسلط على الممالك العثمانية ستمئة سنة . والسلطان الحالي سلطان مقتدر والذين رأوهُ يعلمون انهُ ليس كما يصورهُ ارباب الصحف الهزلية فهيئتهُ تدل على انهُ رجل مقتدر وسياسي حاذق عالي الهمة مع انهُ صار في السادسة والستين من عمرهِ . ولقد كان في خلال الثلاثة والثلاثين عاماً الغابرة اي منذ تاريخ مجلس المبعوثان الاول الى الآن مهتماً بفتح المدارس وبناء المساجد وانشاء المستشفيات واخذ الاحتياطات الصحية لتحسين صحة رعيتهِ ومد السكك الحديدية ولاسيما سكة حديد الحجاز العظيمة التي انشأها من دمشق الى مكة في السنين الاخيرة

ويلي العنصر التركي عناصر مختلفة كالارمن والاكراد والشراكسة والالبانيين والسوريين والمكدونيين والبلغاريين والسربيين واليونانيين كل هؤلاء عناصر ذات مقدرة وكفاءة وهناك العرب والتاريخ شاهد بمبلغ قوتهم وبسالتهم

اما المنافسة الناشئة عن اختلاف الاجناس والمذاهب فلا رجاء بالتغلب عليها الاّ بقوة الوطنية وقوة العلم وانارة الاذهان وتأثير الدين

شيدت مدارس عديدة في المملكة العثمانية في الثلاثين سنة الماضية للمسلمين والمسيحيين واظن ان عددها اليوم نحو اربعين الف مدرسة يدرس فيها نحو مليون ونصف مليون من الصبيان والبنات . وطريقة التعليم غير راقية ومع هذا فقد كنت في جنوب سورية منذ بضعة اشهر فزرت قرية صغيرة على بعد من السكة الحديدية وعلى بعد مئات من الاميال من دمشق . في تلك القرية الصغيرة مدرسة اهلية وتلامذة . وكثير مثل هذه المدارس منتشر في جميع انحاء المملكة فهذه المدارس وان يكن التعليم فيها غير راقٍ فانها ناجحة ومتقدمة فالمدرسة مدرسة والتلميذ الذي يقصدها الآن قد قرع باب العلم والترقي الذي يفتح الى القرن العشرين

الكليات الاميركية في تركيا

استطردُ الكلام الآن الى الكلية التي لي علاقة بها فاقول انها من طبقة المدارس والمعاهد العلميَّة العالية المتفرقة في جهات مختلفة من السلطنة العثمانية وحبذا لو وسعني الوقت للكلام على المعاهد العلمية الاخرى كالمدارس الكاثوليكية واعمالها. واني اتكلم عن المدرسة الكلية السورية الانجيلية لانها انموذج للكليات الاميركية في المملكة العثمانية واعتقد ان لهذه الكليات اعظم فضل في انارة اذهان الاهالي وتثقيف عقولهم وهي كثيرة فمنها واحدة في عينتاب وواحدة في خربوط وواحدة في ازمير وواحدة في مرسوفان وواحدة في طرسوس وواحدة في الاستانة وهناك كلية للبنات ايضاً . وقد انشأ الاميركيون هذه الكليات في المملكة العثمانية ليتسنى للعثمانيين الحصول على المزايا العلميَّة والادبية التي حصلنا نحن عليها

دعوني الفت نظركم برهة الى بيروت — تلك المدينة التي اعدُّها اجمل مدينة في العالم — والى مصلَّى الكلية حيث ترون جميع الطلبة مجتمعين وعلى منبرها سبعون استاذاً ومدرساً يمثلون عناصر مختلفة عديدة مع ان اكثرهم من الاميركيين وقبالتهم ثماني مئة طالب او تسع مئة . فالى الجانب الايمن طلبة المدرسة الطبية وفي الوسط طلبة المدرسة العلمية والى الجانب الايسر طلبة المدرسة التجارية وطلبة المدرسة الصيدلية ووراءهم طلبة المدرسة الاستعدادية . وربما لا يروق لكم منظر هؤلاء الطلبة لاول وهلة لانكم تتوقعون ان تروا منظراً غريباً غير مألوف . فانهُ عوضاً عن ان يبقى الطلبة بملابسهم الوطنية يجتهدون في تقليد ملابسنا التي لا تروق لعين الناظر ولكن عندما تسألون من اين جاؤوا ومن هم يتبين لكم فوراً كيف ان تلك المدرسة وسيلة مهمة للتغلب على ما ذكرتهُ آنفاً من المنافسة وقد تظنون انهم كلهم على المذهب البروتستانتي وذلك خلاف الواقع لان البروتستانت منهم يعدون على الاصابع. فمنهم نيف ومئة طالب من المسلمين ونحو مئة من الاسرائيليين ومئة من اليونان ومن خمسة عشر الى عشرين طالباً من بلاد الفرس وهناك تلامذة من الهند وتلامذة من البلغار وتلميذ من صحراء جوبي . ولما كنتم من اعضاء الجمعية الجغرافية فانتم ولا مشاحة تعرفون موقع هذه الصحراء . ان طلبة المدرسة الكلية في العام الماضي اتوا من ٢١٤ مدينة وقرية . ولا يخفى ان الطلبة الذين يصرفون عاماً واحداً او اربعة او عشرة اعوام في الكلية ثم يعودون الى بلدانهم المختلفة ويختلطون باهلها يكون لهم تاثير فيهم ومتى تبين لكم ذلك قدرتم هذا التأثير حق قدرهِ وعرفتم ما لهذا المعهد العلمي من النفع الجزيل

بقي علينا المسألة الدينية وهي اهم من سواها . تعلمون ان كليتنا مسيحية وهي كلية

مسيحية مثل غيرها من الكليات المسيحيَّة في هذه البلاد وقد وُجدنا في تلك الكلية لنشرك الشبان الذين فيها على اختلاف مللهم ونحلهم في ما بلغناهُ من سمو المبادىء المسيحية لا لنغير معتقاداتهم ولا لنجرعهم الدين المسيحي . ووجدنا ايضاً لنشاركهم في احسن المنافع التي نلناها ونلقنهم افضل ما في المكتبة وافضل ما في غرف التدريس وافضل الآداب الدينيَّة التي بلغناها . ان اولئك الشبان المسلمين يفتخرون بدينهم و يعدونهُ ديناً عظيماً فيجب علينا ان نسير معهم طبقاً للمبدإ العظيم الذي وضعهُ مؤسس الدين المسيحي حيث قال " ما جئت لانقض بل لاكمل "

اعظم صاحب للنبي

تعلمون شيئاً عن تاريخ الاسلام في اولهِ وعن زعمائهِ الاولين وعن الامام عمر الذي كان صديقاً للنبي ثم صار من خلفائهِ وتعلمون شدة حرص هذا الخليفة على حماية الدين والتمسك بتحريم الخمر طبقاً لنص القرآن . فقد بلغهُ مرة ان نفرًا من المسلمين اصابوا الشرب في الشام فكتب الى ابي عبيدة (وكان الوالي من قبلهِ في بلاد الشام) ان ادعهم فان زعموا ان الخمر حلال فاقتلهم وان زعموا انها حرام فاجلدهم ثمانين جلدة . فبعث اليهم فسألهم على رؤُوس الاشهاد فقالوا حرام فجلدهم ثمانين

هذا هو عمر الذي لما تولى الخلافة وقف في الناس وقال " ان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ لهُ بحقهِ وان اضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منهُ "

في استطاعتكم الآن ان تتصوروا كيف ان اولئك الشبان المسلمين يصغون الى قراءة التوراة على المنبر يومياً والى ما يقال تفسيرًا او حثًا . ولقد قلت سابقاً اننا لا نقصد ان نجرعهم الدين تجريعاً وهم ليسوا في الكلية ليصيروا مسيحيين او ليتدينوا بدين غير دينهم كلاَّ وانما نقصد ان نشركهم معنا في ما نعدهُ من الكمالات او الغايات السامية . لا نطلب منهم ان يعملوا شيئاً مخالفاً لدينهم بل نقول لهم بحرية ان التهذيب لا يكون كاملاً الاَّ اذا شمل تهذيب النفس والروح وان خير ما لدينا لنشركهم فيهِ هو الكمالات الدينيَّة فاذا لم يستطيعوا دخول كنيستنا براحة ضمير فعليهم ان يفتشوا عن مدرسة اخرى غير مدرستنا

لا نجبر المسلمين ولا اليهود ولا الدروز ان يحنوا رؤُوسهم في كنيستنا بل ننتظر منهم ان يكونوا هنالك كما ينتظرون منا ان نكون لو دخلنا جامعاً او مدرسة اسلامية اي احترام مكان العبادة وكذلك هم يفعلون . ونقول لهم ايضاً ان الالمام بتاريخ الديانة المسيحيَّة لازم لهم كما ان الالمام بتاريخ الديانة الاسلامية والديانة البوذية والديانة الصينيَّة لازم لنا

ويسرني ان اقول واراني اقول الحقيقة عينها اننا لم نتَّهم قط بمعاملة الطلبة المسلمين او اليهود او الدروز معاملة غير عادلة

اتذكر مرة ان الطلبة المسلمين كانوا يؤدّون فريضة الصوم والصلاة وهم ركع في غرفة النوم. وعلمت بعد ذلك ان بعض الطلبة من المسيحيين سخروا بهم ولما كان ذلك مخالفاً لمشرب الكلية انتهزت فرصة اجتماع الطلبة واعتذرت اليهم عمّا فعلهُ اولئك الذين يدعون انهم مسيحيون. فعلت ذلك وانما اعتقد انهُ امر بسيط ولكن هل تصدقون انهُ اهاج الطلبة المسيحيين فاخذوا يتساءلون قائلين الى من وجه الرئيس كلامهُ وما القصد منهُ وهل صار مسلماً حتى يعتذر الى المسلمين

وعلى هذا النحو يكون الطلبة المسلمون عندما يتركون الكلية ملمين بمبادىء الدين المسيحي يقدرون هذا الدين الذي اوصل المسيحيين الى ما هم عليهِ حق قدرهِ وكذلك الحال مع اليهود والدروز . وليس غرضي مما ابينهُ الأ ان ابين اسلوب الكلية واظهر لكم كيف اننا بين هذه الاديان المختلفة نعزز المبدأ الديني بقطع النظر عن مختلف الاديان وذلك بجهرنا بمبادىء الديانة المسيحية بحرية وجلاء وهذا هو السبب في ان التسعماية طالب تقريباً الذين عندنا يتماثلون شيئاً فشيئاً مع ان عدد الطلبة البروتستانت بينهم قليل جداً

الامير والفلاح متساويان في لعب الكرة

وكذلك الحال في المسائل السياسية فان كل طالب يدخل كليتنا يفهم اننا كطلبة واساتذة لا ننظر الى كلمة الانقلاب بمعناها السياسي بل نفسرها بانها ضد الجهل والغباوة وبانها توجب صرف القوى الى ما يرقي العقل وينير الذهن فيدرك الطلبة بذلك تدريجاً ان في استطاعة الرجال مع ما هم عليهِ من اختلاف العناصر والاميال السياسية ان يشتركوا في مشرب واحد ووطنية واحد . اتذكر ان كثيرين من طلبة الكلية بهتوا لما زارنا المستر بريَن (الزعيم الاميركي) وقرينتهُ ورأونا نكرم وفادتهما ونرحب بهما مع ان اكثرنا من الحزب الذي هو ضدهُ واتذكر ان المستر برين القى علينا حينئذٍ خطبة رنانة ستبقى في حافظة الطلبة زمناً طويلاً

ونراعي هذا المبدأ ايضاً في ساحة الالعاب الرياضية حيث ترون نجل الامير يلعب كرة القدم مع ابن الفلاح او ابن الطباخ . ونحن نعتقد بمنفعة لعب كرة القدم هناك وعندنا سبع عشرة او ثماني عشرة فرقة يمارسون هذا النوع من اللعب الذي ينمي في الطلبة القوة على الصبر واحتمال الضيم فاذا اصيب اللاعب بضربة شديدة فلا ينفش ريشهُ ولا يستل خنجرهُ

وهذا يجعل الطلبة يخرجون الى العالم رجالاً كما يجب ان يكون الرجال

وهذه المبادئ نفسها تُتمشى في غرف الطعام حيث تجدون طلبة من جميع العناصر والاديان يخدمون على المائدة مقابل اجرة تعليمهم وثمن طعامهم وهذه امثولة للاميركيين كما هي للسوريين

ما هو مصير المتخرجين من كليتنا ؟ يسهل جدًا جمع الطلبة اذا قلت لم حيّ على العلم هلمّ الى اسباب العمران التي امتاز بها القرن العشرون. ولكن من المحتمل ان يدور في خلدكم الآن سؤال وهو كيف تحافظون على اولئك الطلبة وكيف تخرجونهم الى العالم ؟ فالف وثماني مئة قد تخرجوا من كليتنا بعد ان نالوا الشهادات المختلفة فمنهم الاطباء والجراحون والصيادلة وحاملو الشهادة العلمية وغيرهم. ترون منهم الاطباء في بر الاناضول و بلاد مصر و بلاد السودان حتى خط الاستواء. ترون منهم القضاة والمحامين واساتذة المدارس ووعاظ الكنائس. على ان هؤلاء الالف والثماني مئة ليسوا شيئًا ازاء العدد العظيم من الذين يدخلون الكلية ويخرجون منها قبل اتمام دروسهم او بعد اتمام بعضها

اعترف ان لي ضلعًا مع المدرسة الكلية ولكني اؤكد لكم انني اجتهدت لا توخّى الصدق والحق في ما اقوله لكم فاطلب منكم ان تحكموا بانفسكم هل هؤلاء الالف والثماني مئة الذين خرجوا الى العالم بعد اتمام دروسهم لا يكونون قوة قادرة على حسم العداء الجنسي وهدم اركان التعصب الديني أَوَ لا يكونون قوة لوضع اساس وطنية حقة وجامعة اخوية واتحاد يبشر بمستقبل مجيد للسلطنة العثمانية

والحق يقال ان الصعوبات التي تعترضنا عظيمة جدًا ولكن لا تنسوا ان ثماني كليات او تسعًا تعمل عملنا في تركيا فاينما وجد متخرج من هذه الكليات وجد نور جديد يضيء الجهة المحيطة بهِ . فمن عيادة ذلك الطبيب. ومن مكتب ذلك المحامي . ومن منزل ذلك الواعظ تنبعث قوة في سبيل الاصلاح والمدنية — وتلك القوى متجهة الى مركز واحد وهي تبدد ظلام الجهل والغباوة

تركيا صديقتنا الوحيدة سنة ١٨٦٢

ان والدي الجليل مؤسس هذه الكلية واول رئيس لها وهو الآن في السادسة والثمانين من عمرهِ زار مدينة وشنطون منذ ست واربعين سنة وقابل الرئيس لنكلن . وكان اخوانهُ المرسلون في سورية قد كلفوهُ بزيارة الناظر سيورد لمفاوضتهِ في خلاف طفيف وسوء تفاهم يتعلق بعملهم في تلك البلاد والاستفهام من حكومة وشنطون هل تستطيع مخابرة تركيا لوضع

حد لتلك المشاكل البسيطة . فاجابهُ المستر سيورد بعد ان سمع اقوالهُ قائلاً " انعلم يادكتور بلس ان تركيا هي الدولة الوحيدة التي شاركتنا في العواطف والاحساسات في هذه الحرب الاهلية " . فلم ينبس والدي بكلمة بل احنى رأسهُ وخرج من لدنهُ لانهُ فهم المراد

يجب ان لا نكتفي بارسال رسالة بسيطة من مجلس امتنا الى الامة العثمانية في هذه الساعة المهمَّة في تاريخها . يجب ان لا نكتفي بذلك ايها السادة والسيدات نحن ابناء هذه الجمهورية التي وان لم تنل حتى الآن كل غايتها من الحرية لكنها قد سارت في سبيلها شوطاً طويلاً في طريق لا يخلو من العقبات . ألا يجب علينا ان نرسل اليها رسالة يفهم منها اننا نؤيد تلك المدارس والمعاهد العلميَّة التي هي من وسائل العمران في البلاد العثمانية ان لم يكن لذلك اسباب تمنع ارسال رسالة مثل هذه

علمت ان كثيرين منكم هنا في وشنطون قد اهتموا بمشروع مجيد وهو انشاء مستشفى للمسلولين في لبنان وهو اول مستشفى من هذا النوع في المملكة العثمانية وما من احد ينكر نفعهُ ولكني الفت انظاركم ايضاً الى المشروعات الاخرى التي لا تقتصر على الفوائد الصحيَّة والعقلية بل تتناول ترقية المملكة العثمانية روحيًّا وادبيًّا ايضاً

واني اشكركم من صميم الفؤاد على اصغائكم اليَّ ولي رجاء واحد وهو انكم تزورون البلاد العثمانية فتشاهدون نمو الحرية والاخاء والمساواة في تلك السلطنة العظيمة

ترجمة خطبة بوفون في صناعة الانشاء

تمهيد للمترجم

ان بوفون المنشيء الفرنسويّ المشهور وُلد سنة ١٧٠٧ وتوفي سنة ١٧٨٨ وقد كان احد الثلاثة الذين احرزوا لعصرهم في البلاد الفرنسويَّة اعظم ما يصل اليهِ من النفوذ الفكريّ من ملك ناصية البلاغة كما صرَّح بذلك احد المؤلفين في كتاب لهُ في تاريخ البلاغة الفرنسويَّة . ومن آثارهِ المشهورة خطبة لهُ في صناعة الكتابة خطبها يوم انتظامهِ في عداد اعضاء المحفل العلميّ الفرنسويّ فصادفت من الاستحسان عند العلماء والادباء ما هي جديرة بهِ ولم تزل الى اليوم من آثار القلم المكرَّمة ولن تزال فأحببت ترجمتها بالعربية ونشرها في مجلة المقتطف الشيخة عمرًا وحكمةً والفتاة نشاطاً وهمةً فان تعريب مثل هذه الخطب المحبرة يعد من انفس مما يهدى الى الالباب

الخطبة

(١) قد البستموني رداء المجد الضافي بما دعوتموني اليكم ونظمتموني في سلككم . والمجد نعمة لا يصيب المرء منها الاَّ على قدر اهليتهِ لها . لا ارى ان بواكير كتاباتي الخالية من لطف الصنعة العاطلة من كل حليةٍ الاَّ حلية الطبيعة تصلح اسباباً كافية لتجرّئني على الانضمام الى ارباب العلم الاعلياء المقام الممثلين بهاء البيان الفرنسوي الذين طار صيتهم ودارت اسماؤُهم على ألسنة الامم وستدور على ألسنة الاعقاب مقرونةً بمجد الثناء

لكن يا ايها السادة كانت لكم اسبابٌ أُخر اذ ازمعتم ان تشرّفوني بالانتظام في المجمع الشريف الذي قد وسمتهُ منذ طويل بسمةٍ جديدة من الاجلال فانَّ ثنائي وان لم اكن منفرداً فيهِ لا يقلُّ رونقاً ولا يهن قوّةً . لكن مَن لي ان اقوم بالذي تفرضونهُ عليَّ في هذا اليوم . ليس لي ان اقدّم لكم الاَّ ما لكم وهو بعض خواطر في صناعة الانشاء قد استفدتها من نفثات اقلامكم . فبمطالعة مؤَلفاتكم والاعجاب بها قد عنَّت لذهني هذه الخواطر وبعرضي اياها على آرائكم الصائبة ستنجلي بحلية النجاح

(٢) لم يخلُ زمن من رجال يقدرون ان يقودوا الناس بقوّة الكلام غير ان هذا لم يكن مع ذلك في القرون المستنيرة التي جاد فيها الانشاء وبلُغ الكلام . فان البيان الحقيقيَّ يستلزم شحذ القريحة وتهذيب العقل وبينهُ وبين ذلاقة اللسان بونٌ بعيد . فما ذلاقة اللسان الاَّ موهبة مُنحها الذين أُوتوا قوّة الاهواء وطلاقة الالسنة وسرعة التخيُّل . فامثال هؤُلاء شديدو الشعور والتأثُّر ويفصحون عن ذلك بقوّة وينقلون الى قلوب الغير مثل ما بهم من التحمُّس والانعطاف بصورةٍ آليةٍ بحتةٍ حتى كأنَّ الجسم يكلّم الجسم وذلك لان حركاتهم واشاراتهم تتضافر وتتعاون وتتساوى فعلاً . والسواد الاعظم من الناس لا يحتاج في استمالتهم واقناعهم الاَّ الى لهجةٍ حادَّة مؤَثّرة واشارات واضحة متكرّرة ولفظٍ رشيقٍ طنانٍ

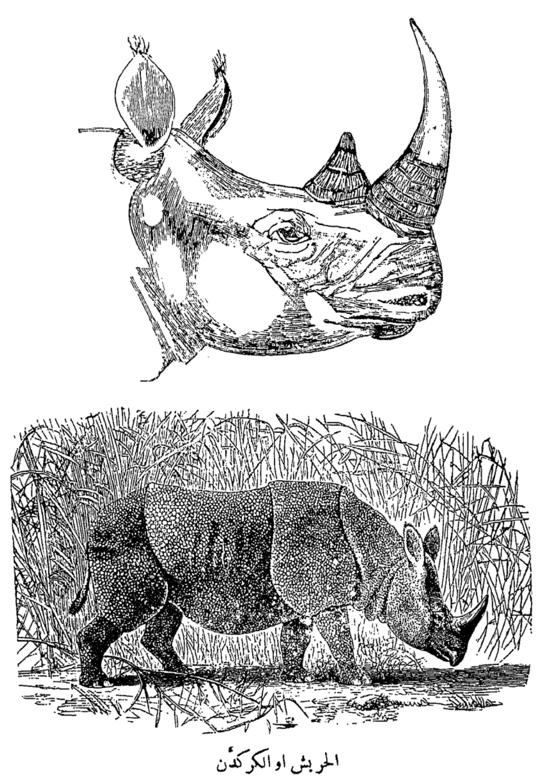
واما الفئة القليلة وهم اهل الرصانة ولطف الذوق ورقّة الحس فهم ايها السادة مثلكم لا يحفلون بالحركات ولا الاشارات ولا رنة اللفظ الفارغة . فهؤُلاء لا بدَّ في اقناعهم من موادَّ ومعانٍ وبراهين كما لا بدَّ ايضاً من العلم بايرادها وتلوينها وتنسيقها فلا يكفي ان تطرب الآذان وتشغل الابصار بل لا بدَّ ان تؤَثّر في النفس وتمسَّ القلب بمخاطبة العقل . فما الانشاء سوى الترتيب والحركة التي تُبثّ في المعاني فان أُحكم ربطها ووُثّق ضمها جاء الانشاء رصيناً متيناً موجزاً . وان تركت تتعاقب ببطء تحت ظلّ الالفاظ فمها بلغت فصاحة الالفاظ فلا يجيء الانشاء الاَّ مشوَّشاً ركيكاً مطولاً

ينبغي للمنشيء قبل الاشتغال بنظم العبارة ان يشتغل بترتيب الخواطر الاولى والافكار الاصليَّة . فمتى عيَّن لكل خاطرٍ او فكرٍ أصليّ محلاً تسنى لهُ ان يحصر الموضوع ويعرف مقدار اتساعهِ . ومتى قامت هذه الرسوم الأوليَّة نصب عينهِ تيسَّر لهُ ان يُعين المسافة المناسبة بين الافكار الاصلية التي تتفرع منها الافكار التابعة والمتوسطة التي تملأ تلك المسافات . فبقوَّة القريحة يمكن المرء ان يتصوَّر كل الافكار العموميَّة والخصوصيَّة بحقيقة معانيها . وبدقة تمييز يفرّق بين العقيم منها والمثمر . وبالذكاء المكسوب بتعوُّد الكتابة يعرف اول الامر ما تكون نتيجة اعمال العقل هذه . فلا جرم ان الموضوع المتسع او المختلط ولو بعض الاختلاط يعزُّ على المرء ان يحيط بهِ بلحظةٍ او ان يدركهُ باسرهِ لاول توجيه النظر اليهِ . ويعزُّ عليهِ ايضاً ان يدرك كل متعلقاتهِ الاَّ بعد ان يطيل النظر فيهِ فينبغي والحال هذه ان يجيل ذهنهُ فيهِ كثيرًا فان هذه هي الوسيلة الوحيدة الى اثبات افكارهِ وتوسيع نطاقها والسموّ بها . وكلما اعطاها بالتأمل مادةً وقوةً سهل عليهِ ان يحسن تشخيصها بالتعبير عنها

على ان هذا الرسم ليس هو الانشاء كلهُ لكنهُ اسهُ بما يعضد المنشيء ويرشدهُ وينظم حركتهُ ويجري بهِ على سنن البلاغة . وبدونهِ فابلغ كاتب يضلّ السبيل ويجري قلمهُ بلا دليل فيكون كلامهُ مضطربًا وتكون معانيهِ غير منتظمة وصورهُ متنافرة . ومهما كانت الالوان التي يلوّن بها ناصعةً ومهما كانت المحسنات التي يرصّع بها التفاصيل جميلة فان كان مجمل كلامهِ مستهجنًا او قاصرًا عن ان يؤثر التأثير الكافي فالتأليف يكون ركيكاً . الاَّ ان القارئ مع اعجابهِ بفعل المنشيء يخالجهُ الظن ان ذلك المنشيء خالٍ من الذكاء ومن هنا ترى الذين يكتبون كما يتكلمون لا يحسنون الكتابة وان كانوا يحسنون الكلام . وترى ايضاً الذين يسلمون لاول خاطرٍ يخطر لهم فيهبّون بحماسةٍ لا يلبثون ان يعجزوا عن الاستمرار عليهِ

ولهذا السبب عينهِ لا يحكم اللحمة بين المعاني الذين يخافون اضاعة ما يطرأُ على العقل من الافكار المنفردة ولا الذين يكتبون الفصول والمقالات في الاوقات المتقطعة . ومن اجل ذلك ترى تآليف متعددة مكوَّنة من قطع لا يلحم بعضها ببعض الاَّ بعد الجهد والعناء . وقلَّ منها ما سُبك برقةٍ

ومع ذلك فمهما اتسع الموضوع الواحد فلا يتعذر حصرهُ في مقالةٍ واحدة . فالقطع والوقف والفصل لا يسوغ ان يستعمل شيء منها الاَّ عند اختلاف المواضيع او عندما يكون الكلام في امورٍ جليلة صعبة متنوعة فان القريحة تعترضها في اشباه هذه الامور العوائق الكثيرة وضرورات الاحوال فتقف جريها



الحربش او الكركدن

ألّا وان تعدد التقسيم يضعف التأليف . نعم ان العبارة تظهر للعيون اوضح لكن غرض المؤلف يستمرّ تحت سجف الخفاء ولا يكون لهُ موقع في نفس القارئ فهو لا يشعر بهِ الاَّ باطراد المعنى ويحسن التحام الافكار ويسط متتابع وتدريج مستمرّ وحركة متساوية السرعة يضعفها او يلاشيها ايُّ انقطاع حصل

واحسن ما يتجلى بهِ المقصود النظر في اعمال الطبيعة فهي كاملة وما علة كمالها الاَّ ان كل عملٍ هو مجموع تام وهي تعملهُ على منهاجٍ ابديّ لا تندُّ عنهُ . فالطبيعة تعدُّ سرًّا بزور نتائجها وترسم بمرّة الصورة الاوَّلية لكل كائن حيّ وتبسطها وتكملها بحركة مستمرة وفي أجلٍ معيَّن وهو ولا ريب عمل مدهش . ولكنما المدهش حقيقةً هو ما يلوح عليهِ من الاثر الالهي

اما العقل البشريّ فليس في وسعهِ ان يوجد ولا أن يولّد شيئًا الاَّ بعد تلقيحهِ بالخبرة والتأمل يعني ان معارفهُ هي بزور نتائجهِ . لكنهُ اذا قلّد الطبيعة في سيرها وفي عملها ترقّى بالتأمل الى الحقائق العليا فاذا جمع هذه الحقائق وربط بعضها ببعض واذا افضى بهِ تدقيق النظر الى ان يؤلف مجموعًا وينهج في انشائهِ منهجًا واحدًا قرَّر على اسٍّ لا يتزعزع آثارًا خالدةً

انما لعدم رسم الموضوع واغفال التأمل فيهِ يرى ذو اللبّ انهُ في حيرةٍ فما يدري من اين يبدأُ بالكتابة فتعنُّ لفكرهِ خواطر جمة دفعةً واذ لا يكون قد قابل فيما بينها ولا وصل بعضها ببعض يبقى في حيرتهِ ولكنهُ متى رسم رسماً وجمع ورتّب كل ما للموضوع من المعاني الجوهرية فيعرف حينئذٍ متى ينبغي ان يشرع في الكتابة ويشعر بان النتيجة العقلية قد نضجت فيجتهد ان يجعلها تفرخ حتى لا يكون لهُ الاَّ لذة الكتابة اي ان التصوُّرات تفيض عليهِ والعبارة منقادة سهلة مندفعة بقوَّة الطبع . وحرارة التعبير تتولَّد من هذه اللذَّة وتنتشر في كل الموضوع وتنفخ روح الحياة في كل عبارة وكل شيء يتزايد قوةً فالبهجة تعلو والاشياء تتلوَّن وتحسن . والشعور اذا اقترن بالموضوع زادهُ وقوَّاهُ وعرَّفهُ بما قيل ما سيقال وعندئذٍ يعود الانشاء مفيدًا جليًّا

لاشيءَ اذهب بحرارة العبارة وجزالتها من رغبة الكاتب في ان يأتي في كل موضع بالجمل المستغربة طلبًا لاستلفات الانظار ولا شيءَ احجب لضياء الوضوح الذي تقضي البلاغة ان يكون منبثًا في كل اجزاء الكتابة من هذه البداءة المتكلفة الناشئة عن جميع العبارات المتنافرة التي وان غشّت وبهرت ابصارنا بنورها بضع دقائق لا تعتم ان تتركها في حنادس الابهام . وهذه الافكار لا يمض برقها الاَّ بالمضادَّة فان الكاتب لا يظهر الاَّ جهةً من الموضوع ويعرض عن سائر جهاتهِ

وفي العادة ان الجهة التي يختارها الكاتب يتسنى لهُ ان يفرغ اشعة عقلهِ عليها بحسبما يكون قد ابعدها عن سائر الجهات التي من دأب العقل الصحيح ان يعتبر الاشياء بها (اي ان يجعلها مقياس الاشياء)

لا شيء اشد اجحافاً بالبيان الصحيح من استعمال هذه الافكار المكلفة وطلب هذه التصوُّرات التافهة المسترخية الفاقدة القوَّة الشبيهة بورقة من المعدن مطروقة لا تأخذ رونقاً ما لم تفقد الصلابة وكلما اكثر من وضع هذه النكت اللطيفة في كتابةٍ ما كلما قلت فيها المتانة وخُسف نور البيان وشحب وجه التعبير . اللهمَّ الاَّ ان تكون تلك النكتة أُسَّ الموضوع وبعبارة اخرى الاَّ ان يكون موضوعهُ مبنيًّا على النكت ولم يكن لهُ غرض غير الفكاهة فحينئذٍ تصبح صناعة التعبير عن الاشياء الصغيرة أَوعر مسلكاً من صناعة التعبير عن الامور الكبيرة

لا شيء اشدُّ معاندةً للجمال الطبيعي في الانشاء من التعبير عن الاشياء المألوفة بصورة غريبة اومبهرجة ولا شيء يغضُّ من الكاتب اكثر من ذلك وان كان يقاسي في اجتلابهِ ما يقاسي

فالناس لا يعجبون ببلاغتهِ خلافاً لما يظن بل يتهمون عليهِ انهُ قطع كثيرًا من الزمان في تنضيد كلامهِ تنضيداً جديداً ابتغاء ان يخرج عن الاسلوب العامّ وهذا العيب هو عيب العلماء العقماء العقول فلهم من الكلم مادَّة غزيرة وليس لهم تصوُّرات فهم يشتغلون بالالفاظ ويتوهمون انهم نظموا التصوُّرات لانهم نسَّقوا الجمل . ويتخيلون انهم طهَّروا اللغة وهم قد افسدوها . فهؤلاء الكتَّاب ليس لهم انشاء وان شئت فقل ليس لهم الاَّ خيالهُ . فالانشاء ينبغي ان ينقش الافكار . وهم لا يقدرون الاَّ ان يخطُّوا الكلم . فبلاغة الكتابة تقتضي سعة العلم بالموضوع وتستدعي اطالة النظر فيهِ وذلك لكي يتبين الكاتب ترتيب افكارهِ ويكوّن لها مجرًى وسلسلةً متصلةً كل حلقةٍ منها تمثل تصوُّرًا

ومتى شرع في الكتابة تعيَّن عليهِ ان ينظمها على حكم الرسم الاول بعضها وراء بعض غير سامحٍ لنفسهِ ان يشذَّ عن ذلك ولا مساعدٍ لها على تباين العبارة ولا معطٍ لها حركةً غير الحركة المعينة للمجال الذي تجول فيهِ . فهذه هي جزالة الانشاء . وهذه هي الموجدة الوحدة والمرتّبة السرعة وذلك هو الذي يكفي وحدهُ لاخراج العبارة مخرجاً صريحاً ساذجاً متساوي النمط واضحاً قويًّا منتظم السياق — فان انضمَّ الى هذه القاعدة الاولى التي تمليها القريحة اللطف والذوق والتدقيق في تخير العبارات والتنبه الى ان لا تُسمى الاشياء الاَّ تعريضاً وايماء فان توفر ذلك جزُل الانشاء — وان ضمَّ الكاتب الى ذلك ايضاً الحذر من حركة

الاندفاع الاولى وعدم المبالاة بكل ما لا فائدة لهُ الاَّ البهرجة الفارغة وضمَّ اليهِ المجافاة المستمرَّة للابهام والهزل جاء الانشاء رصيناً محكماً

والخلاصة ان من يكتب كما يفتكر و يقتنع بما يريد ان يثبتهُ للناس فهذا الاقتناع نفسهُ الذي هو تأدب في حقّ الناس وفي صحة القول يلاقي في النفوس من التأثير ما يجدر ان يلاقي مثلهُ

لكن يشترط لهذا الاقتناع الباطن ان لا يكون مقروناً بحماسةٍ مفرطةٍ وان يكون فيهِ من السذاجة اكثر مما فيهِ من الثقة ومن الصواب فوق ما فيهِ من الحماسة فلهذا قد خيّل لي ايها السادة وانا اقرأ مصنّفاتكم انكم كنتم تخاطبونني شفاهاً بل كنتم تلقنونني العلم. وكانت نفسي تتاقف حكمكم هذه وتحاول ان تطير وترتقي اليكم ولكن هيهات ذلك فان القواعد لا تقوم مقام القريحة فان لم تكن القريحة فما في القواعد غناء — ألا وان الكتابة الجيدة انما هي صحة فكر وصدق حسّ وحسن تعبير اي ان يجتمع في الكاتب العقل والحسّ والذوق. فالانشاء يقتضي اجتماع كل هذه القوى العقلية وتمرُّنها. فانما الافكار هي اسّ الكتابة واما تآخي الالفاظ فليس هو الاَّ امرًا ثانويًّا ومتولدًا من شدَّة الحسّ فقط. فحسب المرء قليل من تحكيم السمع ليجانب التنافر بين الالفاظ وان يمرّن سمعهُ ويحكمهُ بقراءة الشعراء والخطباء حتى يبلغ بهِ الطبع الى اتباع الايقاع الشعريّ والاساليب الخطابية. على ان الاتباع ما اوجد قطُّ شيئًا. ولذلك ليس اسّ الانشاء ولا لهجتهُ في تآخي الالفاظ فهو اكثر ما يكون في الكتابة الخالية من المعاني فما اللهجة الاَّ موافقة العبارة لطبيعة الموضوع فلا يجوز ان تكون مكرهة فهي تتولد طبيعيًّا من اسّ الشيء نفسهِ وهي شديدة العلاقة بالجهة العامة التي اليها يوجّه الكاتب افكارهُ فاذا ترقَّى الى التصوُّرات التي هي اشيع واذا كان الموضوع في حقيقتهِ جليلاً فاللهجة ترتقي الى هذا المقام نفسهِ فاذا استمرَّت اللهجة في هذه الطبقة العالية فالقريحة تأتي ببلاغة تبثّ ضياء الوضوح — واذا استطاع الكاتب ان يضمّ الى جمال التزويق قوَّة الوصف وفي الجملة اذا تهيأ لهُ ان يمثّل كل تصوُّر بعبارةٍ حيَّة مبينة وان يصنع من سلسلة كل مجموع من التصوُّرات صورةً متناسبةً ومتحركةً فلهجة العبارة تكون عاليةً بديعةً لا مزوَّقةً فقط

ومن ثمَّ فالمثابرة على الكتابة انفع من حفظ القاعدة والامثلة افيد من القواعد لكن لا يؤذن لي ان أورد المقالات العالية التي اسكرتني بلاغتها عند ما كنت اقرأ نبذكم فاني مضطرٌ ان اقف عند ابداء الخواطر فالتاليف البليغة انما هي التي تجتاز الى الاعقاب

واما كثرة المعارف وغرابة الاعمال وحداثة المكتشفات فليست بالكفيلات الامينات بالبقاء على وجه الدهر. فاذا كانت التآليف التي تتضمنها لا تدور الاَّ على موادَّ تافهةٍ او اذا كانت عبارتها منابذةً للذوق او ركيكةً او لا دلالة فيها على توقُّد القريحة فهي صائرة الى الهلاك . الا وان المعارف والصنائع والمكتشفات يسهل تناولها وانتقالها بل انها تكسب وتحسن باستعمال ايدٍ اخرايا اها هي احذق من يد مكتشفها . وهذه الاشياء خارجة من الانسان . اما الانشاء فهو الانسان نفسهُ فيستحيل ان يُسلب كما يستحيل ان يُنقل ويمتنع ان يحرَّف او يزوَّر . فان كان في المقام العالي من الجزالة وحسن الديباجة حقَّ لصاحبهِ ان يعجب بهِ في كل عصر فلا يبقى على الدهر الاَّ الحقيقة . وليس الانشاء الجيد في الواقع الاَّ عدداً عديداً من الحقائق التي تبرز ببرُدهِ القشيب . فكل ما فيهِ من المحاسن العقلية وكل العلائق التي يتألف منها حقائق مفيدة بل ربما هي افيد للعقل البشري من الحقائق التي تكون اسَّ الموضوع بل هي اغلى قيمةً عندهُ

واما الانشاء البديع العالي فليس الاَّ في المواضيع الجليلة فالشعر والتاريخ والفلسفة كل منها موضوع لهُ جليل بل غاية في الخطارة اذ هو الانسان والطبيعة . اما الفلسفة فتصف الطبيعة وتصوّرها . واما الشعر فيصفها ويحسنها ويصوّر ايضاً الناس ويعظّمهم بل يبالغ في وصفهم وهو الذي يوجد بقوَّة المخيلة الابطال والآلهة . واما التاريخ فلا يصف الاَّ الانسان ويصفهُ كما هو ومن ثمَّ فلهجة المؤرخ لا تصير عالية الاَّ حين يصف اعاظم الرجال او يذكر اعظم الحوادث واكبر الاهواء واشدَّ الثورات وفيما خلا ذلك يكفي ان تكون العبارة رصينةً ذات فخامة

ولهجة الفيلسوف يمكن ان تصير عاليةً كلما أفاض في ذكر شرائع الطبيعة والكائنات بالاجمال والفضاء والمادَّة والحركة والزمان والنفس والعقل البشريّ والعواطف والاهواء وحسبهُ فيما عدا ذلك ان تكون جزلةً مزوَّقةً

واما لهجة الخطيب والشاعر فمتى كان الموضوع عظيماً ينبغي ابداً ان تكون عاليةً فهما القادران ان يضما الى عظمة الوضوع من التلوين والانسجام والتزيين ما يريدان . وعليهما قبل ان يصفا الموضوعات ويكبّراها ان يفرغا في كل موضع ما أُوتيا من قوَّة القريحة وذكائها

بيروت في ٩ آذار سنة ١٩٠٩ سعيد الخوري الشرتوني

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

﴿ الكَرْكَدَّن (فارسية) . الكَرْكَنْد (محرَّفة عنها) . الحَرِيش[1] (حبشيَّة) المِرْمِيس . المِرْمِيس . السِنَاد . الحمار الهندي . وحيد القرن (ترجمة الاسم اليوناني) ﴾

E. Rhinoceros. F. Rhinocéros.

حيوانٌ من ذوات الحافر عظيم الجثة قصير القوائم غليظ الجلد لهُ قرنٌ واحد فوق انفهِ ولبعض انواعهِ قرنان الواحد فوق الآخر . وهو هندي وافريقي ويعرف في السودان بابي قرن وام قرن ويسمى قرنهُ بالخَرْتُوت والخَرْتِيت والخُتُوّ

وقد ذكرت لهُ اسماء غير هذه في بعض المؤلفات العربيَّة وسماهُ البيروني الغندا وهي لفظة سنسكريتية . وهو النشان في مروج الذهب وفي بعض النسخ النسيان والنوشان . وحسب المسعودي ان لفظة الكركدن عامية وقال " النشان الذي تسميهِ العامة الكركدّن " . وضبطها الفيروزبادي بتشديد الدال وقال العامة تشدد النون فيكون المتنبي على زعمها عاميًّا مزدوجًا في قولهِ

وشعرٍ مدحت بهِ الكركدنَّ بين القريض وبين الرُّقى

ولا بدَّ هنا من البحث في امر الحيوان الخرافي المسمَّى حريشًا في المؤلفات العربية و Unicornis او Licorne عند قدماء الافرنج وهو الحيوان المرسوم على الشعار البريطاني وزعموا ان لهُ رأس الفرَس وقوائم الظبي وذنب الاسد وفي وسط رأسهِ قرنٌ واحد مُصمت . ولهم فيهِ اقوال غير هذه فيما يختص بشكلهِ . وقالوا انهُ يُحتال لصيدهِ بان تتعرَّض لهُ فتاة عذراء فيستأنس بها . وكانت العرب تزعم مثل ذلك او انهم اخذوا هذه الخرافة عن غيرهم فقد جاء في الدميري ما نصهُ " الحريش نوع من الحيات ارقط قالهُ الجوهري وقال بعد هذا الحريش دابة لها مخالب كمخالب الاسد ولها قرن واحد في هامتها ويسميها الناس الكركدان وقال ابو حيَّان التوحيدي هي دابة صغيرة في جرم الجدي ساكنة جدًّا غير ان لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يعجز القنّاص ولها في وسط رأسها قرن واحد مصمت مستقيم تناطح بهِ جميع الحيوان فلا يغلبها شيء ويحتال لصيدها بان تتعرض لها فتاة عذراء " الخ . وقال

(1) ترد ايضًا بمعنى الدويبة المعروفة بالعقربان او ام اربع واربعين

القزويني " الحريش حيوان في حجم الجدي ذو عدو شديد وعلى رأسهِ قرن واحد كقرن الكركدان واكثر عدوهِ على رجليهِ لا يلحقهُ شيء في عدوهِ ويوجد في غياض بلغار وسجستان[1] "

فيرى القارئ مما تقدم ان الحريش حيوان خرافي عند بعضهم والكركدن عند البعض الآخر. ويزعم كثيرون من علماء الافرنج ان الحريش هو الوضيحي الذي تقدم ذكرهُ في عددٍ ماضٍ من المقتطف وذلك لان ارسطو زعم ان للوضيحي قرناً واحداً فان الناظر الى الوضيحي من جانب واحد يتراءى لهُ انهُ كذلك . ويعتقد آخرون ان الحريش حيوان قائم بنفسهِ فلا هو الكركدن ولا هو الوضيحي بل حيوان آخر يوجد في بلاد التبت ومجاهل افريقية وادلتهم على ذلك اقرب الى الخرافات منها الى الحقيقة واسنادهم ضعيف جداً اضربت عن ذكرهِ ومن شاء فليراجعهُ في محلهِ[2]. ولا يخفى ان اكثر الحيوانات الخرافية ان لم نقل كلها مصدرها الحقيقة فالانسان لا يخلق كائنات جديدة بل يغير في صورها حسب تخيلاتهِ فالتنين والصناجة والعنقاء كانت حيوانات معروفة عند الانسان في العصور الخالية وانقرضت ولم يبقَ منها الاّ الاسماء والصفات الغريبة الخارجة عن حدّ المعقول وسيأتي ذكر كلّ منها في موضعهِ . وساورد الآن تاريخ الكركدن او الحريش ملخصاً ليتضح للقارئ انهما اسمان لحيوانٍ واحد فالمسمى وحيد القرن عند الافرنج والحريش عند العرب ليس سوى الكركدن المعروف

فاول من ذكر هذا الحيوان فيما يعلم اكتيسياس اليوناني وسماهُ الحمار الابيض وكان اكتيسياس هذا طبيباً لاحد ملوك الفرس فسمع بهذا الحيوان في تلك البلاد . وذكرهُ بعد ذلك ارسطو في كتاب النعوت وسماهُ الحمار الهندي ولذلك تجد ان الكركدن يسمى الحمار الهندي بالعربية ايضاً . قال ارسطو ما تعريبهُ " ولم نرَ من ذوات الحافر ما لهُ قرنان لكن يوجد حيوانات قليلة جمعت بين الحافر والقرن الواحد منها الحمار الهندي والوضيحي " (الاركس)

وسُمي هذا الحيوان بعد زمن ارسطو بالمونوكيروس اي وحيد القرن وذكرهُ بلينيوس واليانوس الرومانيان بهذا الاسم وقال الاخير منهما ما تعريبهُ . " وفي بلاد الهند الخيل والحُمر ذوات القرن الواحد (مونوكيروس) يتخذ من قرونها كؤُوساً اذا وضع فيها شرابٌ مسموم لا يؤْذي شاربهُ " . وهو ما قالهُ مؤَلفو العرب عن الكركدن كما سيجيء . الاَّ ان

(1) بلغار عند علماء العرب سيبيريا وسجستان مقاطعة بين بلاد الافغان وبلاد فارس (2) انظر حاشية بادجر وحاشية شفر على رحلة بارتيما صفحة ٤٧ من الترجمة الانكليزية و٩٣ من الترجمة الفرنسوية

اليانوس ذكر الكركدّن ايضاً على حدة وسماهُ كرتزونس وبعضهم قرأها كركزونس واللفظة شبيهة بلفظة الكركدّن كما لا يخفى وهذا لا ينفي ان المسمى مونوكيروس هو الكركدّن . فاليانوس وبلينيوس لم يريا الكركدّن مطلقاً بل وصفاهُ على السماع

وجاء في كتاب عقد الجمان لعبدالله بن جبريل بن بختيشوع ما نصهُ " الكركند والعرب يسمونهُ الحريش والسريانيون يسمونهُ ريما " . وذكر ان اهل الصين يتخذون مناطق من قرونهِ.ولا يخفى ان لفظة ريم بالسريانية والعبرانية ترجمت بلفظة مونوكيروس في التوراة السبعينية وعليها اعتمد ابن بختيشوع ويظهر انهُ كان عارفاً تمام المعرفة ان هذا الحيوان المسمى مونوكيروس باليونانية هو الكركدّن بعينهِ وعبدالله هذا كان يحسن العربية والسريانية واليونانية كغيرهِ من بني بختيشوع

وقد اشتهر امر الحريش في القرون الوسطى واتخذوا من قرونهِ آنية للاكل وكؤوساً للشراب وانصبة للسكاكين وزعموا ان هذه الآنية تعرق اذا قربت من طعام مسموم (انظر دائرة المعارف الفرنسوية ومعجم لاروس) الاَّ انهم كانوا يجهلون وصف الحريش ومصدر هذه القرون ولم يكن الكركدّن معروفاً عندهم . واول من وصفهُ منهم وصفاً يطابق الحقيقة ماركو بولو الرحالة البندقي الشهير وذلك في اواخر القرن الثالث عشر وسماهُ Unicornis وذكر وجودهُ في سومطرا وانكر ما نسب اليهِ من انهُ يستأنس بالفتيات . وزعم بارثيما انهُ رأى الحريش في مكة المكرّمة في سنة ١٥٠٣ للميلاد ووصفهُ وصفاً اقرب الى الخرافة منهُ الى الحقيقة انقلهُ الى القراء على سبيل الفكاهة قال ما تعريبهُ " وفي مكان آخر من الحرم (كذا) حظيرة فيها حريشان على قيد الحياة شكلها عجيب جداً . فالكبير منهما في خلقة المهر الثنيّ ولهُ قرنٌ واحد في جبهتهِ طولهُ نحو ثلاث اذرع والصغير في خلقة المهر الفلو طول قرنهِ نحو اربع قبضات . والواحد منهما لونهُ كلون الفرس الكميت ورأسهُ كرأس الايل وعنقهُ معتدل في الطول ولهُ عرفٌ قصير خفيف الشعر منسدل على جانبٍ واحد . اما قوائمهُ فستدقة كقوائم المعز ولهُ اظلاف مقدّمها مشقوقٌ قليلاً وعلى موءخر القوائم شعر خفيف . وهو حيوان شرس ونفور . وهذان الحريشان اهداهما احد امراء الحبشة من المسلمين الى امير مكة " ولا اقدر ان اقول عن بارثيما الاَّ انهُ كثير المبالغة فقد اخبرنا قبل هذا ان ثلثمائة رجل من ركب الجمال الشامي وهو منهم قتلوا الفاً وستمائة من الاعراب ولم يخسر الركب سوى رجل وامرأة

وجاء في رحلة الاب لوبو اليسوعي في الحبشة سنة ١٦٢٥ ذكر الكركدّن والحريش لكنهُ قال انهُ رأى الحريش عن بعدٍ ولم يصفهُ . وفي وصف افريقية لدابر ما تعريبهُ

" ويوجد حيوان آخر يسميهِ الاحباش ارواريس وهو بلا ريب ما يسميهِ العرب حريشاً . لهُ قرنٌ واحد و يشبه اليحمور ويظن الاب لوبو انهُ الحيوان المعروف بوحيد القرن عند القدماء " . وفي تاريخ الحبشة للودولف ان الحيوان المسمى مونوكيروس هو الحريش عند العرب . والذي نعلمهُ الآن ان لفظتي ارواريس وحريش تطلقان على الكركدَّن في الحبشة فيكون الحريش عند العرب والمونوكيروس اي وحيد القرن عند الافرنج هو الكركدَّن

اما العرب فكان الكركدَّن معروفاً عندهم ووصفوهُ وصفاً مدققاً في كثير من مؤلفاتهم وكانوا يسمونهُ الحريش ايضاً وهو الاسم الذي يعرف بهِ في بعض انحاء الحبشة في يومنا (لانابر وبروس) . ثم انهم عند ما سمعوا بهذا الحيوان المسمى مونوكيروس عند اليونان والرومان سموهُ الحريش ايضاً لعلمهم انهُ الحريش اي الكركدَّن الاَّ انهُ اشكل على البعض منهم علاقتهُ بالكركدَّن فذكرهُ الدميري وذكر الكركدَّن والسناد كلٌّ واحدٍ على حدة ووصف كلَّ واحدٍ وصفاً مخالفاً لوصف الاثنين الآخرين والحقيقة ان الكركدَّن والسناد والحريش اسماءٌ مختلفة لحيوانٍ واحد وهي كذلك في كتب اللغة (انظر الفيروزباري ولسان العرب) . ومن الغريب ان عبدالله بن بختيشوع ذكر من الف سنة تقريباً ان الكركند اي الكركدَّن هو الحريش وبعض الافرنج في يومنا يعتقدون بوجود هذا الحيوان الخرافي في بلاد التبت وسواحل افريقية ويقولون انهُ خلاف الكركدَّن (انظر حاشية بادجر وحاشية شفر على رحلة بارثيما المذكورة آنفاً)

اما قرن الحريش ويسمى الخرتوت والخرتيت والخُتُوّ فقد زعم القدماء ان لهُ خاصة ضد السمّ وهذا الاعتقاد اصلهُ بلاد الصين والمغول على ما اظن وانتشر منهما الى الغرب و يعتقد بهِ عامة المصريين واهل السودان الى يومنا . وجاء في مختصر نزهة المشتاق للادريسي ما نصهُ " وبها دابة تسمى الكركدَّن .... ولها قرن في وسط جبهتها ... وفيما يذكر انهُ يوجد في بعض هذه القرون اذا هي شقت صورة انسان او صورة طائر او غيرهِ من الصور .... وهذا القرن تصنع منهُ مناطق تساوي من القيمة كثيرًا وحكي الجيهاني في كتابهِ ان ملوك الهند تصنع من قرن هذه الدابة النصبة السكاكين للموائد فاذا وضع الطعام بين ايديهم وكان فيهِ سمٌّ عرق ذلك النصاب فيعلم بذلك ان الطعام مسموم (طبع رومية صفحة ٣٨)

وفي سلسلة التواريخ ما يأتي " وفي بلادهِ البشان (النشان) المُلمّ وهو الكركدَّن لهُ في مقدَّم جبهتهِ قرنٌ واحد ... واهل الصين يتخذون منها (اي القرون) المناطق وتبلغ المنطقة ببلاد الصين الفين دينار "

وفي كتاب نخب الذخائر الذي عني بنشرهِ الآباء اليسوعيون في مجلة المشرق (السنة ١١ صفحة ٧٦٤) "الخرتوت ويقال خنوّ قال ابو الريحان البيروني هو حيواني يقال انهُ يؤخذ من جبهة ثور يكون في نواحي بلاد الترك بارض خرخيز وقيل بل من جبهة طائر عظيم يسقط في بعض تلك الجزائر وهو مرغوب فيهِ عند الترك واهل الصين يزعمون انهُ يعرق اذا قرب من طعام مسموم"

وفي معجم ڤولرس الختوّ قرن الكركدّن وقد وردت هذه اللفظة في الاصطخري وابن حوقل (صفحة ٢٨٩ و ٣٣٧) وحيث ان القدماء كانوا يجهلون مصدر هذه القرون زعم بعضهم انها من جبهة ثور او طائر وخلاف ذلك كما جاء في معجم ڤولرس ايضاً

اما لفظة الخرتوت فلم ارَ لها ذكراً سوى في كتاب نخب الذخائر المذكور آنفاً وتبادر الى ذهني عند قراءتها انها محرفة عن لفظة الخرتيت فراجعت النسخة المخطوطة التي اشار اليها حضرة الاب لويس شيخو فوجدتها الخرتوت بخط واضح ويستبعد ان يكون هناك خطأ في النسخ مع وجود نسخة في بغداد واخرى في مصر وقد ذكرت اللفظة في كلتيهما كما هي في مجلة المشرق فاما ان يكون الخطأ من المؤلف او ان هذه المادة كانت تسمى الخرتوت في ايامهِ. اما الخرتيت فمعروف بهذا الاسم في مصر والسودان وهو قرن الكركدّن ويعملون منهُ عصيًّا وكؤوساً في ام درمان واسيوط ويبيعونها بثمنٍ غالٍ ووصفهُ يشبه وصف الخرتوت في كتاب نخب الذخائر ويزعم العامة في مصر والسودان انهُ مضادٌّ للسموم كما اشتهر عنهُ عند القدماء. ولم اجد ذكراً لهذه اللفظة في المؤلفات العربية الا في تذكرة داود الانطاكي حيث قال "قرن الخرتيت يأتي في الكركدن" فقولهُ يأتي يفهم منهُ ان البعض يكتبون هذه اللفظة بالواو والّا لما نبه الى ذلك. اما في كتب الافرنج فقد وردت في فورسكال وبركهارت وغيرهما

﴿ الفَرَس ﴾ Equus caballus. E. Horse. F. Cheval. وهو پَرَش بالعبرانية ويُظن ان اللفظة مأخوذة من پارس اي بلاد فارس لان الفرس جاء الى الشعوب السامية عن طريق تلك البلاد. وفي كتب اللغة سمي الفرس بذلك لانهُ يفرس الارض برجلهِ

﴿ حمار الزَرَد. الزِبْرَة (حبشية) ﴾ E. Zebra. E. Zèbre جنس من الحمر الوحشية وهو ابيض اللون ومخطط بخطوطٍ سود. ولم اقف على اسم عربي لهذا الحيوان ولا بد انهُ كان معروفاً عند العرب لكثرة ترددهم الى بلاد الحبش حيث يكثر وجودهُ. اما تسميتهُ بحمار الزرد فلا اعلم مَن وضعها اولاً

﴿ الفَرَاء ﴾ E. Wild ass. F. Ane Sauvage. نوعٌ من الحمر الوحشية وهو

في حجم الحمار الاهلي وشبيه بهِ ويوجد في العراق وبادية الشام

❖ الأَخدَر · الاخدريّ ❖ E. Onager. F. Onagre نوعٌ من الحمر الوحشية وهو اكبر من الفراء واسرع ويوجد في بلاد فارس الى الهند شرقاً

❖ البَغل (حبشية) ❖ E. Mule. F. Mulet. حيوانٌ متولد من الحمار والفرس

❖ النَغل · الكَوْدَن (فارسية) ❖ E. Hinny. F. Hinnule حيوانٌ متولد من الحصان والاتان . والكودن لفظة فارسية بمعنى البرذون والبليد واستعارها المسعودي لهذا الحيوان المهجّن . اما النغل فهو الاسم الذي يعرف بهِ هذا الحيوان عند عامة اهل الشام

❖ الفيل (پيل بالفارسية ومجهولة الاصل) ❖ Elephas. E. Elephant. F. Éléphant.

❖ الماموث (تترية من مما بمعنى الارض) ❖ Elephas primigenius. E. & F. Mammoth

نوعٌ من الفيلة البائدة وهو شبيه بالفيل الهندي وتوجد جثثهُ مغطاة بالثلج في سيبيريا . واظن الماموث هو الصنّاجة التي ذكرها القزويني في كتاب عجائب المخلوقات · قال "ليس شيء من حيوانات الارض اكبر صنّاجة وقالوا يوجد بارض التبّت يتخذ بيتاً لنفسهِ قرب فرسخ ومن خواصّهِ ان نظرهُ اذا وقع على حيوان مات ذلك الحيوان واذا وقع نظر شيء من ذلك الحيوان عليهِ يموت الصنّاجة ايضاً. ثم ان الحيوانات عرفت ذلك في تلك البلاد فتعرض نفسها على الصنّاجة غامضة عينها ليقع نظر الصناجة عليها فتموت فتبقى طعمةً للحيوان زماناً طويلاً والله اعلم " . واصل هذه الخرافة على ما اظن ما يروى عن التتر فانهم يعتقدون ان الماموث يعيش تحت الارض كما يفعل الخلد لانهم لا يرون على وجه الارض الاّ جثتهُ وذلك عندما يذوب الثلج عنها وتنكشف (انظر هذه اللفظة في دائرة المعارف الانكليزية وغيرها) وهذا يشبه ما قالهُ القزويني انهُ يتخذ لنفسهِ بيتاً قرب فرسخ وانهُ اذا رأى الحيوانات يموت فيبقى طعاماً لها زماناً طويلاً والواقع ان جثث هذا الحيوان التي كشفت في سيبيريا في القرن الماضي والذي قبلهُ بقيت زماناً طويلاً طعاماً للوحوش والكلاب · وذكر الاب لوبو في رحلتهِ الحبشية ان فرس النهر يعيش تحت الارض في القطب الشمالي ولا ريب انهُ يقصد بذلك هذا الحيوان المسمى ماموثاً · وكان الماموث معروفاً عند العرب لكنهم لم يذكروا لهُ اسماً خلاف الصناجة ان كان هو الصناجة ولا بأس من ايراد ما جاء في كتاب آثار البلاد عن ذلك قال " وفي كتاب سير الملوك ان القوم الذين آمنوا بهود عليهِ السلام وهربوا الى بلاد الشمال وامعنوا فيها توجد بارض بلغار عظامهم قال ابو حامد رأيت سناً واحداً عرضهُ

شبران وطوله اربعة اشبار وجمجمة رأسهِ كالقبة وتوجد تحت الارض اسنان مثل انياب الفيلة بيض كالثلج ثقيلة في الواحد منها مائتا منّ لا يدري لاي حيوان هي فلعلها سنّ دوابهم تحمل الى خوارزم الاّ ان طريقهم في وادٍ من الترك ويشترى منّ تلك الاسنان في خوارزم بثمن جيد تتخذ منها الامشاط والحقاق وغيرها كما تتخذ من العاج بل هي اقوى من العاج لا تنكسر البتة "

الدكتور امين المعلوف

مناجاة الاحلام وقرع الاوهام

لقد كثر الآن تحدُّث الناس بغرائب افعال العقل او النفس كما يقال ايضاً وسائر العالم الجهاز العصبي الخارجة عن المألوف من مثل التخيُّلات والشعور بما هو فوق طاقة الحواس الاعتيادية وانطباق ذلك في بعض الاحيان على الواقع مما يختلط كثيرًا على العامة ويربك الخاصة ايضاً.واشتدَّت المناضلة بين الباحثين فذهب بعضهم الى ان هذه الغرائب من خوارق الاعمال التي لا تنطبق على النواميس الطبيعيَّة وعلَّلها بانها من افعال الارواح المحيطة بنا. ونقل بعض الجرائد العربيَّة تصريحات المسترستد بما وقع لهُ ولبعض اشياعهِ ونسبتهم ذلك الى مناجاة الارواح . وقد كتبت مقالة في الجريدة اجابةً لاقتراح بعضهم ادفع هذا الزعم نافياً الغرابة غير الطبيعية فيهِ ومطبقاً الصحيح منها على نواميس العلم الطبيعي وعلم الامراض العصبيَّة. ونقل المقتطف مساجلة عالمين طبيعيين يذهب كلٌّ منهما مذهباً مخالفاً للآخر . فرأيت ان اسهب الكلام هنا للالمام بالموضوع من كل اطرافهِ لكي يتيسر للناظر بالمقابلة والاستقراء والاستناد الى العلم الطبيعي ان يحكم بما هو اقرب الى الحقيقة . وانا لا اشك في ان كل ما يجري فينا من هذا القبيل انما يجري تبعاً لقواعد طبيعيَّة نظير سائر ما يقع في الطبيعة مما هو مقرَّر اليوم انهُ بحث طبيعيٌّ بحت . ولا اشك كذلك ان معلوماتنا الطبيعية اليوم كافية وحدها لتعليل ذلك تعليلاً يزيل عنهُ كل غرابة الاَّ ما كان من قبيل الغرائب الطبيعيَّة فقط

ان غرائب افعال العقل والجهاز العصبي معروفة للانسان منذ القديم واشهرها الاحلام التي تعرض لهُ وهو نائم — وهي تعرض للحيوان ايضاً — وقد كانت سبباً من اكبر الاسباب لاعتقاد الانسان ان فيهِ قوة غريبة عن جسمهِ تنفك عنهُ في حالة النوم وتطوف المعاهد متنقلة من مكان الى مكان ومن احساس الى احساس ثم ترجع اليهِ في اليقظة وكثيرًا ما

تصدق في الانباء التي تنقلها مما حمل الاكثرين على الاعتقاد بها وظن بعضهم انهُ يمكن من مراقبة احوالها ان يستخرجوا احكاماً مطلقة والقوا الكتب في تفسيرها حشوها تارةً بالخطل وتارةً بالدَجَل

وقد كانت اوهام الانسان في اليقظة كثيرة جدًّا في اول الامر لقلّة تعرُّفهِ ما حولهُ من قوى الطبيعة اذ كل ما هو مألوف معروف لنا اليوم كان يبدو غريبًا لهُ . وقد بني عليها كثيرًا من اقاصيصهِ الميثولوجية وحكاياتهِ الخرافية واشتغل بها زمانًا طويلاً قبل ان استهلك كثيرًا منها بالعلم شيئًا فشيئًا واقرّها في مكانها الحقيقي

وقد كانت الامراض العصبية ولاسيما العقلية والمستيرية نظرًا لغرابة ظواهرها بالنسبة الى سائر امراض الجسم محلّ استغرابهِ بل موضوع تكهّنهِ وتفزّعهِ حتى ان الالفاظ التي استعملت للدلالة عليها في كل اللغات تدل دلالة صريحة على الاعتقاد بانها حالات مستفاضة على الجسم غريبة عن مادَّتهِ وعن جوهر قواه كأَن يقال ان بصاحبها مسًّا او دخلاً إشارةً الى الروح الغريبة الحالَّة فيهِ . وكم عذب النساء المستيريات وحلّت بهنّ النقم لاعتبارهن ساحرات واحرقن ايضاً تخلصاً من الشيطان الحال فيهنّ قبل ان تدار كهنّ العلم برأفتهِ . ولاً يزال هذا الاعتقاد شائعاً عند كثيرين حتى اليوم وان تلطف بعضهم في تسميتهِ كأَن يقول ان الحالّ شيخ . ورأفوا في معاملة صاحبهِ فاحلُّوا الرحمة محلّ النقمة وعالجوهُ بالتعاويذ والرقى والقراءات وما شاكل . وكما انهم نسبوا بعض الحالات العصبيَّة الشديدة الوطأة الى الارواح الشريرة واخشوا في معاملة اصحابها نسبوا كذلك بعض الحالات العصبيَّة التي كانت تبدو لهم الطف من تلك على الجسم المصاب بها الى الارواح الصالحة ورفعوا اصحابها الى مقام الاولياء والانبياء. ثم اخذ هذا الاعتقاد يضعف حتى اثبت العلم اليوم ان مثل هذه الحالات ليست سوى امراض عصبيَّة كسائر امراض الجسم ولها احكام طبيعيَّة مثلها حتى في غرابتها

وكأَنَّ جمهور المتعلمين الراقين لم ينفِ الاعتقاد بالمصدر الغريب في مثل هذه الحالات الاَّ عمَّا كان يبدو خشناً فظًّا واما الجمّ الغفير فلا يزال حتى اليوم يعتقد ان في اللطيف منها محلاً للنظر ومتسعاً للقول . وكثيرون يميلون الى نسبتها الى الارواح للاعتقاد المتأصل فيهم ان لم يكن رهبةً فرغبةً والذي هو بقيَّة راقية من مجموع تلك الاعتقادات القديمة الخشنة

وقد عنيت بهذه المسائل طوائف كثيرة من اهل الادب والعلم في اوربا واميركا وخصوصاً في انكلترا والّفوا لها الجمعيات الكثيرة ليلبسوا البحث فيها حلَّة علميَّة اشترك فيها المقتنع والواهم والمتردّد والفهم اليهم الدجَّال ايضاً وكلٌّ واجدٌ في ذلك مصلحتهُ

فلكي يمكن البحث في هذه المسائل على اسلوب يكون منهُ فائدة للعلم لم يكن بدٌّ من تحليلها قبل تعليلها لمعرفة الصحيح فيها من المختلق والممكن من غير الممكن . فلا تخدعنا اعمال المشعوذين الذين يأتون امامنا اعمالاً كثيرة غريبة صناعية كوضع الشيء في مكانهِ ثم اخراجهُ من مكان آخر وكابتلاع السيوف والسكاكين ولم يبلع منها شيء والتكلم مع اشخاص متباعدين والمتكلم واحد وغير ذلك من الامور المدهشة التي يجيزونها على الناظرين وليس فيها شيء من الغرابة سوى مهارة الصناعة فان امرها اليوم معروف للخاصة والعامة وانما نقتصر هنا على المسائل المقرّرة اليوم والتي يعنوف بها العلم

ان جميع الغرائب التي تعرض للانسان نظراً على شعورهِ فيحس او يعلم بما هو فوق طاقة مشاعرهِ وادراكهِ في حالتهِ الاعتيادية وتنحصر جميعها في ما نسميهِ هنا على وجه الاطلاق بالتخيلات وان اختلفت مسمياتها بحسب مدلولاتها وذلك بقطع النظر عن صحتها وعدمها لانها في اعتقادنا صحيحة كلها سواء طابقت الواقع كان يرى الانسان وهو في مكان صورة صديق لهُ في مكان آخر مثلاً اولم تطابق الواقع كان يحلم انهُ طائر في الجو كما يحصل كثيراً للاطفال في احلامهم وهم نيام . فكلاهما تخيُّل حاصل لا يجوز للعلم ان ينفيهُ لئلاَّ يتلجلج في تعليلهِ وكلاهما شعور حقيقي وان اختلف سببهما كما سيجيء

وما اطلقت اسم التخيلات على كل هذه الغرائب مع قطع النظر عن اسبابها الظاهرة والباطنة والبعيدة والقريبة الا لاضمها تحت اسم جنس باعتبار ان اصلها واحد يسهل تعليلها وهي تشمل احلام النوم واحلام اليقظة كرؤية الاشباح وسماع الاصوات والاحساس بالملموسات ومناجاة النفس التي يطلقون عليها اسم مناجاة الارواح وقراءة الافكار والوقوف على الانباء البعيدة وغير ذلك مما هو خارج عن مألوف الحواس والادراك وبالحقيقة كلها في الغرابة سواء والذي يستوقف النظر في احدها يجب ان يستوقفهُ في الآخر فليست قراءة الافكار باغرب من الاحلام ولا مناجاة الارواح باغرب من تخيل سماع الاصوات وكلها من مصدر واحد

وقبل التوسع في الموضوع لا بدَّ لي من التنبيه الى ان كل ما يقال عن الانباء بالمستقبل لا حقيقة لهُ مطلقاً الا ما كان منهُ في حكم الواقع كان ينبئ الانسان بامرٍ مقبلٍ يتوقف على امر حاصل وهذا يدخل حينئذٍ في موضوع البحث في ما هو كائن في الحال حقيقة مثال ذلك — كان عندي مريض منذ عشرين سنة وكان بهِ اختلاط ذهن هستيري طال بهِ اكثر من شهرين تقلّب المريض فيهما على حالات مختلفة اظهر فيها عدَّة غرائب منها انهُ عرض لهُ في طورٍ من اطوار مرضهِ رعاف تكرّر مراراً عديدة ففي اول الامر لم نكن ندري

بالرعاف الاَّ من مشاهدتهِ ولكن بعد ان تكرَّر صار المريض ينبئ بهِ وبمقدارهِ تقريباً قبل حصولهِ باربع وعشرين ساعة وكان انباؤهُ يصدق وتعليل ذلك بسيط لان الرعاف الذي كان يحصل لم تكن مهيئاتهُ تقع في الحال بل لا بد انهُ كان يسبقهُ بعض تغيرات احتقانية وغيرها فصار المريض اول ما يشعر بها يعرف انهُ سيعقبها رعاف فينذر بهِ ومن شدتها وخفتها ينذر بمقدار الدم الذي سيرعفهُ فانباؤهُ هذا ليس انباء بالمستقبل بل تقرير للواقع ولذلك كل ما نسمعهُ من قبيل الانباء بالمستقبل ان لم يكن لهُ مثل هذه المسوّغات مما يجعلهُ انباء بالواقع حقيقة فهو مخرفة ودجل من قائلهِ

وما نبَّهت الى ذلك الاَّ لخلط الناس والعلماء انفسهم في هذه الغرائب واعتقادهم بان الانباء بالمستقبل من الامور المقرَّرة الداخلة ضمنها . واعجب من ذلك اني قرأت من مدة قريبة في احدى المجلات الفرنساوية بحثاً لطبيب في هذا الموضوع وقد عدَّ فيهِ الانباء بالمستقبل من الامور الداخلة فيهِ وهذا جهلٌ فادح يُستعظم خصوصاً من طبيب يجب ان يكون ملمًّا بنواميس هذه الغرائب لان هذه الغرائب لا تحدث اعتباطاً كما يتوهم بعضهم بل تعرض للناس بناء على نواميس مقررة لا تنحرف عنها سواء كان في الصحة او المرض وتسير فيهما بانتظام على حدٍّ سوى

فنحن الان بين اقوال ثلاثة من ذوي المقام في الادب والعلم : تصريحات ستد الذي يزعم انهُ يكتب احياناً متأثرًا تحت سلطان الارواح وانهُ رأى صورة ابنهِ المتوفى وسمعهُ يخاطبهُ . ونفي العالم الرياضي نيوكم لهذه الغرائب ونسبة بعضها الى هواجس لم يعنَ بالبحث عن سببها وانما نسب صحتها في بعض الاحيان الى مجرَّد الاتفاق باعتبار انها من الامور الممكنة . وتسليم العالم الطبيعي السر اوليفر لدج بحصول هذه الغرائب من تفاعل العقول او النفوس بناء على مبدإِ التلبثيا وميلهِ الى ترجيح سببها الروحاني مما يجعل صدقها نتيجة للشعور بامر واقع لا اتفاقاً . وقد حاول ان ينفي نسبتها الى الاتفاق باحصاءات تنفي الصدفة وتؤيد الارتباط السببي في زعمهِ

والحقيقة ان كلاًّ منهم على صواب وخطاء في آنٍ واحد . فستد صادق في قولهِ انهُ رأى صورة ابنهِ وانهُ يشعر في نفسهِ بانهُ يكتب احياناً تحت سلطان شخصٍ آخر . وانما هو مخطيء في ادعائهِ ان ذلك من فعل ارواح غريبة عنهُ ولو درى انهُ مستهوىً استهواء ذاتيًّا من جهة ومتخيل من جهة اخرى ما في ذاكرتهِ من المحفوظات لاسباب معلومة لنا اليوم جيدًا من درس نواميس الجهاز العصبي في الصحة والمرض بما عبرَّنا عنهُ هنا " بمناجاة الاحلام وفرع

الاوهام » لما كان في قوله شيء يؤخذ عليهِ . ونيوكم مصيبٌ في نفيهِ التفاعل الروحاني عن هذه الغرائب ولكنهُ مخطيء في انكارهِ سببتها الطبيعيَّة وتعويلهِ في صدقها على الاتفاق وحده وان كان للاتفاق دخل في بعض الاحيان. واوليفرلدج مصيبٌ في ان هذه الغرائب تجري على نواميس معلومة لنا اليوم بالتلبثيا ولكن خطاءهُ في نسبة ذلك الى تفاعل العقول او الارواح لا يغتفر لاسيما وان في المعلومات الطبيعية اليوم مندوحة لنا عن الخروج بها الى مثل هذا التعليل الغريب

وقد وقعت انا نفسي منذ ثلاث وثلاثين سنة في نفس الخطاء الذي وقع فيهِ اليوم نيوكم بتعليل صدق هذه الغرائب بالاتفاق وذلك في حادثة طبيب انكليزي زعم انهُ سمع وهو مارٌّ في لندن بالقرب من بيت احد اصدقائهِ الذي كان يومئذٍ بمدينة حلب صوت صديقهِ هذا يناديهِ ثلاثاً ثم علم عند وصول البريد ان صاحبهُ كان في تلك الدقيقة يحتضر. وقد تناولت هذا النبأ في ذلك العهد الجمعيات النفسية في انكلترا وهولت بهِ كثيرًا حتى ان الجمعيات العلميَّة شاركتها في هذا البحث وكتبت الجرائد فيهِ مقالات ضافية. وكنت يومئذ في الاستانة فاطلعت في جريدة « الكوريه دوريان » على فصل طويل عقدتهُ جريدة « الكونستيتيسيونال » الباريزية لهذا الموضوع ونقلتهُ عنها جريدة الاستانة المذكورة جاء فيهِ كاتبهُ على امور كثيرة من حوادث التخيلات الغريبة نسل اكثرها مما وقع لبعض مشاهير الرجال في التاريخ كنابوليون وقيصر وسواهما من انهم كانوا يرون اشباحًا ويسمعون اصواتًا تخاطبهم لا حقيقة لها في الظاهر وذهب الى انها من الغرائب التي لا تدرك . فكتبت في ذلك الحين ردًّا عليهِ باللغة الفرنساوية نشر في جريدة « الكوريه دوريان » المذكورة في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٧٦ ونقلتهُ الى العربية مجلة الطبيب في بيروت . وقد حاولت في هذا الرد ان ادفع عن مثل هذه الحوادث كل غرابة غير طبيعيَّة مستندًا في ذلك الى علم امراض العقل وما يعرض من التخيلات وانخداع الحواس في الجنون وفي سائر الحالات العصبية التدريجية التي بين الصحة والمرض وحصرت تعليل ذلك بما سميتهُ هنا قرع الاوهام ويراد بهِ قرع محفوظات الذاكرة لمراكز الحواس بالارتداد من الباطن الى الظاهر وذلك في الاعصاب المتهيجة المنصرفة الى التفكير في موضوع ما او الملتفتة اليهِ لمناسبة ما كمناسبة المرور بالبيت الباعث على التذكر بصاحبهِ. وعللت صحة النبإ اذا صدق قائلهُ بما يأتي :

« والاعتراض الذي يوجه الى ذلك في مثل هذه الاحوال هو هذا : لماذا تتم الامور احيانًا كما تنبيء عنها او توحي بها التخيلات ? والجواب على ذلك وعلى الاحلام ايضًا ببسط

وهو ان كل ممكن قد يتحقق احياناً ولكنهُ لا يتحقق دائماً ولذلك كانت اكثر التخيلات لا تتم حقيقة " اه . اي انني عللت ما يصح منها بالاتفاق كما عللهُ نيوكم الآن ولكن الخطأ الذي كان يغتفر حينئذٍ لا يغتفر الآن بعد ان تقدمت العلوم الطبيعيَّة و باثولوجية الامراض العصبيَّة هذا التقدم الباهر

وازيد على ذلك اليوم بقولي ان غير الممكن لا يتحقق مطلقاً كأن يحلم الانسان انهُ طائر في الجو او ساقط من مكان عالٍ وهو لم يسقط فلا يمكن ان يكون مثل هذا الحلم موعزًا بهِ من الخارج او معبرًا بهِ عن حقيقة واقعة مع ان صاحبهُ يحس ويرى انهُ كذلك . و يعلل في الاول بقرع الاوهام لذاكرتهِ وتجسمها لدى حواسهِ بما يكون قد ذكر لهُ في طفوليته من مثل هذه الاخبار السقيمة وغيرها من الخرافات السخيفة التي يحشون بها دماغ الطفل . وتعليلهُ في الثاني تعب طرأ على الجسم وهو نائم من وضع او سوء هضم و بانتقال الافكار الى المتناسبات والحواس في كل انتقل "به الشعور" من ضيق الى ضيق الى هول السقوط

ولكن هذا التعليل وان انطبق على الانفعالات الذاتيَّة المنعكسة من الباطن وصح على كل التخيلات الذاتيَّة التي تعرض للانسان في الحلم واليقظة من رؤية الاشباح الى مناجاة الارواح التي هي عبارة عن مناجاة احلام الانسان نفسهِ بناءٌ على ناموس قرع محفوظات الذاكرة للاعصاب المتهيجة وناموس الاستهواء الذاتي الا انهُ توجد حالات أُخرى مصدرها خارجي محض لا ينطبق عليها هذا التعليل . وتعليل صدقها بالاتفاق وحدهُ لا يكفي مثل قراءة الافكار والعلم عن بعد مما هو مقرر امرهُ في العلم ولا يجوز الشك فيه اليوم

على ان العلوم الطبيعيَّة والعلوم الباثولوجية العصبية قد تقدمت كثيرًا من ذلك العهد واكتشفت غرائب كثيرة فيها غير خارجة في اعمالها عن نواميس الطبيعة حتى صار يجوز لنا فهم اكثر اعمال العقل غموضاً واستنتاج المجهول بناءً على المعلوم

غير ان المتصعبين من العلماء — وما تصعبهم لضعف البينة بل لاقتصارهم في البحث على الجزئيات ولقلة تعويلهم على الاستقراء في الكليات — لا يزالون يميلون الى نسبة هذه الغرائب الى امور غير طبيعيَّة مع علمهم الاكيد انها في غرابتها تسير على نواميس معلومة كغرائب الامراض العصبية مثلاً انقياداً لاوهامهم التي ورثوها اباً عن جد . وبعضهم ينصاع اضطرارًا الى التسليم بطبيعتها المادية ولكن ما رسخ في ذهنهِ بالوراثة يحملهُ على الوقوف موقف المتردد غير الجازم متوقعاً ان يكشف لهُ العلم نواميس طبيعيَّة جديدة غير معروفة لهُ اليوم . ولو تدبر هذا المتردد والمتمني في سرهِ فشل العلم في نفي امانيهِ لعلم انهُ لا ينتظر ان يكشف في الطبيعة

من يوم عرف ناموس تحول القوى نواميس جديدة اصولها الطبيعية مجهولة بل كل ما ينتظر انما هو زيادة التوسع في معرفة تحولات هذه القوى واستخدامها لغرضنا بناء على انها هي والمادة من اصل واحد. والمعلوم اليوم من هذه التحولات البديعة من حركةٍ الى حرارة الى نور الى كهربائية الى اشعة رنتجن الى اشعة الراديوم الى الاشعة الكيماوية التي ترقق الاجسام وتشففها واستخدام ذلك لنقل الاصوات بالتلفون وحفظها بالفونوغراف وخزن حركاتنا في السينماتوغراف ونقل اخبارنا في الفضاء بتلغراف مركوني ونقل المرئيات الى بعدٍ كل ذلك كافٍ لان يجلو لنا اليوم اشد هذه المسائل غموضاً . واذا اضفنا الى ذلك علمنا بان العالم لا فراغ فيهِ وهذا يستلزم ان لا يضيع فيهِ شيءٌ بل يحفظ فيه ويتحول لتعجبنا ليس من عروض هذه الغرائب لنا احياناً بل من عدم عروضها لنا غالباً لان عروضها هنا هو القياس وعدمهُ كان يجب ان يكون الشاذ فاذا كان عروض هذه الغرائب لا يتيسر دائماً فلحوائل طبيعيةٍ ازال العلم الطبيعي اليوم كثيراً منها وايدهُ علم بسيكولوجية الدماغ والامراض العصبية نفسها كما ابنت ذلك في مجلد السنة الثالثة من مجلتي الشفاء في حادثة اختلاط ذهن هستيري من اغرب ما وقع لي ولسواي ايضاً

وبالحقيقة ان اثر كل حركة مادةٍ او نبضة فكر يجب ان يصل الى كل شيءٍ ويجب ان يحسَّ بهِ كل شيءٍ بناء على ناموس حفظ القوى واذا كنا لا نشعر بهِ دائماً فلاسباب مادية اما لضعف في حواسنا واما لضعف الاثر نفسهِ وتبددهِ قبل وصولهِ الينا فاذا امكننا ان نقوي مشاعرنا او نزيل الحوائل الأُخر لم يصعب علينا ان نقف على كل ممتنع علينا في حالتنا الاعتيادية . وقد جاءت الاكتشافات المذكورة سابقاً مؤيدة لذلك كما قلت في الشفاء من ان لا بد لكل فعل من فاعل وقابل وناقل وقد تمكنا بالتلفون من تقوية الناقل ووقفنا من قراءة الافكار على قوة القابل وتمكنا كذلك بتلغراف مركوني من تقوية الفاعل والقابل معاً وعرفنا كذلك ان هذا القابل قد يشتد تأثرهُ جداً في بعض الحالات العصبية المرضية الى حد ان الانسان يقدر ان يعلم عن بعد شاسع حركات سواهُ ويسمع كلامهُ كأنهُ على كثبٍ منهُ ولكن يشترط في ذلك شروط تجعل هذا العمل خاضعاً لنواميس معلومة نظير سائر النواميس الطبيعية كأن لا يدرك الانسان الأ حركات اشخاص معلومين لهُ بهم علاقة معلومة ولو مهما ابعدوا عنهُ ولا يدرك حركات سواهم ولو كانوا بالقرب منهُ لان اعصابهُ تكون متكيفة لقبول تأثيرات اولئك لشدة الاشتغال بهم خلافاً لهؤلاء

واذا كان هناك محلٌّ للشك فدرس غرائب الامراض العصبية الهستيرية كافٍ لان يزيلهُ اذ أثبت استطاعة الانسان لان يتأثر بالمؤثرات الخارجية فيرى عن بُعد شاسع صور

الاشخاص ويسمع كلامهم بما يفسّر لنا جيداً شدة تهيج القابل فيهم حتى يصير يحسُّ بما لا يحسُّ بهِ الانسان عادة ولان يفسر لنا كذلك حقيقة التخيلات الذاتية الصادرة من الباطن والتي هي سبب وهم ستد واشياعهِ بان ارواحاً تخاطبهم او انهم يفعلون متأثرين بسلطان غيرهم

فلا يخفى ان اصحاب المرض العصبي المستيري موصوفون بقوَّة الذاكرة حتى ان في وسع بعضهم في هياج مرضهم ان يذكروا ادق دقائق ما جرى لهم في حياتهم كأَن الذاكرة آلة فونوغرافية سيماتوغرافية حقيقية ينطبع على صفحاتها كل ما يمرُّ بها من كلي وجزئي فاذا عرض ما هيَّج هذه الصفحات بدا ما كان كامناً فيها كأَنهُ ابن يومهِ . ومن اغرب ما اتى بهِ المريض الذي اشرت اليهِ وذكرت حكايتهُ في الشفاء انهُ في اثناء مرضهِ الذي دام بهِ اكثر من شهرين ذكر تاريخ حياتهِ بالتفصيل والاعجب انهُ ذكر وقائع دعوى كانت لهُ في المجالس دامت ثلاث سنوات ثم خسرها وكانت خسارتهُ لها سبباً لاستيلاء المرض العصبي عليهِ بعد ذلك على الفور . حتى انهُ ذكر المرافعات التي جرت فيها امام القضاء كأَنها منقولة بالحرف وبفصاحة تفوق طورهُ جداً في حال الصحة . فليس بدعٍ ان يكون سبب التخيلات التي من مصدر باطني والتي تجعل الانسان في بعض احوال خصوصية يسمع ويرى ويلمس ما ليس لهُ حقيقة في الظاهر فرع الذاكرة نفسها للحواس المتهيجة كما في الجنون وما دونهُ من احوال اضطراب العقل بالمؤثرات المختلفة في الاعصاب المتهيجة وهي درجات كثيرة بين الصحة والمرض . ومعلوم كذلك امر الاستهواء الذاتي حتى تصير احلام الانسان لديهِ حقائق وحتى يصير بالنظر اليها بوجدانين متباينين بحسب سرعة تغلب احوالهِ العصبيةَّ يسمع احدهما يخاطب الآخر وكثيراً ما يشعر الواحد انهُ تحت سلطان الآخر يأْتمر بأَمرهِ حتى يزول منهُ الاضطراب العصبي الكلي كما في الجنون والجزئي كما في الاحوال المستيرية المتغلبة بحسب نوبها فيرجع انساناً اعتيادياً لا يتأَثر بغير ما يتأَثر بهِ الناس عادة . ومن هؤُلاء طائفة من الناس ليس بهم جنون حقيقي او ظواهر هستيريَّة ظاهرة للعيان بل بهم من كل ذلك ظاهرة واحدة مقتصرة على امر واحد فقط وهي تهيج مركز واحد من مراكز قواهم العصبية بحيث يقتصر الاستهواء فيهم على فكر واحد او شعور واحد كما هو شأْن ستد واضرابهِ في اعتقادهم انهم يكتبون او يعملون عملاً تحت سلطان شخص آخر غريب عنهم . ولا شك ان كثرة اشتغال العقل بموضوع بمخافةٌ او بهواهُ تمدهُ لاستيلاء مثل هذه الحالة عليهِ واحداث الاضطراب الشديد في جزءٍ من اجزاءِ دماغهِ مع سلامة باقيهِ كما هو مشاهد كثيراً في عموم الناس لمن يتدبر ذلك كما ينبغي

والحاصل ان الحوادث الغريبة من مثل التي ذكرها سند ليست بالحقيقة هذياناً خالياً من سبب طبيعي معلوم كما يذهب بعضهم ولا هي وحي او شبه وحي كما يذهب كثيرون وانما هي تخيلات الذاكرة لمعلوماتها الباطنة او تأثر الحواس تأثرًا قياسيًا بالمؤثرات الخارجية البعيدة الطبيعية لوجود كل من المؤثر او ناقل التأثير او قابله او كلها معاً في احوال خصوصية تزيل من بينها كل حجاب كان يحول دون الشعور بما يلزم الشعور بهِ في كل الاحوال لو لا تلك الموانع العارضة والتي ازال العلم الطبيعي وعلم الطب كثيرًا منها · وعليه فليس غريب في كل هذه الغرائب التي انجلت لنا اسرار جلها ان لم تقل كلها سوى غرابة قلة عروضها لنا وخصوصاً طفورنا في تعليلها الى غرابة اغرب منها لا اساس لها الا نقل لا ينطبق على علم ولا يجيزهُ عقل حرصاً على مبتغيات اوهام ومتمنيات احلام — الدكتور شبلي شميل

تولُّد السمع والبصر

هل السمع والبصر متولدان تولُّدًا بالنشوء الطبيعي · هل الاذن والعين وما فيهما من دقة الصنعة وإحكام التركيب قد تولَّدتا تولدًا بالتنوُّع الطبيعي وبقاء الاصلح كما تولد التفاح البستاني الكبير الثمر الحلو الطعم الذكي الرائحة من التفاح البري الصغير الدميم الحامض. او كما تولدت كل انواع الحيوان والنبات حسب رأي علماء الطبيعة · او هما مخلوقان بادئ بدء في الانسان وفي كل انواع الحيوان كما تراها الآن

ان علماء الطبيعة يقولون لك ان العين والاذن متولدتان تولدًا بالنشوء الطبيعي المستمر فقد كان زمان لم تكن العين ظاهرة فيه ولا كانت الاذن بارزةً ولا كان فيهما شيء من التركيب ودقة الصنعة التي تراها فيهما الآن كما سيجيء

والصوت الذي تشعر بهِ الاذن والنور الذي تشعر بهِ العين كلاهما اهتزاز يصل الى الدماغ الاول بواسطة الاذن والثاني بواسطة العين لكن اهتزاز الصوت بطيء ولا بدَّ لهُ من مادة جامدة او سائلة او غازية يقوم بها فلا يسير في مكان خالٍ من المادة. واهتزاز النور سريع جدًّا ويسير على جناح الاثير الذي يقال انهُ موجود في كل فراغ وبين دقائق الاجسام

والجلد يشعر بالاهتزاز · وهو في الحيوانات الدنيا التي ليس فيها اعضاء خاصَّة بالبصر ولا بالسمع يشعر باهتزاز النور واهتزاز الصوت . اي ان تلك الحيوانات تستدلُّ على الصوت والنور بجلدها · فاذا اتفق ان انحصر شعورها هذا في بعض اجزاء جلدها فذلك انفع لها على

مبدإ تقسيم الاعمال كما اذا اختص قوم بنسج الثياب او ببناء البيوت او بتطبيب الاجسام فذلك اصلح للقبيلة من ان يعمل كل واحد من رجالها بنسج ثوبهِ وبناء بيتهِ وتطبيب جسمهِ لان الحيوان الذي يخصر شعورهُ بالنور والصوت في بعض اجزاء جلدهِ يشتد شعورهُ هذا فيصير هو اقدر من غيرهِ على تحصيل المعيشة واتقاء الاعداء واخلاف النسل فيقوى هذا الشعور في نسلهِ . وعلى هذا الاسلوب زادت هذه الاجزاء نموًّا واتقاناً الى ان تكونت الاذن والعين وانحصر الشعور بالصوت والنور فيهما

وهذا القول ليس من قبيل الفرض الذهني ولا التعليل النظري بل هو من الامور التي تقوم الادلة عليها . فاذا دخلتَ دارًا من دور الآثار الصناعية ورأيت انبوبة لها ثقب من جانبها ومعها كرة صغيرة من الحجر وهي تحشى باروداً ويوضع الحجر فيها ثم توضع جمرة على الثقب حتى يشتعل البارود ويدفع الكرة الحجرية . ورأيت بعدها بندقية ذات زناد وصوانة ورصاصة بدل الحجر . ثم بندقية ذات ديك وكبسول . ثم بندقية كثيرة الطلقات مما يحشى من خزنتهِ استنتجتَ ان البنادق نشأت على هذه الصورة وتدرَّجت من انبوبة بسيطة الى ان صارت مثل بنادق هذه الايام . وقد ترى درجات هذه البنادق مستعملة حتى الآن عند الامم المختلفة حسب درجات ارتقائها فترى البندقية ذات الزناد والبندقية ذات الكبسول والبنادق ذات الابرة على اختلاف اتقانها مستعملة عند الامم المختلفة فلا يبقى عندك ريب في نشوء البنادق وتدرُّجها في الاتقان . وقس على ذلك الاحذية والانوال والسفن والمركبات وكل مصنوعات البشر فانها كلها نشأت من مبادئ بسيطة وتدرَّجت في الاتقان ولا تزال آثارها بين الامم المختلفة دلالة على هذا النشوء والارتقاء . فاذا وجدنا في انواع الحيوان ادلةً مثل هذه على نشوء العين والاذن اضطررنا بحكم القياس ان نستنتج نشوءهما وهذه الادلة موجودة في انواع الحيوان وفي الانسان ايضاً فان اذنهُ وعينهُ تتدرجان الآن في تكونهما وهو جنين في بطن امهِ كما تدرجنا في اسلافهِ كأنَّ حياة الجنين تاريخ مختصر لحياة السلالة البشرية من اول نشوئها الى الآن

﴿ الاذن ﴾ ابسط انواع الاذن ما يوجد في بعض الحيوانات المائية المعروفة بالسمك الجلاتيني فانها فيهِ كيس بسيط مفتوح او مسدود مكوَّن من الخويصلات الجلدية وبعض هذه الخويصلات قد تنوَّع قليلاً ونمت منهُ نواتئ دقيقة كالشعر واتصلت من اسفلها بعصب متصل بالمجموع العصبي . وفي الكيس ماء وفيهِ غالباً حصوات صغيرة فاذا بلغ الاهتزاز الصوتي الى ظاهر هذا الكيس اوصلهُ الماء الذي فيهِ الى النتوات الشعرية واتصل منها الى العصب

واتصل بواسطة العصب الى المجموع العصبي فيشعر الحيوان باهتزاز الصوت. ففي هذه الاذن البسيطة كل الامور الجوهرية التي في الاذن المركبة مهما بلغت من الاتقان كما ان البندقية القديمة التي يشعل بارودها بالمشعل او بالجمرة وتحشى بالبارود وبندق الحجر فيها كل الامور الجوهرية التي في بندقية هذه الايام

والكيس المشار اليهِ يتنوَّع كثيرًا في الحيوانات العليا وتكثر تعاريجهُ واقنيتهُ وتصير منهُ الاذن الباطنة ويضاف اليها اجزاءٌ ثانويَّة كغشاء الطبلة والعظيمات الثلاث والاذن الظاهرة التي فيها الصماخ فتدخل اهتزازات الصوت من الصماخ وتهز الطبلة فينقل الاهتزاز الى العظيمات المشار اليها والى دهاليز الاذن الباطنة والسائل الذي فيها ومنها الى العصب السمعي فمركز السمع في الدماغ وهي كلها تنوعات عديدة نشأت مع الزمان جريًا على الناموسين الطبيعيين ناموس التنوُّع المستمر وناموس بقاء الاصلح



الشكل الاول

ترى في هذا الشكل اربعة رسوم بسيطة للاذن في درجات ارتقائها فالرسم الاول تحت الحرف ا انخفاض بسيط في الجلد وهو يفرق عن سائر الجلد في انهُ صار تجويفًا لجمع الصوت فيصير الشعور باهتزاز الصوت هناك اشد مما هو في اي جزء آخر من سطح الجلد سعتهُ مثل سعتهِ وهو مثل أُذن بعض الحيوانات المائية

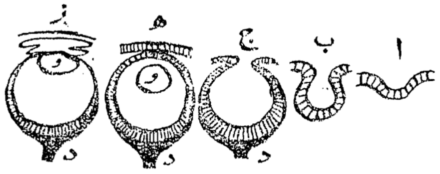
وفي الرسم الثاني تحت الحرف ب انحشكت الحويصلات الجلدية في التجويف واستطالت حتى يكثر العدد المعرَّض منها لاهتزازات الصوت فيزيد شعورها بهِ

وفي الرسم الثالث اتصل التجويف من اعلاهُ وامتلأ سائلاً واتصل اسفل الحويصلات الجلدية بالالياف العصبيَّة وغار التجويف تحت الجلد فصارت الاهتزازات الصوتية تقع عليهِ فتنتقل بالماء الذي فيهِ الى الحويصلات السفلى ومنها الى الاعصاب. اي صار هذا التجويف يقوّي اهتزازات الصوت مثل الطبل المشدود

وترى في الرسم الاخير ما يمثّل الاذن الكاملة التركيب كاذن الانسان فعند الحرف

ه القناة السمعية او الصماخ وعند الحرف و الاذن الوسطى التي فيها العظام السمعية وبينها وبين القناة السمعية حاجز رقيق وهو طبلة الاذن · وعند الحرف ز الاذن الباطنة وفيها سائل يقال لهُ اللمفا الباطنة وحولها سائل آخر يقال لهُ اللمفا الظاهرة · وتحت الحرف ح جزء من الدماغ والموصل بينهُ و بين ز العصب السمعي

فاذا وصلت اهتزازات الصوت الى الاذن دخلت من الصماخ ه الى الغشاء الطبلي فاهتزَّ بها واتصل اهتزازهُ بالعظيمات التي في الاذن المتوسطة فتهتز ويصل اهتزازها الى السائلين اللذين في الاذن الباطنة والاعصاب المتوزعة فيها وهناك تجاويف كثيرة لا محل لشرحها هنا والغرض منها تقوية الصوت ومعرفة جهاتهِ ودرجاتهِ · وتفصيل ذلك من متعلقات علم الفسيولوجيا · واذا شرَّحتَ جنين الانسان من اول تولدهِ الى ان يبلغ اشدهُ رأيت اذنهُ تتدرَّج في تكونها على هذا النحو من البسيط الى المركب ومن الساذج الى المتقن ممثلةً الدرجات التي مرَّت عليها وهي ترتقي في انواع الحيوان



الشكل الثاني

❂ العين ❂ وما قيل عن الاذن يقال عن العين فانها تكوَّنت اصلاً من تنوُّع حويصلات الجلد · وفي عيون الحيوانات الدنيا امثلة لتدرجها في الارتقاء من ابسط حالاتها الى اكملها · فابسطها انخفاض بسيط في الجلد كما ترى تحت الحرف ا في الشكل الثاني والحويصلات التي في اسفل هذا الانخفاض تشعر بالنور وتفرق بين النور والظلمة · وعين مثل هذه توجد في بعض انواع المحار البحري ثم يزيد هذا الانخفاض وتتقارب حافتاهُ كما ترى تحت الحرف ب فلا تعود اشعة النور تصل الى اسفل هذا التجويف الاَّ اذا اتت من جهة مخصوصة · ومعلوم ان الاشعة متى انحصرت رسمت صورة ما تأتي منهُ والاشعة الكثيرة الآتية من جهات مختلفة يختلط بعضها ببعض فتتشوش ولا ترسم صورة معلومة ويتضح لك ذلك من انك اذا دخلت غرفة واقفلت بابها وكان في الباب ثقب صغير رأيت على الحائط الداخل المقابل للباب صور الاشباح

التي قدام الباب مقلوبةً ولكنها تكون واضحة جداً اذا كان الثقب صغيرًا فاذا فتحت الباب كلهُ اختفت تلك الصور لان النور الكثير الداخل حينئذٍ يمتزج بالاشعة التي ترسم الصورة فتتشوش ولا تعود تظهر. ثم اذا زاد التجويف عمقًا وزادت فتحتهُ ضيقًا كما ترى تحت الحرف ج زادت الصور التي يرسمها النور فيهِ وضوحًا. ونرى في هذا التجويف ان العصب قد انتشر تحت الحويصلات التي تتأثر بالنور . وتُرى عيون مثل هذه في المحار الذي صدفتهُ تشبه الاذن وهو المسمى في عرف العلماء (هاليوتس)

ثم ترتقي العين فيتكوَّن فيها عدسية تجمع النور كما ترى حول الحرف و تحت الحرف ه . والعدسية ترسم الصورة واضحة كما يرى في آلات التصوير الشمسي وتجمعها على الجزء الداخلي من باطن العين وهو الشبكية . واذا روقبت عين الاخطبوط في نموهِ يرى انها تتمشى على الدرجات المشار اليها آنفًا واخيرًا تتولد القرنية والقزحيَّة امام الرطوبة البلورية وتصير العين كما تراها في الانسان وفي اكثر الحيوانات

و يظهر من ذلك ان العين والاذن تولدتا من الجلد تولدًا بالتنوع والارتقاء المستمرين جريًا على النواميس الطبيعيَّة ولا تزالان تتكونان كذلك في كل فرد من افراد الحيوان كما تكونتا في نوعهِ والاَّ فلا معنى لهذا التدرُّج فيها

غرائب الجراحة

لا مشاحة في ان العلوم الطبيَّة تقدَّمت منذ خمسين سنة الى الآن اكثر مما تقدَّمت في كل عصور التاريخ الماضية . وسبب هذا التقدم اكتشاف اصل الامراض والآفات الميكروبي اي اكتشاف الاحياء الصغيرة الميكروسكوبيَّة التي تسبّب الامراض الجسمية والآفات الجراحية لان هذا الاكتشاف جعل الاطباء يبحثون عن الاساليب التي تقي الجسم من تلك الميكروبات قبل وصولها اليهِ وتزيلها منهُ او تخفف وطأتها بعد دخولها فيهِ كما ترى في الوقاية من الجدري بالتطعيم ومن الحمى الملارية باستئصال البعوض الذي يوصل جراثيم الملاريا ومن تعفن الجروح بالنظافة التامَّة ومن الدفثيريا والكَلَب بالمصل المقاوم لها

وقد عثرنا على مقالة لجرَّاح اسمهُ كين (Keen) هو من اكبر جراحي اميركا ذكر فيها بعض الاعمال الجراحية الكبيرة التي عملت حديثًا ونجحت نجاحًا تامًّا وكان الاطباء قبلاً يحسبون ان عملها ضرب من المحال فرأينا ان نقتطف منها الفقرات التالية تنويهًا بمزايا الجراحة

وتشجيعاً للذين تقضي عليهم الادواء او الآفات بمثل هذه العمليات وهم يخافون نتائجها

جراحة القلب

لقد كان الراسخ في الاذهان حتى سنة ١٨٦٧ انهُ لا يمكن ان تعمل عمليَّة جراحية في القلب لان مَن جُرِح قلبهُ مات حتماً وان عاش فلا تطول حياتهُ الاَّ بضع ساعات او بضعة ايام . ولذلك قال الدكتور بلورث وهو اشهر جراحي اوربا في عصرهِ انهُ ما من جرَّاح يجسر على عمل عملية في القلب وهو يريد ان يبقى لهُ شأن في عيون اخوانهِ الجراحين . الاَّ ان الدكتور ربرتس الاميركي حاول منذ سنة ١٨٨١ ان يعمل العمليات الجراحية في القلب وامتحن ذلك في الحيوانات وكرَّر الامتحان سنة بعد سنة وجرى غيرهُ في خطتهِ الى ان نجحت اول عملية جراحية في القلب سنة ١٨٩٧ . ومن ثم اشتدَّت عزائم الجراحين وبلغ عدد العمليات الجراحية التي اجروها في القلب حتى شهر يونيو الماضي ١٤١ عملية نجح منها ٦٤ . وكل احد ولو لم يدرِ شيئاً من علم التشريح والجراحة يعلم ما في العمليات الجراحية القلبية من الصعوبة والتعرُّض للخطر الشديد فانها تستلزم شق الصدر وكسر عظمين او ثلاثة من عظامهِ وشق غلاف القلب من غير ان تصاب الرئة اليسرى وتنظيف ذلك الغلاف من الدم ثم عمل العملية في القلب والدم يشخب منهُ و يعمي البصر . هذه المصاعب اشد ما يلاقيهِ الجراح ومع ذلك فقد نجح الجراحون في ٤٥ في المئة من العمليات الجراحية التي عملوها في القلب ونسبة النجاح تزيد يوماً فيوماً

وقد حاول بعضهم الوصول الى القلب بشق البطن فنجحوا في ذلك والغرَض من الوصول اليهِ قد يكون لاعادة فعلهِ اذا وقف بغتة بفعل المخدّرات كالكلوروفورم والاثير فان من يعطى الكلوروفورم او الاثير لتنبيجهِ في بعض العمليات الجراحية قد يقف قلبهُ من جرَّاء ذلك فيموت . واثبت احد الاطباء انهُ يمكن اعادة الحركة الى القلب بالوصول اليهِ وافراغ بعض السوائل فيهِ ولو مضى على سكونهِ بضع ساعات

والظاهر ان القلب من اشد اعضاء الجسم استمساكاً بالحياة ومن اسرعها عودًا اليها اذا فارقها او فارقتهُ . فقد أُخرجت قلوب الحيوانات من صدورها ووضعت في الثلج ٤٤ ساعة ثم ملئت سائلاً معدًّا لذلك فعادت اليها الحركة وعادت تخفق كأنها لا تزال في صدور تلك الحيوانات ودام خفقانها ثلاث ساعات . واستخرج الدكتور كوليبكو قلب الارنب بعد موتها باربعة ايام وملأَهُ بذلك السائل فعاد يخفق على جاري عادتهِ واستمرَّ خفقانهُ ساعات عديدة . واستخرج قلوب بعض الموتى من الناس وملأَها بذلك السائل فعادت تخفق ولما ثبت

ذلك اقدم الجراحون على اعادة الحركة الى القلب بعد سكونهِ . وقد ذكر بعضهم ٣٩ عملية من هذا القبيل عادت الحياة في ١٢ عملية منها بعد ان فارقت الجسد حسب الظاهر

ولم يكتفِ الجراحون باستخراج القلب من الصدر واعادة الحركة اليهِ بعد سكونهِ بل شقوهُ وعملوا العمليات الجراحية في صماماتهِ . وكان مرض الصمامات من الامراض التي لا يرجى لها الشفاء اما الآن فصارت سكين الجرَّاح تصل اليها وتشفيها بعد ان تمرَّنت على ذلك في الحيوانات

ومنذ ثلاث سنوات رأيت الدكتور كرل بنَّج كلباً بالكلوروفورم حتى مات وكنت واقفاً الى جانبهِ وساعتي في يدي فلما انقطع نفَس الكلب تماماً وسكن نبضهُ ومضى على ذلك ربع ساعة حقنهُ في الشريان السباتي بمذوب الملح والادرنالين (خلاصة الغدة التي فوق الكلية) وضغط صدرهُ مراراً فعادت الحياة اليهِ وجعل يتنفس على جاري عادتهِ . وقد اعاد الحياة على هذه الصورة الى بعض الحيوانات بعد موتها بخمس وعشرين دقيقة . فاذا اثبتت التجارب التالية صحة هذه العملية في الانسان ايضاً فهي اسهل واسلم من شق الصدر او البطن للوصول الى القلب

جراحة الشرايين

ننتقل من القلب الى الشرايين التي تنقل الدم منهُ وتوزعهُ في كل اجزاء البدن . فلا يندر ان تُمزق الشرايين او تقطع باطلاق الرصاص او ضرب السيوف او بغير ذلك من العوارض . وقد كان الاسلوب المتَّبع في هذه الاحوال اذا كان الشريان من الشرايين الكبيرة ان يشق العضو الذي فيهِ الشريان او الوريد الى ان يوصل اليهِ ويربَط من فوق الجرح ومن اسفلهِ فاذا كان الشريان مما يصل الى اليد او الى الرجل فالغالب انهُ كان ينتج عن ربطهِ حدوث الغنغرينا في اليد او الرجل

واذا انشق الشريان كما يحدث احياناً لضعف في جدرانهِ فلم يكن سبيل الى دفع الموت من نزف الدم كلهِ الاَّ بالوصول اليهِ وربطهِ لكن ربطهُ لا ينجي من الموت دائماً لانهُ قد يحدث من ربطهِ غنغرينا تميت المصاب . اما الآن فقد تمكَّن الدكتور متاس من ربط الشريان بزمّ جدرانهِ اي بخياطتها حتى تبقى فيهِ قناة ضيقة يجري الدم فيها فيدفع الموت وتمنع الغنغرينا . وقد عملت هذه العملية في ٨٥ شخصاً حتى يونيو الماضي فشفي منهم ثمانية وسبعون واكثر هذه العمليات في اميركا

واذا قطع الشريان قطعاً بسيف او برصاصة كما يحدث كثيرًا لم يتعذر على الجراح الآن

ان يجمع الطرفين المقطوعين ويخيطها. واول من فعل ذلك الدكتور روبرت اب من جراحي نيويورك فانهُ فتح بطن قطة وقطع شريانها الاورطي الكبير ثم ادخل فيهِ انبوباً دقيقاً من الزجاج المطهر وخاط طرفي الاورطي حول الانبوب واري تلك القطة لاعضاء الجمعية الطبية في نيويورك بعد اربعة اشهر واذا هي سليمة سمينة كأن لم يصبها شيءٌ. وقطع يد كلب وابقاها عالقة بشريان ووريد لا غير ثم خاط طرفي عظمها بسلك من المعدن وخاط اطراف عضلاتها واعصابها الخ واحاط اليد بجبار من الجبس فجبرت تماماً وصارت كاختها . ولا يخفى ما في وصل الشرايين والاوردة المقطوعة خياطةً من الصعوبة لئلا يتجمع الدم في الطرف المخيط ويسدهُ ولكن الجراحين الماهرين تغلبوا على كل المصاعب وهم يخيطون الشرايين والاوردة الآن كما يخيطون الجلد وقد تمكنوا بذلك من عملية اخرى وهي نقل الدم من شخص الى آخر من غير ان يتخثر وتجري جلطة منهُ فتسد شرياناً من شرايين الرئة وتقطع الدورة الدموية . ولشدة ما في ذلك من الخطر لم تشع عملية نقل الدم قبلاً بل كان الاطباء يبدلون الدم بمذوّب ملحي فيفي بالمراد في بعض الاحيان . اما الآن وقد صار في الامكان ان يخاط وعاءٌ دموي بوعاءٍ آخر فصار يسهل نقل الدم الشرياني النقي من شريان انسان الى وريد انسان آخر من غير ان تتكوَّن فيهِ جلطة دموية

مثال ذلك انهُ ولد لاحد الاطباء المشهورين طفل وبعد ولادتهِ جعل الدم ينزف نزفاً شديداً من فيهِ وانفهِ ومعدتهِ وامعائهِ . واستعملت كل وسائل العلاج المعروفة لقطع النزف فلم تنجع واشرف الطفل على الموت فاستدعى ابوهُ الدكتور كرل واستلقى الى جانب طفلهِ فعرَّى الدكتور كرل شرياناً من ذراع الوالد وخاطهُ بوريد في ساق الطفل وجرى الدم من الوالد الى ولدهِ فلم يكن الاَّ بضع دقائق حتى احمرَّ جلد الطفل بعد ان كان اصفر شفافاً وانقطع النزف من كل جسمهِ حالاً ولم يعد وانتقل من الموت الى الحياة دفعةً واحدةً وقام معافى

وقد يرى الجرَّاح مريضاً ضعيفاً جدّاً لا يحتمل جسمهُ ان تعمل فيهِ عملية جراحية فيمتنع عن عملها لانهُ يعلم ان المريض يموت تحتها لضعفهِ فاذا استطاع ان ينقل الى جسمهِ دماً كافياً لم يبقَ خطر من عمل العملية

رأى الجراح دونس ولداً عمرهُ سنتان وفي احدى كليتيهِ خراج كبير جدّاً يملأُ نصف بطنهِ الايسر وقد انحطَّ مقدار الكريات الدموية الحمراء في دمهِ الى درجة ٤٥ في المئة بالنسبة الى الحالة الصحيَّة وكان نبضهُ سريعاً جدّاً وضعيفاً وقابليتهُ ضعيفة فاخَّر العملية اياماً

لعلَّ العناية تحسن حالة الولد ولكن جاء الامر على ضد ذلك لان حالتهُ زادت سوءا وزاد الخراج حجماً فوصل بين وريد من اوردتهِ وشريان من شرايين ابيهِ وبعد اربعين دقيقة زاد مقدار الكريات الحمراء في دم الولد حتى صار ثمانين في المئة وامتلأ نبضهُ وتحسّن لونهُ واستخرج الخراج والكلية اليسرى في اليوم التالي وكان الخراج نحو نصف اقة وشفي الولد بعد شهر من الزمان وزاد وزنهُ اقةً

واراد الدكتور كرل ان يعمل عملية جراحية في امرأة نحيفة جدًّا فاجلس زوجها الى جانبها ووصل بين شريان من شرايينه ووريد من اوردتها ونجها وعمل العملية فاحتملتها بسهولة ونجت مما كانت فيهِ ولم تكن نجاتها في رأي الدكتور كرل باقل من القيامة من الاموات

غرس الاعضاء

كان الجراحون يباهون بانهم يغرسون في الوجه انفاً جديداً بدل انف تشوَّه وتلف . وذلك بسلخ قطعة من جلد الجبهة والصاقها في مكان الانف بعد قطعهِ حتى اذا التصقت بهِ قطع طرفها الذي كان لا يزال عالقاً بجبهتهِ . لكن هذه العملية كانت تشوّه الجبهة بابقاء ندبة كبيرة فيها مكان الشريحة التي قطعت منها ولا يكون الانف مستويًا لانهُ يكون خاليًا من العظم او الغضروف وقد تصيبهُ الغنغرينا قبلما يلتحم وينمو فيشوهُ الانسان جبهتهُ ولا يكتسب انفاً جديدًا . اما الآن فصار في الامكان غرس شرائح اللحم وغرس الاوردة والشرايين والعظام من غير ان تبقى عالقةً في المكان الذي نزعت منهُ ولا يحصل فيها غنغرينا ولا غيرها

مثال ذلك ما فعلهُ الجراح لكسر حديثًا وهو انهُ رأى رجلاً يبست ركبتهُ ولم يعد في امكانهِ تحريكها لان مفصلها صار عظماً وكان بقطع ركبة رجل آخر لامر استدعى قطعها فقطع عظام الركبة اليابسة وابدلها بعظام الركبة السليمة التي قطعها من الرجل الآخر فالتحم العظم بالعظم وقام الرجل معافًى

ورأى الجرّاح لكسر رجلاً زال انفهُ وكان يقطع ساق رجل آخر لآفة لا تتعلَّق بعظم الساق فقطع قطعةً من ذلك العظم ونحتها حتى صارت كعظم الانف وثقب فيها ثقبين للمنخرين ثم قطع شريحة من ذراع الرجل الفاقد الانف وادخل العظم الذي نحتهُ تحتها وغطاهُ بها وبعد ثلاثة اشهر صار للرجل انف على ذراعهِ فيهِ عظم ولحم كالانف العادي ثم نقل هذا الانف من ذراعهِ وغرسهُ في وجههِ بدل انفهِ فجاء حسناً كالانف الطبيعي ولم يتعرّض الرجل لجرح جبهتهِ وابقاء ندبة كبيرة فيها

ومن هذا القبيل توليد العظم من السمحاق الذي يحيط بهِ فقد اثبت الدكتور اوليفيه

انهُ اذا نقل سمحاق العظم من حيوان الى حيوان اخر كوَّن فيهِ عظماً مثل العظم الذي كان معهُ

وفي نوفمبر من سنة ١٩٠٦ قطع الجراح كرل قطعة من الشريان السباتي من عنق كلب ووضعها في مكان مبرَّد درجة حرارتهِ من ٣٢ الى ٣٣ بميزان فارنهيت اي عند درجة الجليد وابقاها فيهِ عشرين يوماً ثم نقلها الى اورطي هرة ولا تزال هذه الهرَّة حيَّة سليمة الى الآن . وفي شهر مايو سنة ١٩٠٧ قطعت قطعة من الشريان الاورطي من كلب وقطعة مثلها من شريان ساق رجل بترت ساقهُ وأُبدلت قطعة اورطي الكلب بقطعة شريان ساق الرجل ولا يزال الكلب سليماً معافى

وقطع الجراح غثري قطعة من وريد كلب ووضعها في الفورمالين وهو سائل يقي من الفساد وابقاها فيهِ ستين يوماً ثم وضعها في رقبة كلب آخر بدل قطعة قطعها من شريانهِ السباتي فقامت مقامها و بقي الكلب حياً

واغرب من ذلك كلهِ ان الجراح كرل قطع ساقي كلبين وبادل بينهما وخاط العظام والشرايين والاوردة فالتحمت ساق الكلب الواحد بالكلب الآخر . ولعل الجراحان كرل وغثري افعالاً اخرى من هذا القبيل فنزعا الكليتين من هرة وادخلاها في جوف هرة اخرى بدل كليتيها . واستخرجا الرحم من هرة ووضعاها بدل رحم هرة اخرى فعاشت الهرة الاولى بكليتين غير كليتيها والهرة الثانية برحم غير رحمها

ولم يقتصر الدكتور كين على ما تقدَّم بل ذكر غرائب الجراحة في شفاء السرطان اذا كان في اولهِ وشفاء المرض المعروف بالغواتر الذي يصيب الغدَّة الدرقية فتنتفخ بهِ الرقبة ويفضي الى الموت . وقال ان هذه النتائج الباهرة نتجت كلها من التجارب في الحيوانات لان التجارب فيها علَّمت الجراحين كيف يشفون الناس في الاعمال الجراحية الكبيرة وفي كثير من الامراض والاوبئة . ثم قال ان التجارب في الحيوانات افادت في الامور التالية وهي

اولاً . اكتشاف طرق منع التعفن في الاعمال الجراحية

ثانياً . جعل العمليات الجراحية في المعدة والامعاء والكبد والمرارة والبنكرياس والطحال والكليتين وما اشبه من الامور الممكنة

ثالثاً . عمل العمليات الجراحية في الدماغ

رابعاً . معرفة كيفية انتشار المرض المعروف بالتتنوس او الكزاز وكيفية شفائهِ واتقائهِ

خامساً . تقليل الموت من الكسور المركبة من ٦٥ في المئة الى اقل من واحد في المئة . ويراد بالكسور المركبة التي يكسر بها العظم ويجرح الجلد جرحاً واصلاً الى العظم المكسور

سادساً · تقليل الموت من عمليات نزع المبيض من ٦٦ في المئة الى اثنين او ثلاثة في المئة

سابعاً · استئصال الحمى الصفراء

ثامناً · شفاء كل حوادث الكَلَب

تاسعاً · تقليل الوفيات بالدفتيريا من ١٥٨ الى ٣٨ لكل عشرة آلاف من السكان

عاشراً · تقليل الوفيات من التهاب اغشية الدماغ والحبل الشوكي من تسعين في المئة الى ثلاثين في المئة

حادي عشر · معرفة سبب الداء القتال الذي يحدث من عملية الغواتر ومنعهُ

ثاني عشر · ازالة خطر النفاس فبعد ان كان يموت اكثر من عشر النفاس لم يعد يموت واحدة من مئة منهنَّ

ثالث عشر · معرفة سبب الملاريا وافعالها الذريعة وطريقة استئصالها

رابع عشر · تقليل وفيات السل نحو خمسين في المئة

خامس عشر · نجاة المواشي من فتك البثرة الخبيثة والسقاية وكوليرا الخنازير ونحو ذلك من الاوبئة الذريعة الفتك بالمواشي

هذه فوائد اجراء التجارب العلمية في الحيوانات ومع ذلك لا يزال جمهور كبير من الاوربيين والاميركيين ينادون بمنعها شفقةً على الحيوان الذي يستحلون ذبحهُ واكلهُ ولا يستغربون وقد الزموا حكومتهم ان تمنع اجراء التجارب العلمية في الحيوانات وتعاقب من يتعدى امرها حتى اضطر علماؤهم ان يهاجروا الى فرنسا لكي يجروا العمليات فيها · ويقال ان لورد لستر نفسهُ اضطرَّ ان يجري تجاربهُ في فرنسا مع ان العلماء من اشفق الناس على العجماوات ولا يجرون عملية في حيوان منها ما لم يبنجوهُ قبلاً · ولا دليل على ان الحيوانات تتألم من العمليات الجراحية كما يتألم الناس بل الادلة كلها تدلُّ على انها لا تتألم مثلهم او لا تتألم ابدًا · والشعور بالالم متفاوت في الناس الى درجات تقضي بالعجب فانك ترى السودانيين يحملون النار بايديهم ولا يتألمون فلماذا لا يكون الشعور بالالم منحطاً جدًّا في العجماوات على نسبة انحطاطها عن الانسان · وقد شوهد الجراد مقطوعاً من وسطهِ ورأسهُ يأكل طعامهُ ولا يبالي · ولو كانت الحيوانات تتألم كما يظن المدافعون عنها لكان خلقها يأكل بعضها بعضاً ظلماً فادحاً وقساوة لا تحد

دولة آل عثمان

٧

ذكرنا في الجزء الماضي ان اثنين من العرب خانا سلطان مصر طومان باي بعد ان اجاراهُ وسلماهُ للسلطان سليم فشنقهُ على باب زويلة وانقضى بهِ ملك المماليك الجراكسة في القطر المصري . اما السلطان سليم فجعل همهُ بعد ذلك جمع اصحاب الحرف المختلفة من القطر المصري وارسالهم الى القسطنطينية ٠قال ابن اياس ان جماعة من وزراء ابن عثمان واهل مشورتهِ جلسوا في المدرسة الغورية وشرعوا يطلبون جماعة من القضاة والشهود والمباشرين واعيان تجار المغاربة وتجار الوراقين وتجار الشرب والباسطية وجماعة من البزدارية ومن السوقة المتسببين في البضائع وطائفة من البنائين والنجارين والمرخمين والمبلطين والحدادين وغير ذلك من ارباب الحرف واعيان اليهود فلما تكامل عرضهم في المدرسة الغورية عينوا جماعة منهم ليسافروا الى اسطنبول فكتبوا اسماءهم في قوائم والزموا كل واحد منهم ان يحضر لهُ ضامناً يضمنهُ واضافوا اليهم جماعة اخرى من اليهود وارسلوهم هم ونساءهم واولادهم الى الاسكندرية ومنها الى القسطنطينية ومن تأخر منهم عن السفر او امتنع ضربوهُ واهانوهُ

وذكر اسماء كثيرين من خاصتهم فقال ان منهم القاضي شمس الدين الحلبي احد نواب الشافعية وقد قاسى من العثمانية غاية البهدلة من الضرب والصك وانزلوهُ المركب على رغم انفهِ ومنهم الزيني زين الدين الشرنقاشي احد نواب الحنفية والقاضي بدر الدين ابن جمال الدين الاتميدي والقاضي بدر الدين البلقيني ومحمد المسكي الوراق وابن شقيرة التاجر الذي ببرجوش وبدر الدين شيخ سوق الغزل وغير ذلك من التجار والاعيان وبعض النصارى كتاب الخزينة وكانت هذه الواقعة من الوقائع المنكرة التي لم يقع لاهل مصر مثلها قط في ما تقدم من الزمان

ثم قال ان ابن عثمان ارسل يقول لامير المؤمنين اعمل برقك حتى تسافر الى اسطنبول (اي استعد للسفر) فكبر ذلك عليهِ وعلى اقاربهِ لكنهم لم يروا لهم مناصاً من اطاعة الامر٠ ويوم الثلاثاء ثاني عشر جمادى الاولى (٢ يونيو سنة ١٥١٧) خرج امير المؤمنين المتوكل على الله قاصدًا السفر الى اسطنبول وخرج معهُ اولاد عمهِ خليل وهما ابو بكر واحمد وصهرهُ محمد ابن العلائي فحصل للناس على فقد امير المؤمنين من مصر غاية الاسف وقالوا قد

انقطعت الخلفاء من مصر وصاروا باسطنبول • وعدة من خرج من اهل مصر الى اسطنبول الف وثمانمئة نفس او اقل لكن انكسر بهم مركب من المراكب التي ساروا فيها وغرق فيهِ اربع مئة نفس منهم

وان احد اعوان السلطان سليم واسمهُ يحيي بن بركار جعل يركب ويأخذ معه جماعة من المرخمين فيهجمون على قاعات الناس ويأخذون ما فيها من الرخام السماقي والزرزوري الملوّن فاخربوا عدة قاعات من اوقاف المسلمين وبيوت الامراء والتجار والمدارس التي فيها الكتب النفيسة • وانزلوا عمودين كبيرين من القلعة من الحجر السماقي وقاسى الناس في سحبهما غاية المشقة ثم انزلوا المكاحل (المدافع) النحاس من القلعة وكانوا يربطون الرجال بالحبال في رقابهم ويسوقونهم بالضرب الشديد على ظهورهم ولو كانوا من اعيان الناس

وانهُ طرد سكان الروضة ومصر العتيقة من دورهم وسكنها هو ورجالهُ وكان وزراؤهُ يعدوُّن الى الروضة في كل يوم ويطلعونهُ على الامور التي يفعلونها بالناس من خير او شر • وصادر اهل الثروة فاخذ ما يمتلكونهُ وكان لزوجة السلطان طومان باي جارية بيضاء جركسية فهربت من عندها وتوجهت الى بعض وزراء ابن عثمان فعرَّفتهُ حاصل سيدتها فتوجهوا اليهِ ونقلوا كل ما كان فيهِ من بشاخين زركش وعنبر ومقاعد ممور ووشق وحياصات ذهب ولؤلوء وجوهر مرصَّع وكوامل ذهب وآنية بلور وآنية فضة ونحاس مكفَّت بالذهب وصيني موشَّى بلازورد وغير ذلك فذهب لها اشياء كثيرة بنحو خمسين الف دينار (ثلاثين الف جنيه) وما قنع ابن عثمان بذلك فصادرها وقرَّر على والدتها بنت العلائي عشرين الف دينار وقيل اكثر من ذلك فحصل لها ولوالدتها الضرر الشديد وقاستا شدائد عظيمة

وجمع خراج مصر وانتظر حتى رأى وفاء النيل ثم غادرها في الثالث والعشرين من شعبان سنة ٩٢٣ وكان راكباً على بغلة صفراء عالية قيل انها من بغال السلطان الغوري وكان عليهِ قفطان مخمل احمر وقدامهُ جماعة من الوزراء والجم الكثير من عساكرهِ بين مشاة وركاب وكان قد ولَّى على مصر خاير بك الذي كان نائب حلب وبخيانتهِ انكسر الجيش المصري في مرج دابق وترك عندهُ نحو خمسة آلاف فارس من جيشهِ ونحو ٥٠٠ من الرماة بالبندق الرصاص

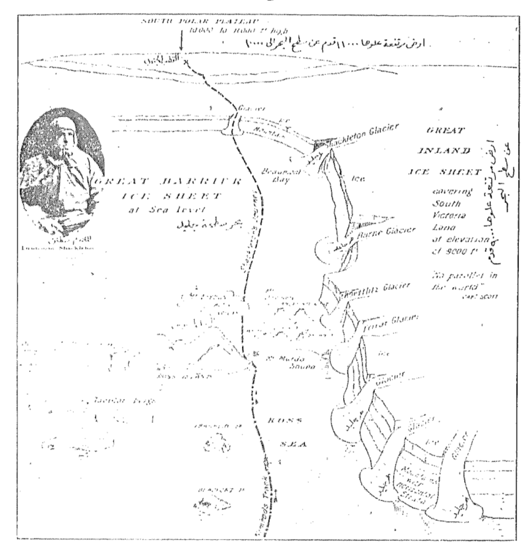
قال ابن اياس ان السلطان سليماً ما خرج من مصر حتى غنم اموالها وقتل ابطالها ويتَّم اطفالها واسر رجالها ... فلا حول ولا قوَّة الَّا بالله العلي العظيم • واشيع انهُ خرج منها ومعهُ الف جمل محملة ما بين ذهب وفضة فوق ما غنمهُ من التحف والسلاح والصيني والنحاس والخيول والبغال والجمال وغير ذلك حتى نقل منها الرخام الفاخر واخذ منها من كل شيء

احسنهُ وكذلك ما غنمهُ وزراؤهُ من الاموال الجزيلة وعسكرهُ فانهم غنموا من النهب ما لا يحصى فما رحلوا عن الديار المصرية الا والناس في غاية البلية . وفي مدة اقامتهِ بالقاهرة حصل لاهلها الضرر الشامل وبطل منها نحو خمسين صنعة لم يعمل بها في ايامهِ بمصر وكانت مدة اقامتهِ بها ثمانية اشهر الا اياماً قلائل ومن حين فتح حلب الى حين خروجهِ من مصر سنة وشهر واحد . وفي مدة اقامتهِ بمصر لم يجلس بقلعة الجبل على سرير الملك جلوساً عامًّا ولا رآهُ احد ولا انصف ظالماً من مظلوم ......

وتمادى في وصفهِ بما لا يحسن ذكرهُ ووصف عسكرهُ بانهم كانوا يجاهرون بشرب الخمر في الاسواق وغالبهم لا يصوم رمضان ولا يصلي . ثم لخص ما ذكرهُ بقصيدة ركيكة كسائر نظمهِ نثبت منها الابيات التالية

نوحوا على مصر لامر قد جرى   من حادث عمت مصيبتهُ الورى
زالت عساكرها من الاتراك في   غمض العيون كأنها سنة الكرى
واتى اليها عسكر سيماهمو   حلق الذقون ولبس طرطور يرى
جل الاله مصدقاً عما حكى   في سورة الروم العظيمة اخبرا
قد اوعد الرحمن وعداً صادقاً   ان ابن عثمان يلي وكذا جرى
ولاه رب العرش سلطاناً على   مصر وهذا الامر كان مقدرا
اين الملوك بمصر من ساداتها   مثل البدور تضي وكانت انورا
لهفي على تلك التخافيف التي   كانت على الامراء تزهو منظرا
لهفي على لبس الكراف بقندس   بطلت والغوا كل زنط احمرا
لهفي على شيخو وجامعهِ الذي   قد كان للصلوات مجمع للورى
لهفي على سوق الصليبة كيف قد   اخلت حوانيت بهِ مما جرى
لهفي على فك الرخام ونقلهِ   من كل بيت كان زاهٍ ازهرا
زالت محاسن مصر من اشياء قد   كانت بها تزهو على كل القرى
لهفي على الامراء كيف تشتتوا   وخلت منازلهم وعادت اقفرا
قتلوا باصغر بندق من شأنها   كالسم تجرى في الجسوم ولا ترى
لما تكبرت الجراكسة الاول   كانوا بمصر اذلهم رب الورى
الله اكبر انها لمصيبة   وقعت بمصر ما لها مثل يرى
ولقد وقفت على تواريخ مضت   لم يذكروا فيها باعجب ما جرى

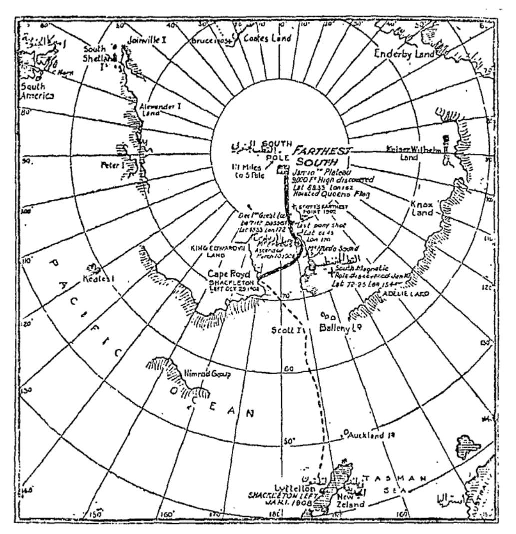
الشكل الثاني



رسم تصوري للاصقاع القطبية حيث سارت بعثة شكلتن قاصدة القطب فترى فيها صورة شكلتن نفسه وهو بثيابه القطبية التي تقيه من الزمهرير وترى عن اليسار صور الجزائر والهضاب المرتفعة من البحر ثم جبل اربيوس الناري والدخان ينبعث منهُ وثلاث فوهات اخرى الى جانبها والجليد مقطوع الى يسارها وسمكهُ فوق الماء مئتا قدم فاكثر

والى اليمين فوهتا بركانين آخرين وارض عالية مغطاة بالجليد وقد ماع بعض جليدها وانحدر منها في ثمانية انهار والنهر الاخير منها جعلهُ شكلتن مرقاة ارتقى عليها هو والذين معهُ في ٥ دسمبر واستمرَّ في سيره وهو يصعد في نجود مغطاة بالجليد الى ان بلغ ابعد ما وصل اليهِ في سهل يحيط بالقطب الجنوبي ويعلو ١٠٠٠٠ الى ١١٠٠٠ قدم عن سطح البحر

الشكل الاول



خريطة الانحاء التي حول القطب الجنوبي من الكرة الارضية والطريق الذي سارت فيهِ بعثة الملازم شكلتن من مدينة لتلتون بزيلاندا الجديدة الى رأس رويد حيث شتَّت ومن هناك سار شكلتن بها هو ورجالهُ وما معهم من الخيل والكلاب في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٠٨ الى ان وصلوا الى قرب بركان اريبوس وانقسموا هناك ثلاث فرق فرقة بقيت تراقب ذلك البركان والاحداث الجوية وفرقة ضربت جنوباً بغرب تفتش عن القطب المغنطيسي وفرقة تقدمت جنوباً الى ان صارت ١١١ ميلاً من القطب الجنوبي فنصبت هناك العلم الانكليزي وعادت ادراجها . وقد نقلنا هذه الخريطة عن جريدة الديلي ميل وابقينا الاسماء بحروفها الافرنجية لانها صارت مألوفة ويصعب حذفها من الخريطة وفيها رسم كل الاراضي التي كشفت حول الاصقاع القطبيَّة

لهفي على عيش بمصر قد خلت ايامهُ كالحلم ولَّى مدبرا
وأتى من التكدير ما لا مخبر سمعت بهِ اذن ولا عين ترى

والقصيدة طويلة وهي غاية في الركاكة لفظاً وتركيباً ولكن معناها منطبق على ما تقدم. ولا شبهة في ان ابن اياس كان من الناقمين على العثمانيين ولكنهُ لم يكن يختلق الاخبار اختلاقاً ولا كانت مخيلتهُ تجسمها لهُ بل كان يكتب الاخبار التي يسمعها يوماً فيوماً ويذكرها في معرض الريب اذا كان مرتاباً في صحتها

ومن يتبع اعمال خاير بك الذي ولاهُ السلطان سليم على مصر لا يعجب من ان الخراب توالى عليها بل يعجب انهُ بقي فيها احد من سكانها ولكن نفوس الناس مرنة تحتمل الضغط الشديد وطباعهم سلسة تعتاد كل شيءٍ ولله در المتنبي حيث قال

مَن يهُن يسهل الهوان عليهِ ما لجرح بميت ايلامُ

وكما تفقد النفوس الشعور بالالم اذا ماتت من شدة الضغط لا تعود تحتمل شيئاً منهُ اذا زال الضغط عنها ولذلك تجد ابناء هذا العصر يستثقلون القذى ويصمُّ آذانهم طنين الذباب

اما السلطان سليم فكان يعرف كيف يرضي العامة على اساوب لا يعرفهُ غيرهُ فاكرم ابن امير مكة واهدى اليهِ الهدايا وبعث الكسوة للكعبة ولضريح النبي وصنع كسوة للمحمل واحضر الف رأس من الغنم ومئة جمل ومئة بقرة وفرقها قرباناً على مجاوري الجوامع والمساجد والزوايا والمزارات. ولما وصل الى تربة الاشرف قايتباي وهو خارج مصر وقف هناك وقرأ الفاتحة واهداها اليهِ وكان قبل ذلك لا يظهر الأ عند سفك دماء الجراكسة كما قال ابن اياس. فارضى العامة وبعض الخاصة لانهُ لا شيء يختلب الباب المشارقة مثل الاحتفاظ بالشعائر الدينية ولو ظاهراً

وقد اختصر جودت باشا في كلامهِ على فتح مصر اختصاراً مخلاً فقال "ان السلطان سليماً المظفر تتبع جماعة المماليك وابادهم واستولى على الديار الشامية ثم الاقطار المصرية والحجازية وتاريخ ذلك في حساب الجمل "فاتح ممالك العرب" وكان قبل هذا الفتح يدعى سلطان الدولة العثمانية ولقب بعدهُ بخادم الحرمين الشريفين وخليفة الاسلام زيادة على لقب السلطان وعند رجوعهِ من مصر نقل الآثار النبوية الشريفة التي هي شعار الخلافة الى الاستانة عاصمة السلطنة العثمانية فجمع بين الخلافة والسلطنة"

لكن التواريخ القديمة ولاسيما تاريخ ابن اياس الذي كتب في عهد السلطان سليم لا يؤيد ما قالهُ مدحت باشا من ان السلطان سليماً لُقب خليفة وتاريخ الامير حيدر المنقول

عن التواريخ القديمة يلقبهُ ملكاً وسلطاناً لا غير ولم يلقبهُ خليفة

نعم ان علي باشا مبارك ذكر في كتابهِ المعروف بالخطط التوفيقيَّة ما يدل على ان الخليفة المتوكل على الله تنازل عن الخلافة للسلطان سليم فقد قال "انهُ لما تمَّ الامر للعثمانيين واستولوا على مصر اخذوا يفتشون عن امراء الجراكسة فكل من وجدوهُ منهم قتلوهُ ونهبوا منزلهُ حتى فنيت عدة من امراء البلد وتخربت منازلهم ومكث السلطان سليم بالديار المصرية ثمانية شهور يرتب امورها ويمهد قواعدها ثم رحل عنها الى القسطنطينيَّة بغنائم كثيرة وعدد عديد من ارباب الصنائع وغيرهم واستصحب معهُ ايضاً المتوكل على الله العباسي الذي كان خليفة بمصر بعد ان استنزلهُ عن الخلافة فخلع نفسهُ منها وتنازل عن حقوقها وفوَّض امورها الى السلاطين من آل عثمان". ولكن ما ذكرهُ ابن اياس يدل على ان الخليفة انما ترك او خسر الاموال والنذور التي كان يأخذها من مصر فقد قال ما نصهُ . "ان الخليفة (اي المتوكل على الله العباسي) لما سافر الى اسطنبول اخرجوا عنهُ نظر مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها وكان ذلك بيد الخلفاء من قديم الزمان وكان يحصل لهم من هذه الجهة غاية الخير من الشموع والزيت وكان يحصل لهم في كل يوم من الصندوق الذي تحت رأس السيدة نفيسة مبلغ لهُ صورة (اي كبير) من النذور التي كانت تدخل عليهم فخرج ذلك كلهُ عنهُ"

وانت ترى من ذلك ان ابن اياس بقي يلقب المتوكل بالخليفة حتى بعد ذهابهِ الى القسطنطينيَّة فلا ندري على مَن اعتمد علي باشا مبارك في قولهِ ان المتوكل خلع نفسهُ من الخلافة وتنازل عنها للسلطان سليم قبل سفرهِ من مصر

وسار السلطان سليم الى الشام بطريق العريش وقتل وزيرهُ يونس باشا في اثناء الطريق. وكان يونس باشا هذا من الذين ساعدوهُ على الوصول الى سرير الملك ويقال انهُ لم يكن يشير عليهِ بفتح مصر فلما كانا في الطريق ذكرهُ السلطان سليم بذلك فقال لهُ يونس باشا انهُ قتل نصف الجيش في فتحها ولم يستفد منها شيئاً لانهُ سلمها لخائن كان غرضهُ التملك عليها. فاستاء السلطان من هذا الكلام وقطع رأسهُ . قال ابن اياس ولما اشيع قتل يونس باشا اضطربت القاهرة واغلقت ابوابها وخاف اهلها من هجوم العرب عليها

ووصل السلطان سليم الى دمشق قاصداً ان يشتي فيها وكانت المجاعة ضاربة اطنابها في بلاد الشام فارسل يطلب من خاير بك اربعين الف اردب شعير وقمح يرسلها اليهِ بحراً وجاء قاصد من قبلهِ الى مصر وقال ان اهل الشام في غاية الضنك والشدة من العسكر لانهم طردوهم من بيوتهم ونزلوا فيها وحصل منهم لاهل الشام الضرر الشامل اكثر مما حصل لاهل مصر

وسار السلطان سليم من دمشق الى حلب وحصنها ليمنع عنها الشاه اسمعيل الصوفي صاحب بلاد الفرس ثم ارتحل الى ادرنة وجعل يستعد لمحاربة الشاه اسمعيل ولإعادة الكرة على جزيرة رودس لكن عاجلتهُ المنون سنة ٩٢٦ ولهُ من العمر اربع وخمسون سنة

ويقول الكتّاب الافرنج ان السلطان سليماً كان اعظم سلاطين آل عثمان شجاعة ومهارة وعلماً وحكمةً وسياسةً ولكنهُ يلقب في التواريخ التركية بياوز سليم اي سليم العبوس لشدة فتكهِ . وكان شاعرًا معدودًا واكثر شعرهِ بالفارسيَّة واشتهر في ايامهِ الفقيه كمال باشا زاده المعروف بابن كمال المشهور في صناعتي النظم والنثر

القطب الجنوبي

لبعض الناس غرام شديد باقتحام المخاطر واكتشاف المجاهل مدفوعين بحب الاكتشاف او بحب الشهرة او بحب الكسب او بذلك كلهِ . ومما رغبوا في الوصول اليهِ مهما تجشموا في سبيلهِ من المشاق القطب الشمالي والقطب الجنوبي اي طرفي محور الكرة الارضية . اما القطب الشمالي فاول من قصدهُ وحفظت اخبارهُ السرجون فرنكلين الذي سار نحوهُ سنة ١٨٤٥ قاصدًا ان يكتشف طريقًا بحريًّا الى اسيا من الشمال الغربي وقضي عليهِ وعلى رجالهِ بعد سنتين او ثلاث ووجدت آثارهم واخبارهم في رجمة هناك وظهر منها انهم وصلوا في سيرهم الى مكان يبعد ١٣٢٢ ميلاً عن القطب الشمالي

وتوالت البعوث بعد فرنكلين وكل بعثة تحاول ان تبعد اكثر مما ابعدت سابقتها كما ترى في هذا الجدول

السرجون فرنكلين	سنة ١٨٤٧	وصل الى	١٣٢٢	ميلاً عن القطب
مستر لاي سمث	" ١٨٧٣	" "	٥٩٢	" " "
الكبتن نيرس	" ١٨٧٦	" "	٤٥٨	" " "
اللفتننت لكوود من بعثة غربلي	" ١٨٨٤	" "	٤٥٥	" " "
الدكتور نَنسن	" ١٨٩٥	" "	٢٦٠	" " "
الكبتن كاني من بعثة ابروزي	" ١٩٠٠	" "	٢٣٩	" " "
الكومندور بيري	" ١٩٠٦	" "	٢٠٣ اميال	" "

فابعد ما وصل اليهِ الناس شمالاً يبعد ٢٠٣ اميال عن القطب الشمالي . وقد وصفنا رحلة

نسن ورحلة دوق ابروزي بالاسهاب في المجلد ٢٠ و٢٥ من المقتطف تبييناً لاحوال الاصقاع القطبيَّة وشدَّة بردها وقلة الجدوى من الوصول اليها في جنب المخاطر التي تحيق بالذين يقصدونها

اما القطب الجنوبي فاهم البعثات التي قصدتهُ ست وهي

بعثة القبطان كوك	قصدتهُ سنة	١٧٧٤	ووصلت الى	١٢٠٠ ميل عنهُ
" ودل	"	١٨٢٣	" "	١٠٥٠ ميلاً "
" روص	"	١٨٥١	" "	٠٨٥٠ " "
" سكوت	"	١٩٠٢	" "	٠٤٥٠ " "
" شكلتن	"	١٩٠٩	" "	٠١١١ " "

فبعثت شكلتن التي اشرنا اليها في الجزء الماضي وصلت الى ابعد ما وصلت اليهِ البعثات القطبيَّة شمالاً وجنوباً. ويفتخر الانكليز بانهم سبقوا الاميركيين في هذا المضمار لان بيري الذي وصل الى ٢٠٣ اميال من القطب الشمالي اميركي. وقد ذكرنا رحلة سكوت وما لقيهُ في الاصقاع الجنوبية في المجلد التاسع والعشرين من المقتطف . وها نحن واصفون الآن رحلة شكلتن وما لقيهُ فيها مأخوذاً من الانباء التلغرافية التي بعث بها الى انكلترا من جزيرة زيلندا الجديدة

والملازم شكلتن من اعوان الكبتن سكوت الذي قصد القطب الجنوبي بسفينة الدسكفري وابعد معهُ اكثر مما ابعد احد قبلهُ حتى صاروا على ٤٥٠ ميلاً من القطب وذلك في آخر سنة ١٩٠٢ فقد قال انهُ احد الثلاثة الذين نصبوا العلم الانكليزي في ٣٠ دسمبر سنة ١٩٠٢ حيث العرض ٨٢ درجة و١٦½ دقيقة . وبدت منهُ حينئذٍ دلائل الهمة والنشاط والصبر على المشاق والمقدرة على ادارة الناس بجاش رابط . وقد حدثتهُ نفسهُ بالذهاب مرةً ثانية لاكتشاف القطب الجنوبي ومعرفة احوال البلاد التي تحيط بهِ فاقلع من بلاد الانكليز في ٣٠ يوليو سنة ١٩٠٧ على سفينة تجارية من سفن الصيد اسمها النمرود بعد ان أُعدَّت لهذه الغاية وجُهزت بكل ما يلزم لهذا السفر الشاق

والنمرود من اصغر السفن التي تشق الاوقيانوس عمرها ٤١ سنة وقد ظهر بالاختبار انها من اقدر السفن على احتمال ضغط الجليد اذا احاط بها وضغط عليها. محمولها ٢٢٧ طنًّا وطولها ١٣٦ قدماً وعرضها ٢٧ قدماً وكثيرًا ما كانت تحمل ١٦٠ نفساً من البحارة والركاب اما الآن فلم يذهب فيها سوى ٣٢ نفساً ولذلك وضعت فيها كل لوازم الراحة لهم ولسفرهم على الجليد بالمزالق والاوتوموبيلات. واخذوا معهم خيولاً صغيرة من خيول منشوريا المعتادة زمهرير البرد وكلاباً

من نسل الكلاب التي تبعت البعثات السابقة لاكتشاف القطب. وقبل ان اقلعت نزل اليها ملك الانكليز وتفحص ما فيها من امتعة البعثة ومؤونتها ولما رأى انها كلها على ما يرام قال للملازم شكلتن لم يبقَ لي الأ ان ارجو لك سفرًا سعيدًا وعودًا حميدًا في مهمتك العسيرة . لما سافر الكبتن سكوت في سفينة الدسكفري اهديت اليهِ نشان فكتوريا واني اهدي اليك الآن نشانًا مثلهُ تفاؤلاً بفوزك في البحث العلمي الذي شرعت فيهِ . ثم سلمتهُ الملكة علماً لينصبهُ في ابعد مكان يصل اليهِ فنصبهُ على نحو مئة ميل من القطب كما تقدم.

وما كاد يصل الى زيلندا الجديدة في عودتهِ من السفر حتى بعث الى جريدة الديلي ميل تلغرافًا مسهبًا نقتطف منهُ الفقرات التالية

قام النمرود بنا من رأس رويد في ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٠٨ وابعد ما بلغناهُ الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي والدرجة ١٦٢ من الطول الشرقي . وكان السفر شاقًا جدًّا فقطعنا في اول الامر جبالاً كثيرة ثم وصلنا الى سهل عالٍ يبلغ ارتفاعهُ عن سطح البحر عشرة آلاف قدم واكتشفنا سلاسل كثيرة من الجبال وقطعنا ١٧٠٨ اميال في ١٢٠ يومًا واكتشفنا اكثر من ١٠٠ قمَّة جديدة من قمم الجبال وكانت المؤونة كافية والخيول المنشورية على ما يرام وقد اكتشفنا اكتشافات مهمة في علم الحيوان واكتشفنا ايضًا القطب المغنطيسي الجنوبي عند الدرجة ٧٢ والدقيقة ٢٥ من العرض والدرجة ١٤٥ من الطول وكان الشتاء معتدل البرد وبلغت اوطأ درجات الحرارة ٤٠ بميزان فارنهيت تحت الصفر. والاكتشافات الجيولوجية التي اكتشفناها مهمَّة كالاكتشافات في علم الحيوان وقد اشتدَّ ضغط الجليد على النمرود لكنهُ احتملهُ . وصعدنا على قمة بركان اربيوس وهو ابعد البراكين جنوبًا وارتفاعهُ ١٣٠٠٠ قدم وهذه اول مرة صعد انسان الى قمتهِ. قصدهُ الملازم ادمس الجيولوجي ورفاقهُ في ٥ مارس سنة ١٩٠٨ فصعدوا بالمزالق الى ما ارتفاعهُ ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر ثم حملوا زادهم وامتعتهم وتركوا مزالقهم وصعدوا حتى بلغوا ما ارتفاعهُ ٩٥٠٠ قدم فوق سطح البحر وكانت الحرارة هناك على ٥٠ تحت درجة الجليد . وحينئذٍ عصفت عاصفة ثلج منعتهم عن السير ثلاثين ساعة متوالية ولما سكنت عاودوا التصعيد فبلغوا فوهة البركان القديمة وارتفاعها ١١٠٠٠ قدم عن سطح البحر فتفحصوها جيدًا ورأوا منافس الدخان القديمة والفوهة مملوءة الآن بالحجارة المتبلورة وحجارة الخفان والكبريت وهرأ البرد قدمي السر فيليب بروكهرست فاضطرَّ ان يقطع ابهامهُ . وبلغوا فوهة البركان العامل في ١٠ مارس ومحيطها نصف ميل وعمقها ٨٠٠ قدم وكانت تنفث البخار والغازات الكبريتية فتعلو فوقها الفي قدم

وشرع الدكتور مرتش في رصد الحوادث الجويَّة من اوائل السنة . والاستاذ داڤد في رصد مجاري الهواء العليا من عبثها بغيوم البخار الصاعدة من البركان وواصلا الرصد الى اخرها

ووجد الدكتور مري كثيرًا من الاحياء الميكروسكوبيَّة في بحيرات عذبة قرب راس رويد ويجلد الماء حولها سنةً بعد سنة فتعيش فيهِ من غير ان يؤْذيها وظهر بالامتحان انها تحمل البرد الشديد والحر الشديد وتعيش في الماء العذب وفي الماء الاجاج . ورأينا طائر البنغوين المطوَّق اما النباتات التي وجدناها فاكثرها من انواع الفطر والاشنان والطحالب والاعشاب البحرية . وكان الشفق القطبي كثير الظهور ساطع النور كل مدة الشتاء واكثر ظهورهِ في الافق الشرقي وغالبهُ من السجفي ويكون احيانًا من النوع الثابت واحيانًا من النوع المتحرك وكثيرًا ما كانت مجاري النور تسير في عرض السماء بسرعة فائقة . واشتد ثوران بركان اربوس في شهر يونيو

ومضيت انا وارميتاج ودافد بالمزالق في ١٢ اغسطس لفحص حاجز الجليد فوجدنا درجة الحرارة ٨٩ تحت درجة الجليد فوضعنا المؤُونة في طريقنا على ١٢٤ ميلاً من مشق الدسكفري ثم عدنا الى اقتحام الحاجز ومررنا بالاوتوموبيل على بحر من الجليد في ٢٩ اكتوبر وكنا اربعةً ادمس ومرشل وولد وانا وتبعنا خمسةٌ لمساعدتنا بحمل الزاد وغادرنا نقطة هت في ٣ نوفمبر ومعنا زاد يكفينا ثلاثة اشهر فعاقنا عاصف الثلج ٥ ايام وعاد الذين تبعونا في ٧ نوفمبر. وكاد المستر ادمس يقتل لانهُ سقط في شق كبير في الجليد هو وفرس من الافراس لكننا تمكنا من انقاذهِ . وفي ١٣ نوفمبر بلغنا مكان المؤُونة التي وضعناها في سبتمبر الماضي حيث العرض ٧٩ درجة و٣٦ دقيقة فاخذنا منها زادًا لنا وعلفًا لخيلنا وجعلنا نقتصد في طعامنا ومررنا جنوبًا على حروف واكام من الجليد الصلب يتخللها اماكن مغطاة بالثلج فكانت الخيل تغرق فيهِ الى بطونها. ولما وصلنا الى الدرجة ٨١ والدقيقة ٤ قتلنا فرسًا من الافراس وابقينا هناك وديعةً من لحمهِ ومن البسكوت والزيت اللذين كانا معنا واخذنا بقية اللحم اداماً

وفي ٢٦ نوفمبر وصلنا الى ابعد ما وصلت اليهِ بعثة الدسكفري فرأينا سطح الجليد لينًا جدًّا يعسر السير عليهِ واصيبت الخيل بالبهر من بريق الجليد فقتلنا فرسًا منها وابقينا جانبًا من زادنا ومن لحمهِ حيث العرض ٨٢ درجة و٤٥ دقيقة ثم قتلنا فرسًا ثالثًا في ٣٠ نوفمبر واستمر بنا السير جنوبًا وجنوبًا بشرق فدنونا من سلسلة عالية من الجبال متجهة الى الجنوب الشرقي . وفي الثاني من دسمبر اكتشفنا نهرًا من الجليد (اي جليدًا جاريًا جريًا بطيئًا) طولهُ ١٢٠ ميلاً وعرضهُ نحو ٤٠ ميلاً فحاولنا الصعود عليهِ في ٥ دسمبر وكانت فيهِ شقوق

كبيرة حتى لم نستطع مرة ان نقطع اكثر من ٦٠٠ يرد في اليوم وفي ٧ دسمبر سقط فرس من خيلنا في شق من هذه الشقوق واختنق لكننا انقذنا المستر ولد الذي كان معهُ

وتقشعت الغيوم في ٨ دسمبر فاكتشفنا سلاسل جديدة من الجبال متجهة الى الجنوب والجنوب الغربي وكنا مرتبطين بعضنا ببعض بسيور وحبال متينة حتى اذا وقع واحد منا في شق ينقذهُ الباقون لانهُ يكون معلقاً بهم فوقعنا مرارًا ونجونا. واستمرَّت الحال كذلك من ٦ دسمبر الى ١٨ منهُ حتى بلغنا ما ارتفاعهُ ٦٨٠٠ قدم عن سطح البحر. وابقينا كل ما معنا حيث العرض ٨٥ درجة و١٠ دقائق ولم نأخذ غير الزاد والآلات العلمية وخيمتين وقللنا طعامنا

وفي ٢٦ دسمبر بلغنا سهلاً علوهُ ٩٠٠٠ قدم ثم ارتفع رويدًا رويدًا حتى صار علوهُ ١٠٥٠٠ قدم. وتوالت علينا زوابع الثلج هناك وكانت الحرارة بين ٣٧ و٧٠ تحت درجة الجليد

ولما رأيت ان قوى رفاقي قد خارت من قلة الطعام وخفة الهواء وشدة البرد عزمت على ان نضع جانباً من زادنا هناك ونتقدم الى حد ما يصل اليهِ جهدنا فاخذنا خيمة واحدة وغرسنا اعمدة الخيمة الثانية في طريقنا لترشدنا في رجوعنا وسرنا في ٤ يناير واشتد عصف الثلج في وجوهنا واستمرَّ ستين ساعة من غير انقطاع وكانت درجة الحرارة على ٧٢ تحت درجة الجليد وسرعة الريح سبعين ميلاً في الساعة حتى كان من المستحيل علينا ان نتقدم خطوة واحدة. وكاد البرد يهرأنا ونحن نيام في اكياسنا وفي التاسع من يناير استأنفنا السير فبلغنا الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي والدرجة ١٦٢ من الطول الشرقي وهي ابعد نقطة وصل اليها انسان حتى الآن فنصبنا هناك العلم الانكليزي الذي سلمتنا اياهُ الملكة ولم نرَ على مدى بصرنا جبلاً ولا اكمة بل رأينا سهلاً منبسطاً الى القطب. ثم عدنا ادراجنا ولم نجد الاعمدة التي نصبناها لان العاصفة اقتلعتها ولكننا رأينا آثار اقدامنا فارشدنا بها وكانت العاصفة تهب من ورائنا فساعدتنا على السير وكنا نقطع ٢٠ الى ٢٩ ميلاً كل يوم ورأينا العاصفة قد ازالت الثلج عن نهر الجليد فصار شديد الزلق وفرغ زادنا في ٢٦ يناير ولم نستطع ان نقطع سوى ١٦ ميلاً في ٢٢ ساعة وبلغنا مكاناً من امكنة الزاد الذي وضعناهُ في طريقنا عصر السابع والعشرين من يناير

واصيب ولد بالدوسنطاريا من اكل لحم الخيل ولم يجئ ٤ فبراير حتى أصبنا كلنا بالدوسنطاريا ودامت معنا ثمانية ايام ولكن ريح الجنوب كانت تساعدنا على الرجوع وكنا كلما وصلنا الى مكان من الاماكن التي ودعنا فيها الزاد يكون الزاد الذي معنا قد نفد كلهُ.

وانتكس مرشل وعاودتهُ الدوسنطاريا فتركتهُ في الطريق وتركت معهُ ادمس واسرعت انا

وولد الى السفينة ثم عدت اليهما في اول مارس ومعي رجال لانقاذهما

وبلغت المسافة التي قطعناها ذهاباً واياباً ١٧٠٨ اميال والمدة في السير والانتظار ١٢٦ يوماً . وقد جمعنا مجموعاً جيولوجياً كبيراً ووجدنا طبقات الفحم الحجري في الصخور الكلسية ورصدنا الاحداث الجوية رصداً كاملاً واكتشفنا ثمانياً من سلاسل الجبال واكثر من مئة جبل وصورنا كثيراً من انهر الجليد

والقطب الجنوبي واقع في سهل يعلو عن سطح البحر عشرة آلاف قدم او احد عشر الفاً وعلو سلاسل الجبال التي اكتشفناها يختلف بين ٣٠٠٠ قدم و ١٢٠٠٠ قدم . والعاصفة التي لقيناها عند الدرجة ٨٨ تدل انهُ ان كان حول القطب سكون لهو في فسحة ضيقة او هو ليس عند القطب الجغرافي . انتهى

وربما اتينا في الجزء التالي على تفصيل ما فعلهُ سائر اعضاء البعثة ونجتزي عن ذلك الآن بذكر الخلاصة التالية ملخصة من مجلة نا تشر

امتازت بعثة شكلتن على كل البعثات التي تقدمتها في انها ركبت المزالق فبلغت بها الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي فلم يبقَ بينها وبين القطب سوى ١١١ ميلاً فعرفت حالة تلك الاصقاع تماماً حتى القطب الجنوبي . واكتشفت فرقة منها القطب المغنطيسي الجنوبي واثبتت ان تلك الاصقاع برٌّ متصل ولو علاهُ الجليد

وقد وصلت البعثة على السفينة نمرود الى مضيق مكمردو قرب جبل اريبوس في اوائل سنة ١٩٠٨ وصعدت على ذلك الجبل وهو بركان عامل يقذف الدخان والغازات من جوفهِ ارتفاعهُ عن سطح البحر ١٣١٢٠ قدماً ووجدت انهُ كان لهُ فوهة قديمة تعلو ١١٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وشتَّت هناك في كنف الجبل وانتظرت فصل الصيف حتى تتقدَّم في سيرها جنوباً نحو القطب ووجدت ان الاوتوموبيل خير وسائل النقل والانتقال على بحار الجليد . وافترقت هناك الى ثلاث فرق فرقة سارت على المزالق تجرها الخيول الصغيرة القد بقيادة شكلتن نفسهِ قاصدةً القطب الجنوبي وفرقة بقيت في تلك الجهات تبحث في طبائع البلاد واحوالها الجوية وفرقة ضربت شمالاً وغرباً تفتش عن القطب المغنطيسي الجنوبي

اما الفرقة الاولى فشرعت في سيرها في ٣ نوفمبر الماضي فلم تسر طويلاً حتى اعترضتها عاصفة شديدة من الثلج اوقفتها اربعة ايام . ثم استأنفت السير الى ان وصلت الى بلاد مرتفعة يغطيها الجليد ويعسر التصعيد فيها لشدَّة شخوصها فلم تستطع ان تتقدَّم فيها اكثر من ستين متراً في اليوم . وصفا الجو في الثامن من دسمبر فشاهدت الجبال تمتد جنوباً وشرقاً

واستمرَّت في سيرها فصعدت ٦٨٠٠ قدم في اثني عشر يوماً اي قطعت ارضاً جبلية بلغ ارتفاعها ٦٨٠٠ قدم فكانها كانت تقطع في اليوم ما ارتفاعهُ ٥٦٦ قدماً وتركت اثقالها هناك حيث العرض ٨٥ درجة و١٠ دقائق واخذت معها ما يقوتها بالتقتير وجعلت تمشي جنوباً وعواصف الثلج تعصف في وجهها والارض تزيد ارتفاعاً فبلغت ما ارتفاعهُ ١٠٥٠٠ قدم في ثمانية ايام واشتدَّ عاصف الثلج حينئذٍ فمنعها عن السير ثلاثة ايام وكانت درجة البرد على ٤٠ تحت الصفر وفي التاسع من يناير صفا الجو نوعاً فتقدمت في سيرها حتى بلغت الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي و١٦٢ درجة من الطول الشرقي وهو ابعد ما وصلت اليهِ فلم يبقَ بينها وبين القطب سوى درجة و ٣٧ دقيقة او نحو ١١١ ميلاً والارض من هناك الى ابعد ما تراهُ العين في جهة القطب نجد مرتفع ولكن لا جبل فيهِ . ثم عادت ادراجها لانهُ لم يبقَ معها طعام يقوتها ان تقدمت اكثر من ذلك ولان المرض والتعب انهك قوى رجالها وقد لقيت من المشاق في ايابها اشد مما لقيت في ذهابها لان قلة الطعام اضعفت رجالها ولكن الرياح الجنوبية ساعدتها على الاسراع في السير فقطعت ١٧٠٨ اميال في ١٢٦ يوماً ووصلت الى رأس هت في ٤ مارس

والفرقة الثالثة التي ذهبت تفتش عن القطب المغنطيسي سارت على المزالق شمالاً وغرباً وكانت الرياح الجنوبية الشديدة تساعدها تارة وتعاكسها اخرى وكانت درجة البرد على ١٨ تحت الصفر فاهتدت الى القطب الجنوبي في السادس عشر من شهر يناير وهو حيث العرض ٧٢ درجة و ٢٥ دقيقة والطول ١٥٤ درجة وقطعت في هذا السفر ٢٦٠ ميلاً ولما ارادت الرجوع رأَت ان الجليد الذي سارت عليهِ في ذهابها قد تمزَّق وتفرق الَّا ان السفينة نمرود فتشت عنها ووجدتها في ٤ فبراير فانقذتها من الهلكة

والامور التي علمتها هذه البعثة وارسلتها بالتلغراف هي هذه

اولاً . ان القطب الجنوبي واقع في ارض عالية يبلغ ارتفاعها عشرة آلاف قدم او احد عشر الف قدم عن سطح البحر وحول تلك الارض سلاسل من الجبال يبلغ ارتفاعها من ثلاثة آلاف قدم الى اثني عشر الف قدم

ثانياً . ان الرياح الجنوبية تعصف هناك دواماً حتى قرب القطب في الاماكن التي سارت فيها تلك البعثة فان كان هناك رياح مضادة لها تهب نحو القطب فهي على الجهة المقابلة من القطب في الاوقيانوس الاتلنتيكي ولذلك فالارض العالية المغطاة بالجليد تمتد حول القطب الجنوبي الى بعد شاسع

مياه العاصمة

قرأنا في جريدة اللانست الطبيَّة مقالة لمندوب لها ارسلتهُ الى هذه العاصمة للبحث في مياهها وما يقولهُ الناس فيها وصفاتها الطبيعيَّة والكيماويَّة والصحيَّة · فرأينا في هذه المقالة اشياء كثيرة تنطبق على ما كنا نصف بهِ هذا الماء واموراً اخرى يحسن الوقوف عليها والاهتمام بها فاقتطفنا منها ما يلي

من البيّن ان ماء النيل يكون غالباً غير نقي وان الوسائل التي كانت تستعمل لترشيحهِ غير وافية بالمراد ولذلك كان من شربهِ خطَر وقد مات واحد بالكوليرا في الاسكندرية وهو من المشتغلين بترشيح ماء النيل فخاف الناس من ذلك ودعا الخوف الحكومة الى ابدال ماء القاهرة فابدالهُ على هذه الصورة لم يكن نتيجة فكر وروية بل نتيجة الخوف· واتفق ان مدينة طنطا وسكانها ستون الفاً حفرت فيها بئر عمقها ١٥٠ او ١٦٠ قدماً تخرج منها ماء صالح للشرب خالٍ من الميكروبات فعرف الناس مزيتهُ هذه واستعملوهُ مع ميلهم الشديد الى استعمال ماء النيل فظنت الحكومة انها تفعل مثل ذلك في القاهرة واختارت روض الفرج وهو على نحو ميلين من المدينة وحفرت فيهِ بئراً فوجدت فيها ماء ظهر لها انهُ جيد وركِّبت الطلمبات عليها وشُغِلَت مدة سنة فظهر ان مقدار الماء لا يتناقص فاشارت على شركة المياه ان تحفر هناك آباراً كثيرة وترسل مياهها الى القاهرة بدل ماء النيل ففعلت ذلك

والآبار التي هناك الآن ٢٢ ولم تتم كلها بل المستعمل منها ١٩ وهي في قطعة ضيقة من الارض عرضها ١٢ متراً والارض حولها زراعية وفيها مقبرة قديمة قريبة من الآبار· واثنتان منها قرب النيل والباقية بعيدة عنهُ نحو الف قدم وفي كل بئر ماسورة من الحديد قطرها ١٣ بوصة وطولها ٣٠ متراً وفي اسفلها الشبكة التي يدخلها الماء مما حولها وطولها ثلاثون متراً اخرى فيترشَّح الماء باسلاكها وبما بين طبقتيها من الرمل · والماء الذي يدخلها ليس كلهُ من الطبقة الموازية للشبكة بل بعضهُ يأتي من فوقها بفعل المص ولذلك لا يقال ان الماء آتٍ كلهُ عن عمق ٣٠ متراً فاكثر

ومعلوم ان الماء الخارج من هذه المواسير هو من ماء النيل وقد تغير بما اضيف اليهِ من طبقات الارض التي مرَّ فيها فحالتهُ تتوقف على المواد الذائبة فيهِ او على الطبقات التي مرَّ فيها. ثم ان مقدار الماء المستخرج من هذه الآبار غير ثابت فان البئر الاولى كان يستخرج منها

٥٠٠٠ متر مكعب في اليوم فلما فُتحت ثماني آبار لم يعد المستخرج ٥٠٠٠ متر من كل بئر بل اقل من ذلك ودعت الحال حينئذٍ الى ابعاد الآبار بعضها عن بعض وجعل البعد بين كل بئر والتي تليها ٨٠ متراً ومع ذلك لم يخرج من البئر اكثر من ٤٠٠٠ متر مكعب

والخبراء الذين امتحنوا مياه هذه الآبار كان اكثر بحثهم عن الميكروبات المرضية ولم يهتموا كثيراً بكون الماء قاسياً لا يرغي فيهِ الصابون ولا بكونهِ يحوي منغنيساً وحديداً ويزيد مقدارها فيهِ بازدياد عدد الآبار لانهم حسبوا ان هذه الشوائب لا تضرُّ بالصحة

والحديد يأتي من المواسير التي يمرُّ الماء فيها اي ان الماء يذيب الحديد من تلك المواسير ولم يكن ماء النيل يفعل ذلك لما كان الماء يستقى من النيل . والظاهر ان المواد التي تذوب من المواسير او تتكوَّن منها تتجمع فيها ما دام الماء بطيء الجري ثم تندفع منها بغتةً اذا زادت سرعتهُ . وقد فتحوا امامي حنفيةً لم تفتح منذ اربعة اشهر فخرج الماء منها اسود ضارباً الى السمرة ورأيت مادة سوداء مثل هذه في مغسلة وبينها حبوب رمل امكنني لمسها بيدي وكانت رائحة الماء خبيثة . ولكن بعد ان جرى من الحنفية خمس دقائق صار الماء الجاري منها نقياً خالياً من الرواسب والرائحة

ويقال الآن ان سبب ذلك كلهِ نوع من النبات ينمو في الماء ولاسيما اذا كان فيهِ حديد ومنغنيس واذا كثر هذا النبات سدَّ المواسير فزادت بهِ المواد الآلية ولذلك فتحليل الماء حين خروجهِ من الآبار لا يكفي ولا بدَّ من تحليلهِ بعد مرورهِ في المواسير الى بيوت السكان لاسيما وان المواسير غير محكمة الاتصال فتنفذ منها الشوائب الى الماء

قال المسيو فلر والمسيو كولين في كتابهما عن غش الاطعمة المطبوع بباريس سنة ١٩٠٠ " ان هذا النبات المائي (المشار اليهِ آنفاً) الذي يمكن ان يوجد في كل المياه يكثر وجودهُ في المياه الحديديَّة او التي فيها مواد آلية في حالة الانحلال ولهُ الفة شديدة لاملاح الحديد ولاسيما الاكسيد فيدخل هذا الاكسيد بين اليافهِ فيصير منهُ مادة كاللبد سمراء اللون وقد تكثر حتى تسد مواسير الماء. وقد شوهد ذلك في مدينة ليل ومدينة بوردو. وتنحل هذه المادة السمراء فيصير بها لون الماء بنياً ويصير كريه الطعم والرائحة فلا يعود صالحاً للشرب "

وهذا الوصف ينطبق على ماء القاهرة اذا جرى من ماسورة بعد ان اقام فيها مدة . وعلاجاً لذلك قد اقيم اربع مرشحات كبيرة ووضع فيها من حجارة اعلى اكسيد المنغنيس حتى يرسب المنغنيس عليها ثم تماد اكسدتها بعرضها للشمس ولكن اذا اريد تنظيف هذه المرشحات فلا

بد من زيادة ضغط الماء فيها فيحمل الماء ما يرسب فيها ويجري بهِ فتزيد هذه الشوائب في الماء الجاري الى البيوت من حيث يراد ازالتها منهُ . ثم ان هذه المرشحات الاربع لا ترشح الآ ٤٠٠ متر مكعب في اليوم وتبلغ نفقاتها تسع مئة جنيه فاذا اريد ترشيح كل مياه القاهرة وجب ان يكون عدد المرشحات كثيرًا جدًّا ونفقاتها باهظة وفائدتها مشكوك فيها

ثم ان الماء الذي يمكن اخراجهُ من هذه الآبار سيقلُّ رويدًا رويدًا فقد تقدَّم ان البئر التي كان يخرج منها اولاً ٥٠٠٠ متر مكعب في اليوم قلَّ ما يخرج منها فصار ٤٠٠٠ متر وقيس ما يخرج منها في يناير سنة ١٩٠٨ فوجد ٣٢٠٠ مترًا في اليوم ولا تزال القلَّة متزايدة فقد ظهر من قياس جديد ان الخارج من البئر لا يزيد على ٢٧٠٠ متر مكعب اي نقص ايراد البئر ٥٠٠ متر مكعب في غضون سنة

وقد جرى مثل ذلك في مدينة برسلو عاصمة سليسيا وسكانها ٤٢٢٠٠٠ نفس فقد كان سكانها يشربون من ماء نهر الاودر بعد ترشيحهِ وكان يموت منهم بالتفويد من ٦ الى ١١ في السنة من كل ١٠٠٠٠٠ نفس وخيف من دخول الكوليرا اليها سنة ١٨٨٢ فاشار بعضهم بحفر الآبار والاستقاء منها فحفروا ٣١٥ بئرًا وجعلوا البعد بين البئر والبئر ٢١ مترًا ولما ابتدأَت سنة ١٩٠٥ كان المنتظر ان هذه الآبار تكفي تسعة اعشار حاجة المدينة ولكن الماء المستخرج منها قلَّ رويدًا رويدًا من ٦٠٠٠٠ متر مكعب الى ٤٠٠٠٠ متر . ثم تغير هذا الماء فصار يحوي مقدارًا كبيرًا من الحديد . وقد كثر الحديد في الماء حتى لم يعد في الامكان غسل الثياب البيضاء بهِ . ولحسن الحظ ان المرشحات التي كان ماء النهر يرشح بها كانت لا تزال قائمة فعادت المدينة اليها

وهذا هو نفس ما ينتظر للقاهرة ولكن لا بدَّ من اصلاح طرق الترشيح القديمة . وكل احد يود الرجوع الى ماء النيل لاسيما وان الخسارة كبيرة من استعمال ماء روض الفرج في غسل الثياب لكثرة ما يلزم لهُ من الصابون ولان الثياب تتدبغ من غسلها بهِ فتتلف . ويقول النساء ان هذا الماء يجعل الشعر قصفًا فيتلفهُ

واكثر الوطنيين وهم الفريق الاكبر من السكان لا يزالون يشربون ماء النيل وهم يشربونهُ الآن غير مرشح وكانوا قبلاً يشربونهُ مرشحًا فالخطر من دخول الكوليرا والتيفويد بواسطة ماء النيل لم يزل في محلهِ بل قد زاد كثيرًا اذ صار ماء النيل يشرب من غير ترشيح

ثم ان عدد الوفيات من الاوربيين الساكنين في القاهرة كان ٢١,٨ في الالف سنة ١٩٠١ و ٢٥,٥ في الالف سنة ١٩٠٢ و ٢١,١ في الالف سنة ١٩٠٣ و ٢٥,٦ في الالف

سنة ١٩٠٤ فلما صاروا يشربون من مياه هذه الآبار صار عدد الوفيات ١و٢٦ في الالف سنة ١٩٠٥ و ٩و٢٥ في الالف سنة ١٩٠٦ و ٤و٢٧ في الالف سنة ١٩٠٧ . ولم ارَ ما يدل على ان الامراض التي تنتقل عدواها بالماء كالتيفويد قد قلَّت عمَّا كانت قبلاً ولا دليل على ان الصحة العمومية قد تحسنت بعد استعمال هذا الماء . واذا خيف من انتشار الكوليرا في القاهرة بشرب ماء النيل فهذا الخوف لا يزال في محلهِ لان الذين يشربون ماء النيل الآن كثيرون وهم يكفون لنشر العدوى في المدينة اذا جاءتهم من ماء النيل

والخلاصة ان الاعتماد على مياه روض الفرج لا يخلو من الخطر لانها قد تقل عن الحاجة بغتةً وان العود الى ماء النيل اصلح لا سيما وان ٩٩ في المئة من السكان يفضلونهُ على ماء روض الفرج . ويقال ان ماء الاسكندرية يؤْخذ من النيل ويرشَّح فيأْتي وافيًا بالمراد ونحن في لندن نشرب ماء تصب فيهِ اقذار مليون وربع من السكان لكنهُ يرشَّح جيدًا فيصير صالحًا للشرب ويتوفر ما يخسرهُ السكان الآن في ثمن الصابون وتلف الثياب . انتهى باختصار

نقول انهُ لو جعلت الآبار سطحيةً مثل سواقي المعين التي في هذا القطر وأُحيطت بما يمنع وقوع الشوائب فيها لكان ماؤُها نقيًّا كماء النيل المرشَّح لانهُ يكون مرشَّحًا حقيقة بطبقة سميكة من التراب حسب بعد الآبار عن النيل ويكون خاليًا من املاح الحديد والمنغنيس وكل المركبات الكيماوية . وماء السواقي هو ماء النيل مرشَّحًا واذا كانت في ارض زراعية قريبة من النيل فلا تخالطها املاح تضرُّ بالصحة او تحلُّ الحديد ولو زرعت تلك الارض . وقد شرب الناس ماء السواقي المعين من ايام المصريين الاقدمين الى الآن ولم يصبهم منها اقل ضرر بل يكون من شربها نفع غذائي لان المواد الذائبة فيها مما يغذي لا مما يضر بالصحة والامر الذي يرتاب فيهِ هو مقدار الماء الذي يمكن استخراجهُ من هذه السواقي يوميًّا وهذا لا تتعذر معرفتهُ بالامتحان اذا لم تكفِ الحقائق العلمية والمعلومات الاختبارية . ويظهر لنا ان عشرين ساقية كل ساقية منها مثل الساقية باربعة اوجه يخرج منها من الماء يوميًّا اكثر من ثمانين الف متر مكعب فهي تكفي مدينة سكانها ثمانمئة الف نفس ولا يتعذر حفر هذه السواقي في ارض طولها الف متر الى الفين وعرضها مئتا متر ويوصل بينها بالمواسير ويخرج الماء منها بآلة رافعة وهذا يستحق الامتحان في ساقتين او ثلاث لمعرفة خواص الماء ومقدار الايراد

الغزالي(1)

ترجمتهُ وتعاليمهُ

ايها السادة

على نحو عشرة فراسخ من مدينة نيسابور قاعدة خراسان توجد ولاية طوس وبها مدينتان الطابران ونوقان ومن الطابران بزغت شمس الامام ابي حامد محمد الغزالي سنة ٤٥٠ من الهجرة النبويَّة

وكان ابوهُ فقيرًا صالحًا لا يأكل الاَّ من كسب يدهِ في عمل غزل الصوف بطوس ولما ادركتهُ منيتهُ كان ابو حامد هو واخوهُ ابو الفتوح احمد صغيرين فاوصى بهما الى صديق لهُ متصوف من اهل الخير وقال لهُ "ان لي تأسفًا عظيمًا على تعلم الخط واشتهي استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين فعلّمهما ولا عليك ان تنفد في ذلك جميع ما اخلفهُ لهما". فلما مات اقبل الصوفي على تعليمهما الى ان فني ذلك النزر اليسير الذي خلفهُ لهما ابوهما وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما اعلما اني قد انفقت عليكما ما كان لكما وانا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فاواسيكما بهِ واصلح ما ارى لكما ان تلجأا الى مدرسة فانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما . ففعلا ذلك وكان هذا هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما وكان الغزالي يحكي هذا ويقول طلبنا العلم لغير الله فأبى ان يكون الاَّ لله

تعلم الغزالي

قرأ في صباهُ الفقه على احمد بن محمد الراذكاني براذكان وهي احدى قرى طوس . ثم رحل الى جرجان ميممًا أبا نصر محمد بن ابي بكر الاسماعيلي رئيس علماء جرجان فاخذ علمًا جمًا وكتب عنهُ تعليقة ثم عاد الى طوس . وقد حصل لهُ في عودتهِ حادثة لفتت نظرهُ الى امر عظيم يرقيهِ في مستقبلهِ ذلك ان الطريق قطعت عليهِ واخذ العيَّارون جميع ما معهُ ومن ضمنهِ مخلاة فيها ما كتبهُ عن شيخهِ بجرجان. فتبع العيَّارين ولما رآهُ مقدمهم قال لهُ ارجع ويحك والاَّ هلكت فقال لهُ الغزالي اسألك بالذي ترجو السلامة منهُ ان تردَّ عليَّ تعليقتي فما هي بشيء تنتفعون بهِ . فسألهُ عن تعليقتهِ فقال كتب هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة

(1) خطبة القاها حضرة الاستاذ محمد الخضري المدرس بمدرسة القضاء الشرعي في جلسة نادي دار العلوم المنعقدة في ٢٢ ابريل سنة ١٩٠٩

علمها. فضحك وقال كيف تدعي انك عرفت علمها وقد اخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم. ثم امر بعض اصحابهِ فسلمهُ اياها . ولما رجع الى طوس اقبل على الاشتغال بما معهُ حتى صار علمهُ في قلبهِ لا في كتبهِ

ثم تاقت نفسهُ الى ارقى مما حصل فسار الى نيسابور وبها الامام الجليل عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني النيسابوري الشهير بامام الحرمين وهو شيخ الوقت وامام الشافعية . وكان امام الحرمين ممن لم يقهم عائق التقليد فلم يكن يتقيد برأي امامهِ فيما لم يرَ لهُ فيهِ حقاً بل كثيرًا ما خالف الشافعي وهو الذي ينسب اليهِ في الفقه وخالف الاشعري وهو الذي ينتسب اليهِ في اصول الدين وقد كان ذلك مما يجرُّ عليهِ احياناً ما لا ينجو منهُ عالم باحث في مثل الوسط الذي كان فيهِ امام الحرمين . تلقى الغزالي عن هذا الامام العظيم العلوم الشرعية فكان لهُ من حرية استاذهِ واستعدادهِ هو اعظم معين على الرقي الذي صادفهُ . قرأ عليهِ الفقه والخلاف والجدل والاصول والمنطق فبرع فيها حتى كان امام الحرمين يصفهُ بانهُ بحر مغدق . ولم يزل معهُ حتى توفي الامام سنة ٤٧٨ من الهجرة ففارق نيسابور قاصدًا الوزير ابا علي الحسن بن علي الطوسي الملقب بنظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي (ولد نظام الملك سنة ٤٠٨ وقتل سنة ٤٨٥) وكان هذا الوزير غرة في جبين الدولة السلجوقية بل لا نبالغ اذا قلنا انهُ لم يأتِ في عصر بني العباس وزير مثلهُ فهو موءسس المدارس النظامية (نسبة اليهِ) ببغداد ونيسابور وبلخ وغيرها من امهات المدن في العراق وفارس ونظامية بغداد ابتدئ بعمارتها سنة ٤٥٧ وانتهى منها سنة ٤٥٩ وكان يتولى التدريس بها اكبر علماء الشافعية بالعراق . وهو اول من جعل لطلاّب العلم معلوماً يتناولونهُ

لما قابل الغزالي نظام الملك بالمعسكر قدمهُ لمن بحضرتهِ من العلماء لتناظرهم وناظروهُ فظهر عليهم بظهور فضلهِ فاعترفوا لهُ بالنبوغ وحينذاك ولاهُ الوزير التدريس بنظامية بغداد وامرهُ بالتوجه اليها فقدم بغداد سنة ٤٨٤ وادى بها الدرس وكان يحضر درسهُ من كبار العلماء المدرسين ببغداد ثلاث مئة . ولم يكن يحضر بالمدارس النظامية الاَّ من قاربوا الانتهاء في علومهم فهي تشبه من بعض الوجوه المدارس العالية في ايامنا

اقام الغزالي يدرّس بالمدرسة النظامية الى سنة ٤٨٨ وفيها خرج الى البلد الحرام قاصدًا الحج واستناب في التدريس اخاهُ ابا الفتوح احمد. ثم ذهب الى دمشق سنة ٤٨٩ ومنها زار بيت المقدس. ثم عاد الى دمشق واقام بها مدة معتكفاً متجردًا عن الدنيا ومشاغلها . ثم قدم الاسكندرية فاقام بها مدة وكان عازماً على الرحلة الى المغرب الاقصى لمقابلة امير دولة

الملثمين يوسف بن تاشفين سلطان المغرب فبلغهُ موتهُ فعدل عن ذلك واستمر يجوب البلدان ويزور المشاهد ويأوي الى القفار ويروض نفسهُ ويجاهدها ثم عاد الى بغداد وعقد مجلس الوعظ ثم انتقل الى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور بعد الحاح شديد ولكنهُ لم يطق المقام فعاد الى طوس واتخذ جنب دارهِ مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ووزع اوقاتهُ على العلم والعمل حتى توفي سنة ٥٠٥ من الهجرة

تقلباتهُ الفكرية

كان الغزالي في بدء حياتهِ العلمية فقيهاً همهُ الاشتغال بالفقه واصولهِ وتحقيق مباحثهما والاكثار من التنقيب والتفريع على عادة الفقهاء حتى برَّز على الاقران وانتهت اليهِ الرئاسة بالعراق وخراسان والَّف في الفقه الكتب الكبيرة على الطريقة المألوفة وكانت نشأتهُ في وقت غلا فيهِ مرجل العصبيَّة بين الحنفية والشافعية فكان اكبرهمّ العلماء من رجال المذهبين ان يتقنوا كيفية الجدل ومنازعة الخصوم ليستظهروا على اقرانهم ومخالفيهم في الآراء حتى لقد نقل عن اعلامهم كعباً واشهرهم اسماً وهو ابو حامد الاسفراييني الحديث الآتي" قال ابو حيان التوحيدي سمعت الشيخ ابا حامد يقول لطاهر العباداني — لا تعلق كثيرًا لما تسمع مني في مجالس الجدل فان الكلام يجري فيها على ختل الخصم ومغالطتهِ ودفعهِ ومغالبتهِ فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً ولو اردنا ذلك لكان خطونا الى الصمت اسرع من تطاولنا في الكلام وان كنا في كثير من هذا نبوءُ بغضب من الله تعالى فانَّا مع ذلك نطمع في سعة رحمة الله" من طبقات الشافعية لابن السبكي

تربى الغزالي على هذا المبدإ مبدإ البحث والنظر والجدل حتى ذاع صيتهُ ونال الجاه الوفير والحظ العريض وصار شيخ مشايخ العراق في عهدهِ

وفي ذلك الزمن كانت آراء الفلاسفة قد تمكنت من فئة عظيمة من المسلمين وبرَّز في اخراجها للناس الرئيسان ابو علي بن سينا وابو نصر الفارابي وغيرهما فشاعت تلك التعاليم ولكن الفقهاء وقفوا بينها وبين العامة حتى لا تشوش عليهم عقائدهم وانحوا على تلك التعاليم بالتزييف من غير ان يكلفوا انفسهم العناء في استكشاف ما عليهِ اولئك الفلاسفة . اراد الغزالي ان يكون لهُ سهم في مناضلة الفلاسفة ولكنهُ لم يكن رازحاً تحت عبء التقليد كيف وهو تلميذ امام الحرمين فرأى من الحكمة ان لا يتعرض لتسفيه تلك الآراء حتى يحيط بها علماً فشغل نفسهُ بتعرف الفلسفة وما فيها من المباحث حتى يكون كلامهُ فيها عن خبرة لا عن تقليد . مكث على ذلك ثلاث سنين حتى استكنه ما عند القوم وعند ذلك شرع في كتابهِ

الذي سماه تهافت الفلاسفة وقد نهج فيهِ منهجاً خالف فيهِ سلفهُ في المناظرة فقسم ابحاثهم الى ثلاثة اقسام

(الاول) ما يرجع النزاع فيهِ الى مجرد الالفاظ وهذا لم يتعرض لم فيهِ فانهُ بعد الاتفاق على المسمى لا معنى للاختلاف في اطلاق اللفظ

(الثاني) ما لا يصدم مذهبهم فيهِ اصلاً من اصول الدين كقولهم ان كسوف القمر عبارة عن امحاء ضوئهِ بتوسط الارض بينهُ وبين الشمس من حيث انهُ يقتبس نورهُ من الشمس فاذا وقع القمر في ظل الارض انقطع عنهُ نور الشمس وكقولهم ان كسوف الشمس معناهُ وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعهما في العقدتين على دقيقة واحدة · قال وهذا الفن لسنا نخوض في ابطالهِ ومن ظن ان المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعَّف امرهُ فان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسيةٌ وحسابيةٌ لا تبقى معها ريبة فمن يطلّع عليها ويتحقق ادلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما الى الانجلاء اذا قيل لهُ هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيهِ وانما يسترب في الشرع· وضرر الشرع ممن ينصرهُ لا بطريقهِ اكثر من ضررهِ ممن يطعن فيهِ بطريقهِ· وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل . ثم قال واعظم ما يطعن بهِ الملحدة ان يصرح ناصر الشرع بان هذا وامثالهُ على خلاف الشرع فيسهل عليهم طريق ابطال الشرع ان كان شرطهُ امثال ذلك· وهذا لان البحث في العالم عن كونهِ حادثاً او قديماً ثم اذا ثبت حدوثهُ فسواء كان كرة او بسيطاً او مثمناً او مسدساً وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاث عشرة طبقة كما قالوهُ او اقل او اكثر فنسبة النظر فيهِ الى البحث الالهي كنسبة النظر الى طبقات البصل وعدد حب الرمان فالمقصود كونها من فعل الله كيفما كانت

(الثالث) ما يتعلق النزاع فيهِ باصل من اصول الدين وهذا هو الذي نازعهم فيهِ مع ادب لم نرهُ لغيرهِ ممن نازعوا الخصوم في عقائدهم

وهذه المبادىء الثلاث التي سنها الغزالي في المناظرة مع مخالفيهِ لم نرَ كثيراً من علماء الدين من سار عليها وهي البعد عن النزاع في الالفاظ وعن النزاع فيما اثبتتهُ براهين الهندسة والحساب واستعمال الادب في المناظرة · هذا ابن حزم مع علو كعبهِ في العلوم الاسلاميَّة ألَّف كتابهُ في الملل والنحل شرح فيهِ مذاهب الخصوم وآراءهم ثم انبرى للرد عليها بقول تلحقهُ شنعتهُ وتدركهُ تبعتهُ · وطالما طرق مسامعنا ونحن في بدء تعلمنا ان القول بكرويَّة الارض كفر والاشتغال بالكيميا والطبيعة كفر وما ماثل ذلك من الاقوال كأنهم لم يستفيدوا شيئاً

من قول هذا الامام الذي اعلنهُ منذ ٨٤٠ سنة

ألَّف الغزالي تهافت الفلاسفة فرمقتهُ العيون بالاجلال والاعظام وصار امام اهل عصرهِ حجة الاسلام غير مدافع واليهِ ينتهي الدفاع عن حوزتهِ . صادف في ذلك الوقت شيوع آراء الباطنية وظهورهم بمظهر القوة بقلعة الموت وكادت آراؤهم تحوز مكاناً عليّاً في انفس بعض العامة لما يزخرفونهُ من الاقوال في سبيل تأييد دعوتهم فانتدب الغزالي للرد على هذه الدعوة واظهار عوارها فكتب في ذلك جملة كتب على طريقتهِ الادبية الجدلية فكان ذلك مما زاد في اكبارهِ واعظامهِ في نظر حكومة الوقت

وبينما الرجل في منتهى ابهتهِ اذ خطر لهُ خاطر صغر امرهُ في عينهِ . رأى ان ما هو فيهِ لا يصلح نفسهُ ولا يقربها من الملإِ الاعلى بل بالعكس هو مما يزرع الاخلاق الرديئة من الكبر والتعاظم والحسد والمنافسة الى غير ذلك مما يبعدهُ عن الله سبحانهُ فخطر ببالهِ ان يترك كل ما فيهِ من هذه المظاهر وينجو بنفسهِ يهذّبها ويروضها حتى يقلع ما غرس فيها من رديء النبات ويستبدل بهِ ما هو خير منهُ فترك بغداد قاصداً الاماكن المقدسة واستمر رحّالةً بعيداً عن نقائص هذا العالم ولما عاد لم يرضَ بمعاودة ما جلب عليهِ تلك الشرور النفسيَّة بل ذهب الى بلدهِ واذ ذاك تغيرت حال الرجل من فقيه جدلي الى مؤْمن صوفي يرى الخُلُق الحسن فوق كل شيء وان العلوم اذا لم تكن معها الاخلاق فهي احط من درجة الجهالة لانها تزيد الفساد في نفس متعلمها وحينذاك كتب كتابهُ الشهير باحياء علوم الدين ضمنهُ خلاصة ما نال في حياتهِ وما استخلصهُ من رياضتهِ نفسهُ فهو فيهِ معلّم فقيه مرَبٍّ وقد بسط فيهِ رأيهُ عن الطريقة التي كان بها العلم والتعليم لزمنهِ وضربها ضربةً شديدة

سيأتي البقية



الزراعة المصرية منذ مئة عام

(١١)

زراعة الكتّان

يزرع الكتّان في اسيوط والمنيا والفيوم وداخل الدلتا في اجود الاراضي وامهلها ريّاً بمعدل اردب في كل فدان . وفي اواسط دسمبر يزرعونهُ في اسيوط على اثر انحسار الماء

في الارض فيغور ولا يلزم تغطيتهُ بالحرث . وفي كل مدة اقامتهِ في الارض لا تدعو الحال الى شيء من الاعتناء بامرهِ

وبعد ثلاثة اشهر ونصف من زرعهِ يدرك فيقتلعونهُ ويحزمونهُ حزماً فيبلغ محصول الفدان نحو ٤٠٠ حزمة او خمسة احمال جمل . ويأتون بالحزم الى حيث يستخرجون الحب منها فيصفونها على شكل دائرة يضعون "بلاصةً" في وسطها على مرتفع مصنوع من الحزم ايضاً ثم يعمدون الى كل حزمة فيفصلون شيئاً منها بقدر ما تحيط بهِ قبضة اليد يضربون بروُوسهِ على البلاصة فيتناثر الحب ويقع ضمن الدائرة ويكررون هذه العملية الى ان ينتهوا من دق جميع ما لديهم

ثم يعيدون حزم الحزم ويأتون بها الى بركة يحفرونها على مقربةٍ من احدى الآلات الرافعة للماء فيغرزونها في ارض البركة منعاً لعومها ويغمرونها بالماء ١٥ او ٢٠ يوماً الى ان تتشرَّب منهُ جيداً فيخرجونها ويعرضونها للشمس حتى تجف فيرضّضون السوق بالضرب عليها بنبوت وهي مُسنَدة على حجر فتنحلّ الخيوط من اللحاء فيفصلونها ويمرّونها في مشط من حديد لتنقيتها مما يكون عالقاً بها من بقايا اللحاء واذ ذاك تصير صالحة للاتجار بها

ويستخرجون من كل ٤٠٠ حزمة نحو ٦٠٠ رطل من خيوط الكتان الصالحة للغزل يباع الرطل منها في جهات اسيوط فيبلغ جني الفدان نحو ٨٥ فرنكاً

اما في جهات الفيوم والدلتا فتختلف زراعة الكتان عنها في اسيوط بكون حالة الري تقضي بحرث الارض ثلاث دفعات حرثاً متقاطعاً قبل الزرع وسقي ما يزرع كتاناً من الاراضي التي تروى بالآلات كل ١٥ او ٢٠ يوماً

ويجني الفدان من بزر الكتان نحو ٣½ اردب يباع الاردب منه بنحو ٢٠ فرنكاً

ويستعمل جانب من غزل الكتان في البلاد وخصوصاً في اسيوط والفيوم والدلتا حيث يكثر المشتغلون بحرفة الحياكة ويصدّر الباقي الى الخارج ولا سيما الى جزائر الارخبيل الرومي . ويستخرج من بزرهِ زيت الكتان يستعملونهُ للاستصباح وغيرهِ

اما زراعة القنب فمهملة عند المصريين لانهم يجهلون طريقة استعمالهِ نسيجاً . فهم انما يزرعون منهُ شيئاً يسيراً على جوانب الحقول يستخرجون منهُ معجوناً مخدّراً يقوم مقام الافيون

(١٢)

زراعة القطن

يُزرَع القطن في جميع انحاء القطر المصري وخصوصاً في شمالي الصعيد وفي الدلتا .

ويختلف ريعهُ وطريقة زراعتهِ باختلاف الاماكن . ففي جهات قنا يزرعونهُ مرتين احداها في اوائل ابريل والاخرى في شهر يوليو . فيمدّون الارض اولاً بالفلاحة ثم يقسمونها الى مربَّعات يقع كل مئتي مربَّع منها في فدان ويزرعون جوانبها قطناً واواسطها بامياء او ملوخية . وقلما يزرعون القطن في اواسطها

ولزرع القطن يحفرون في محيط هذه المربعات حفرًا صغيرة على عمق ثلاث بوصات تبعد الواحدة عن الاخرى نحو متر ويضعون في كلٍّ منها ٤ او ٥ بزرات

اما زراعة ابريل فاكثر نفقةً لما يترتب عليها من زيادة العمل في الري بالشادوف اذ يكون النيل منخفضاً في هذا الفصل فتروى الارض من ثلاثة او اربعة مواقف للشادوف يتدرَّج بعضها عن بعضٍ في العلوّ . فيروونها كل ٢٧ يوماً مرة . ويستخدمون نفرين لكل شادوف . وما يزرع في هذا الاوان يستغل في شهر اغسطس فما بعدهُ

واما الزراعة التي تقع في زمن الفيضان فاسهل مراساً غير انهُ يتأخر ادراكها الى الشتاء فلا يجنونها الاَّ في اوائل مارس من السنة التالية . ولذلك تقل زراعة هذا الفصل في نواحي لقصر

وتبتدئ النباتات في النمو بعد الزرع بخمسة ايام وفي الازهار بعد ذلك بخمسة او ستة اشهر . وبعد ثلاثة اشهر من ظهور الزهر يشرعون في جمع القطن فيستخدمون لذلك النساء والاولاد يجمعونهُ يومياً بالايدي ثم يحلجونهُ بمحلجة على غاية البساطة

ويستلزم القطن ريًّا دائمًا في ما سوى اربعة اشهر الشتاء . ولكن بينما يلزم اربعة مواقف شادوف في زراعة الصعيدي لا يلزم سوى موقف واحد في زراعة الدميري منهُ

وتبلغ النفقة على اعداد الارض لزراعة القطن من ١٦ الى ١٩ فرنكاً لكل فدان

ولا يزرعون القطن في حقول تزيد مساحتها عن ثلاثة افدنة بل يفضلون التي مساحتها فدان واحد او فدان ونصف

وتعيش شجيرة القطن من ٨ الى ١٠ سنوات . ففي الثلاث سنين الاولى يزرعون الباميا وغيرها من النباتات البستانية بين شجيرات القطن . اما في السبع السنوات الاخيرة فيبطلون زرعها بين شجيراتهِ التي جلّ ما تلقى من اهتمام المزارعين تشذيبها بتكسير اغصانها اليابسة لتزداد بذلك نموًّا . ولكنها مع ذلك تأخذ في الذبول والانحطاط بعد السنة الثالثة

وتقدَّر غلة الفدان الجيد بثلاث مئة رطل قطناً تباع بنحو مئة فرنك

ويستعمل القطن الصعيدي في معامل الانسجة البلديَّة مفضلاً على القطن السوري

قلنا ان القطن يزرع مرتين في الصعيد وان شجيراتهِ قد تقيم في الارض حتى ١٠ سنوات

اما في الوجه البحري فزراعتهُ سنوية وهو لا يزرع الاَّ مرة واحدة في اوائل ابريل بعد زراعة الحنطة . وبما ان الارض تكون شديدة الجفاف في هذا الاوان يروونها ريًّا مشبعًا ثم يحرثونها ويحفرون فيها حفرًا صغيرة تبعد الواحدة عن الاخرى من ٢٠ الى ٣٠ سنتيمترًا يزرعون فيها بزر القطن. فيقتضي لزراعة الفدان ١٠ فعلة يزرعونهُ في يوم

وفي مدة الخمسة الاشهر التي تقيم فيها شجيرات القطن في الارض يسقونها ثلاث دفعات منها اثنتان بالسواقي والثالثة بماء الفيضان

ويبدأون بجني القطن من اوائل سبتمبر فيقتلعون الشجيرات بما عليها من القطن ويضعونها في اماكن خاصة حيث يتركونها نحو ٣٠ يومًا الى ان تجف فيستخدمون حينئذٍ النساء والاولاد لجمع القطن من الجوز . ويلزم نحو ٦٠ شخصًا لجني الفدان

ويبلغ ريع الفدان في جوار سمنود من قنطار ونصف الى قنطارين بمعدل القنطار ١٢٠ رطلاً . ويباع القنطار بخمسين فرنكاً في زمن السلم وبثلاثين فرنكاً في زمن الحرب

ومما يستحق الذكر ان اهالي مديرية المنصورة يجمعون القطن وهو على شجيراتهِ في كل صباح من الفجر الى الساعة الثالثة بعد شروق الشمس ولا يقتلعون الشجيرات الاَّ بعد الانتهاء من الجني

(١٣)

زراعة النيلة (النيل)

لا يشتغل عادةً في زراعة النيلة الاَّ الموسرون من ذوي الاملاك وقد يتعاطاها الفلاحون باشتراك بعضهم مع بعض في زرع حقول معينة واستخراج جنيها

واهم الاماكن لزراعة النيلة جهات اعالي الصعيد وخصوصاً قنا وجرجا ويتلوها جهات شمالي الصعيد فتقل زراعتها تدريجًا وتنقطع تمامًا عند ضواحي القاهرة . ولا يلتفت اليها في الوجه البحري مطلقًا

وفي الجهات القبلية من الصعيد يشرعون في زرعها في اوائل شهر يونيو فيحرثون الارض حرثتين متقاطعتين ويقطّعونها الى مربّعات كبيرة يحفرون فيها حفرًا صغيرةً على ابعاد ١٥ سنتيمترًا يزرعون في كلٍّ منها ٣ او ٤ حبات من حبوب النيلة ثم يغطونها ويسوّون سطوح المربعات بالمحفة (المسّوحه) لتسقى بالتساوي

ويأتون عادةً "بالتقاوي" من سوريا لانها اجود من "التقاوي" المصرية . وبعد ثلاثة اشهر من الزرع يجزّون نبات النيلة لاول مرة وينقلونهُ الى خيمة طولها خمسة امتار وعرضها

اربعة امتار وهناك يقطعونهُ قطعاً صغيرة بسكين كبير ويضعونهُ في دِنانٍ كبيرة علو الدَنّ منها ٨٠ سنتيمترًا وقطرهُ ٦٠ سنتيمترًا . يطمرونها في الارض الى اعناقها ويملأُون ثلثيها بالماء الفاتر ويغطونها باغطية مجدولة من خوص النخل في سطح كلٍّ منها ثقبان يدخلون منهما عصياً يحركون بها قطع النبات مرات عديدة كل يوم الى ان ينضح منها الصباغ . فينقلون الماء الملون حينئذٍ الى جرار كبيرة مثقوبة من جوانبها في ثلاث اماكن عمودية بعد الثقب الواحد عن الاخر نحو ١٦ سنتيمترًا وبعد ٦ ساعات ينزعون سداد الثقب الاعلى ثم سدادي الثقبين الاخرين كلاًّ في حينهِ فيخرج الماء الصافي وتبقى الرواسب النيلية تحت مساواة الثقب الاسفل في قاع الجزة . ويكررون هذه العملية في عدة جرار حتى يستنزفوا المادة الملونة من النبات فيجمعونها الى اناء واحد يتركونها فيهِ ٢٤ ساعة الى ان ترسب فيصفونها من الماء الذي يعلوها ويضعونها في حفرة يغشونها بالرمل ويتركونها ساعتين فتصير بقوام العجين فيخرجونها ويفرغونها في قوالب فتجف تماماً وتصير صالحة للتجارة فيبيعونها " قوالب " يزن الواحد منها بين رطل ونصف ورطلين

ويجزُّون نبات النيلة ثانية وثالثة ورابعة كل ٣٥ يوماً مرةً ويستخرجون الصباغ منهُ على نحو ما ذكرناهُ فتستغرق زراعتهُ نحو ٨ اشهر . ويقلُّ جنى كل جزة عن التي قبلها على نسبة ٤و٣و٢و١ اي ان ريع الجزة الاولى للفدان يبلغ ١٦٠ فرنكاً والثانية ١٢٠ فرنكاً والثالثة ٨٠ فرنكاً والرابعة (وقد يستغنى عنها) ٣٠ فرنكاً على معدل ثمن الرطل من صباغ النيلة بين ١٦ و١٨ بارة . فانهم يجنون من جزَّة الفدان الاولى نحو ٢٥٠ رطلاً ثم يقلُّ الريع على المعدل المذكور آنفاً

وتستمر حقول النيلة في الجنى ثلاث اواربع سنين غير ان السنة الاولى اكثرها ريعاً . ويبلغ خراج الفدان المزروع نيلة نحو ٢٠ فرنكاً سنوياً

اما في جهات بني سويف والجيزة حيث تزرع النيلة بمقادير متوسطة فانهم يشرعون في زرعها في اول مارس في اتلام متحاذية يخطونها بالمحراث على ابعاد ٣٥ الى ٣٠ سنتيمترًا . ويجرون على نفس الطريقة المتقدم وصفها في استخراج الصباغ . غير انهم لا يجزون النبات الاَّ ثلاث دفعات سنوياً ولا يستبقونهُ في الارض اكثر من سنتين

وفي هذه الجهات يستغلون من الجزة الثانية أوفر مما يستغلون من الجزة الاولى . فيجنون من الفدان في الجزة الثانية ١٦٠ رطلاً من الصباغ تباع بين ٣٨ و٥٧ فرنكاً تبعاً لرواجها

ومما يجدر ذكرهُ ان الحقول الواطئة لا تصلح لزراعة النيلة مثل الحقول العالية لان

مياه الفيضان تتلف نبتها اذا غمرتهُ ولذلك يلزم لزراعتهِ شديد الاهتمام والعناية ومع ذلك فقد شوهد بضعة حقول مزروعة نيلة على يمين فرع النيل الغربي في الوجه البحري

الصادرات الزراعية

يظهر من تقرير الجمارك المصرية عن الثلاثة الاشهر الاولى من هذهِ السنة ان قيمة الصادرات الزراعية زادت فيها عمَّا كانت عليهِ في الثلاثة الاشهر الاولى من العام الماضي كما ترى في ما يلي

البيض زادت قيمة الصادر منهُ	٥٠٣١٠	جنيهات
سائر الاطعمة الحيوانية زادت قيمتها	٠١٧٦٢	جنيهاً
الجلد الفطير " قيمتهُ	١٨٤٦٦	"
الجلد الدبيغ " "	٠٥١٦٦	"
ريش النعام " "	٠١٩٤٦	"
الارز " "	٠٣٥٦٢	"
بزرة القطن " "	٥٨٥٠٩	"
البصل " "	٣٢٧٨٩	"
السكر " "	٩٩٩٣١	"
زيت القطن " "	٠١٥٧٤	"
الحنّا " "	٠١٥٧٤	"
والجملة	٢٠٥٢٦٣	

اي ان هذهِ الصادرات الزراعية زادت قيمتها في الثلاثة الاشهر الاولى من هذهِ السنة اكثر من مئتي الف جنيه ولكن نقصت قيمة القطن الصادر نحو تسعين الف جنيه ونقصت قيمة صادرات اخرى صناعية فبقي من الزيادة ١١١٥٧٢ جنيهاً

الواردات الزراعية

اما الواردات الزراعية فقد زادت نحو ٣٠٠ الف جنيه كما ترى في هذا الجدول

الزبدة زادت قيمتها	٠٢٩٦٤	جنيهاً
الجبن زادت قيمتهُ	٠٥٣٨٧	"
القمح " "	٣٦٩٨٠	"
الذرة زادت قيمتها	٠١٥٩٩٣	"
الرز " قيمتهُ	٠١٢٢٢٨	"
البطاطس زادت قيمتهُ	٠٠٥٩٠١	"
الدقيق زادت قيمتهُ	١٩٠٥٣٩	"
انواع اخرى من الدقيق	٠٢٤١٩٢	"
الاثمار المقددة زادت قيمتها	٠٢٣٩٩٤	"
والجملة	٣١٨١٧٨	

اي ان الزيادة في ثمن هذه الواردات الزراعية كانت اكثر من ٣٠٠ الف جنيه واكثرها في الدقيق ولكن نقصت قيمة اكثر الواردات الاخرى ففاق النقص الزيادة نحو ٧٦٧ الف جنيه اي نقصت قيمة الواردات كلها ٧٦٧ وزادت قيمة الصادرات كلها ١١١ الف جنيه

والنقص في قيمة الواردات اكثرهُ في قيمة الآلات والادوات كالآلات البخارية ومركبات سكة الحديد. وحبذا لوكان كلهُ في ما يستهلك كالاطعمة والاكسية لا في ما يعدُّ من موارد الثروة ذات الريع كالآلات والأدوات

المزروعات المختلفة وما تأخذهُ من لارض

(١) القمح وتبنهُ

اذا بلغت غلة فدان القمح ستة ارادب فيكون وزنها نحو ١٥٣٠ رطلاً مصريًّا ووزن تبنها نحو ٢٦٥٣ رطلاً والجملة ٤١٨٣ رطلاً وهاك جدول ما تأخذهُ من الارض من العناصر الجوهرية عدا الكربون والماء

	في الحب	في تبنهِ	والمجموع
النيتروجين	٣٤	١٦	٥٠
الكبريت	٢,٧	٥,١	٠٧,٨
البوتاسا	٩,٣	١٩,٥	٢٨,٨

	في الحب	في تبنهِ	والمجموع
الصودا	٠٫٦	٦٫٠	٢٫٦
الجير	١٫٠	٨٫٢	٩٫٢
المغنيسيا	٣٫٦	٣٫٥	٧٫١
الحامض الفصفوريك	١٤٫٢	٦٫٩	٢١٫١
الكلور	٠٫١	٢٫٤	٢٫٥
السلكا	٠٫٦	٩٦٫٣	٩٦٫٩

(٢) الشعير وتبنهُ

تبلغ غلة الفدان الجيد من الشعير ثمانية ارادب ويبلغ وزنها ١٧٤٧ رطلاً ووزن تبنها ٢٠٨٠ رطلاً والجملة ٣٨٢٧ رطلاً . وهاك جدول ما تأخذهُ من الارض من العناصر الجوهرية عدا الكربون والماء

	في الحب	في التبن	والجملة
النيتروجين	٣٥	١٤	٤٩
الكبريت	٢٫٩	٣٫٢	٦٫١
البوتاسا	٩٫٨	٢٥٫٩	٣٥٫٧
الصودا	١٫١	٣٫٩	٥٫٠
الكلس	١٫٢	٨٫٠	٩٫٢
المغنيسيا	٤٫٠	٢٫٩	٦٫٩
الحامض الفصفوريك	١٦٫٠	٤٫٧	٢٠٫٧
الكلور	٠٫٥	٣٫٦	٤٫١
السلكا	١١٫٨	٥٦٫٨	٦٨٫٦

الذرة الشامية

اذا بلغت غلة الفدان من الذرة الشامية ستة ارادب بلغ وزنها ١٥٠٠ رطل ووزن عيدانها وكيزانها الخ اذا جفَّت تماماً ١٨٧٧ رطلاً والجملة ٣٣٧٧ رطلاً ويكون فيها من العناصر الجوهرية التي تأخذها من الارض ما يأتي عدا الكربون والماء

	في الحب	في العيدان الخ	والجملة
النيتروجين	٢٨	١٥	٤٣
كبريت	١٫٨	..	..
بوتاسا	٦٫٥	٢٩٫٨	٣٦٫٣
صودا	٠٫٢	..	..
كلس	٠٫٥	..	..
مغنيسيا	٣٫٤	..	..
حامض الفصفوريك	١٠٫٠	٨٫٠٠	١٨٫٠٠
كلور	٠٠٫٢	....	....
سلكا	٠٠٫٥	....	....

الفول

واذا بلغت غلة الفدان من الفول ستة ارادب بلغ وزنها ١٦١٣ رطلاً ووزن تبنها الجاف ١٨٤٨ رطلاً والجملة ٣٤٦١ وتكون قد اخذت من الارض والهواء من العناصر الجوهرية ما عدا الماء والكربون ما يأتي

	في الحب	في التبن	والجملة
نيتروجين	٧٨	٢٩	١٠٧
كبريت	٤٫٤	٤٫٩	٩٫٣
بوتاسا	٢٤٫٣	٤٢٫٨	٦٧٫١
صودا	٠٠٫٦	١٫٧	٢٫٣
جير	٢٫٩	٣٦٫٣	٢٩٫٢
مغنيسيا	٢٫٤	٥٫٧	٩٫٩
فصفور	٢٢٫٨	٦٫٣	٢٩٫١
كلور	١٫١	٤٫٣	٥٫٤
سلكا	٠٫٤	٦٫٩	٧٫٣

البطاطس

اذا بلغت غلة الفدان من البطاطس ١٣٤٤٠ رطلاً فيكون فيها من العناصر المتقدمة ما يأتي

نيتروجين ٢٫٧ ٠ كبريت ٧٦٫٥ . صودا ٣٫٨ . جير ٣٫٤ مغنيسيا ٦٫٣ ٠ فصفور ٢١٫٥ . كلور ٤٫٤ ٠سلكا ٢٫٦

والناظر في هذه الجداول يرى لاول وهلة ان في غلة فدان الفول من النتروجين مضاعف ما في غلة غيره من الحبوب وكذا في تبنهِ من النتروجين ومعلوم ان النتروجين اكثر عناصر الطعام غذاء لانهُ يكوّن اللحم ولذلك فالفول اكثر غذاء من القمح والشعير وتبنهُ اكثر غذاء للمواشي من تبن القمح والشعير . ويظهر بادئ بدء ان الفول يضعف الارض اكثر مما يضعفها القمح والشعير ولكن ليس الامر كذلك لان النتروجين الذي فيهِ لا يأخذهُ كلهُ من الارض بل يأخذ اكثرهُ من الهواء فهو لا يفقر الارض بل يزيد خصبها بما تضيفهُ جذورهُ اليها من النتروجين الذي تأخذهُ من الهواء بواسطة الميكروبات التي تعيش فيها . وهذا الامر اي كون الفول لا يتعب الارض كان معروفاً من قديم الزمان ولو لم يعرف سببهُ العلمي

الصرف والمصارف

مما استلفت الانظار في المعرض الزراعي الماضي ما عرضتهُ مصلحة الدومين من تأثير المصارف العميقة في زراعة القطن فقد ثبت لها ان الارض التي مصرفها عميق يجود القطن فيها جدًّا والتي بجانبها وهي مثلها تماماً ولكن ليس لها مصرف عميق لا تغور جذور القطن فيها ولا يجود

وهذا الامر من الحقائق المقررة وقد كان القطر المصري يستغني عن المصارف لما كانت الزراعة كلها شتوية والارض تروى ري الحياض ثم تجف ترعها في التحاريق وتنصرف المياه اليها اما وقد صارت الزراعة صيفيَّة ايضاً وصارت الترع تمتلئ ماء في زمن التحاريق كما تمتلئ في زمن النيل فصارت المصارف ضرورية للاطيان ولا سيما اذا كان فيها شيء من الملح

وللمصارف فائدة ثانية غير فائدة غسل الطين من الملح وهو ان الهواء يتبع الماء الذي يغور في الارض وينصرف منها فكأنَّ المصارف واسطة لجعل الهواء يتخلل التربة ويحلل موادها ويجعلها صالحة لغذاء النبات

ولها فائدة ثالثة وهي انهُ اذا كثرت المواد النباتية في الارض وانحلَّت فيها فقد تكون فيها حوامض تضرُّ بالزراعة لانها تتلف جذور الزرع بفعلها الكيماوي وبحرارتها فالماء الذي يصل اليها وينصرف من الارض يردها ويزيل هذه الحموضة منها

وقد جرَّب بعضهم جعل المصارف قليلة الغور اولاً حتى تصرف الطبقة السطحية من الاطيان في السنة الاولى ثم عمَّقها في السنة الثانية وزاد تعميقها في السنة الثالثة الى اعمق ما يمكن فاغتسلت ارضهُ جيداً من الاملاح والحوامض ولم يخسر زراعة

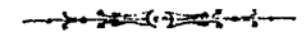
ويصنع الاوربيون برابخ مخصوصة للمصارف فيها ثقوب من اعلاها تمدُّ في اسفل المصرف ويردم فوقها فتصرف الارض من غير ان يضيع شيء منها واذا بقي فم المصرف الاخير مفتوحاً فلا خوف من تجمع الاتربة في هذه البرابخ وسدها

ومع فائدة المصارف ولزومها لاحياء الاطيان وحفظ خصبها قد يكون منها ضرر اذا زادت عن حد اللزوم اذ تنصرف بها كل المياه التي ذاب فيها الغذاء من الارض ويقع ذلك بنوع خاص اذا كانت الارض رملية او خفيفة · فالارض التي تبقى رطبة يلزم لها المصارف ولا ضرر منها عليها والارض التي تجفُّ حالاً يجب ان لا تزاد مصارفها لئلاَّ تجففها كثيراً ولا يعود الزرع يجود فيها

مواشي الذبح

يرى كثيرون من الذين اهتموا بتربية المواشي للذبح ان ليس من تربيتها في هذا القطر ربح لغلاء العلف فيهِ لكن الذين دقَّقوا البحث في هذا الموضوع يرون ان في تربيتها ربحاً وفيها خسارة ايضاً · اما الربح فاذا رُبيت الى ان تبلغ اشدها من النمو السريع فقط وذُبحت حينئذٍ واما الخسارة فاذا رُبيت بعد ذلك اي حينما يصير نموها بطيئاً او لا تعود تنمو · فالحمل ينمو في السنة الاولى والثانية ثم يقلُّ نموهُ او يتوقف عن النمو الاَّ اذا علف جيداً ليسمَّن · ويجب ذبحهُ حالما يتوقف نموهُ او يقل والاَّ صار علفهُ بعد ذلك خسارة لانهُ يكون لحفظهِ في حالة واحدة · فاذا بلغ وزن الحمل عشرين اقةً ووقف عن النمو وقف ثمنهُ عند ذلك الحد فيذهب العلف الذي يأكلهُ بعد ذلك خسارة. والعجل ينمو في السنة الاولى والثانية الى الثالثة ثم يقل نموهُ او يتوقف تماماً الاَّ اذا عُلف جيداً بقصد تسمينهِ فيجب ذبحهُ حالما يتوقف نموهُ او يقلُّ لان العلف الذي يعلفهُ بعد ذلك يذهب سدًى · فاذا جرى مربو المواشي على هذه القاعدة وذبحوا كل خروف وكل عجل حالما يتوقف نموهُ صارت تربية المواشي للذبح تجارةً رابحةً

وتختلف انواع الغنم والبقر في الزمن الذي يتوقف نموها فيهِ وفي مقدار نموها بالعلف وفي توزع دهنها بين لحمها الهبر . فاذا اريد تربية المواشي للذبح وجب ان تختار منها الاصناف التي تنمو وتسمن بسرعة اي التي يتحوَّل الغذاء فيها الى لحم ودهن وهذهِ تكون قليلة الحركة في الغالب وان تختار الاصناف التي ظهر بالاختبار ان دهنها يتوزع بين هبرها فيطيب طعمهُ او يرغب فيهِ المشترون وذلك كلهُ من الامور الضرورية للربح من تربية المواشي





قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

المناعة وتباين الميكروبات

نشر حضرة العالم الفاضل الدكتور شبلي شميل في مقتطف فبراير من هذه السنة مقالة ارتأى فيها رأياً جديداً في تعليل سير الامراض مستنداً في ذلك الى مذهب النشوء والارتقاء. ولم ترد هذه المقالة في باب المراسلة والمناظرة الّا بقصد توجيه نظر المنتقدين اليها وابداء رأيهم فيها. ولذلك فانني استميح حضرتهُ في ابداء ما عنَّ لي في هذا الموضوع

قال "كنا في الماضي لا نعرف كيف نعلل سير الامراض واما اليوم فقد صار من السهل ان نعرف لماذا هذه الامراض تمرض كثيرًا وتشفي كثيرًا ولماذا غيرها لا يعرض الّا مرة في العمر غالباً وسواها اذا عرض فقلما يفارق حتى الموت . فاذا علمنا ان الاحياء الدنيا التي تحدث هذه الامراض كالاحياء العليا انواع وتباينات وعلمنا كذلك ان صفات الانواع ثابتة او هي بطيئة التغير جدًّا وان التباينات متغيرة كثيرًا لا تثبت زمناً طويلاً انجلى لنا سر اختلاف سير هذه الامراض فاذا كانت الامراض الميازمية كما يسمونها تعرض كثيرًا وتشفى كثيرًا فلأَن اسبابها احياء دنيا من رتبة التباينات المتغيرة كثيرًا القليلة الثبوت

واذا كانت الامراض النفاطية تشفى وقلما تعود فلان اسبابها الحية من رتبة الانواع الثابتة واذا كان السرطان والتدرن والجذام لا تشفى غالبًا ولا تفارق حتى الموت فلانها ارقى في رتبة التوعيد ايضًا فصفاتها اشد ثبوتًا لذلك. واذا علمنا ان الشفاء من المرض والمناعة عليهِ سيان في طبيعتهما مهما كانت اقوال العلماء في تعليلهما ولعلهما نوعٌ من التكافؤ والائتلاف سهل علينا ان نفهم لماذا كانت المناعة ضعيفة قصيرة المدة في امراض الرتبة الاولى ثابتة طويلة المدة في امراض الرتبة الثانية ممتنعة (او هي غلبة المرض في هذا التنازع بينهُ وبين الجسم) في امراض الرتبة الثالثة "

لا اخالف حضرة الدكتور شميل في امكان تقسيم الاحياء الدنيا الى تباينات وانواع وانما اخالفهُ في الدليل الذي يستند اليهِ في وضع هذا التقسيم على الوجه المتقدم لما فيهِ من الضعف

يرى حضرتهُ بونًا عظيمًا بين امراض الرتبة الاولى والثالثة ولذلك وصف الاولى بالتي تعرض كثيرًا وتشفى كثيرًا وجعل اسبابها الحية في رتبة التباينات ووصف الثالثة بالتي لا تشفى غالبًا ولا تفارق حتى الموت ورفع اسبابها الى ارقى رتبة النوعية. على ان الاختلاف في سير امراض الرتبتين ينحصر في لفظتين. اولها نتيجة هذا السير اي غلبة الجسم او المرض في هذا التنازع. فمع ان الغلبة هي في جانب الداء غالبًا في التدرن والسرطان فلم تكن باقل من ذلك في الكلب والدفثيريا قبل اكتشاف المصل الشافي فيهما. فلو كانت غلبة الداء وحدها من مميزات النوع لوجب ان تعد الدفثيريا والكلب في امراض الرتبة الثالثة اذ ان المناعة كانت ممتنعة فيهما في عهدها السابق وقد اصبحت الآن ميسورة بفضل المصل فانقلبت هذه الاحياء من عهد قريب الى رتبة التباينات وما تم في هذين الدائين فقد يتم في التدرن والسرطان بذات الطريقة او ببعض تعديل فلا عبرة في اختلاف الطرق. ومهما يعترض النجاح من العقبات في هذا السبيل فليس من المعقول ان نتخذ عجزنا الحالي عن شفاء الامراض التي لا تفارق حتى الموت دليلاً على ان اسبابها ارقى واثبت في النوعية لاسيما وانهُ قد ثبت ان الميكروبات التي يقول حضرة الدكتور شميل انها من رتبة التباينات ما هو ارقى تركيبًا من باشلوس كوخ نفسهِ . وحبذا لو كان لدينا الآن من الادلة ما يكفي لتقسيم الاحياء الدنيا الى تباينات وانواع مستندين في ذلك الى اساس متين جريًا على القاعدة المتبعة في علم التاريخ الطبيعي بالنسبة الى الاحياء العليا. غير ان عهدنا في الابحاث البكتريولوجية حديث لا يتجاوز ربع قرن

اما ان امراض الرتبة الاولى تعرض كثيرًا بخلاف الثالثة فهو نتيجة قلة الشفاء في الاخيرة ومتى قدر لها الشفاء بواسطة المصل فلا غرابة بعد ذلك ان تماثل الاولى في سيرها فتعرض كثيرًا اذ تشفى كثيرًا

بقي علينا امر البحث في الامراض التفاطية التي تقع في الرتبة الثانية على رأي حضرة الدكتور شميل وهي اذا شفيت لا تعود غالبًا فتكون اسبابها الحية من رتبة الانواع الثابتة حال كوننا لو تأملنا في عدم عودة هذه الامراض لظهرت لنا هذه النتيجة وهي : انهُ بعد حصول الشفاء من هذه الامراض يقوم في الجسم مدًّ حصين من المناعة بحيث ترجح في جانبهِ كفة التكافوء والائتلاف وتكون لهُ الغلبة الثابتة في التنازع ولن تتيسر للمكروب اسباب النمو وذلك اقرب للدلالة على ضعف المكروب وانحطاطهِ في النوعية منهُ الى الدلالة على رقيهِ وثبوتهِ فيها ·ولو ان طول مدة المناعة وثبوتها في الامراض التفاطية متأتٍ من كون اسبابها الحية من رتبة الانواع الثابتة لوجب ان يكون هذا القياس صحيحًا في امراض الرتبة الثالثة اي ان المناعة المكتسبة عقب الشفاء من التدرن والسرطان تكون ثابتة بحيث لا تخشى عودة الداء و يكون الشفاء من التدرن الموضعي واقيًا من التدرن الرئوي ولا ابالغ اذا قلت بتعدي شيء من هذه المناعة ممن كان مصابًا فشفي الى جسم اولادهِ ولكن ليس ما يؤيد ذلك لسوء الحظ لان من اصيب بالتدرن وشفي منهُ تمامًا لايكون الا اكثر عرضة لهُ من سواهُ وترث اولادهُ القابلية للداء بدلاً من المناعة وقوة المقاومة

هذا ما بدا لي نشرهُ مع التصريح بانهُ ليس غرضي المناقشة في مذهب النشوء والارتقاء لانفي امكان وجود تباينات وانواع في عالم الاحياء الدنيا وانما قصدت انتقاد القاعدة التي اتخذها حضرة الفاضل الدكتور شبلي شميل اساسًا في تقسيمهِ وهي على ما هي عليهِ من الضعف وقلة الثبوت

الدكتور توفيق جهلان

تعليم العربية

سيدي صاحبي المقتطف الفاضلين

سرني ما قرأتهُ في الجزء الثالث من المقتطف تحت عنوان " مذهب جديد في تعليم اللغة العربية " وشكرت للكاتب اهتمامهُ بتسهيل طلب هذه اللغة

حقًّا ان الخوض في هذه المباحث واجب لاسيما في هذا العصر عصر التقدم والارتقاء واكتشاف الحقائق والمناقشة فيها · ولماذا يشذُّ علم التعليم عن سائر العلوم فعلم الطب وعلم

الجراحة وعلم الفلك وسائر العلوم الطبيعيَّة لا تكاد تمضي سنة الأَّ ويضاف اليها اشياء كثيرة او يستبدل ما فيها بما هو اصلح منهُ تبعاً لناموس بقاء الاصلح واذا كانت اللغة من العلوم الحية (ويجب ان تكون كذلك) فلا بد لها من الخضوع لهذا الناموس . وان يفسح في تدريسها مجال للاصلاح بعد تمحيصهِ واقرار ذوي الآراء الصائبة عليهِ . فهذه الكتب الانكليزية في فن التعليم لا تمرُّ مدة طويلة دون ان يظهر منها شيءٌ جديد تطبعهُ المكاتب الكبيرة وتوزع نسخاً منهُ على كل رئيس مدرسة ليتصفحها ويبدي رأيهُ فيها حتى اذا وجدها ملائمة ادخلها الى مدرستهِ . وهذه المجلات الانكليزيَّة من مثل مجلة القرن التاسع عشر ووستمنستر رڤيو ومجلة المجلات يندر ان تجيل نظرك في مجلد منها دون ان يقع على عدة مقالات في فن التعليم . اما نحن فعلى عكس ذلك وكأن لسان حالنا يقول "ليس في الامكان ابدع مما كان" — واذا بدا لواحد خاطر فنشرهُ وطلب من القراء مشاركتهُ في النظر فيهِ ابتغاء تمحيصهِ عاد اخيب من القابض على الهواء اذ لا يلقى مستحسناً ولا مستهجناً وعند ذلك فاما ان يتمسك بطريقتهِ ويقول السكوت رضى واما ان ينثني عنها نادباً وقتاً اضاعهُ في ما لم يجنِ فائدةً منهُ وكلاهما سيءٌ . اما حجة البعض بابقاء القديم على قدمهِ ففيها نظر . نعم انهُ لا يليق بالمرء ان يستبدل القديم بالجديد لمجرد كونهِ جديداً تبعاً للقول المأثور " لكل جديد طلاوة " ولكننا اذا تدبرنا هذا الجديد ومحصناهُ وشهد لنا عقلنا بافضليتهِ على القديم فما اجدرنا بترك هذا والتمسك بذاك

ومع اني لا اعدُّ نفسي ممن يؤْخذ كلامهم حجة في هذه المباحث الاَّ ان الامانة في حرفة التعليم تطالبني باتخاذ انجع الوسائل واقرب الطرق لايراد الطلبة منتجات هذا الفن بقليل من الوقت وكثير من اللذة . فليسمح لي حضرة الكاتب بابداء رأيي في المذهب المذكور علنا نتوصل الى اماطة اللثام عن محيا الحقيقة " والحقيقة بنت البحث "

قال حضرتهُ انهُ لا يستحسن تعليم شيءٍ من اجرومية اللغة العربية . وهو رأي اوافقهُ عليهِ وقد اطلقنا سراحها من مدارسنا من مدة بعيدة

اما المادتان الاوليان من اقتراحهِ وهما " تعليم قسم كبير من القرآن الكريم مع فهم المعاني فهماً جيداً وما استسهل واستعذب وجاد الخ " فهو مما لا اراه . وماذا يقصد حضرتهُ من تلك الفرق الاولية من المدارس النظامية فان كان قصدهُ التلاميذ الذين هم دون الثانية عشرة فعقولهم اضعف من ان تصل الى فهم ما يستظهرونهُ من القرآن على ان حشد الحافظة بما لا يفهم متعب لها ولا اصعب من تعلم ما لا يفهم ولا اقل من الانتفاع بهِ فضلاً عن ان ذلك مضاد

للاصول البيداجوجية التي اساسها القاعدة المشهورة " من المعلوم الى المجهول " بطرق الملاحظة والاستنتاج . واللغة مع ما فيها من النقل لا تعدم مجالاً واسعاً للفكر والملاحظة وهو اساس علمي البيان والبلاغة فلا تشذ عن القاعدة المذكورة. اما المذهب المذكور فيصدم عمل قوة الملاحظة عند اول عهد الطالب بالتعلم مع ان تهذيبها هو غاية العلم فقد قال الدكتور وطسن " ان غاية التعليم احياء قوة الملاحظة وتقويتها " وقال سبنسر في كتابه التهذيب " حقًّا اننا لو تأملنا لرأينا قوة الملاحظة هي الاساس الضامن لكل نجاح . هي التي يحتاج اليها المصورون وعلماء الطبيعة . وهي التي يعتمد عليها الاطباء في الوصول الى التشخيص الصحيح بل ان الفيلسوف هو من يلاحظ ما خفي عن غيره ويكتشف ما بين الامور من العلاقة التي لم يرها غيرهُ . وما الشاعر المجيد سوى ذاك الذي يكتشف جمالاً في الطبيعة يراهُ الآخرون بعد ما يعرضهُ عليهم ولكنهم لم يتوصلوا الى ملاحظته قبلاً " الى ان قال " ان قوة الملاحظة تبتدئ في الولد وهو صغير جدًّا . وما اعجابهُ بما يحيط به واستفهامهُ عن اشياء لا يعرفها ومعرفتهُ التي لم يكتسبها في المدرسة او من والديهِ الّا نتائج ملاحظته . والتعليم الصحيح هو الذي يهذب هذه القوة ويدربها . اما حشد الذهن بالكلمات غير المفهومة فليس بالتعليم الصحيح بل هو هادم للقوى العاقلة "

على ان لي شاهدًا اقرب من هذا وذاك فقد كان من سوء طالعي وانا تلميذ في المدرسة اني كلفت بان استظهر قصائد كثيرة وانا دون الثانية عشرة لم افهمها حينئذٍ ولا اذكر الا النزر اليسير منها الآن ولكنها عودتني الاعتماد على الذاكرة وذلك على نفقة سائر القوى العاقلة . وكادت تبغض اليَّ العلم

ثم ان قصد حضرتهُ التلامذة الذين فوق الثانية عشرة فلا يصعب عليهم فهم الاصول اللغوية اذا درَّسها من لهُ المام بفن التعليم على الطريقة التي ذكرها اي بالاكثار من التمارين واستخراج القواعد من الامثلة الكثيرة

على اني لا انكر على حضرتهِ اهميَّة الاستظهار من القرآن والاسفار المنظومة باللغة الفصحى ولكنهُ يجب ان يتخلل التدريس لا ان يقدم عليهِ فان استظهار ما لا يفهم سريع النسيان ولكن بعد الفهم تكون لهُ فائدة جزيلة

واما المادتان الثالثة والرابعة فتدخلان في فن الانشاء فان كان حضرتهُ يقصد من هم دون الثانية عشرة فكيف يمكنهم انشاء " المنشآت " وهم لا يحسنون انشاء جملة واحدة مضبوطة لانهم لم يتعلموا احكامها . وهم لم يفهموا ما استظهروهُ ليمكنهم ادخال المناسب منهُ . الا

تكون كتابتهم اذ ذاك ميكانيكية لا شأن للمعاني فيها ولا مجال للفكر . اوَ لا تكون "منشآتهم" شبيهة ببعض المقالات التي نقرأها حيناً بعد حين ليس فيها سوى طنطنة الفاظ ولا معنى كبيراً وراءها . وكأني باولئك الكتاب تحضرهم عبارة فصيحة فيتشوقون الى ادخالها في كتابتهم ثم يحولون المعنى الى ما يلائم تلك العبارة ولو كان تافهاً . وهذا ما يحمل القارئ على الملل في قراءة تلك الكتابات ولا عجب فان الالفاظ جعلت قوالب للمعاني لا المعاني للالفاظ

وهذا يحدو بي الى تذكير حضرته بالرأي الذي نشرتهُ في الجزء الاول من مقتطف هذه السنة . وسيرى حضرتهُ عند المراجعة (اذا شاء) ان تعليم القواعد اللغوية مع ما يتخللها من سائر الدروس التي تدخل تحت فن الانشاء مع الاستظهار من أمثال الكتب المذكورة كافل بتسهيل تعليم اللغة . لانهُ اذا تعلم الطلبة اتقان تركيب الجملة البسيطة بالاشارة الى اركانها وسائر متعلقاتها ووضع لهم الاستاذ على اللوح مثالاً من كل نوع من انواع الجملة في كل باب واستظهروا ما يمكنهم ادماجهُ في كتابتهم كان ذلك اسهل حلٍ لصعوبة تعلم القواعد ومسهلاً للانشاء المضبوط

القدس الشريف توفيق زريق

تسهيل تعليم اللغة العربية

حضرة العالمين صاحبي المقتطف الزاهر

اطلعت في الجزء الثالث من مقتطف هذه السنة على رسالة للفاضل حسين افندي لبيب عنوانها (مذهب جديد في تعليم اللغة العربية) فاحببت ان اعلق عليها هذه الكلمة فان رايتما نشرها في مجلتكما الغراء كان لكما الفضل وعليَّ الشكر

طالما قرأنا في المجلات والجرائد اراء مختلفة ترمي الى تسهيل دراسة اللغة العربية وغالب هذه الآراء ان لم نقل كلها للاجانب كالمستر ارثور شوارتز الالماني والمستر ولمور الانكليزي وغيرهما من علماء الفرنجة ممن لم تحضرنا اسماؤُهم وجميعها لا يخرج عن القول بكتابة لغة العامة واهمال اللغة الفصحى فهؤُلاء العلماء امَّا ان يكونوا متضلعين بالعربية والفين على دقائقها وحقائقها وحالتها الحاضرة او لا فان كان الاول فهم عارفون بلا شك ان لكل عامة قطر لغة مستقلة لا يكاد يفهمها اهل القطر الثاني فطلبهم هذا يؤُول الى اضعاف اللغة بتجزئتها الى لغات متعددة لا تلبث ان تهلك جميعها وان كان الثاني فخير لهم ان ينصرفوا عن اصلاح لغة لا يفهمونها ولا يقدرونها قدرها الى تسهيل ما في لغاتهم من الشواذ وتذليل ما فيها من الصعاب

هذا ما كان يحمل الكثيرين من الغيورين على لغتهم العربية ان يضربوا صفحاً عن هذه الآراء التي لا طائل تحتها وان لا يعيروها جانب الالتفات

فاستعمال لغة العامة امر يجب صرف النظر عنهُ والبحث في ايجاد طريقة اخرى تسهل لغتنا الفصحى علينا . ولقد اصاب حسين افندي لبيب في ما كتبهُ كل الاصابة واظن رأيهُ رأياً لا يختلف فيهِ اثنان من محبي اللغة العربية — فلو كلف المعلمون تلامذتهم كلهم التكلم باللغة الصحيحة لتوحدت اللغة واصبحت نقية الذيل بيضاء الصحيفة من حوشي الالفاظ ومبتذلها

لا ينكر ان البعض يتحاشون بادىء بدء التكلم باللغة الفصحى خوفاً من ان تفوّق نحوهم سهام التهكم والانتقاد ولكن على المرء اذا اراد الاخلاص في الخدمة ان لا يلتفت الى ما عساهُ ان يقال عنهُ ما زال يرى نفسهُ ضمن دائرة الواجب هذا فضلاً عن انهُ باستعمالهِ اللغة الفصحى يخلص من ركاكة الفاظ اللغة المبتذلة الى جزالة في القول لا تجتمع في هذه الاخيرة وما هو الاّ القليل من الزمن حتى تعتاد اذاننا على اللغة الفصحى ويصبح العدول عنها عجزًا وخطأً

وهنا اكرر ما قالهُ حضرة الفاضل من وجوب الابتداء بحفظ القرآن واذا تعذر على غير المسلمين من الطلبة حفظهُ فعليهم بالكتب الصحيحة العبارة لتسبق ملكة حسن التعبير الى اذهانهم

بقي مسئلة تعلم النحو ولا اراني خارجاً عن الموضوع ما زلنا في ميدان البحث عن تقريب منال العربية اذا ذكرت رأياً لي فيها . ليس اكثر من كتب النحو عندنا فهي مما يخطئهُ العدُّ ولمّا يقف المؤلفون عند هذا الحد فالماثل للطبع والمهيء للتبييض لا يقل عما بين ايدينا وهي بجملتها تقسم الى قسمين القديمة والحديثة او المطولات والمختصرات وكلاهما لا يقوم بحاجتنا

فالاول يتيه الطالب ما بين كثرة مذاهبهِ وتباين ارائهِ وتشعب طرقهِ وتعدد لغاتهِ مما يذهب بعقلهِ كل مذهب ويقعد بهِ عن طلب هذا الفن

واما القسم الثاني فاكثر المتداول منهُ بين ايدينا سقيم العبارة ركيكها وعلى الاخص امثالهُ وتمارينهُ وما يتبع ذلك مما كان يجب ان يكون ابلغ وافصح وهو مع اختصارهِ لا يخلو من بعض المذاهب والشواغب ولا ينقي صحة تلك اللغات والآراء الفاسدة بل هو كما يدل عليهِ اسمهُ مختصر لتلك او سلم يرقى عليها الى تلك المطولات

فحاجتنا اذًا الى مؤلف في النحو يكون لنا مرجعاً غير الكتب القديمة ومن رأينا ان لا يؤلف كتاب جديد بل يعمد فريق ممن يوثق بعربيتهم الى كتاب قديم مشهور فينفوا منهُ

ما لا حاجة لنا بهِ ويلحقوا كل فصل من فصولهِ بتمارين تؤْخذ من بليغ اقوال العرب مما شرف معناهُ وجزل لفظهُ فيصبح الكتاب جديدًا ويكون عليهِ المعول وبذلك يتوفر حظ صالح من الوقت ويعتاض المدرس او المؤلف عن اعمال الروية واعنات الفكرة لايجاد عذر لشاعر يقول عوضاً عن الذين (اللذون) وبدلاً من مني وعني (بالتشد) مني وعني (بالتخفيف) الى آخر ما هناك بقولهِ هذا خطأٌ — ولقد رأيت ان احصر هذه الاغلاط في اسباب ثلاثة

(١) غلط الشاعر وهو استعمالهُ ما لم يكن يستعملهُ اهل زمانهِ الاَّ اذا وقعوا في ما وقع فيهِ لقافية او وزن كقول الاول

عرفنا جعفرًا وبني ابيهِ وانكرنا زعانف آخرينِ

بنون مكسورة : وقول الثاني

بابهِ اقتدى عدي في الكرم ومن يشابهْ ابهُ فما ظلم

فقد خالف الاول اخوانهُ العرب واتى بنون جمع المذكر مكسورة مع انهم لم يكونوا ينطقون بها الاَّ مفتوحة كما هو ظاهر في دواوينهم فمخالفتهُ هذه خطأٌ لا لغة وما قلتهُ عن كسر هذه النون قلهُ عن حذف الياء من (بابهِ) والالف من (ابه) في البيت الثاني مما ادى الى استنباط لغة سموها النقص مع ان الشروط الاربعة لاعراب اب بالحروف موجودة في هاتين اللفظتين وعلى هذين البيتين قس البقية

الثاني اصطناع بعض النحاة ابياتاً نسبوها للعرب اثباتاً لرأي يعرض لهم كما في قولهم

اعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين اشبها ظبيانا

الثالث اخذ النحاة اقوال الشعراء كما وصلت اليهم دون التثبت في صحة ما يقرأُونهُ او يسمعونهُ وقد يكون الناقل غلط في روايتهِ فيحسبون غلطتهُ صادرة عن الشاعر فيركبون لاجلها متن التعسف ليوجدوا لتلك الاغلاط لغات ومذاهب من ذلك ما ورد في كتاب سيبويه

معاوي اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

هكذا رواهُ سيبويه على النصب وخلق لهُ مذهباً في الاعراب وهو اعراب الشيء على المعنى فتكون (الحديدا) على رأي سيبويه امام النحو منصوبة على معنى الخبر في ليس وهو لو كلف نفسهُ بعض البحث لاستغنى عن الاحتيال بهذه الحيلة الضعيفة ولرأى ان البيت من قصيدة كلها مخفوضة وهي

معاوي اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدِ

اكلتم ارضنا فجردتموها فهل من قائم او من حصيدِ

أَنطمع في الخلود اذا هلكنا وليس لنا ولا لك من خلودِ
فهبنا امة هلكت ضياعاً يزيد اميرها وابو زبيدِ

وليس هذا بالبيت الفذ من استشهادات سيبويه فمن تبحر في كتابهِ يرى كثيرًا من تلك الاشعار التي اوصلها اليهِ النقلة او الكتبة مغلوطة فاستنبط لها مذاهب وبنى عليها لغات من غير ان يتبصر فيها او يرجع بها الى اصل واذا كان سيبويه مع طول باعهِ وواسع اطلاعهِ وقع مرارًا في مثل هذا فما بالك فيمن هم اوطأ منهُ كعباً واقل منهُ خبرة واضيق في العلم منهُ صدرًا

هذه كلمة دفعنا اليها حبنا للغتنا وحرصنا عليها والله سبحانهُ من وراء العلم

عبيه بلبنان عارف التكدي

غش البضائع

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اطلعت على مقالتكم في العدد الثالث تحت عنوان "غش البضائع" وانا من الذين زاولوا تجارة المنسوجات في الاقطار المصرية والسورية منذ حداثة سني فاسمحوا لي بكلمة في هذا الموضوع

اول ما يتصور المتطلع على مقالتكم ان المنسوجات الاوربية سخيفة لكونها تقصر وتصبغ بمواد كيماوية تعرضها للبلى الباكر وبعضها يبلى من نفسهِ قبل ان يستعمل وثانياً ان التجار هم المسؤُولون بجلب البضائع السوقية السخيفة وانهم لا يدفعون سوى اثمان بخسة تعادل تلك البضاعة وبذلك يحصل غبن على البلاد

فاسمحوا لي بالقول ان الامر الاول قد نفيتموهُ في مقالتكم بقولكم ان ما اشتريتموهُ من المنسوجات مدة وجودكم في اوربا لم يفنهِ الزمان ومن بعد استعمالكم لهُ خمس عشرة سنة لا يزال في رونقهِ وقوتهِ كذلك قولكم ان ما نظرتموهُ في مخازن اوربا من البضاعة لاستعمال الاوربيين افضل وامتن جدًّا من الذي يرد الى القطر المصري والسوري. وعليهِ فالعلة ليست من المعامل (الفبارك) ولا المواد الكيماوية التي توهمتم عنها وبلا شك يسهل على فبارك اوربا تشغيل بضائع تضاهي افخر منسوجات سوريا في المتانة والثبات وربما تفوقها رونقاً وتكون ارخص منها سعرًا (لا اقول ذلك بخساً لمنسوجات بلادنا بل اظهارًا للحقيقة) كذلك لا اعتبر ان التجار هم المسؤُولون عن استحضار البضائع الخفيفة من اوربا وعندي ان سبب جلب البضائع الخفيفة هو فقر البلاد وطلب اهلها الرخيص وعدم تمييزهم الفرق بين اجناس

البضاعة ولذلك ترون ان درجات طيبة البضائع التي تُشحن من اوربا تتبع بالاكثر حالة البلاد المشحونة اليها وترقيها في الغنى والمعرفة الخ . وهذا امر مقرر لذلك ترون بضائع الهند بالاجمال اخف من بضائع سورية وهذه اخف من بضائع مصر كما ان البضائع التي تُشحن الى اوربا والتي تُستعمل لمقطوعية البلاد هنا هي احسن وافضل من خلافها كما لاحظتم ذلك فمن هنا ترون ان جودة البضائع وخفتها حسب طلب البلاد وترقيها وليس كل العلة من التجار

لقد طالما حرَّجنا على محلاتنا وعملائنا ان ينبذوا البضائع الخفيفة والمعاملة بها و يعتمدوا على البضائع الجيدة ولكن اذا كان سبعة اثمان الشعب الذي عليهِ معوَّل المقطوعية لا يهمهُ سوى الرخيص واذا احضرت لهُ الجيد لا يشتريهِ بما يوازي ثمنهُ فما الذي يقدر ان يفعلهُ التاجر فهو ملزوم رغماً عنهُ ان يحضر ما يوافق طلب المشترين وذوقهم . ولا انكر انهُ يوجد في كل اسواق الدنيا تجار دأبهم تقليد البضائع الجيدة بما هو اخف منها وهكذا يحتالون على المشترين ويخدعونهم ولكن دواء هؤلاء التجار بيد المشتري فحينما يترقى الاهالي في المعرفة ويظهر لهم خداع ذلك التاجر يتجنبونهُ حالاً وهكذا يتعلم ويحسن اصنافهُ ولكن ما دام المشتري يطلب الرخيص ولا يهمهُ سوى الرخص فلا رادع يردع هؤلاء التجار بل هم يزيدون تخفيف البضاعة مرة عن اخرى الى ان يعدم الصنف ويهمل . ويظهر لسوء الحظ ان المشتري راضٍ بذلك

اخبرني احد الاصدقاء من الفابركنتية الذين يعاملون تجار مصر بكثرة ان البضاعة التي كانوا يشحنونها الى بر مصر من مدة سنتين او ثلاث كانت احسن جدًّا مما يشحنونهُ اليها الآن ويفسّر ذلك بانهُ حينما كان القطر في رخاء وغنًى كان المشتري يطلب الجيد وحينما ضاقت الامور معهُ رجع الى الخفيف وهذه سنة الكون . وهناك سبب آخر لوجود فروقات مهمة بين منسوجات اوقاتنا الحاضرة والمنسوجات القديمة ان كانت شرقية او اوربيَّة وهذا يعم ثياب السيدات من الدرجة الوسطى والعالية . فكما نوهتم كانت جداتنا تورث بناتهنَّ فساطين العرس وهي لا تزال في رونقها ولكن في تلك الايام لم تكن السيدات مستعبدات للتقاليد الجديدة وتفنن الازياء (الموضات) . فمن منهنَّ تتجاسر في الوقت الحاضر ان تلبس فسطانًا مضى على زيهِ ثلاثة اشهر مهما كانت كلفتهُ ومهما كان نوع قماشهِ ؟ ومن تتجرأ ان تعين مدة الموضة وان عمرها يطول اكثر من سنة. ولذلك التزمت الفبارك ان تجاري الوقت ولا تنظر الى متانة المنسوجات وثباتها بل الى رونقها حتى يرضي النظر وتعيش العمر القصير المحدد لها بحسب احكام الموضات

والنتيجة ان علة سخافة البضائع التي تشحن الى القطر المصري والسوري ليست مسببة من التجار لان التاجر ملزوم ان يستحضر ما يرضي ذوق زبائنهِ وطلبهم

وثانياً ان فبارك اور بانقدران تشغل بضائع في معاملها لا يفوقها شيءٌ في المتانة والرونق والثبات وقد وصلت في اتقان الصناعة الى درجة تحير العقول

منشستر خليل ابرهيم جباره



ثمار الجامعة

ابتدأت ثمار الجامعة المصرية تظهر من يوم عني بنشر محاضراتها في مجلة الجامعة وقد جمعت الآن محاضرات الاستاذ جويدي الايطالي في ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب اي ما كتبهُ العرب في الجغرافيا والتاريخ واللغة

والاستاذ جويدي من الثقات المحققين ولاقوالهِ الشأن الاكبر عندنا لانها مبنيَّة على بحث الباحثين في علوم اليونان والرومان وما اقتبسهُ العرب منهم ولذلك رأينا احكامهُ ثقيلة على الذين يعتقدون ان علماء العرب واضعون اكثر منهم ناقلون . ومن ذلك قولهُ ان كتب بطليموس الاربعة "هي المعتمد عليها في علم الفلك وعلم الجغرافيا وكانت نماذج للمؤلفين ومرجعاً لهم منذ ابرازها الى ظهور الاسلام والى زمان خلفاء بني امية وبني العباس فكل التآليف التي صنفت في علم الفلك والجغرافيا في تلك الازمان لم يذكر فيها شيءٌ خلت منهُ كتب بطليموس وانما كانت تلك التآليف مفصَّلات لكتبهِ او ملخصات لها او مقتبسة منها وبقيت العلوم على هذه الحال الى القرن الخامس عشر بعد المسيح ايام استولت الدولة العثمانية على مصر" أفلم يزد علماء العرب شيئاً في الرياضيات والطبيعيات والفلك

وقولهُ ان السريان هم واضعو النقط والحركات على حروف الهجاء وتبعهم اليونان فالعرب اي ان مستنبطي النقط والحركات هم السريان لا العرب وقد قال ان المصاحف القديمة من القرن الثاني للهجرة تدل النقط فيها التي فوق الحرف على الفتح والتي تحتهُ على الكسر والتي في وسطهِ على الضم ثم صارت هيئة الحركات على ما هي عليهِ الآن

ويؤخذ من كلامهِ ان فلاسفة الفرس الذين درسوا الفلسفة اليونانية في المدرسة التي اسسها كسرى انو شروان هم الذين وضعوا النحو العربي ووضعوا مصطلحاته فقسموا الكلام الى اسم وفعل وحرف جرياً على تقسيم ارسطوطاليس لهُ في منطقهِ . وعرَّفوا الكلام بانهُ لفظ مركب مفيد يحسن السكوت عليهِ كما عرفهُ نحاة اليونان وسمّوا المفعول فيهِ ظرفاً مجاراة لارسطوطاليس وسموا الصرف صرفاً لانهُ باليونانية كلسيس ومعناهُ امالة الشيء اي صرفهُ

وفي هذه المحاضرات فوائد جمة وحبذا لو نشرت مسهبةً ليعم نفعها

مذكرة

في الطب عند العرب

والوصايا الصحية عند المسلمين

ألف هذهِ المذكرة حضرة الدكتور محمود افندي صدقي الطبيب في مصلحة السجون باللغة الفرنسوية فوصف فيها الطب في الجاهلية وذكر بين اطبائهم لقمان الحكيم وخزيمة المكنى بابي الطب والحارث ابن كلدة والنضر بن الحارث وابن ابي رومية التيمي ثم انتقل الى عصر الاسلام فاورد الوصايا الصحية في القرآن عن الغسل الصوم والطعام والشراب والرضاع والختان . وعقد فصلاً خاصاً للعلوم الطبية والذين عانوها واشتهروا بها من علماء المسلمين واطبائهم وسواهم من الذين عاصروهم فذكر بين الذين اشتهروا بالكيمياء وعلم السموم خالد ابن يزيد وجعفر الصادق وحسن البغدادي وفي النبات والمواد الطبية ابن البيطار وكوهين العطار وفي الطب الباطني والهيجين الرازي وابن سينا وابن بختيشوع وابن رشد والسمرقندي وفي التشريح والجراحة ابا القاسم الزهراوي وابن بطلان وفي امراض العين علي ابن عمر وفي امراض النساء عريب بن سيد

وقد قال في مقدمة المذكرة ان الغرض من وضعها نفي ما علق باذهان البعض من ان الامم العربية سرى اليها الفساد والانحطاط وان القرآن عبارة عن نظام يقضي على الذين يتبعونهُ بالجمود والاستسلام الى القضاء مع ان الحقيقة خلاف ذلك فقد كان للعرب شأن عظيم في التاريخ وكان للقرآن اليد الطولى في تقدم علم الصحة ولم يكن حائلاً في ترقية العلوم ونشر المعارف

فك التقليد

كتاب في علم الصرف على اسلوب جديد وضعهُ الاستاذان الفاضلان جبر افندي ضومط وبولس افندي الخولي من اساتذة المدرسة الكلية السورية الانجيلية بعد ان عانيا تعليم العربيَّة سنين كثيرة واستنبطا طريقة جديدة لتعليم علم الصرف وهي مدار كتابهما هذا وقالا انهما جريا تدريسهُ سنة كاملة قبل طبعهِ فوفى بالغرض وقد جعلاهُ سبعةً وسبعين درساً فالدرس الاول في ضمائر الرفع المنفصلة والثاني في تصريف الماضي والثالث في تصريف المضارع وهلمَّ جرًّا ويبتدئ كل درس بما يدور عليهِ موضوعهُ ويتلو ذلك سؤالات يظهر بها المراد والقاعدة التي يراد ان يتعلمها الطالب ثم تمرين يرسخ القاعدة في ذهنهِ ثم قطع منظومة او منثورة يطلب منهُ استظهارها كلها او بعضها ليتمكن منهُ ملكة اللغة الفصحى

والعبرة الكبرى في السؤالات لانها تتضمن القواعد التي يراد ان ينتبه لها التلميذ وترسخ في ذهنهِ مثال ذلك قاعدة الادغام وقاعدة تصريف المضاعف مع المزيدات فانهما واردتان في المثالة السابعة وهي واردة في الكتاب هكذا

حَبَّ (حَبَبَ)	حَابَّ (حَابَبَ)	إِنْحَبَّ (انْحَبَبَ)
أَحَبَّ (أَحْبَبَ)	تَحَبَّبَ	إِحْتَبَّ (أُحْتَبَبَ)
حَبَّبَ	تَحَابَّ (تَحَابَبَ)	إِسْتَحَبَّ (إِسْتَحْبَبَ)

سؤالات

(١) ما هو اصل حبَّ قياساً على فَعَلَ (٢) كيف صارت حَبَبَ حَبَّ . ج حذفنا حركة الباء الاولى تخفيفاً للفظ ثم ادغمنا الباءين (٣) ما هو اصل احبَّ قياساً على افعلَ (٤) كيف صارت احْبَبَ احبَّ . ج نقلنا حركة الباء الاولى الى ما قبلها الساكن ثم ادغمنا الباءين (٥) ما هو اصل حابَّ وتحابَّ وانحبَّ واَحتبَّ واستحبَّ على القياس (٦) كيف صارت كلٌّ من هذه الصيغ الى ما صارت اليهِ أبالنقل ام بالحذف (٧) ايُّ صور من مزيدات المضاعف الثلاثي لم نذكرها اعلاه (٨) لماذا لم نذكر صور افعلَّ وافعالَّ وافعوعلَ . ج لانها مماتة من كل باب المضاعف (٩) ما معنى انها مماتة . ج اي انها لم ترد في كتب اللغة اصلاً (١٠) ما المزيدات الرباعية من همَّ والخماسية من شذَّ والسداسية من دَرَّ . (١١) ما اوزان الافعال الآتية وما مجرَّدها :

أَعزَّ . اَستَحَمَّ . أَغتمَّ . حاجَّ . اَحتَدَّ . تَشَدَّدَ . اَستَرَدَّ . اَفترَّ . أَعَدَّ . ردَّ . تجدَّدَ . اشتمَّ . اَعتدَّ . تَشقَّقَ .

تمرين شفاهي ثم كتابي

صرّف المزيدات من عدَّ . ردَّ . مرَّ . فرَّ . عضَّ . كفَّ . عفَّ . شقَّ . سبَّ . شبَّ . عمَّ . غمَّ . سرَّ . دقَّ . قرَّ . حجَّ . حدَّ . رشَّ . رقَّ . قدَّ

للذاكرة

عرضنا انفساً عزَّت علينا عليكم فاستخفَّ بها الهوانُ
ولو انَّا منعناها لعزَّتْ ولكن كلُّ معروض مهانُ

الفرصةُ تمرُّ مرَّ السحاب فانتهزوا فُرَصَ الخيرِ . ما حكَّ جلدَكَ مثلُ ظُفرِكَ . عند الصباح يحمَدُ القومُ السُّرَى

ومثالهُ ايضاً قاعدة المتعدي واللازم في المثالة الثامنة والثلاثين وهي

دَرَسَ التلميذُ مثالتَهُ . أَطاعَ الولدُ أَباهُ . ترجى المذنبُ الصَّفحَ .

سؤالات

(١) في قولك " درس التلميذ مثالتهُ " من الدارس وما المدروس
(٢) في قولك " أطاع الولد اباهُ " من المطيع ومن المطاع (٣) في قولك " ترجى المذنب الصفح " من المترجي وما المترجَّى (٤) ماذا تسمي الفعل الذي على شاكلة دَرَسَ وأطاع وترجّى اي الفعل الذي يتطلَّب فاعلهُ مفعولاً بهِ . (ج) الفعل المتعدّي (٥) اذاً ما هو الفعل المتعدّي (٦) ما الذي يقابل المتعدي في الانكليزية والفرنساوية (٧) فتش عن عشرة افعال متعدية واكتبها في دفترك

في المتعدي واللازم

ذَهَبَ زيدٌ . تعاظَمَ الامرُ . إستَيقَظَ النائمُ

سؤالات

(١) في هذه الجمل الثلاث من الذاهب وما المتعاظم ومن المستيقظ
(٢) هل استقرَّ الفعل بفاعلهِ ام تعداهُ الى غيرهِ (٣) ماذا تسمي الفعل الذي على شاكلة

ذهب وتعاظم واستيقظ اي الفعل الذي يستقر حدوثهُ في فاعلهِ ولا يتعداهُ الى مفعول بهِ. (ج) الفعل اللازم (٤) اذًا ما هو الفعل اللازم

(٥) ما الذي يقابل اللازم في الانكليزية او الفرنسوية (٦) فتش عن عشرة افعال لازمة واكتبها في دفترك

المتعدي بواسطة حرف جرّ

آمنتُ باللهِ . أحسَنَ زيدٌ الى الفقير . اعتذَرَ التلميذُ عن غيابهِ .

اسئلة

(١) في قولك آمنتُ بالله من المؤمن ومن المؤمن بهِ (٢) في قولك احسن زيد الى الفقير من المحسن ومن المحسن اليهِ (٣) في قولك اعتذر التلميذ عن غيابهِ من المعتذر وما المعتذر عنهُ (٤) ماذا تسمى الفعل الذي على شاكلة آمن واحسن واعتذر اي الفعل الذي لا يصل الى مفعولهِ الاَّ بواسطة حرف جر. (ج) المتعدي بالحرف (٥) أكتب على دفترك عشرة افعال من التي تتعدى بواسطة الحرف

تمرين شفاهي

ما اللازم وما المتعدي بنفسهِ وما المتعدي بغيرهِ في ما يأتي

(١) من قصُرتْ حجتهُ طال لسانهُ (٢) اوحشَتِ الديارُ بعدَ ساكنيها

(٣) لا تضنَّ بمالكَ على المساكين (٤) انجز حرٌّ ما وعد

(٥) اذا قلَّ ماء الوجهِ قلَّ حياؤُهُ ولا خيرَ في وجهٍ اذا قلَّ ماؤُهُ

حياءك فاحفظهُ عليك فانما يدلُّ على طبع الكريم حياؤُهُ

(٦) اذا هبَّت رياحك فاغتنمها فان الخافقات لها سكونُ

وان ولدت عشارُك فاحتلبها فما تدري الفصيلُ لمن يكونُ

(٧) اذا احرزتَ مالَ الارض طرًّا فمالك فوق عيشك من تراقِ

اذا هلكتْ رجالُ الحيِّ اضحى صبيُّ القوم يحلفُ بالطلاقِ

للذاكرة — احفظ الابيات الاربعة في الرقم ٥ و٦

ويلي كل طائفة من الدروس درس تراجع فيهِ قواعدها كلها

ويظهر من هذين الدرسين او المثالثين ان الكتاب وافٍ بالغرض الموضوع لهُ واذا كان الامتحان قد اثبت ذلك فلا محل للريب فيهِ. وحبذا لو وُضع في اول الكتاب دروس تمهيدية

لايضاح معنى المصطلحات الصرفية كالضمير والغائب والمذكر والمؤنث والماضي والمضارع والصحيح والمهموز والمضاعف والمعتل كما توضع الحدود في اول كتب الهندسة ويجب ان يمرّن عليها التلميذ جيدًا قبلما يدرس الكتاب حتى يألفها و يصير يفهم المراد بها حالما يقع نظرهُ عليها

فاذا عني الاستاذان الكريمان واضعا هذا الكتاب بوضع مفتاح مثل هذا وافتتاحهُ بهِ فاننا نرى انهُ يصير اوفى بتعليم علم الصرف

ونرى ايضًا انهُ يحسن استظهار اكثر الابيات والامثال والشواهد فانها كلها من بليغ الانشاء وجوامع الكلم وحفظها ادعى الى معرفة اللغة من حفظ قواعدها

دليل الآثار المصرية

في متحف لندن

A GUIDE TO THE EGYPTIAN GALLERIES (SCULPTURE).

في دار التحف البريطانية من الآثار المصرية اكثر مما في غيرها ما عدا المتحف المصري وفيها ما ليس فيهِ من الآثار التي اخذت من هذا القطر قبل ان صار فيهِ حكومة تهتم بحفظ آثارهِ · وقد وضع صديقنا الدكتور بدج دليلاً مفيدًا للقسم الكبير من هذه الآثار اي المجسم والمنحوت المحفوظ في الطبقة السفلى من دار التحف البريطانية

واقدم هذه الآثار من عهد الدولة الثالثة من الدول المصرية التي كانت قبل المسيح بنحو اربعة آلاف سنة · واحدثها من العصر الروماني · فمن اقدمها حجر رملي من مدفن شرَع اي كاهن عليهِ صورة الكاهن جالسًا على كرسي وعكازهُ بيدهِ وهناك كتابة يقال فيها انهُ كان كاهنًا ومدبّرًا الروح "سنت" وهو ملك من ملوك الدولة الثانية التي تسلطت على القطر المصري قبل المسيح باربعة آلاف سنة وكان عليهِ ان يقوم بالخدمة الدينيَّة تذكارًا لذلك الملك . وقد وجد هذا الاثر في سقارة

ومن احدثها شاهد من الرخام مثمَّن الزوايا وقد كتب عليهِ بالقبطية انهُ تذكار لزوجة پراشي التي ماتت في الثامن والعشرين من شهر مسري سنة ٤٥٧ للشهداء (اي ٧٤١ للمسيح)

وجملة الآثار الموصوفة في هذا الدليل ١١٦٨ اثرًا وقد صوّر بعضها فيهِ صورًا منقولة عن الفوتوغراف .

ويظهر لنا من مراجعة ما كتب على الآثار الحديثة ان اهالي مصر بقوا يكتبون شواهد قبورهم باليونانية او القبطية حتى في القرن الثامن والتاسع وانهم كانوا يؤرخون حينئذٍ من

سنة الاعلان وهو التاريخ الذي وضعهُ قسطنطين الكبير سنة ٣١٣ للميلاد نو من سنة الشهداء . ومن ذلك شاهد مدفن رجل اسمهُ مرقس مكتوب باليونانية وفيهِ الدعاء للميت ليستريح في احضان ابرهيم واسحق و يعقوب وتاريخ وفاتهِ وهو اليوم الخامس من شهر برموده في السنة الثانية من دَوْر الاعلان والسنة ٤٧٢ للشهداء اي سنة ٧٥٦ للميلاد)

وشاهد من الرخام لطرسة زوجة براشي التي توفيت في الثامن والعشرين من شهر مسري سنة ٤٥٧ للشهداء (اي سنة ٧٤١ للميلاد) والكتابة بالقبطية

وواضح من ذلك ان اللغة اليونانية بقيت مستعملة في القطر المصري بعد الهجرة بمئة واربعين سنة

الاسعافات الطبية

الجراحية والباطنيَّة

ألَّف هذا الكتاب حضرة الفاضل الدكتور محمد بك رشدي حكيمباشي محافظة مصر الذي كان مفتش الصحة في مديريات اصوان والقليوبيَّة والبحيرة

وقد جرى فيهِ على اسلوب جديد حتى في مقدمتهِ فلم يتوكأ فيها على العبارات التي تداولها الكتاب خلفاً عن سلف وهم يذكرونها من غير ان يقصدوا معناها بل بدأها بقولهِ " يبقى العلم محتكرًا في عقول بعض الافراد الذين ينقطعون لتعلمهِ وتبقى جماهير الناس غريبةً عنهُ لا ينتفعون بهِ في اعمالهم اليومية التي ما كان العلم الاَّ لييسرها " فطرق الموضوع من غير صلوات وتسليمات واعرب عن غرضهِ وهو بسط الاصول العلميَّة المفيدة لتعليم العامة

وقد جرى في الوصول الى هذا الغرض بذكر خلاصة موجزة من علم التشريح والفسيولوجيا فرسم عظام الانسان وعضلاتهِ وشرايينهُ واوردتهُ واعصابهُ وذكر اسماءها واوضاعها واوصافها ووظائفها في ٦٤ صفحة ثم ذكر انواع الميكروبات التي تسبب الامراض والآفات وطرق الوقاية منها وتقدم من ذلك الى وصف الاحوال التي تقتضي ما سماهُ بالاسعافات الطبيَّة الجراحية والباطنيَّة واوضح ذلك كلهُ بالرسوم واسهب في الكلام على الاعتناء بالحوامل والنفاس والاطفال ثم في الكلام على تمريض المرضى . وقد وقف على هذا الكتاب جماعة من نخبة الاطباء والجراحين كالدكتور عيسى باشا حمدي والدكتور علوي باشا والدكتور صدقي باشا فقرظوهُ تقريظاً حسناً ومما قالهُ الدكتور علوي باشا فيهِ انهُ وجدهُ صالحاً لان يقرأ ويدرَّس في المدارس لتعليم دروس الاشياء ويكون ذخيرة عند كل عائلة عربيَّة تستفيد

منهُ الى ان يحضر الطبيب . فنثني على حضرة المؤلف ثناء جميلاً ونتمنى لكتابهِ الانتشار الذي يستحقهُ ليعمَّ نفعهُ

العناية بالعين
HYGIENE DE L'ŒIL

لم يكد كتاب العناية بالعين الذي الّفهُ حضرة صديقنا الدكتور اسكندر بك الجريديني بالعربيَّة ينتشر في الاقطار حتى عني بترجمتهِ الى الفرنسوية الدكتور كريسار طبيب المدفعية في الجيش الفرنسوي وطبع في بنزرت ببلاد الجزائر وهذه اول مرة في ما نعلم ترجم فيها كتاب علمي حديث من العربية الى لغة من اللغات الاوربيَّة . فهل يعود الينا عصر الرازي وابن سينا اللذين ترجمت كتبهما الطبيَّة الى اللغات الاوربيَّة وصارت تعلم في مدارس اوربا . فنهنئ الدكتور جريديني بما حازهُ كتابهُ من الحظوة ونكرر لهُ الشكر على الهمة التي بذلها في تأليفهِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) كسوف الشمس ٨ اشهر

قنا . محمَّد افندي نور . روى ابن العبري ان الشمس انكسف نصف جرمها وثبت كسوفها من تشرين الاول الى حزيران ولم يكن يظهر من نورها الاَّ شيءٌ يسير وكان ذلك في سنة ٦٢٧ . فهل ذلك صحيح وهل يمكن ان يستمر كسوف الشمس نحو ثمانية اشهر

ج . كلاَّ ولا ندري كيف يذكر ابن العبري خبرًا مختلقاً مثل هذا ان لم يكن في ما ذكر خطأٌ من النسَّاخ . ثم انهُ اذا انكسف نصف جرم الشمس فالذي يظهر من نورها ليس بالشيء اليسير . ومن المحتمل ان تلك السنة كانت كثيرة الغيوم والامطار ففي فصل الشتاء والربيع واكثر الايام ماطر او

غاثم لا يظهر فيها من نور الشمس الاَّ اليسير فعبر مؤرخو العصر عن ذلك تعبيرًا التبس على ابن العبري فظن ان المراد منهُ انكساف الشمس

(٢) معنى السر

يافا ٠٠٠ ا ٠ فياض ما معنى كلمة سرّ وهل لهذا الاسم فعل يشتق منهُ

ج ٠ لكلمة سر معانٍ كثيرة في العربيَّة ويظهر من سؤالكم التالي انكم تريدون معنى ما يكتم وما يسرُّهُ الانسان في نفسهِ من الامور التي عزم عليها والفعل منهُ اسرَّ اي كتم او اظهر فيقال اسرَّ في نفسهِ كذا اي كتم واسرَّ اليهِ بكذا اي اخبرهُ سرًّا

(٣) الفرق في اللغة الانكليزية

ومنهُ ٠ ما هو الفرق في اللغة الانكليزية بين secret, و sacrament و mystery وهل في العربيَّة كلمات مرادفة لكل كلمة منها

ج ٠ ان الكلمة الاولى اي mystery معناها غامض او غموض وهي يونانية الاصل ومعناها اغماض العينين ٠ والثانية secret معناها سر وهي لاتينية الاصل ومعناها الفصل او وضع الشيء جانبًا ولا يبعد ان تكون الكلمة العربيَّة مأخوذة من الكلمة اللاتينية ٠ والكلمة الثالثة معناها عهد او ضمان وهي في الاصل المال الذي يودعهُ الخصمان قبل المقاضاة ضمانًا ثم اطلقت على يمين الطاعة التي كان الجندي الروماني يقسمها فصار يراد بها العهد او مالهُ حرمة او ما هو مقدَّس ٠ ويحسن ان نترجم الكلمة الاولى بكلمة غامض والثانية بكلمة سر والثالثة بكلمة عهد ٠ والظاهر ان اصحاب الطرق الصوفية استعملوا هذه الكلمات لهذه المعاني

(٤) الكبرياء

ومنهُ ٠ هل الكبرياء صفة غريزية او اكتسابيَّة ٠ واذا كانت اكتسابيَّة فهل يورثها الانسان لنسلهِ فتصير غريزية

ج ٠ الكبرياء مثل كل الاخلاق تكون جراثيمها غريزية في الانسان فيعرض لها ما يقويها او يضعفها فاذا تقوَّت في الوالدين معًا انتقلت الى نسلهما قويَّةً واذا عرض لها ما يقويها في احد الوالدين وما يضعفها في الآخر بقيت على حالها او ضعفت عما كانت عليهِ ٠ وعلى هذا النمط نجد ان الامم التي تقوى وتتسلط على غيرها يقوى فيها خلق الشمم والكبرياء والامة التي تضعف ويتسلط عليها غيرها يقوى فيها خلق الذل والدعة ولين العريكة

(٥) النفس والدماغ

رومبك بالسودان ٠ الدكتور حبيب شاكر الخوري ٠ ماذا يمنع قولهم ان لا نفس للانسان ولكن في دماغهِ مراكز كثيرة لها وظائف مختلفة بحسب تركيب خلاياها ٠ والحيوان مثل الانسان من هذا القبيل ولكن مراكزهُ ضعيفة الفعل لعدم تمرنها او لعدم نموها كما هي في طفل الانسان ٠ واذا طرأ

طارئ داخلي او خارجي منع هذه المراكز عن تأدية وظيفتها كما في بعض الامراض العصبية عطل فعلها وذلك مثلما يبطل فعل البطرية الكهربائية اذا تخربت او اختل تركيبها القانوني

ج . ان هذا هو مذهب الماديين وقد اوردنا في المجلد السابع من المقتطف ادلة كثيرة على نقضهِ فراجعوها فيهِ

(٦) عنوان كتب

القدس الشريف . توفيق افندي زريق . ما هو العنوان الذي يمكنني ان اجلب بهِ هذا الكتاب Queens of Society

ج . نحن نجلب كتبنا الانكليزية من محل B. F. Stevens and Brown
4 Trafalgar Square
London.

ولا نرى ما يمنع ارسالهُ لكم اذا طلبتموهُ منهُ

(٧) النوم الخفيف

ومنهُ . نوم بعض الناس خفيف فانهم يستيقظون عند اقل حركة مع انهم في حال الصحة وراحة البال فما سبب ذلك وكيف يتخلصون منهُ

ج . اذا كان لهُ سبب طارئ فيزول بازالة السبب والاَّ فيضعف بمنع الاسباب التي توقظ النائم كالنور والصوت وما اشبه فمتى استمرَّ الانسان على ذلك مدة طويلة لا يعود يستيقظ لاقل حركة . ولا ضرر من خفة النوم فاننا نعرف شخصاً يستيقظ لاقل سبب ثم ينام حالاً وهو على تمام الصحة وشخصاً آخر لا يوقظهُ المدفع وصحتهُ دون صحة الاول

(٨) الملح والمالوك

ام دومه . محمود افندي الناظر . قرأتُ في احدى الجرائد ان اهالي اميركا يضعون الفول في الماء المملح مدة اربع وعشرين ساعة ثم يبذرونهُ فلا يعود المالوك ينمو بينهُ فهل يصحُّ ذلك في القطر المصري وكم مقدار الملح الذي يذاب في الماء

ج . لا نتذكر اننا قرأنا عن هذه الطريقة ولكننا نظنها صحيحة ولا نعلم كم يجب ان يكون مقدار الملح حتى لا يضر بالفول وهذا لا يعلم الاَّ بالامتحان

(٩) مقدار الرياضة

ومنهُ . كم يجب ان يتريض الانسان رياضة جسدية في اليوم وما هي افيد رياضة لهُ وهل يعدُّ المشي من الرياضة المفيدة

ج . ان القاعدة المناسبة لذلك ان يروّض الانسان جسدهُ الى حد التعب . واكثر انواع الرياضة فائدة ما يزيد التنفس حتى يسرع تطهير الدم كالجري والتجذيف والتصعيد في الاماكن العالية واما المشي فيروّض الرجلين وقلما يروض الجسم الاَّ اذا كان طويلاً او سريعاً

(١٠) الميكروبات والماء الغالي

باركلي بافريقية الجنوبية . حفيظ افندي

مخبير . هل للماء البارد جدًّا قوة على قتل الميكروبات كالماء الغالي

ج . كلاَّ فان الماء الغالي يقتل كل الميكروبات تقريبًا واما الماء الذي يصل الى درجة الجليد فقلما يقتل شيئًا منها . وترون في هذا الجزء في الكلام على القطب الجنوبي ان بعض الاحياء الدنيا يعيش في الجليد ولو بلغ درجات تحت الصفر ولكن للتبريد فائدة اخرى وهي منع نمو الميكروبات فتبقى قليلة واذا كانت قليلة فالغالب ان الجسم يتغلب عليها

(١١) صادرات الدولة وواردانها

ومنهُ . كم هي قيمة صادرات الدولة العلية وكم هي قيمة وارداتها

ج . قد كانت قيمة صادراتها سنة ١٩٠٤ حسب تقرير جمارکها نحو ١٦ مليونًا من الجنيهات الانكليزية وقيمة وارداتها حسب تقرير الجمارك ايضًا نحو ٢٨ مليونًا من الجنيهات

(١٢) الجراد والعلاج

برج صافيتا . ميخائيل افندي بشور . ظهر في اوائل آذار سنة ١٩٠٧ نوع من الجراد في جرد صافيتا يسمَّى جادومًا او جندبًا او حرقصًا يفقس في اواخر آذار بين الاعشاب وينمو عليها ومتى بلغ اشدَّهُ يتناول الزروع فيقتات بها وقد كان في اوائل ظهوره قليلاً ثم كثر جدًّا في السنة التالية حتى عمَّ اراضي اربع قرى وهو اسود اللون في دوره الاول ثم يصفر . فارجو ان تفيدونا عن طريقة بواسطتها يمكن ان نتخلص من شر هذا الحيوان الخبيث قبل تفاقم ضرره

ج . يظهر من وصفكم لهُ انهُ الجراد نفسهُ المعروف في سورية او نوع منهُ والطريقة التي رأيناها متبعة في لبنان هي افضل الطرق لاتلافهِ وذلك بان يفتش عن بيضهِ ويستخرج من الارض ويتلف بجدلهِ بالمحادل او بحرقهِ . والجرادة تختار الطرق التي بين الحقول والاراضي الجافة وتغرز ذنبها فيها وتسرأ بيضها تحت وجه الارض وتكون البيوض منتظمة بعضها مع بعض كالسنبلة الصغيرة ثم تموت هناك فيستدل على مكان البيض من وجود جسمها ويبقى على وجه الارض شيء كرغوة الصابون حيث غرز البيض . واذا فقس الجراد وخرج من الارض فحفر في طريقهِ خنادق طويلة وهو صغير زحاف ويساق اليها و يطمر فيها واذا كبر وبلغ اشدهُ يُطار فتحملهُ الرياح وتبعدهُ او تلقيهِ في البحر



حديث السلطان

نشرنا في صدر هذا الجزء فقرةً من حديث مولانا السلطان محمد الخامس الذي حدَّث بهِ مكاتب جريدة الديلي كرونكل الانكليزية وقد رأينا ان ننشر هنا فقرات أُخرى منهُ فمن ذلك قولهُ

" ان الانكليز كانوا اصدقائي طول ايامي وهذا الوقت وقت خطير الشأن عند الامة العثمانية باسرها وقد طالما قذف بي اعدائي ورموني بالعته والبله ولكن الله سبحانهُ وتعالى قضى برحمتهِ وعنايتهِ ان اقوم بما قدره لي "

وقولهُ

" لما اطلق سراحي سياسياً من السجن الذي قضيت فيهِ السنين الطوال جعلت اتتبع تقدم العالم . و يعلم القليلون الذين حفظوا ولائي حتى في اشد ايام محنتي اني كنت من انصار الدستور والمجالس النيابيَّة من اوائل ايامي الى اليوم وذلك مع محافظتي على مبادىء القرآن الشريف وتعاليمهِ تمام المحافظة ولم احد عن هذه الآراء طول ايامي واني اشد الناس انتصاراً لسياسة حزب تركيا الفتاة "

وقولهُ

" اني ذاهب الى يلديز لأُؤيد حريتنا الوطنية وسلامتنا . وساؤيد السلام والصداقة بين كل الناس . ابلغ اهالي انكلترا تحياتي الودية واطلب منهم ان يميلوا الينا و يعطفوا علينا وان يؤيدوا الرجل الذي يقف الآن مرتجفاً على سلم العرش . ان كل يوم يمر بنا يكون فاتحة عصر جديد في تاريخ تركيا "

وقال في ختام حديثهِ ان لا تنافي بين الشريعة الاسلامية والحرية السياسية التامة ثم قال " فليحفظك الله وينجح امتك الانكليزية التي كانت اصدق صديق لنا ولا تزال كذلك "

مؤتمر العاديات اليونانية والرومانية

اختار هذا المؤتمر القطر المصري لاجتماعهِ الثاني فافتتح جلساتهِ في الاسكندرية صباح

السابع من شهر ابريل . ثم افتتحهُ الجناب الخديوي رسميًّا في العاصمة في ١٢ ابريل بخطبة فرنسوية قال فيها ما ترجمتهُ

" ايها السادة

يسرني جدًّا ان اراكم مجتمعين في مدينة القاهرة التي اصبحت اليوم صلة بين العالم الشرقي وام الغرب. فبلادي تتشرف بنزولكم ضيوفًا فيها وانا ارحب بكم بالنيابة عنها وبالاصالة عن نفسي

ان العلماء المستشرقين الذين جاءوا وادي النيل العجيب الذي كان مهدًا لتمدن يمتد الى اقدم العصور كانوا دائمًا على يقين ان يلقوا من اسلافي ومني المساعدة التي تلزمهم في اعمالهم لكشف الآثار الفخيمة التي خلفها لنا الفراعنة . الاَّ علماء الآثار اليونانية والرومانية فانهم ظلوا متباعدين عنا فدعوتهم الى القطر المصري لاريهم ان كل ما يكتشف فيهِ من الآثار اليونانية والرومانية القديمة ليس باقل مما يكتشف من الآثار الشرقية. وان البلاد التي حفظت لنا تاريخ البشر في العصور الاولى حفظت ايضًا آثار اهل العلم والتهذيب من اليونانيين الرومانيين فمنذ ثلاثين سنة والباحثون يستخرجون من قلب مدننا المؤلفات البديعة التي الفها كتاب اليونان العظام وكان يظن انها فقدت تمامًا. وهذه الفاتحة المثمرة تجعلنا ننتظر ثمارًا اشهى واكثر في المستقبل واني ممنون ايها السادة لانكم ادركتم عواطفي وبادرتم الى قبول دعوتي واشكر ايضًا الحكومات والجمعيات التي انتدبتكم عنها كما اشكر لجنة اثينا التي لها الفضل في عقد اول مؤتمر من هذه المؤتمرات . فاعلن افتتاح المؤتمر الثاني لجمع الآثار القديمة الدولي بمصر القاهرة "

وكان الاجتماع في الاوبرا الخديوية فغصت دكتها وكراسيها ولوجاتها بالاعضاء والمدعوين . وقسم المؤتمر الى ستة اقسام وهي قسم الآثار السابقة للآثار اليونانية والرومانية وقسم الآثار اليونانية والرومانية وقسم اوراق البردي وقسم الآثار الدينية وقسم الآثار البزنطية وقسم العاديات والجغرافيا . وعقدت هذه الاقسام اكثر جلساتها في نزل سافوى . وقد رأينا بين اعضاء المؤتمر اناسًا من بلدان مختلفة فرنسويين وايطاليين والمانيين ويونانيين واميركيين وبرتغاليين وانكليز وسمعناهم يخطبون بلغات مختلفة كانهم في برج بابل واهل القطر المصري من اصلح البلدان لدرس الآثار اليونانية والرومانية لكثرة ما بقي منها فيهِ

سكان المريخ

وضع الاستاذ لول الاميركي كتابًا عن المريخ وترعهِ سنة ١٩٠٦ بعد ان بحث فيهِ بحثًا علميًّا مدققًا واستنتج انهُ مسكون بمخلوقات عاقلة تخالف بذلك الدكتور ولس الذي

كتب سنة ١٩٠٣ موجحاً ان الارض هي الجرم الوحيد المؤَهّل لسكن الانسان . ثم كتب ولس مبيناً ان المريخ لا يصلح للسكن لانهُ خالٍ من الماءِ لكن المستر سليفر اثبت بالبحث السبكتروسكوبي وجود بخار الماء في المريخ فاذا كان فيهِ ماءٌ فليس ما يمنع وجود الحياة فيهِ . وقد وضع الاستاذ لول كتاباً آخر الآن عن المريخ كمقرّ للحياة اقام فيهِ الادلة على انهُ مسكون بمخلوقات بالغة درجة عالية جدًّا من الارتقاء العقلي والصناعي ولم يخرج فيهِ عما نشرناهُ في المقتطف قبلاً مقتطفاً مما كتبهُ هو او كتبهُ انصارهُ

رأي جديد في تكون السيارات

الرأي الشائع حتى الآن هو رأي لابلاس على اصلهِ او بعد ما تنوَّع بجعل السديم مؤلفاً من حجارة نيزكية ومفادهُ ان السديم دار على نفسهِ بتقلص أجزائهِ ودونها من مركزهِ فانفصلت منهُ حلقات او كتل وبقيت تدور حولهُ وهي السيارات . الا ان الاستاذ سي الفلكي الاميركي ارتأَى الآن ان السيارات اجسام تأتي الى السديم من الخارج فتدور حولهُ وتجعلهُ يدور حول نواتهِ الداخلية فكأنهُ حلَّل الحركة المستديرة الى حركة الجذب المستقيمة والى فعل المقاومة بين دقائق السديم والجسم الذي ينجذب اليهِ او يقع عليهِ

الدكتور سليم بك عمون

خسرت المدرسة الكلية السورية الاميركية خسارة لا تعوَّض بوفاة رجل من نخبة ابنائها الذين افادوا بلادهم بما حصلوهُ فيها من العلوم وحرية المبادىء وهو الدكتور سليم بك عمون . اتمَّ دروسهُ الطبيَّة فيها سنة ١٨٧٦ وكان مثالاً في الذكاء والانفة وعزة النفس وعلو الهمَّة . ونظر وهو في المدرسة الى احوال بلادهِ وما هي صائرة اليهِ من الاضمحلال اذا لم يقم من ابنائها رجال يصلحون حكومتها ويربون عامتها . وكان هذا مدار بحثهِ وبحث كثيرين من رفاقهِ في مسامراتهم وبيت قصيدتهم في مجتمعاتهم . ومارس صناعة الطب بعد خروجهِ من المدرسة ولما لم يرَ فيها متسعاً للنفع العام الذي حسب نفسهُ مدعوًّا اليهِ انتظم في سلك حكومة لبنان وطنهِ فاختير لأعلى مناصبها وجعل اولاً رئيس القلم العربي ثم رئيس دائرة الحقوق فقائمقام جزين فقائمقام البترون فقائمقام كسروان فوكيل رئاسة مجلس الادارة اي وكيل المتصرف نفسهِ وقد شغل هذا المنصب ابوهُ وعمهُ من قبلهِ . واظهر في كل هذه المناصب من اصالة الرأي واستقلال الفكر والاهتمام بمصلحة الاهلين ما جعل العيون تتجه اليهِ كركن من اقوى اركان الهيئة اللبنانية ولاسيما بعد ان ابيح للناس المجاهرة بارائهم

السياسية لدعي الى تولي المنصب الاخير وهو اعلى المناصب في حكومة لبنان وقد عاجلتهُ المنية وهو في السن الذي ينتظر فيهِ النفع الاكبر من الرجال اذ تتسع دائرة الاختبار ويرهف صارم العقل فخسارة لبنان بهِ لا تقدَّر عزَّى الله اخوتهُ وابناء وطنهِ عن فقدهِ والهمهم صبرًا جميلاً

جوائز الطيران

ذكرنا منذ سنتين ان جريدة الديلي مايل وعدت ان تعطي عشرة آلاف جنيه جائزة لمن يطير بآلة اثقل من الهواء من مدينة لندن الى مدينة منشستر ولا يقف في الطريق اكثر من مرتين لاخذ ما يلزم لهُ من البترول . ويحق لكل احد ان يتقدم لنيل هذه الجائزة . وقد وعدت الآن بجائزة الف جنيه لمن يصنع آلةً يطير بها ميلاً واحدًا ثم يعود الى النقطة التي طار منها تمامًا ويشترط ان يكون انكليزيًا وتكون آلتهُ مصنوعة في البلاد الانكليزية وكل اجزائها من بلاد الانكليز وان يطير على ارض انكليزية . ووعدت ايضاً بجائزة الف جنيه لمن يصنع طيارةً يطير بها فوق بحر المانش ويحق لكل احد ان يتقدَّم لنيل هذه الجائزة

ترعة بناما

لما اخذت الحكومة الاميركية ترعة بناما لكي تتمها على نفقة البلاد الاميركية ارسلت جماعة من المهندسين لترى هل الاصلح ان تعمقها حتى يتصل بها الاوقيانوسان كترعة السويس وتصير السفن تعبر بها من اوقيانوس الى اوقيانوس او تجعل فيها هويسات كخزان اصوان فلا نضطر ان تعمقها الى تحت سطح البحر فاقرَّ المهندسون على الرأي الثاني اي ان تجعل الترعة بهويسات على الجانبين لكن الجرائد الاميركية لم يرضها ذلك فثارت ثورة واحدة وجعلت تحث الحكومة على تعميق الترعة حتى تستغني عن الاهوسة فبعث الرئيس روزفلت لجنةً اخرى من كبار المهندسين لتنظر في الامر ثانية فوافقت هذه اللجنة على قرار اللجنة الاولى وتقدر كل النفقات اللازمة لهذه الترعة اذا جعلت باهوسة ٧٢ مليونًا من الجنيهات واذا عمقت حتى تستغني عن الاهوسة اكثر من مئة مليون جنيه وهي تتم بعد خمس سنوات اذا جعلت باهوسة ولا تتم الا بعد سنين كثيرة اذا جُعلت بغير اهوسة . وعدد العمال هناك الآن نحو خمسين الف عامل

وقوع نيزك

وقع نيزك في جزيرة زيلندا الجديدة في اواخر العام الماضي فرآهُ الناس من اماكن مختلفة شهابًا منقضًا من السماء بعد الظهر بنصف ساعة ثم انفجر فسمعوا لهُ صوتًا شديدًا

ثم تلتهُ اصوات كثيرة كانهُ الرعد قصف وتلتهُ فرقعة البنادق ووقعت قطعةٌ على الارض ففتشوا عنها ووجدوا منها قطعتين ثقل احداهما اربعة ارطال ونصف رطل وثقل الثانية ثلاثة ارطال ويظن ان ثقل النيزك كلهِ لم يكن اكثر من اثني عشر رطلاً

الدجاج والبيض

يظهران كثرة البيض في الدجاج وراثية فاذا ربيت الدجاج سنة بعد سنة من بيض الدجاج الكثير البيض فقط صارت كلها كثيرة البيض واذا ربيت بقصد كثرة اللحم لا كثرة البيض صارت كثيرة اللحم قليلة البيض. وقد جمعت دجاج دنماركية ودجاج اميركية ودجاج انكليزية وهي كلها من نوع واحد اصلاً واطعمت طعاماً واحداً. وحسب ما باضتهُ فوجد ان متوسط بيض الدجاجة الدنماركية ١٥٤ بيضةً في السنة وبيض الدجاجة الاميركية ١٤٢ بيضة وبيض الدجاجة الانكليزية ٧٦ بيضة وان متوسط ثقل البيضة الدنماركية ٢٥ درهماً والاميركية ٢٨ درهماً والانكليزية ٢٤ درهماً وهذه المسألة مهمة جدًّا في هذا القطر لانهُ يصدر جانباً كبيرًا من البيض كل سنة الى اوربا فاذا عني بتربية الدجاج الكثير البيض والكبير البيض فمن ذلك ربح كبير لهُ لا يستهان بهِ

كارنجي والبحث العلمي

من اراد ان يعرف مقدار الفائدة التي ينالها العلم والعلماء اذا ساعدهم ارباب الغنى بغناهم فلينظر الى تقرير دار البحث العلمي التي انشأها المستر كارنجي فقد طبعت الى ٣١ من اكتوبر الماضي ١٢٠ مجلدًا في ١٩ موضوعاً مختلفاً من مواضيع البحث العلمي ونشرت الف مقالة مختلفة في المجلات العلمية وبلغت الاموال التي انفقتها في سبيل البحث العلمي ٦٧٢ الف جنيه وانشأت ١٠ دارًا للبحث في وشنطون ستبلغ نفقات بنهائها ٤٤ الف جنيه . وبلغ ما انفقتهُ على مرصد جبل ولسن بكليفورنيا ٧١٦٣١ جنيهاً

هبة لتعليم الفقراء

لا شيء مثل المدارس لاظهار جوهر الانسان وكشف طلاء الغنى والترف. فالفوز في المدارس للعقل والاجتهاد سواء كان صاحبهما غنيًّا او فقيرًا. والذي يفوز بعقلهِ واجتهادهِ يعلي اخوانهُ قدره ولو كان افقر التلامذة ويتخذونهُ زعيماً لهم ولا سيما اذا جمع قوة الجسم مع قوة العقل. ولكن يبقى الفقر عقبةً مؤلمة ولا سيما اذا كانت المدارس تشترط على التلامذة دفع اجرة التعلم

وقد رأى احد الاميركيين ذلك فاوصى قبل وفاتهِ بمئة الف جنيه لمدرسة مسوري

الجامعة ليساعد بريعها التلامذة الفقراء دون سواهم

هبة علمية زراعية

وهب بعضهم مدرسة منسوتا الجامعة باميركا ٢٢٠٠ فدان لكي تمتحن فيها زرع الغابات وتربية اشجارها

ما هي الجامعة

حدَّد الشهير هكسلي المدرسة الجامعة بقولهِ انها المقام الذي يطلق فيهِ الفكر من كل قيد وتقدَّم فيهِ كل انواع المعرفة لكل طبقات الناس اغنيائهم وفقرائهم من غير تمييز. ثم قال انهُ يجب الاهتمام بتعليم الذين تظهر نجابتهم مهما كلف تعليمهم الامَّة من النفقات فانها اذا انفقت مئة الف جنيه على اخراج رجل واحد مثل ووط او دافي او فاراداي فهي الرابحة لانها ربحت من كل من هؤلاء الثلاثة ملايين كثيرة من الاموال

الاقباط في القطر المصري

كان في القطر المصري من الاقباط وقت الاحصاء الاخير ٧٠٦٣٢٢ وهم ارثوذكس وعددهم ٦٦٧٠٣٦ وبروتستانت وعددهم ٢٤٧١٠ وكاثوليك وعددهم ١٤٥٧٦

سكان القطر حسب معايشهم

يظهر من الاحصاء الاخير الذي تم في القطر المصري سنة ١٩٠٧ ان عدد المشتغلين بالزراعة من سكانهِ ٢٤٠٠٣٠ ٢ نفساً وعدد المشتغلين بالصناعة ٣٨٠٤٥٣ وعدد المشتغلين بالتجارة والبيع والشراء ٢٦٢٣٤٦ وعدد مستخدمي الحكومة والجيش والبوليس ١٠٥٩٢٢ وعدد المشتغلين بالفنون كالطب والمحاماة والتعليم ١٤٤٠٧٩ وسائر السكان اي النساء والاولاد والذين لا عمل لهم ٧٩٥٤٥٢٩ والجملة ١١٢٨٧٣٥٩

ضرر الجرذان

يقال ان ما تتلفهُ الجرذان سنويًّا في بريطانيا العظمى يبلغ عشرة ملايين من الجنيهات فضلاً عما ينتقل بواسطتها من عدوى الامراض فان مرض الترِكينا ينتقل منها الى الخنازير ومن الخنازير الى الناس الذين يأكلون لحمها. وهي التي تنقل انفلونزا الخيل من اسطبل الى آخر. وقد ثبت حديثاً انها تنقل عدوى الطاعون من المصاب الى السليم بواسطة البراغيث التي تكون في ابدانها ولذلك اهتمت مجالس الصحة الآن باستئصالها

فهرس الجزء الخامس من المجلد الرابع والثلاثين

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الرابع والثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٢ جماد اول سنة ١٣٢٧

السلطان عبد الحميد

في مثل هذا اليوم من العام الماضي لم تكن ترى كاتباً واحداً يخطّئ سياسة السلطان عبد الحميد ويندد باعماله حتى ترى مئة كاتب يصوّبون سياستهُ ويتغنون بمدحهِ ويقولون انهُ مجمع الفضائل وآية الحكمة والعدل . حتى ان اكثر الخطب التي تليت في بلاد الشام ونشرناها في المقتطف كانت مفتتحة ومختتمة بترتيل آيات الحمد لهُ والدعاء بتأييد شوكتهِ الى آخر الدوران فكنا نحذف ذلك منها لاننا لا نجد لهُ محلاً في الخطب العلمية او الادبية وقلَّما كنا ننجو من لوم اصحابها . ولو جُمعت القصائد التي نظمت في امتداحهِ والكتب والفصول التي كتبت في تعداد مناقبهِ لملأَت مئات من المجلدات . وقد انقلبت الحال الآن ايَّ انقلاب فترى من المئة الذين كانوا يمدحونهُ ويمجدونهُ تسعةً وتسعين يجاهرون بذمهِ ويقولون انهُ كان طاغية سفاحاً خرب البلاد وسلب العباد حتى لقد قيل فيهِ اكبر مادحيهِ بالامس

مشبع الحوت من لحوم البرايا ومجيع الجنود تحت البنودِ

واكثرهم اعتدالاً في لومهِ اليوم هم الذين كانوا يندّدون بسياستهِ بالامس

ولا يحسن بالمرءِ ان يقف لدى هذا الحادث الجلل وهو قيام السلطان عبد الحميد وسقوطهُ الا وينظر اليهِ نظر المؤرخ الذي يتوخَّى ذكر الحقائق خالصة من شوائب التحامل والتملق عساهُ يجد فيها عبرة وذكرى

يرى الباحث الاجتماعي امرًا لا يخفى على احد وهو ان الممالك التابعة للعرش العثماني كانت في سالف عهدها ارقى منها الآن وان الانحطاط تولاَّها منذ الفي سنة ثم جعلت تعلو وتسفل اونةً بعد اخرى واتجاهها الى الانحطاط اكثر منهُ الى الارتقاء كموج البحر وقت

جزء حتى اذا كان القرنان الاخيران اللذان ارتقت فيهما ممالك اوربا ارتقاء لا مثيل له في عصور التاريخ السالفة ظهر الفرق الشاسع بيننا وبينها على اتمهِ . ولهذا الانحطاط اسباب كثيرة قد تتعذر معرفتها كلها وليس من غرضنا البحث فيها الآن ولكن لا شبهة في انها ليست مرتبطة بطبيعة البلاد ولا باحوال سكانها الجسدية والعقلية . ويقيننا انهُ يسهل عليهم بلوغ اعلى مراتب الامم الاوربية اذا سعوا الى ذلك في طريقهِ وزالت الحوائل التي تحول دونهُ واخذوا باسباب العمران كما اخذ بها غيرهم من سكان المشرق والمغرب وهي على ابوابهم ميسورة لهم كما هي ميسورة لسواهم . فالشاب العثماني يستطيع ان يصير طبيباً او قاضياً او تاجراً او مهندساً او قائداً كما يستطيع ذلك الشاب الانكليزي او الفرنسوي او الالماني . والفلاح العثماني يتقن حرثهُ وزرعهُ مثل الفلاح الفرنسوي ويقتصد في نفقاتهِ مثلهُ او اكثر

ولا شبهة ان البلاد ارتقت بعض الارتقاء في العهد الاخير عهد السلطان عبد الحميد وأكثر الفضل في ذلك للرسالات الدينية الاميركية والانكليزيَّة والفرنسوية وللتجار الذين اقاموا في بلادنا ولاتصالنا بالاوربيين واتصال الاوربيين بنا

ولسنا ممَّن يجرد حكم السلطان عبد الحميد من كل مزية نافعة فقد كانت لهُ مزايا كثيرة ولا سيما في اوائلهِ وقد راق لنا حينئذٍ ما كتبهُ الاستاذ فمبيري المجري في هذا الموضوع منذ تسع عشرة سنة فترجمناهُ ونشرناهُ في صدر الجزء الحادي عشر من المجلد الرابع عشر من المقتطف وكان السلطان قد استدعاهُ اليهِ واطعمهُ على مائدتهِ واغدق عليهِ نعمهُ فقال

" ان جلالتهُ لا يترك واسطةً للملاطفة ضيوفهِ وبسطهم الا اجراها فقد قدَّموا لي على مائدتهِ يوماً صحفةً من الفروله (الفريز) مرتبةً في خطوط وصفوف بحسب الوانها وعلى وجه الصحفة رقعة كُتب فيها هذا من الاثمار التي رباها جلالتهُ بيدهِ . وقدَّموا لي مرةً تفاحة وخوخةً من اشهى ما رأتهُ عيني واحنى جلالتهُ رأسهُ اشارة الى تكرمهِ بهما خصوصاً . ولما دُعيت آخر ليلة على مائدتهِ شجاني سماع الالحان المجرية تصدح بها الموسيقى السلطانية في قاعة مجاورة فالتفتُّ نحوها واذا خادم واقف بجانبي فحياني وقال لي ان جلالة مولاي السلطان ارسلني لابلغك ان الموسيقى السلطانية تعلَّمت اللحن المجري الوطني بأمر خصوصي لتسمعك اياهُ هذه الليلة "

ومما في اوصافهِ الشخصية انهُ "يقضي يومهُ من الصبح باكراً الى ان يتناهى المساء مهتماً بقضاء اشغال الدولة ومهام السلطنة ناظراً في كل قضية مهمة وغير مهمة مستوعباً كل تفاصيلها حتى يكاد يفني صحتهُ ويعاوق سير الحكومة . وقد دخلت عليهِ يوماً فوجدتهُ جالساً على

ديوانهِ وعن يمينهِ عدد عديد من الجرائد التركية وترجمات من الجرائد الاجنبية متراكمة بجانبهِ كوماً عالياً وعن يسارهِ ما يضاهيها من اوراق الحكومة المعروضة على جلالتهِ لمراجعتها والتوقيع عليها . وكان وهو يحدثني ينظر من طرف خفي يمنةً ويسرةً طوعاً لما يتردَّد في نفسهِ من حب الرجوع الى مطالعتهِ . ولا يخفى ان الدولة التي يجهد سلطانها نفسهُ كل هذا الجهد في قضاء مهامها يضيق نطاق سلطة وزرائها . ويندر وجود سلطان مثلهُ يقضي مع وزير ماليتهِ الساعات الطوال وهو مكبٌّ على مراجعة حسابات السلطنة وتنقيح دفاترها وامعان النظر في تفاصيلها واجهاد القريحة في استنباط التدبير والاحتياط اللازم للاقتصاد"

وقال مدافعاً عمَّا كان يأتيهِ من الاستبداد في حكمهِ " لا ارى اسدَّ من كلامهِ حيث قال لي يوماً ان اوربا قد عزقت ارضها ومهَّدت تربتها اعواماً وعصوراً حتى جاءت بما نراهُ فيها من مصادر الحرية والمنشآت الحرَّة . والآن تطلبون اليَّ ان اقلع فسيلة من منابت الحرية التي فيها واغرسها في اراضي آسيا الوعرة البائرة القاحلة . دعوني انمهّد هذه الاراضي قبلاً بما يحسّنها فاقتلع اشواكها وارفع احجارها وافلح تربتها واحفر الاقنية لارروائها ثم انقل تلك الفسيلة اليها واكون اوَّل من يطيب نفساً ويقرُّ عيناً بنمائها ونضارتها "

ونفى عنهُ استخدام الجواسيس وقال " ان كل ما سمعهُ من هذا القبيل اختلاق او مبالغة وغلو واصل تلك الاقوال كلها ان رجالاً من اهل البلاط يستخدمون الجواسيس سرًّا ويرصدون العيون خفيةً لاجراء دسائسهم ومكايدهم الشريرة وتنفيذ مآربهم الفاسدة وجلالتهُ عالم بمكرهم ودهائهم ولكن كشف حيلهم واظهار دسائسهم ومكايدهم ليس بالامر السهل عليهِ كما يتوهم الاوربيون في بلادهم "

هذا ما كتبهُ الاستاذ فمبيري منذ نحو عشرين سنة وهو يعلم انهُ سيترجم للسلطان عبد الحميد فيطلع عليهِ ويجزيهِ على مدحهِ احسن جزاءٍ . وقد قال في صدر مقالتهِ ان الناس في البلدان الشرقية على دين ملوكهم فانظر الى الملك تعرف رعيتهُ . وحقهُ ان يقول ايضاً انظر الى الرعية تعرف ملكها وانظر الى المقرَّبين تعرف الملك الذي قرَّبهم اليهِ .

ومقالة فمبيري مع ما فيها من المدح وكثير منهُ كان في محلهِ لا تخلو من الاشارة الى الاسباب التي كان لها اليد الطولى في افساد السلطنة كما رأيت في ما تقدَّم فان كثرة اشتغال الحاكم بالمسائل الهامة وغير الهامة تضني جسمهُ وتضعف عقلهُ وتفسد احكامهُ وتقيد وزراءهُ وتبطل نفعهم . ولا يبعد ان كثرة اشتغال السلطان عبد الحميد اورثتهُ خللاً عقلياً وهو ايجاس الشر والخوف المستمر من كيد المكايد لهُ ان لم يكن ذلك خلقاً

قديمًا فيهِ فاستعان بالجواسيس على كشف المكايد الموهومة واستحلَّ كل شيء للنجاة منها .
وعرف الدهاة منهُ ذلك فتقربوا اليهِ بكل ما يزيد وساوسهُ ويؤثر في نفسهِ استدرارًا
لنعمهِ فاضطرَّ ان يكثر موارد امواله ليستطيع استرضاءهم ورأى غيرهم منهُ ذلك فساعدوهُ
على جمع الاموال واقتناء الاملاك بكل وسيلة فبلغ الفساد في السلطنة مبلغًا لا نظير لهُ
حتى ان مختار باشا الغازي كان يقول لنا حينما يطلب منا الكف عن انتقاد معايب الحكومة
العثمانية انكم لا تعلمون منها عشر ما اعلمهُ انا ولكنني اؤكد لكم ان الانتقاد يضرُّ بكم ولا
ينفع احدًا

وعاد الاستاذ فمبيري فعرف خطأهُ وارعوى ورأى عيوب الحكم الحميدي كما رآها غيرهُ
وهو يرجو الاصلاح الآن لتركيا بهمة رجالها الدستوريين كما يرجوهُ غيرهُ من المخلصين لها

وتمكنت الوساوس من عبد الحميد حتى صار يعتقد ان الناس كلهم يأتمرون عليهِ
ويقصدون الايقاع بهِ فلم يعد يهنأ لهُ عيش الاَّ بتجسس اخبارهم وصار آلة في ايدي
المحتالين يوهمونهُ بتألب الجماهير على الفتك بهِ وانهم هم وحدهم القادرون على كف شرهم
عنهُ فذلك وغرصهُ على كثرة المقتنيات وحرص المقربين منهُ على تملقهِ وظلم الناس باسمهِ
وجشع بعض الافاقين من رعيتهِ ومن غير رعيتهِ كل ذلك ولَّد في السلطنة العثمانية حالة
لا تطاق فمجرها الذين استطاعوا المهاجرة وصبر على الضيم الذين القوهُ من احرار النفوس
واشترك غيرهم في الفساد الذي عمَّ وطم الى ان تمكنت جمعية الاتحاد والترقي من اعلان
الدستور فتظاهر اولاً ان ذلك كان برضاهُ وهو غاية ما يتمناهُ ثم دس لها الدسائس وشاركهُ
اعوانهُ حتى كاد يوقع بها ولو صبغ السلطنة بالدماء لكنها تمكنت من خلعهِ وتنصيب اخيهِ
بدلاً منهُ كما هو معلوم

والسلطان عبد الحميد هو الرابع والثلاثون من سلاطين آل عثمان والثامن والعشرون
منهم في القسطنطينية ولد في ٢٢ سبتمبر سنة ١٢٤٢ وابوهُ السلطان عبد المجيد وامهُ سرية
ارمنية والصفات الارمنية ظاهرة فيهِ خلقًا وخُلقًا . وتوفيت امهُ بمرض الصدر وعمرهُ سبع
سنوات واصيب هو بهِ في صغرهِ لكنهُ شفي منهُ وكان في حداثتهِ ضعيف البنية قليل الرغبة
في العلم . واولاد السلاطين يتعلمون مع التركية والفارسية لغة اجنبية اما هو فكان يكره تعلم
اللغات وغاية ما حفظهُ منها قليل من الفرنسوية تعلمهُ من فتاة بلجيكية . وربي تربية لا تثقف
العقل ولا تهذب الاخلاق ولا تدمث الطباع . وزار اوربا مع عمهِ السلطان عبد العزيز
ويقول الاستاذ فمبيري ان صور مدنها ومشاهدها انطبعت في ذاكرتهِ ويقول المنتر منزو

انهُ لم يستفد من هذه الزيارة شيئاً فبقي على كرهه للاوربيين .

وقد ألف جورج دوورس بن ادوبدس باشا والي كريت كتاباً في السلطان عبد الحميد طبع منذ نحو ثماني سنوات وصفهُ فيهِ في حداثتهِ وصفاً يفسّر ما صار اليهِ في كهولتهِ . ويظهر مما ذكرهُ في كتابهِ انهُ عاش حول يلدز وكان لهُ فرص غير عادية للوقوف على احوال السلطان واعمالهِ فعرفها معرفة مَن يراها عن قرب ويعلم سوابقها ولواحقها وما ترمي اليهِ وقد قال في كتابهِ ان السلطان عبد الحميد لم يهتم قط باصلاح بلادهِ بل فعل كل ما في طاقتهِ لخرابها منذ خمس وعشرين سنة الى الآن يخنق جرثومة الحرية التي كان يمكن ان تحيي البلاد وقطع عنق استقلالها وهو في مهدهِ لحصر السلطة في يدهِ بالحيلة واودى بكل مَن اوجس منهُ المخالفة لهُ وشلّ اعصاب حب الوطن وكمّ فم الصدق وقيّد استقلال الفكر والضمير وذبح الالوف من رعاياهُ ولم يهتم الاَّ بتعزيز عرشهِ مهما كلّف البلاد فاستخدم في سبيل تلك الصنيعة والجاسوسية والجهل والجور والرشوة والصرامة وما بين الرجال من الضغائن والاحقاد

وكتاب دوورس مشحون بمثل هذه المذام وقد حُكم عليهِ بالاعدام بسببهِ فهرب الى باريس ولم تشأ الحكومة الفرنسوية ان تسلّمهُ للحكومة العثمانية . الاَّ ان غيرهُ من الكتّاب لم يوافقوهُ على كل ما كتب فالاستاذ ادون غرڤنور الاميركي وقد كان من اساتذة مدرسة روبرت الاميركية في الاستانة وصفهُ منذ خمس عشرة سنة وصفاً لا يوصف بهِ الاَّ اعاظم الملوك واعدلهم فقال انهُ كريم جوّاد يهتم بخير رعيتهِ وليس بين الملوك من يجاريهِ في الجود على ذوي البأساء . لكنهُ ذكر في عرض ذلك ما يحسب مصدراً لسوء الاحكام وهو اهتمامهُ بالصغائر كما تقدّم فقال انهُ يهتم اشد الاهتمام بكل مسألة مهما كانت طفيفة .

وكذلك ده موسمبس اليوناني تغنّى بمدحهِ وقال انهُ سائر في خطة محمد الفاتح وسليمان القانوني وقد عضد العلوم والفنون وهو وديع انيس كريم مستنير ذكي الفؤاد عالي الهمة كثير الاشتغال بمهام السلطنة سديد الاحكام فيها .

وقال صموئيل كوكس سفير اميركا في تركيا انهُ ملك بكل معاني الكلمة ويستحق اعظم مدح على ما يبديهِ من المقدرة في سياسة بلادهِ والتوفيق بين شعوبها المختلفي الاجناس والمذاهب .

وقد كتب هذا السفير ذلك منذ ١٧ سنة . والظاهر ان اكثر الذين كتبوا عن السلطان عبد الحميد قبل المذابح الارمنية كانوا ميالين الى مدحهِ واطراء سياستهِ ولو ذكروا عرضاً كثرة اشتغالهِ واهتمامهِ بالمسائل الطفيفة . ويظهر من ذلك ان الاعمال الظاهرة

التي عملها في النصف الاول من سني ملكهِ كان اكثرها مما يمدح عليهِ وان الاعمال المذمومة التي حملهُ عليها خوفهُ على نفسهِ كقتلهِ لمدحت باشا كان يفعلها خفية ثم زاد خوفهُ على نفسهِ وايجاسهُ الشر فاكثر من استخدام الجواسيس وصار وسواسهُ هذا يزيدهُ اقداماً على الفتك بالذين يخاف منهم والفتك بهم يزيدهُ خوفاً ووسواساً · مرض عصبي استولى عليهِ وزادهُ المقربون منهُ مرضاً بحيلهم ووشاياتهم واكاذيبهم · ولقد صدق بتلقيبهم بالخونة ولعلهُ كان يعلم دائماً انهم كذلك ولكنهُ كان يخشاهم ولا يستطيع التخلص من استهوائهم · وكيف يستطيع وهو مصاب بالضعف العصبي (Neurasthenia) كما قال احد اطبائهِ وبالارق المزمن وبالخوف من الاغتيال حتى صار يحسب ان الناس لا يأتمرون الاَّ على قتلهِ فيلقون القنابل في طريقهِ ويحفرون الاسراب تحت الارض للوصول اليهِ · وان صحَّ ما روي عنهُ من انهُ قتل ابنة صغيرة من بناتهِ مخافة ان تكون قاصدة اغتيالهُ فذلك وحدهُ كافٍ لتفسير كل اعمالهِ

وما ابتلاؤهُ بهذا النوع من الجنون باغرب من صبر اعوانهِ عليهِ وتسابقهم الى الانتفاع من وسواسهِ وهم يرون بعيونهم ما حلَّ بالسلطنة ولا يأتمنون على انفسهم يوماً بين يديهِ واذا تيسَّر لاحد منهم الفرار من الاستانة او الخروج منها لم يعد اليها مهما اغري بالمواعيد · وهل انقرض اولئك الاعوان الآن اوَ لا يخشى انهم يتقرَّبون الى السلطان الجديد بمثل ما تقربوا بهِ الى السلطان المخلوع · قرأنا بالامس خرافة نُشرت في جريدة عربيَّة بمدينة باريس يظهر لقارئها ان كاتبها يقصد ان يتوسَّل بها الى ايهام جلالة السلطان بصحة معرفة الطوالع وصدق الخزعبلات · والاوهام التي من هذا القبيل قد تجوز على عقول العلماء فلا عجب اذا جازت على عقول ملوك المشرق الذين ليس لهم حظ كبير من درس العلوم الطبيعيَّة والبحث عن نقض الخرافات ولذلك لاضمان للامة العثمانية الاَّ اذا تولَّت احكامها وزارة قوية رشيدة من مجلس نواب يضم نخبة رجالها المتعلمين المتنورين

لكنَّ ما نقرأهُ عن جلالة السلطان محمد الخامس يحقق لنا انهُ يكون سلطاناً دستوريًّا بحتاً فقد روي انهُ قال لوفد من اعيان مدينة بروسه تقدموا مني فان الرعية يجب ان تكون متصلة بسلطانها غير منحازة عنهُ · وقال لهم ايضاً ان الامة تجد السلطان دائماً ولكن السلطان لا يجدها دائماً فاذا سار على هذه الخطة دائماً ولم يقرب الاَّ الاكفاء المخلصين للوطن حقق فيهِ امال رعيتهِ

بلاد الفرس ومستقبلها

حيينا الدستور الفارسي قبلما حيينا الدستور العثماني ولكن قضي على دستور الفرس ان يجتاز النار هو ورجالهُ قبل ان يعود الشاه الى الاعتراف بهِ كما قضي على الدستور العثماني ان يقوم في سبيلهِ فتنة كبيرة تهرق فيها دماء عشرات الالوف من الابرياء قبل ان تكف يد العدوان عنهُ . ولا تزال البلادان حتى كتابة هذه السطور تمخضان وقد تخرجان فائزتين فيتغلب الحق على الباطل والعدلُ على الظلم والرعية البرية على الرعاة الظالمين . وقد يقضى عليهما فيعود الاستبداد الى سالف عهدهِ

مساحة بلاد الفرس نحو ٦٣٠٠٠٠ ميل مربع اي اكثر من ثلاثة اضعاف فرنسا وستة اضعاف انكلترا . وعدد سكانها غير معروف تماماً ولكنهُ يقدَّر تقديراً بنحو تسعة ملايين ونصف من النفوس فهي اقل سكاناً من القطر المصري . وايراد حكومتها السنوي نحو مليون وستمئة الف جنيه اي نحو عشر ايراد القطر المصري ومع ذلك لا يزال الشاه يلقب نفسهُ ويلقبهُ رعاياهُ بكل الفاب التفخيم والتمجيد الموروثة من العصور الغابرة كشاهنشاه وظل الله وكعبة العالم وينبوع العلم وسراط السماء والسلطان الاعظم الذي علَمهُ الشمس وجنودهُ كالنجوم عدًّا الى غير ذلك من الطنطنات الفارغة التي نودُّ ان يترفَّع جلالتهُ عنها ويعود الى معنى كلمة ملك الحقيقي وهو خادم الرعية لا معبودها

وكانت بلاد الفرس في سالف عهدها من اعظم ممالك المشرق وقام فيها ملوك عظام مثل قورش وكمبيسس وداريوس قادوا الفيالق ودوخوا الممالك وفي جملة ما امتلكوهُ عنوةً القطر المصري كلهُ وذلك منذ الفين وخمس مئة سنة وامتدَّ ملكهم من بلاد الهند شرقاً الى اقصى اسيا غرباً والى جانب كبير من شمالي افريقية . والبلاد التي انجبت مثل قورش ودرايوس في القرون الغابرة وكسرى في القرن السادس وشاه عباس في القرن السابع عشر لا يستغرب ان تصير من الممالك العظيمة لاسيا وان الشعب الفارسي من ارومة الشعوب الاوربيَّة وهو اصل لها في رأي كثيرين من الباحثين في اصل الامم

والارض كثيرة الخيرات شديدة الخصب حيث توجد المياه لريها لكن وسائل الريّ قليلة ولذلك فالجانب الاكبر منها قاحل . ويزرع في ما يروى منها القمح والشعير وسائر الحبوب والارز والسكر والتبغ والقطن والفوَّة والخشخاش والحناء ويربى فيها دود الحرير وكان يصدر منها من الحرير ما ثمنهُ سبع مئة الف جنيه . ويكثر فيها الكرم والزيتون

واثمارها يضرب المثل بجودتها كالتفاح والاجاص والبندق والجوز والخوخ والدراقن والشمام . ومواشيها كثيرة من البقر والغنم والمعزى والجمال والخيل والبغال وفيها غابات واسعة جدًّا اكثر اشجارها السنديان

ويصدر منها الحرير والافيون وصمغ الكثيراء والبسط الفارسية وقد بلغت قيمة الصادرات منها سنة ١٩٠٦ نحو خمسة ملايين من الجنيهات وهاك جدول اخصها

القطن	٨١٦١٤٠ جنيهاً	الاثمار	٦٩٨٥٨٠ جنيهاً
الصوف	" ٣٦٤١٦٠	السمك	" ٧٨٥٦٢٠
المنسوجات الصوفية	" ٧٥٤٠٨٠	الصمغ	" ١٨١٢٦٠
شرانق الحرير	" ٢٧١٥٢٤	الافيون	" ١٠٩٢٠٠
الرز	" ٦١٨٦٣٠	الجلود	" ٢٥٣٧٤٠

وشرعوا في زرع الشاي فيها سنة ١٩٠١ فزرع منهُ مليون شجيرة واصدروا منهُ سنة ١٩٠٦ ما ثمنهُ ١٨٣٦٠ جنيه ولكن الحوادث الاخيرة كادت تقضي على هذهِ الزراعة

ومعادن البلاد كثيرة فمنها الرصاص والنحاس في كل ولاياتها وفي معدن الرصاص كثير من الفضة . وفيها القصدير والانتيمون والنكل والكوبلت والمنغنيس والحديد والفحم الحجري والملح والكبريت والبترول والفيروز . فالبلاد في حالتها الطبيعية معدَّة للزراعة والصناعة ولاهاليها ذوق خاص في اتقان المصنوعات

وتبلغ قيمة وارداتها الآن نحو ستة ملايين من الجنيهات وقيمة صادراتها نحو خمسة ملايين من الجنيهات كما تقدم وليس على البلاد ديون باهظة . والايرانيون المنتشرون في اقطار المسكونة شرقاً وغرباً من اغنى التجار والصنّاع فاذا أُصلحت حكومة بلادهم حتى صاروا يفتخرون بها فلا يبعد انهم يساعدونها باموالهم كما يساعد اليونانيون دولتهم . وهم اهل جد ونشاط و يبلغنا ان جمهور الايرانيين مثلهم من هذا القبيل . ولقد ادهشنا من احدهم انهُ كاتب المقتطف من تبريز باحثاً في مسألة علمية رآها فيهِ والمدينة تحت الحصار مهدَّدة بالسيف والجوع . وامة يكون فيها مثل ذلك الرجل واضرابهِ من محبي العلم الذين حظي المقتطف لديهم اكبر حظوة لا يعزُّ عليها ان تصير في مصاف الممالك العظيمة اذا أُحسنت سياستها وان تعود الى سالف مجدها بهمة رجالها . ولكن اذا بقي حكامها على ما هم فيهِ من ارهاق الرعية فقد قسمت البلاد شطرين منذ الآن شطر لروسيا وشطر لانكلترا والله يورث الارض عبادهُ الصالحين

الغزالي

(تابع ما قبله)

آراء الغزالي في العلوم الاسلامية لعهده

بيّنا في ما اسلفنا ان الوسط الذي عاش فيهِ الغزالي كان العظمة والنبوغ فيهِ بالتبريز في علم الفقه والتوحيد والمهارة في الجدل حتى يشهد لهُ الخصوم وتخضع الاقران وكان لعهدهِ فريق اتخذ الفلسفة شعارًا فاضاع في الخوض فيها زمنًا وكان معظمها من الفلسفة اللفظية التي لا تحق حقًا ولا تبطل باطلاً بل تزيد الفرقة وتقطع الوصلة. وقد قسمت هذه العلوم الثلاثة المسلمين الى فرق شتى يستجهل كل منها المكروه بالآخر. فهاج الفقه والجدل فيهِ هائج العصبية بين الشافعية والحنفية في بلاد العراق حتى كان ذلك في بعض الاحايين داعية الفتن والخروج عن الجادة والالفة الاسلامية . وانما عصم الله المالكية من الخوض في هذه الغمرات لانهم كانوا بعيدين عن دنيا اهل العراق لا يشركونهم في شيء منها وحب الدنيا كما تعلمون رأس كل خطيئة. وكانت بلاد المغرب والاندلس للمالكية خاصة ليس لاحد من غيرهم فيها كبير شأن . وهاج التوحيد والجدل فيهِ عصبية جلّى بين الاشعرية والمعتزلة ثم بين المعتزلة بعضهم مع بعض ثم بين الفلاسفة وجميع هؤلاء وبين الاشعرية والحنابلة ببغداد لما كان لهؤلاء من القول بالتشبيه الذي لا يقول بهِ اتباع الاشعري. وكانت تستعر الفتن بين الفريقين حتى تمسي بغداد منهم على خطر . انبرى الغزالي لتهجين ذلك كله وانهُ ليس مما يوصل الى الله و يطهر القلب ويجعل الانسان انسانًا كاملاً . فقال ان ما يفيد الانسان هو الكلام في جهاد النفس وتحليتها بجميل الاخلاق وتخليتها عن دنس الاخلاق . فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو العلم الحق وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة . ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص او عن التوكل او وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيهِ ولو سألتهُ عن اللعان والظهار لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقض الدهور ولا يحتاج الى شيء منها لا يزال يتعب ليلاً ونهارًا في حفظها ودرسها و يغفل عما هو مهم في نفسهِ في الدين واذا روجع فيهِ قال اشتغلت بهِ لانهُ علم الدين وفرض الكفاية و يلبس على نفسهِ وعلى غيرهِ في تعلمهِ. والفطن يعلم انهُ لو كان غرضهُ اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليهِ فرض العين بل قدم عليهِ

كثيراً من فروض الكفايات. فكم من بلد ليس فيهِ طبيب الاَّ من اهل الذمة ثم لا نرى احداً يشتغل بهِ ويتهاترون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام بهِ جماعة واهمال ما لا قائم بهِ. هل لهذا سبب الاَّ ان الطب ليس يتيسر بهِ الوصول الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة اموال الايتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم بهِ على الاقران والتسلط بهِ على الاعداء

ثم ضرب المتكلمين ضربة هي اشد من هذه وانكى فقال ان حاصل ما يشتمل عليهِ الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليها وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض في ما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منهُ مألوفاً في العصر الاول وكان الخوض فيهِ بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمهُ اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبهاً ورتبوا فيها كلاماً مؤلفاً فصار ذلك المحظور بحكم الضرورة مأذوناً فيهِ بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل بهِ المبتدع اذا قصد الدعوة على البدعة وذلك الى حد محدود. ثم قال ان معرفة الله وصفاتهِ وافعالهِ لا تحصل من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجاباً عليهِ ومانعاً منهُ وانما الوصول اليهِ بالمجاهدة

ثم اورد على نفسهِ اعتراضاً وهو كيف تنزّل بهذين العلمين الفقه والتوحيد الى هذا الحد مع ان علماء الامة المشهورين بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين . واجاب عن ذلك بقولهِ اعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهلهُ ان كنت سالكاً طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منزلتهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها

بحث الغزالي عن الاسباب التي دعت لشيوع المناظرة والجدل بين الفقهاء والمتكلمين لان الاشياء اذا ظهرت للناس اسبابها وكانت اسباباً مزرية سهل رجوع الناس عنها فقال لما انتقل امر الخلافة الى من لم يكونوا في انفسهم فقهاء احتاجوا الى من يعينهم من الفقهاء

ليولوهم القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلاً الى درك العز ونيل الجاه من قبل الولاة فاكبوا على الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات وكان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليهما في الولايات والحكومات . ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسهُ الى سماع الحجج فيها فغلبت رغبتهُ الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيهِ التصانيف ورتبوا فيهِ طرق المجادلات وزعموا ان غرضهم الذب عن الدين والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان قصدهم من الاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم . ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيهِ لما كان قد تولد من فتح بابهِ من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية والمفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب وتمهيد اصول الفتاوى وهم مستمرون عليهِ الى اليوم . ولسنا ندري ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار . فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلاف والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضاً معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا بهِ هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

ورأى المناظرين قد يلبسون على الناس للرفع من قيمة مناظراتهم وانها كان يفعلها السلف من الصحابة والكبار من الفقهاء لاحقاق الحق فقال ان الوصول الى الحق محمود فالمناظرة التي تؤدي اليهِ محمودة ولكن جعل لذلك شروطاً هي مبادئ سامية لكل مناظر ولا يمكنهم ان يدعوا الاتصاف بها .

(١) ان لا يشتغل بها وهي من فروض الكفاية من لم يتفرغ من فروض الاعيان فان من عليهِ فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم ان مقصدهُ الحق فهو كذاب ومثلهُ من يترك الصلاة في نفسهِ ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي استر من يصلي عرياناً ولا يجد ثوباً فان ذلك ربما يتفق ووقوعهُ ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق

(٢) ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان رأى ما هو اهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء واشتغل بتعلم الحجامة وزعم انهُ من فروض الكفاية ولو خلا البلد عنها لهلك الناس واذا قيل لهُ ان في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج الفعل عن كونهِ فرض كفاية . فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات لا قائم بها

(٣) ان يكون المناظر مجتهدًا يفتي برأيهِ لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة حتى اذا ظهر لهُ الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وافتى بما ظهر لهُ كما كان يفعل الصحابة والائمة فاما من ليس لهُ رتبة الاجتهاد وهو حكم كل اهل العصر وانما يفتي فيما يسأل عنهُ ناقلاً عن مذهب صاحبهِ فلو ظهر لهُ ضعف مذهبهِ لم يجز لهُ ان يتركهُ فاي فائدة لهُ في المناظرة ومذهبهُ معلوم وليس لهُ الفتوى بغيرهِ وما يشكل عليهِ يلزمهُ ان يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابًا عن هذا فاني لست مستقلاً بالاجتهاد في اصل الشرع

(٤) ان لا يناظر الا في مسألة واقعة او قريبة من الوقوع غالبًا . ولا نرى المتناظرين يهتمون بالمسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيف كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعهُ ويقولون هذه مسألة خبرية او هي من الزوايا وليست من الطبوليات . فمن العجائب ان يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لما ذكروا والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول

(٥) ان تكون المناظرة في الخلوة احب اليهِ واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للفهم واحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسهِ محقًا كان او مبطلاً وانت تعلم ان حرصهم على المجامع والمحافل ليس لله وان الواحد منهم يخلو بصاحبهِ مدة طويلة فلا يكلمهُ وربما يقترح عليهِ فلا يجيب واذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعًا حتى يكون هو المتخصص بالكلام

(٦) ان يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يدهِ او على يد من يعاونهُ ويرى رفيقهُ معينًا لا خصمًا ويشكرهُ اذا عرَّفهُ الخطأ واظهر لهُ الحق كما لو اخذ طريقًا في طلب ضالة فنبههُ صاحبهُ على ضالتهِ في طريق آخر فانهُ كان يشكرهُ ولا يذمهُ ويكرمهُ ويفرح بهِ اما المناظرون اليوم فانت ترى كيف يسود وجه احدهم اذا

انفضح الحق على لسان خصمهِ وكيف يخجل بهِ وكيف يجتهد في مجاحدتهِ بأقصى قدرتهِ وكيف يذم من افحمهُ طول عمرهِ

(٧) ان لا يمنع معينهُ في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال ويخرج من كلامهِ جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما لهُ وعليهِ كقولهِ هذا لا يلزمني ذكرهُ وهذا يناقضهُ كلامك الاول فلا يقبل منك . فان الرجوع الى الحق مناقض للباطل يجب قبولهُ وانت ترى جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل بعلة يظنها فيقال لهُ ما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح منهُ واولى فاذكرهُ حتى انظر فيهِ فيصر المعترض ويقول فيهِ معان سوى ما ذكرتهُ وقد عرفتها ولا اذكرها اذ لا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ايراد ما تدعيهِ وراء هذا و يصر المعترض على انهُ لا يلزمهُ و يتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وامثالهِ ولا يدري المسكين ان قولهُ اعرفهُ ولا اذكرهُ اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانهُ ان كان لا يعرف معناهُ وانما يدعيهِ ليعجز خصمهِ فهو فاسق كذاب عصي الله وتعرض لسخطهِ بدعواهُ معرفة هو خالٍ عنها وان كان صادقاً فقد فسق باخفائهِ ما عرف من امر الشرع بعد ان سئل عنهُ . فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابتدعناهُ بحكم التشهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني

(٨) ان يناظر من يتوقع الاستفادة ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفاً من ظهور الحق على السنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعاً في ترويج الباطل عليهم

هذه هي المبادىء السامية التي وضعها هذا الامام الحجة الثبت للمناظرة بعد ان بين اسبابها واضرارها وعلاجها كما هو شأن الباحثين الذين يريدون الخير بامهم ولكننا بالاسف لم نستفد كثيراً من هذه التعاليم بل بقينا كما كنا لان مظاهر الدنيا غطت على البصائر والابصار

يقول هذا الامام بعد ان ادلى بحجتهِ واعلم ان من لا يناظر الشيطان وهو مستولٍ على قلبهِ وهو اعدى عدو لهُ ولا يزال يدعوهُ الى هلاكهِ ثم يشتغل بمناظرة غيرهِ في المسائل التي المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين

تكلم الغزالي عن التعليم والتعلم فوضع للمتعلم والمعلم اساساً يبنيان عليها ما يريدان ان يشتغلا به وهي على ما نظن من خير المبادىء التي اخرجها الفكر للناس ومعظمها في التعليم العالي الذي كان الغزالي يشتغل بهِ قال رحمهُ الله مما يلزم المتعلم

(١) ان يتقدم طهارة نفسهِ عن رذائل الاخلاق فان كان الطالب رديءَ الخلق ما ابعدهُ عن العلم الحقيقي النافع . ومهما كان الخلق رديئاً فان التعاليم الفنية لا تزيد صاحبهُ الأ رداءة وخبثاً

(٢) ان لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم و يلقي زمام امرهِ بالكلية اليهِ في كل تفصيل و يذعن لنصحهِ اذعان المريض الجاهل للطبيب المتنور الحاذق و ينبغي ان يتواضع لمعلمهِ و يطلب الثواب والشرف بخدمتهِ ولا ينبغي ان يسألهُ الأ اذا اذن لهُ فان سوءال الطالب عما لم تبلغ مرتبتهُ اليهِ مذموم

(٣) ان يحترز الخائض في العلم في مبدإِ الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيهِ من علوم الدنيا ام من علوم الآخرة وذلك يدهش عقلهُ ويحير ذهنهُ ويفتر رأيهُ ويوئسهُ عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولاً الطريقة الواحدة المرضية عند استاذهِ ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذهُ مستقلاً باختيار رأي واحد وانما عادتهُ نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منهُ فان اضلالهُ اكثر من ارشادهِ فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حالهُ يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل

(٤) ان لا يدع الطالب فناً من الفنون المحمودة ولا نوعاً من انواعهِ الا وينظر فيهِ نظراً يطلع بهِ على مقاصدهِ وغايتهِ ثم ان ساعدهُ العمر طلب التبحر فيهِ واستوفاهُ وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منهُ في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهلهِ فان الناس اعداء لما جهلوا

(٥) ان لا يخوض في فن من الفنون دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالاهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم فالحزم ان يأخذ من كل شيء احسنهُ

(٦) ان لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبلهُ فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج

(٧) ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنهِ وتجميلهُ بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانهُ ولا يقصد بهِ الرئاسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباراة الاقران

اما ما يلزم المرشد المعلم فهو.

(١) الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيهِ

(٢) ان لا يطلب على افادة العلم اجراً ولا يقصد بهِ جزاء ولا شكراً بل يعلم لوجه الله خالصاً وان لا يرى لنفسهِ منة على طلبة وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم

اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزرع العلوم فيها

(٣) ان لا يدع من نصح المتعلم شيئاً وذلك بان يمنعهُ من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي

(٤) وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار

(٥) ان المتكفل ببعض العلوم ينبغي لهُ ان لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادتهُ تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادتهُ تقبيح علم الحديث والتفسير ومعلم الكلام ينفر عن الفقه فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب والمتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره

(٦) ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمهِ فلا يلقي اليهِ ما لا يبلغهُ عقلهُ فينفرهُ او يخبط عليهِ عقلهُ

(٧) ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقي اليهِ الجلي اللائق بهِ ولا يذكر لهُ ان وراء هذا تدقيقاً وهو يدخرهُ عنهُ فان ذلك يفتر رغبتهُ في الجلي ويشوش عليهِ قلبهُ ويوهم اليهِ البخل بهِ عنهُ اذ يظن كل احد انهُ اهل لكل علم دقيق فما من احد الا وهو راضٍ عن الله سبحانهُ في كمال عقلهِ واشدهم حماقة واضعفهم عقلاً هو افرحهم بكمال عقلهِ

(٨) ان يكون المعلم عاملاً بعلمهِ فلا يكذب قولهُ فعلهُ وكل من تناول شيئاً وقال الناس لا تتناولوهُ فانهُ سم ذعاف سخر الناس بهِ واتهموهُ وزاد حرصهم على ما نهوا عنهُ

هذا ايها السادة طرف من تعليم هذا الرجل في القرن الخامس من الهجرة . ومما يؤسف لهُ في حياة هذه الامة البائسة ان وجد فيها كثير من ارباب الفكر الذين ازاحوا عن اعناقهم نير التقليد بما ادنوهُ من قوة العقل ورباطة الجأش ولكن تعاليمهم لا تلبث ان يأتي عليها الزمن فتمحى كامس الدابر ولا يكون للخلف نصير يهذب قواعدها ويدعو الناس الى العمل بها . ويا ليت ان المنكرين يخلصون لا عليهم ولا لهم بل الامر بالعكس فان كتب الغزالي طالما لقيت اضطهاداً حتى في المدن المستنيرة فقد احرقت في رابعة النهار بمدينة المرية احدى حواضر الاندلس وجعلهُ من ترجمهُ موضوعاً للقادحين والمادحين فهذا يقول زائغ ملحد وآخر يقول بل مؤمن محقق ويطلون في ابحاث الالفاظ حتى يضيقوا الخناق على من يقرأ كلامهم اما الموضوع والتعاليم فقلما يبحثون فيها . ولذلك قلما تكون لتعاليم النابغين

آثار عملية في حياة هذه الامة ويعتقد كثير من الناس ان حياتهم لا تدوم الاَّ بمصادمة كل ذي فكرة يرى فيها صلاحاً لأمتهِ فيختلقون لهُ العراقيل ويتهمونهُ بما شاؤُوا من التهم واذا اعوزتهم الحيلة جاءُوا من قبل الدين فيمثلونهُ للعامة بصورة تقشعر منها الابدان ولولا انَّ الغزالي كان يظهر للناس آراءهُ وهو بعيد من دنيا اهل السوء حينما نفى عليهم مذاهبهم لنالهُ منهم شر كثير

وبالجملة فانا نرى الغزالي قد ارتفع كثيرًا عن الوسط الذي عاش فيهِ وابدى آراءهُ بكثير من الصراحة وان لم يمكنا ان نقول بكل الصراحة

آراء الغزالي في النفس

الغزالي كان جل ما يسعى اليهِ هو الفضيلة والتحلي بها ومن هذا شأنهُ لابد لهُ من كلمة في النفس والتي اري آراءهُ فيها نضجت من قبل التصوف المصحوب بالنقل عن الدين وهو من ابحاثهِ بعيد عن التشريح (التحليل) الفلسفي وهو ما اهتم بهِ المتقدمون من الفلاسفة وقليل من متاخريهم كما انهُ بعيد عن التشريح العملي وهو ما يميل اليهِ كثير من فلاسفة الغربيين الآن

قال الغزالي ان هناك اربعة من الاسامي تختلف مسمياتها القلب والنفس والروح والعقل

فاما القلب فحقيقتهُ الجسمية معلومة وتستوي فيهِ الحيوانات . واما القلب المشار اليهِ بقولهِ تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان لهُ قلب او القى السمع وهو شهيد) فهو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان واما علاقتها بالقلب الجسماني فما حار فيهِ الغزالي او مما لم يرد اظهارهُ

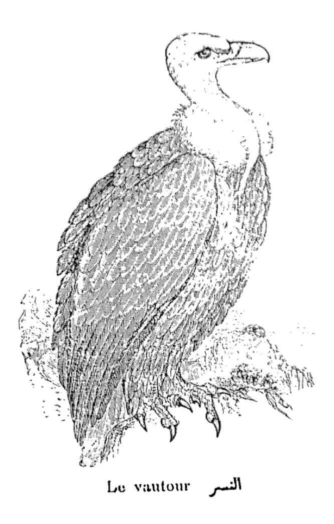
الروح يراد بها معنيان احدهما جسم لطيف منبعهُ تجويف القلب فينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن وجريانهُ في البدن وفيضان انوار الحياة والحس منها على الاعضاء يشبه فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانهُ لا ينتهي الى جزء من البيت الاَّ ويستنير بهِ والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركتهُ في الباطن مثل حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركهِ — الثاني — هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو المعنى الثاني من معاني القلب

النفس يراد بها معنيان احدهما المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان — الثاني تلك اللطيفة التي هي الانسان بالحقيقة ولها اوصاف باختلاف احوالها فهي المطمئنة وهي اللوامة

العقل ذكر لهُ اربعة معانٍ — اولها — ذلك الوصف الذي استعد بهِ الانسان لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الغريزة او هو الاستعداد — ولا نظن



L'aigle العقاب



Le vautour النسر

احداً ينكر هذا المعنى حتى الماديين انفسهم — قال ونسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية — الثاني — العلوم الاولية التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز وقد صحح الغزالي هذا الاطلاق ونفى ان يكون العقل هو هذه العلوم لاغير — الثالث — العلوم المستفادة من التجارب — الرابع — ان تنتهي تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة . وسكت الغزالي بالمرة عن المخ وتلافيفه فلم يتكلم عليه بكلمة وكأنه اعتبره مجرد آلة للادراك كبقية الآلات تعمل في الجسم بتدبير الروح وهذا مما لا اجيز لنفسي الخوض فيه الا اذا كنت ممن يسيرون وراء الظنون والتخمينات .

اظن ايها السادة ان هذا القدر يظهر لحضراتكم الغزالي ونسبته الى الوسط الذي عاش فيه . وللرجل بعد تعاليم كثيرة في الاخلاق وتهذيب النفس وهو ما قصر تفسه عليه في آخر عمره ولا يفي وقتي بان اطيل عليكم فاكتفي بهذا القدر والسلام . محمد الخضري

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

◆ العُقاب ◆ Aquila. E. Eagle. F. Aigle طائرٌ من سباع الطير وهي اعظم الجوارح اي الكواسر ولا تقع على الجيف الا اذا عضها الجوع . قوية المخالب وسرولة اي في سافيها ريش ولها منسرٌ اي منقار قصير اعقف ولقبت بالشغواء والخوراء لتعقفه وزيادة اعلاه على اسفله .

◆ النَّسر ◆ Vultur. E. Vulture. F. Vautour طائر من سباع الطير لكنهُ ليس من عتاقها اي جوارحها بل يقع على الجيف وقلما يصيد وهو اعظم من العقاب شرهٌ نهم رغيب . لهُ منسرٌ طويل منعقف في طرفهِ فقط ولا ريش لهُ في رأسهِ وعنقهِ بل فيهما زَغَب ابيض قصير ولهُ بُرَائل اي ريشٌ مستدير باسفل عنقهِ . ساقاهُ عاريتان ولا مخالب لهُ بل اظفار ولا يقوى على جمع اظفارهِ وحمل فريستهِ بها كما تفعل العقاب بمخالبها . والنسور انواع كثيرة اشهرها الرخمة وسيأتي ذكرها وهذا الطائر الذي مرَّ وصفهُ وهو المعروف بالنسر عند العرب من عهد جاهليتهم الى يومنا ويعرف بهذا الاسم عند المتكلمين بالعربية من المغرب الاقصى الى العراق ومن الشام شمالاً الى اليمن والسودان جنوباً ويسميهِ علماء الحيوان Gyps fulvus وهو Vautour fauve بالفرنسوية و Griffon vulture بالانكليزية

وقد اخطأ كثيرون من المعرّبين والكتّاب المحدثين في التمييز بين هذين الطائرين ولعلّ السبب في ذلك ترجمة التوراة فلفظة النسر في الكتاب المقدّس يقابلها نَشْر بالعبرانية و Aetos باليونانية و Aquila باللاتينية و Aigle بالفرنسوية الخ . ولعلماء التوراة مباحث دقيقة في هذا الموضوع فالنسر يسمّى Gyps باليونانية و Vultur باللاتينية والعقاب Aetos باليونانية و Aquila باللاتينية غير ان بعض اليونانيين ومنهم نقلة التوراة الى اللغة اليونانية توسّعوا في لفظة Aetos واطلقوها على هذين الطائرين بدون تمييز بينهما وهي اللفظة المستعملة في ميخا ١ : ١٦ حيث قال " وسعّي قرعتك كالنسر " وفي متى ٢٤ : ٢٨ في قوله " حيث تكون الجثة فهناك تجتمع النسور " . فاللفظة العربية في محلها في هاتين الآيتين يقابلها لفظة نشر العبرانية في الآية الاولى واما اللفظة اليونانية فمن باب التوسع لان هذا الوصف لا ينطبق عليها بل على الطائر المسمى Gyps عندهم فالمسمى Aetos لا يقع على الجثث الاّ فيما ندر ولا هو اقرع . وقد قيل ان العبرانيين والعرب توسعوا في لفظة النسر ايضاً . اما كون العبرانيين فعلوا ذلك فلا اتعرّض لهُ والذي اعلمهُ ان العرب لم يفعلوا شيئاً من هذا فالنسر والعقاب عندهم طائران مختلفان من عهد شعراء الجاهلية الى يومنا هذا والاول يسميهِ الافرنج Vultur والثاني Aquila كما ساءبينهُ

وقد نبّه سافيني الى هذا الخطإِ في الترجمة منذ مئة عام تقريباً والمقتطف منذ خمس عشرة سنة (مجلد ١٨ صفحة ٦١٠) والاب انستاس الكرملي منذ ست سنوات (مجلة المشرق مجلد ٥ صفحة ٦٧٦) والترجمة خطأ في كثير من المعجمات التي بين ايدينا وهي خطأ في بادجر وصواب في لاين . بقي عليّ الآن ان ابين صحة الترجمة كما ذكرت فاقول

اولاً — لفظة Aetos اليونانية جاءت بمعنى العقاب العربية فهي كل مرتفع عالٍ لم يطل كثيراً مثل المسنّم والقمة وهي الراية ايضاً وهذان المعنيان من معاني العقاب العربية

ثانياً — قالوا ابصر من عقاب وقال الافرنج Avoir des yeux d'aigle

ثالثاً — قال العرب العقاب سيد الطيور وقال الافرنج L'aigle est le roi des oiseaux

رابعاً — الفلكيون من العرب سموا العقاب من صور السماء ما يسميهِ الافرنج[1] Aquila اما النسران عند العرب وهما النسر الطائر والنسر الواقع فهما خلاف العقاب فالاول كوكب في صورة العقاب ويسميهِ الافرنج Altair بلفظهِ العربي والثاني كوكب في صورة الشلياق المسماة Lyra عند الافرنج

---

(١) من لفظة اولاً الى هنا عن الاب انستاس الكرملي بتصرف قليل

خامساً — يسمى الأنف الاقنى عند الافرنج Aquiline تشبيهاً لهُ بمنسر العقاب لانهُ اكثر تعقفاً من منقار النسر وقد مرَّ بنا ان العقاب تلقب بالشغواء والخوَّاء لتعقف منقارها

سادساً — كانت العقاب راية قريش وراية صاحب الشريعة الاسلامية. وفي قصة عنترة كانت راية بني عبس ايضاً ولم يذكر التاريخ فيما اعلمهُ ان صورة العقاب كانت مرسومة على هذه الرايات لكنها كانت مرسومة على رايات الفرس والرومان Aquila والفرنسويين في زمن الامبراطوريتين Aigle ولم يسمع ان العرب او غيرهم اتخذوا النسر رايةً لم لانهُ من لئام الطير . والعقاب شعار بروسيا والنمسا وروسيا وغيرها والعقاب المزدوجة الرأس في شعار روسيا يسميها الفرس عقاب دوسر اي العقاب ذات الرأسين . وقول الجرائد نشان النسر الاسود او الاحمر خطأٌ وصوابهُ نشان العقاب السوداء او الحمراء ، ولا ريب ان امبراطور الالمان يأنف ان يكون النسر شعارًا لمملكتهِ ، والعقاب لقب بهاء الدين قره قوش خادم صلاح الدين ومعنى قره قوش بالتركية عقاب (ابن خلكان) ويترجمونها Aigle بالفرنسوية فالعقاب عند العرب رمز البأس والقوة وهي كذلك عند الافرنج

سابعاً — جاء في كتاب الحيوان للجاحظ ما نصهُ "زعم صاحب المنطق (اي ارسطو) انهُ ليس شيءٌ في الطير اجفى لفراخهِ من العقاب وانهُ لا بد من ان يُخرج واحداً وربما طردهنَّ جميعاً حتى يجيءُ طائر يسمى كاسر العظام فيتكفل بهِ " . وقد اصاب الجاحظ في نسبتهِ هذا القول الى ارسطو كما يتبين لدى المراجعة (كتاب النعوت ٦ : ٦ : ١) فالعبارة منقولة بالحرف الواحد تقريباً واللفظة اليونانية التي عرّبت بالعقاب هي Aetos اي Aquila باللاتينية

ثامناً — تطلق لفظة النسر في العراق والشام ومصر والسودان وبلاد العرب والمغرب في يومنا على هذا الطائر الاصلع الرأس الذي يسميهِ الافرنج Vultur ولفظة العقاب على هذا الطائر الشبيه بالصقر او البازي المسمى Aquila عند الافرنج وقد ذكر ذلك كثيرٌ من السياح وعلماء الحيوان مثل سافيني وبروس وترسترام وبرتون ودوطي وغيرهم اي كما سمعوا هاتين اللفظتين من اهالي البلاد التي مرّوا فيها وهي الترجمة التي عوَّل عليها كبار المستشرقين مثل لكلارك في نقلهِ مفردات ابن البيطار الى اللغة الفرنسوية ولاين صاحب المعجم المشهور وجايكر مترجم حياة الحيوان الكبرى وقد نبّه سافيني الى كثرة الخطاء في ترجمة هذه اللفظة فقال ما تعريبهُ " الطائر المسمى Griffon هو النسر المذكور في الدميري وهو يعرف بالنسر عند عامة المصريين وكانت لفظة النسر تترجم بلفظة Aquila غير ان الاعراب وعلماء الطبيعيات عند العرب يطلقونها على ما نسميهِ Vautour (وصف مصر مجلد ٢٣ صفحة ٢٣٦) . .

تاسعاً — وصف النسر في كلام العرب والمؤلفات العربية ينطبق على ما نسميهِ نسراً في وقتنا الحاضر وعلى ما يسميهِ الافرنج Vultur ووصف العقاب ينطبق على ما نسميهِ عقاباً ويسميهِ الافرنج Aquila . قال ابن المقفع في كتاب كليلة ودمنة " خير السلاطين من اشبه النسر وحوله الجيف لا من اشبه الجيفة وحولها النسور " وقال الجاحظ في كتاب الحيوان " والرخم والنسر سباع وانما قصر بها عدم السلاح فاما البدن والقوة فيفوق جميع الجوارح ولكنها في معنى الدجاج لمكان البرائن ولعدم المخالب " . وقال ايضاً " النسر طائر ثقيل عظيم شرهٌ رغيب نهم فاذا سقط على الجيفة وتملأ لم يستطع الطيران حتى يثب وثبات ثم يدور حول مسقطهِ مراراً ويسقط في ذلك فلا يزال يرفع نفسهُ طبقة طبقة في الهواء حتى يدخل تحتهُ الريح ... وهو ليس بذي مخلب وانما لهُ اظفار كاظفار الدجاج " . وفي الدميري والقزويني شيءٌ مثل هذا وبعضهُ منقول عن الجاحظ . وقد وصف بعضهم بياض رأس النسر في قولهِ

ورجعتُ من بعد الشباب وعصرهِ شيخاً ازبَّ كأنهُ نسرُ

وقال النابغة يصف النسور خلف الجيش مشبهاً لها بالشيوخ على اكتافها فراء من جلود الارانب

تراهن خلف القوم خزراً عيونها جلوس الشيوخ في ثياب المرانبِ

ولامرأة في قتيل تصف مشية النسور اليهِ

تمشي النسور اليهِ وهي لاهيةٌ مشيَ العذارى عليهنَّ الجلابيبُ

وللمتنبي في وصف النسر

يفدّي اتمُّ الطير عمراً سلاحهُ نسورُ الفلا احداثها والقشاعمُ

وما ضرّها خلقٌ بغير مخالبٍ وقد خُلقت اسيافهُ والقوائمُ

وفي لسان العرب " النسر طائرٌ معروف زعم ابو حنيفة (اللغوي) انهُ من العتاق قال ابن سيده ولا ادري كيف ذلك .. ويقال النسر لا مخلب لهُ وانما لهُ الظفر كظفر الدجاجة والغراب والرخمة "

اما العقاب فهي من الجوارح اي التي تصيد . قالوا هوت العقاب اذا انقضّت على صيدٍ او نحوه . قال ابن سيده في المخصص " واعظم الجوارح العقاب وليس بعد النسر من الطير اعظم منها وهي سوداء دجوجيّة .... ذكور العقبان من طيرٍ آخر لطاف الجروم لا تساوي

شيئاً (١) والعقاب تصيد الناس يربونها " . وفي لسان العرب " قال ابن الاعرابي عتاق الطير العقبان وسباع الطير التي لا تصيد " وهذا الوصف لا يصدق الأ على ما يسميه الافرنج Aquila وكان الافرنج يصيدون بها ايضاً ولم يسمع ان العرب كانت تصيد بالنسر . وقد يرد ذكر العقاب وصيدها في كثير من اشعارهم . قال بعضهم

كأني بين خافيتي عقاب اصاب حمامةً في يوم غين

ومن الشعر المنحول الى امرىء القيس قصيدة يصف بها فرسهُ مشبهاً لها بالعقاب ولا بأس بايراد الابيات التي يصف بها العقاب لانهُ لم يرد منها في دواوين امرىء القيس المطبوعة الأ البيت الاول فقط والابيات هي

كأنها (٢) حين فاض الماء واحتفلت — سفعاء (٣) لاح لها بالقفرة الذيبُ
فابصرت شخصهُ من رأس مرقبةٍ — ودون موقعها منهُ شناخيبُ (٤)
فاقبلت نحوهُ في الجوّ كاسرةً — يحثها من هويّ الريح تصويبُ
صبّت عليهِ ولم تنصبّ من أمَمٍ (٥) — انّ البلاء على الأشقين مصبوبُ
كالدلو بُتّت عُراها وهي مثقلةٌ — وخانها وَذَمٌ منها وتكريبُ (٦)
لا كالتي في هواء الجوّ طالبةٌ — ولا كهذا الذي في الارض مطلوبُ
كالبرق والريح مرآتاهما عجبٌ — ما في اجتهادٍ عن الإسراع تغييبُ (٧)
فادركتهُ فنالتهُ مخالبها — فانسلّ من تحتها والدفّ منقوبُ (٨)
يلوذ بالصخر منها بعد ما فترت — منها ومنهُ على الصخر الشآبيبُ (٩)
ثم استغاث بدحلٍ وهي تعفرهُ — وبالسان وبالشدقين تتريبُ (١٠)
ما اخطأتهُ المنايا قيسَ أنملةٍ — ولا تحرّز الأ وهو مكروبُ (١١)
فظلّ منجحراً منها يراصدها — ويرقب الليل انّ العيش محبوبُ

اصلاح خطأ — جاء في العدد الماضي " فرن المرزيت يأتي في الكركدّن " وصوابها يأتي في الكركدّن وعليهِ تسقط العبارة التي بعدها والخطأ الاصلي في تذكرة داود الانطاكي التي اخذت عنها واني اشكر الشيخ عبد القادر المغربي لانهُ نبهني الى ذلك

---

(١) قوله ان ذكور العقبان اصغر من اناثها صحيح لكن الفرق ليس عظيماً كما يفهم من كلامه
(٢) اي فرسهُ (٣) وفي رواية اخرى فتخاء وكلاهما يعني العقاب (٤) الشنخوب اعلى الجبل
(٥) قرب (٦) شبه سقوطها عليه كالدلو قطعت عراها وحبالها وهي مثقلة بالماء (٧) تقصير وفتور
(٨) اي الجنب مثقوب بمخالبها (٩) اي دفعات الدم مثل شؤبوب المطر (١٠) الدحل نقب في الارض فمهُ ضيق واسفلهُ متسع والتتريب التلطيخ بالتراب (١١) المكروب الذي قد اشرف على الموت

المعادن وما يستخرج منها

كان عصر لم يكن الناس يعرفون فيهِ غير الذهب والفضة والنحاس كما يظهر من آثارهم الباقية الى الآن وهو المعروف بفجر التاريخ وقد مضى عليهِ الآن نحو عشرة آلاف سنة . ثم عرفوا الحديد والقصدير والرصاص واستخرجوا الزيبق فصارت المعادن سبعة وهي غاية ما عرفوهُ وحسبوا أنها منتهى ما يمكن الوصول اليهِ لان العدد سبعة عدد كامل في عرفهم . فلما اتصل العلم بالعرب وارادوا الابقاء على كون المعادن سبعة اخرجوا منها الزيبق والقصدير واضافوا اليها الخارصيني عنوا بهِ البرنز والاسرب عنوا بهِ الرصاص او التوتيا كما سيجيء

قال الامام القزويني في عجائب المخلوقات ان المعادن الاصلية او الفلزات مركبة كلها من الزيبق والكبريت فاذا اختلط الزيبق بالكبريت الاصفر اختلاطاً تامًّا وكانا نقيين صافيين تكوَّن منها الذهب واذا كان الكبريت ابيض تكونت منها الفضة واذا اصاب المزيج برد قبل النضج تكوَّن الخارصيني وان كان الزيبق صافياً والكبريت رديئاً تولَّد النحاس وان كان الكبريت غير جيد المخالطة مع الزيبق تولَّد الرصاص وان كان الكبريت والزيبق رديئين ضعيفي التركيب تولَّد الاسرب. وزعم ان ذلك معروف بتجربة اهل الصناعة. وهو زعم فاسد كما لا يخفى لانهُ لم يتيسَّر لاحد حتى الآن ان يصنع معدناً من المعادن الاصلية بتركيبهِ من الزيبق والكبريت

والمعادن التي ذكرها القزويني معروفة الآن باسمائها الاّ الخارصيني والاسرب. و يظهر لنا انهُ اراد بالاول البرنز اي النحاس الممزوج بالقصدير لقولهِ ان معدنهُ بارض الصين وان نصلهُ شديد الصلابة يتخذ منهُ الكلاليب يصاد بها الحوت وتتخذ منهُ المرآة فان معدن القصدير كثير في بلاد الصين والنحاس الممزوج بهِ صلب جدًّا وتصنع منهُ النصال ورؤُوس السهام والمرايا الصينية. ولكن النحاس لا يمزج بالقصدير الصرف بل بحجارة فيها قصدير. و يحتمل انهُ اراد بالاسرب نوعاً من حجارة التوتيا بدليل قول ابن سينا انهُ اذا شدت صفيحة من الاسرب على الخنازير والغدد تذيبها وقول القزويني انهُ صنف اردأ من الرصاص لان مادتهُ اكثر وساخةً منهُ وقول اليونان والرومان ان التوتيا فساد او وسخ في الرصاص . وواضح مما تقدَّم ان القزويني لم يشر الى القصدير نفسهِ في كلامهِ على الخارصيني بل الى البرنز ولم يشر الى التوتيا في قولهِ الاسرب بل الى خليط منها او الى حجر من حجارة الرصاص

ويظهر لنا ان لفظة خار في كلمة خارصيني هي خلكوس اليونانية ومعناها النحاس وكلمة قصدير

العربيَّة يونانية الاصل وهي كاسترس باليونانية و يظهر من كلام بلينيوس ان الرومانيين لم يكونوا يميزون بين القصدير والرصاص بل كانوا يسمون الاول الرصاص الابيض والثاني الرصاص الاسود اذا ارادوا الفرق بينهما

ولا يعلم اي هذه المعادن كُشف اولاً ولكن يرجح ان الذهب كشف اولاً لانهُ يوجد صرفاً وكذلك الفضة والنحاس والزيبق . واتفق لبعض الصناع ان مزج النحاس بتراب فيهِ اصدير وهو يسبكهُ فكان منهُ مزيج شديد الصلابة وهو البرنز . والبرنز قديم جدًّا فقد وجدت قطع منهُ في اقدم الآثار المصرية اما الحديد وهو اكثر المعادن وجودًا بعد الالومنيوم فتأخر سبكهُ لانهُ لا يوجد صرفاً ولان سبكهُ يقتضي حرارة شديدة جدًّا وكان المظنون انهُ لم يعرف الأمنذ نحو ١٥٠٠ سنة ولكن يظهر من بعض المكتشفات الحديثة انهُ اقدم من ذلك كثيرًا ولعلَّ الناس عثروا اولاً على بعض الحجارة النيزكية التي اكثرها حديد صرف وتمكنوا من احمائها وتطريقها وعمل بعض الادوات منها ثم اكتشف الانتيمون والبزموت نحو سنة ١٤٥٠ والتوتيا المعدنية سنة ١٥٢٠ والزرنيخ سنة ١٦٩٤ والكوبلت والبلاتين سنة ١٧٣٥ والنكل سنة ١٧٥١ والمنغنيس سنة ١٧٧٤ والتنجستن والموليبدنوم سنة ١٧٨١ وتوالت سلسلة المكتشفات الى الآن

الآن المعادن التي يكثر استعمالها في الصناعة كثيرة الوجود في التجارة وهي احد عشر معدناً الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير والزيبق والتوتيا والنكل والبلاتين والالومنيوم . ويتلوها ستة معادن يمزج بها الحديد الآن وهي المنغنيس والتنجستن والموليبدنوم والتتانوم والكروم والفناديوم وستة اخرى تستعمل مركباتها بكثرة وهي البزموت والزرنيخ والكوبلت والاورانيوم والثوريوم والكدميوم وثلاثة تستعمل في الآلات التي تحتاج الى تدقيق كثير . ولا يزال نصف المعادن من غير فائدة تذكر ولكن قد توجد لهُ فوائد كبيرة فالليثيوم مثلاً اخف من الماء كثيرًا فاذا وجدت واسطة تقيهِ من التأكسد في الهواء فلا يبعد ان يستخدم لعمل آلات الطيران

ولدينا الآن آخر احصاء لما استخرج من هذه المعادن من المسكونة كلها سنة ١٩٠٦ وهو كما يلي

الذهب

كان مقدار ما استخرج من الذهب سنة ١٨٥٠ اي قبل اكتشاف مناجم كاليفورنيا ومناجم استراليا نحو ستين طنًّا والطن يساوي ١٢٠٥٧٢ جنيهاً ولذلك فالذهب الذي كان

يستخرج في السنة من مناجم الارض كلها لم يكن يزيد على سبعة ملايين وربع مليون من الجنيهات اما سنة ١٩٠٦ فبلغ المستخرج من مناجم الذهب كلها ٦٧٥ طنًّا او نحو ٨١ مليونًا من الجنيهات واكثرها من الاملاك الانكليزية كما ترى في هذا الجدول وقد ذكر فيهِ مقدار الذهب بالكيلوغرام

من بريطانيا وارلندا	٤٨	من روديسيا	١٤٥٢٨
« استراليا	١٠٧٣٤١	« غينيا البريطانية	٢٢٨٢
« كندا	١٨٠٩٠	« شاطئ الذهب	٦٥٣٣
« الهند	١٦٣٣٠	« الولايات المتحدة	١٤١٩٩٨
« زيلندا الجديدة	١٦٦٢٨	« روسيا	٣٣٥٤٢
« الترنسفال	١٨٠١٧٧	« المكسيك	١٩٧٦٧

الفضة

وكما زاد المستخرج من الذهب زاد المستخرج من الفضة فقد كان المستخرج منها سنويًّا نحو ٩٧٥ طنًّا قبل سنة ١٨٥٠ فصار ٦٣٦٠ طنًّا سنة ١٩٠٦ واكثرها من بلاد المكسيك والولايات المتحدة كما ترى في هذا الجدول

من المكسيك	٢٧٥٣٦٠٨	كيلوغرامات
« الولايات المتحدة	١٧٥٧٩٠٥	«
« استراليا	٠٤١٤٨٣٧	«
« كندا	٠٢٦٦٥١٥	«
« بيرو	٠٢٣٠٣٠٠	«
« المانيا	٠١٧٧١٨٣	«
« بوليفيا (باميركا الجنوبيَّة)	٠٠٩٦٤٤٣	«
« اليابان	٠٠٨١١٦١	«

وثمن الطن من الفضة الآن نحو ٣٢٠٨ جنيهات لا غير

النحاس

استخرج من النحاس سنة ١٨٥٦ نحو ٤٧٣٠٠ طنًّا وسنة ١٨٧٩ نحو ١٩٩١٧ طنًّا وقد بلغ المستخرج منهُ ٧٨٦٧٩٤ طنًّا سنة ١٩٠٦ اكثرها من الولايات المتحدة الاميركية فان المستخرج منها وحدها بلغ ٤١٦٣١٤ طنًّا وتلتها اسبانيا والمكسيك واليابان وشيلي واستراليا وكندا .

الحديد

الحديد انفع المعادن واكثرها استعمالاً وهو اساس العمران الحديث . وقد أُحصي المستخرج منهُ سنة ١٨٦٥ فكان نحو عشرة ملايين طن فبلغ سنة ١٩٠٦ نحو ٦٥ مليون طن اي زاد اكثر من ستة اضعاف في نحو اربعين سنة ولو سُبك هذا المقدار في شكل هرمي لتكوَّن منهُ ثلاثة اهرام كلٌّ منها اكبر من هرم الجيزة الاكبر

ونحو نصف الحديد يستخرج من الولايات المتحدة الاميركية ويتلوها المانيا فانكلترا فاسبانيا ففرنسا كما ترى في هذا الجدول

اميركا	٢٥٧١٣٥٥٧ طنًا	فرنسا	٠٣٠٠٠٠٠٠ طنًا
المانيا	٠٧٠٢١٨٦٧ »	اسوج	٠٢٧٤٦٥٩٠ »
بريطانيا	٠٥١٢١٢٤٦ »	روسيا	٠٢٦٦١٠٢٩ »
اسبانيا	٠٤٦٩٤٦٥٩ »	لكسمبرج	٠٢٦٠٢٥٧٨ »

الرصاص

استخرج من الرصاص سنة ١٨٨٥ نحو ٣٩١٥٤٢ طنًا وسنة ١٩٠٦ نحو ١٠٦١٥٣٣ طنًا اي نحو ثلاثة اضعاف ما استخرج منذ عشرين سنة . واكثر الرصاص يستخرج من الولايات المتحدة الاميركية ويتلوها اسبانيا والنمسا ثم المانيا والمكسيك

القصدير

كان المستخرج من القصدير سنة ١٨٦٢ نحو ٢٢٠٠٠ طن نصفها من كورنول ببلاد الانكليز والباقي من سائر ممالك الارض اما في سنة ١٩٠٦ فبلغ المستخرج ١٠٩٠٠٠ طن اي زاد نحو خمسة اضعاف نصفها من بلاد ملقا التابعة للبلاد الانكليزية ويتلوها املاك هولندا الهندية وجمهورية بوليفيا في اميركا الجنوبية واستراليا وسيام والصين

الزيبق

لم يعدَّ القزويني الزيبق بين المعادن مع انهُ معدن صرف لكنهُ سائل على درجة الحرارة العادية فاذا اشتدَّ البرد عليهِ جمد كسائر المعادن . وقد بلغ المستخرج منهُ سنة ١٨٧٧ نحو ٥٣٠٠ طن ولم يزد سنة ١٩٠٦ على ٣٩٦٤ طنًا . وقد كان المعدنون يكثرون من استخراجهِ لاستخراج الذهب والفضة بهِ فلما استعملت طرق اخرى لاستخراج الذهب والفضة قلَّ المستخرج من الزيبق . والمستخرج من اسبانيا من نحو ثلاثة آلاف سنة وهو كثير فيها وفي غيرها من البلدان ولكنهُ لا يستعمل الآن الاَّ في بعض الاعمال الكيماوية والآلات

الطبيعيَّة ولا يزال يستعمل على قلة في عمل المرايا ويقال انهُ اذا اكتشفت مناجم غنية بالذهب في اسيا وافريقية حيث يتعذر وجود الفحم الحجري كثر استعمال الزيبق لاستخراج الذهب منها

التوتيا

كانت التوتيا عثرة في سبيل مستخرجي الرصاص منذ الف سنة فصارت في الربع الاخير من القرن الماضي من انفع المعادن وقد بلغ المستخرج منها سنة ١٨٨٣ نحو ٣١٠٠٠٠ طن وكان اكثر استعمالها في عمل النحاس الاصفر (الصفر) لانهُ مزيج من النحاس والتوتيا ثم استعملت لطلاء ورق الحديد وكثر استعمالها في البطريات الكهربائية وفي استخراج الذهب بطريقة السيانيد وقد بلغ المستخرج منها سنة ١٩٠٦ نحو ٧٧٤٥٢٥ طنًّا اكثرها من المانيا والولايات المتحدة الاميركية وثلثوها ايطاليا واسبانيا واستراليا واسوج

الالومنوم

لما كنا ندرس الكيمياء منذ اربعين سنة كانت احلام الصبا تمنينا باكتشاف طريقة لاستخراج الالومنوم من الدلغان لانهُ كان غاليًا كالفضة مع انهُ كثير كالتراب وانما غلاؤُهُ من صعوبة استخراجهِ وجرَّبنا تجارب كثيرة على غير جدوى

وقد كان ثمن الدرهم من الالومنوم نحو غرش منذ عشرين سنة ولم يبلغ المستخرج منهُ حينئذٍ سوى خمسين طنًّا ثم زاد المستخرج بسرعة فبلغ سنة ١٩٠٠ نحو ٥٠٠٠ طن وهبط ثمن الرطل المصري من مئة غرش الى ٣٠ غرشًا وبلغ المستخرج سنة ١٩٠٦ نحو ٢٠٠٠٠ طن وصار ثمن الرطل سبعة غروش

والالومنوم اكثر المعادن وجودًا وقد قدَّر احد كبار الجيولوجيين انهُ اكثر من ثمانية في المئة من قشرة الارض والحديد اقل من خمسة في المئة من قشرتها. وهو اخف من الحديد جدًّا فان ثقلهُ ثلث ثقل الحديد ومتانتهُ مثل متانة الحديد المصبوب (الزهر) فاذا زيدت وسائل استخراجهِ اتقانًا حتى رخص ثمنهُ كالحديد او صار مضاعف ثمن الحديد فضّل على الحديد من كل وجه لانهُ لا يصدأُ مثلهُ

النكل

لم يكن احد يعرف النكل منذ خمسين سنة غير الكيماويين ولم يكن يستخرج منهُ منذ اربعين سنة اكثر من مئة طن في السنة وكان ثمن الرطل منهُ خمسين غرشًا الى ستين . ثم اكتشف في اماكن عديدة وبلغ المستخرج منهُ سنة ١٩٠٦ نحو ١٩٠٠٠ طن . ويكثر

استعماله الآن مزيجاً مع الحديد الذي تدرّع به البوارج فيزيد في صلابته ومتانته وتصنع منهُ النقود الرخيصة كالقروش المصرية وهو افضل من النحاس لهذه الغاية

البلاتين

هو اثقل المعادن المستعملة في التجارة واندرها وكل ما استخرج منهُ منذ اول اكتشافه الى آخر سنة ١٩٠٧ لا يزيد على ١٦٠ طناً وهو الآن اغلى من الذهب بنحو ٢٥ في المئة والمانع من كثرة استخراجه واستعماله ان مناجمهُ التي يوجد فيها بكثرة واقعة في كولمبيا وروسيا حيث وسائل التعدين قليلة ولا يقدم ارباب الاموال على المخاطرة باموالهم

وقد ذكرنا في الجدول التالي مقدار ما استخرج من هذه المعادن سنة ١٩٠٦ وثمن المستخرج منها

المعدن	الوزن بالطن	الثمن بالجنيه المصري
الحديد	٦٤٩٨٣٤٨١	٤٦٤٧٥٩٨٥٦
الذهب	٦٧٥	٠٨١٣٨٦٣٦٤
النحاس	٧٨٦٧٩٤	٠٦١٩٩٩٣٦٧
الفضة	٦٣٦٥٠٠	٠٢٤٧٦٤٥٨٥
الرصاص	١٠٦١٥٣٣	٠٢٤٠٩٦٧٩٩
القصدير	٠١٠٨٧٣٨	٠١٧٣١٥٥٥٣
التوتيا	٠٧٧٤٥٢٥	٠١٣٨٨٥٦٨٤
النكل	٠٠١٨٩٨٣	٠٠٣٣٧٥٩٣٦
الالومنيوم	٠٠٢٠١٥٧	٠ ٣٠٦٣٨٦٤
الزيبق	٠٠٠٣٩٦٤	٠ ٠٨٤٦٧١٠
البلاتين	٥ ½	٠٠٠٧٠٥٤٩٦
والجملة	٦٧٧٦٥٢٢٠ ½	٦٩٦٢٠٠١١٨

فمجموع قيمة هذه المعادن التي استخرجت سنة ١٩٠٦ اقل من ٧٠٠ مليون جنيه ثلثاها ثمن الحديد والثلث الباقي ثمن سائر المعادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص الخ ولذلك لا عجب اذا لُقّب هذا العصر عصر الحديد لان لهُ المقام الاول في كل الاعمال

وغني عن البيان ان المعادن ثروة طبيعية دائمة ولقد كان لها الشأن الاكبر في عمران الممالك لان الحاصلات الزراعية اثمن منها ولكنها تنفد في سنتها وما يبقى منها من سنة الى

اخرى يتلف غالبًا واما المعادن فثروة مقيمة يستخرج منها على قدر الحاجة وما يستخرج هذه السنة يضاف الى ما استخرج في السنين الماضية وقلما يتلف منهُ شيء ولذلك فالامم التي وجدت المعادن في بلادها فاقت غيرها في ميدان الحضارة

الاحسان (١)

رفقاً أخا الانسان بالانسان ... لا خير في مالٍ بلا احسانِ
أنجد اخاك بما ينالك اجرهُ ... ان المواسي افضل الاخوان
وصنائع المعروف حصن مانع ... ترتدُّ عنهُ طوارق الحدثان
كل المحاسن جمعت في واحد ... عطف الغني على الفقير العاني
لم ألقَ افصح من مدامع صامت ... نزلت عليها آية الشكرانِ
ولرب شهم لا تراهُ شاكياً ... يخلو فيندب حظهُ القمران
كم رقعة في ثوب حر بائس ... ينهل منها مدمع الاجفان
تأبى السؤال عليهِ عزة نفسهِ ... فيبيتُ مطوياً على الكتمان
ذاك الفقير تعهدوهُ بالندى ... سرًّا والأَ مات بالاعلان
واشدُّ تعساً بائس ذو علةٍ ... انحى عليهِ الدهر بالحرمانِ
داءان من فقر ومن سقم بهِ ... لولا كمُ اودى بهِ الداءانِ
ان كنت تؤمن بالكتاب وماوعت ... آياتهُ من حكمةٍ وبيان
فكن الرفيق البر غير مفاخر ... فالرفق برهان على الايمان
لو لم تكن اديانُنا بالعرف آ ... مرةً اذن لكفرت بالاديان
يا ايها القوم انصروا جمعية ... بعلائها تسمو على كيوانِ
هي عصبة الخير الكثير وملجأ ... الدنف الفقير ونخبة الشبان
جمعية اعضاؤها انتظمت لنا ... اخلاقهم كالزهر في بستان
فاستعرضوا الازهار طيبة الشذا ... حسناء في الاشكال والالوانِ
وتخيروا اسمى واشرف زهرة ... هي زهرة المعروف والاحسانِ
وكفاكمُ منها اشتراك صفاتها ... بصفات ربٍّ راحمٍ رحمانِ

---

(١) القاها ناظمها في دار التمثيل العربي ليلة اول مايو سنة ١٩٠٩ اجابة الى اقتراح جمعية تغذية المرضى الفقراء

ولها على زهر الرياض مزية ... هي أنها تبقى مع الازمان
أمنت نضارتها التحول فهي في ... كانون واحدة وفي نيسان
ولها شذًا كالزهر يحمل نشرهُ ... في كل آونة وكل مكان
هي بهجة الارواح بل هي قرة ... الابصار بل هي صحة الابدان
اهديتها شعري وحسبي انني ... اهديت ما ملكت يدي ولساني
هيهات يقضي حقها هبْ انهُ ... في كل بيت منهُ عقد جمان

نقولا رزق الله

نشوء الحيوان والنبات

لم يشغل العلماء شيء في عصر من العصور ما شغلهم النشوء في القرن التاسع عشر. وهو وان يكن من اوضاع القرنين الاخيرين فالقول به لا شك قديم. اشار اليهِ طاليس وفيثاغوروس في كلامهما عن اصل الاكوان. وذكرهُ غيرهما كثيرون من الفلاسفة في كل زمان. على ان العالم القديم لم يكن في استعداد له فقضى الباحثون القدماء ولم يأخذ بقولهم احد ومر على العالم قرون عديدة والنشوء كامن لا يتعرض له باحث حتى جاء "كنت" وسويدنبرج فتناولاهُ في بحثهما الفلسفي وبسطاهُ على موائد النقد الفني. لكنهما لم يخرجا بهِ عن حد البحث النظري. فكان النشوء لذلك باباً من ابواب الفلسفة النظرية وبقي كذلك الى ان قام "لامرك" وكشف عن ناموس التباين فادخلهُ في مصاف الابحاث العلمية ووضع لهُ سببين كبيرين هما البيئة واستعمال الاعضاء او اهمالها

وكانما كُتب لدارون ان يكون ابا النشوء فتصدى العلماء للامرك وإمامهم بوشلي كوفيه ونقضوا كثيرًا من اقوالهِ الجوهرية. ساعدهم على ذلك ثقة الجمهور العظيمة بكوفيه من جهة. وقلة الادلة العلمية لدى لامرك من جهة اخرى فمال الناس عنهُ وقلت ثقة العلماء بهِ. وقام دارون. فاثبت تسلسل الانواع وزاد على السببين اللذين ذكرهما لامرك سببين آخرين هما الانتخاب الطبيعي والانتخاب الجنسي فخير العلماء بقوة حجتهِ. وادهش العالم بوفرة الحقائق المؤيدة لآرائهِ. والظاهر ان دارون خشي السقوط في مغبة التسرُّع فلم يتطرَّف الى نكران الخالق ولم يتصلب في آرائهِ المادية ولكنَّ بعض تلامذتهِ لم يقفوا عند هذا الحدّ بل تجاوزوهُ الى ما احفظ العالم عليهم وعلى دارون من اجلهم

ولعمري ان النشوء لا يقتضي انكار الخالق والباحث فيهِ من حيث هو ناموس لا ينبغي ان يتصرف الى ما وراء الطبيعة وما عليهِ الا ان يرى الحقائق الملقاة امامهُ فيبين بها النظام الذي يجري عليهِ الكون من حيث هو جسم تديرهُ القوة المستترة وراء الافهام

هذا ولقد اقرّت بصحة النشوء العلماء من كل المذاهب وانما هم مختلفون في الآراء (او التعاليل) الموضوعة لتفسيرهِ ٠ فمن تلك الآراء اللامركية والدروينية وغيرهما وهي لا تخرج عن كونها آراء منها الصحيح ومنها الفاسد ٠ والنشوء لا يصح بصحتها كما انهُ لا يفسد بفسادها فقد يقوم عالم ويرتئي غير ما ارتأى داروين وسبنسر مثلاً فيفسّر النشوء تفسيرًا اجلى من تفسيرهما واقرب تناولاً منهُ ومع ذلك فالنشوء واحد لا يزال يجري على السنن الموضوعة لهُ منذ الازل

ولست ارى من داعٍ للرعبة التي استولت على كثيرين عند سماعهم بالنشوء فان النشوء لا يغير شيئًا من امر الدين الحقيقي ٠ الم ترَ رعبة الام وسخطهم على العلماء عند اكتشافهم دوران الارض والنظام الشمسي وكذلك خوفهم من ناموس الجاذبيَّة واكثر من ذلك ارتعاد فرائصهم متى مسألة قدَم الارض ثم ثابوا الى رشدهم ورأوا ان ذلك غير منافٍ لمعتقدهم وكثير منهم الآن من اشدّ انصار تلك المذاهب ٠ وهذا النشوء لا بدّ من رعبةٍ تلمّ بالسامعين بهِ لاول وهلةٍ ولكنها لا تدوم فيرجع الناس الى رشدهم ويرون فيهِ ما رأوا في النظام الشمسي وقدَم الارض من قدرة الخالق وحكمتهِ الفائقة الادراك

ما هو النشوء (١)

يراد بالنشوء ثلاثة امور — الاول ان الاحياء في تغير وترقٍ دائمين بطيئين ٠ الثاني ان هذا التغير يجري بمقتضى نواميس ثابتة ٠ والثالث ان القوى التي تحدث التغير كامنة في مادّة المتغير ٠ اما الاول فعلى ثلاثة اوجه وهي (١) التغير الفردي ومثالهُ تغير البيضة من نقطة ميكروسكوبية الى جسم حيّ ذي اعضاء مستقلة في وظائفها (٢) التغير النوعي ومثالهُ تغير الانواع من بسيط الى مركب فاكثر تركيبًا (٣) التغير الدوري او الجيولوجي ومعناهُ التغير المشاهد في احياء الادوار الجيولوجية وهو من البسيط في السفلى الى المركب فالاكثر تركيبًا في العليا من تلك الادوار

اما نواميس النشوء المعروفة فثلاثة وهي ما يأتي

(١) ناموس التباين — ويراد بهِ ان الانواع تفرّعت من اصل واحد على نحو ما تتفرّع

(١) اكثر هذه المقالة مقتطف بتصرّف من كتاب في النشوء "لجوزف لاكونت" Joseph La Conte

الاغصان من الشجرة . تفرَّعت لتباين فيها زادته البيئة الى درجة اصبحت معهُ انواعاً مستقلة .
ومثالهُ في التغير الفردي حويصلة الجنين الاولى فانها لا تزال تنقسم وتنمو حتى يظهر التباين
فيها فتصير بعضها عظاماً وبعضها انسجة وبعضها غير ذلك . ومثالهُ في التغير النوعيّ التباين
في الاعضاء من البسيطة في الاحياء السفلى الى المركبة الراقية في العليا كالتباين بين جناح
الطائر ويد الانسان مثلاً . وليس المراد من النشوء ان الانواع على ما هي الآن نشأت
بعضها من بعض فصار القرد انساناً والمرءُ اسداً وصارت الزحافات طيوراً كلاَّ بل المراد ان
منشأ الانواع جميعها واحد وانهُ من ذلك المنشأ بدأت الطوائف الكبرى تتباين وتتباعد
حتى اصبحت مع الزمان على ما هي عليهِ الآن . فلا يتوهمنَّ متوهم ان النشوءَ يقتضي ان
يصير القرد انساناً او الدجاجة طاووساً او الكلب ضبعاً لان كلاًّ اتخذ في ارتقائهِ طريقاً
لا يتعدَّاها الى سواها

(٢) ناموس الارتقاء الاجمالي — ويراد بهِ ان الكون كجسم واحد يرتقي لرتقاء ثابتاً
بطيئاً ولقد خبط كثيرون في هذا الناموس فسدَّدوا سهامهم الى مذهب النشوء قبل امعان
النظر في معنى الارتقاء الاجمالي . حتى لقد ذهب بعضهم الى فساد النشوء لمشاهدتهم
انقراض بعض الحيوانات او تقهقرها وفاتهم مثل الشجرة فانهُ وان انقرض بعض اغصانها بسبب
التنازع الشديد على الغذاء والنور لا يلزم عنهُ تقهقر الشجرة او وقوفها عن النموّ كذلك الكون
قد تنقرض بعض اجزائهِ ومع ذلك يظلّ يرتقي ويتقدم بل قد يكون ذلك الانقراض
مدعاةً الى التقدم الى ما هو افضل واصلح

(٣) ناموس الترقي الدوري — ولئن كان الكون في نشوئهِ يسير ابداً نحو الكمال
فاجزاؤهُ لا تسير في خطوط مستقيمة بل سيرها اشبه بالحلقات اوَّلها آخرها . يقوم نوع من
الحيوان فيستولي على عرش القوة ثم ينقضي دور عظمتهِ فيقوم بعدهُ نوع آخر ويأخذ مكانهُ .
كانت ذوات الاصداف مالئة الارض ثم غلبتها الاسماك على امرها وقام بعد الاسماك الزحافات
ثم الحيوانات اللبونة وآخر الكل الانسان ولا يعلم غير الله كم يبقى هذا الاخير على
عرش السلطة

هذه هي النواميس التي يجري عليها النشوءُ اما القوى التي تحدث التغير فموجودة في
المادة اي انها طبيعيةٌ محضة اما كيفيَّة نشوئها وكيفية وجودها في المادة فما لا يتناولهُ النشوءُ
اذ هو لا يبحث الاَّ في خصائص المادة من حيث هي امور معروفة مشاهدة وكل ما وراء
ذلك داخل في حكم الفلسفة النظرية

اسباب التغير والترقي

هذه الاسباب اربعة اثنان ذكرهما لامارك وهما المحيط واستعمال الاعضاء او اهمالها واثنان ذكرهما داروين وهما الانتخاب الطبيعي (بقاء الاصلح) والانتخاب الجنسي . وواضح ان القول بالانتخاب مبنيٌّ على ناموس التباين وان اسباب التباين في الافراد مجهولة لم يجزم العلماء بصحة احدها فاذا ثبت لدى البعض فسادها لم يكن ذلك دليلاً على فساد النشوء نفسهِ فان النشوء امرٌ مشاهد لاخلاف في صحتهِ ولكن الخلاف في الآراء التي وضعها العلماء لتفسير النشوء والتبيان اسبابهِ فليفهم ذلك

التشابه والتماثل

وقبل الاخذ بالادلة على صحة النشوء لا بدَّ لي من بسط الفرق بين هذين اللفظين اعني بهما " التشابه والتماثل " . فيراد بالاعضاء المتشابهة ما كانت متشابهةً في الهيئة والعمل لكنها مختلفة في الاصل والتركيب مثالها جناح الطائر وجناح الفراشة فانهما متشابهان في هيئتها الخارجية ولكنهما غير متماثلين في التركيب . و يراد بالاعضاء المتماثلة الاعضاء التي وان اختلفت في هيئتها الخارجية فهي من اصل واحد وتركيب واحد . ومثالها جناح الخفاش و يد الانسان فهما مع اختلافهما العظيم في الهيئة متماثلان في تركيب اجزائهما ووحدة اصلها . ولنضرب مثلاً آخر . خذ الرئة في حيوان برّي (يتنفس الهواء بواسطة الرئة) والخيشوم في حيوان مائي . فترى الشبه بينهما كبيرًا من حيث عملها ولكنك اذا تحرّيت الامر تشريحيًا رأيت البعد بينهما شاسعاً وظهر لك ان لا تماثل البتة بين هذين العضوين وبعكس ذلك الرئة في الحيوان البرّي وكيس الهواء في الحيوان المائي فان التماثل جليّ فيهما يدلك على ذلك تاريخ السمك فان ذلك الكيس (الذي لا نفع لهُ في اكثر الاسماك غير المساعدة على التعويم) يرتقي بارتقاء الاسماك من كيس هوائي لا عمل خاص لهُ الى رئة كاملة . وهذا الارتقاء ظاهر في النوع المعروف بالجاربَيْك Garpike نوع من السمك حيث يتصل هذا الكيس بالبلعوم فيكثر فيهِ الدم ويساعد قليلاً على التنفس فاذا ارتقيت الى اعلى من ذلك قل الى نوع الديبنوي Dipnoi مثلاً تراهُ قد اتصل بالبلعوم والانف وصار كثير الاوعية الدموية ولهُ اهمية كبرى بالتنفس و بعبارة اخرى تراهُ اصبح رئةً كاملة

واعتبر ذلك ايضاً في نمو الضفدع فترى ان ذلك الحيوان يكون في اول اطوارهِ كالسمك فيتنفس بالخياشيم فاذا انقضى ذلك الطور رأيت الضفدع حيوانًا بريا يتنفس الهواء بواسطة الرئة فكيف ذلك ؟ أيعقل ان نقول ان الخياشيم تحولت الى رئتين . كلاَّ بل الواقع ان

كيس الهواء الذي كان في الضفدع كان يرتقي مدة ارتقاء الضفدع حتى اصبح رئة كاملة وفي الوقت نفسه كانت الخياشيم تتقهقر وتنحط حتى امست اثرية لا عمل لها

فالتشابه اذن راجع الى التقارب في الهيئة والعمل والتماثل راجع الى الوحدة في الاصل والتركيب

اذا فهم ذلك فلنتقدم الى الادلة العلمية على صحة مذهب النشوء وهي كثيرة نجتزىء على اربعة

اولها التماثل في بناء الاجسام

ولنضرب لذلك مثلين فقط (اولها) التماثل في الفقريات . ويراد بالفقريات من الحيوان ما كان له سلسلة من العظام ممتدة من الراس الى اسفل الحوض يقال لها العمود الفقاري . وهي تمتاز عن سائر الحيوان بالامور الآتية

(١) ان لها هيكلاً داخلياً من العظام تحركه العضلات من الخارج

(٢) ان لها عموداً شوكياً يحتوي على الحبل الشوكي

(٣) ان هذا العامود يتسع من الامام او الاعلى فيؤلف الجمجمة لوقاية الدماغ وذلك لا يوجد في سواها من الحيوان

(٤) ان في هيكلها تجويفين الواحد ظهري لحفظ الحبل الشوكي والثاني بطني لحفظ الاعضاء الداخلية

ه ان لها اربعة اطراف او قوائم اثنان منها اماميان واثنان خلفيان يستثنى من ذلك بعض الاسماك والزحافات الدنيئة

هذا من جهة تماثلها العام فاذا قابلتها عضواً عضواً رأيت ثمت اختلافات كثيرة في العمل والهيئة (عدم التشابه) ولكنك اذا امتحنتها جيداً رأيت التماثل كاملاً فيها مما يدلك على وحدة الاصل في الفقاريات وعلى تفرعها من اصل واحد . واليك بيان ذلك

اولاً : في الاطراف الامامية ومعظم الاختلاف فيها واقع في الاقسام الآتية — الترقوة والنتو الغرابي والكعبرة والزند وعظام الرسغ والاصابع . فاذا اخذت الانسان وهو ارقى الحيوانات اللبونة رأيت الترقوة فيه كبيرة والمنكبين عريضين ثم اذا هبطت الى ما دونهُ من الحيوان وجدت الترقوة تصغر رويداً رويداً حتى لقد تجدها اثرية في بعض الانواع على ان الترقوة هي هي اينما كانت وعدم التشابه ناتج عن اسباب عرضية طرأت عليها . اما النتو الغرابي فمعظم مهمته في الطيور والزحافات يتصل باللوح من جهة وينتظم في الصدر من جهة اخرى وهو صغير

في الحيوانات اللبونة مندمج في اللوح كانهُ جزءٌ منهُ بل هو في الانسان قسم صغير من اللوح بارز عنهُ قليلاً . كان هذا العظم في الزحافات فورثتهُ الطيور و بقي كبيرًا فيها لحاجتها اليهِ ثم ورثتهُ الحيوانات اللبونة ايضاً ولكن لعدم الحاجة اليهِ انحط فصار صغيرًا غير مستقل عن اللوح . ومما يثبت ذلك انهُ لا يزال يظهر مستقلاً في احط الحيوانات اللبونة واغرب من ذلك ظهورهُ مستقلاً في اجنة الحيوانات اللبونة جمعاء . وكذلك الزند والكعبرة فهما في الاصل مستقلان كما نشاهدها في الزحافات والطيور لكننا نجدهما عظماً واحدًا في المجترات وذوات الحافر والسبب فيهِ على ما يظهر التخصيص اي التقليل من الاجزاء مع الزيادة في شدتها ودليلنا ان الزند وهو العظم المفقود عادةً يبقى اثرهُ ظاهرًا محل التحامهِ بالكعبرة .

ومن مظاهر التخصيص اعظم الرسغ وهي ثمانية في الانسان لكنك قد تجدها اقل من ذلك عددًا في غيرهِ وذلك لاندماج بعضها في بعض بحيث تصبح قويةً جدًّا على انها تكون ثمانية في اجنة تلك الحيوانات ثم تلتحم بعضها ببعض متى كمل خلقها . بقي علينا عظام اليد والاصابع فقد كانت هذه عديدةً في بعض الزحافات المنقرضة (وهي لا تزال كذلك في السمك) ثم صارت خمسة في الفقاريات ولا تقل عن هذا العدد الاَّ حيث التخصيص يقتضي الزيادة في قوتها . وكثيرًا ما يبقى العظم المفقود اثر نستدل بهِ على فعل التخصيص وعلى التماثل التام بين الاجزاء اما الاسماك فلا عضد لها وما ذلك الا لانها اقدم الفقاريات وجدت قبل ان ترتقي الاطراف الامامية الى هذا الحد فبقيت على ما كانت عليهِ

هذا في الاطراف الامامية اما الخلفيَّة فالاختلاف فيها اي (عدم التشابه) قائم على ما يأتي — موضع الركبة والكعب — عدد الاصابع — عظم الساق والاسنان . فالذي يرى الركبة او الكعب في الانسان لا يرى ثمت من تشابه بينهما وبين الركبة والكعب في الحيوانات الثدَّاءة ولا سيما المجترات منها من حيث الموضع بالنسبة الى الجسم ولكن هذا الاختلاف لا اهميةَ لهُ البتة والظاهر ان المنفعة او الوظيفة التي خلقت قوائم هذه الحيوانات لاجلها اقتضت ان يكون القسم الواقع بين القدم والكعب اطول بكثير مما هو في الانسان ولكن تركيب القوائم واحد والتماثل كامل بين تجزئي الامر وامتحنهُ .

وكما ان ناموس التخصيص القائل بان ازدياد عدد الاعضاء المتماثلة العمل في جسم ما دليل على الانحطاط وان قلتها وصلابتها دليل على الارتقاء ظاهر في اليد كذلك هو ظاهر في الرجل واوضح مثال على ذلك قدم الفرس . قال مارش ” كان الفرس في الدور الجيولوجي الايوسيني كالثعلب حجماً وكان لهُ خمسة اعظم وخمس اصابع في اليد وثلاث في

القدم وخلفهُ في آخر ذلك الدور فرسٌ لم تكن لهُ غير اربعة اعظم واربع اصابع في اليد ثم تلاهُ في الدور الميوسيني فرسان وكانا اكبر من اسلافهما حجماً غير انهُ لم يكن لهما غير ثلاث اصابع في القدم واربع في اليد واحد منها اثري · وتبع هذين فرسان آخران بحجم الحمار ففي الاول منهما بدأ الاصبعان الخارجان يقصران فلم يأت الثاني حتى اصبحا قصيرين جداً · وفي الدور الرباعي ظهر الفرس الحديث ولهُ اصبع واحدة هي الحافر على ان آثار الاصابع المفقودة لاتزال ظاهرة مما يدل دلالة واضحة على تدرجه في النشوء

هذا هو فعل التخصيص وهو مشاهد ايضاً في عظمي الساق وفي الاسنان وفي كثير من اجزاء الجسم · ولقد تحرَّى الجيولوجيون البحث في ذلك فكشفت لهم المتحجرات عن كثير من الحقائق الراهنة فاذا قرأت مطولاتهم امكنك ان تعرف تاريخ عدد كبير من الحيوانات التي لم تصل الى هذا الوقت حتى مر اسلافها على تغيرات واضحة كل الوضوح · والذي نستنتجهُ من درس التاريخ الطبيعي ان الطبيعة لا تخلق شيئاً من لا شيء ولكنها اذا اضطرت الى القيام بعمل ما عمدت الى شيء موجود وكيفتهُ بحيث يصير مناسباً للقيام بذلك العمل · كانت الفقاريات الاولى اسماكاً او اشباهها فلم تكن تحتاج الا الى اعضاء السباحة فلما نشأت الزحافات وصار الاحتياج الى آلة جديدة عمدت الطبيعة الى آلة السباحة وصيرتها تناسب الحيوان الجديد فلما جاء طور الطيور وصار الاحتياج الى اجنحة عملتها لها من الاطراف الامامية وما زالت كذلك تبدل وتغير حتى عملت للانسان يداً عجيبة في مبناها لكنها لا تفرق عن زعانف السمك واجنحة الطيور ويد الحيوان فرقاً جوهرياً

المثل الثاني — التماثل في الحلقيات

ولنأخذ الآن طائفةً اخرى من الحيوان نستقريء فيها الادلة على التماثل

الحلقيات ويراد بها ما يسميهُ الافرنج Articulata وهي حيوانات غير فقارية مركبة من حلقات او مفاصل عديدة · يدخل تحتها الحشرات والسراطين والعناكب والديدان وغيرها · فما يشاهد فيها ان حلقاتها تقل كلما ارتقى حيوان منها في سلم الارتقاء وتكثر كلما هبط فيها · وهي من هذا القبيل خاضعة لناموس التخصيص الذي رأينا فعلهُ في نوائم الفقاريات · واليك البيان · خذ حيواناً من هذه الطائفة متوسط المنزلة فترى لهُ احدى وعشرين حلقةً وواحداً وعشرين زوجاً من الاطراف او القوائم على ان هذه الحلقات والاطراف ليست على وتيرة واحدة بل تختلف باختلاف عملها · فان من الحلقات ما يلتحم بعضهُ ببعض فيتكون منهُ الرأس والصدر والبطن والذنب ومن الاطراف ما يستعمل لتناول الطعام ومنها ما هو للسباحة

والحركة وغير ذلك فاذا هبطنا الى ما دون هذا النوع رأينا الحلقات والاطراف تكثر ويزداد التماثل بينها حتى اننا نجدها في احط الانواع على تمام التماثل بحيث لا يختلف الواحد منها عن الآخر . وبعكس ذلك اذا ارتقعنا فانا نرى التشابه بين الاطراف والحلقات يقل حتى اذا وصلنا الى السرطان وجدنا جسمهُ قسمين رئيسيين. الحلقات الامامية اندمجت بعضها ببعض فحصل من اندماجها الراس والصدر والخلفية التحمت الواحدة بالاخرى فحصل منها الذنب او القسم الاسفل ثم اذا ارتقعنا الى الحشرات وهي ارقى الحلقيات رأينا التخصيص اجلى واظهر فالجسم هناك ثلاثة اقسام واضحة تتألف من ١٧ حلقةً ٣ للصدر و ٤ للراس و ١٠ للقسم الاسفل . واما الاطراف فانفردت الامامية منها بالحس والطعام والوسطى بالحركة واهملت الخلفية لعدم الحاجة اليها . هكذا نرى التدرُّج في الحيوانات الحلقية — الانواع السفلى منها بسيطة جدًّا ومتماثلة الاجزاء فاذا ارتقى الحيوان قلّت حلقاتهُ وظهر الاختصاص فيهِ . وهذا الناموس ظاهرٌ ليس في الفقاريات والحلقيات فقط بل في كل اسباط الحيوانات وانواعها ناطقاً بوحدة الاصل فيها وشاهدًا على التدرج في نشوئها من البسيط المتماثل الى المركب المختلف

دلائل النشوء في الاجنّة

من الحقائق المقررة في علم الحياة ان الفرد في نموهِ يمرّ على نفس الادوار التي مرّ عليها نوعهُ . وهاك امثلة على ذلك

(١) في الحيوانات البرّية المائية التي لا ذنب لها ومثالها الضفدع . فان هذا الحيوان يكون في اول اطوارهِ كالسمك فيتنفس بالخيشوم ويسبح في الماء ولو بقي في ذلك الدور لعد في صف الاسماك . ثم يصير في دورهِ الثاني اشبه ببعض الحيوانات البرية المائية السفلى فتظهر فيهِ الاطراف ويتنفس الماء والهواء على السواء . ولا تقف الضفدع عند هذا الحدّ بل ترتقي فتصير بشكل الحيوان المعروف بالسمندل . ولا تزال كذلك حتى تصبح بلا ذنب ويكمل نموّ اطرافها . بلغت الضفدع هذا الحدّ بعد ان مرّت على كل الدرجات التي مرّ عليها نوعها من قبلها وذلك ظاهر جلي في الآثار الجيولوجية التي ترينا ان بعض الاسماك القديمة كانت في الدور الديفوني والدور السيلوري الاعلى بشكل الحيوانات المائية البرية وانهُ في الدور الكربوني ظهرت الطائفة الاولى المذكورة آنفاً ثم في الدور الثلاثي ظهرت الطائفة الثانية وآخر الكل ظهرت طائفة الضفدع

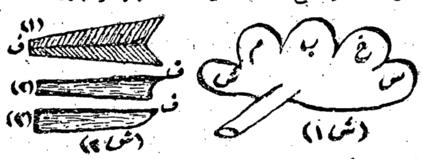
(٢) ومن دلائل النشوء في الاجنّة الاقواس الاورطية . وهي ثلاثة ازواج من

الشرايين تخرج من القلب على هيئة الاقواس · فاذا شرَّحنا ورَلاً (سقاية) رأينا هذه الاقواس تخرج من القلب ثم يتألف منها شريان كبير يجري نحو البطن · ومن الغريب ان هذه الاقواس لا توجد الاَّ في ما دون الوَرَل من انواع الحيوان ويستعاض عنها في الانواع العليا ومنها الانسان بقوسٍ واحدة هي الاورطى الكبيرة . فما تعليل ذلك

تعليلهُ ان الاقواس هي الخياشيم في الحيوانات المائية او الاسماك فوجودها هناك ضروري جدًّا وهي تظهر في الحيوانات المائية البرّية كالخياشيم احيانًا فتتنفس تلك الحيوانات بواسطتها اما وجودها في الزحافات فدليل على ان الزحافات ارتقت من الحيوانات المائية البرية واذا صح ذلك لزم ان تحملها الوراثة الى الطوائف العليا ايضًا فهل لها من اثرٍ هنالك · نعم وهي تظهر جليةً مدة نمو الفرد الى درجة النوع ففي ذلك الحين تظهر الاقواس كما تظهر في الطوائف السفلى لكنها تعود فتتحد بعضها مع بعض وتكوّن قوسًا كبيرة هي الاورطى المعروفة في الانسان وغيره من الحيوان ولزيادة الايضاح نقول· وجد المشرّحون ان في « سمكة الحربة » وهي احط الفقاريات (اذا صح ان تدعى فقاريةً) لا اقل من اربعين زوجًا من هذه الاقواس ثم وجدوا ان هذا العدد يقلّ كلما ارتقى نوع الحيوان الفقاري حتى انهم عدّوا منها في السمك المعروف باللامبري Lempray سبعة فقط وفي كلاب البحر خمسة وفي السمك العادي ثلاثة ثم انتقلوا الى الحيوانات البرية المائية فوجدوها كذلك وارتقوا الى الزحافات فوجدوا في الورل (السقاية) ثلاثة ولم يجدوا غير اثنين في ما هو اعلى من ذلك من الزحافات ثم وصلوا الى الطيور والحيوانات اللبونة فلم يروا غير واحدة باقية على هيئتها الاصلية الموروثة من الطوائف السفلى · اما انها لا تظهر كلها في الحيوانات العليا فدليل على ناموس التخصيص الذي اشرنا اليهِ آنفًا وليس ذلك لينفي عدم انتقالها من انواع سفلى بداعي ظهورها في الاجنة التي تكرر تاريخ النوع في نموها

(٣) ومن اوضح الادلة على النشوء الآلي ارتقاء الدماغ · خذ دماغ السمك فهو مؤلف من خمس عقدٍ وهي النخاع المستطيل والمخيخ وعقدة البصر والمخ وعقدة الشم . انظر في (ش ١) فان ش عقدة الشم م – المخ ب – عقدة البصر خ – المخيخ س – النخاع المستطيل فترى ان مركز البصر اكبر المراكز في دماغ السمك. فاذا ارتقيت قليلاً عن السمك وجدت ان الدماغ باقٍ على حالهِ الاَّ ان المخ يبدأُ يكبر فيما فوق السمك من الانواع حتى يصبح في الطيور وقد غطى قسماً من عقدة البصر · وتراهُ في الحيوانات اللبونة غير الانسان يغطي عقدة البصر كلها وقسماً صغيرًا من المخيخ وبعض عقدة الشم · وفي بعض القرود تراهُ

ينطي اكثر المخيخ . اما الانسان فمخهُ يغطي سائر اقسام الدماغ كلها فهو بلا شك ارقى الحيوانات دماغاً . والغريب ان هذا التدرج في نشوء الدماغ ظاهر في جنين الانسان . فان دماغ الجنين الانساني في اول اطواره احط من دماغ السمك وما هو عندئذٍ الا عبارة عن ثلاث عقد هي النخاع المستطيل وعقدة البصر وسرير الاعصاب ثم يرتقي الى ما يشبه السمك فينمو المخ من السرير والمخيخ من المستطيل ويزداد نموًّا فيصل الى الطور الزحافي فالطيري فاللبوني حتى يكمل نموهُ في الطور الانساني . وفضلاً عما ذكر نرى ان تلافيف الدماغ تكثر كلما ارتقى الحيوان فدماغ السمك والزحافات والطير لا تلافيف ظاهرة فيها ثم تبدأ تظهر في الحيوانات اللبونة وتكثر وتعمق كلما ارتفع النوع في سلم الاحياء حتى تصل الى اسمى حالاتها في دماغ الانسان . وكل ذلك ظاهر في نمو الجنين



ومن الادلة العلمية ايضاً اذناب السمك . وهي ثلاثة انواع كما ترى في (ش ٢) فان (١) الذنب الشفعي والعمود الفقاري فيه لا يتجاوز الحرف (ف) حيث تنتهي الفقرات فينبعث منها خيوط الذنب (٢) الوتري . والعمود فيه يمتد الى طرفهِ حيث الحرف (ف) (٣) المستطيل . وهو لا يختلف عن الوتري الا بالهيئة الخارجية

فاذا اخذت سمكة عادية رأيت ذنبها شفعياً ولكنهُ لم يكن كذلك اول ولادتها بل تغير من المستطيل الى الوتري فالشفعي . فلماذا هذا التغير لولا ان الاسماك العادية نشأت من طوائف احط منها ؟ يؤيد ذلك المتحجرات الجيولوجية فان الاذناب في الاسماك الاولى كانت مستطيلة ثم صارت في الانواع التي فوقها وترية ولما ظهرت الانواع العادية (وذلك في الدور الجيولوجي المعروف بالطباشيري Cretaceous كانت اذنابها شفعية . وشبيه بهذا الارتقاء ارتقاء الاذناب في الطيور فان الاركيتركس Archaeptrex (وهو اقدمها واكثر صلة رحم بالزحافات) كان ذنبهُ كالمروحة والعمود الفقاري فيه يمتد الى الطرف . ففي الدور الطباشيري نرى الطيور والعمود الفقاري لا يمتد في اذنابها الى ابعد من منتصفها . اما في الحديثة فهو لا يبرز عن الجسم الا قليلاً . على ان الذنب في الطيور وهي في الحالة الجنينية

يكون كاذناب الطيور التي عاشت في الدور الجيولوجي المذكور

بقي علينا في هذا الباب الاعضاء الاثرية ولقد بحث فيها غير واحد من كتبتنا واخص منهم بالذكر الدكتور امين ابي خاطر فمن اراد الاطلاع على شيء من ذلك فليراجع مقتطف السنة الاخيرة اي سنة ١٩٠٨ فان فيه اموراً يجدر بالباحث معرفتها . ولا ريب ان في درس الاجنة مئات من الشواهد الواضحة على النشوء او على تكرير الفرد لتاريخ النوع وانما اكتفيت بهذا النزر القليل حرصاً على اذهان الجمهور من الملل انيس الياس الخوري

الفضائل

ظهرت في مصر منذ سنين عديدة حركة ترمي الى الاستقلال السياسي والحرية السياسية وهي حركة شريفة يشكر عليها كل مشترك فيها اذا سار في خطة حكيمة رشيدة ولازم التأني والاعتدال ودخل البيوت من ابوابها

ولكن هنالك امر لا بد منهُ لبلوغ هذا الاستقلال ويجب على كل محب لمصر الاهتمام بهِ وهذا الامر هو تقويم الاخلاق وتهذيب النفوس كي تتحرر من عبودية الاهواء وتنال الاستقلال الادبي الاخلاقي

ليس العار ان يكون الانسان خاضعاً لاحكام غيرهِ بل العار كل العار في ان يكون عبداً لشهواتهِ واسيراً لاهوائهِ . لذلك وجب على كل من لهُ لسان ينطق وقلم يكتب ان يعمل لتهذيب الاخلاق وترقية النفوس وتحرير الارادة من رق الشهوات

وقد وجدت من الواجب عليَّ نحو مواطنيَّ الافاضل ان الفت انظارهم لهذا البحث المفيد بسلسلة مقالات عزمت على نشرها على صفحات المقتطف كلما سمحت الفرصة وقد جعلت موضوع هذه المقالات اهم شيء في تكوين اخلاق الانسان وهو الفضائل والبحث في هذه المقالة يتناول (١) تعريفها — (٢) منافعها — (٣) طريقة الحصول عليها — (٤) علاماتها — (٥) تقسيمها

(١)

(تعريف الفضيلة) الفضيلة (لغة) هي المزية وخلاف النقيصة والرذيلة كالمحبة والقناعة ونحوها والدرجة الرفيعة في الفضل . والفضل ضد النقص والبقية والزيادة

(وخلقاً) هي الملكات الكريمة التي تعصم الانسان عن الرذائل والنقائص وترفعهُ الى اوج الكمال الانساني . بل هي تاج مرصع على رؤُوس الفضلاء وصولجان يملكون به

الشهوات ويقمعون بصولته الدنايا والمنكرات

بل هي نعمة انعم الله بها على عباده الصالحين المتقين رفع بها مراتبهم عن بقية بني الانسان وميزهم بها على اخوان الحيوان

(٢)

(منافع الفضيلة) وللفضيلة منافع وفوائد تعجز عن احصائها الاقلام البليغة وعن وصفها الالسن الفصيحة

قال شاكسبير الشاعر المشهور في وصف الانسان انهُ قد يعلو حتى يسمو على الملائكة ويسفل حتى ينحط عن الشياطين والابالسة. وما ذلك الرجل السامي الذي فاق الملائكة نوراً وبهاء سوى رجل الفضيلة — وما هذا الانسان القبيح المخيف القذر الا أصير الرذيلة

لا ينفع الانسان جمال وجهه وحسن بزته اذا كان خلقهُ قبيحاً وكانت نفسهُ دنيئة — ما هذه الهياكل الانسانية التي ترونها امامكم سوى مساكن تاوي اليها الارواح فماذا يفيدكم جمال المسكن اذا كان الساكن قبيحاً. وماذا تنفعكم نظافة المأوى اذا كان الآوي اليه خنزيراً

ان الجسم لذات لا تنكر ولكن الانسان ميال للمبالغة فيها — وللنفس والعقل لذات اعظم واكبر ولكن قلة تربية النفوس قللت من قيمتها وحطت من مرتبتها

وليست الفضيلة مانعة اللذات الجسدية ولكنها مرتبة لها تحصرها ضمن دائرة الاعتدال والحلال وتمزجها بمزيج التقوى والشرف والعدالة

الفضيلة — تجعل الضمير مطمئناً والبال هادئاً — الفضيلة تجعل الانسان شاعراً بانهُ شريف وتحببهُ للناس وتجلب لهُ احترامهم واعتبارهم حتى لو كانوا من ألد اعدائه

قالوا ان (العدل اساس الملك) واقول ان (العدل مظهر من مظاهر الفضيلة) وان الفضيلة اساس الاجتماع والعمران بل اساس نجاح الفرد ونجاح المجموع

لولا الفضيلة لعم الظلم وانتشر الفساد وساد الكذب والنفاق وتسلط الشقاق والشر وفاز الشره والطمع ومات العدل وانقرضت النزاهة واندثر الصدق واندحر الاتحاد. وقضي على الشرف والعفة والقناعة والصبر والجلد والشجاعة

لولا الفضيلة لما بقي لاحد من بني الانسان صحيفة بيضاء ناصعة بل لكانت كل صحائفهم ملوثة بالفضائح مدنسة بالمنكرات والقبائح

لولا الفضيلة لعق الولد اباهُ ونفى الوالد على بنيه وانكرت الاخت اخاها. وتبرأ الاخ من اخيه

لو سادت الفضيلة عندنا ولو بين زعمائنا وكبرائنا لما سمعتم باختلال الامن العام ولا بتلك الجرائم والمنكرات . لو سادت الفضيلة عندنا بين قادة الافكار والكتاب والادباء لسرنا سيراً سريعاً نحو النجاح والارتقاء . لو سادت الفضيلة عندنا بين المعلمين والمعلمات والمربين والمربيات لكان لنا بعد زمن قليل جند من جنود الخير نتقي بهم هجمات الشر وندفع بمجموعهم جيوش المعاصي والموبقات التي اثخنت في الناس جراحاً وسودت وجوهاً كانت قبل ذلك بيضاء

(٣)

طريقة الوصول الى الفضيلة

ورب سائل يسأل اذا كانت هذه منافع الفضيلة فكيف السبيل الى تحصيلها

الجواب على ذلك — كل من سار على الدرب وصل — ان طريق الفضيلة في أوله وعر لا بد لصعوده من تجشم المشاق والتعرض للاشواك والأدغال والقيظ والبرد القارس ولكن متى سار الانسان فيه رأى المصاعب تقل والمشاق تخف وتعودت نفسهُ على منالبتها ومكافحتها والفوز عليها وفي الفوز لذات لا تنكر . ثم متى قطع قاصدها المرحلة الاولى رأى نفسهُ في خمائل وروض وجنات تجري من تحتها الانهار في مكان مرتفع محاط بالمناظر الطبيعية الجميلة واذا اجال طرفهُ رأى وادياً ضيقاً منحدراً ملآناً بالوحول ورأى اناساً فيه يتمرغون بتلك الاوحال و يحاولون الهرب منها والصعود الى فوق ولكن الطريق زلقة والمياه القذرة تنحدر فيها كالسيل الجارف ولا يمكن الذين انحدروا الى هذا القاع ان يصعدوا الى اعلى و يقاوموا هذا السيل العرم

اما (طريق الرذيلة) فانهُ واسع في البداية ترى فيه الرياحين والازهار فتشمها ولكنها مسمومة مخدرة للاعصاب لا تلبث ان تسكر الداخل فيتوغل فيها و ياخذ في الانحدار وكلما تقدم في الطريق زاد الانحدار وتكاثرت المياه القذرة حتى تصبح كالسيل فتأخذ الداخلين وتخطف ابصارهم وتعمي بصائرهم وما هي الا عشية وضحاها حتى يروا انفسهم سابحين في بحر من الوحول يستنشقون الروائح الكريهة و يتخبطون في ديجور من الظلام حتى اذا لاح لهم وميض برق نظروا الى اعلى فرأوا جبل الفضيلة الشاهق بجناته وانهاره وشلالاته ورواتعه ونوره فندموا على سقوطهم في هوة الرذيلة واخذوا يفكرون في الخروج من هذا المأزق والتخلص من هذا المضيق ولا خلاص ولا مناص

ما هذه تخيلات واوهام بل هذه حقائق ترونها كل يوم بعين البصيرة ولا اخال واحداً

منكم لم ينفطر فؤاده حزنًا على صديق له سقط من عرش الفضيلة الى هوة الرذيلة بعد ان سعى ذووه واصدقاؤه في انتشاله فعلينا ان نرسم امام اعيننا خطة الفضيلة ونسير فيها وعلينا ان نحاسب انفسنا كل يوم ونقيس المسافة التي قطعناها ونبحث في اتجاهنا وهل حدنا عن الخط المرسوم أم لا نزال عليهِ

ولكن هل يكفينا ذلك — كلا بل علينا واجب مقدس وهو ان ننظر الى ذوينا ومن هم تحت مراقبتنا ونضع لهم خطة السير ونلاحظهم كيلا يضلوا السبيل · وننظر ايضاً الى مواطنينا ونرشدهم ونناديهم اذا ضلوا ونرجعهم الى الصراط السويّ · واذا عثر احدهم وابتدأ في الانحدار والسقوط فعلينا ان نرمي لهُ حبل النجاة ونرسلهُ اليهِ لكي يتمسك بهِ ثم نجذبهُ الى مكان النجاة والسعادة فليست الفضيلة قاصرة على انقاذ الانسان نفسهُ من الرذيلة بل من الواجب علينا دينًا وشرفًا ومروءة ان لا نبخل على غيرنا بالمساعدة والمعاونة

ومن اهم الطرائق للوصول الى الفضيلة درس مبادئها وتعاليمها والاقوال المأثورة عنها وعن تأثيرها في ترقية الانسان والامتناع عن قراءة الكتب الساقطة المخالفة للآداب والاديان وعن السكر والمقامرة ومعاشرة الاشرار والساقطين لان مكروب الشر كثير العدوى عظيم الخطر · وملاحظة اقوال الفضلاء المعاصرين لنا واعمالهم واستحسانها سرًّا وجهرًا واقوال واعمال انصار الرذيلة وتحقيرها في الخفاء والعلانية واعادة الانسان نظرهُ في كل ما قالهُ وعملهُ في يومهِ وتطبيقهُ على مبادئ الفضيلة وتعويد النفس على الارتياح والسرور عند اتيان اي عمل شريف مطابق للذمة والتألم والندم عند اتيان اي عمل دنيء او مخالف للذمة والضمير والسعي في تطهير النفس من الاميال الدنيئة وغرس الملكات الطيبة والاخلاق الشريفة — والخلاصة ان من واجبات كل فاضل ان يعمل في آخر كل يوم ميزانية اعمالهِ فيضع الاعمال الفاضلة في جدول المكاسب والاعمال والرديئة في جدول الخسائر ومن واجباتهِ ايضاً ان لا يعذر نفسهُ بل يحاسبها على اقل هفوة و يؤنبها اذا ضلت طريق الفضيلة

ولما كان الانسان كثيرًا ما يمنعهُ الغرض عن تمييز حقيقة اعمالهِ فلا بدَّ لهُ من اختيار صديق أو اكثر ممن مارسوا الفضيلة والفوها ليراقبوا سلوكهُ ويمحضوهُ النصح فاذا حاد عن الطريق السوي أعادوهُ اليهِ بالموعظة والقدوة الحسنة وحبذا لو وجد الإنسان اولئك الناصحين في ذوي قرباهُ فانهم يكونون ابرّ بهِ من الغريب واذا تعذر ذلك فالغريب الفاضل خير من القريب العاطل

(٤)

علامات الفضيلة

الفضيلة علامات — والرذيلة دلائل

اذا نظرت من بعيد نسورًا حائمة على مكان علمت ان فيه جيفة . واذا مررت بمكان وشممت رائحة منتنة علمت ان هناك جثة او اقذارًا او شيئًا متعفنًا

واذا اقبلت على بقعة من البقاع وشممت رائحة زكية علمت ان هناك ازهارًا ورياحين وللفضيلة رائحة عطرة كما ان للرذيلة رائحة خبيثة عفنة منتنة

الشجرة الطيبة تعرف من ثمرها — والشخص الطيب يعرف من اعماله

يحاول كثيرون من الساقطين في مهواة الرذيلة ان يغشوا الناس ويخدعوهم فيسرقون ثوبًا من اثواب الفضيلة ويلبسونهُ ولكن اذا وجه العاقل مناظر البحث الى هذا الثوب وجده يشف عما تحتهُ من الدنايا والارجاس . ولا بد للحق ان يسود الباطل . ان الله يحق الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقًا

من علامات الفضيلة

(١) استهجان الرذيلة وتحقيرها وعدم التماس العذر لصاحبها . لان اكثر الذين يعذرون الرذيلة يميلون في سرهم اليها (ومن كان بيتهُ من زجاج لا يجرأ على رشق الناس بالحجارة)

(٢) قوة الارادة لان الرذائل في هذا العالم جذابة براقة تخدع النفوس الضعيفة وتأسر الارادات الواهنة

(٣) التقوى الحقيقية وهي الاعتقاد بالخالق وبانهُ مدبر هذا الكون وبان شعرة واحدة من راس الانسان لا تسقط بدون اذنهِ . ومن لوازم هذا الاعتقاد السير حسب وصايا الدين

للدين علاقة سببية عظيمة بالفضيلة فقد خلق الانسان ميالاً لارضاء شهواتهِ واهوائهِ فلا يمنعهُ عن المعاصي والدنايا سوى خوف احتقار الناس اياهُ وخوف العقاب

اما احتقار الناس وعقاب القانون فاجتنابهما ميسور بالتستر لذلك تجد كثيرين ممن يدعون الفضيلة يرتكبون اعظم المحارم والآثام سرًا — واما العقاب الالهي في الدنيا والآخرة فهو الرادع الاكبر للمتقين الحقيقيين

(٤) معاشرة انصار الفضيلة والابتعاد عن اشياع الرذيلة

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ فكل قرين بالمقارن يقتدي

كل من يميل الى احتكاك بساقط لا بد ان يكون ساقطاً — وكل من يبتعد عن الادنياء ومعاشرتهم ومخالطتهم ويتقرب من الاتقياء والفضلاء لا بد أن يكون تقياً فاضلاً

واحذر معاشرة اللئيم فانهُ يُعدي كما يعدي السليم الاجربُ

(٥) الابتعاد عن اسباب المعاصي — لان النفس أمارة بالسوء واحسن طريقة لاجتناب الخطر اتقاء اسبابهِ والابتعاد عنهُ وعدم التعرض لهُ — فقد تكون خطوة واحدة في ارض كثيرة الزلق سبباً في وقوع صاحبها في هوة الهلاك

ومن اسباب المعاصي — المسكرات — والمقامرة — والاستهتار بالصغائر الذي يؤدي الى الكبائر

(تقسيم أم الفضائل)

عرفنا الى الآن ما هي الفضيلة وما فائدتها — وما هي طريقة الوصول اليها . وما هي العلامات الدالة عليها . وبقي علينا ان نبحث في تقسيمها

تنقسم الفضائل الى قسمين

فضائل اصلية وهي عبارة عن امهات الفضائل — وفضائل فرعية وهي ناشئة من الاولى والفضائل لاعداد لها ولكننا سنقتصر الكلام على اهمها وهي :

ا (الاستقامة) فضيلة اصلية ويتفرع منها (١) الصدق . (٢) الوفا (٣) الامانة (٤) والعدل

ب (العفة) ويتفرع منها (١) القناعة (٢) التقشف (٣) الزهد في الدنيا

ج (المحبة) وتتفرع منها (١) المودة (٢) الشفقة (٣) النجدة (٤) المروة (٥) والاحسان للفقير

د (الشجاعة) ويتفرع منها (١) الاقدام (٢) الصبر (٣) الجلد (٤) قهر النفس وهو اعظمها

وموعدنا المقالة التالية وموضوعها (الاستقامة) (نجيب شقرا)

عبد الحميد في نظر الطب

بحث فزيولوجي بسيكولوجي (١)

اذا كان في مستطاع الطب اليوم ان يحكم في اخلاق مشاهير الرجال النابرين وسائر الطوارم بسيكولوجياً وفزيولوجياً بالنظر الى علاقتها بحالاتهم العصبية من نفس افعالهم التي وصلت الينا من خلال التاريخ في القرون البعيدة كموسى وعيسى ومحمد من الانبياء والاسكندر ونابليون من الفاتحين وتيمورلنك ونيرون من الجبابرة السفاحين فبالاولى ان يستطيع ذلك في الرجال الحاضرين بقطع النظر عن درس طباعهم ومراقبة حالاتهم العصبية عن قرب بل من مجرد البحث في افعالهم فقط

لا ريب في ان عبد الحميد من اشهر مشاهير هذا العصر وسيمد له التاريخ صفحة كبيرة. والشهرة لا تدل دائماً على العظمة وكبر الصفحة ليس دائماً دليل المجد

ان عبد الحميد بين ملوك هذا العصر يكاد يكون نادرة لا لانه لم يقم له شبيه في التاريخ الماضي او لا يوجد له شبيه في التاريخ الحاضر. فان جميع الملوك في الماضي البعيد كانوا مطلقي الايدي مستبدين ارادتهم قوة تشريعية وتنفيذية معاً. وملوك الصين اليوم ليس فوق سلطتهم سلطة يرضخون اليها. بل لانه كان سلطان مملكة شاغلة اهم بقعة في الارض بمركزها الجغرافي ذات شعوب متباينة من حيث التربية والاستعداد. فبينا هي في اقصى الهمجية في بعض الجهات اذا هي تفتقه ارقى مزايا المدنية في بعض الجهات الاخرى. وبينا هي من اصول نشأت في حضن الحكم المقيد في بعض الاقوام اذا هي لم تعرف غير الحكم الاستبدادي في بعض الاقوام الآخرين. قال ابقراط. «ان اهل اوربا تحكمهم شرائعهم واما اهل اسيا فتحكمهم ملوك». والمملكة التي كان يحكمها عبد الحميد تمتد املاكها في هاتين القارتين. ونظراً الى مركزها هذا المتوسط في قلب الممالك والذي هو الصلة بين الشرق الاقصى والغرب الاقصى هي مرتبطة ارتباطاً شديداً بمصالح الامم الاخرى مما يجعل امرها ذا شأن عظيم جداً في امور تلك الامم وممالكها بحيث لا يمكن لهذه الامم ان تنصرف عن الاهتمام بها اهتماماً كلياً حيوياً لحفظ كيانها سليماً من الطوارىء والامم المتمدنة على قيد شبر منها. ومع كل ذلك فعبد الحميد استطاع ان يعيش كل مدة حكمه سلطاناً مطلقاً دائماً

---

(١) اي من حيث حالة الاعصاب وافعال العقل

على كل الشرائع الوضعية حتى الالهية نفسها وان يكن قد تذرع بهذه الاخيرة احياناً كثيرة الى تأييد حكمهِ ودعمهِ بدعائم دينية قوية

يقول جمهور الاخلاقيين اليوم ان عبد الحميد تمكن من كل ذلك لانهُ على جانب عظيم من الذكاء والدهاء حتى اجاز على رعاياهُ وسائر الامم فوز اغراضهِ وسيتبعهم في هذا القول المؤرخون ايضاً بلا ريب بل هو في نظر البعض اعظم داهية في هذا العصر ويريدون بهذا القول انهُ ذو مدارك عقلية فائقة • ولا ينكر عليهِ ان قواهُ العقلية متوابطة في مراميها متناسقة في استنباطها وانما هذا وحدهُ لا يجعلهُ في مصاف اصحاب العقول الكبيرة حقيقة الاَّ في نظر الذين يحكمون في اعمال العقل بالنظر الى جسامة الحوادث المترتبة على تدبيرهِ بقطع النظر عن ماهية الحوادث المترتبة على هذا التدبير

عبد الحميد يعتبر اليوم في قوة فهمهِ اعظم ممثل للذكاء الشرقي الفطري الذي قضت عليهِ التربية العملية الحديثة وفي سلوكهِ اعظم ممثل للسياسة القديمة الشرقية المكتسبة من تربية الشرق الاجتماعية والتي كان آخر ممثل عظيم لها في الغرب السياسة البزماركية مع الفرق بان السياسة البزماركية لم تتذرع بتلك الاسباب المشجوبة الاَّ للتوصل الى النتائج الحميدة في مصالح المملكة العامة . واما سياسة عبد الحميد فواحدة في التناسب بين اسبابها القريبة ونتائجها السيئة البعيدة غير قاصد فيها الاَّ مصلحة نفسهِ الخاصة

عبد الحميد ورث عن اجدادهِ ومجتمعهِ طبائع مختلفة فهو نسيج من اخلاق الجبان الحاذر والمداجي الماكر والغليظ القلب القاسي وهذه الصفات وان كانت عامة في جميع الامم الاَّ ان الشرق هو الاسبق فيها لنوع احكامهِ المطلقة كما تقدم • وهذا يؤثر في اخلاق الامم تأثيراً سيئاً اقلهُ ذل النفوس واتقاء الشر بانواع الحيل ولا يزال السابق فيها حتى اليوم لفقد العلم منهُ • واكتسب من نوع تربيتهِ البيتية التي شبَّ فيها كالسجين بين جدران قصرهِ قلة ثقتهِ بغير نفسهِ وحذرهُ من كل من سواهُ واعتقادهُ الراسخ فيهِ ان مصلحتهُ لا تتفق مع مصلحة غيرهِ • وتربيتهُ العلمية لم يكن فيها شيء ينزع منهُ مثل هذا الاعتقاد ويزيل منهُ تلك الاثرة الناشئة عن تربيتهِ العرفية المتسلسلة اباً عن جد والمحفوظة في قلوب حاشيتهِ ومهذبيهِ والمنقولة اليهِ بلسانهم من ان الملك الذي سينتقل اليهِ انما هو لهُ وحدهُ لا لله ولا للناس فلا مصلحة من ورائهِ الاَّ مصلحة نفسهِ وليس في علمهِ واختبارهِ نظراً لمعيشتهِ المنقطعة عن العالم ما يرشدهُ الى ان مصلحة نفسهِ تكون اضمن واجل اذا اتت من وراء مصلحة امتهِ

والملوك الذين يتربون هذه التربية لا يستغرب منهم انهم يخالفون في سياستهم وسلوكهم مع رعاياهم المعقول والمنقول بل العجب منهم ان يسلكوا هذا السبيل السوي لمصلحة الرعايا انفسهم . ولذلك كان كل الملوك الذين تربوا هذه التربية في كل العصور وفي كل الممالك ينشأون على هذه الاثرة وهذا الترفع عن سائر الناس وقلة الاعتداد بهم الا لاغراضهم . لانهم لم غالباً ينكثون عهداً ولا يحفظون وداً . حتى انك لترى صحة هذا القول في تربية ملوك اوربا الراقية اليوم بحسب درجة تقيدهم بامتيازاتهم او انطلاقهم منها فان ثمرة تلك الامتيازات لا تزال تعمل فيهم عند اقل عارض يعرض لهم كانهم في اعتقادهم من طينة فوق طينة سائر الناس ولا ريب ان ارقى الملوك اليوم عملاً واختباراً هو ملك الانكليز الحالي لانهُ اختلط بالناس كثيراً قبل ان تبوأ عرش الملك فهو اقرب الى عامة الناس منهُ الى آلهة الملوك واعرف بطبائعهم فهو اقرب الى رؤساء الجمهوريات المنتخبين من الشعب منهُ الى الملوك النازلين من تخت جوبيتر

وما عدا هذه الامور العامة فان هناك اموراً خاصة اتفقت لعبد الحميد جعلتهُ في منتهى التوقي والحذر والامتناع عن مخالطة الامة وهي تبوؤهُ الملك بعد خلع سلطان قُتِل او انتحر وآخر جنّ او اجتُنّ وحصول كل ذلك بمساعي طائفة من اصحاب النفوذ ما زالت محيطة بهِ في اول الامر . ورأى تلك العبر فاشتدت بهِ المخاوف من كل من حولهُ ولم يعد يرى في المقرَّبين منهُ الاَّ كل يد اثيمة . واشتد حذرهُ من كل شيءٍ حتى من الهواء الذي يستنشقهُ والماء الذي يشربهُ والطعام الذي يأكلهُ . ووقع من جراء ذلك في حالة عصبية تهيجية اشبه شيء بوسواس المضطهدين فلم يكن لهُ هم سوى التفكير في وقاية نفسهِ والتخلص من كل من توهم انهُ سبب في الانقلاب السابق وان وجودهُ خطر عليهِ . وقد احسن التدبير حتى فتك باولئك المقربين متدرجاً من العزل فالابعاد فالنفي الى القتل وحتى انهُ قلب النظام الجديد الذي كانوا قد وضعوهُ واعاد النظام القديم

ولكن وسواسهُ الاضطهادي لم يقف بهِ عند هذا الحد بل استمرّ بهِ على تزيد فلم يأمن على نفسهِ حتى من النظام القديم الذي كان معمولاً بهِ على عهد سلفائهِ والذي يجعل الحكومة في ايدي رجال مسؤولين . ولم يطمئن لهُ بال حتى جعل كل شيء في يده فقلبهُ شيئاً فشيئاً حتى صارت ادارة الاحكام كلها لهُ وصارت موارد الدولة كلها ترد الى خزينتهِ فاستخدمها لقضاء مآربهِ صوناً لحياتهِ ينفقها على هذا المقرب ويقصي بها ذلك المبعد ويتخلص من ذلك الذي اشتدَّ ثالثهُ منهُ . يضرب الواحد بالآخر حتى يكون الواحد رقيباً لهُ على

الآخر . ولم يقتصر بهِ ذلك على رجال الوظائف الادارية بل اشتدَّ بهِ الوسواس حتى لم يعد يأتمن على نفسهِ حاشيتهُ التي تقيم معهُ في قصرهِ ولا خدمهُ الذين يخدمونهُ ولا نساءه انفسهن فكان يستعمل معهم جميعهم نفس سياسة التفريق التي كان يستعملها بين رجال دولتهِ . ولم يكن يستنكف ان يقتص منهم بنفسهِ حتى لم يكن يفارقهُ مسدسهُ يقتل بهِ ايًّا كان منهم لحركة تصدر منهُ توقع عندهُ الريب فيهِ . وما اسرع تسرُّب الريب اليهِ وكم قتل بهِ ابرياء لمجرد الوهم فقط حتى انهُ قتل يومًا ابنتهُ الصغيرة لانها استغفلتهُ ورأت على طاولتهِ مسدسًا فاخذتهُ لتلعب بهِ شأن كل الاطفال فتوهم انها مغراة على الفتك بهِ فأودى بها وهو مع ذلك كان يحبها محبة شديدة وانما الوسواس الاضطهادي كان بهِ اشد من ذلك الحب الابوي فهو مغرًى بهِ ومدفوع الى العمل بموجبهِ بقوة تفوق كل عاطفة أخرى

ثم اشتد بهِ هذا الوسواس حتى تجاوز بطانتهُ الى مجموع الامة كلها فاقام بعضها على بعض والقى العداء بينها بحجة الدين يستميل بذلك قومًا ويرهب آخرين . ويشغل البعض بالبعض بالمجازر التي ابها في اول الامر وجلاً قتلاً في الافراد ثم الفها مذابح في الجموع حتى صار الفتك بهِ طبيعة . وخاف من كل واحد من افراد الامة فجعل بعضها جواسيس على بعض . وصادف من الامة أعوانًا خونة لقضاء اغراضهِ في سبيل مخاوفهِ حتى لم يعد يأمن الواحد على نفسهِ من اهل بيتهِ أنفسهم . وهو كلما زاد ايقاعًا بالامة زاد استهواء في وسواسهِ واسترسالاً في استنباطهِ اساليب الشر الوافية وليس يبعد ان تكون الحال قد انتهت بهِ الى انهُ لم يكن يستطيع ان يفكر كيف انهُ سيمضي وفي المملكة بعدهُ ديَّار ونافخ نار لان هذا الضرب من الوسواس معهود خصوصًا في اصحاب السلطان كنيرون رومية الذي احرقها ليقوم وحدهُ متفرجًا عليها

وربما كان في اول الامر يتأثر بعض الشيء من القتل لانهُ لم يكن يقدم عليهِ بتلك العزيمة التي لم تعد بعد ذلك تعرف حذرًا ولا ندمًا والتي اشتدت بهِ في مجازر ارمينيا وكان في نيتهِ اخيرًا ان يشبك المملكة كلها بها غير مقدر العواقب فيها لولا انها نشبت بفعل التقادير قبل ان نضجت معداتها كلها كما كان يرغب والتي لو تمت لكان بها القضاء التام على المملكة . وذلك لميلهِ هذا الى الفتك اكثر مما الى استرجاع نفوذهِ المطلق الذي فقدهُ بالنظام الجديد لان مثل هذه الحالات العصبية التي تدفع الانسان الى القتل لمجرد القتل فقط كثيرة تشاهد حتى في النساء الوديعات فيقتلن الاطفال ويتسترن وربما بكينهم بعد ذلك . ويشاهد ايضًا في الامهات انفسهن فيقتلن اولادهن يفعلن ذلك مع اتخاذ كل

الاحتياطات اللازمة ليجعلن المقدمات تنطبق على النتيجة مما يحمل على الاعتقاد بان قواهن العقلية سليمة وهي على هذا الحال من الخلل

ولا يعقل ان يكون الامر بعبد الحميد غير ذلك والا فلو كان الدافع له على هذا التدبير الاخير استرجاع ما فقده من النفوذ فهو لم يفقد بالحقيقة بعد الانقلاب الاول الا متاعب الملك وتوفرت له كل امتيازته الحسنة حتى كاد الناس يتناسون مساوئه الماضية مما يحسن بكل عاقل الاستمساك به لا سيما وان هذه الطريقة لم تكن مأمونة لنيل ما يتوخاه بها من ذلك بل كل عاقل يرى بها زوال سلطنته ومملكته وتعريض حياته للخطر ايضاً وهو في اعماله الماضية لم يأت عملاً يكون من ورائه مثل هذا التعريض بحياته حتى انه لما رأى ان لا قبل له بالمقاومة في اوائل الانتقاض عليه سلم بكل مطالب الامة معتذراً بان الخونة هم الذين كانوا يحولون بينه وبين هذه المطالب التي كان يرغب فيها من كل قلبه . وما فعل ذلك الا حرصاً على حياته لاعتباره ان السلطة التي فقدها بذلك ليست مما يستمسك به ما دامت غايته الكبرى من سلامته متوفرة له فكيف ينكث اخيراً العهد الذي اعطاه على نفسه ويحنث باليمين التي اقسمها وسلطته لم تمس في جوهرها . فلو لم يكن حب سفك الدم هو الذي دفعه الى ذلك منقاداً اليه بتلك الهواجس ومدفوعاً اليه بذلك الميل المكتسب الذي تأصل فيه وصار من طبعه لغير غاية الا غاية سفك الدم لما اقدم على هذا التدبير وغرّر بنفسه الى هذا الحد وهو غير آمن من العواقب ولا هو مضطر

فمدارك السلطان عبد الحميد كانت كل ايام حكمه منصبة لخدمة هواجسه وهي من هذا القبيل كانت محكمة ممتازة متناسبة تامة الارتباط بين المقدمات والنتائج كما في كثيرين من اصحاب الوساوس الذين ينحصر وسواسهم في موضوع واحد. وكما ان هؤلاء لا يعدون من اصحاب العقول الكبيرة فهو لا يفضلهم ايضاً وان كان قد سلم له ثلثا ملكه مدة حكمه بخسارة الثلث فقط فليس ذلك لحسن تدبيره وحصافة رأيه بل لاختلاف مصالح الدول الطامعة . واذا كانت الامة قد صبرت عليه كل هذا الزمان الطويل وهو يعيث ويخرب فليس من حسن تدبيره بل لان اختلاف اجناسها وأديانها ولغاتها وجهلها ساعده عليها

فاذا نظرنا الى الاسباب التي حفظت عبد الحميد سلطاناً على هذا الملك المتداعي الذي ارهقه كل هذا الزمان الطويل فهي من قبله اسباب سلبية فقط اذا جاز لنا ان نستعمل مثل هذا التعبير وما عودنا بان ذلك من صفات العقول الايجابية . واما الاسباب الايجابية الفعلية فهي خارجية من تنافس الدول وداخلية من حالة تربية الامة الاجتماعية

هذه هي حالة عبد الحميد البسيكولوجية الفزيولوجية مع امته مستنتجة من افعاله مدة حكمه الطويل فما بالك بالامة التي كان هذا سلطانها المطلق مدة ثلاث وثلاثين سنة والتي لا يزال كثيرون منها اليوم يبكون حسرة عليه! — واما ماذا يكون من امره بعد امره فقد تتغير اطواره من الضد الى الضد ويذوق راحة من هواجسه لم يعرفها من قبل. اذ ليس علاج انجع في مثل هذه الوساوس من الانتقال بصاحبها من مركز الى ضده وان لم يكن بالعلاج الشافي دائماً. اما مسؤوليته الحقيقية من وراء كل ذلك فمختلف فيها وفي نظرنا انهُ اذا كانت المسؤولية الادبية تجد محققاً لما عنهُ من حالته هذه فالرزايا المادية التي لحقت بالامة من جرائها تبعتها في مثل هذا الموقف تلتصق بالامة وحدها لان المال السائب يعلم الناس الحرام. وقد تحملت الامة عاقبة جهلها. واما المسؤولية الحقيقية فعلى الدول الراقية المسؤلة وحدها لدى الانسانية المتضامنة

الدكتور
شبلي شميل

نيتشه وابن الانسان [1]

اصدرت الجمعية اليوجنية (Eugenics' Society) مجلة شهرية الغرض منها نشر ما يعرف عن العلوم اليوجنية بين الشعب وحمل الحكومة على جعل قوانينها منطبقة على مبادىء هذا العلم الجديد

اليوجنية علم وضع اسمهُ المستر فرنسيس غلتون رئيس الجمعية اصوله مأخوذة من قوانين علم الحياة وغرضهُ منع العوامل التي تؤول الى اضعاف النسل كمنع زواج اصحاب العاهات الوراثية — وتقوية العوامل التي تؤول الى تحسين النسل كتشجيع الزواج بين اصحاء الاجسام والعقول. وهذا كلهُ مبني على قانون دارون: بقاء الاصلح والانتخاب الصناعي. ويتوقف نجاح الجمعية طبعاً على ميل الامة الى تحسين نسلها وما يشاهد من رواج بيع مجلتها الجديدة يدل على قوة هذا الميل

وليس غرضي شرح الطرق التي ستتخذها الجمعية للوصول الى غايتها من تحسين النسل وانما ذكرت خبر هذه النهضة مشاهداً على اهتمام الامة الانكليزية بنسلها وتنبيهاً للقارىء الشرقي الى مستقبل بلاده. وغرضي من هذه المقالة شرح فلسفة جديدة لاحد فلاسفة

[1] Nietzche's "Thus spake Zarathustra," and Ludovici's "Who is to be master of the World." and "Man and Superman" by G.B. Shaw."

الالمان فردريك نيتشه اضعها اولاً في سؤالين ثم اشرحها

الاول : اذا صح ان الانسان قد تناسل من حيوانات ادنى منهُ افلا يصح ان يتناسل منهُ حيوان ارقى منهُ

والثاني : ما هو الطريق المؤدي الى جعل نسلنا يفوقنا جسماً وعقلاً كما نفوق نحن الحيوانات التي تسلسلنا منها

١ تأثير داروين في اعتبار الانسان

كان لظهور كتاب داروين في سنة ١٨٥٧ رجة عظيمة بين العلماء اذ غيَّر مجرى الافكار في اعتبار الاحياء وبيَّن اجمالاً اشتراك الحيوانات في اصل واحد كما اوضحهُ بعدهُ كتب العلماء الذين تبعوهُ . ولكن داروين لم يذكر في كتابهِ هذا ادلة على اصل الانسان الحيواني بل ترك ذلك الى ان جمع الادلة الكافية في كتاب "اصل الانسان" حيث اوضح تسلسل الانسان من الحيوان . ونظرية النشوء التي قال بها داروين وبنى عليها كل استنتاجاتهِ اصبحت اليوم من الامور المسلَّمة — حتى ان الكنيسة الانجليزية وافقت عليها في مؤتمرها العام الماضي في لندن .

فنحن نفهم الآن بنظرية النشوء ناموساً طبيعياً جرى عليهِ جسم الانسان فوصل الى ما هو عليهِ الآن وقد جرت عليهِ كل الحيوانات فاحيا منها ما احيا واباد ما اباد واهم قوانين النشوء هو " بقاء الاصلح " فالانسان بقي والبيتكانثروبس انقرضت لان الانسان كان صالحاً للوسط الذي عاش فيهِ واما البيتكانثروبس فلم تصلح لهُ . ولكن كيف وصل الانسان من الحيوانية الى الانسانية ؟

وصل الى ذلك بالانتخاب الجنسي . فالانثى تنتخب القوي الجميل من الذكور على ما ترشدها طبيعتها والقوي يمنع الضعيف من التناسل بمجاوزتهِ المرأة الجميلة

فالمرأة بصفتها واسطة لتكثير الجنس وبصفتها جائزة للقوي من الرجال ولدت القوي من الجنس وأبادت الضعيف منهُ .

ولكن لماذا لا يتغير الانسان اليوم ؟ لماذا نرى الشبه شديداً بين مومياءات المصريين القدماء وبين أقباط العصر الحاضر ؟

فالجواب اننا وقفنا ضد الطبيعة . وأننا ظللنا نقف أمامها فذريتنا ستكون كاسلافنا بلا فرق ولا تغيير . ونيتشه الفيلسوف الالماني قضى عمرهُ يوضح أغلاط الانسان في وقوفهِ أمام الطبيعة ويبين الطريق المؤدي الى العودة الى الطبيعة حيث نجري حسب نواميسها

٢ كيف الوصول الى ذلك

آداب الامة أو القبيلة وأخلاقها موضوعة لغرض ما فان بطل الغرض بطل الداعي للاداب والاخلاق. ولكن اذا تقادم العهد على قوانين هذه الآداب الاجتماعية يغفل النظر عن الغرض منها وتصير تتبع اتباعاً اعمى . وبعض هذه القوانين طبيعي لا يمكن ابطاله وبعضها اجتماعي يمكن ابطاله متى بطلت فائدته. فمن الطبيعي مثلاً التزاوج ومن الاجتماعي الزواج . ومن الطبيعي حب القوة ومن الاجتماعي الشفقة على الغريب أو الضعيف

فاذا نظرنا الى فضيلة الشفقة على صاحب العاهة كالأبله او المقعد او المولود اعمى . هل نحن محقون في شفقتنا عليهم بعد ان عرفنا قانون الوراثة ؟ هل من الفضيلة ان نقدم لصاحب العاهة وسيلة يكثر بها نسله ؟ نعم انهُ من الفضيلة والانسانية ان نقدم له مسائل الراحة ولكن من الجرم ان نسمح له بالزواج وتكثير اصحاب العاهات الوراثية

وقد بيَّن نيتشه ان اصل الآداب حب القوة . وان في الامة دائماً نوعين من الآداب وهما في عراك دائم . الاول " آداب السيد " التي يرغب القوي في ان تعم لانها تزيده قوة والثاني " آداب المسود " التي يرغب الضعيف في ان تعم لانها تزيده قوة . وضرب لذلك مثلاً العصفور والصقر فمن مصلحة الصقر ان يأكل العصفور ومن مصلحة العصفور ان يموت الصقر جوعاً ثم استنتج من ذلك ان الآداب العصرية المتبعة هي آداب الضعيف التي تمنع القوي من الظهور ومن تكثير نسله كالزواج بواحدة والشفقة على الضعيف ولذلك قاوم الديانة المسيحية لانها زعيمة هذه الآداب . وقال ان واضع هذه الآداب هو الضعيف فهي تؤول الى تخليد جنسهِ والفناء الجنس القوي فاذا استمرت سائدة ضعف الجنس البشري وربما انقرض فاذا اردنا تحسينهُ وجب علينا ان نقلب ميزان هذه الآداب اي يجب ان نجعلها تؤول الى تخليد الجنس القوي وابادة الجنس الضعيف .

ولا يتصور القارئ ان نيتشه يطلب منا ان لا يحب الضعيف ولا يحسن اليهِ وانما يطلب ان لا نكثر جنسهُ والفرق كبير بين الامرين

٣ ابن الانسان

من اقوال برنارد شو الفيلسوف الانجليزي الذي تبع نيتشه في فلسفتهِ عن " ابن الانسان " Ecce Homo انهُ يسوءنا ان نرى الابناء مثل الآباء في قوة عقولهم فان هذا دليل على عدم وجود التقدم

لما هدم الانسان اديانهُ القديمة بمباحثهِ المنطقية والعلمية ورأى ان النعيم الذي صورهُ

له الانبياء خيال وضاع امله من آخرة يحاسب فيها ويكافأ اسقط في يده ويئس من الحياة حتى قال شوبنهور اننا لو عقلنا لانتحرنا

ولكن جاءنا بعد شوبنهور نيتشه ونجانا من هذه اليأس . قال صحيح اننا نموت وتنحل اجسامنا ولكن امامنا مجد عظيم . انظر كيف اخرجت الطبيعة من شبه القرد القبيح ذلك الانسان الجميل . فمجدنا اذن يجب ان يكون في اخراج ملاك من الانسان وذلك يجب ان تكون قبلتنا ابن الانسان . فالانسان ليس تاج النشوء ويجب ان نفسح للطبيعة حتى تطبق نواميسها علينا . فانه من العار على الانسان ان يحسن نوع خرافه وطيوره ولا يحسن نوعه . واذا لم تكن الآداب واسطة لسعادة الشعب وجب تبديلها لانها جعلت آلة للوصول الى السعادة

فالانسان ورث من اصله الحيواني كثيرًا من الصفات والاعضاء التي تقف في سبيل سعادته . فهو عرضة للاصابات الزائدة التي ورثها من الحيوانات اسلافه وبمكروبات السل والدفتيريا والطاعون والكوليرا وكثير غيرها تنغص عيشه . فهل يحسن بنا ان نترك لذريتنا هذه الامراض من غير ان نعمل شيئاً لنجاتهم منها ? يظهر فينا من آن الى آن نابغة في الفكر فنعبده في حياته ولكنه قد يموت بلا نسل امام اعيننا . اذا رأينا راعي الغنم ينتقي الكبش القوي لتكثير نسله بين الخراف اعجبنا بفراسته واذا قام فينا رجل وطلب منا ان نعتني باولادنا كما نعتني بالخراف هزأنا به وعددناه ناقصاً في آدابه كما عدّ نيتشه . قال برنارد شو ما معناه :— اذا فرضنا ان قطيعاً من الغنم يحوي مئة نعجة ومائة كبش وان نصف هذه الكباش قوي والنصف الآخر ضعيف وان راعي هذا القطيع منع القوي من ان يتأثر بالنعاج وقسمها بين الاقوياء والضعفاء على التساوي التناسل بالتساوي بين الجنسين الضعيف والقوي . فماذا تكون النتيجة بعد عشرين او ثلاثين جيلاً اضعاف القطيع او تقويته ? فالقارئ يفهم اذن السر الظاهر في انتخاب اقوى الغنم للتناسل

ولكننا اذا علمنا ان قانون الانتخاب الذي يطبقه راعي الغنم في غنمه غير معمول به في الانسان فهمنا مصير المجتمع الانساني . زد على هذا قانوناً طبيعياً بينه سبنسر في أصول علم الحياة خلاصته انه كلما علا الانسان في سلم النشوء قلت قوته على اخلاف النسل ومعنى هذا ان العناصر العالية فينا اقل قدرة في تخليد جنسها من العناصر الواطئة . ولعل هذا سبب قلة المواليد في الامم الراقية عنها في الامم المنحطة

لندن سلامه موسى

الثورة الادبية[1]

ايها السادة والسيادات

قبل ان ابدأ بالكلام احمّتكم ألا اكلمكم هذه الليلة بالرموز والالغاز . بل في نيتي ان اجرد الاشياء من زيناتها . واسميها باسمائها . فان ذكرت العقاب مثلاً لا تظنوني اشير الى شيء خفي تحتهُ او فوقهُ او وراءهُ او فيهِ . بل اريد العقاب بعينهِ . وان قلت هبت الشرقية . فلا تقولوا ما اجمل هذه الصور الخيالية . فاني اقصد النار الحقيقية . تلك التي لو مرت العقاب لوقعت فيها مشويةً . قد حان لنا ان ندعو المعول معولاً على حد قول اخواننا الاميركيين . وبناء على ذلك سنبقى على الارض هذه الليلة بعيدين عن القمر والجوزاء والشعراء

لما وقفت امامكم في السنة الماضية شعرت بوجودي معكم في غور الحياة بل في اردن الموت . واما الآن فاراني والحمد لله اخاطبكم وانتم في سهول الصحة تستنشقون هواء الحرية فمن اردن الموت الى سهول الحياة وحقول الحرية — خطوة خطيرة . ولكنها صغيرة . هي خطوة الى الامام . ولكنها لا تغني عن رحلتنا الطويلة شيئاً من الاقدام . فان حوّلنا وجهنا الى مشرق الشمس نرَ الجبال قائمة في طريقنا لا لتعترضنا في سيرنا بل لتشحذ منا الهمة وتيقظ فينا النشاط وكلما صعدنا في جبلٍ نشاهد فوقنا روح ما تجسَّد من الامال . وهي تدعونا الى ما فوقها من الجبال . فان الامة التي تستيقظ من سباتها وتنفض عنها غبار خمول الاجيال ينبغي لها ان تواصل السير بالسرى والاَّ تقهقرت فسقطت ثانية في الوهدة التي نهضت منها . ولا يخفى عليكم ان الطريق وعرة . والزاد قليل . والنفس مضناة من اقامتها طويلاً في الغور . والاحمال ثقيلة . والادلاء كثيرون . وسنتوفق ان شاء الله في سيرنا على رغم هذه الصعوبات والعقبات . إذا اتخذنا الشمس دليلنا . وزادنا الآداب والفنون

ان الشمس المشرقة علينا من المغرب اليوم هي والحق يقال شمسنا . هي شمس آدابنا . هي شمس اديانا . هي شمس مجدنا الغابر . فاذا نظرتم الى خارطة العالم رأيتم ان ثلاثاً من البلاد آخذة من مركز القلب . وهذه البلاد هي سوريا وفلسطين وجزيرة العرب وما بين النهرين . هذه البلاد وطننا . وهذا الوطن قلب العالم . وفي هذا القلب ظهرت الانبياء وفيهِ نشأت الاديان . ومن هذا القلب اشرقت على اوربا في القرون الوسطى شمس العلم

(1) خطبة القيت في حفلة جمعية تهذيب الشبيبة السورية في نادي المدرسة الكلية في ١٣ ادار سنة ١٩٠٩

والادب والفلسفة فانارت ظلمات الاوروبيين وخرجت بهم من مهامه الجهل والتوحش الى واحات الرقي والعمران . اجل ان وطننا لقلب العالم . ولكن اوربا رأسهُ . وان كان القلب منشأ الخيال والنبوة فالرأس منشأ العلوم والفنون. على ان النور المنبثق من الرأس فقط هو كالنور الاصطناعي الذي يضيئون بهِ المراسح في اوربا . هو نور بارد جامد خامد . وان لم يشترك مع نور القلب وحرارتهِ فلا خير فيهِ للانسان مهما عظمت نتائجهُ في دوائر العمران . والفنون ان لم يكن الضمير اساسها والاخلاص لباسها . ونفع البشر غايتها الاولى فهي افيون لا فنون . فانها تخدر الحواس وتذهب بشيء من الهموم ولكنها تقتل النفس وتفسد الحياة

ان سكان هذه البلاد التي هي قلب العالم لشبيهون بشجرة ذكرها النبي . شجرة مباركة لا غربيةٌ ولا شرقية . نحن اليوم واقفون بين مدنيتين متناقضتين معاديتين الواحدة للاخرى . مدنية جديدة ومدنية قديمة . مدنية اوربيةٌ ترفع اليوم اعلامها في البلاد كلها . ومدنية شرقية لم يزل لها المقام الرفيع بين فئة راقية من الادباء والفلاسفة في اوربا . فان كان هؤلاء الاوروبيون يجدون في مدنيتنا ما لا ينبغي تركهُ . ما لا يجوز اضمحلالهُ . فكم بالحري نحن . ولي كلام طويل في هاتين المدنيتين اقول الوجيز منهُ الآن

لست بجاهل ما في مدنية اليوم لمن كثر مالهُ فقط من دواعي الراحة في المعيشة البيتية المادية والسهولة في التوصل والسفر والانتقال . ولا اظنكم تجهلون ما في التعادي والتكالب في سبيل هذه الاشياء من الشقاء ايضاً والبلاء . فان المدنية التي يدعى التكالب فيها نشاطاً والخداع براعة والقوة حقاً هي عندي شر المدنيات . وهذه هي مدنية اوربا اليوم . مدنية كهرباء وبخار . مدنية تجارة وكسب واستغراء . مدنية حروب وفتوحات واستعمار . ليس فيها للضمير والذمة أثر من الآثار . مدنية رموزها حب الذات والاستئثار . ولبها اليأس والانتحار . لا تقولوا بالغت . فان كلامي من الاختبار . لا من المجلات والاسفار . واما مدنية الشرق فلست بنا كر انها مدنية خمول وجمود واستسلام . مدنية اصولها القضاء والقدر ولبها محض اوهام . ولكن لها من جميل العادات والتقاليد . من جميل العواطف والشعور . من شهامة النفس وكرم الاخلاق . من الانعطاف والوداد والوفاء ما تفتقر اليهِ المدنية الاوروبيةٌ . فهذه الخلال الشريفة تبعث الحرارة من الحقيقة الباردة القاسية فتمسي الحياة خفيفة الاحمال مرضية الامال . ناهيك عن انهُ لم يزل في هذه المدنية القديمة شيء من البساطة والوداعة ومن الضمير الحي مما يزيد النفس الشرقية جمالاً . والضمير الحي

يا سادتي هو ملح العلوم والفنون والآداب ومن هذه كلها تتغذى المدنية الحقة

نحن اليوم والفنون بين هاتين المدنيتين . بين مدنية غازية منتصرة واخرى مدبرة . وينبغي ان لا نخضع على الاطلاق لهذا الفاتح القوي وان لا نترك ما في مدنيتنا من الخير الروحي . ولا ينجينا من استبداد هذه الفاتحة القاهرة ويحفظ لنا حسنات تلك المدبرة الا الآداب . ولا اريد بالآداب المكتسب فقط بل اريد منها آداب النفس اولاً والاخلاق . ان الدين وهو ابو مدنية الشرق يرفض بتاتاً مدنية الغرب . والعلم المادي وهو آلة مدنية الغرب يرفض بتاتاً مدنية الشرق . فالدين والعلم في هذا الموقف متعرضان كل لقومه ولا ينفعنا الواحد منهما دون الاخر . واني لا اجد في كل قوى النفس والفكر وثمارها اصلح وانجع من الآداب تجمع بين الاثنين فينشأ عن ذلك مدنية جديدة قوامها الصنائع والفنون وشعارها الاخاء العام . واعلموا ان الفنون السامية الجميلة هي التي تتغذى من العلم والدين معاً . والامة التي تجعل مثل هذه الفنون اساس حياتها الاجتماعية هي ولا غرو مجد المستقبل وام الامم . واحب ان اشاهد على شطوط البحرين او في اودية الرافدين مثل هذه المدنية الجامعة بين محاسن المدنيتين . احب ان ارى في قلب العالم جمال روح العالم وكمالها . احب ان ارى في بلاد الشام وبلاد العرب ثمار الانبياء وثمار العلماء على شجرة واحدة . احب ان نزرع بساتين هذه الارض المقدسة من تلك الشجرة المباركة التي جاء ذكرها في كتاب اخواننا المسلمين — شجرة لا شرقية ولا غربية . واحب ان ارى الشعراء والادباء بعيدين عن السياسة واوحالها منصرفين الى حراثة هذه البساتين الجميلة

سادتي . لا تظنوا ان الانقلاب السياسي يجدي الامة نفعاً ان لم يتبعهُ انقلاب ادبي . لا تظنوا ان في الحكومة الدستورية دواء شافياً لكل امراضنا . لا تظنوا ان الدستور وحدهُ يخلص الامة من الاخطار المحدقة بها والنامية في قلبها . وان الصحافة الحرة تقف دائماً من اجل الامة في وجه المشعوذين والمضللين والمفسدين . وهل الدستور والصحافة الحرة رقيتان من رقى السحرة حتى اذا قلنا مثلاً — شولم صحافة ! صرنا شعباً حراً . شولم دستور ! صرنا امة راقية ؟ لا يا اخواني لا . فان طلبتم الحرية اطلبوا المعنوي منها قبل الحرفي الجوهري قبل السياسي . اطلبوا الحرية الروحية التي تحصنها الآداب قبل الحرية المدنية التي تتاجر بها الاحزاب . وان خفي عليكم الفرق بين الاثنين اذكروا ان حرية الجسد لا تجدي المرء نفعاً اذا كانت النفس مقيدة . وان حرية الفكر والقول لا تغني فتيلاً اذا ظلت الروح اسيرة ما اعتادهُ الجسد من الراحة والترف والرخاء او الذلة وتعفير الوجه والغباء . اخواني . ان

الفرق بين الحرية الادبيَّة الروحية والحرية المدنيَّة المادية كالفرق بين حرية السياسي في مراوغاتهِ وحرية البدوي في خيمتهِ او الرجل الصالح الجريء في معاملاتهِ. ان الحرية الحقيقية هي التي تنشأ في النفس لا التي يمنحها الملك الرعية. فان هذه تزعزعها الاهواء ويتاجر بها الزعماء وتقتلها رجمات التقهقر الشعواء وتلك كنز من كنوز النفس الخالدة. والذين لا يناضلون عن مثل هذه الحرية ولا يفادون من اجلها بشيء مما ألفوهُ من رخاء العيش او بشيء مما نالوهُ من المال او الرفعة والوجاهة بل يتنازلون عنها و يتاجرون بها كما لو كانت ثوبًا من الخام او سهمًا من اسهم البورص فما هم الاَّ قبور متحركة اذ ما الجسد الاَّ كالقبر لنفس باعت حريتها. ولكنني خرجت عن الموضوع

قلت ان الآداب التي تجمع بين العلم والدين تكون قوام المدنية الجديدة التي يقرن فيها بين مدنية المغرب الماديَّة ومدنية المشرق الروحيَّة. ولكن آدابنا لم تزل تحت سيطرة المتدينين والمتنطعين. وأنفسنا لم تزل في ربقة رجال الدين. وان لم نتحرر من هذا الاستبداد الديني او بالحري الكهنوتي كما تحررنا من الاستبداد السياسي تظل آدابنا جامدة مبتذلة خابثة. ونعود بعد حين الى ما كنا فيهِ من الفتور والخمول والانحطاط

خذوني بحلمكم فاقص عليكم بوجيز الكلام قصة الكهان. ونشوء العبادة في قلب الانسان. لنعد الى الاكواخ اذًا فنحكي هنالك شيئًا من حكاية اجدادنا الاولين. من المعقولات التي لا تنفيها الالهيات او الالهيات التي لا تنفيها المعقولات — ان اول دعوة لباها الانسان دعوة بطنهِ وشهواتهِ. وماذا يهمنا وقد علمنا هل كان الانسان الاول يمشي على الاربع في تلك الايام او على الاثنتين. فان في العالم حتى اليوم كثيرًا من الحيوانات التي لا تمشي على الاربع! هذا الحيوان الناطق اذًا لم يكن يفهم في بادىء امرهِ الاَّ حديث معدتهِ وحديث كبدهِ. فكان لا يحسن غير الصيد والحرب والاكل والزواج. وبعد فترة من الزمن مقدارها الفان قرنًا او الفان عامًا — لا فرق عندي — بدأ يسمع صوتًا آخر من فوق المعدة والكبد. بدأ يشعر بدعوة القلب فصار يعطف قليلاً على اولادهِ ان لم نقل ايضًا على شريكتهِ بل جاريتهِ بل زوجتهِ. وعلى هذه الحال عاش قرونًا — وللعلماء ان يجمعوا الالوف منها فوق الالوف فان عدها لا يستحق تعب الفكر — عاش قرونًا وهو لا يرى ولا يسمع سوى ما زينتهُ لهُ الغريزة وحدَّثتهُ عنهُ المعدة. اوَلا ترى ان بعض شعوب اليوم ناهيك عن القبائل المتوحشة لم تزل في هاتهِ الحالة المنحطة من الحياة. فان القوى المدركة لم تظهر فيهم بعد. وفي هذه الفترة الطويلة الامد نشأت على ما اظن العبادات

والمعبودات التي كانت في بادىء امرها مادية محضة · لان هذا الحيوان الناطق بل هذا الصياد النازي ما رأى في الاشياء الاَّ ما ظهر منها. ما رأى في الشمس الاَّ النور. ما رأى في الشجرة الاَّ ثمارها واغصانها وقشورها · ما رأى في النار سوى لهيبها ودخانها ورمادها · ما رأى في الحيوانات سوى ما بدا منها وما ظهر من حركاتها · في تلك الايام السعيدة كان كل حيوان ناطق يعبد طاغوتهُ على طريقتهِ الخاصة · بمقتضى شعوزهِ وهواهُ · عملاً بداعي القلب والغريزة . وبعد مضي احقاب من الزمن وهو في هذا الطور من الحب والعبادة ارتقى قليلاً الى ما فوق السهول وبدا يشغل المخيلة منهُ حتى صار يرى في الاشياء شيئاً تحت القشور وتحت الرماد. وبما انهُ لم يدرك اسرارها راح يسلي نفسهُ بالاشعار ويملها بالخيالات وبمقتضى هذا طفق كل انسان يمثل الخالق في الشكل الذي انطبع في لبهِ اكثر من سواهُ ولا حاجة لتعداد هذه المعبودات كلها فلو جئت اعدد منها لا ان اعددها لاقتضى ذلك من الوقت ما لا يسمح بهِ المقام · ولكن اذا ذكرنا منها الجعل والشمس فقط نكون قد اتينا على ذكر اولها وآخرها ادناها واعلاها · اصغرها واكبرها وحالة الفرد تجاه معبودهِ في تلك الايام هي اليوم حالة المجموع في شعوب الارض كلها . وما اوثق في الامم سوى الافراد

ولكن لنعد الى اصحاب الاكواخ · لما ظهر في الجماعات اناس ارقى نوعاً من اخوانهم وبدا لهم ان الانسان يرتاح الى كل غريب عجيب — والزنجي والباريزي اليوم سواءٌ من هذا القبيل — لما علم هؤلاء الدهاة ما للخيال والوهم من السطوة على النفوس والقلوب قاموا ينشئون من هذه العبادات ديانات رسمية · فبنوا الهياكل وحاكوا من اوهام الناس طقوساً وطرائق واقاموا انفسهم رؤساء في الهيكل وبدأوا يتكهنون ويمثلون الله ! — بل يمثلون الطاغوت على الارض وهذا في رأيي اول ما كان من امر الوثنية والكهان · ولا تنسوا ان الوثنية لم تزل سائدة في بلادنا والكهان يتعاطون التجارة اليوم في دكانهم القديم فوجدت الديانة الرسمية وشيدت من اجلها الهياكل ونحتت الاصنام وقدمت الذبائح والقرابين وتسربت الى بيت المتكهن العطايا والاموال · وذلك قبل ان ظهر في الارض الانبياء الذين هم اعداء الملوك والكهان · فاذكروا هذا ولا تنسوهُ · ان الانبياء لاعداء الظلم في الملك والرجاسة في الهيكل والفساد في الجماعات

واما الكهان يا سادتي فهم اول من عاثوا في الارض فساداً . هم اول من قيدوا الانفس البشرية واستعبدوها · هم اول من تاجروا بالخداع والتغرير . هم اول من استولوا على الملوك والامراء وايدوا سلطانهم بانباء مكذوبة من السماء · والكهان اليوم هم اعداء الحرية الادبية

الروحية . ولا يغرنكم ما بدا منهم من الارتياح الى هذه الحرية التي منحنا اياها الدستور . فان العنان لم يزل في ايديهم والارواح لم تزل في ربقتهم . الكهان هم اعداء الآداب الراقية . اعداء اشتياقات الانفس السامية الى الكمالات الفكرية . على الكهان وآلهة الكهان امتشق نبي العرب حسامهُ في الكعبة وصب اشعياء نار غضبهِ في اورشليم . على الكهان واصنامهم وترلوبتهم ومذابحهم ورجاساتهم انقضت صواعق حزقيال في اسرائيل ودمدت رعود دانيال في بابل . على تغريرات الكهان وخزعبلات العبادات قام عبد الوهاب في نجد ولوثروس في وتنبورغ وجون نكس في انكلترا وغيرهم في الارض كثيرون . فما ضرنا لو استغنينا عن المتكهنين المدلسين وتفلتنا من ربقتهم واعتصمنا بالله وبدين الله وبانبياء الله ؟ تدبروا كلامي ولا تسيئوا مرادي . اني احترم العاطفة الدينية التي تكون فطرية في الانسان ولكني لا اجد في خزعبلات هؤلاء الناس وفي تنطعهم — وقد قيل هلك المتنطعون — ما يساوي ذرة من نفس امرىء راقية . ولكن اذا لبس الكاهن لغايتهِ ثوباً من التغرير والخداع ولبس المتعبدون ثوباً من الجهل والخرافة فذلك لان الانسان لا يسير في الارض عرياناً . ينبغي لهُ ان يستر سوءتهُ ولو بسوءة اسوأ منها . وقد قيل — ان من آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المستعبدين

ايها السادة . ان المرء يحتاج دائماً الى من يذكرهُ بانهُ من ابناء اليوم لا من بقايا امس . يحتاج دائماً الى من يريهِ الربقة في رقبتهِ . والقيود على روحهِ . يحتاج دائماً الى من يهمس في اذنهِ او يصرخ في وجههِ — انك انسان حر لا حلية في جيب هذا او ذاك يتصرف بها ساعة شاء كيف شاء . فيا ايها الشرقيون . ان تحت خريف نفسكم الدائم ربيعاً جميلاً ان كنتم تعقلون . ان تحت رهوكم موجات عظيمات لو ناهضتم العاصفة ولو مرة في الحياة فان مثل هذه النهضات الروحية . مثل هذه الثورات الادبية وان كانت عاقبتها اليوم غير مرضية ؛ فهي غداً منعشة للنفس محيية ؛ مثل هذه النهضات تعوّد المرء الفكرة . وتروض منهُ الارادة . وتكسبهُ المنعة والاستقلال . ان للماضي اثراً قوياً في العروق . ان فتور الشرقي لفي الدم . فان كان لا يمرّن نفسهُ وارادتهُ على ما يحرك الدم — دم الجسد ودم الروح معاً — يظل ما دام حياً كطلل من اطلال الزمان . ولا ينهض الشرقيين من هذا الفتور المظلم سوى الثورة الادبية التي يتبعها انقلاب عظيم في الاخلاق

ها اننا صرنا امة حرة ذات حكومة دستورية . ولكن ذلك لا ينافي ما في العائلة وما في الطائفة وما في المدرسة من الجور والحيف والاستبداد . من العداوة والجهل والفساد . ذلك

لا ينافي ما في اصطلاحاتنا الاجتماعيَّة — واكثرها من فضول التمدن الافرنجي — من الضيم والشقاء. ما لا يماثلهُ ظلم اظلم حكومة مطلقة . ألا ترون ان التاجر لم يزل محني الظهر تحت امواله وصكوكه . والصانع لم يزل اسير هذا العبد سيدهِ . والتلميذ في المدرسة اسير جهل استاذه . والاستاذ اسير استبداد رئيسهِ . ألا ترون ان المصلح السياسي مرهونة حريتهُ بخطة حزبهِ . والكاتب حريتهُ عند قرائهِ او في قبضة رزقهِ . والصحافي حريتهُ في جلدهِ واستقلالهُ في كيسهِ — لا تؤاخذوني فقد وعدتكم في البداية بان احمي المعول معولاً والعقاب عقاباً — ألا ترون ان المرأة في البيت مقيدة بارادة زوجها عادلة كانت او جائرة . وان الاب لم يزل يعتقد ان اصول التربية في تأييد سلطتهِ . والمأمور في الحكومة يتألم من ضغط ذاك الجالس فوق رأسهِ . والجندي من استشار ضباطهِ . والكاهن من ظلم اسقفهِ . والاسقف من استبداد بطريقهِ . والراهب يحترق في نذرهِ ويئن من عنف رئيسهِ . والفلاح يتأوه من جور اميرهِ بل يصرخ في بعض الاماكن تحت سوطهِ . شولم صحافة ! اصرنا شعباً حرًّا ؟ شولم دستور ! أصرنا امة راقية ؟ اي اخواني . اسمعوا التقية تهمس في اذن هذا الكاهن — حافظ على مركزك . اسمعوا الخوف يقول لذاك الصحافي — حافظ على مصلحتك . اسمعوا الذلة ترشد اخانا الفلاح قائلة — اتقِ بطش سيدك . اسمعوا الجبانة تهمس في قلب الراهب — اتقِ الفضيحة وحافظ على ثوبك . فالتقية والخوف والذلة والجبانة هي اعداء حرية الانسان الحقيقية وان لم يحرر نفسهُ منها بنفسهِ فثمة قانون ومثة دستور لا تحررهُ . واعلموا ان الارادة المستولية على ارواحنا لا يخلصنا من ظلمها الاَّ ارادة اشد واقوى منها

لذلك ادعوكم الى ثورة ادبيَّة انا شدكم بالحرية التي بعثت من غور ماضينا حياة جديدة ألاَّ تدعوا الخوف والتقية والذلة والجبن تستولي عليكم متى شعرتم بيد تضغط جورًا على انفسكم متى رأيتم حريتكم الادبيَّة مقيدة امامكم .

لترفعوا اعلام الآداب في البلاد . شيدوا صروح التهذيب اسسوا معاهد الفنون فان الآداب والتهذيب والفنون هي القوى الادبية الروحية التي يتآلف فيها العلم والدين و يقترن فيها بين بديهيات الانبياء ونظريات العلماء وتمتزج فيها روح الجمال وروح الحقيقة وتنبثق منها اشعة السلم والحب والاخاء . هي هي القوى الادبية الروحية التي يتوقف عليها تحرير الانسان وتحرير الامم والشعوب . لتعزز الآداب اذًا والفنون لنؤيد بالقول والعمل التعاليم السامية لننصر المبادئ الحرة السديدة ومتى رأينا ان الحزب الذي ننتمي اليهِ او الجريدة التي نكتب فيها او الطائفة التي نحن منها تحاول تقييد افكارنا او الضغط على عقولنا او المتاجرة

بارواحنا فعلينا ان نخرج منها سريعاً وننفض عن نعالنا غبارها ان شرف المرء في حرية عقله ونفسهِ وشرف الاحزاب في حرية رجالها وشرف الطوائف في حرية ابنائها

اخواني ما الناس الا امة واحدة ومتجمعهم في المستقبل ان شاء الله جامعة واحدة هي جامعة الآداب والفنون ودين واحد شامل قوامهُ الابوية الالهية والاخاء العام

امين ريحاني



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ميكروبات الامراض والمناعة

سيديَّ الفاضلين

ارى فيلسوفنا الكبير الدكتور شميل لاهياً هذه الايام بالحيوانات الكبيرة وسياستها وقد ترك المكروبات وشأنها فاستأذنتهُ في الرد على ما اعترض عليهِ بهِ الدكتور توفيق جهلان فاذن لي لكني اخشى ان لا احسن في ذلك فينبري للرد على الاثنين واكون قد جنيت على نفسي والعياذ بالله من قلمهِ وتلك المراوة الضخمة التي يتوكأ عليها

قال الدكتور شميل " اذا علمنا ان الشفاء من المرض والمناعة عليهِ سيان في طبيعتهما مهما كانت اقوال العلماء في تعليلها ولعلها نوعٌ من التكافوء والائتلاف سهل علينا ان نفهم لماذا كانت المناعة ضعيفة قصيرة المدة في امراض الرتبة الاولى ثابتة طويلة المدة في امراض الرتبة الثانية ممتنعة (او هي غلبة المرض في هذا التنازع بينهُ وبين الجسم) في امراض الرتبة الثالثة " . والذي قدرت ان افهمهُ من كلامهِ هذا انهُ لا ينكر اقوال العلماء وتعليلهم عن سير المرض واسباب المناعة سواء كانت تلك الاسباب غلبة الجسم على المرض او قيام سد

حصنين في الجسم يمنع نموّ هذه الاحياء الدنيا فيهِ مرةً اخرى. فرأيهُ لا يثبت ولا ينفي تلك الاقوال بل على فرض صحة القول بقيام هذا السد المنيع في الجسم او الدم فهو مما يرجّح رأيهُ فلو قلنا مثلاً ان المصاب بالجدري يقوم في جسمهِ او دمهِ ما يمنع نموّ الاحياء المسببة للجدري مرةً اخرى في ذلك الجسم فهذا السدّ لم يكن ناتجاً الاَّ عن هذه الاحياء بعينها الثابتة في نوعيتها فكلما قويت هذه النوعية كان هذا السدّ اثبت في نوعيتهِ واشد في مقاومتهِ لهذه الاحياء بعينها والدليل على ذلك الفرق ما بين التلقيح بالجدري الحقيقي والتلقيح بالجدري البقري فالمناعة اشد واطول مدةً في الحالة الاولى واضعف واقصر مدةً في الحالة الثانية وذلك لان الجدري الحقيقي اثبت في النوعية من الجدري البقري وما هذا الاخير الاَّ تباين من الاول واضعف منهُ في النوعية ولا ارى ان هذا الامر اقرب الى الدلالة على ضعف المكروب وانحطاطهِ في النوعية كما قال الدكتور جهلان بل عكس ذلك فالاحياء الثابتة في نوعيتها تسبب في الجسم سدًّا ثابتاً في نوعيتهِ يقوى على هذه الاحياء بعينها اذا هي دخلت ذلك الجسم مرةً اخرى

ثم ان مقابلة الدكتور جهلان بين الدفثيريا والكَلَب من الجهة الواحدة والسرطان والتدرُّن من الجهة الثانية لا اراهُ في محلهِ فالدفثيريا لم تنتقل بالمصل من الرتبة الثالثة الى الاولى بل كانت تشفى احياناً وتعود الى المريض اي لم يكن لها الاَّ مناعة خفيفة قد لا تكون شيئاً يذكر فهي لم تكن من امراض الرتبة الثالثة وان انتهت بالموت في غالب الاحيان وهي والكَلَب من الامراض الحادَّة ولا وقت للجسم ليقوى فيهِ عليهما لسرعتهما وشدَّة وطأتهما. والكَلَب لا يعلم بحادثة واحدة حقيقية شفيت منهُ لا قبل اكتشاف علاج باستور لهُ ولا بعدهُ ولو فرضنا ان حادثة واحدة شفيت لبقي المصاب بعدها في اشد المناعة اذ يكون قد بقي في جسمهِ هذا السدّ المنيع الناتج عن هذه الاحياء المسببة للكَلَب الثابتة في نوعيتها فيكون كأنهُ عولج بهذا العلاج الواقي الذي اكتشفهُ باستور فهذا العلاج واقٍ وليس شافياً اي لا يشفي بعد ظهور الاعراض واستفحالها قبل ظهور المرض ولم ينتقل بهِ الداء من الرتبة الثالثة الى الاولى بل هو باقٍ في رتبتهِ الثانية اي ان هذا العلاج يقي المصاب ولا يبرئهُ لهُ كما لو انتقل الداء الى الرتبة الاولى . ولا وجه للمقابلة بين الكَلَب والتدرُّن من هذا القبيل لاسباب اخرى لا لزوم لاطالة البحث فيها

بقي امرٌ آخر اظنهُ صدر سهواً من الدكتور جهلان وهو قولهُ " قد ثبت ان من المكروبات التي يقول الدكتور شميل انها من رتبة التباينات ما هو ارقى تركيباً من

باشلوس كوخ نفسهِ ". ولعلهُ يشير بذلك الى الاحياء المسببة للامراض الميازمية فارتقاؤها في التركيب لا يمنع كونها من التباينات وهذا الحمام الاهلي كلهُ تباينات وهو ارقى كثيرًا من باشلوس كوخ ولو ترك لنفسهِ لعاد الى اصلهِ في النوعية وهو الحمام الرصاصي اللون الذي نراهُ في ابراج صعيد مصر

هذا ما عنَّ لي ذكرهُ واظن فيهِ ما يكفي لايضاح رأي الدكتور شميل واني لا اجزم بصحتهِ لكني اراهُ معقولاً لا ينافي ما تقدمهُ من آراء المناعة وسير الامراض بل يزيدها وضوحاً

الدكتور امين المعلوف

الشفاهي والشفهي

حضرة محرري مجلة المقتطف الغراء المحترمين

بعد تقديم واجب الاحترام اعرض إني قد قرأت في العدد الخامس من مجلتكم الغراء سنة ١٩٠٩ في صحيفة ٥٠٥ مقالة على كتاب فك التقليد ورأيت فيها كلمة (شفاهي) والمعلوم ان القاعدة العامة للنسبة هي: اذا أردتَ النسبة الى الجمع المكسر رُدَّ الى مفردهِ نحو مساجد مسجدي الا اذا كان الجمع جرى مجرى العلم نحو أنصار أنصاري . ويؤخذ من ذلك ان الصواب شَفهي نسبةً الى شفة المفرد . فارجوكم الافادة عن هذه المسألة ودمتم

جورج انطونيوس

طالب في كلية فيكتوريا

[المقتطف] اذا اريد النسبة الى الشفة او الشفتين او الشفاه التي هي جمع الشفة فالنسبة شفوي او شفهي فيقال الحروف الشفوية او الشفهيَّة اي التي تلفظ من الشفتين . واذا اريد النسبة الى الشفاه الذي هو مصدر شافه اي خاطب فمًا لفم فالنسبة شفاهي فيقال الامتحان الشفاهي اي الذي يكون بالمشافهة لا بالكتابة . وكلمة شفاهي الواردة في الصحيفة ٥٠٦ من المقتطف نقلاً عن كتاب "فك التقليد" هي من هذا القبيل اي هي من النسبة الى الشفاه اي المشافهة لا من النسبة الى الشفة ولا الى الشفاه التي هي جمع شفة . ونرى احياناً نظارة المعارف المصرية تقسم الامتحان الى قسمين " شفهي وخطي " فكلمة شفهي هنا غلط والصواب شفاهي اي مشافهة واما النسبة الى الشفة والشفتين والشفاه فتكون في مثل الحروف الشفوية او الشفهية كالباء والفاء اي التي تلفظ من الشفتين والسرطان الشفوي اي الذي يصيب الشفتين ولا اشكال في ذلك

البلاد العربية

اني احسب قرّاء المقتطف الكرام من لباب المتكلمين بالعربية واكثرهم علماً واوسعهم اطلاعاً واشدهم غيرة على خير بلادهم فاستفتيهم في امرِ لهُ الشأن الاكبر في مستقبل البلاد العربيَّة واعني بالبلاد العربية كل الولايات العثمانية التي يتكلم سكانها باللسان العربي وهذه اسماؤها ومساحاتها وعدد سكانها حسب آخر تقدير لها وهو تقدير سنة ١٨٩٦

	المساحة	عدد السكان
ولاية حلب	٣٠٠٠٠	٩٩٥٨٠٠
« بيروت	١١٧٧٠	٥٣٣٦٠٠
متصرفية لبنان	٠٢٥١٠	٣٩٩٥٠٠
« القدس	٠٨٢٢٠	٣٣٣٠٠٠
ولاية سورية	٢٣٨٠٠	٩٥٥٧٠٠
متصرفية الزور	٣٢٨٢٠	١٠٠٠٠٠
ولاية بغداد	٥٤٤٨٠	٨٥٠٠٠٠
« الموصل	٢٩٢٠٠	٣٠٠٠٠٠
ولاية البصرة	١٦٤٧٩	٢٠٠٠٠٠
« الحجاز	٩٦٥٣٠	٣٠٠٠٠٠
« اليمن	٧٧١٧٠	٧٥٠٠٠٠
« طرابلس الغرب	٣٩٧١١٠	١٠٠٠٠٠٠
والجملة	٧٨٠٠٨٠	٦٧١٧٩٠٠

فهذه البلدان مساحتها معاً اكثر من ٧٨٠ الف ميل مربع اي نحو اربعة اضعاف بلاد فرنسا وعدد سكانها اكثر من ستة ملايين وسبع مئة الف نفس ولا بدَّ من ان يكونوا قد زادوا نحو ١٥ في المئة منذ ثلاث عشرة سنة الى الآن فيكون عددهم الآن اكثر من سبعة ملايين وسبع مئة الف نفس فهم مثل سكان مملكة من ممالك اوربا الصغيرة وتجمعهم كلهم جامعة اللغة

ولا يخفى ان الممالك العثمانية بدأت في دور الانتقال من الحكم الاستبدادي المقيد بارادة السلطان وبعض القوانين الى الحكم الدستوري المقيد بارادة الشعب والشعب ينتخب

منهُ اناساً يرسلهم الى مجلس المبعوثان ينوبون عنهُ ويظهرون فيهِ ارادة منتخبيهم ونجاح هؤلاء النواب في اظهار آرائهم ومطالبهم واقناع الغير بها متوقف اكثرهُ على حسن القائهم باللغة التركية التي هي لغة المجلس . والذين يحسنون التركية ويحسنون الالقاء بها من ابناء الولايات العربيَّة قليلون جدًّا فحصر الانتخاب فيهم مبطل لاول مزية من مزايا الحكومة الدستوريَّة وهي ان يكون الشعب حرًّا في انتخاب من يريد ان ينوب عنهُ . وستبقى هذه المزية معدومة الى ان تشيع اللغة التركية في الولايات العربيَّة ويتعلمها الجميع على السواء وهذا امر قد لا يتم في عشرين سنة او ثلاثين او لا يتم ابدًا

فما دامت لغة مجلس المبعوثان التركية فلا يمكن للولايات العربيَّة ان تشترك فيهِ اشتراكاً فعليًّا صحيحاً ولا يمكن ان تكون حكومتها دستوريَّة حسب مفهوم الكلمة بل يبقى نوابها اناساً مخصوصين من الذين تيسَّر لهم اتقان اللغة التركية هذا اذا وجد فيها من اتقن هذه اللغة حتى صار قوي الحجة فيها مالكاً ناصية التعابير الخطابيَّة التي لها الوقع العظيم في النفوس . وليس احد من النواب الحاليين عن الولايات العربيَّة بالغاً هذه الدرجة مثل اخوانهم نواب الترك والروم والارمن والالبان وعليهِ فستبقى الولايات العربيَّة محرومة من اول حق من حقوق الحكومة الدستوريَّة ولو صارت الحكومة دستوريَّة فعلاً

هذا هو الامر الاول والامر الثاني ان الحكام والمأمورين لا يتصلون بالشعب الاتصال الواجب ولا يتصل الشعب بهم الَّا اذا عرفوا لغة الشعب تمام المعرفة . فلا يصلح تعيين المأمورين الاتراك والارمن والالبان واليونان في الولايات العربيَّة ولا يصلح تعيين المأمورين من ابناء العربيَّة في الولايات التركية . واذا وضع هذا الفصل بين المأمورين في الولايات امتنعت وحدة السلطنة وتعذَّرت مخاطبة المراجع العليا

وما يقال عن المأمورين يقال عن الجنود فانهُ ينتظر ان يصير عدد الضباط في الجيش العثماني من الولايات العربية على نسبة عدد سكانها اي نحو ثلث الضباط كلهم من اعلام رتبةً الى ادناها والَّا فلا مساواة ولا دستور . ولا يُنتظر ان يستقل الضباط الاتراك بقيادة الجيش التركي والضباط العرب بقيادة الجيش العربي في الولاية الواحدة ولا سبيل للاشتراك الفعلي التام الَّا اذا توحدت اللغة وهذا امر بعيد الوقوع كما تقدم

فلهذه الاسباب كلها ومرجعها اللغة ارى انهُ يحسن ان تنقسم السلطنة السنية اداريًّا الى قسمين قسم تجري اشغال حكومتهِ كلها باللغة العربية وهو الولايات العربية المذكورة آنفًا وقسم تجري اشغال حكومتهِ كلها باللغة التركية وهو سائر الولايات العثمانية لان اللغة التركية

شائعة فيها كلها . و يكون لكل قسم مجلس نواب خاص الواحد تجري مباحثهُ باللغة العربية والثاني باللغة التركية و يكون للسلطنة كلها مجلس اعلى ولا بأس بجعل مداولاتهِ باللغة التركية مع اباحة اللغة العربية ولو بترجم ما يقال فيها الى التركية

ولا انكر انهُ لو كانت البلاد كلها تركية او عربية اي لو كان لها لغة واحدة وحكومة واحدة ومجلس واحد لكان ذلك اصلح لها وكانت بهِ اقوى مما لو كانت لها ادارتان وحكومتان وكان لها مجلسا نواب ولكنني ارى ان وجود الادارتين والمجلسين اصلح للبلاد واقرب الى العدل من وجود ادارة واحدة ومجلس واحد وثلث السكان غير مشترك فعلاً في حكومة بلادهِ كما في الحال الآن وقد اكون مخطئاً في رأيي هذا

وارجو ان يطرح موضوعي على بساط البحث وان تتناولهُ اقلام الكتَّاب الذين يغارون على بلادهم وشعبهم . ولم أُدخل القطر المصري بين الولايات العربية وله الحق الاول بالدخول فيها لانني ارى من اخواننا الاتراك الميل الى عدم التعرُّض لهُ اما لا يغضبوا الدولة الانكليزيَّة

باحث عثماني

وداع وعتاب

للسلطان السابق عبد الحميد

الله اكبر فالظُلاَّم قد علموا	لايّ منقلب يفضي الأُولى ظلموا
لقد هوى اليوم صرح الجور وانتقضت	اركانهُ وتولَّت اهلهُ النقمُ
وحصحص الحق في عزٍّ وفي ظفرٍ	يحفهُ خادماهُ السيفُ والقلمُ
ثارت لهُ عصبة كانت مشرَّدةً	وقد تهدَّدها الإرهاق والعدمُ
من كل اروعَ في حيزومهِ حنقٌ	في نفسهِ عزَّةٌ في انفهِ شممُ
عبدَ الحميد استمع منهم مناقشةً	فطالما صبروا بل طالما كظموا
غادرت امتك المنكود طالعها	تغضُّ مقلتها ان عدَّت الامم
اطلقت فيها سيوف الغادرين وقد	كانت بحبلك بعد الله تعتصمُ
الله الله يا راعي القطيع فقد	لاقت مصارعها في رعيك الغنمُ
حمَّلتنا ما تنوء الراسيات بهِ	كيف الصنيع وانت الخصم والحكمُ
فكم شكونا ولم تسمع شكايتنا	وكم دعونا وحظُّ الدعوة الصممُ

وليّ نعمتنا قل لي اما بطلت ... تلك الولاية لما ضاعت النعمُ
فلو رفقت امير المؤمنين بنا ... ما كان انضي صمصامٌ وسال دمُ
يا خادم الحرمين اعدل فهل أمنت ... في ظلك الكعبة الزهراء والحرمُ
ام حجّ حجاج بيت الله في دعةٍ ... من غير ان يرهقوا فيهِ ويهتضموا
وليتهُ غاشماً (١) لم يرعَ حرمة من ... في ذمّة الله ضاعت عندهُ الذممُ
كم استجاروا عليهِ فازدريت بهم ... ان لم تكن ناقماً فالله منتقمُ
ربّ الهلال اجب هل كنت تمنحهُ ... ما اعتاد من نصراتٍ ذلك العلمُ
ماذا فعلت باحرار البلاد وما ... جنوا على الدين والدنيا وما اجترموا
حتى قسمتهمُ شطرين فازدحمت ... على جسومهم الحيتان والرّخمُ
ويا سلالة عثمان اما انصلت ... منهُ اليك الصفات الغرّ والهممُ
اين الغطاريف ارباب العزائم من ... اسلافك القيدِ من بالعدل قد عظُموا
شادوا لك العزّة القعساء من قدمٍ ... فجئت تهدمُ ما شادوا وما رمموا
كانت لهم دولة بالسيف ناهضة ... وفي زمانك لا سيف ولا قلمُ
حصدت ما زرعوا فرّقت ما جمعوا ... خفضت ما رفعوا بعثرت ما نظموا
حجّاجَ عصرك بل تولي العقاب بلا ... ذنبٍ ومزّاك عنهُ الجمعُ والنهمُ
خليفة الله قد خالفت ما أُمرت ... بهِ الشريعة والتنزيلُ والكلمُ
دمرت بيتك يا هذا فانت اذن ... عدوُّ نفسك او قد مسّك اللممُ
حشدت زمرة غدرٍ ظالما سفكوا ... واستنزفوا ثمّ لا قيدوا ولا غرموا
المخلصون تولّوا منك وانهزموا ... والخائنون على ابوابك ازدحموا
حبست آلك حتى بعضهم هلكوا ... كانما لم تكن قُربي ولا رَحمُ
حاولت اطفاء نور الحق وهو لظًى ... تثور افواههُ ان سدّ منهُ فمُ
طال الزمان على جورٍ تعالجهُ ... وعيل صبر الورى واستحوذ السأمُ
ضيّقت دارتهم في الارض فاتّسعت ... والمرءُ مستبسلٌ ان عضّهُ الألمُ
قد جمّع الظلمُ منهم كل مفترقٍ ... وشدّ ما استتروا في الامر واكتتموا
وكلما نام عنهم رهطك انبعثوا ... يدبرون وان لاحظتهم جثموا
وعندما اكملت للوثب عدّتهم ... توكلوا واستخاروا بالذي عزموا

(١) راتب باشا

سلُّوا عليك سيوف العدل مرهفةً كأنها شهبٌ في الافق او رُجُمُ
شقوا بها في جلابيب الدجى شفقاً بشَّت لهُ الارضُ وانجابت بهِ الظلمُ
وطالبوك بحق كنت هاضمهُ وحاكموك الى البتَّار واختصموا
فادوا بارواحهم حبًّا بامتهم فلتحيَ تلك السجايا الغرُّ والشيمُ
قد كان ما كان والرحمان ناصرنا فالعدل منتصر والجور منهزمُ
دبَّرت فتنة سوءٍ تستعيد بها من مجدك الباطل الغرَّار ما هدموا
مجد كبير طوتهُ ظلمة كشفت ثمَّ انجلت فاذا ما تحتها وَرَمُ
كوّنوا بعزمة حرّ جاءه منتصرًا لنفسهِ واستباحوا منك ما احترموا
فانزلوك عن العرش الرفيع وما كانوا يريدونها لكنهم رغموا
تأبى الشريعة ان تبقيك حافظها وانت بالغدرِ والإغواء متَّهمُ
هبطت من قمة الامجاد منحدرًا كصخرةٍ حطَّها من شامخ هرمُ
ففي هبوطك عاد الملك مرتفعاً وفي توليك كل الخلق قد سلموا
كانت باقبالك الاقدار عابسةً فاصبحت بعد ما ادبرتَ تبتسمُ

دمشق ٥ مايو سنة ٩٠٩ (ف)



الزراعة المصرية منذ مئة عام

(١٤)

زراعة قصب السكَّر

تصلح اراضي مصر جميعها لزراعة قصب السكَّر · غير ان ما تقتضيهِ زراعتهُ من كثرة العناية والاهتمام يحصرها في ايدي فئة صغيرة من الاهالي أخصُّهم مقيم في نواحي فرشوط واخميم من مديرية جرجا حيث مركز هذه الزراعة · أمَّا ما يزرع من قصب السكَّر في غير هذه المديرية فلا يستخرج منهُ السكر بل يباع في الاسواق أخضر او بالحري يمصّ مصًّا · وتقوم زراعتهُ بحرث الارض اولاً في شهر مارس اربع مرَّاتٍ او خمساً حرثاً متقاطعاً

وبعد ذلك يخطّون فيها اثلاماً متحاذية يلقون فيها قطعاً من قصب السكر الاخضر يغطونها بطبقة من التراب على علوّ عقدتين او ثلاثاً ثم يسقونها بالسواقي بمعدل ساقية مجهزة باثني عشر ثوراً لكل ستة افدنة . لانهُ يلزم ثوران لسقي الفدان . ويستمر السقي بلا انقطاع احد عشر شهراً الى حين الجني

وعندما يدرك القصب يقطعونهُ قرب الارض فيستخدمون ٤ فعلة لقطع مزروعات الفدان في اسبوع

وتفرخ اصول القصب التي تبقى في الارض فيأخذون منها " تقاوي " السنة التالية

وتبلغ غلّة الفدان ٢٠ قنطاراً سكّراً و١٢ قنطاراً من عسل السكر . ويباع قنطار السكر الذي وزنهُ ١٠٥ ارطال بين ٣٢ فرنكاً و٣٨ فرنكاً وقنطار العسل بتسعة فرنكات

اما كيفية صنع السكر فسيأتي وصفها في الكلام عن الصنائع

(١٥)

زراعة التبغ

أكثر ما يزرع التبغ في الوجه القبلي . فيزرعونهُ هناك على أثر انحسار مياه الفيضان ولا يعوزهُ من ثمَّ داعٍ للاهتمام بهِ . وقد يزرعونهُ في الربيع فتقتضي الحال اعداد الارض بالحرث مرةً او مرتين قبل زرعهِ

ويزرعون في القيراطين من الفدان ١/٢٤ من الاردب بزراً (تقاوي) وبعد ٤٠ او ٥٠ يوماً يزهو النبات ويشتدّ فيقتلعونهُ ويغرسونهُ في أجود ارض بعد اعدادها بالحراثة المتقاطعة مرتين في حفر يبعد بعضها عن بعض ثماني بوصات وعمقها ثماني بوصات ايضاً ويجزّونها على مقربة من الارض بعد شهرين ونصف من غرسها فتفرخ فيعيدون جزّها بعد إفراخها بثلاثين يوماً

وبعد قطع سوق النبات ينزعون عنها الورق ويعرضونهُ للجفاف في الشمس ثمانية ايام ثم يحفظونهُ زمناً مغطىً بالحصر وفي النهاية يرزمونهُ رزماً فيصير صالحاً للبيع

وفي جميع بلاد الريف في الصعيد لا يستعملون تبغاً غيرهُ

ويجنون من الجزّة الاولى نحو ٢٠ رزمة جافّة من كل فدان تزن الواحدة منها نحو ٤٠ رطلاً ومن الجزّة الثانية نحو عشر رزم . ويباع القنطار من الاولى بنحو عشرة فرنكات ومن الثانية بنحو سبعة فرنكات

(١٦)

زراعة الوَرْد

تجارة ماء الورد قاصرة على مديريَّة الفيوم التي يرد منها كل ما يستعمل من ماء الورد في القطر المصري

واكثر ما يزرع من الورد في ضواحي مدينة الفيوم حيث يستخرجون ماءهُ . فيعدُّون الارض في الشتاء بالحرث عدَّة مرات ثم يقسمونها الى مربعات صغيرة يزرعون فيها فسائل الورد على ابعاد نصف متر بعضها عن بعض ويسقونها مرةً كل ١٥ يوماً على مدار السنة

ويجنون الزهر اثناء شهر ابريل واوائل مايو في كل صباح . ويستقطرونهُ بالانبيق في بكانهِ . والغالب انهم يجنون الورد في السنة الثانية من غرسهِ حتى السنة الخامسة وبعد ذلك يجدّدون غرسهُ

ومعدل جنى الفدان ثمانية قناطير زهرًا يباع القنطار منهُ بين ٢٠ فرنكاً الى ٣٦ فرنكاً

(١٧)

زراعة النخل

النخل من اهم اشجار القطر المصري . وتمتد زراعتهُ من اصوان الى شاطىء البحر المتوسط . غير انهُ يكثر على الخصوص في ضواحي مدينة ممفيس القديمة (جهات البدرشين وميت رهينة) التي تحوَّلت الى غابة منهُ . وفي شرقي بلبيس حيث بلدة الصالحية . وفي اللسان الفاصل بين بحيرة البرلس والبحر المتوسط

ويزرعون نوى النخل إمَّا في مزارع خاصة ينقلون منها "شتله" بعد بضعة سنين الى حيث يراد غرسهُ واما في اماكن يختبرونها لزرعهِ نهائياً . وفي كلتا الحالتين يزرعون النوى في حفر عمقها نحو ١٥ سنتيمترًا يروونها بالماء فتفرخ بعد ٤٠ يوماً او ٥٠

وعند ما تبلغ شجرتهُ سنتها الخامسة يشرعون في قطع سعفها ويكررون ذلك سنةً فسنةً

ويبتدئ جني النخل المغروس غرساً بعد ٦ سنوات الى ٨ من غرسهِ وجني المزروع زرعاً بعد نحو ١٠ سنين من زرعهِ

غير انهُ لا بد من تلقيح اعذاق اناث شجر النخل سنوياً فيضعون شيئاً من زهر اقناء ذكورهِ بين زهر اقناء اناثهِ فيتلقح ويثمر . ومعدل ريع النخلة سنوياً في الصعيد بين اربعة فرنكات وسبعة فرنكات . ومعدل عمرها بين ٨٠ سنة و١٠٠ ولكني لست واثقاً من صحة ذلك لعلمي ان معظم من شافهتهم فيهِ يجهلون ازمنة مواليدهم

ويباع البلح طريًا ومجففًا وعجوة وريعهُ في الوجه البحري يماثل ريعهُ في الصعيد بوجه التقريب . ويُقبل الاهالي على زراعة النخل اولاً لكثرة فوائده اذ انهم يصنعون منهُ ضروبًا متعددة من العجوة والسكّرات والمسكرات وينتفعون باخشابهِ واليافهِ في البناء والتجارة وصناعة الحبال وخلافها . وثانيًا لان الحكومة تشجعهم على زراعتهِ باعفائهِ من الضرائب على حين انها تجبي الخراج على سائر المزروعات

(١٨)

زراعة الكرم

يعتبرون الكرم في مصر بعد النخل في اهميتهِ وهو يزرع في جميع البساتين الخاصة غير ان الفيوم تعدّ موطن زراعتهِ وبتلوها جهات البرلّس . فيباع عنب الفيوم في القاهرة وانحائها وعنب البرلّس في الاسكندرية ورشيد ودمياط

ويزرعون الكرم فسائل يغرسونها في الارض بعد اعدادها جيدًا لهذه الزراعة ويسمدونها بزبل الحمام . ومتى علت جفناتهُ يعرّشونها على عوارض خشبية مستندة على قوائم عمودية فتتخذ شكل العريش

وفي الفيوم من البساتين اكثر مما في سائر جهات مصر لان اهاليها يزرعون انواعًا مختلفة من الاشجار المثمرة كالكمثرى والمشمش والزيتون والتين وخلافها

ويزرع في كثير من انحاء مصر البرتقال والرمان والليمون الحامض (المالح) وخصوصًا في ارباض الاسكندرية ورشيد والقاهرة والجيزة حيث تكثر الحدائق الخاصة بذوي اليسار . ونخصّ بالذكر جزيرة فاروس (الفنار) القديمة التي تسمى الآن جزيرة التين (راس التين) لكثرة هذا النوع من الشجر فيها وشدة خصبهِ ويقال على الجملة ان الاشجار المثمرة قليلة في مصر والاشجار الغابية مفقودة منها . غير انهُ يكثر فيها شجر الجميز حتى لا تكاد ترى ساقية لا تستظل بظلهِ . وفضلاً عن ذلك فانهم ينتفعون باخشابها لبناء القوارب وعمل جسور البيوت

مزايا القطن المصري وعيوبهُ

قرأنا للمستر لورنس بولس نباتي الجمعية الزراعية الخديوية بحثًا مستفيضًا عن القطن المصري في كتاب الجمعية السنوي وصل فيهِ الى هذه النتيجة وهي انهُ يمكن ان يزيد ثمن محصول القطن المصري زيادة كبيرة جدًا من غير ان تزاد زراعتهُ مساحة وذلك بان يختار

مقدار من التقاوي من اجود اصناف القطن المصري التي تقرب من الكمال ويزرع سنتين متواليتين ويختار من اشجاره ما تظهر فيه اتم الخواص حسب ناموس مندل الوراثي وتزرع التقاوي منهُ في مكانين او ثلاثة امكنة من القطر . ويجب ان ينفصل كل مكان منها عمَّا حولهُ بحيث لا تصل اليه الحشرات الكبيرة كالنحل لئلاَّ تلقحهُ من لقاح قطن آخر . ويكرّر زرعهُ هناك من تقاويه نفسها منفصلاً عن غيره . ومن المحتمل ان التقاوي التي تؤْخذ من الزراعة الاخيرة تثبت الصفات الجيدة فيها اربع سنوات متوالية فلا يحتاج الزارع ان يعود الى التقاوي النقية الاَّ في السنة الخامسة . ولا بدَّ من ان يكون في البلاد مكان معد لتوليد التقاوي النقية دائماً

ولقد كان القطن المصري مزيَّة مهمة وهي صلاحهُ لعملية المرسرة التي يصير بها كالحرير ولكن هذه العملية قد اتقنت الآن فصار يمكن استعمالها لغير القطن المصري فلم يعد ممتازاً بها . وكانت شعرتهُ طويلة دقيقة متينة فلم تعد كلها كذلك . فاذا فقد المزايا التي تميزهُ عن القطن الرخيص هبط ثمنهُ حتماً ومن ذلك خسارة لا تقدر على القطر المصري

ولم نرَ في ما كتبهُ المستر بولس دليلاً مقنعاً على انهُ اهتدى الى طريقة اصلاح القطن المصري او ارجاع المزايا الجوهرية اليهِ لان تجاربهُ لم تنتج دائماً نتيجة واحدة ولكن اسلوبها معقول وناموس مندل الوراثي محقق وقد يمكن منع العوارض التي تقاومهُ وتمنع فعلهُ او تضعفهُ . والمسألة حرية بالبحث ويجب ان لا تبخل الحكومة بما يلزم لها من النفقات حتى اذا ثبت انهُ يمكن اصلاح نوع القطن وارجاع المزايا الجوهرية اليهِ فاقل ما يطلب منها ان ان تتولى اصلاح التقاوي اللازمة للقطر كلهِ . فاذا فرضنا مساحة الاطيان التي تزرع قطناً مليوناً ونصف مليون من الافدنة ولزم للفدان ست كيلات فالتقاوي اللازمة للاطيان كلها تساوي محصول سبعين الف فدان بزرة ولا يصعب على الحكومة ان تختار من اطيانها الخصوصية واطيان الدومين ٢١٠٠٠٠ فدان وتزرع ثلثها كل سنة قطناً منتقى وتبيع بزرتهُ للزارعين تقاوي . واهتمامها بهذا الامر يجب ان لا يقل عن اهتمامها بالترع والمصارف وماء الري اذا كانت جودة الموسم تتوقف على جودة تقاويهِ لان في المسألة فرقاً يبلغ بضعة ملايين من الجنيهات كل سنة بين زيادة في ثمن المحصول او نقص في ثمنهِ

حقائق في زراعة القطن

قال الدكتور دبني رئيس مدرسة تنسي الجامعة في مقالة عن الزراعة الاميركية

نشرت في الطبعة الحديثة من الانسكلوبيذيا البريطانية ان القطن ابن الشمس ومحصول الفدان منهُ في المكان الواحد اقل اختلافاً سنة بعد سنة من غيره من المزروعات . اي ان المقدار المعلوم من نور الشمس يجني مقداراً مناسباً لهُ من القطن . فمحصول القطن متوقف على مقدار ما يصيبهُ من نور الشمس مدة اقامتهِ في الارض ولكن لا بدَّ من نسبة معلومة في توزيع الحرارة والنور مدة الشهور التي يقيم فيها في الارض اي من الربيع الى الخريف ولا بدَّ لهُ من ستة اشهر الى سبعة يكون الطقس فيها مناسباً لهُ . وهو يجود مهما اشتدَّ الحر اذا كان الهواء رطباً مع حرارتهِ ولا بدَّ لهُ من الري الغزير مدة نموهِ

وهو يجود في انواع مختلفة من الاراضي في المنطقة المناسبة لزراعتهِ من الرملية الخفيفة الى الطينية الثقيلة فاذا كانت الارض خفيفة وطبقتها السفلى رملية كانت شجيرات القطن صغيرة ولكنها تكون كثيرة اللوز واذا كانت الطبقة السفلى طفالية كانت الشجيرات كبيرة ولكن لوزها يكون قليلاً وخير الاراضي الطينية المتوسطة بين الرملية والطفالية التي تصرف صرفاً جيداً

والارض التي تصلح لزراعة القطن في المنطقة التي يزرع القطن فيها باميركا واسعة جداً تبلغ عشرة اضعاف الاراضي التي يزرع القطن فيها الآن . فاذا زرعت كلها انتجت عشرة اضعاف ما تنتج الآن من القطن ولكن قلة وجود العمال تمنع التوسع في زراعتهِ فان اجرة العمال تبلغ ٥٤ في المئة من مجموع المصاريف اللازمة لهُ . ويقتضي فكل ثلاثة قناطير من القطن نفر واحد من السكان وعدد سكان الولايات التي تزرع القطن ١٥ مليوناً فيسهل عليهم ان يزرعوا ما يبلغ محصولهُ ٤٥ مليون قنطار او نحو ١١ مليون بالة اميركية . وقد اهتدوا الى وسائل كثيرة لتسهيل الخدمة فصار يمكنهم ان يقوموا بزراعة اكثر من ذلك

وقد بحثت الحكومة الاميركية عن مصاريف زراعة القطن سنة ١٨٩٧ فوجدت ان مصاريف الفدان من الابتدا ١٥ ريالاً و٤٢ سنتاً وايراد الفدان ١٩ ريالاً و٣ سنتات فالربح من الفدان الواحد ٣ ريالات و٦١ سنتاً (اي ٧٢ غرشاً) . وان متوسط محصول الفدان ٢٥٥ رطلاً و٦ اعشار الرطل من القطن الشعر و١٦ بشلاً (نحو ثلاث ارادب) من البزرة ومتوسط ثمن الرطل من القطن الشعر ٧,٦ سنت ومتوسط ثمن البشل من البزرة ٩,١١ سنت ومتوسط اجرة جمع المئة رطل من القطن نحو ٩ غروش ومتوسط مصاريف القنطار من القطن الشعر في الولايات كلها خمسة ريالات و٢٧ سنتاً . وسنة ١٨٩٦ ربح ثمانون في المئة من زارعي القطن وخسر عشرون في المئة

وقد تحسن نوع القطن الاميركي كثيرًا بتحسن خدمتهِ فقد كان في كل مئة رطل من القطن والبزرة ٢٥ رطلاً من القطن الشعر و٧٥ رطلاً من البزرة ثم زاد مقدار الشعر (اي التصافي) رويدًا رويدًا حتى بلغ الآن ٤٠ رطلاً من القطن الشعر و٦٠ من البزرة (لو بلغ القطن المصري هذا المبلغ لكان تصافي القنطار ١٣٦ رطلاً من القطن الشعر وهو قلما يزيد الآن على ١٠٦ ارطال) وكان طول الشعرة سنتمترين الى ثلاثة فصار الآن خمسة سنتمترات الى ستة في اجود الانواع. ولكن الانواع التي بلغت هذا الحد من كثرة التصافي وطول الشعرة قليلة جدًا والغالب انهُ اذا طالت الشعرة لم يكثر التصافي واذا كثر التصافي قصرت الشعرة واذا بلغ القطن الامرين معًا اي كثرت تصافيهِ وطالت شعرتهُ فانهُ يخسر هذه الصفات سريعًا والقطن من النباتات التي توثر فيها الخدمة والسماد كثيرًا فيمكن تنويعهُ بسهولة وقد ثبت انهُ اذا اختيرت التقاوي من اللوزات التي تتفتح باكرًا صار القطن الناتج منها طويل الشعر الا ان النوع الذي يزيد حملهُ كثيرًا تضعف قوتهُ الحيوية

وكانت العادة ان توخذ التقاوي من وابورات الحلاجة اما الآن فيفتش عن الاشجار التي تظهر فيها احسن الصفات وتوخذ التقاوي من بزرتها. والمراد اختيار الاصناف الكثيرة التصافي التي شعرتها طويلة ودقيقة

خناق القطن

من الآفات التي تصيب القطن في القطر المصري مرض فطري يقع بجذر النبات عند اول ظهورهِ فيضعفهُ او يميتهُ وتدعو الحال الى كثرة ترقيع القطن وقد اطلق الفلاحون على هذه الآفة اسم خناق القطن. وقد اهتمت الجمعيَّة الزراعية الخديوية بالبحث عن سبب هذه الآفة والعلاج الشافي منها فوجدت ان سببها مادة فطرية كما تقدم وانهُ يمكن منع هذه الآفة بمزج تقاوي القطن قبل زرعها بالنفتالين وهو مادة كيماوية قوية الرائحة جدًا تراهُ قشورًا دقيقة بيضاء يباع الرطل منهُ بنحو غرشين ويمتزج بالجبس وثمن الرطل من الجبس نصف غرش ويضاف هذا المزيج الى البزر ويخلط بهِ جيدًا فلا يعود المرض الفطري المشار اليهِ يظهر فيهِ الا نادرًا وتبلغ مصاريف معالجة تقاوي الفدان اربعة غروش اذا اشتري النفتالين بمقادير كبيرة. ويحسن بالذين يبيعون التقاوي ان يخلطوها بمسحوق النفتالين والجبس على ما تقدم ويلزم لكل التقاوي التي تزرع في القطر المصري سنويًا نحو ٩٠٠ طن من النفتالين

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

آداب دعوات العصر

من الدعوات ما يدعى فيهِ الناس لقضاء عصر النهار من الساعة الرابعة بعد الظهر الى السادسة او السابعة ولا بدَّ من ان يُذكر ذلك في اوراق الدعوة ويذكر فيها ايضاً الالعاب التي يراد اللعب بها حينئذٍ وذلك في اسفلها . ويحق للمدعوين ان يحضروا في اية ساعة ارادوا من ساعات الدعوة . فاذا كان اليوم صحواً قضي في حديقة المنزل وتوضع للمدعوين موائد تحت الاشجار عليها المرطبات ونحوها او توضع لهم موائد في خيمة وتوضع عليها ما يلزم من الشاي والقهوة والليموناضة والاثمار والكعك والاشربة المبردة والمرطبة والسكاير ونحوها . ويكون في الحديقة او الخيم كثير من الكراسي والمقاعد ليستريح المدعوون عليها واذا كان اليوم ماطراً فلا بدَّ من استقبال المدعوين في البيت ولكنهُ اذا كان شديد المطر تؤجل الدعوة الى يوم آخر

ولا بدَّ لرب البيت وربة البيت من ان يستقبلا كل المدعوين والذين يأتون معهم من الاصدقاء ويصافحاهم واحداً واحداً ومتى انقضى الوقت واخذ المدعوون في الانصراف وجب على كلٍ منهم ان يودع رب البيت وربة البيت ويشكرهما على فضلهما ولا داعي لهُ لان يترك ورقة زيارتهِ الا اذا كان المدعوون كثاراً ولم يستطع ان يكلم رب البيت او ربة البيت وحينئذٍ فالمرأة المتزوجة تضع ورقة من اوراقها وورقتين من اوراق زوجها والارملة تضع ورقة واحدة والاعزب ورقتين

حفظ الشعر وتقويتهُ

خير الوسائل لتقوية الشعر وحفظهِ ان يبرش بفرشاة كل يوم في المساء والصباح خمس دقائق وينظف جلد الرأس دائماً واذا كان الشعر شديد الجفاف قصفاً فلا بد من دهنهِ بقليل من الزيت او البوماده . ولا يحسن صبغ الشعر بصباغ مهما كان نوعهُ

الفاكهة في الصيف

"كل الفواكه في ابانها" كلامٌ مأثور وحكمة انتجها الاختبار. ولقد كان عصر لم يكن طعام الانسان الاول فيهِ غير اثمار الاشجار وجذور النبات ولا تزال الاثمار والجذور طعام بعض قبائلهِ حتى الآن

والغذاء غير كثير في كل الاثمار ولكن فيها سكرًا سهل الهضم وهو سكر النبات وماء نقيًّا وحوامض آلية ومواد اخرى مغذية وكلها في حالة صالحة للهضم حتى اذا كانت الاثمار ناضجة كانت كأنها طعام مهضوم تمتصهُ المعدة والامعاء حالما يصل اليها

ومن الناس من يتعب من اكل الفاكهة وسبب ذلك انهُ يكثر منها جدًّا او يأكل قشرها من غير ان يمضغهُ جيدًا او يأكل الكثير منها بين الاكلين حينما تكون معدتهُ وامعاؤهُ مشغولة بهضم طعامهِ العادي. ولو اقتصر على اكل الفاكهة وحدها او لو قلل طعامهُ الآخر واكل الفاكهة بدل ما قللهُ منهُ لما رأى صعوبةً في هضمها واما اذا شبع من الطعام ثم اكل الفاكهة فوقهُ فانهُ يتعب لانهُ يكون قد اكل فوق الشبع

وخلاصة المقال ان الفواكه الناضجة سهلة الهضم جدًّا بشرط ان تؤكل وحدها ولا تؤكل فوق الشبع. واما اذا مزجت بالخضر واللبن والزبدة والسكر ونحو ذلك من المواد فانها قد لا تعود سهلة الهضم لا لذاتها بل لما مزجت بهِ

واذا كانت الفواكه حامضة فلا بدَّ من مضغها جيدًا ليمتزج اللعاب بها ويعدّل حموضتها بفعلهِ القلوي. ولا يراد بالفواكه الحامضة ما يحلو اذا نضج كالحصرم وقرعون المشمش لان هذه يجب ان تترك حتى تنضج جيدًا وتحلو بل يراد الفواكه التي يبقى فيها شيء من الحموضة ولو نضجت كبعض انواع التفاح فان التفاح الجيد الذي يبقى فيهِ شيء من الحموضة ولو نضج مغذٍ جدًّا ولا يصعب هضمهُ الأ على الذين لا يمضغونهُ واذا مضغت الفاكهة وبقيت مع ذلك عسرة الهضم فالسبب من الاطعمة التي تؤكل معها لا منها فلتؤكل وحدها. والحامض القليل الذي في بعض الفاكهة من احسن المنظفات للقناة الهضمية والقاتلات للجراثيم المرضية. والذين جربوا عصير الاثمار في الحميات المنهكة كالتيفويد يفضلونهُ على خلاصة اللحم فانهُ ينعش الجسم ويميت الميكروبات

والفائدة الكبرى من الاثمار ناتجة عما فيها من السكر فان سكرها نوع من النشاء المهضوم المعد لان يمتصهُ الجسم ولهذا السبب تجد الانسان ينتعش اي؟ انتعاش اذا كان متعبًا جدًّا

واكل برتقالة او تفاحة او اجاصة او عنقود عنب او قطعة بطيخ لان السكر الذي فيها يدور في بدنهِ حالاً ويغذي الدقائق المنهكة من التعب

يقول الاوربيون ان الفاكهة ذهب في الفطور وفضة في الغداء ورصاص في العشاء يعنون انها تفيد كثيراً في الصباح وتثقل في المساء . اما فائدتها في الصباح فلا نزاع فيها واما ما ينتج عنها من التعب في المساء فسببهُ اكلها بعد ان تمتلئ المعدة من الطعام الغليظ فلو اقتصر العشاء على القليل الخفيف من الطعام لكانت الفاكهة خير ما يضاف اليهِ

ولا بدَّ من كون الفاكهة ناضجة تماماً فليس من الحكمة اكل الفج منها ولا سيما اذا كان حامضاً لانهُ يتعب المعدة والامعاء . واذا قطفت الفاكهة قبل ان تنضج واريد اكلها وجب طبخها قبل ذلك لكن الفاكهة الناضجة اسهل هضماً واكثر غذاء من غير الناضجة ولا داعي لطبخها حينئذٍ كما يفعل بعض الاوربيين بل ان طبخها يذهب بلذتها وبجانب من فائدتها ولا يزيدها هضماً

واذا كان لا بدَّ من طبخ الفاكهة وجب ان يقلل السكر الذي يضاف اليها على قدر الامكان اي سكر القصب لانهُ ليس مما يسهل هضمهُ . وبعض الفاكهة يؤْكل يابساً اي زبيباً كالزبيب الذي هو عنب مقدد والتين اليابس وكلاهما كثير الغذاء سهل الهضم يحسن ان يؤْكل اداماً مع الخبز فيغذي الغذاء الكافي . وما اصح ما كان يقتات بهِ الاقدمون في زمن داود وسليمان والانبياء رغيف خبز وعنقود زبيب . طعام قليل لا يسمن ولكنهُ يغني عن جوع ويحفظ الصحة والقوة ولا يتعب المعدة

قلنا ان الفاكهة يجب ان تكون ناضجة لكي تفيد ونقول ايضاً انها يجب ان تكون ناضجة على امها لا مقطوفة فجراء ومتروكة زماناً طويلاً حتى تنضج فانها تخسر حينئذٍ جانباً كبيراً من فائدتها وهو شأن اكثر الفواكه التي يتاجر بها من بلاد الى أُخرى فانها ترسل فجراء فتنضج في اثناء الطريق ولكن شتان بينها وبين الفواكه التي تنضج على امها في طعمها ونكهتها

اكلنا قبل كتابة هذه السطور مشمشاً لوزياً قطف من حديقة في حلوان بعد ان نضج على امهِ فوجدنا حلاوتهُ لا تقل عن حلاوة العسل مع ان منظرهُ يدل على انهُ ليس من اجود انواع المشمش اللوزي ولا هو ناضج على مهل في حر معتدل . واكلنا بعدهُ مشمشاً لوزياً اتانا من بيروت وقد قطف اخضر حتى لا يتلف في الطريق ومنظرهُ يدل على انهُ من اجود انواع المشمش اللوزي كبير الحجم ابيض اللون مورَّد الخدين فوجدنا طعمهُ دون طعم الاول مع انهُ لو ترك يومين آخرين حتى نضج على امهِ لكان الذ فاكهة تحت السماء

والموز الذي يؤتى بهِ الى هذه العاصمة من جزائر الهند الغربيَّة هو من اجود انواع الموز والموز يقطف عادة قبلما ينضج لانهُ لا ينضج كلهُ دفعةً واحدةً ولكن هذا يقطف قبلما ينضج بكثير ولذلك تزول فكاهتهُ ولا يكون فيهِ نصف الحلاوة التي تكون فيهِ عادةً لو قطف حالما يشرع ينضج

وفي الموز ٢٥ في المئة من سكر الاثمار وغيرهِ من المواد المغذية فهو من اكثر الاثمار غذاء ويكاد يماثل الزبيب والتين اليابس من هذا القبيل والرطل من الموز الجيد يحوي من الغذاء قدر ما يحوي بهِ الرطل من اللحم واذا كان ناضجاً جيدًا سهل هضمهُ على اضعف المعد

وقد شاع الآن تجفيف الموز الناضج وطحنهُ وعمل عصيدة من طحينهِ او شوربة وهي مغذية جدًّا وسهلة الهضم

والتمر من اكثر الاطعمة غذاء ولذلك لا نعجب اذا قيل لنا ان الرجل من الدراويش كان يقتات في يومهِ بقليل من التمر وحفنة من الذرة ويصبر على تحمُّل المشاق والاهوال لان التمر كلهُ غذاء. وكذلك التين الاخضر واليابس لا سيما وان في التين مادة نيتروجينية ايضاً تزيدهُ غذاء واذا اضيف الجوز واللوز الى الاثمار اليابسة كالتين والزبيب كمل الغذاء لاننا نكون قد جمعنا بين المواد الدهنية والسكرية والنيتروجينية

ومن العجب ان يوجد عند الناس خبز من القمح او ذرة وحبوب كالفول والعدس وفاكهة طرية كالعنب والتين والموز والبرتقال ويابسة كالزبيب والتمر والتين اليابس وهم لا يكتفون بهذه الاطعمة ويستغنون عن اللحوم والمعاجين وكل الاطعمة الغالية الثمن المتعبة للمعدة

وقد اثبتنا في الجدول التالي ما في انواع بعض الفاكهة من الماء والسكر والبروتيدات (اي المواد التي تكوّن اللحم) والمواد الملاحة

	ماء	سكر	بروتيد	املاح
التفاح	٨٥	٨	٠٫٥	٥
المشمش	٨١	٤٫٥	٠٫٥	٦٫٥
الموز	٧٧	٢٠	١٫٥	[illegible]
الكرز	٨	١٠	٠٫٧	١٫٨
التمر	٣٨	٥٧	٣٫٠	٫٢
التين الاخضر	٧٩	١٨	١٫٥	٠٫٥

	ماء	سكر	بروتيد	هلام
التين اليابس	٣١	٥٠	٤٫٠	٢٫٠
العنب	٧٨	١٤	٠٫٦	٠٫٢
الزبيب	٣٢	٥٥	٢٫٥	٠٫٧
البرتقال	٨٧	٤٫٥	٠٫٨	
الشمام	٩٠	٨٫	٠٫٥	
البطيخ	٩٢	٧	١٫٠	
الخوخ	٨٠	٤٫٥	٠٫٧	٧٫٠
الكمثرى	٨٣	٨٫٣	٠٫٤	٣٫٣
الاناناس	٨٩	٨٫٩	٠٫٤	٠٫٢
البرقوق	٨٥	٣٫٦	٠٫٤	٤٫٦

ولا يخفى ان هذه المواد تختلف باختلاف اصناف النوع الواحد من الفاكهة فالتفاح اصناف كثيرة بعضها سكري كثير السكر وبعضها شرابي كثير الحوامض وكذلك المشمش اللوزي والحموي والكلابي اصناف كثيرة بعضها يسيل حلاوة وبعضها ناشف لا طعم فيهِ وقس على ذلك الموز والعنب والتين والبرتقال والشمام والبطيخ والخوخ (الدراقن) والكمثرى (الاجاص) فانها كلها ذات اصناف بستانية مختلفة في الجودة واجودها ما كثر سكرهُ ومائيتهُ ونكهتهُ وطعمهُ وهو اكثرها غذاء واسهلها هضمًا

باب التقريظ والانتقاد

اعظم تذكار للعثمانيين الاحرار

لم يكد يُعلن الدستور في البلاد العثمانية حتى قام كثيرون من العلماء يفتون بانهُ مطابق للشرع الشريف كانهم حسبوا ان الناس مرتابون في مطابقتهِ للشرع فقصدوا نزع الريبة من نفوسهم. ومن قبيل ذلك هذا الكتاب الذي وضعهُ احد علماء بيروت وهو كتاب نفيس اثبت فيهِ مؤلفهُ بالنصوص الصريحة على انواعها ان مجالس الشورى والحرية موافقة للشرع الشريف فاثبت مشروعية مجلس المبعوثان الشوروي باثنتي عشرة آية وقسم الحرية الى

اقسام مختلفة واستدل على مشروعية كلٍّ منها بالآيات القرآنية ولم يكتفِ بذلك بل نسب الى المسيحيين اموراً ينكرونها فقال مثلاً ان الرهبان الَّفوا الرسائل ذيلاً للعهدين وجعل قولهم في صلاتهم " ابانا الذي في السماوات " من قبيل افتخار امة على أُخرى واشار الى انَّ في ذلك تذليلاً وتحقيراً لباقي الشعوب وسلباً لحرية نفوسهم. ونسي ان الكتاب الذي علَّم اتباعهُ ان يقولوا في صلاتهم ابانا الذي في السموات قال لهم ايضاً وخلق من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على وجه الارض وانهُ ليس عند الله محاباة بل كل من يفعل البر مقبول امامهُ . ولكن الجدل في هذه المواضيع لا يجدي نفعاً. والآن نحن نكتب هذه السطور وعلماء الشرع يصدرون الفتاوي في تقبيح ما فعلهُ اهالي اطنه وغيرها من ذبح مواطنيهم المسيحيين كأنهم فعلوا ذلك مدفوعين بدافع ديني . وما دام الناس يعتمدون على الدين في تحليل المعاملات وتحريمها نبقى في هذا التخاذل والتضاغن لانهُ اذا وجد العالم المستنير ادلة على اثبات امر وجد العالم المتنطع ادلة على نفيهِ . وقد اشتدَّ العداء واستحرَّ القتل لعلة الدين بين اصحاب المذاهب المختلفة من الدين الواحد بل بين اصحاب المذهب الواحد فما قولك بهم وهم من اديان مختلفة . ولا ندري لماذا لا يلتفت الناس في معاملاتهم الى اصول اخرى غير الاصول الدينيَّة. فاذا فتشت عن بنَّاء يبني بيتك لا تعتمد في اختيارهِ على آية كتابيَّة بل على مهارتهِ وامانتهِ واذا فتشت عن طبيب يطبب ابنك لم تعتمد من انتقائهِ على حديث نبوي بل على ما عملتهُ بالخبرة او بالخبر عن علمهِ وفضلهِ . والناس يعتمدون في زراعتهم وصناعتهم وتجارتهم على علومهم التي توصلوا اليها بالاختبار ولا يدخلون الدين فيها فلماذا لا يعتمدون في سياستهم على علمهم واختبارهم اي على ما هم متفقون فيهِ ومسؤولون عنهُ ولا يفلح الشرق الاَّ اذا فصل بين الدين والسياسة وترك كلاًّ منهما يسير سيرهُ الخاص بهِ . والكتاب حسن في اسلوبهِ شريف في غايتهِ وما اعتراضنا عليهِ الاَّ لان الاختبار يدلنا اننا ان جعلنا الدين اساساً لمسائلنا الاجتماعيَّة فلا تجد واحداً ينادي بالتأليف بين اعضاء الشعب الواحد لاسباب دينيَّة حتى تجد اثنين يناديان بالتفريق لاسباب دينيَّة . وكل ما ينادي بهِ علماء مصر والشام مما يوجب التأليف بين اكبر ملتين في السلطنة العثمانية لم ينقذ واحداً من القتل ولكن ما نادى بهِ دعاة التفريق بعلة دينية اي دعاة التعصب قتل ثلاثين الفاً

ديوان رستم

بين الشعر الفصيح والشعر العامي من المواليا والزجل ونحوهما بون شاسع وقد كان ذلك

كذلك من قديم الزمان حتى يظهر لنا ان اللغة المعربة التي نكتب بها وقد كتب بها ابناء العربيَّة من اول زمن التدوين الى الآن لغة موضوعة او منقحة وان لغة التكلم او اللغة العامية كانت دائمًا اقرب الى اللغة العامية المستعملة الآن منها الى لغة الكتابة

وقد حاول كثيرون الجري على لغة متوسطة بين اللغة العربيَّة واللغة العامية اما بتهذيب العامية قليلاً حتى تقارب المعربة كما ترى في الزجل الذي نشرناه في الجزء الماضي من المقتطف في الكلام على دولة آل عثمان. او بادخال كلمات ومصطلحات عامية في اللغة المعربة لكي تصير اقرب تناولاً واسهل فهماً على العامة. ومن هذا القبيل قصائد ومقاطيع كثيرة في ديوان الشاعر العصري اسعد افندي رستم اللبناني مولدًا والاميركي دارًا كقولهِ في وصف الشويَر مسقط رأسهِ

نحن الشوريين كم من معتركْ فيهِ بلعنا الخصم مثل (الشِّشْبَرَكْ) !
ارباب شاقوفٍ تميد لهُ الثرى فيدكّ من اجبالها ما لا يُدَكّ
اصحاب جدٍّ في البلاد يهمنا عملٌ وليس يهمنا (طق الحنك) !
نبني البيوت على اساسٍ راسخٍ ليست تزعزعهُ المدافع والفشك
منا المؤلف والرياضيُّ الذي لمؤلف افرنج شيئًا ما ترك
ولنا على صنين من اعمالنا نورٌ يشاهدهُ البقاعي في الكرك
والفرق ما بين الشوير وغيرها كالفرق ما بين الجواهر والتنك
والحمد للمولى نقيم بها ولا في البرج او في ساحة تدعى السمك
هي في امانٍ لا يخدّش سمعنا فيها سوى صوت الضفادع في البرك
وخلاصة الاقوال يا اصحابنا ان الشوير تهز عمود الفلك !!

وقولهُ على اثر اجتماع بعض الجرائد العربيَّة في نيويورك لتوحيد جرائدهم

في (أستيفن هوس) قد اجتمعوا وجرت اشياء فاستمعوا
اخذوا ردوا رغبوا طمعوا والكل بقدوته غالي

إرخي إرخي لا لا لالا

قالوا سنضمّ جرائدنا يومًا ونُعِمّ فوائدنا
فيرى الرصفاء مكائدنا وتماين منا الاهوالا

اضرب واطرح لا لا لا لا

منهم من قال انا الراسُ خضعت لمهابتيَ الناس

وباعله ارتفع الكاسُ فانصب (الوسكي) شلالا
آفيشا توكا لا لا لا

قالوا من بعد ان اقترحوا هذا يا اخوان القدحُ
صبوا ليتمَّ لنا الفرحُ ويزيد البسط استكمالا
عندي عندك ترلا لا لا

وقوله في التزوج بربة مال

صاحِ ان تقترن بربة مالٍ وجمال تلفَ المعيشة مرَّه
دأبها ان تقول آلي ومالي كلما الكوز دقَّ يوماً بجرَّه

وفي الديوان قصائد ومقاطيع كثيرة خالية من العامي وبعضها من بليغ النظم ويا حبذا لو خلا من بعض التهم الكاذبة التي يشيعها اوباش لا خلاق لهم كقوله مخاطباً اناساً في مخيلته

والدولة المحتلة القطر بتمُّ مبادئكم بالمال والمال يفسدُ
وكيف يعد المرء حرًّا وعندهُ ضميرٌ بمال الانكليز يُقيَّدُ

ولا ندري كيف يستحل رجل مثلهُ ان يتهم امةً جليلة الشان مثل امة الانكليز انها تشتري الناس بالمال وتقيد ضمائرهم وهي صاحبة الطول والحول والسيف والمدفع والفضل الاكبر على كل الممالك العثمانية . وقد كان نائبها في هذا القطر مثال العفة والاستقامة وسمو المبادىء الدينية . ولا نقول للناظم اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه لاننا نبرأُ الى الله ان نرمي بفاحشة من لا نعرفهُ ولا نعرف عنهُ شيئاً ولكننا نلوم كل من يستحل اتهام الناس تهماً كاذبة مثل هذه

والديوان كبير وفيهِ صور بعض الممدوحين ورسوم هزلية وقد صدرهُ الناظم برسمهِ

معجم الادباء لياقوت الحموي

الجزء الثاني

اهدى الينا حضرة الفاضل الاستاذ مرجليوث الجزء الثاني من هذا الكتاب النفيس وهو كالاول في حسن طبعهِ وتنقيحهِ يبتدئ باحمد بن علوية الاصبهاني الكرماني وينتهي بجودي بن عثمان . ومن الاعلام المشهورين الذين وردت ترجماتهم في هذا الجزء ابن مسكويه وابن عبد ربهِ والميداني والبلاذري وثعلب وابن صبيح واسامة بن مرشد واسحق الموصلي وابن مماتي والجوهري والصاحب بن عباد . وقد ملأت ترجمة ابن عباد سبعين صفحة . والميكالي والمازني

وابن السرّاج وابن الفرات وابن قدامة الكاتب وغيرهم . وقد اسهب في ترجمة بعضهم كما تقدم واختصر في ترجمة البعض الآخر . ومما وقفنا عليهِ حديثاً ولم نرهُ في هذا المعجم كتاب للامير اسامة ابن منقذ اسمهُ لباب الآداب الّفهُ قبل وفاتهِ واهداهُ الى ابنهِ وقد وقعت لنا النسخة الاصلية التي كتبت للمؤلف واهداها الى ابنهِ سنة ٥٨٢ للهجرة كما ذكرنا في الصفحة ٩٥٣ من المجلد الثاني والثلاثين من المقتطف

هذا واننا نقترح على حضرة الاستاذ مرجليوث ان يزيد نفع الكتاب ويلحقهُ بفهرس آخر تذكر فيهِ الاسماء مرتبة حسب شهرتها فيكتب الميداني في حرف الميم والبلاذري في حرف الباء وثعلب في حرف الثاء والجوهري في حرف الجيم والصاحب بن عباد في حرف الصاد وهلم جرًّا تسهيلاً للمراجعة ولو وضعت الاسماء في حقلين او ثلاثة من الصفحة الواحدة والكتاب حسن الطبع والتجليد يحسن ان تحلّى بهِ كل المكاتب العربية

شرح المعلقات

ما اكبر الفرق بين هذا الكتاب والذي قبلهُ معجم الادباء من حيث جودة الورق والطبع والتجليد مع ان الذين طبعوا الكتاب الثاني بذلوا جهدهم على ما يظهر لجعلهِ في الدرجة الاولى بين الكتب المطبوعة في المطابع الوطنية بهذا القطر

والشرح للزوزني المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة فهو من اقدم كتب الادب . ويليهِ شرح معلقة النابغة الذبياني ومعلقة الاعشى وقصيدتان للنابغة وهذه الشروح الاخيرة منقولة من الكتبخانة الخديوية ومقابلة على عدة نسخ وقد طبعت بمطبعة دار الكتب العربيّة الكبرى على نفقة اصحابها مصطفى افندي البابي الحلبي واخويهِ . وشرح المعلقات السبع الاول مسهب كثير الفوائد اللغويّة واما شرح المعلقتين الاخيرتين والقصيدتين اللتين تليانهما فعلى اتم الاختصار

درس الهندسة للسنة الثانية الثانوية

كتاب صغير لكنهُ جامع لكثير من القضايا الهندسية فان كان التلامذة لا يتعلمون غيرهُ من الهندسة في سنة كاملة فاشتغالهم بالهندسة قليل جدًّا فاننا كنا نعلم كتب اقليدس كلها في سنة واحدة ولا يرى التلامذة صعوبة في تعلمها . ثم ان رسوم هذا الكتاب لا يظهر الحروف فيها احياناً ففي رسم النظرية الثانية والثلاثين لم يظهر حرف الميم ولا ظهرت الخطوط التي يبرهن بها مساواة المربع الاصغر لاستطيل ل م ب ن وحبذا لو اختيرت الحروف الكبيرة الثخينة في كل كتب التعليم لكي لا تتعب في استيضاحها عيون التلامذة

ترجمة القس وليم هرفي

القس الدكتور وليم هرفي من خيرة القسوس الامركيين الذين اقاموا في القطر المصري وهو من بيت اسكتلندي هاجر بهِ ابواهُ الى اميركا في حداثتهِ فدرس في احدى مدارسها العالية واتمّ دروسهُ سنة ١٨٦٢ ثم درس العلوم اللاهوتيَّة وأُرسل الى القطر المصري فوصلهُ في ٢١ دسمبر سنة ١٨٦٥ وقضى فيهِ بقية عمرهِ الى ان توفاهُ الله في العشرين من شهر نوفمبر الماضي فيكون قد قضى في هذا القطر ٤٦ سنة واعظاً ومعلماً بكلامهِ وسيرتهِ الطيبة . وقد جمع حضرة عبد الملك افندي تادرس الكدواني خلاصة ترجمتهِ وما قيل في تأبينهِ بالعربيَّة والانكليزيَّة في كتاب واحد ليكون تذكاراً لهُ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) عقاب الطبيب والمحامي

مصر . الخواجه فكتور سيمون بطيطو .

هل يعاقب الطبيب اذا اخطأ فقتل المريض بخطاءهِ وهل يحاكم المحامي اذا اخطأ فاضرّ موكلهُ بخطائهِ . ومَن يطلب معاقبتهما ومن يحكم بخطائهما

ج . ذوو الشأن يطلبون معاقبة الطبيب فالمحكمة تعين ذوي خبرة من الاطباء ينظرون في الامر فاذا وجدوا ان الخطأ كان عن قصد او عن جهل فالقضاة يقدّرون العقوبة ولكن ذلك قلما يحدث لان الطبيب يقدر دائماً ان يجد وجهاً للدفاع كأن يقول ظننت ان العلَّة كذا لا كذا فعالجتها حسبما تراءت لي . واذا اعترف بخطائهِ فخطاؤهُ عن غير قصد وجزاؤهُ طفيف ولكن اذا ثبت انهُ ارتكب جناية لقصد سوء فيعاقب مثل غيرهِ من الجناة

واذا اخطأ المحامي وشكا منهُ موكلهُ فالمحكمة تنظر في ذلك وتعاقبهُ ولجنة تأديب المحامين تحكم عليهِ بما يستحقهُ من التوقيف او الشطب

(٢) مذهب داروين واطفال الناس

الفيوم . ج . م يقتضي مذهب داروين ان يكون الارتقاء من الادنى الى الاعلى وحيث ان الانسان زبدة المخلوقات فيجب ان يكون اقوى منها في كل شيء واذا كان الامر كذلك فلماذا نرى طفل الانسان اضعف من اطفال اكثر الحيوانات اليس ذلك مناقضاً لمذهب داروين

ج . ليس من الضروري ان يكون كل ما في الانسان اقوى من كل ما في الحيوان فعقل الانسان ارقى من عقل الحيوان ويد الانسان ارقى من يد الحيوان ولكن انياب الانسان ليست اقوى من انياب الاسد وسمعهُ ليس احد من سمع الارنب وشمهُ ليس اقوى من شم الكلب وبصرهُ ليس احد من بصر النسر. وليس من الضروري ان يكون الانسان قد ارتقى من حيوان صغارهُ قوية كصغار الخيل والبقر ولا من حيوان قوي الجسم كالاسد والنمر بل المرجح انهُ تولَّد من حيوان ضعيف الجسم لان قوة الجسم تدعو الى شدة الخصام وبعد الحيوانات بعضها عن بعض واما ضعف الجسم فيدعو الى الالفة واعمال الحيلة فتقوى بهِ المراكز العقليـة ويظهر لنا ان طفل الانسان المتوحش اقوى قليلاً من طفل الانسان المتمدن اي ان شدة الاعتناء بالاطفال وقلة احتياجهم الى السعي اضعفا بنيتهم ورسخ هذا الضعف فيهم بالوراثة

(٣) قوة الدولة الحربية

حوران المزيريب . نسيم افندي الخوري . نظرت في باب الاخبار العلمية في الصفحة ٤١٢ من المجلد الرابع والثلاثين جدولاً فيهِ محمول السفن الحربية لكل من الدول البحرية ولم اجد ذكرًا لدولتنا العثمانية فما هي قوة عمارتها البحريَّة

ج . لم تذكرها لان دولتنا لا تعد الآن من الدول البحرية ولكنها من الدول البريَّة وليس ذلك بضائر فان روسيا لم تعد الآن من الدول البحريَّة والنمسا ليست من الدول البحريَّة ومع ذلك عند الدولة الآن طرادان محميان محمول كلٍّ منهما ٣٢٥٠ طنًا وسرعتهُ ٢٢ ميلاً بحريًا وقد اصلحت المدرعة مسعودية وفيها الآن مدفعان قطر فوهة كلٍّ منهما ٩ بوصات وعشرا البوصة و١٢ مدفعًا قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات وتزيد سرعتها على ١٧ ميلاً بحريًا وعندها مدرعات اخرى ولكنها قديمة لا تحسب بين مدرعات هذه الايام . واذا ارادت ان تنشئ لها اسطولاً جديدًا لزمها ان تنفق على ذلك مليونين او ثلاثة ملايين من الجنيهات كل سنة على الاقل لان البارجة الواحدة من طراز الدردنوط يكلف بناؤها مليوني جنيه

(٤) صور السماء

الاسكندرية . احمد افندي السيد . وعدتم في الصفحة ٦١ من المجلد الثالث

والثلاثين بانكم ستنشرون في جزئين تاليين رسالة عربية في صور السماء وتعلقون عليها شرحاً وجيزاً وللآن لم تنجزوا هذا الوعد فنرجو التكرم بانجازه

ج • الرسالة العربية امامنا الآن وكنا عازمين ان نعلق الشرح عليها من كتاب انكليزي قديم في علم الفلك يذكر فكاهات كثيرة عن صور السماء ولكننا فتشنا عن الكتاب حين الحاجة اليه فلم نجده ولا نتذكر اسم مؤلفه وسنفتش عنهُ جهدنا لعلنا نجده ونقوم بوعدنا

(٥) اسماء صور السماء

ومنهُ . باطلاعنا على ما قالهُ العلامة القزويني في كتاب عجائب المخلوقات عن شرح صور السماء الشمالية والجنوبية والبروج وجدناهُ قريباً مما جاء في شرح صور السماء في الاطالس الانكليزية والفرنسوية فهل المصدر الذي اخذ منهُ القزويني هو المصدر الذي نقل عنهُ فلامريون الفلكي الفرنسوي وغيره وهل كتاب المجسطي لبطليموس هو المعول عليهِ للآن في شرح صور السماء ولماذا صورت بعض مجاميع النجوم بصور الحيوانات كالحمل والثور وبعضها بصور غيرها كالميزان والسنبلة

ج . ان الاصل واحد كما قلتم فان العرب نقلوا علم الفلك عن اليونان واخذوا عنهم صور مجاميع النجوم واسماءها وكذلك الاوربيون نقلوا عن اليونان وعن العرب ايضاً. واليونان نقلوا عن المصريين والكلدانيين ولا يعتمد الآن على كتاب المجسطي في علم الفلك ولا يعلم لماذا سمى الاقدمون هذا المجموع من النجوم حملاً وذاك ثوراً وذلك اسداً وهلم جرّا ولكنهم لو لم يسموها بهذه الاسماء لسموها بغيرها من اسماء الحيوانات والاشياء المألوفة عندهم • والظاهر ان اختلاط الامم بعضهم ببعض في الازمنة الغابرة بالحروب والاسفار جعل بعضهم يقتبس تلك الاسماء من غيره فاتفقوا في بعضها واختلفوا في البعض الآخر فمعنى اسم الثريا في المصرية القديمة الكثرة لكثرة نجومها وفي الهندية الدجاجة وفراخها وفي لغات هنود اميركا الرجال والنساء في حلبة الرقص • والمجرة معنى اسمها العربي اثر جر الحبل ومعنى اسمها في الصينية نهر السماء وعند بعض هنود اميركا طريق النفوس • والدب الاكبر يسميهِ العرب بالنعش وبناته ومعناهُ في السنسكريت المركبة واسم المركبة فيها شبيه باسم الدب ولعلَّ اليونان اخطأوا فحسبوا ان الدب اسمهُ فسموهُ دبّاً بلغتهم • والاسكيمو يسمونهُ ايّلاً والهنود فيلاً ويقولون انهُ في صورة الفيل

(٦) اصل الحياة

ومنهُ • لقد ثبت بالدليل ان الكرة الارضية كانت في اول نشأتها سديمًا او مادة في حالة الغازية لا تصلح لحياة النبات والحيوان وعلم بالبرهان ان الحياة لا يمكن توليدها

الأَّ بالتناسل من حي سابق فما هو تعليل وجود النبات والحيوان والانسان على الكرة الارضية

ج · ان كل ما حسبتموهُ مثبتاً بالبرهان والدليل ليس مثبتاً لا بالدليل ولا بالبرهان بل هو مرجح ترجيحاً فالارض يرجَّح انها كانت سديماً ويحتمل انها كانت مواد جامدة من اصلها · ولم يعلم بالبرهان ان الحياة لا يمكن توليدها الأَّ بالتناسل لان البرهان لا يقوم على القضايا السلبيَّة وجهد ما يقال اننا لا نعرف ان حيًّا تولَّد في ايامنا الأَّ بالتناسل من حي آخر ولكن هذا لا ينفي ان يتولَّد الحي من غير الحي في احوال اخرى غير الاحوال التي نعرفها · والظاهر من درس احافير الارض انها لما صلحت لميشة الحيوان والنبات ظهرت فيها حيوانات ونبات بسيطة التركيب دنية الرتبة جدًّا لا تكاد تفرق عن بلورات الجماد ثم زادت انواع هذه الحيوانات والنباتات وكثرت تراكيبها وارتقت انواعها على مر العصور · ولا يعلم الآن كيف تولَّدت الحيوانات الاولى والنباتات الاولى ولم يهتدِ العلماء الى ايجاد احوال مثل تلك الاحوال تتولَّد فيها اجسام حيَّة من اجسام غير حية ولكنهم سائرون في هذا السبيل

(٧) عدد الاقباط

نيويورك · الخواجه مثري نجار · كم عدد الاقباط في القطر المصري

ج · ٧٠٦٣٢٢ حسب الاحصاء الاخير

(٨) باكر صبوحك

ومنهُ · لمن القصيدة التي مطلعها "باكر صبوحك خير العيش باكرهُ"

ج · لكمال الدين ابن النبيه

(٩) ري العراق

ومنهُ · كيف يمكن الحصول على تقرير السر وليم ولككس المهندس على ري العراق

ج · بلغنا ان النسخ التي طُبعت منهُ نفدت كلها حتى ان صديقاً لنا اراد ترجمتهُ الى الفرنسويَّة فلم يجد غير نسخة واحدة عند المؤلف فاستعارها منهُ

(١٠) رواية التعساء

ومنهُ · هل ترجمت رواية التعساء لفكتور هيجو الى العربيَّة

ج · ترجم جزء صغير منها حافظ افندي ابرهيم الشاعر المصري المشهور وطبعهُ ولم نعد نسمع انهُ طبع غيرهُ او اتمَّ ترجمتها او ان غيرهُ ترجمها

(١١) الخوف

جامِيكا · وندسور كاسل · الخواجه شحاده خليل مالك · لماذا يخاف الانسان وهل الخوف يشمل الناس كلهم وهل يعمُّ الحيوان والنبات

ج · الخوف طبيعي في الانسان والحيوان تولَّد من ملكة حفظ النفس والهرب من الخطر اي اذا وجد في مكان مئة حيوان وهرب خمسون منها من الخطر والخمسون

الاخرى لم تهرب منهُ فسلامة الاولى مضمونة اكثر من سلامة الثانية وبقاء نسل الاولى اضمن من بقاء نسل الثانية فتزيد فيها صفة الهرب من الخطر رويدًا رويدًا لانها مفيدة لحفظ النسل . والظاهر ان هذه الصفة اي الخوف او الابتعاد عن الخطر موجودة جراثيمها في النبات فترى الصنوبر يثخن قشرهُ لكي ينجو من برد الشتاء والسنط يطبق وريقاتهِ في النهار لكي لا يكثر التبخر منها ومن المرجح ان النبات لا يشعر بما يفعل كما ان معدنا تعمل ونحن لا نشعر بعملها اذا كانت في حال الصحة

(١٢) المطر والبحر

ومنهُ . من المشهور ان الطبيعة لا تأتي بشيء ليس منهُ منفعة فما هي المنفعة من سقوط المطر فوق البحار

ج . في هذا القول تجوُّز كثير فان بعض اعمال الطبيعة غير نافع او هو نافع للبعض وضار للبعض الآخر فلا نعلم ما هو نفع الطاعون والكوليرا لانهما لا ينفعان الانسان ولا الحيوان الاَّ اذا قيل ان الدود يتغذى بجيف الموتى بهما واشجار المقابر تغتذي من ابدانهم المدفونة فيها . وحرارة الشمس تقع على الكرة الارضية كلها برها وبحرها فيصعد جانب كبير من مياه البحار بخارًا وينعقد مطرًا فاذا وقع كلهُ على الارض خربها فيقع بعضهُ على البر وبعضهُ على البحر. ولكنهُ لا يلزك انهُ يخرب البر اذا وقع كلهُ عليهِ فيقع اكثرهُ على البحر ولا يتبع في وقوعهِ قاعدة معلومة بل يجري حسب الفواعل الكثيرة التي تؤَثر فيهِ واكثرها راجع الى اختلاف حرارة الشمس وما يحدث فيها من الانواء

(١٣) الفضيلة والرذيلة

ومنهُ . اجمع الكتَّاب على تحقير الرذيلة وفاعليها والحث على فعل الخير والفضيلة فهل من الممكن ان يتبع الجميع نصائحهم ويعملوا بها وهل يقوم هذا الكون من غير شر ورذيلة وهل الانسان مطالب عن افعالهِ لدى القوانين الطبيعية

ج . لا يبعد ان تقل الشرور رويدًا رويدًا لانها غير نافعة فيبقى النافع الصالح للبقاء وتتبع نصائح ذوي الفضيلة ويعمل بها . ولا شيء يمنع الكون من ان يصير ولا شرَّ فيهِ على الاطلاق . وقوانين الطبيعة صارمة تطالب الانسان فيضطر ان يخضع لها فالذي يكثر من الطعام يُتخم والذي يكثر من الحركة يتعب والذي يدور على نفسهِ يصيبهُ الدوار. والانسان يحاول ان يضعف سلطة هذه القوانين عليهِ فيمرّ ن العدَّاء رجليهِ على المشي حتى لا تتعبا والدرويش جسمهُ على الدوران حتى لا يصاب بالدوار ولكن لمقاومة الجسم حدٌّ لا يتعداهُ فجسر الحديد يحمل الاثقال ولا ينكسر ولكن ذلك الى حد محدود فاذا تجاوزنا ذلك الحد وحملناهُ اكثر من طاقتهِ انكسر حتمًا

(١٤) اعلان الدستور العثماني

سان فوس بالبرازيل . الخواجه موسى الحداد . لمن الفضل الاكبر في اعلان الدستور العثماني اللاتراك ام للسوريين

ج . الفضل في ذلك لجمعيَّة الاتحاد والترقي واكثر اعضائها من الاتراك والالبانيين

(١٥) مشابهة العربية الانكليزية

ام درمان . عبد الله افندي العربي . نرى مشابهة كبيرة بين بعض الكلمات العربية والكلمات الانكليزية لفظاً ومعنىً مثل guide قائد و good جيد و cat قطة و tail ذيل و gain جنى فما هو سبب هذه المشابهة واي اللغتين اقتبست من الاخرى

ج . بعض هذا التشابه جاء اتفاقاً كما في كلمة guide فانها مشتقة من كلمة witan القوطية ومعناها راقب وعرف ولا علاقة لها بقائد العربية وبعضها من اصل واحد مثل cat الانكليزية فانها من catus اللاتينيَّة ولا يبعد ان يكون العرب نقلوها عن الروم في سالف عهدهم . والكلمات التي اقتبسها العرب من الانكليزية قليلة وكلها حديث لا يوجد في كتب اللغة ككلمة ورشة فانها من workshop الانكليزية وهي خاصَّة بالآلات والمعامل والكلمات التي اقتبستها الانكليزية من العربية بعضها قديم مثل zenith فانها من سمت العربية وبعضها حديث مثل shadoof و seifi

(١٦) عدد العناصر

مديات (ما بين النهرين) . الخواجه عمانوئيل قرياقس اناويني . كم يبلغ عدد العناصر المكتشفة الى الآن

ج . نحو ثمانين عنصراً

(١٧) القوة المغنطيسية

ومنهُ . هل تظهر القوة المغنطيسيَّة في غير الحديد من المعادن وهل يجذب المغنطيس غير الحديد

ج . نعم تظهر في معادن كثيرة ولاسيما النكل والكوبلت . والمغنطيس يجذبها كما يجذب الحديد

(١٨) القوة المغنطيسية في الارض

ومنهُ . ما الذي يرتئيهِ العلماء من جهة القوة المغنطيسيَّة في الارض هل هذه القوة قائمة في معدن الحديد او في مادة الكرة الارضية كلها

ج . في مادة الكرة الارضية كلها وسببها حرارة الشمس وفعلها بالارض وجوها ودوران الارض على محورها

(١٩) اسماء المدن والقرى

ومنهُ . ان بعض المدن والقرى في القطر المصري يسمَّى باسماء سريانية مثل كفر الدوار وكفر الزيات وكفرطها ومعناها قرية الفلاح وقرية الزيات وقرية النجس فما سبب ذلك

ج . لقد سكن القطر المصري شعوب سامية من قديم الزمان لغتهم العبرانية والسريانية فسموا بعض قراها باسماء من لغاتهم



المجلد الرابع والثلاثون

لقد كبر جرم المقتطف فصار يصعب تجليد اجزاء السنة كلها في مجلد واحد ولذلك رأينا ان نقسم كل سنة الى مجلدين لكل منهما فهرس خاص بهِ · وقد نشرنا مع هذا الجزء فهرس الاجزاء الستة الاولى من هذه السنة لتكون المجلد الرابع والثلاثين وستكون اجزاء الستة الاشهر التالية المجلد الخامس والثلاثين

ثروة انكلترا والمانيا

يكثر الكتّاب الانكليز في هذه الايام من المقابلة بين انكلترا والمانيا في كل شيء لانهم يخشون نشوب الحرب بينهما ويقولون ان التأهب للحرب يمنع نشوبها · وقد بيَّن احد الكتاب الالمانيين ان المانيا صارت اغنى من بريطانيا فقد كانت ثروة بريطانيا تقدَّر باثني عشر الف مليون وخمس مئة مليون جنيه وثروة المانيا بعشرة آلاف مليون جنيه فقط اما الآن فثروة بريطانيا تقدَّر بخمسة عشر الف مليون جنيه وثروة المانيا بسبعة عشر الف مليون وخمس مئة مليون جنيه · ومن رأي احد كتّاب الانكليز ان الفرق بينهما اكثر من ذلك اي ان المانيا اغنى مما تقدم والضرائب التي يدفعها شعبها اقل من الضرائب التي يدفعها الانكليز والنفقات التي ينفقها الانكليز على حربيتهم وبحريتهم اكثر مما تنفقهُ المانيا على حربيتها وبحريتها بنحو مئتين في المئة فهي تقدر ان تنفق على زيادة بوارجها اكثر من الانكليز

الجامعات الاميركية

في الجامعات الاميركية ٢٢٩٠٠٠ تلميذ و٢١٠٠٠ استاذ ومعاون · ويدفع هؤلاء التلامذة اجرة تعليمهم ٢٢٧٠٠٠٠ جنيه كل سنة ويبلغ دخل هذه الجامعات من املاكها واوقافها اكثر من ثمانية ملايين جنيه في السنة

الطيران من اوربا الى اميركا

سُئل تسعة من اشهر المشتغلين بمسألة البلونات والطيارات هل في الامكان السفر من اوربا الى اميركا بآلة طيارة فاجابوا كلهم ما عدا واحداً ان ذلك في حيز الامكان

قال الاول وهو الكونت هنري دولافول ان ذلك ممكن ولكن اكثر الاحياء الآن لا يرونهُ

وقال الثاني وهو المسيو ده لاغرانج ان ذلك ممكن حتماً وسيتم فعلاً باسرع مما يظن الاكثرون

وقال الثالث وهو المستر برسفال سبنسر ان ذلك من الامور السهلة

وقال الرابع وهو الماجور بادن بول ان ذلك الآن من الاحلام

وقال الخامس وهو المستر رولس انهُ يتم ولكن ليس في ايامنا ولا يتم الأ بعد ان تصير الطيارات قادرة على حمل مقادير كثيرة من الوقود ومن الآلات التي تحتاج اليها حين الضرورة

وقال السادس وهو الكبتن وندهام ان ذلك يتم في سنوات قليلة ولا يعود ينظر اليهِ كاعجوبة من اعاجيب الدنيا

وقال السابع وهو المستر جرام مكسم ان ذلك ممكن اذا اخترع احد آلة لا يضيع نصف قوتها في ما يوقد فيها

وقال الثامن وهو المستر هوجس بطلر ان ذلك سيتم حتماً يوماً ما

وقال التاسع وهو المستر ادج ان ذلك سيتم ويشيع حتماً يوماً ما

ويظهر مما كتبوهُ بالتفصيل ان شكوك المشككين في امكان الطيران الآن لا تزيد على شكوك الذين كانوا يقيمون الادلة الحسابيَّة على انهُ يستحيل قطع الاوقيانوس بالسفن البخاريَّة

الشعر الصناعي

سئلنا منذ شهرين عن الشعر العارية الذي يصل بعض النساء شعرهنَّ بهِ والذي تصنع منهُ المنشات هل هو طبيعي او صناعي فاجبنا انهُ طبيعي لان الذين كتبوا عن الشعر العارية لم يقولوا ابداً انهُ صناعي ثم اتفق لنا ان اشترينا مذبَّة لطا كثر الذبان فوجدنا ان اكثر شعرها صناعي والطبيعي منهُ قليل جداً ولا يظهر الفرق بينهما الأ بالامتحان فاذا شددت بالشعرة الطبيعيَّة رأيتها متينة تكاد تجرح يدك ولا تنقطع واذا شددت بالشعرة الصناعية رأيتها قليلة المتانة تنقطع بسهولة ونظن الآن ان بعض الشعر الذي يباع للنساء صناعي مثل هذا

نفقات المسكرات

طلبت الدوما (مجلس النواب الروسي) ان تزال علامة العقاب الامبراطورية عن قناني المسكرات ويوضع بدلاً منها رسم جمجمة وعظمتين ويكتب تحتها كلمة "سم" بحروف كبيرة · وقد اخذ اهالي باريس يلصقون في شوارعها اعلانات كبيرة يقال فيها ان مَن يضع مسكرًا في فيهِ ينزع دماغهُ من رأسهِ ومالهُ من كيسهِ وصحتهُ من جسمهِ · وقد قلَّت مقطوعية المسكرات في بلاد الانكليز في العام الماضي بما يساوي ستة

ملايين من الجنيهات . وأُقفل الاميركيون احد عشر الف حانة سنة ١٩٠٨ ونحو ذلك سنة ١٩٠٧ .واذا استمرّ اقفال الحانات على هذا المعدَّل أُقفلت كلها من الولايات المتحدة الاميركية في عشرين سنة . فاذا تمَّ لها ذلك فنفعهُ لا يقدَّر لان اهاليها انفقوا في السنة الماضية على المسكرات مئتي مليون جنيه .وفي السنة التي قبلها مئة وثمانين مليون جنيه

الوطنية في اليابان

كتب مدير مجلة الشرق الاقصى ان دَين حكومة اليابان يبلغ الآن ٢٢٣ مليونًا من الجنيهات وان دخل البلاد السنوي كلهُ لا يزيد على ٢٠٠ مليون جنيه فدخلها قليل جدًّا بالنسبة الى دينها والى نفقاتها ويضطر اليابانيون ان يعطوا نحو ثلث دخلهم للحكومة سنويًا ولكنهم يفعلون ذلك عن طيب نفس لشدة وطنيتهم

البيوت المسكونة

يعتقد بعض الاوربيين ولاسيما الانكليز ان بعض البيوت القديمة مسكون تتردد عليهِ روح واحد من الذين قتلوا او ماتوا فيهِ وتظهر للذين يبيتون فيهِ والغالب انهم يهجرون تلك البيوت ولو كانت قصورًا مشيدة خوفًا من ان هذه الارواح تؤْذي من يبيت فيها . وقد بحث الاستاذ لمبروزو الايطالي في هذا الموضوع الآن وحقق الادلة المقامة على سكن تلك البيوت فاستنتج انها مسكونة حقيقةً تسكنها ارواح بعض الاموات . والظاهر ان الاستاذ سلَّم بكل دعاوي اصحاب الارواح وسجان من قسم المعقول

زلزلة سان فرنسسكو

ذكرنا غير مرة ان سبب زلزلة سان فرنسسكو انقداد جانبٍ من الارض وهبوطهُ قليلاً وهذا هو السبب الغالب للزلازل . وقد حسبوا ان الجانب الذي انقدَّ فحدثت منهُ زلزلة سان فرنسسكو تبلغ مساحتهُ اكثر من مليون ميل مكعب

الادوات المسحورة

في دار التحف البريطانية تابوت مصري قديم لكاهنة آمن را ويقال انهُ مسحور وكل الذين اتصلوا بهِ كان نحسًا عليهم . وقد بحث الدكتور هرمن في امرهِ فقال انهُ كذلك لان روحًا من الارواح اختارت ان تجمع قوتها فيهِ وتستعملهُ واسطة للاضرار بالناس . ومن الغريب انك تجد بعض علماء الانكليز يصدقون هذه الخرافات

تعقيم الماء بالنور

ومياه القاهرة

وجد بعضهم ان نور المصباح الكهربائي الذي فيهِ بخار الزيبق يقتل الميكروبات

لان اشعتهُ فوق اشعة البنفسجي . وقد علق مصباح قوتهُ ٩ امبر في برميل من الحديد مملوءِ ماء فقتل كل ما فيهِ من الميكروبات في دقيقتين من الزمان . وثبت بعد التجارب الكثيرة ان هذا المصباح يقتل كل الميكروبات العادية في دقيقة من الزمان . ولا بدَّ من ان يكون الماء صافياً لكي تخرقهُ اشعة النور بسهولة والماء المعقم كذلك لا ترتفع حرارتهُ الاَّ جزءا صغيرًا من الدرجة ولا تتغير خواصهُ ويقال انهُ يمكن تعقيم مياه المدن بهذا النور فتوضع المصابيح المشار اليها في المواسير الكبرى التي يجري فيها الماء اولاً بحيث يتعرض كلهُ للنور دقيقتين من الزمان وذلك بعد ترويقهِ فتموت منهُ كل الميكروبات التي كانت فيهِ

وعسى ان تجرب الحكومة المصريَّة ذلك فاذا ثبت لنا ان ماء النيل ينتقي من كل الميكروبات بسهولة بهذه المصابيح لم يبقَ ما يمنع العود الى مياه النيل لشرب سكان العاصمة وشرب كل مدن القطر

سيَّار ابعد من نبتون

لا يخفى ان اثنين من علماء الفلك استدلاَّ على وجود السيار نبتون من الاضطراب الذي يحدث في السيَّار اورانوس . ويحدث اضطراب في حركات نبتون تدل على وجود سيَّار آخر ابعد منهُ عن الشمس ومعرفة ذلك بالحساب صعبة جدًّا لطول العمليات الحسابيَّة الاَّ ان الاستاذ بكرنج الفلكي استخدم الطريقة الحسابيَّة الجديدة وهي الطريقة الرسميَّة فحسب بها اولاً مبادئ نبتون من اضطرابات اورانوس فوجد نتيجتها تنطبق على ما عرف من امر نبتون بالحساب العادي فحسب بها مبادئ هذا السيار فوجد ان طولهُ ٨ و ١٠٥ ومتوسط بعدهِ عن الشمس ٩ و ٥١ بعد الارض عنها وهو يكمل دورتهُ حول الشمس في ٣٧٣ سنة ونصف سنة فيدور كل سنة نحو ٩٦٤ و. الدرجة وجرمهُ $\frac{1}{168000}$ من جرم الشمس وهو مضاعف جرم الارض

البيسة او بقر الوحش

البيسة كلمة سودانية لنوع من الظباء البيض الطويلة القرون ويسمى في علم الحيوان Oryx beisa وهو مرسوم في الآثار المصرية القديمة ورسومهُ كثيرة تدل على انهُ كان موجودًا بكثرة في القطر المصري ولا يوجد الآن الاَّ في السودان واسمهُ باللسان المصري القديم ماعز فهل كلمة ماعز العربية مأخوذة من كلمة ماعز المصرية

جبال القمر ومصدر النيل

ذكر الشهير بطليموس في جغرافيتهِ ان النيل يجري من ثلوج جبال القمر في قلب افريقية وترجمت جغرافيتهُ الى العربية وضبطت

كلمة القمر في بعض النسخ بضمة وسكون لقيل القُمْر . وظن بعض الباحثين ان الكلام على هذه الجبال مقحم ادخله العرب في جغرافية بطليموس ولكن لما اكتشف ستنلي جبل رونزوري في قلب افريقية قال انهُ هو جبل القمر الذي ذكرهُ بطليموس وجغرافيو العرب وقالوا ان النيل يجري من ثلوجهِ وقد سمعنا هذا القول من ستنلي نفسهِ . ثم رأى هذا الجبل كثيرون بعد ستنلي وتحققوا ان منبع النيل في حضيضهِ ورأوا قننهُ مغطاة بالثلج وانهر الجليد تجري على جوانبهِ وفي جملتهم دوق البروزي الذي قصدهُ سنة ١٩٠٦ كما انبأنا في حينهِ وصعد الى اعلى قنة من قننهِ فوجد ارتفاعها ١٦٠٨٠ قدماً فوق سطح البحر فسماها قنة ستنلي وفيها اكمة تعلو عنها ٧٣٥ قدماً سماها اكمة مرغريتا وكانت هي وكل القنن العالية مغطاة بالثلج . ويبقى الثلج عليها على مدار السنة فان حدهُ الاسفل هناك حيثما يكون على اقلهِ ١٤٧٠٠ قدم فوق سطح البحر اي ان ١٣٨٠ قدماً من ذلك الجبل تبقى مغطاة بالثلج على مدار السنة

الاهتمام بالمستقبل

يدَّعي الانكليز انهم يدينون بدين من علَّم قائلاً لا تهتموا للغد وهم مع ذلك يهتمون ليس للغد فقط بل لما يأتي بعد خمس مئة سنة او اكثر فقد قال السر وليم رمسي الكيماوي بالامس ان حياة الامم تتوقف على ما في بلادها من القوة الطبيعية التي تستطيع استخدامها والقوة الطبيعية في بلاد الانكليزيَّة هي الفحم الحجري المذخور في طبقات ارضها . وقد بينت اللجنة التي انتدبت للبحث عن مقدارهِ انهُ يكفي ثلثمئة سنة الى ثمانمئة سنة والمتوسط نحو خمس مئة سنة فاذا لم يقتصد في استخراجهِ واستعمالهِ من الآن فالذين يولدون في البلاد الانكليزيَّة بعد خمس مئة سنة لا يجدون فيها الفحم اللازم للوقود ولادارة الآلات وليس في البلاد قوة مائية يمكن الاستغناء بها عن الفحم الحجري ولو كان فيها لما اغنتها عن الفحم لان القوة المائية التي في اوربا كلها ما عدا بعض انهار روسيا تقدر بمليوني حصان والانكليز يستعملون في آلاتهم كلها قوة بخاريَّة تقدر بمئة مليون حصان . ولا ينتظر ان يستنبط شيءٌ يقوم مقام الفحم الحجري فان الآلات التي تصنع لاستخدام قوة مد البحر تكسرها الانواء والآلات التي تصنع لاستخدام حرارة الشمس تكسرها العواصف ولا يبقى الأَّ سبيل واحد لايجاد القوَّة وهو ان تحفر آبار عميقة جدًّا الى حيث يكون الماء غالياً فيصعد منها ماء غالٍ يدير الآلات البخارية . واذا لم يأخذ الناس اهبتهم من الآن ويهتموا بالمستقبل خربت البلاد وصارت مدينة لندن قرية يسكنها صيادو السمك

الفحم الحجري في اوربا

قيل في النبذة السابقة ان الفحم الحجري الذي في بلاد الانكليز لا يكفيها اكثر من خمس مئة سنة ثم رأينا ان اللجنة التي انتدبت للبحث عن مقدار الفحم الحجري في انكلترا والمانيا وفرنسا وبلجيكا وهي اكثر البلدان فحماً وجدت ان مقدار الفحم في انكلترا ١٤٠٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن في السنة نحو ٢٦٨ مليون طن . وفي المانيا ٥٠٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن ٢٤١ مليون طن . وفي فرنسا ١٧٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن ٣٦ مليون طن وفي بلجيكا ١٦٠٠٠ مليون طن وهي تستخرج منهُ الآن نحو ٢٣ مليون طن . والفحم الذي يستخرج من بلاد الانكليز يصدر منهُ كل سنة نحو ٦٤ مليون طن تأخذ المانيا منها ١٤ مليون طن

البطر في اميركا

كتبت احدى السيدات في مجلة الفورم الاميركية ان اهالي الولايات المتحدة قد بطروا بطراً يفوق الوصف في ما يبدونهُ من الصياح والجلبة في اعيادهم كعيد الحرية وعيد رأس السنة فانهم يخرجون الى الشوارع حينئذٍ يطبّلون ويزمرون ويصيحون ويجلبون ويحرقون الالعاب النارية . وقد اتفق اهالي مدينة نيويورك على هذين العيدين اخيراً مليونين و٨٠٠ الف جنيه وقُتل بالعابهم النارية ١١ نفساً وجُرح ٧٦٨ نفساً . وقتل في الولايات المتحدة كلها في عيد ٤ يوليو الماضي اي عيد الحرية ١٦٣ نفساً وجرح ٥٤٦٠ نفساً وقتل في الستة الاعياد الماضية من اعياد الحرية ١٣٠٠ نفس وجُرح ٢٨٠٠٠ نفس هذا عدا الذين لم يبلغ امرهم رجال الحكومة . ولا شبهة ان النعمة تجلب البطر والعناية بالحياة قليلة في كل الاعمال باميركا على ما يظهر فقد قتل في سكك الحديد ٩٧٣٧٣ نفساً بين سنة ١٨٩٧ و١٩٠٧ وجرح ٧٤٩٥٩٢ نفساً وقتل في المعادن ٢٥٩٦٥ نفساً بين سنة ١٨٩٠ و١٩٠٧ وقتل في مناجم الفحم الحجري وحدها ٣١٢٥ نفساً سنة ١٩٠٧ وجرح ٥٣١٥ وبلغ الذين يصابون بآفات مختلفة من المعدنين في اميركا نحو ٣٥ من عشرة آلاف وهم في فرنسا ثمانية من كل عشرة آلاف وفي انكلترا ١٢ وفي المانيا ١٣ وفي بلجيكا ٩ ومع ذلك يقال ان الولايات المتحدة الاميركية ناجحة اكثر من كل ممالك الارض

خسارة البلاد من السل

قدَّر بعضهم ان داء السل يقتل كل سنة مئتي الف نفس من سكان اميركا فاذا كانت قيمة عمل كل منهم ٣٣٠ جنيهاً في السنة فخسارة البلاد بموتهم ٦٦ مليوناً من الجنيهات

فهرس الجزء السادس من المجلد الرابع والثلاثين

